



ذاكرة الكتابة

159

تاريخ المرساجد الأثرية

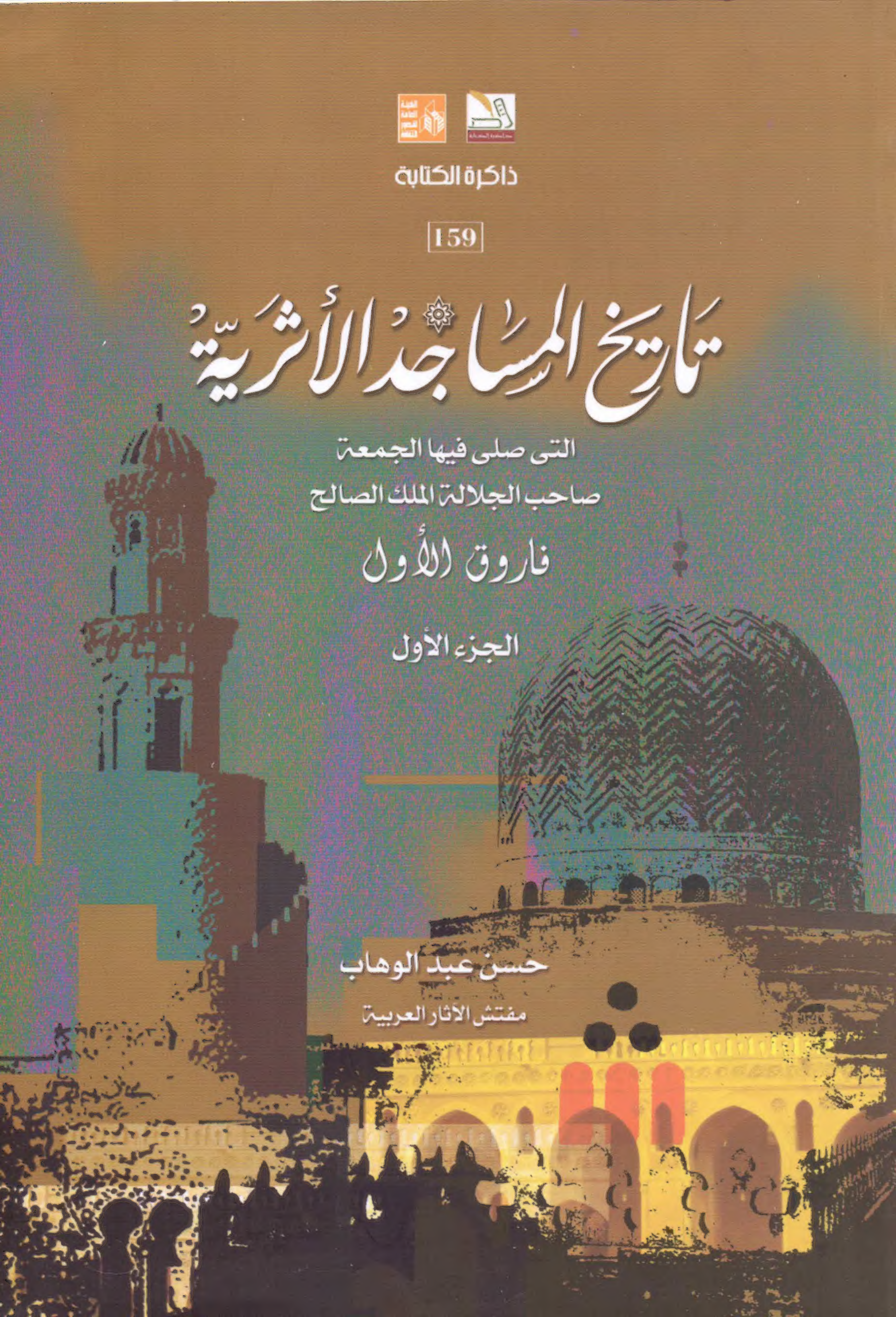
التي صلى فيها الجمعة
صاحب الجلالة الملك الصالح

فاروق الأول

الجزء الأول

حسن عبد الوهاب

مفتش الآثار العربية



كل ما هو عالٍ و رفيع فى تجارب العمارة الإنسانية، إنما جاء
به السياق النابع من صروح الأهرام و المسلات و المعابد
المصرية، من هنا جاءت عمارة و هندسة المساجد، ليس فى
مصر فحسب بل و فى العالم أجمع .



www.gocp.gov.eg

التمن : ~~سنة~~ ~~التمن~~

تصميم الغلاف : فكري يونس

تاريخ المساجد الأثرية

التي صلى فيها فريضة الجمعة حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح
فاروق الأول

تأليف

حسن عبد الوهاب

مفتش الآثار العربية

الجزء الأول

وزارة الثقافة



تعنى بنشر أبرز الأعمال الفكرية والأدبية
والنقدية التي طبعت في بدايات القرن العشرين

• هيئة التحرير •

رئيس التحرير
عبد العزيز جمال الدين
مدير التحرير
طارق هاشم

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة
بل تعبر عن رأى وتوجه المؤلف في اللقاه الأول.

• حقوق النشر والطباعة محفوظة للهيئة العامة لقصور الثقافة.
• يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن
كتابى من الهيئة العامة لقصور الثقافة، أو بالإشارة إلى المصدر.

سلسلة ذاكرة الكفاية

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
سعد عبد الرحمن
أمين عام النشر
محمد أبو المجد
مدير عام النشر
ابتهال العسلى
الإشراف الفنى
د. خالد سرور

• تاريخ المساجد الأثرية
• تأليف: حسن عبد الوهاب
• هذه الطبعة،
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2014م
• تصميم الغلاف:
هكرى يونس
• رقم الإيداع: ٢٠١٤ / ٢٥١٧
• الترقيم الدولي: 978-977-718-617-9
• المرسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالي: ١٥ شارع أمين
سامى - القصر العيني
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت، 7947891 (داخلى، 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت، 23904096

تاريخ المساجد الأثرية

**التي صلى فيها فريضة الجمعة حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح
فاروق الأول**

تقديم

كل ما هو عال ورفيع فى تجارب العمارة الإنسانية إنما جاء به السياق نابعاً من صروح الأهرام والمسلات والمعابد المصرية التى أسسها المصريون على ضفاف النيل، من هنا جاءت عمارة وهندسة المساجد ليس فى مصر فحسب بل وفى العالم أجمع وتطورت عنها المساجد الأندلسية والهندية، فالإسلام لم يقرر نموذجاً معمارياً لبناء المساجد أو المنازل أو القصور أو تخطيط المدن. فقد كان مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة مؤلفاً من قسمين قسم مغطى أطلق عليه فيما بعد اسم الحرم، وقسم مكشوف أطلق عليه الصحن، ولم يكن له مئذنة أو قبة أو محراب فهذه التوابيع اللازمة لأداء فريضة الصلاة أصبحت عناصر أساسية فى تكوين عمارة المسجد فيما بعد، والتى طبقت عمارة المساجد فى كل بلدان العالم مع بعض الملامح التى لا تمس جوهر عمارة المسجد المصرى، ولعل جامع عمرو بن العاص بمصر عتيقة هو أول جامع تأسس فى مصر وتم تطوير عمارته ليصبح نموذجاً يحتذى فى غيره من المساجد، كذلك كان جامع الأزهر وجامعته أشهر جامع خرجت منه أروع صيغة للمقرنة فى العالم ومنها عرفت أعجب وأشهر القراءات التى نبعت من التراث الغنائى المصرى.

عبد العزيز جمال الدين

حول تاريخ المساجد الأثرية للدكتور حسن عبد الوهاب

بعد صدور كتاب (مصر والسودان تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر) للأستاذ المؤرخ (محمد فؤاد شكرى) فى العدد الأخير من سلسلة (ذاكرة الكتابة)، اكتشفت عزيزى القارئ أننا قد قدمنا فى السلسلة (السياسى) و(التاريخى) و(الأدبى)، وبقيت زاوية الفنون ناقصة ولا تجد ما يعبر عنها فى مسيرة السلسلة، لذا كان ضرورياً أن يقع اختيارنا على كتاب يعد درة من درر الفنون الإسلامية، ألا وهو كتاب (تاريخ المساجد الأثرية) لكبير مؤرخى العمارة الإسلامية الدكتور (حسن عبد الوهاب) الذى يغطى بكتابه ناحية مهمة من نواحي الفن الإسلامى، فكتابه (تاريخ المساجد الأثرية) والذى سبق كتب كثيرة فى هذا المجال، حيث كان الأول فى الأهمية العلمية والتاريخية من حيث أنه الأسبق، فقد تلتته كتب أخرى لا تقل أهمية عنه، صدر الكتاب فى المرة الأولى فى العام ١٩٤٦ عن دار الكتب المصرية، ثم تلاه كتاب (مساجد مصر) الذى طبعته هيئة المساحة لحساب (وزارة الأوقاف) وهو من الكتب الشديدة الأهمية والندرة معاً (صدر فى العام ١٩٤٨) أى بعد كتاب أستاذنا الجليل الدكتور (حسن عبد الوهاب) الذى يعد من أهم علماء الآثار الإسلامية، وأحد أقطاب الفنون الإسلامية، هذا بخلاف كتاب الدكتورة سعاد ماهر (مساجد مصر وأولياؤها الصالحين).

ولد الدكتور (حسن عبد الوهاب) فى ٣١ أغسطس من العام ١٨٩٨ بالقرب من حى مصر القديمة، وهو حى كثر فيه الدور المميزة بمشربياتها ونوافذها التى تحمل طاقات زخرفية شديدة الدقة والحضور الفنى، و(حسن عبد الوهاب) قد تربى فى أسرة من الأسر الدينية المتحضرة، فأبوه كان عالماً من علماء الأزهر الشريف، كما كان جده من أعلام القراءات ورسم المصحف، وكان أستاذه العلامة الجليل (أحمد باشا تيمور) وفى صغره حفظ (حسن عبد الوهاب) القرآن وعلوم الدين فى أروقة الأزهر الشريف، ثم التحق بما يعرف بتجهيزية دار العلوم، ثم التحق بعد ذلك بخدمة لجنة الآثار العربية، وذلك فى عهد

السلطان حسين كامل، كذلك عمل (حسن عبد الوهاب) مع العالم السويسرى هرتس بك والمصرى محمد باشا أحمد أول من تولى الآثار العربية من المصريين، إضافة إلى أنه قد عمل مع العالم الفرنسى (جاستون فيت) صاحب الكتاب الشهير (القاهرة مدينة الفن والتجارة)، وقد كان لهؤلاء العلماء دوراً كبيراً فى ترميم كثير من مساجد مصر الإسلامية ومدارسها ومشاهدها، على أسس علمية وفنية حتى منتصف الأربعينيات، وكانت مصر حينذاك تزخر بأجيال الصناع من الفتيين فى الرخام والخشب والحجارة والنحاس والمزخرفين، وبين أيديهم اشتغل الدكتور (حسن عبد الوهاب) مفتشاً للآثار الإسلامية حتى أحيل إلى المعاش فى العام ١٩٥٨، ساعد الدكتور (حسن عبد الوهاب) فى تميزه بين علماء الآثار كونه كان مصوراً فوتوغرافياً موهوباً زاول مهنة التصوير الفوتوغرافى، وذلك منذ بدأ اشتغاله بالآثار على الرغم من بدائية آلات التصوير آنذاك (أوائل القرن العشرين) ولـ(حسن عبد الوهاب) بحوث علمية مهمة تتناول حياة الصناع ونظم العصور الإسلامية، وتخطيط المدن، وجاء كتابه الذى بين إيدينا (تاريخ المساجد الأثرية) ليصبح متحفاً فنياً مهماً، حيث جاء الكتاب فى جزأين، الأول جاء للدراسة العلمية والتحليل الفنى المعماري، وكان الجزء الثانى سجلاً حافلاً بقطعات دقيقة للعمارة الإسلامية ممثلة فى مساجد مصر الأثرية، إضافة إلى الكثير من التفاصيل المعمارية التى تساعد على رصد دقائق العمل الهندسى، لقد اختار الدكتور (حسن عبد الوهاب) فى كتابه أكبر المساجد وأشهرها إضافة إلى نموذج (المدرسة) و(الخانقاه) لنصبح أمام كتاب يرصد بالدليل التنوع المبهر فى العمارة الإسلامية بمصر ونتعرف من خلال كتاب (تاريخ المساجد الأثرية) على تاريخ منشأ المسجد وتحقيق تاريخ إنشائه ووصفه، إضافة إلى الأدوار التى مر بها من زيادة وتعمير، والدكتور (حسن عبد الوهاب) العديد من الاكتشافات المهمة فى الآثار الإسلامية منها، كشف محراب المعز لدين الله بالجامع الأزهر، إضافة إلى اكتشاف تابوت المشهد الحسينى، والكشف عن فسيفساء قبة الصالح نجم الدين أيوب، بالإضافة إلى اكتشاف العديد من التحف الفنية والمصاحف الشريفة المحفوظة بالمتاحف المصرية، كذلك اكتشف اسم مهندس مدرسة السلطان حسن، شارك الراحل الدكتور (حسن عبد الوهاب) فى العديد من المؤتمرات العلمية والدولية.

كما شارك فى عضوية العديد من المجالس العلمية واللجان منها (عضو المجلس الأعلى

للآثار - عضو المجمع العلمى المصرى، عضو لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، عضو اللجنة التاريخية المصرية، عضو لجنة المتحف البحرى) والراحل العظيم مؤلفات مهمة فى العمارة الإسلامية بالعربية والإنجليزية والفرنسية، ومنها (رمضان - تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها - العمارة فى عصر محمد على - تاريخ الشرطة فى العصر الإسلامى) إضافة إلى كتابه الهام (جامع السلطان حسن وما حوله) حصل الدكتور (حسن عبد الوهاب) على جائزة الدولة التقديرية فى العام ١٩٦٨، وذلك للأسف بعد رحيله بعام، حيث رحل عن عالمنا فى العام ١٩٦٧ تاركاً روحه فى كل ما كتبه وفى ظل اكتشافاته عاش اسمه يليق به وبمصر ومكانتها بين حضارات العالم.

طارق هاشم



حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك الصالح

قاروق الأول ملك مصر

مولاي

إلى مقامك السامي أتشرف بأن أرفع تاريخ مجموعة من المساجد الأثرية
في عاصمة ملكك السعيد، كان من حسن ظالك إشارتك نور طلعك عليها،
بأرأاك فريضة الجمعة فيها.

ومد يشار إليهم أن يزدهر المساجد وتعمد في عهدك السعيد (إنما يعمر
مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)

ولقد عم فضلك يا مولاي نواحي الحياة جميعها، وانتفع بإرشادك وحسن
توجيهك العالم والصانع والفنان، وسرت على نهج من خلد التاريخ ذكرهم
في نشر العلوم والفنون، فشجعت العلماء والمؤلفين، وأضفت إلى تراث مصر
زودة علمية وفنية تظهر بفضلك ورعايتك. وكان لتاريخ مصر وآثارها
أوفر نصيب.

وإن الرعاية التي تشمل بها رعائك المخلصين، وما تجته فيهم من روح التنشيط
قد بعثت فيهم الرقة وقوة العزيمة.
وإنها ليثقة كبرى يا مولاي أن يوفقني الله بإخراج لهذا السيف مشمول
برعايتك وعنايتك.

ومت يا مولاي نصيرا للعلماء وعمادا للفنون.

العبد الخاضع المخلص

حسن عبد الوهاب

لسمك الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه
أجمعين .

وبعد ، فقد آستنّ الملك الصالح "فاروق الأول" سنة حسنة بأدائه فريضة
الجمعة في مساجد متفرقة ، في أنحاء عاصمة ملكه السعيد ، فكان خير قدوة في أداء
الفريضة ، وكانت خير فرصة لشعبه الوفى في اجتلاء طلعتة المشرقة .

وقد نخصّ جلالتة المساجد الأثرية بعنايته ، فأولاها النصيب الأوفر من اختياره .
وكان هذا من أكبر الأسباب لإصلاحها وإعدادها ، إذ تفضل — رعاه الله —
فأمر بإصلاح الكثير منها .

وهذه المجموعة من المساجد حوت أهمها وأكبرها ، وجمعت بين المسجد
الجامع ، والمدرسة ، والخانقاه . وتنوّعت فيها العمارة الإسلامية في عصورها
المختلفة بمصر تنوعاً يساعد الباحث على الوقوف على تطوّر تصميماتها ، وزخارفها ،
وتفاصيلها العمارية .

وقد تفضل مولاي — حفظه الله ورعاه — فأضاف إلى عنايته بتعميرها
فضل نشر تاريخها .

وإنها لنعمة كبرى أولانيها وغمرني بها ، أن هباً لى نشر تاريخها ، متوجاً باسمه
الكريم ، ومزوّداً بالرسوم والصور الفوتوغرافية التي تساعد على اجتلاء محاسنها ، وتنبع
رقبها وتطورها .

وقد تناولت في هذا الكتاب تاريخ منشئ المسجد، وتحقيق تاريخ إنشائه ووصفه،
والأدوار التي مرت به من زيادات وتعمير، مع شرح المميزات الفنية لكل منها،
والتعريف بمواطن الجمال فيها .

وسيرى القارئ فيما يقرؤه من هذه المجموعة الأثر العظيم الذي للبيت العلويّ
الكريم في تعمير المساجد وإصلاحها ، إذ ما من مسجد إلا ناله من هذا البيت
إصلاح وتدعيم ، حتى أصبحت في عهد "الفاروق" نخر الآثار الإسلامية
وعنوان مجدها .

حفظ الله الملك المفدى، وأعزّه به الإسلام، وأعلى به منار الدين ٤

حسب الوهاب

مُجْتَوَيَاتُ الْكِتَابِ

صفحة	صفحة
١٨٨ مدرسة آجاي اليوسفي	٧ المقدمة :
١٩٢ » وخاتناه الظاهر برفوق...	١١ تمهيد :
١٩٨ مسجد الإمام الليث	١١ نشأة المساجد
٢٠٢ المدرسة الباسطية	أثر الدول الإسلامية التي حكمت مصر في العمارة
٢٠٧ مسجد المؤيد شينغ	الإسلامية
٢١٥ المدرسة الفخرية (مسجد البنات)	جامع عمرو بن العاص
٢١٨ مسجد جاني بك الأشرفي	الجامع الطولوني
٢٢١ مدرسة الأشرف برسباي بالأشرقية	» الأزهر
٢٢٥ خاتناه الأشرف برسباي بالقراة الشرقية	» العتيق بإسنا
٢٢٩ مسجد الأشرف برسباي بالخانكاه	مسجد المطارين
٢٣٤ » زين الدين يحيى بشارع الأزهر	الجامع الأقمر
٢٣٨ » » » يولاق	» الأنقر (المعروف بالقاهكاهي)
٢٤١ » » » بالحانية	المشهد الحسيني
٢٤٣ » عمر بن الفارض	مشهد زيد بن زين العابدين
٢٤٧ » فاطمة شقرا	جامع الصالح طلائع بن رزيك
٢٥٠ مدرسة قايتباي بالقراة الشرقية	قبة ومسجد الإمام الشافعي
٢٥٨ قبة يشبك من مهدى بكوبرى القبة	مدرسة وقبة قلاوون
٢٦١ مدرسة بقماس الإسحاقى	الخاتناه الجاولية
٢٦٧ مسجد سلطان شاه	خاتناه ببيرس الجاشنكير
٢٦٩ قبة القداوية	مسجد الماس الحاجب
٢٧٣ مسجد قايتباي بالروضة	جامع قوصون
٢٧٦ » أبي العلا	» بشتاك
٢٨١ » قاني باي الرماح	مسجد الطنبغا المارداني
٢٨٦ » القورى	جامع آق سنقر (إبراهيم أغا)
٢٩٥ » المحمودية	» الأمير شيخو الناصري
٢٩٩ » الشعراوى	مدرسة مرغتمش
	» السلطان حسن
	» أم السلطان شعبان



محتويات الكتاب

صفحة	صفحة
٣٥٧ مسجد حسن باشا طاهر	٣٠٢ مسجد سنان باشا
٣٦٠ » سليمان أغا السلحدار	٣٠٦ » الملكة صفية
٣٦٣ » الرفاعي	٣١٢ » يوسف الحين
٣٧٢ » الفتح الملكي (عابدين)	٣١٥ » عقبة بن عامر
٣٧٦ » محمد علي باشا الكبير	٣١٨ المدرسة الفارقانية
٣٨٩ كلمة شكر	٣٢٠ مسجد ذوالفقار
٣٩١ المراجع العربية	٣٢٣ » عثمان كتندا
٣٩٩ المراجع الأفرنجية	٣٢٧ » عبد الباقي حوريجي
٤٠٠ فهرس الموضوعات	٣٣١ » النبي دانيال
٤٠٦ فهرس اللوحات بالجزء الأول	٣٤٢ » كريم الدين الخلوتي
٤٠٩ فهرس الأعلام	٣٤٤ » السيدة عائشة
٤٢١ فهرس الأماكن	٣٤٨ » اليومى
	٣٥١ » محمد بك أبي الذهب

نشأة المساجد

المسجد والجامع

المسجد — الموضع الذى يُسجد فيه . قال الزجاج : كل موضع يُتَعَبَّد فيه فهو مسجد .
 ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « جُعِلَتْ لى الأرض مسجداً وطهوراً » .
 وقال عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ ﴾ المعنى على هذا المذهب :
 من أظلم ممن خالف قبلة الإسلام .

الجامع — نعت للمسجد ، وإنما نعت بذلك لأنه علامة الاجتماع . وما كانوا فى الصدر
 الأول يفردون كلمة « الجامع » ، وإنما كانوا تارة يقتصرون على كلمة المسجد ، وطورا يضيفونها
 فيقولون المسجد الجامع ، وآونة يضيفونها الى الصفة فيقولون مسجد الجامع . ثم تجاوز الناس بعد
 واقتصروا على الصفة فقالوا للمسجد الكبير وللذى تصلى فيه الجمعة وإن كان صغيرا الجامع ، لأنه يجمع
 الناس لوقت معلوم ^(١) .

• وأول مسجد بنى فى الإسلام هو مسجد قباء الذى يقال له مسجد التقوى ، لقوله تعالى فيه :
 ﴿ لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ .

وروى أبو سعيد الخدرى أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذى أسس على
 التقوى فقال : هو مسجدى (أى مسجد المدينة) . وهذا لا يعارض الأول ، إذ كل منهما أسس
 على التقوى ، غير أن قوله سبحانه : من أول يوم يقتضى أن يكون مسجد قباء ، لأن تأسيسه كان من
 أول يوم حلول الرسول صلى الله عليه وسلم دار هجرته . ويرى الحافظ ابن حجر أن السر فى جوابه
 صلى الله عليه وسلم دفع توهم أن ذلك مقصور على مسجد قباء ^(٢) .

ولما افتتح عمر بن الخطاب البلدان كتب الى أبى موسى الأشعرى وهو على البصرة يأمره
 أن يتخذ مسجدا للجماعة ، ويتخذ للقبائل مساجد ، فإذا كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة ،
 وكتب الى سعد بن أبى وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك ، وكتب الى عمرو بن العاص وهو على
 مصر بمثل ذلك أيضا ، وكتب الى أمراء أجناد الشام ألا يتبددوا الى القرى ، وأن يتزلوا المدائن ،

(١) المقرئى ج ٢ ص ٤٠٨ ، تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص ٥ - ٦ (٢) رقاء الوفا ج ٢ ص ١٦

وأن يتخذوا في كل مدينة مسجدا واحدا ولا يتخذ القبائل مساجد . فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده . وكانت صلاة الجمعة تؤدى في المسجد الجامع^(١) .

ظلت صلاة الجمعة تؤدى في جامع عمرو بالقسطاط باعتباره أول جامع أنشئ فيها ، الى أن قدم صالح بن علي بن عبد الله بن عباس من العراق في طلب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية سنة ١٣٣ هـ (٧٥٠ م) قتل بعسكره في شمالي القسطاط وبني هناك الأبنية ، فسمى هذا الموضع بالعسكر . ثم أقيمت صلاة الجمعة في مسجد بناه الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس سنة ١٦٩ هـ (٧٨٥ م) عرف بجامع العسكر .

استمرت الخطبة^(٢) تقام في هذين المسجدين حتى بنى أحمد بن طولون مسجده في سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ م) فأبطل صلاة الجمعة من جامع العسكر ، وظلت تقام بجامعه وجامع عمرو ، الى أن قدم جوهر القائد وبني الجامع الأزهر سنة ٣٦١ هـ (٩٧١ م) فكانت الجمعة تقام في جامع عمرو بن العاص وجامع ابن طولون والجامع الأزهر .

وفي سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) أنشأت السيدة تغريد أم الخليفة الفاطمي العزيز بالله جامع القرافة المعروف بجامع الأولياء . ثم أنشأ العزيز بالله جامع بباب الفتوح في سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) وأقام الجمعة فيه في سنة ٣٨١ هـ (٩٩١ م) وأتمه أبنه الحاكم بأمر الله وصلى فيه الجمعة في شهر رمضان سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٣ م) كما أنشأ الحاكم جامعي المقس وراشدة ؛ فكانت الجمعة تقام في هذه الجوامع كلها الى أن انتهت الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) وأبطلت الخطبة من الجامع الأزهر واستمرت فيما عداه . وهذا هو السر في كبر مساحة هذه المساجد ، فقد أعدت لتجمع عددا كبيرا بل أمة مجموعة . ثم كثر إنشاء المساجد والمدارس في أنحاء مصر والقاهرة وتعددت الخطبة .

نشأة المدارس بمصر — كانت مصر في القرون الخمسة الأولى للعصر الإسلامي مركزا للعلوم ومقصدا للطلاب ، وكانت مساجد : عمرو وابن طولون والأزهر والحاكم ودار الحكمة عامرة بالدراسات المختلفة .

ومع أن الفاطميين حينما استولوا على مصر دعوا فيها لمذهب الشيعة وولوا فقهاءهم مناصب القضاء لم يستطيعوا التغلب على المذاهب السنية والتمسك بها .

ولما قامت الدولة الأيوبية قضى سلاطينها — وكانوا شافعية — على التشيع وأنشئوا المدارس لفقهاء الشافعية والمالكية .

وقد شاركت الإسكندرية القاهرة في نهوضها العلمى والثقافى فى تلك الحقبة، إلا أن لها فضل السبق فى إنشاء المدارس للأذهب السنية . ففى سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م) — والدولة الفاطمية قائمة — أنشأ الوزير رضوان بن الوحشى وزير الخليفة الحافظ لدين الله مدرسة بالإسكندرية^(١) ، كما أنشأ العادل أبو الحسن على بن السلار وزير الخليفة الفاطمى الظافر، المتوفى سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) بالإسكندرية^(٢) مدرسة أخرى، وكان شافعى المذهب .

وكان لملك مصر صلاح الدين يوسف الأيوبي أكبر الفضل فى إنشاء المدارس وانتشارها فى أنحاء مصر، فإنه عمل جاهدا على القضاء على مذهب الشيعة وإنعاش مذاهب أهل السنة ببناء المدارس لفقهاءها، وبغير ذلك من الوسائل . وكان لمذهب الشافعى الحظ الأكبر من عنايته فخص به القضاء لكونه مذهب الدولة .

وأول مدرسة له بمصر هى المدرسة الناصرية بجوار جامع عمرو بن العاص ، أنشأها سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) . وفى السنة نفسها أنشأ المدرسة القمحية بجوار جامع عمرو أيضا، الأولى برسم الفقهاء الشافعية ، والأخرى برسم الفقهاء المالكية، وكان وقتئذ وزيرا للخليفة العاضد^(٣) .

وعند ما أصبح سلطانا لمصر أمر فى سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٧ م) بإنشاء المدرسة الصلاحية بجوار قبر الإمام الشافعى، كما أمر بإنشاء مدرسة بجوار المشهد الحسينى .

وفى سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٧ م) أمر بإنشاء المدرسة السيوفية^(٤) برسم فقهاء الحنفية ، وهى أول مدرسة وقفت عليهم^(٥) ، كما أنشأ فى الإسكندرية مدرسة وبیمارستانا ودارا للغاربة فى سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م)^(٦) .

ثم اقتدى به أولاده وأمرأؤه فى بناء المدارس فى مصر والقاهرة وغيرها من بلاد القطر، وحذا حذوهم من ملك مصر بعدهم .

وفى الوقت الذى أعدت فيه المدرسة لتؤدى فيها الشعائر الدينية ، أعدت أيضا لتكون مراکز ثقافية، فقد عُنى بها وأغدقت على أساتذتها وطلبتها الخيرات، كما عنى بصحتهم، وكان لها أكبر الأثر فى النهضة العلمية بمصر .

(١) ابن ميسر، ص ٨٣ (٢) ابن خلكان ج ١ ص ٥٢٧ ، الروضتين ج ١ ص ٩١ (٣) المقرئى ج ٢ ص ٣٦٣ ، ابن خلكان ج ٢ ص ٦٠٠ (٤) المدرسة السيوفية حل محلها الآن مسجد المطهر . (٥) المقرئى ج ٢ ص ٣٦٦ (٦) السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ قسم ١ ص ٧٦

وتصميم المسجد الجامع أربعة إيوانات مسقوفة في الغالب، ومحمولة عقودها على عمد رخامية أكبرها إيوان المحراب، الذي يشتمل على عدة أروقة؛ ويتوسط الإيوانات صحن مكشوف متوسطه قبة تحتها فسقية — وإلى أن ظهرت المدرسة كان المسجد لا يلحق به مدفن للنشئ ولا غيره — .

أما تصميم المدرسة فيشتمل على إيوانين، أو أربعة إيوانات معقودة متقابلة تكون شكلا متعامدا، أكبرها إيوان المحراب، وأصغرها الإيوانان الجانبيان، ويتوسطها غالبا صحن مكشوف به قبة الفسقية، ويلحق بها عادة مدفن للنشئ وسبيل يعلوه كتاب^(١) ومساكن للطلبة؛ ولما صغر حجمها غطي الصحن وأستغنى عن الفسقية وعن قبتها .

ومع ذلك وجدت مدارس اشتملت على إيوانين معقودين، وآخرين مسقوفين ذات عمد وعقود، أو إيوانين معقودين شرقي وغربي، وآخرين صغيرين تكتنفهما حجرات .

وفي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) غلب تصميم المدرسة على المسجد، فأنشئ على مثالها الكثير من المساجد، بصرف النظر عن كونه خصص لدراسة مذهب أو لا . وكان يكتب عليها تارة مدرسة، وأخرى مسجد، مما يعزز القول بأن هذه الأسماء ترجع إلى وظيفة البناء لا إلى البناء نفسه، وكان مدلولها الغرض الذي أقيم من أجله لا طراز بنائه .

على أن تصميم المسجد ظل سائرا جنبا إلى جنب مع المدرسة، وزيد على المسجد إلحاق السبيل والكتاب به، ومدفن للنشئ أحيانا .

وإذا كان تصميم المدرسة قد أخذ في التلاشي في العصر العثماني فإن تصميم المسجد ظل قائما في مصر والأقاليم حتى الآن .

(١) يؤثر عن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أنه أول من بنى دارا للحديث، وشاد في كثير من بلاده مكاتب للآيتام، وقرر لهم ولعلمهم مرتبات وافرة .

أثر الدول الإسلامية التي حكمت مصر

في العمارة الإسلامية

أول من حكم مصر من أمراء المسلمين فاتحها عمرو بن العاص الذي ولى عليها من قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . ثم تقلب عليها الولاة من قبل الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الخلفاء الأمويين والعباسيين ، وذلك من سنة ٢٠ هـ (٦٤٠ م) الى سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) .

ولم يبق من عصر الخلفاء الراشدين سوى جامع عمرو ، وقد جدد وأصبح يمثل عدة عصور ، ومدينة الفسطاط وهذه رغم تمثيلها لعصور مختلفة لم يبق منها سوى أطلالها .

أما الدولة العباسية فقد بقي منها مقياس النيل بجزيرة الروضة الذي أمر بإنشائه الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٤٥ - ٢٤٧ هـ (٨٥٩ - ٨٦١ م) .

الدولة الطولونية — سنة ٢٥٤ - ٢٩٢ هـ (٨٦٨ - ٩٠٤ م) .

استقلت هذه الدولة بحكم مصر بفضل مؤسسها أحمد بن طولون . وفي أيامها أدخلت الى مصر أساليب العمارة والزخارف العراقية . وأنشأ أحمد بن طولون مدينة القطائع وقصره الكبير والميدان . وأنشأ المسجد ودار الإمارة والبيارستان وقناطر المياه . وعنى بصيانة كثير من الآثار التي كانت موجودة في عصره مثل المقياس ومنار الإسكندرية .

وعنى ابنه نهارويه بالقصر الذي أنشأه والده وبمدينته ، فحول الميدان وجعله كله بستاناً زرع فيه أنواع الرياحين ، وكسا أجسام النخل نحاساً مذهباً متقن الصنعة ، وجعل بين النحاس وأجسام النخل مزاريب الرصاص كي تخرج منها المياه فتتهدر الى الفساق ، وغرس فيه ريحانة بنقوش موضوعة ونصوص مكتوبة يتعهد بها البستاني بالمقراض . وبني فيه برجاً من خشب الساج المنقوش ووضع فيه الطيور المفردة ، كما أطلق في الطيور العجيبة كالطواويس وغيرها . ثم أضاف الى القصر

(١) القطائع حددها المفرد له محمد بك رمزي بأن حددها البحرى يبدأ من جامع سنجر الجارل بشارع مراسيه ثم يسير الى الشرق في شوارع الخضيرى ، الصلية وشيخو ، ثم ميدان محمد على الى باب العزب ، والحلّة الشرق سور القلعة من باب العزب ، ثم يسير الى الجنوب بجوار خط عرب آل اليسار الى أن ينتهى عند جامع النورى هناك ، والحلّة القبلى يبدأ من جامع النورى المذكور الى باب القرافة ، ثم الى باب السيدة نفيسة ، ثم يسير الى الغرب حيث ينتهى الى جامع زين العابدين قسم السيدة ، والحلّة الغربى يبدأ من جامع زين العابدين وينتهى الى جامع سنجر الجارل .

جناحا جديدا سماه بيت الذهب طلى جدرانها كلها بالذهب والألوان ، ونقش فيه صورته وصور جواريه ومغنياته بأحسن تصوير ، وأقام وسط هذا الجناح بركة من الزئبق .
وأنشأ ميدانا آخر أكبر من ميدان أبيه جعل به حديقة للحيوان جمع بها الأسود والفيلة ، كما تعددت اصطبلات خيوله . وهكذا نالت مصر قصب السبق في العناية بالحدائق ومنها حدائق الحيوان .
غير أن هذا كله لم يعمر سوى ٣٨ عاما ثم زال بزوال الدولة الطولونية التي لم يبق من منشآتها سوى أجزاء من قناطر المياه جهة البساتين . ودار اكتشفها دار الآثار العربية جهة مسجد أبي السعود .
ثم المسجد الكبير . وكفى بهذا المسجد شاهدا على مبلغ حضارة هذه الدولة وعظمتها الخالدة بما حواه من فنون عديدة ونقوش جصية اعتبرت أسسنا للزخارف الجصية في مصر . وبما تشعر به ضخامته من العظمة والفخامة .

الدولة الإخشيدية — سنة ٣٢٤ — ٣٥٨ هـ (٩٣٥ — ٩٦٩ م) .

بعد أن انقرضت الدولة الطولونية عادت مصر ولاية عباسية من سنة ٢٩٢ هـ — ٣٢٢ هـ (٩٠٤ — ٩٣٤ م) ولم تلبث كثيرا حتى تغلب عليها محمد بن طُفَّج^(١) الإخشيد وصارت مملكة إخشيدية من سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٥ م) إلى سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٨ م) .
ومع أنها عمرت زهاء ٣٥ سنة فإن الآثار التي أنشئت في عهدها اندثرت اللهم إلا بقايا مشهد آل طباطبا وشواهد قبور لوحظ في كثير منها أن الزخارف تختل كتاباتها وتحيط بها ، مما يؤكد نشأة الزخرفة في الكتابات الكوفية قبل العصر الفاطمي .

الدولة الفاطمية — سنة ٣٥٨ — ٥٦٧ هـ (٩٦٩ — ١١٧١ م) .

مؤسس هذه الدولة في مصر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، فهو الذي أرسل قائده جوهرًا الكاتب الصقلي لفتحها والاستيلاء عليها . وكانت مصر غنا يسيرا للدولة الفاطمية ، ولكنها كانت أسطع جوهره في تاجها وأعظم قطر في تلك الإمبراطورية الشاسعة التي تسيطر عليها .
وفي أيام هذه الدولة أخذت أنوار الحضارة الإسلامية تنبثق من هذه المدينة الزاهية على أرجاء الأرض ، وأخذ الفن المصري الإسلامي يتألق في جميع نواحيه .
وفي رعاية هذه الدولة وثبت العمارة الإسلامية وثبة قوية حتى قاربت الكمال لأن خلفاءها تباروا في إنشاء المساجد والحصون والقصور والمناظر والبساتين ، كما تبارت نساؤهم في هذا المضمار الخيري .

(١) طفج : تفسيره عبد الرحمن . والإخشيد لقب ملوك فرغانة ومعناه ملك الملوك .

العظيم . وفي هذا العصر الزاهى انتشر الزخرف في وجهات المساجد وغنى بتصميمها ، فأدخلت عليها أساليب جديدة ، كما أدخلت الى مصر بعض أساليب العمارة من بلاد المغرب ، وانتعش التصوير ونبت المصوِّرون . وترقت ودقت صناعة الجص والأخشاب ، وأنشئت في عهدها مشاهد على القبور المنسوبة إلى أهل البيت ، لها تصميم خاص ، كما امتازت دون غيرها باستعمال المحاريب الخشبية المتنقلة ، وانتشر البناء بالحجر بجانب الطوب . وتهذبت المنارة ، وارتقت القببة ، ونقش داخلها وتطورت من بساطتها إلى تضييع ظاهرها ، وانتقال مقرنصها من حطة إلى حطتين مع تعدد طاقاته .

وكانت أيامهم كلها أعيادا بما ابتكروه من حفلات جمعت بين جلال الملك وطرب الشعب وبهجته . وكثير من الحفلات والتقاليد الباقية حتى الآن مدين بظهوره إلى هذه الدولة .

وهذه الدولة وإن كان الزمن قد اعتدى على أكثر منشآتها العمارية كما أباد التمتع الديني والسياسي منشآتها المدنية التي أهمها القصران والمناظر . إلا أنهم أبقيا على بعض منشآتها الدينية والكثير من طرفها الأثرية .

وجولة بين الآثار الدينية والحصون الباقية من عصرهم ، وزيارة لدار الآثار العربية لمشاهدة طرف هذا العصر في شتى الفنون تجعلنا نوقن بما كتبه المؤرخون وشادوا به من ثراء هذه الدولة التي كانت أيام حكمها لمصر مواسم لها وأعيادا .

الدولة الأيوبية — سنة ٥٦٧ — ٦٤٨ هـ (١١٧١ — ١٢٥٠ م) .

انتهت الدولة الفاطمية بعد أن حكمت مصر زهاء قرنين وخلفت وراءها ثروة فنية ضخمة . ولكن أكثر خلفائها لم يكن لهم من الخلافة إلا اسمها ، فلم يأت النصف الأول من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) إلا كان الأمر والنهي في أيدي وزرائهم ، واستطاع أحدهم أن يخلع الخليفة ، وأن يقضى على بقية الفاطميين . ذلك هو صلاح الدين يوسف بن أيوب خصم الصليبيين وقاهرهم ، والذي أخذ على عاتقه هو وأفراد أسرته أن يقف للفرنج بالمرصاد ، وأن يكون حجر عثرة في سبيل الصليبيين حتى كانت أيامه وأيام خلفائه كلها فتجا وجهادا ضدهم .

وقد ظلت مصر خاضعة للأيوبيين نحو ثمانين عاما ازدهرت فيها العمارة والفنون الإسلامية ولكن مع الأسف قد أبيدت منشآتهم ، وبقي عدد قليل منها غير كامل ، ولكنه مع قلته يعطينا فكرة صريحة عن مقدار ازدهار العمارة والفنون في هذه الدولة .

ففي عهدها أنشئت المدارس للذاهب ، وللحديث الشريف وتطورت العمارة تطورا ملموسا ، وظهر تخطيط المدرسة وشاع ، كما تطور طراز القبة والمئذنة . بل وجد نوع من القباب اقتصر ظهوره على هذه الدولة ، كما اتخذ بعضها من الخشب وكسى بالرصاص .

وشاع الخط النسخي بجانب الخط الكوفي على الآثار ، وازدهرت صناعة الأخشاب والنحاس وبلغت قمة مجدها ، وظهر نوع جديد من السقوف المعروفة بالقصع ، وتقدمت صناعة الجص ، وظهر الزجاج الملون في الشبايك ، كما ظهرت للمرة الثانية الفسيفساء المذهبة في المحاريب ، وشاع استعمال الرخام فيها ، وفتحت الشبايك بأسفل وجهاً للمساجد وحليت أغصانها بالنقوش ، وأخذت صناعة الحجر في الرقي والانتشار ، وعنى بتحصين مصر فأنشئت القلعة وأحيطت مصر والقاهرة بسور حجري . وظهرت الخوانق والرُّبُط ، كما ألحق السبيل والكتّاب وأحواض^(١) شرب الدواب بالمدرسة .

وفي عهد هذه الدولة أيضا ظهرت بعض تأثيرات أندلسية في صناعة الجص .

دولة المماليك البحرية — سنة ٦٤٨ — ٧٨٤ هـ (١٢٥٠ — ١٣٨٢ م) .

يحق لنا أن نعت عصر المماليك البحرية بالعصر الذهبي . وكيف لا يكون عصرا ذهبيا وقد ازدهرت فيه العمارة الإسلامية أيما ازدهار وتنافس فيه الملوك والأمراء في تشييد المنشآت العمارية الخيرية والمدنية . وإذا كان قد رُوي أنه في عهد الوليد بن عبد الملك كان الناس إذا التقوا تساءلوا^(٢) عن البناء والصناع ، فقد كان الحال كذلك في عصر هذه الدولة التي أنشأ فيها الملك الناصر محمد ابن قلاوون ديوانا للأشغال .

وقد عمرت دولة المماليك البحرية بمصر زهاء ١٣٦ سنة كانت الحالة فيها هادئة موفقة . كما كانت مصر تنعم فيها برغد ورخاء . وقامت بالحكم فيها أكثر هذه المدة أسرة واحدة توارثت الحكم على رأسها المنصور قلاوون . وفي عهد هذه الأسرة ظهرت في العمارة تأثيرات سورية . كما ظهرت فيها بعض التأثيرات الفارسية والأندلسية . وهذه التأثيرات لم تكن عامة في جميع العمارات ، بل كانت في بعضها ، وخاصة في منشآت المنصور قلاوون وابنه الناصر محمد بن قلاوون .

ولم تلبث العمارة في هذا العصر أن تمصرت وأخذت طابعا خاصا بها ميزها عن شتى الفنون ، حيث تركزت قواعدها وترقت أبنيتها . وظهر تحسن كبير في القبة والمئذنة وتنوعت أشكالها ، وتهذبت صناعة النجارة والتطعيم في الخشب ، وظهرت صناعة جديدة وهي تلوين الجص المنقوش

(١) أقدم ما عرف من هذه الأحواض ، الحوض الذي كان خلف الجامع الأثر المنشأ سنة ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) .

(٢) خلافة الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك من كتاب العيون والحدايق في أخبار الحقائق ص ١٦

وتفطيت^(١) بزجاج رقيق . كما استحدثت تأثيرات أندلسية في صناعة الجص التي بلغت أوجها ، وأخرى فارسية على القباب والمنارات وبعض الزخارف . وظهرت لأول مرة كتابة التاريخ بالأرقام الهندية وتطعيم الخشب بالنحاس ، وارتقت صناعة الزجاج بالمينا ، واتخذت منه مشكاوات لإضاءة المساجد . وشاع إنشاء الخوانق والربط ، وظهرت بواكير الكساء بالقاشاني في قم المنارات ورقاب القباب ، وظهر المنبر الرخامي بجوار المنبر الخشبي ، وازدهرت صناعة الرخام ، ووجدت منه نماذج دقيقة جدا مع الصدف وأخرى مطعمة ، وانتشر إنشاء الحمامات العامة والفنادق والوكالات . واستعمل الحجر في بناء القباب والمنارات ، وارتقى تصميم وجهات المساجد والمدارس ، وانتشر الخط الكوفي المربع ، وانتشرت الأبواب النحاسية مع تنوع أشكالها وتكفيتهما بالذهب والفضة ، كما انتشرت الثريات النحاسية وارتقت صناعتها .

المماليك الجراكسة — سنة ٧٨٤ — ٩٢٣ هـ (١٣٨٣ — ١٥١٧ م) .

إذا أطلقنا على عصر العمارة في دولة المماليك البحرية العصر الذهبي ، فبغير هذا العصر أن يطلق عليه العصر الماسي .

فبعد أن تطورت العمارة في دولة المماليك البحرية وتركزت ، تم تمصيرها في هذه الدولة ، وأخذت زخرفها وأزينت . وتغلب تصميم المدرسة على المسجد وازدادت المنارة رشاقة وجمالا ، كما حفلت القبة من خارجها بنقوش هندسية ، وأخرى موزقة ، وأصبح الغالب في بنائها الحجر بدل الطوب ، أو الطوب والحجر معا ، حتى أصبحت مصر جديدة بأن يطلق عليها مدينة القباب والمنارات ، واضطرد التقدم في صناعة التجارة وأدخل على تطعيمها نوع جديد هو الزرنشان .

وصناعة الرخام ، وإن كانت قد تقدمت تقدما عظيما في عصر المماليك البحرية ، فإنها ظلت على تقدمها وتخطى جمالا من الوزرات الى الأرضيات . وكذلك ارتقت صناعة التجارة في السقوف ، وتطورت المقرنصات ونشئت ، وشاع الزخرف في الوجهات وفي صنع العقود الداخلية ، وصغر حجم المدرسة دون أن تفقد شيئا من مميزات الكثير . وغطيت صحنها بسقوف جميلة ، وانتشرت المحاريب الحجرية ونقشت وطعمت بالرخام .

وامتاز هذا العصر أيضا بمميزات عمارية مثل تعدد المنارات والقباب في مسجد واحد . وجعل السبيل والكتاب وحدة عمارية . وكثر إنشاء الأحواض لشرب الدواب .

(١) من هذا النوع نموذج وحيد في محراب قبة رباط أحمد بن سليمان بحارة حلوات المنشأ سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) .

ومع تقدم التفاصيل العمارة فقد تأخرت الزخارف الحصية ، ولكنها عوضت بتقدم بالغ في صناعة الشبابيك الحصية والتوفيق في اختيار ألوانها .

الدولة العثمانية — سنة ٩٢٣ — ١٢١٣ هـ (١٥١٧ - ١٧٩٨ م) .

كان لسقوط دولة المماليك الجراكسة ، ودخول مصر في حوزة الدولة العثمانية أثر كبير في تأخر الفنون والعمارة الإسلامية . فما أن تم للسلطان سليم الاستيلاء على مصر سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) حتى جمع مهندسيها وفنانيها وخيرة صناعها من بناءين ونجارين ومرممين وأرسلهم إلى استامبول^(١) . وبذلك قضى على النشاط الفني والصناعي في مصر إلى حد كبير .

وبسبب تولي حكام أتراك نائبين عن السلطان في الحكم ، أدخلت على العمارة الإسلامية أساليب تركية جديدة لم تكن مألوفة بمصر . فقد أنشأ سليمان باشا مسجده بالقلعة سنة ٩٣٥ هـ (١٥٢٨ م) على طراز مساجد الآستانة المستنبط من بعض الكنائس البيزنطية ، فهذا المسجد مكون من قبة كبيرة مكسوة بالقاشاني ، أمامها صحن كبير مكشوف ، تحيط به أروقة ذات قباب صغيرة كسيت بالقاشاني أيضا ، إلا أن تفاصيله من رخام وشبابيك جصية ظلت متأثرة بالصناعة المصرية .

وحذا حذوه في التصميم مع اختلاف في التفاصيل مهندس مسجد الملكة صفية سنة ١٠١٩ هـ (١٦١٠ م) . وكان الحال كذلك في مسجد سنان باشا ببولاق سنة ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م) ، إلا أنه استعاض عن الحوش المكشوف بأروقة معقودة حول وجهاته الثلاث . ومثله مسجد محمد بك أبي الذهب سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) مع اختلاف في التفاصيل .

وكذلك وجدت تكايا جاء تصميمها على شكل خاص مثل تكية سليمان باشا بالسروجية ، فهي وإن كانت من الداخل تركية الطراز إلا أن التفاصيل في بابها ووجهاتها مصرية بحتة . أما تكية السلطان محمود وسبيلها فإنها تركية الطراز ، ومثلها سبيل السلطان مصطفى .

ووجدت عدة تصميمات جديدة للمساجد ، فمن مربع تتوسطه أربعة عمد تحمل السقف ، إلى مستطيل أو مربع مكون من إيوانين أو رواقين تتوسطهما^(٢) طرقة ، إلى مساجد مثل المساجد الجامعة ذات الصحن المكشوف .

(١) ابن إياس ، ج ٣ ص ١٢٢ ، الكواكب السائرة . (٢) هذا النوع سبق العصر العثماني بمصر فقد وجد بمسجدي

الأشرف برسبای بالصحرَاء المنشأ سنة ٨٣٥ هـ (١٤٣١ م) وجانم البهلوان المنشأ سنة ٨٨٣ هـ (١٤٧٨ م) .

وقد لحق التأخر مواد البناء والصناعة فتأخرت المنارة والقبة وسادتهما البساطة الى حد بعيد، وظهرت قباب هرمية فوق القبور، وأخرى محولة على عمد رخامية كما تأخرت النجارة وانعدمت الزخارف الجصية وكثير من الفنون .

ومع تأخر هذه الفنون فقد بقيت صناعة الرخام والنقش في السقوف محتفظة بدقتها وجمالها . وكذلك صناعة كسوة الأبواب النحاسية ، وفي كثير منها أبدل بالنحاس الفضة ، ووجدت عناصر جديدة للزخرف ، وهي كسوة الجدران والقباب والمحاريب بالقاشاني ، وانتشر إنشاء الدور ذات المقاعد والفساق والمشربيات الجميلة التي تجمل كثيرا من أحياء القاهرة القديمة ، كما انتشر إنشاء الوكالات وإنشاء السيل والكتّاب فوقه .

وفي الوقت الذي نرى فيه هذا التنوع في العمارة وتفصيلها بمصر ودخول عناصر جديدة فيها ، نجد العمارة اتخذت طريقا آخر مكملًا لعصر المماليك الجراكسة في بلدان الوجهين البحري والقبلي لا يمت بصلة الى الطراز الذي كان سائدا في مصر في ذلك الوقت ، بل ظل يقتبس من طراز دولتي المماليك بشكل مبسط في مواد البناء مع المحافظة عليه وعلى جمال تناسب . وفي بعض هذه البلاد ازدهر البناء بالطوب والتفنن في نقشه وخاصة في رشيد التي امتازت منازلها بطراز خاص ، كما انتشر الخط الكوفي المربع .

العمارة في عصر محمد علي — كان لنظام الحكم في عصر الولاة العثمانيين والبكوات أسوأ الأثر في حالة مصر الفنية والأدبية والاقتصادية . فاضمحلت الصناعات والفنون والآداب، وتأخرت الزراعة وقلت الثروة العامة .

ولما جاء المغفور له محمد علي باشا استطاع بمحكته وحسن سياسته أن يبعث في مصر روحا جديدا وينهض بها في سنوات معدودات ، فشقت الترع ، وأصلحت الجسور، وأنشئت المدارس والمصانع لشتى الصناعات . وكان من أثر رعايته ونهضته هذه أن دبت الحياة في مصر بما استقدمه من الإخصائين الأجانب الذين لم ينتفع بعبقريتهم فحسب ، بل انتفع بهم أيضا في إعداد طائفة من المصريين .

وكان لاستعانتة بمهندسين وعمال أجانب وأروام أثر في إيجاد عناصر جديدة في العمارة والزخرفة لم تكن موجودة . فقد وجدت تصميمات جديدة للقصور ، كما وجدت عناصر جديدة للزخرفة . وميزت الواجهات بالكرانيش المخضرفة بنهاية الواجهات والشبابيك البيضاوية والعمد الرشيفة من

الرخام ، واتخذت الأبنية من الخشب والطوب . وقل استعمال الرخام الملون الدقيق وحل محله الرخام الأبيض والألستر المستورد من محاجر بني سويف . وأنعمت المشربيات وحلت محلها الشبايك الحديثة ، وشاع فرش طرقات الحدائق بالزلط الملون برسوم هندسية ونباتية .

هذا وقد تأثرت المساجد المنشأة في عصره بالطراز العثماني ، فمسجده الكبير أنشئ على مثال مسجد السلطان أحمد بالآستانة . كما أقيم المسجد الذي أنشاه جهة الخاتقاه على الطراز التركي .

وتقدمت في هذا العصر صناعة النحاس وخاصة في الشبايك والمقاصير المصبوبة .

وظهرت فيه زخارف تمثل زهورا وعناقيد عنب وستائر ومناظر طبيعية . وهذا النوع من الزخرف شاع في تركيا في القرن الثامن عشر الميلادي ، ويعرف عند الفنانين باسم ”روكوكو“ (Rococo) . وقد دخل إليها بعد انتشاره في أوروبا على أيدي فنانين من جنوبي إيطاليا وصقلية ، غير أن الفنان التركي لم يقبله بمحذافيره بل هذبه حسب الذوق المحلي مراعاة للتقاليد الإسلامية .

وقد ثبت لدينا أن العمال الذين قاموا بأعمال النقش في قصور محمد علي كانوا أتراكا وأجانب ممن اشتغلوا في استامبول وتأثروا بالفن التركي وتقاليده .

وشاع في عصر محمد علي باشا وأسرته إنشاء نوع جديد من الأسبلة المكسوة جدرانها بالرخام ، والمحلة بالزخارف ، والمكتوبة بخطوط كبار الخطاطين ، مما ساعد على وجود طائفة من نوابغ الخطاطين الأتراك نهضوا بهذا الفن ووضعوا قواعده بمصر . كما شاع تغطية القباب والمظلات وقم المنارات بالرصاص .

كذلك استعان محمد علي بمهندسين فرنسيين لإنشاء المصانع والحصون والقصور تلمذت عليهم مجموعة كبيرة من المصريين .

وفي عصر المغفور له الخديو اسماعيل بدأ التهذيب والتغيير يدخل على هذا الطراز . ثم سرى الطراز الأوروبي رويدا رويدا حتى طغى على هذا الطراز واحتل مكانه .

وأخيرا نرى حفيده الفاروق — حفظه الله ورعاه — ينهض بمصر وبطرزها المعمارية ويعنى بالتراث الفني الذي تركه عاهل مصر الكبير محمد علي فيعيد إليه رونقه وبهاءه ، بما يضيف عليه من عناية وإصلاح .

جامع عمرو بن العاص

ميدان عمرو بن العاص^(٥)

عمرو بن العاص — القائد العظيم ، والسياسي المحنك ، عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي الصحابي . كان من أجلاء قريش وأحسنهم رأيا وتديرا . أسلم يوم الهدنة وقيل بعد الحديبية ثم هاجر^(١) . كان خيرا بشؤون الحرب ، ولذلك عهد إليه النبي صلى الله عليه وسلم بإمرة الجيش في غزوة ذات السلاسل مع وجود أبي بكر وعمر ، كما ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر ، ثم افتتح مصر عام ٢٠ من الهجرة (٦٤١ م) وتولى إمارتها لعمر بن الخطاب ، وظل بها في خلافة عثمان بن عفان إلى أن عزله عنها ، ثم أعاده إلى إمارتها ثانيا معاوية بن أبي سفيان في ربيع الأول سنة ٣٨ هـ (٦٥٨ م) وبقي بها إلى أن توفي ليلة عيد الفطر سنة ٤٣ هـ (٦٦٣ م) ودفن بالقرافة الكبرى^(٢) . وذهب بعض المؤرخين إلى أنه مدفون مع عقبة بن عامر .

إنشاء الجامع — هو أول جامع أنشئ بديار مصر . أنشاه عمرو بن العاص سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) بعد فراغه من فتح الاسكندرية وعودته منها . ويعرف بتاج الجوامع والجامع العتيق . وكان وقتئذ مشرفا على النيل . وقد وقف على تحرير قبلته جمع من الصعابة رضى الله عنهم . ورحم الله ابن دقاق المؤرخ حيث يصفه بقوله^(٣) : « إمام المساجد ، ومقدم المعابد ، قطب سماء الجوامع ، ومطلع الأنوار اللوامع ، موطن أولياء الله وحزبه ، طوبى لمن حافظ على الصلوات فيه ، وواظب على القيام بنواحيه ، وتقرب منه إلى صدر المحراب ، ونحرا إليه راکما وأُناب » .

مساحته وقت إنشائه — كانت مساحة الجامع وقت إنشائه ٥٠ ذراعا × ٣٠ ذراعا يحيط به الطريق من كل جهة . ولاصحن له . تسوده البساطة ، فليس له محراب مجوف ولا منارة ولا فرش . وجدرانه عارية من البياض والزخرف . وله بابان في بحريه وبابان في غربيه وبابان يقابلان دار عمرو^(٤) . واتخذ له منبرا . فكتب إليه عمر بن الخطاب يأمره بكسره قائلا له : « أما يكفيك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقيقك » فكسره . ويقال إنه أعاده^(٥) بعد وفاة عمر .

(*) أنظر الصور من رقم ١ — ٤ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٦١ (٢) المعارف لابن قتيبة ص ١٢٤ ، التنبيه والاشراف ص ٣٠٢ ،

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٦ ص ١٠٢ تاريخ مصر وولاتها للكندى ص ٣٣ و ٣٤ (٣) الانتصار بواسطة

عقد الأمصار ج ٤ ص ٥٩ (٤) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٦٧ (٥) صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٤١

وفي سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) أمر عبد الله بن طاهر والى مصر من قبل الخليفة المأمون بتوسيع الجامع ، فأضيف الى أرضه مثلها من الجهة القبلىة ، وبذلك بلغت مساحته ١١٢,٥٠ × ١٢٠,٥٠ وهى مساحته الحالية . ويمكن تصوير زيادة ابن طاهر برسم خط ماز بمركز دوران المحراب الكبير الحالى ، وبم منتصف فتحة الباب الأوسط المقابل له بالوجهة الغربية . فهذا الخط يقسم الجامع قسمين ، البحرى منهما يعادل بالتقريب مسطح الجامع الى عهد موسى بن عيسى ، والقبلى هو زيادة ابن طاهر التى هى خاتمة الزيادات^(١) كما هو موضح بالرسم .

الاصلاح والتجميل — بعد أن انتهت مرحلة توسيع الجامع وجهه ولاية مصر عنايتهم الى إصلاحه وزخرفته^(٢) ، فمن ذلك العمارة التى أجراها به نهارويه بن أحمد بن طولون عقب الحريق الذى حدث عام ٢٧٥ هـ (٨٨٨ م) وأتلف زيادة عبد الله بن طاهر .

وفي سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٥ م) نقش أكثر العمد وطوق فى أيام الأخشيذ^(٣) ، ولم ينتصف القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) إلا والمسجد كان بالغاً حذّه من الزخرف . فقد زاره الرحالة أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسى البشارى قبل سنة ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م) ووصفه بالفخامة و « أنه حسن البناء ، وفى حيطانه شىء من الفسيفساء ، على أعمدة رخام أكبر من جامع دمشق ، وهو أعمر موضع بمصر » .

وفي سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) أمر الحاكم بأمر الله بإهداء الجامع مصاحف وربعات . كما أرسل إليه تنورا كبيرا من الفضة . ولم يقتصر على ذلك بل أجرى به عمارة فى سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٥ م) .

وفي سنة ٤٣٨ هـ (١٠٤٦ م) أمر الخليفة المستنصر بالله بعمل منطقة من الفضة فى صدر المحراب الكبير ، وجعل لعموده أطواقا من فضة .

وفي سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥٠ م) عملت للإمام فى زمن الصيف مقصورة خشبية ومحراب من خشب الساج منقوش بعمودين من الضندل . على أن ترفع هذه المقصورة فى الشتاء اذا صلى الامام فى المقصورة الكبيرة . ولهذا الخبر أهميته فقد أوضح اختصاص المحراب المتقلة التى اقتصر ظهورها على الدولة الفاطمية ، ومنها ثلاثة فى دار الآثار العربية .

(١) جامع عمرو للرحوم محمود باشا أحد من ١٠ مع تعديل فى التعبير عن الاتجاهات . (٢) نشرهم هذه الأعمال لا على سبيل الحصر بل نذكرها للتاريخ حيث لافائدة تعود على القارئ منها وقد تلاشت جميعها . (٣) المقرئى ، ج ٢ ص ٢٤٩ (٤) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ١٩٩ (٥) المقرئى ، ج ٢ ص ٢٥١

ومن هذه الحوادث نرى أن الجامع بلغ ذروة مجده في الدولة الفاطمية^(١) ، يعز ذلك ما ذكره ناصر خسرو الرحالة الفارسي ، فقد زاره سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٨ م) ووصفه «بأنه قائم على أربعمائة عمود من الرخام . والجدار الذي عليه المحراب مغطى كله بالواح الرخام الأبيض التي كتب عليها آيات من القرآن بخط جميل . وتحيط بالمسجد الأسواق من جهاته الأربع وعليها تفتح أبوابه . » وبعد أن وصف الثريا الفضية التي أهداها إليه الحاكم بأمر الله قال : «وكان يوقد في ليالي المواسم أكثر من سبعمائة قنديل^(٢) . وإن المسجد يفرش بعشر طبقات من الحصى الملون بعضها فوق بعض ، ويضاء كل ليلة بأكثر من مائة قنديل ، وهو مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة ، ولا يقل من فيه في أي وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء والكتاب الذين يحزرون الصكوك . »

وفي سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٨ م) أحرقت القسطنطينية خوفا من احتلال الصليبيين لها ، واستمرت النيران مستعرة بها ٥٤ يوما ، فتخربت مبانيها وتشعث جامع عمرو .

أعمال الإصلاح - عقب هذا الحريق أجريت بالجامع عدة عمارات متعاقبة ، نذكر منها عمارة الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٢ م) ، تليها عمارة الظاهر بيبرس البندقداري عام ٦٦٦ هـ (١٢٦٨ م) . فعمارة المنتصور قلاوون سنة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨ م) . ثم عمارة الأمير سلاو سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) . وتختلف من هذه العمارة الشبابيك الجلصية بالوجهة الغربية والمحراب الجلصي الخارجي في هذه الوجهة وهو محراب حافل بالزخارف والكتابات النسخية . فعمارة الرئيس برهان الدين إبراهيم بن عمر رئيس التجار بمصر سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١ م) . ثم عمارة السلطان قايتباي سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١ م) .

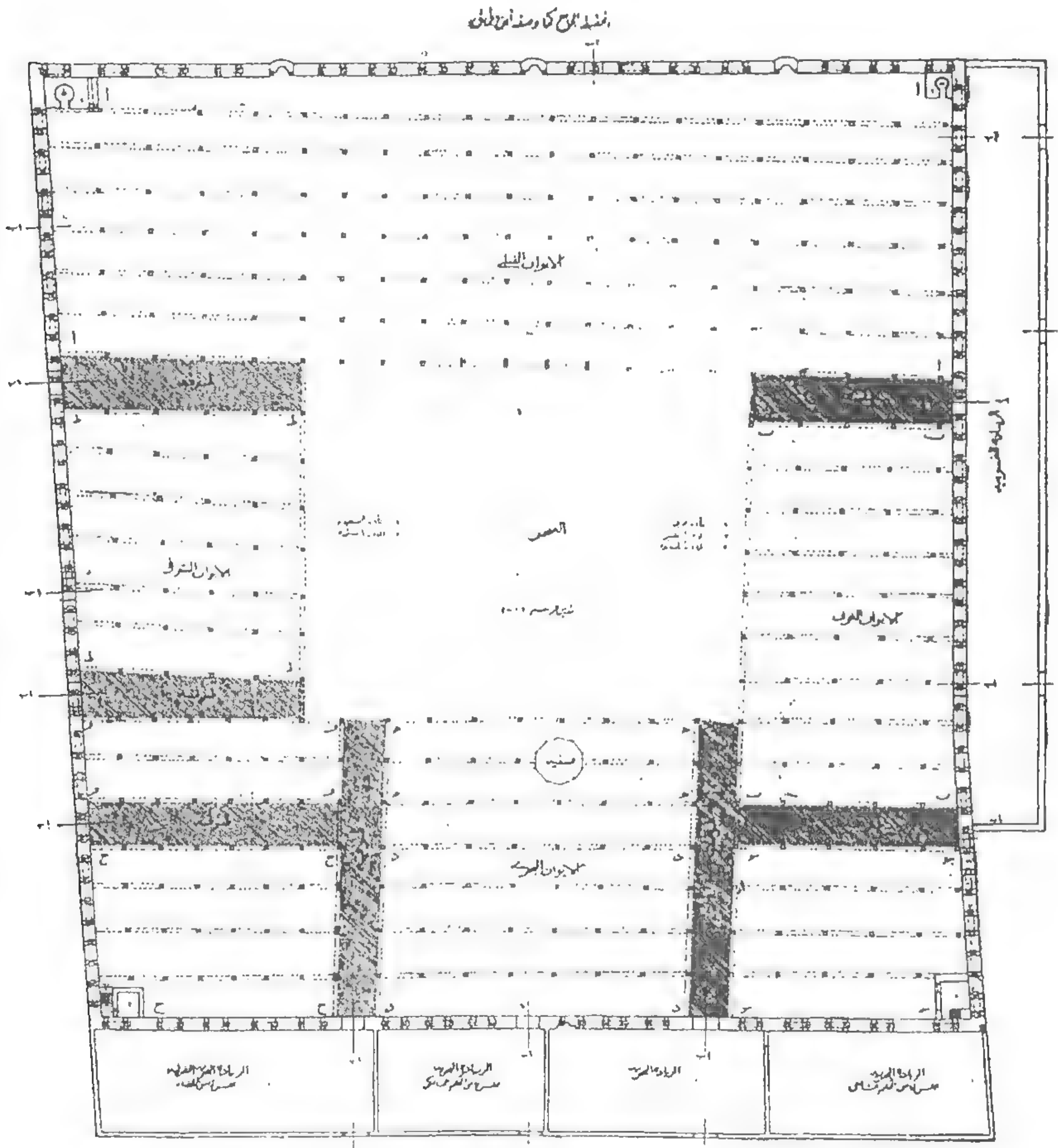
وآخر عمارة أجريت به في العصر العثماني هي عمارة الأمير مراد بك سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) . فإنه هدم داخل الجامع وأعاد بناءه بسبب ميل عمده وسقوط إيواناته . فبنيت عقود في وضع غير وضعها الطبيعي ذلك أنه غير اتجاه عقود الأروقة فجعلها عمودية على جدار القبلة ، ونتج عن ذلك أن صارت أرجل العقود قاطعة للشبابيك فسدت . وبني به منارتين هما الباقيتان إلى الآن .

ووافق الفراغ من هذه العمارة آخر جمعة من شهر رمضان ، فاحتفل بافتتاحه وأثبت تاريخ هذه العمارة في ألواح تاريخية فوق الأبواب الغربية والمحرايين الكبير والصغير .

(١) آثار البلاد وأخبار العباد للفرزباني ص ١٥٧

(٢) سفرنامه تعريب الأستاذ يحيى الخشاب ص ٥٩

عناية الأسرة العلوية بالجامع — وقد غنى المغفور له محمد علي باشا بهذا الجامع فأصلحه وأعاد صلاة الجمعة فيه ووقف عليه أوقافا . وفي سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) سقط إيوانه القبلي والبحري وما زال على حالها إلى الآن . وقد جددت سقوفه وقومت مبانيه في سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) . وقد اهتم به المغفور له الملك فؤاد الأول — رحمه الله — فأمر في سنة ١٩٢٦ م بإعداد مسابقة ومنح جوائز ان يضع أحسن مشروع يمثل الجامع في أزهى عصوره .



تخطيط الجامع كما وصفه ابن دقاق

وفي عهده أصلح الإيوان الكبير بالجامع وقومت عموده وأصلحت عقودده . أجريت به الاستكشافات القيمة التي ألفت ضوءا جديدا على تخطيط هذا الجامع . وفي عهد الملك الصالح " فاروق الأول " أطال الله ملكه . أصلحت بعض عقودده ونقش محرابه ، واعتمد مشروع تخليق ما حول الجامع من جوانبه الأربعة بمقدار أربعين مترا .

الجامع من الناحية الفنية — ظل الأثريون ومن عنوا بدراسة الجامع ينظرون إليه نظرة تاريخية لما لازم إنشائه من ذكريات تاريخية مجيدة، دون أن يكون للبحث الفني فيه أى أثر، الى أن عني بدراسته المرحومان كوربت بك ومحمود باشا أحمد والأستاذ كريسويل دراسات مستفيضة. وكان للتحريات التي قام بها المرحوم محمود باشا أحمد أهمية كبرى، فانها أسفرت عن نتائج عظيمة، ترتب عليها تخطيط الجامع طبقا لما وصفه ابن دقماق نقلا عن ابن المتوج المتوفى سنة ٧٣٠ هـ (١٣٣٠ م)، فظهر أنه كان يتكون من سبعة أروقة في مقدمه، ومثلها في مؤخره، وخمسة أروقة في كل من جانبيه، واستخلص أن مناراته كانت خمساً: اثنتان بطرفي الواجهة الشرقية، وثلاث بالواجهة الغربية، ووضع له مسقطاً أفقياً نقله عنه. وأنه كان للجامع ١٣ باباً كشف منها خمسة في الواجهة البحرية، وباب قاعة الخطيب بالواجهة الشرقية على عین المحراب الكبير، وثلاثة في الواجهة القبليّة. وهذا العدد مضافاً اليه الأبواب الثلاثة بالواجهة الغربية يجعل أبواب الجامع معروفة عدا الباب الثالث عشر، وقد حدد موضعه بالواجهة القبليّة على مسقطه الأفقي. وأن زياداته كانت أمام الواجهة الغربية، وفي القسم الشرقي من الواجهة القبليّة.

وأهم الاستكشافات التي ظهرت بهذا الجامع بعض الشبابيك القديمة بالوجهتين القبليّة والغربية المنقسمة الى قسمين والمشتعلة على عمودين، وهي مجلدة بالخشب من الداخل والخارج وكذلك الأكتاف والعارضات الفاصلة بينها مجلدة بالخشب الحافل بالنقوش المورقة الدقيقة مما لا نظير له في أثر آخر بمصر. ويكتنف كل شباك من الخارج طاقتان مسدودتان، وبها بقايا جص مفرغ. وهذه الشبابيك وحدها تعطى فكرة صادقة عن مقدار الثروة الفنية التي كانت بهذا الجامع. وتدلنا على أنه كان غنياً بزخارفه.

ويرى الأستاذ كريسويل أن هذه الأخشاب بنقوشها عباسية^(١) ترجع الى عمارة ابن طاهر. ويرى المغفور له محمود باشا أحمد أنها فاطمية ترجع الى القرن السادس الهجري.

واذا أخذنا برأى الأستاذ كريسويل لأن زخرفة الأخشاب تسبق العصر الفاطمي، فلماذا وجدت أيضاً في القسم القديم بالمسجد الذي لم يحدده ابن طاهر، خصوصاً أن الشباك الغربي البحري عمل على مثالها وهو بعيد عن الجزء الذي أضافه ابن طاهر. فهل عمارته تناولت السور الغربي أيضاً؟ هذا ما لم يثبت أحد من المؤرخين.

وزاد على هذا المغفور له محمود باشا أحمد أن عمارة ابن طاهر قد زالت^(١) بسبب الحريق الذي حدث بالجامع سنة ٢٧٥ هـ . (٨٨٨ م) فيحتمل جدا عدم وجود بقايا بالجامع ترجع الى ذلك العهد في النصف الذي عمله ابن طاهر . ثم عطف ثانية على نجارة الجامع القديمة بقوله :

« كان المعروف عن نجارة الجامع القديمة أنه لم يبق منها الآن إلا أجزاء من الطبالي الخشبية المزخرفة التي تعلو بعض التيجان بالأعمدة القائمة بالإيوان الشرقي . ولكن وجدت طبالي أخرى في المسجد لم تكن معروفة من قبل » وقد حمّله ذلك على ترجيح أن جميع تيجان عمدة الجامع كانت منطاة بطبالي مزخرفة من هذا القبيل . « ولما كان من الآراء التي أبديت عن هذه الطبالي القديمة العهد رأى يقول إنها أخذت للجامع من عمارة بنيت قبل عهد بناء الجامع الطولوني أو على الأقل في زمن عبد الله بن طاهر سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) فاننا نرتاب في وجود بناية بمصر تحوى من الطبالي ما يكفي لتغطية نحو ٤٠ تاج بالجامع الأصلي وزيادته . كذلك لا نظن أنها جابت من الخارج بل صنعت خصيصا للجامع . على أن هذه الطبالي لم تكن وحدها المشتملة على هذه الزخرفة بل هي أيضا في الشبابيك المكتشفة . ثم أكد بأنه لا يمكن الجزم بأن هذا الزخرف تم على يد ابن طاهر بعد ما تحقق من أنه عجز عن إتمام تبليط الجزء الذي أضافه الى الجامع ، وانتهى إلى أنه يميل الى الظن بأن البقية الباقية من نجارة جامع عمرو سواء كانت طبالي أو أحزمة أو حلوق شبابيك إنما هي فاطمية الطراز على رغم ما يبدو عليها . وهي آراء لها وجهتها . وإذا كنت أوافقها عليها فيما يتعلق بابن طاهر ، خصوصا أن هذه الأخشاب وجدت في أجزاء لاعلاقة لابن طاهر بها ، فاني لا أوافقها على أنها من القرن السادس الهجري . ولعلها تكون في نهاية القرن الثالث أو أوائل القرن الرابع الهجري وتأثرت صناعتها ببعض الأخشاب التي كانت بالمسجد .

القضاء والمالية بالجامع — لم يقتصر جامع عمرو على أداء الفرائض الدينية به فحسب ، بل كانت فيه محكمة لفض المنازعات الدينية والمدنية ، وكانت تعقد جلساتها في زيادة الجامع الغربية الموجود في جزء منها الآن المحراب الحصى الخارجى .

كذلك كان به بيت المال فقد عاينه ووصفه الرحالة ابن رسته من علماء القرن الثالث الهجري بأنه كان موجودا أمام المنبر ووصفه بأنه شبه قبة عليها أبواب من حديد . ويرى الأستاذ محمود عكوش بك أن بيت المال هذا والقباب التي وجدت بالمساجد الكبيرة بمصر والشام وعرفت ببيت المال إنما أعدت لإيداع أموال اليتامى^(٢) .

(١) المقرئى ، ج ٢ ص ٢٥٠ (٢) الأعلام الضيفة ص ١١٦

(٣) نظرة في الآثار العربية — النشرة الزراعية أغسطس سنة ١٩٤٣

جامعة عمرو — كانت حلقات الدروس تقام في الجامع ، فبعضها لإرشاد العامة الى ما ينفعهم ويفقههم في دينهم . وبعضها حلقات لدروس الفقه والحديث وعلوم القرآن والأدب . ولما قدم مصر الإمام محمد بن إدريس الشافعي^(١) سنة ١٩٩ هـ أو ٢٠١ ألقى دروسه بجامع عمرو، وظلت حلقات الدروس في ازدياد حتى إنها بلغت ٣٣ حلقة سنة ٣٢٦ هـ (٩٣٧ م) منها ١٥ حلقة للشافعيين و ١٥ للساكبين و ٣ حلقات للحنفيين^(٢) .

وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (نهاية القرن العاشر الميلادي) بلغت حلقات الدروس بالجامع ١١٠^(٣) ، فاذا قدرنا أن كل حلقة بها ٢٠ مستمعا يكون مجموع الطلبة ٢٢٠٠ طالب يتربعها أئمة الفقهاء والفراء وأهل الأدب والحكمة .

وقد أطلق على أما كن حلقات دروس كبار العلماء بالجامع^(٤) اسم زوايا ، فعرف درس الشافعي بزاوية الإمام الشافعي لأنه كان يدرس فيها الفقه . وقد حرص على التدريس بها أعيان الفقهاء وأجلة العلماء .

ومنها الزاوية المجدية نسبة الى واقفها محمد الدين أبي الأشبال الحارث بن مذهب الدين المتوفى سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ م) وكانت بصدر الجامع بجوار المحراب الكبير . واختص بالتدريس فيها قاضي القضاة وجيه الدين عبد الوهاب البهنسي . ويعتد التدريس بها من الوظائف الجليلة .

ومنها الزاوية الصباحية حول مئذنة عرفة وكان بها مدرستان: أحدهما مالكي، والآخر شافعي . ومنها الزاوية الكمالية بالمقصورة المجاورة لباب الجامع الذي يدخل إليه من سوق الغزل . نسبة الى كمال الدين السمنودي — وغيرها زوايا أخرى رصدت عليها أوقاف كثيرة .

وقد بلغت حلقات التدريس بالجامع سنة ٨٧٤ هـ (١٣٤٨ م) بضعا وأربعين حلقة لا تكاد تنفص منه^(٥) . وكان يقام بالجامع حلقات دروس ووعظ للسيدات تصدقتهن في الدولة الفاطمية حوالي سنة ٤١٥ هـ (١٠٢٤ م) واعظت زمانها أم الخير الجبازية .

ولم تنقطع أخبار التدريس بهذا الجامع إلا في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) . ضريح عبد الله بن عمرو — يشاع أن القبة الموجودة بالركن البحري الشرقي بالجامع بها قبر عبد الله بن عمرو . وهذا غير موثق به ، فقد اختلف المؤرخون في موضع دفنه ،

(١) رسالة خطية في تراجم الشافعية . (٢) كتاب المغرب في حلل المغرب، ج ٤ ص ٢٤ (٣) أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٥ (٤) المقرئى ، ج ٢ ص ٢٥٥ و ٢٥٦ (٥) المقرئى ، ج ٢ ص ٢٥٦

فذكروا أنه توفي سنة ٦٥^(١) هـ ودفن في داره الصغيرة بمصر . وترجمه ابن الأثير في أسد الغابة فقال :
« توفي سنة ٦٣ هـ وقبل سنة ٦٥ هـ بمصر ، وقبل سنة ٦٧ بمكة ، وقبل سنة ٥٥ بالطائف ، وقبل سنة ٦٨ ،
وقبل سنة ٧٣ هـ » ويقتر أبو الفلاح عبد الحى بن العباد المؤرخ أنه مات سنة ٦٥ هـ على الصحيح^(٢) .

والأرجح أنه لم يدفن في الجامع لأن محل القبة كان به منارة ولأن من زاروه من الرحالة لم يذكروه فيه مع أن الأضرحة هدفهم الأول في الزيارة ، وخاصة عبد الغنى النابلسي الذي زار الجامع حوالى سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣ م) لم يشر إليه مع أنه تجول في نواحيه ووصف ما رآه ، كما أن طراز القبة متأخر .

الاحتفال بالصلاة في آخر جمعة من رمضان — نشأ هذا التقليد منذ الدولة الفاطمية ، فقد كان الخليفة الفاطمي يركب للاحتفال برؤيا شهر رمضان ثم يستريح أول جمعة منه ، فإذا كانت الجمعة الثانية أذاها في جامع الحاكم ، فإذا كانت الجمعة الثالثة أذاها في الجامع الأزهر ، فإذا كانت الجمعة الرابعة صدرت الأوامر بأدائها في جامع عمرو بن العاص فيقوم أهالى القاهرة بعمل الزينات من باب القصر بالنحاسين إلى جامع ابن طولون . ويقوم أدالى مصر القديمة بعمل الزينات حتى جامع عمرو . وبعد أداء الفريضة يعود الخليفة إلى القصر فيصدر السجل وهو بمثابة بلاغ ديوان كبير الأمراء الآن .

ولما أتم مراد بك إصلاح الجامع في النصف الثانى من شهر رمضان سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) أقيمت فيه آخر جمعة من رمضان فاتخذت عادة حتى اليوم إحياء للعادة القديمة .

غير أنى أرى فى إقامة الصلاة فى هذا الجامع فى نهاية شهر رمضان معنى ساميا حبا لله به هذا القائد العظيم فأحيا ذكرى وفاته سنويا إذ يوافق آخر أسبوع من رمضان الأسبوع الذى توفى فيه عمرو . فقد توفى ليلة عيد الفطر .

ولعمري إنه لتكريم خليف بهذا القائد العظيم خصوصا أنه يرأس هذا الاحتفال جلالة الملك "فاروق الأول" نحفظه الله وأدام ملكه السعيد .

(١) المعارف لابن قتيبة ص ١٢٤ و ١٢٥ (٢) أسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٥ ، تهذيب الأسماء ص ٣٦٢

(٣) شذرات الذهب ج ١ ص ٧٢

الجامع الطولوني

ميدان أحمد بن طولون^(١)

الجامع الطولوني . ثالث جامع أنشئ للجمعة والجماعة في مصر . ويمتد بحق من أقدم الجوامع المحفوظة بتفاصيلها المعمارية وهيكلها الأصلي العظيم .

أحمد بن طولون — الأمير أبو العباس أحمد بن طواون . ولد ببغداد سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥ م) . وكان أبوه مملوكا تركيا من بلاد منغوليا . فتلقى علومه العسكرية في مدينة سر من رأى ، ونشأ نشأة حسنة وتثقف ثقافة دينية فلقى شيوخ المحدثين وسمع منهم ، واشتغل بالعلم حتى حصل على قسط وافر منه . وكان هذا من أكبر الأسباب للثقة به . هذا فضلا عما اشتهر به من شجاعة وإقدام . ولما خلع المستعين بالله وولى المعتز . تقرر نفي المستعين إلى واسط ، فوقع اختياره على أحمد بن طولون لمرافقته فخرج معه وأخلص له .

ونخوف السيدة قبيصة والدة المعتز على ولدها من المستعين ، كتبت إلى ابن طواون بقتل المستعين على أن توليه مدينة واسط . فكتب إليها : « والله لا يراني الله عز وجل أقتل خليفة له في رقبتي بيعة وأيمان مغلفة أبدا^(١) » . ولهذا السبب زادت محبته وعلا قدره عند الناس .

ولما عاد من واسط بعد قتل المستعين ودخل سر من رأى وافق دخوله تقليد الأمير بإبكاك حكم مصر وطلبه من يخافه عليها . فأشاروا عليه بأحمد بن طواون الثقة الأمين فقلده مصر نيابة عنه وضم إليه الجيش .

دخل مصر يوم الأربعاء لسبع بقين من رمضان سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) مقلدا الفسطاط وأسيوط وأسوان دون غيرها من الأعمال الخارجة عنها مثل الاسكندرية وغيرها ، فقال حين دخل مصر : « غاية ما وعدت به في قتل المستعين واسط ، فتركت ذلك لله تعالى ، فعوضني ولاية مصر والشام » .

وبعد وفاة إبكاك عين ماجور التركي ، وكان ابن طواون تزوج ابنته ، فترك له الولاية على مصر وضم إليه الاسكندرية أيضا^(٢) .

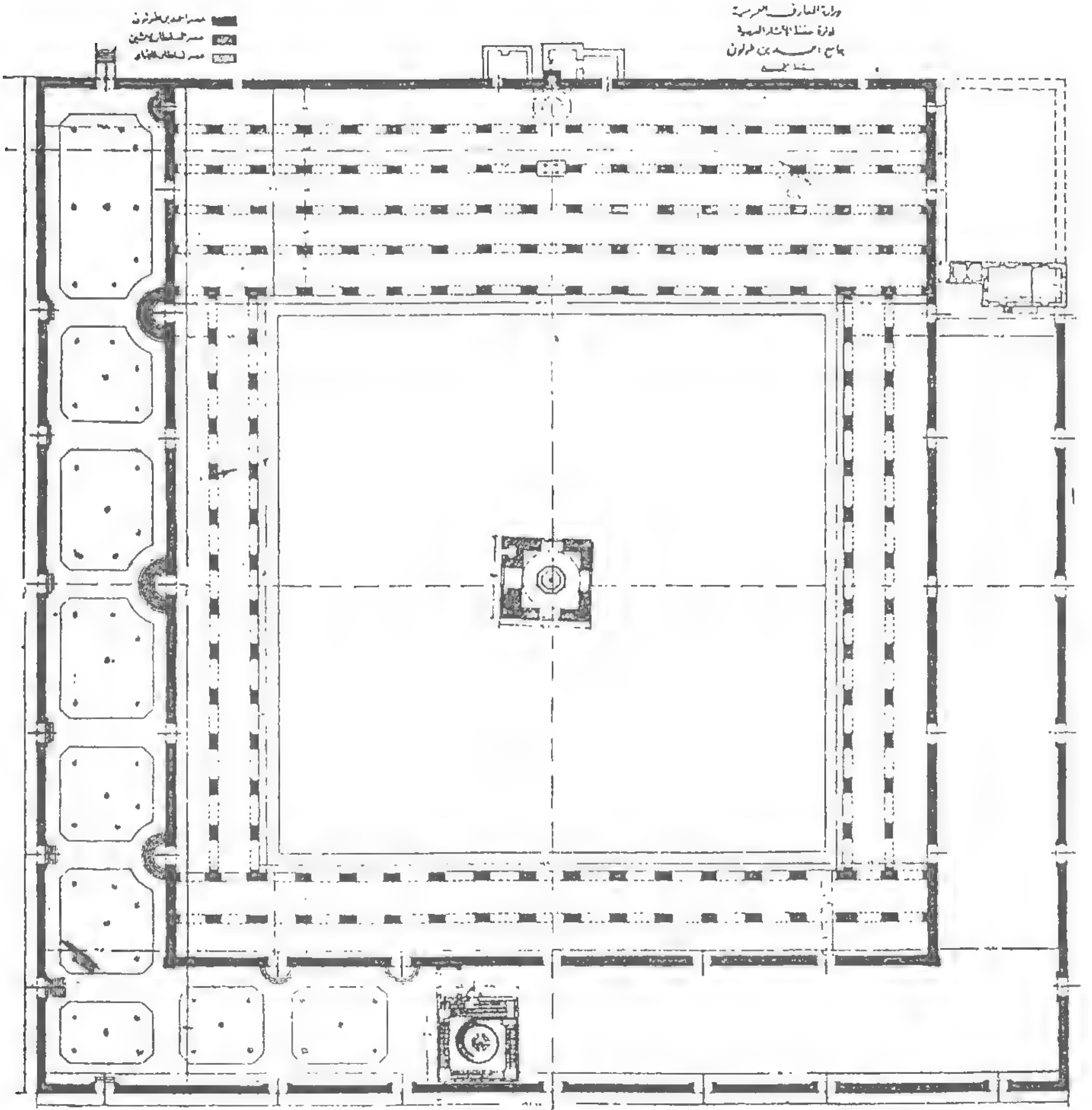
(*) انظر الصور من رقم ٥ - ١٦ مجموعة الصور التوثيقية .

(١) سيرة ابن طولون ، ص ٤٠ وسماها المقرئ ، فتيحة . (٢) النجوم الزاهرة ، ج ٣ ص ٦ ، المتقم

في أخبار الأمم . (٣) المقرئ ، ج ١ ص ٢١٤

الجامع الطولوني

وفي سنة ٢٥٩ هـ (٨٧٢ م) عهد إليه الخليفة المعتمد على الله بأمر الخراج على مصر والولاية على الثغور الشامية . فكان لقسوته وسطوته خير أثر في الحكم فسادت السكينة البلاد ونمت ثروتها ، ونجح في الاستيلاء على حكم مصر وأستقلالها وجعله وراثيا في أسرته . وظلت البلاد خاضعة له ولذريته من بعده حوالى ثمان وثلاثين سنة ، تجلى فيها الترف والبذخ . توفي إلى رحمة الله تعالى سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٤ م) ، وله ملك لا يعادله ملك الخليفة العباسي الذي يشمل الشام والجزيرة و برقة .



مسقط أفق

وقد دفن بالقرافة الصغرى بالقرب من بابها . وكان قبره معروفا وقد عاينه ابن الزيات المؤرخ

المتوفى سنة ٨١٤ هـ (١٤١١ م) ^(١) .

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٧٨ ، الكواكب السيرة في ترتيب الزيادة ص ٢٧٨

كان رحمه الله نحاتاً حازماً . نمت ثروة البلاد في عهده وتقدمت . وأهتم بالأسطول المصري ، فأنشأ كثيراً من المراكب الخربية . وكان محباً للعالم كثير الصدقات ، كما كان شغوفاً بالعارة ، فقد أصلح منار الاسكندرية ومقياس النيل ، وأنشأ حصن الجزيرة ومسجد التنور ، ومدينة القطائع والقصر والميدان والبيمارستان ودار الامارة وقناطر المياه ثم الجامع الكبير .

تاريخ الجامع ووصفه — بعد أن فرغ ابن طولون من بناء القصر والميدان شرع في بناء الجامع سنة ٥٢٦٣هـ (٨٧٦م) ، واستمر العمل سائراً فيه إلى أن انتهى منه في شهر رمضان سنة ٥٢٦٥هـ (٨٧٨م) . وهو من أكبر المساجد حيث تبلغ مساحته مع الزيادات ستة أفدنة ونصفاً . ووضع تصميمه على مثال المساجد الجامعة ، صحن كبير مكشوف تحيط به أروقة ذات عقود .

وهو على شكل مربع تقريباً ضلعه ١٦٢,٢٥ × ١٦١,٥٠ يشغل منه المسجد مع جدرانه مستطيلاً مقاسه ١٣٧,٨٠ × ١١٨,١٠ ويتوسطه صحن مكشوف مربع تقريباً مقاسه ٩٢,٣٥ × ٩١,٨٠ ويحيط بالجامع من جوانبه القبالية والبحرية والغربية أروقة غير مسقوفة تعرف بالزيادات ، وهي من المسجد ، ومثلها موجود في جامع سرمن رأى وفي جامع سوسة .

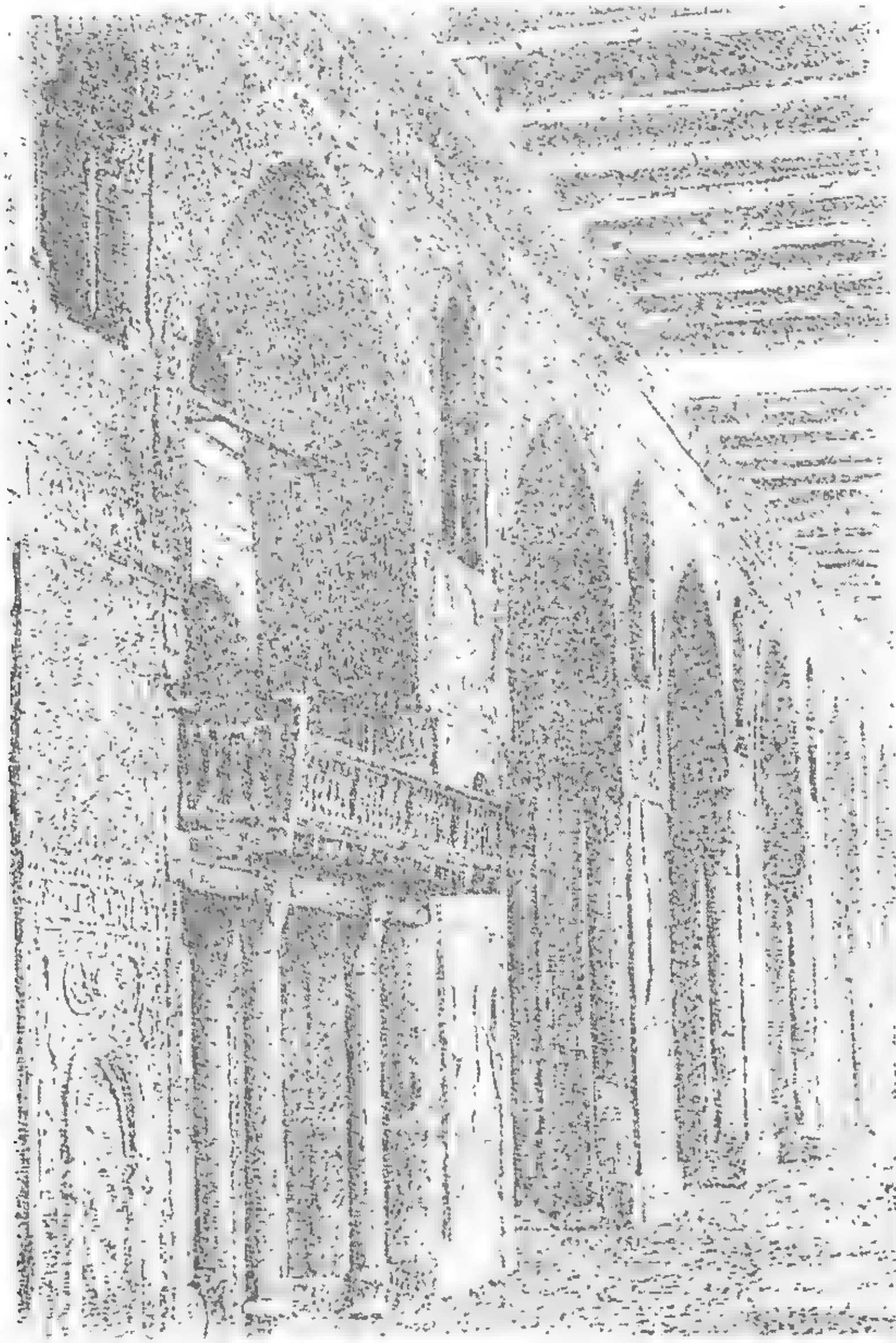
وأسوار هذه الزيادات عالية تسودها البساطة ، فتحت بها أبواب تقابل أبواب الجامع ، لتوجهها من أعلى شرفة مفرغة . كما فتحت بأسوار الجامع أبواب وشبابيك علوية بينها حنايا وطاقات مخصصة لتوجهها من أعلى شرفات .

وعدد أبواب الجامع ٢١ يقابلها مثلها في الزيادات . ويوجد في بعض الأبواب معابر خشبية قديمة بها زخارف موزونة .

وهذه الأبواب تعددت كي تؤدي إلى المساكن والأبواق حول الجامع ، حيث كان العمران كبيراً والتجارة رائجة ، حتى قيل إن مسطبة كانت خلف الجامع مساحتها ذراع في ذراع بلغت أجزائها كل يوم ١٢ درهماً يستغلها ثلاثة أفراد : أحدهم في بركة النهار لبيع الغزل ، والثاني لجبار بعد الظهر إلى العصر ، والثالث من العصر إلى المغرب لبيع الحمص والفول^(١) .

فإذا تجاوزنا سور الزيادة فمن أي باب من أبواب الجامع نصل إلى الإيوانات التي يتوسطها صحن كبير . وهنا تتجلى عظمة هذا الأثر الخالد الحافل بثقافة الصناعات والفنون .

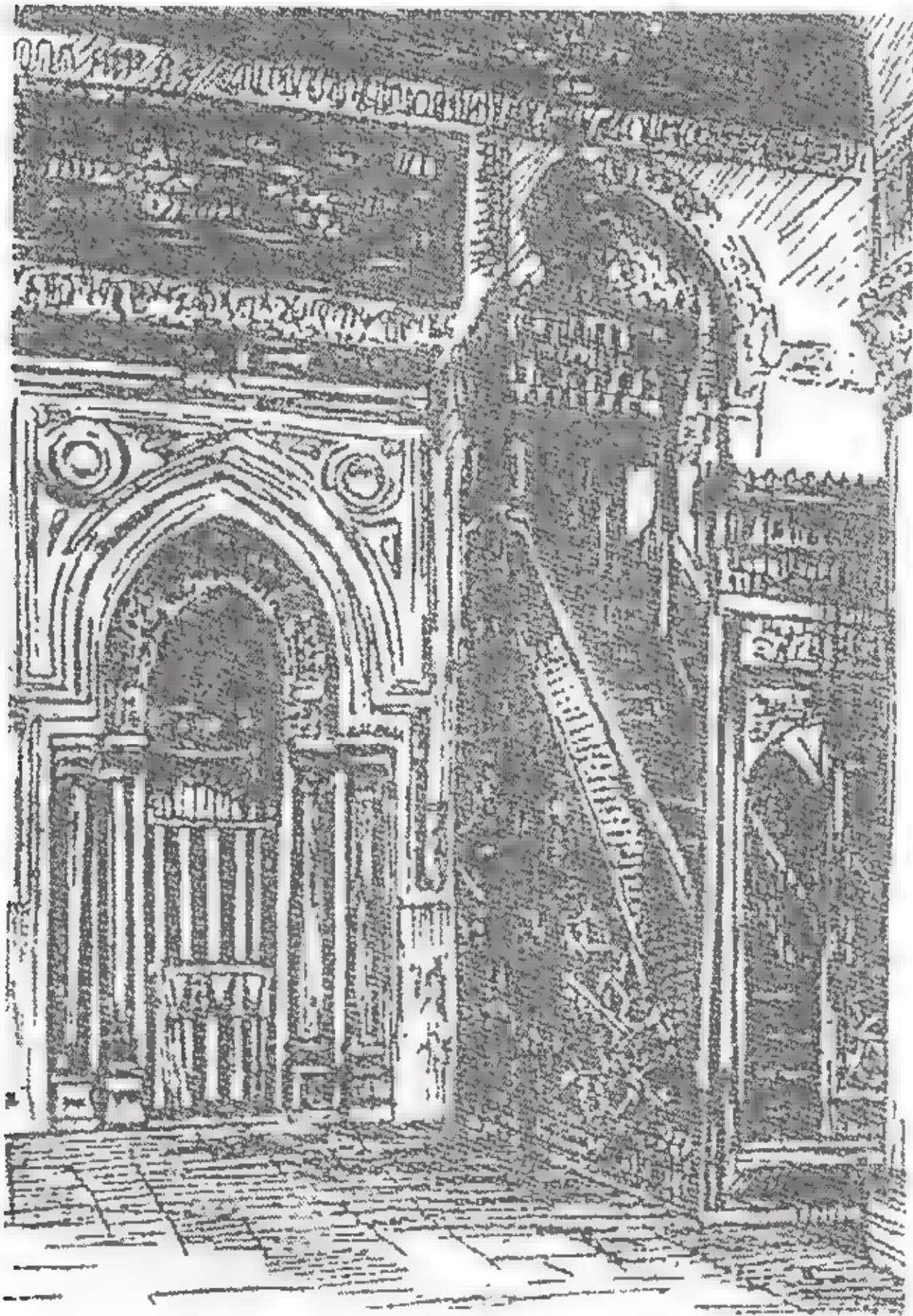
ولننم وجهنا شطر المحراب بالإيوان الشرقي، وهو عادة يكون أكبر الإيوانات وأكثرها أروقة وأحفلها زخرفاً. وهذا هو شأن الإيوان المذكور، فهو يشتمل على خمسة أروقة، ويتوسط جداره الشرقي المحراب، وبه منبر وبه تاريخ إنشاء الجامع. وتوجد به محاريب طولونية وفاطمية ومملوكية. ونظرة إلى المسقط الأفقي نرى أنه اشتمل على خمسة أروقة في الشرق، ورواقين في كل من باقي الإيوانات. وهذه الأروقة مكونة من دعائم مبنية بالطوب بمقاس كل دعامة منها $2,50 \times 1,30$ مخلق في نواصيها الأربع عمود وتيجان تحمل عقوداً استينية، حليت حائاتها بزخارف جصية نباتية. وقد لجأ المهندس إلى التخفيف عن ظهر العقود ففتح فيها شبابيك خلقت بأكتافها عمود رشيق، وحليت حائاتها بزخارف متنوعة.



الدعائم بالرواق الشرقي

واختيار المهندس لهذه الدعائم يدل العمد برهن على حسن ذوقه فقد تخاص بها من العمد الرخامية المختلصة من هنا وهناك مع عدم تماثلها لا في الطول ولا في السمك. ونفذ رغبة طيبة لابن طولون حيث توزع عن أخذ العمود من الكائس والأديرة المتخربة. وقد اتبعت طريقة بناء الدعائم في مشهد آل طباطبا، وفي جامع الحاكم بأمر الله.

ويعلو العقود إفريز زخرفي من الجص يعلوه إزار خشبي يحيط بأروقة الجامع مكتوب فيه بالخط الكوفي البارز سورتا البقرة وآل عمران . وقد جددت إدارة حفظ الآثار العربية السقف على مثاله القديم . ولأول مرة يستعمل الأسمنت المسلح في السقوف الأثرية ، فقد لجأ إلى هذه الطريقة المغفور له محمود باشا أحمد المدير السابق للآثار العربية ، فعمل السقف بتقاسيمه القديمة من الأسمنت المسلح . ثم غلقه بالأخشاب القديمة والجديدة المطابقة للقديم . ويحيط بجدران الأربعة من أعلى مائة وتسعة وعشرون شباكاً من الجص مفترغة بأشكال هندسية وأخرى نباتية ، تنوعت أشكالها ، واحتفظت جميعها بزخارف أطرافها الخارجية ، كما احتفظت بالكثير من زخارف باطن عقودها ، بينما طرأ تجديد على بعض حشوها المفترغ وبعض الأطر حولها المكتوبة والمنقوشة في عهد الدولة الفاطمية ، وفي عمارة المنصور لاجين ، وفي العصر الحديث . ويرى جناب الأستاذ كريسويل أنه ما زال بين طاقات الجامع ذات الشبابيك الحصية القديمة وهي ثمانون ، أربعة من طراز خاص ، قوام رسمها دوائر متشابكة . وهذا الشكل نفسه يرى في زخرفة باطن العقود بجبل الطارات القبلي .



المحراب والمذبح

ولذلك يعتقد أن هذه الشبابيك الأربعة ترجع إلى زمن ابن طولون ، وجميعها بجدار القبلة ، وهي التي تقع في العدة تحت رقم ٥ و ٦ و ١٥ و ١٦ إذا عدنا الطاقات من الشمال إلى اليمين^(١) .

ويرى هرتس باشا أن زخرفة باطن شبابيك الجامع الطولوني هي عين زخرفة مدفن قلاوون . وهيكل المحراب طولوني مع السطر المكتوب بالكوفي أعلاه عدا التيجان الأربعة فوق عمده فهي من الرخام المفترغ كل اثنين منهما متشابهان ، وهي دقيقة الصنع من الطراز البيزنطي القديم .

(١) الجامع الطولوني ص ٥٨ — ٥٩

وتجوير المحراب عصابة من الفسيفساء المذهبة كتب بها بالخط النسخي : " لا إله إلا الله محمد رسول الله " وهذه الفسيفساء والطاقيّة الخشب بالمحراب ومقرنص القبة أعلاه من عمل المنصور لاجين سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) .

وبمناسبة الفسيفساء أتهز هذه الفرصة لأنبه الى خطأ شائع ، وهو تسمية الرخام الدقيق بالمحاريب والوزرات بفسيفساء . والحقيقة أن الفسيفساء ما كانت من فصوص زجاجية صغيرة مذهبة وماؤنة . وهي صناعة يزنطية استعان المسلمون في القرون الأولى بعمال من يزنطية على صناعتها ، فكانوا يُستقدمون الى دمشق والقدس والأندلس مع خاماتها لصناعتها . وفي تلك البلدان نماذج ممتعة منها وخاصة بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة وصحن الجامع الأموي ومحراب وقبة الجامع الكبير في قرطبة . كما ثبت أن جامع عمرو بن العاص كان به في القرن الرابع الهجري « العاشر الميلادي » فسيفساء . هذا عدا ما كان موجودا منها في الكنائس المسيحية .

غير أن النماذج القديمة بمصر انعدمت كلها ، وبقيت نماذج لا شك في أن صناعتها دمشقية عملها عمال من دمشق حذقوا هذه الصناعة مع تفاوت بينها وبين القديمة وهي نماذج محدودة في أجزاء بسيطة من المحاريب تخالفتها دوائر صدفية . فأقدم قطعة معروفة . منها تلك التي في طاقيّة محراب قبة شجر الدر سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) .

وفي سنة ١٩٣٦ م اكتشفت قطعة جديدة هي طاقيّة محراب قبة الصالح نجم الدين سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) لم تكن معروفة من قبل . وفي طاقيّة محراب مدرسة فلاوون سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٤ م) ثم عصابة بمحراب الجامع الطولوني سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) ثم في تواشيح محراب المدرسة الطيبرسية سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) وفي طاقيّة محرابي المدرسة الأقبغاوية سنة ٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م) . وأخيرا طاقيّة محراب مسجد الست حديق المنشأ سنة ٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م) . وقد اكتشفتها في شهر مايو سنة ١٩٣٧ .

المنبر — يجاور المحراب منبر خشبي جميل اتخذت حشواته من خشب الساج الهندي (التيك) والآبنوس دقت بالأويمة الدقيقة بنقوش مورقة في منتهى الدقة ، ليس هو المنبر القديم للجامع ، بل هو من عمل الملك لاجين المنصوري سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) . وهو الذي نقل المنبر القديم الى الجامع الظاهري بالمنشأة على شاطئ النيل^(١) . وقد تلاشى الجامع الظاهري والمنبر ، ولم يبق لهما أثر . أما منبر لاجين فقد بقي حتى سنة ١٨٤٥ م حينما عاينه ورسمه مستر جيمس ويلد^(٢) ، أمين متحف سوان بلوندره ، ثم امتدت اليه الأيدي بالسلب والنهب . الى أن غنى المرحوم هرتس باشا بجمع

(١) الانتصار بواسطة عقد الأمصار ، ج ٤ ص ١٢٠ (٢) تاريخ وصف الجامع الطولوني ص ٩٥

حشواته من أوروبا ، وصور لحشوات أخرى استعان بها مع الباقي منه على إصلاح المنبر وإعادةه الى أصله . ومكتوب على بابه : ” أمر بعمل هذا المنبر المبارك مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين المنصوري في العاشر من صفر سنة ست وتسعين وستمائة “ .

والملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين المنصوري ولي ملك مصر بعد خلع الملك الفادل كتبنا في نصف صفر سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) . وهو الذي قام بهارة كبيرة في الجامع تناولت إصلاحه إصلاحا شاملا وإصلاح شباييكه . وعمل القبة أعلى المحراب ، والمنبر والمئذنة والقبة بوسط الصحن . والسبيل الذي جددته فيما بعد السلطان قايتباي في الزيادة القبلية . وذلك وفاء لنذر نذره لتعمير هذا الجامع حينما اختفى في منارته وهو حرب في فتنة قتل الأشرف خليل بن المنصور قلاوون ، وقد وفي بنذره ، وعهد بإجراء هذه الأعمال الى الأمير علم الدين سنجر الدواداري^(٢) .

وبهذا الإيوان عدة محاريب جصية غير مجوفة ، منها اثنان بالدعامتين القائمتين بمتصف حبل الطارات الثاني مما يلي الصحن الأيمن . ومنهما ، وتحيط به زخارف دقيقة وكتابات كوفية منها : ” بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المحراب خيفة فتي مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتظرين السيد الأجل الأفضل سيف الإمام جلال الإسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين “ .

وفي سطر صغير تحت السطر الأفقي ما نصه : ” ثقة الإمام نحر الأحكام القاسم عبد الحاكم ابن وهيب بن عبد الرحمن “ . وتحت سطر آخر مكتوب فيه : ” لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولي الله “ . وباقي الكتابات آيات قرآنية ، وبوسط عقده الأوسط مكتوب بخط كوفي كبير : ” فاسجدوا لله واعبدوا “ . وهذا المحراب يرجع الى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) .

أما المحراب الأيسر فهو تقليد للأيمن عمله المنصور لاجين سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) . وكتب عليه اسمه بالخط الكوفي بما نصه : ” بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المحراب المبارك مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين سلطان الإسلام والمسلمين ... “ . وقد تطرق التلف الى هذا المحراب .

وفي الصف الرابع من حبل الطارات يجانب دكة المبلغ محرابان آخران من الحص : الأيمن منهما طولوني ومكتوب عليه : ” لا إله إلا الله محمد رسول الله “ . وبه زخارف كبيرة مورقة شديدة

البروز . والآثر فاطمي ومكتوب به : " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، وقد أحيط بزخارف موزقة مشرشرة .

ويوجد على يسار المحراب الكبير محراب جصى جميل حافل بالزخارف والكتابات الكوفية والنسخية يرجع الى منتصف القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى . ومكتوب عليه بالخط النسخ قوله تعالى : " قد نرى قلب وجهك فى السماء " . الآية .

ومكتوب حول عقده بالخط الكوفى قوله تعالى : " فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتىك اليقين " .

وتعتمد المحاريب رأبناة فى المساجد فى جميع عصورها . ويبدولى أن الدافع الى عملها هو. تعمّد المذاهب . يعزز هذا الرأى ما أثبتته ابن كثير من أن الصاحب تقي الدين بن مرآجل ناظر الجامع الأموى بدمشق عمل فيه محاريب للتحفية^(١) والحنابلة سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٢ م) .

دار الإمارة — وعلى يمين المنبر باب كان يؤدى الى دار الإمارة التى أنشأها أحمد ابن طولون وأثنى بالفرش والستور، كانت مخصصة لتزوله حينما يذهب الى صلاة الجمعة فيجلس فيها ويحتمد وضوءه ثم يدخل منها الى مقصورة المسجد . وقد ذهبت هذه الدار ولم يبق منها سوى مدخلها وبه بقايا كوابيل للسقف تمثل رأس فيل بناييه . وهى طرفة نادرة .

ويلاحظ أن العقود المحيطة بالصحن وما يتصل بها من عقود الايوانات كان باطنها محلى بزخارف جصية بقيت منها ثلاث قطع فى الإيوان البحرى . أما الإيوان القبلى فقد احتفظ بالكثير من هذه الزخارف ، وكان محتجبا تحت البياض واكتشفته لجنة حفظ الآثار العربية . أما الموجود منها بالإيوان الغربى فحديث عدا العقد البحرى منه فان زخارفه قديمة .

ونظرة الى الزخارف القديمة الباقية بباطن العقود تكشف لنا عن عبقرية الصانع التى تجلت فيها . فهى مكونة من خطوط متقاطعة بداخلها زخارف موزقة تنوعت الى درجة أنها اختلفت فى كل عقد منها . ولم تقف عبقرية الصانع عند هذا الحد ، بل شملت زخارف الجامع بأمله ، فبينما نرى الزخارف حول عقود الأروقة والشبابيك اتفقت ، نراها اختلفت وتنوعت فيما حول عقود الطاقات بخواصر العقود وفى الإفريز الجصى أسفل السقف . وكما تنوعت أشكال الشبابيك تنوعت كذلك الزخارف فى باطن عقودها ، وفى أشكال التيجان الجصية والصرر المحلى بها وجه الصحن ، مما يدل

على أن هذه الزخارف عملت على بيتها حسب اصطلاح الصنائع ولم تعمل لها فرم . وبذلك اشتمل هذا الجامع على أغنى مجموعة وأقدمها من الزخارف الحصية ، وعلى إحدى دعائم الإيوان الشرقى ثبت النصف الأول الذى عشر عليه من اللوحة التذكارية لإنشاء المسجد . مكتوبة بالخط الكوفي البسيط ونصها كاملا :

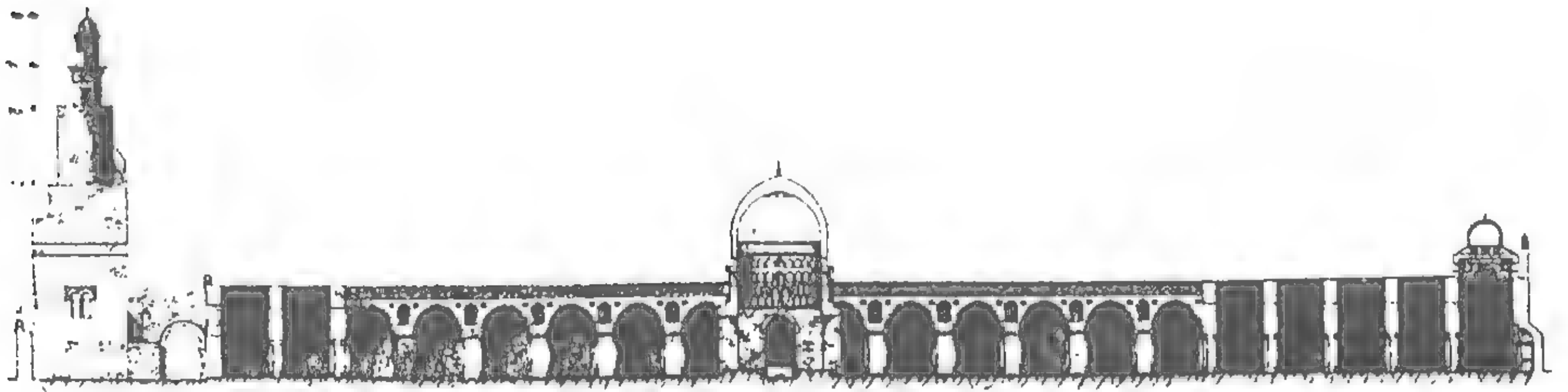


السوح التاريخي

”بسم الله الرحمن الرحيم الملك الحق المبين الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من

الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين .

أمر الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين أدام الله له العز والكرامة والنعمة التامة في الآخرة والأولى ببناء هذا المسجد المبارك الميمون من خالص ما أفاء الله عليه وطيبه لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة وإيثارا لما فيه تسنية الدين وألفة المؤمنين ورغبة في عمارة بيت الله وأداء فرضه وتلاوة كتابه ومداومة ذكره إذ يقول الله تقدس وتعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب في شهر رمضان من سنة خمس وستين ومائتين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلم على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحمهم وبارك على محمد وعلى آل محمد وعلى آل إبراهيم ... وعلى آل إبراهيم وأنعم إنك حميد مجيد^(١) .



قطاع رأسى

القبة وسط الصحن — هذه ثالث قبة أقيمت في هذا الصحن . فقد احترقت قبة الفؤارة الأولى التي أنشأها ابن طولون . وقد كانت مشبكة من جميع جوانبها وفوقها قبة مذهبة قائمة على عشر عمد رخام يحيط بها ستة عشر عمودا في جوانبها . وكانت مفروشة كلها بالرخام ، وتحت القبة

(١) الجامع الطولوني ص ٢٣ و ٢٤

قصعة من رخام سعتها أربعة أذرع في وسطها فتارة . وفي السطح علامات الزوال ، ولها درابزين من خشب الساج^(١) . وقد احترقت هذه القبة سنة ٣٧٦ هـ (٩٨٦ م) .

وهدمت الثانية وهي التي أنشأها العزيز بالله ، وقيل أمه تغريد^(٢) ، سنة ٣٨٥ هـ (٩٩٥ م) . وحلت محلها القبة القائمة الآن التي أنشأها المنصور لاجين سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) وهي قبة كبيرة مقاس كل من ضلعها البحري والقبلي ١٢,٧٥ مترا والشرقي والغربي ١٤,١٠ محمولة على أربعة عقود كانت شبابيكها عملة من الخارج بزخارف وكتابات كوفية ، وبرقيتها من الداخل كتبت آية الوضوء . ويتوسطها فسقية . ويسترعى النظر فيها وجود سلم في سمك جدارها يوصل الى سطح قاعدتها المربعة .

المنارة — أقيمت المنارة في الزيادة الغربية لصق حائط الزيادة على مسافة ٤٠ م . سم وهي مبنية بالججر مقاس قاعدتها ١٢,٧٨ متر × ١٣,٦٥ متر ، وسلمها من الخارج بأربع قليات يصعد منه إلى سطح فسلم حلزوني نصف دائري يوصل إلى سطح آخر يرتكز عليه الجزء العلوي وهو على هيئة مبخرة . وهي المنارة الوحيدة في مصر ذات السلم الخارجي وهي تشابه منارة سامرا .

وهذه المنارة موصح خلاف بين الأثريين ، فالبعض يرى أن المنصور لاجين جدها سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) على مثالها القديم ضمن عمارته للجامع . بينما يرى البعض الآخر أنها لابن طولون عدا قمتها المشتملة فهي من عمل لاجين . وأختلط الأمر على فريق ثالث فلم يجزم بشيء .

وحجة ما أستبعد أنها من عمل لاجين أنه لم يبنها على طراز منارات عصره . ودليل من يجزم بأنها من تجديد لاجين أن العقد الموجددين على شكل حدوة الفرس الذين يصلان المنارة بالمسجد يرجعان إلى زمن متأخر عن ابن طولون ، ولأن هناك شباكين يقطعانها في مرورهما .

ويرى الأستاذ كريسويل بأن هذه العقود وعقدا من قبيلهما بأول السلم وأربعة أزواج من العقود المسدودة بالوجوه الأربعة من المربع التحتاني من المنارة والأعمدة اللولبية المضلعة بها ظهرت لأول مرة في مدرسة وتربة قلاوون .

وإذا ثبت أن المنصور لاجين آخنى بالمنارة وكانت متخربة فهذا دليل على أنه أدرك بقايا منارة ابن طولون . وكونه أمر بعمل محراب له يطابق المحراب المستنصرى الفاطمي مخالفا في ذلك طراز زخارف وقته ، واستبداله بقاعدة كتابة النسخ الخط الكوفي دليل على أنه بنى المنارة التي آخنى فيها طبقا لأصلها الذي وجدها عليه ، وبنى قمتها التي كانت مفقودة على ما أرجح مثل قمة المنارات في نهاية القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) .

(١) المقرئى، ج ٢ ص ٢٦٨ (٢) ابن دقان، ج ٤ ص ١٢٣ (٣) ابن القرات، ج ٨ ص ٢٣٠

وفكرة عمله محرابا مطابقا للحراب المستنصرى هى التى جعلت جناب الأستاذ كريستوفيل^(١) يميل



المنارة

إلى أن المنارة من بناء السلطان لاجين . والمرجح أن أكبر قسم من المنارة كان موجودا وقتها فبناها على مثاله . وإلا كان بناها طبقا لمنارات عصره .

ويرى مسيو بتريكولو الباشمهندس الأسبق للآثار العربية أن المنارة^(٢) من بناء لاجين وهى مشيدة من أسفل إلى أعلى فى وقت واحد ، وعلى قاعدة واحدة . وذلك على أثر الاستكشافات التى أجراها بها فقد نقب البناء بعرض متر وسمك ثلاثة أمتار تقريبا فى الجانب الجنوبى من الكتلة المكونة للقاعدة بارتفاع الصفف التى على هيئة شبك فتبين أن البناء على امتداد سمك الثقب من نوع واحد . وأنه لا يوجد فاصل فى أجزاء البناء من خارجه أو داخله ، ولم تصادفه أى علامة يستدل بها على وجود بناء داخلى يسبق عهد البناء الخارجى .

العشارى — ذكر المقرئى وابن دقاق أن المنارة كان عليها عشارى ، وأن ابن طولون قال أنه وجده فى كنز . وقد بقى هذا العشارى حتى سقط سنة ١١٠٥ هـ^(٤) (١٦٩٣ م) فهل أعاده لاجين أو عمله مثل عشارى قبة الشافعى ؟

المهندس — نأسف جد الأسف لخلق آثارنا من أسماء مهندسيها اللهم إلا النزر اليسير مما نلتقطه من بين السطور فى كتب التاريخ . ولذلك نرى الخلاف قائما على جنسية مهندس ابن طولون . فبينما نرى المقرئى يعبر عنه بالنصرانى نرى آخرون يرجحون أنه مهندس المقياس أحمد بن محمد الحاسب الذى قدم من العراق لبناء المقياس الحديد سنة ٢٤٥ — ٢٤٧ هـ (٨٥٩ — ٨٦١ م) بالروضة .

وسواء أكان نصرانيا أم الحاسب فكلاهما عراقى لأن نشأة ابن طولون كما أسلفنا كانت فى سامرا عاصمة العباسيين . ومن المعقول أن ينقل إلى مصر الثقافة الفنية العراقية التى نشأت فى ظلها

(١) (Early Muslim Architecture — K.A.C. Oreswell. Part II, p. 354-355) .

(٢) Bulletin du Comité, 1915-1919, p. 21. (٣) ابن دقاق ج ٤ ص ١٢٣ (٤) الجبرق ج ١ ص ٢٥

فأدخل إلى وادي النيل أساليب العراق في العمارة والفنون . وهذا التأثير نراه مجسما في زخارف الجامع ومنارته .

أما الصناع فالغالب أنهم من أهل مصر، ويحتمل أن يكون بينهم عراقيون . ولم نثر على اسم أحد منهم عدا بعض التجارين ، فقد عثرت على اسمي اثنين منهم : أحدهما محمد بن عبيد ، والآخر محمد بن مكتوبان على أجزاء من السقف القديم .

وبمناسبة الصناع أشير إلى السنة الحسنة التي أسستها ابن طولون في بناء مسجده حينما عاينه في شهر رمضان أثناء العمل فرأى العمال يشتغلون إلى وقت الغروب ، فسأل : متى يشتري هؤلاء الضعفاء إنطارا لأولادهم ! وأمر بصرفهم وقت العصر . فاتخذ هذا سنة من وقتها .

رسم الجامع — لم نثر حتى الآن على تصميمات عمارية قديمة للآثار ، ولكن وجدنا في ثنايا التاريخ أن هناك رسوما كانت تعمل للعمارة قبل تنفيذها . أما ما يتعلق بالجامع الطولوني فقد ثبت أن مهندس رسم الجامع على رق وعرضه على ابن طولون ناقظه .

الأساس ومواد البناء — معلوم أن الجامع أقيم على جبل يشكر، ولذلك نرى أساسه في حدوده القبيلة على الصخر مباشرة ، بينما هو في حدوده البحرية على عمق خمسة أمتار . والمواد المستعملة في بنائه هي الطوب الأحمر ، وهي المادة الأساسية المستعملة في المنشآت العمارية حتى أوائل الدولة الفاطمية .

أعمال الإصلاح — أجريت بالجامع عدة إصلاحات في عصور مختلفة . منها عمارة بدر الجمالي الوزير الفاطمي سنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) . وقد أثبتنا في لوح رخامي فوق باب بسور الزيادة البحرية ونصه :

” بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين . نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبي تميم الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين . أمر بتجديد هذا الباب وما يليه عند حدوان النار على ما أبدعه المارقون فيه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الإمام أبو النجم بدر المستنصرى أدام الله قدرته وأعلى كلمته ابتغاء ثواب الله وطلب مرضاته وذلك في صفر سنة سبعين وأربعمائة . والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليما^(١) .“

ثم جاءت بعدها عمارة للخليفة الحافظ لدين الله سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١ م) .

وفي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) اتخذته المغاربة مأوى لهم يتزلون فيه عند مرورهم بمصر^(١) للحج . وقد تشعت الجامع وتحزب وقتئذ ، كما اتخذ مخبزا . فقد جاء في حوادث سنة ٦٦٢ هـ (١٢٦٣ م) أن الظاهر بيبرس البندقداري أمر أن يفرق على أرباب الزوايا كل يوم مائة أردب بعد عملها خبزا بجامع ابن طولون^(٢) .

عمارة السلطان حسام الدين لاجين المنصوري — هي أهم عمارة وأكبرها أجريت بالمسجد سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) أثبت تاريخها في لوح خشبي فوق القبة مكتوب فيه :
” أمر بإنشاء هذه القبة المباركة والفسقية والساعات الشريفة مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين المنصوري في سنة ست وتسعين وستمائة “ .

وقد صرف على عمارته من خالص ماله ٢٠ ألف دينار^(٣) . وابتاع الملك المنصور من بيت المال مئة أندونة من أرض الحيزة ووقفها على المدرسين والمشتغلين والموظفين في الجامع . ورتب فيه دروسا للحديث والتفسير والفقه على المذاهب الأربعة ومدرسا للطب وأنشأ مكتبا وسبيلا .

وفي دولة الناصر محمد بن قلاوون ولي نظارته القاضي كريم الدين^(٤) الكبير، وأنشأ فيه منارتين على طرفي جداره الشرقي بناهما بالطوب ، وكانتا أسطوانتي الشكل ، هدمت الأولى في القرن الثالث عشر الهجري ، والثانية البحرية الشرقية في سنة ١٩٣٣ لخلل بهما .

وفي سنة ٧٩٢ هـ (١٣٩٠ م) أنشأ الحاج عبيد بن محمد بن عبد الهادي البازدار رواقا بجوار المنارة وجدد ميضأة بجانب الميضأة القديمة ، وقد زالتا كما زالت التربة والمصلى اللتان أنشأهما الشيخ شرف الدين المديني سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٤ م) في عمارة سور الزيادة الغربية سنة ١٩٤٣

وفي القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) كان الجامع مهملًا فأنشئ فيه مصنع لعمل الأحزمة الصوفية . وظل على إهماله حتى سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٧ م) فتحول إلى ملجأ للعجزة والطاعنين في السن تحت إشراف كلوت بك فلحق بالجامع تلف كبير .

عناية لجنة حفظ الآثار العربية بالمسجد — أدركت إدارة حفظ الآثار العربية هذا الجامع سنة ١٨٨٢ م . فوجدته مغلقا وعقوده مسدودة وسقوفه مفقودة وآيلة إلى السقوط والدور تحجبه من جميع نواحيه ، ومنبره يكاد يكون معدوما ، وزخارفه مشوهة ومحتجة ، وتنقص منه البائكة المشرفة على الصحن بالإيوان الشرقي ، فوجهت إليه عنايتها .

(١) المقرئى، ج ٢ ص ٢٦٨ (٢) السلوك، ج ١ قسم ٢ ص ٥٠٨

(٣) ابن الفرات، ج ٨ ص ٢٢٩، التحفة النية ص ١٤٦ (٤) المقرئى، ج ٢ ص ٢٦٩

وفى المدة بين سنى ١٨٩٠ - ١٩١٨ قامت بإزالة الأبنية المستحدثة التى كانت بداخل الإيوانات وأزالت الأتربة والأنقاض . وأصلحت القبة التى فوق المحراب والمنارة الكبيرة والمنبر والشبابيك الحصية وجزء من السقف . كما قامت بالمحافظة على الزخارف الحصية وهدمت بعض الدور التى كانت تحجب الواجهة الشرقية للجامع وأصلحت المنارة البحرية الشرقية .

عناية المغفور له الملك فؤاد بالمسجد - فى سنة ١٩١٨ رغب المغفور له الملك فؤاد فى إعادة إقامة الشعائر الدينية فى الجامع فصلى فيه فريضة الجمعة فى ٢٢ رجب سنة ١٣٣٦ هـ (٣ مايو سنة ١٩١٨) وأمر بتخلية جوانبه وتقيم إصلاحه .

وفى عهده تمت تخلية الواجهة البحرية للجامع وفتحت أبوابها وأصلحت أسوارها وأزيلت الأبنية المحدثه بالزيادة القبليـة . كما أخلى قسم كبير من الوجهتين الشرقية والغربية ، وتم تبايط أروقة الإيوانات الغربية والبحرية والقبليـة وأصلحت الزخارف الحصية بباطن العقود . وأصلح السبيل الموجود فى الزيادة القبليـة وأزيلت الأتربة من الزيادات ومهدت هى والصحن ، وأعيد بناء الرواق المشرف على الصحن من الإيوان الشرقى ، كما عمل لجميع الأروقة سقف من الأسمنت المسلح برسم السقف القديم ، ثم غلفت بأخشاب أدخلت فيها الأجزاء القديمة ، وأعيد تركيب الإزار الكوفى فيها .

وقد بلغت نفقات هذه الإصلاحات نحو ٤٠,٠٠٠ جنيه كما بلغت نفقات نزع الملكية نحو ٤٥,٠٠٠ جنيه .

عناية الملك الصالح فاروق الأول بالجامع - وفى عهد الملك الصالح فاروق الأول أصلح كثير من الشبابيك الحصية كما أصلح المحراب المستنصرى ونزعت ملكية بعض الدور التى تلاصق الزيادة الغربية بجوار المنارة الكبيرة . كما بدأت مصالحة التنظيم فى نزع ملكية بقية الدور التى تحجب الوجهتين الشرقية والقبليـة .

وما زالت أعمال الإصلاح جارية به . وهكذا يتم الفاروق - حفظه الله ورعاه - ما بدأه والده العظيم وينفذ رغبته . وسيتم فى عهده السعيد تخلية هذا الجامع العظيم وإصلاحه إصلاحا شاملا كاملا إن شاء الله .

الجامع الأزهر

ميدان الأزهر^(٥)

إذا كان جامع عمرو بن العاص أول جامع أسس بالقسطاط فالجامع الأزهر^(١) أول جامع أسس بالقاهرة . ولكل منهما زعامته ورسالته العلمية .

قدم القائد جوهر الكاتب إلى مصر من قبل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله فاتحاً لها ، فتم له ذلك بدون عناء في ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ يولييه (سنة ٩٦٩ م) .

وفي يوم الجمعة ٢٠ شعبان من هذه السنة توجه إلى الجامع العتيق (جامع عمرو) لأداء فريضة الجمعة ، وكان خطيبه يومئذ هبة الله بن أحمد ، فخطب خطبة بليغة ختمها بالدعاء للعز بما نصه :

« اللهم ارفع درجته وأعل كلمته وأوضح حجته واجمع الأمة على طاعته والقلوب على موالاته ونجته واجعل الرشاد في موافقته وورثته مشارق الأرض ومغاربها وأحمد مبادئ الأمور وعواقبها فانك تقول وقولك الحق : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذ كر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) اللهم اجعل راياته عالية مشهورة وعساكره غالبية منصوره . وأصلح به وعلى يديه واجعل لنا منك واقية عليه » .

ونحن بدورنا نردد هذا الدعاء لئلك الفتى فاروق الأول حفظه الله . ثم أنشأ جوهر القصر الكبير وتأنق في زخرفته وأثاثه ، وأعد له لتزول سيده المعز لدين الله ، وأعد به سريراً مذهباً للجلوس عليه . ولما قدم المعز لدين الله إلى القاهرة نزل فيه في ٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٣ م) . فصارت مصر دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة^(٥) .

(٥) انظر الصور من رقم ١٧ — ٢٨ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

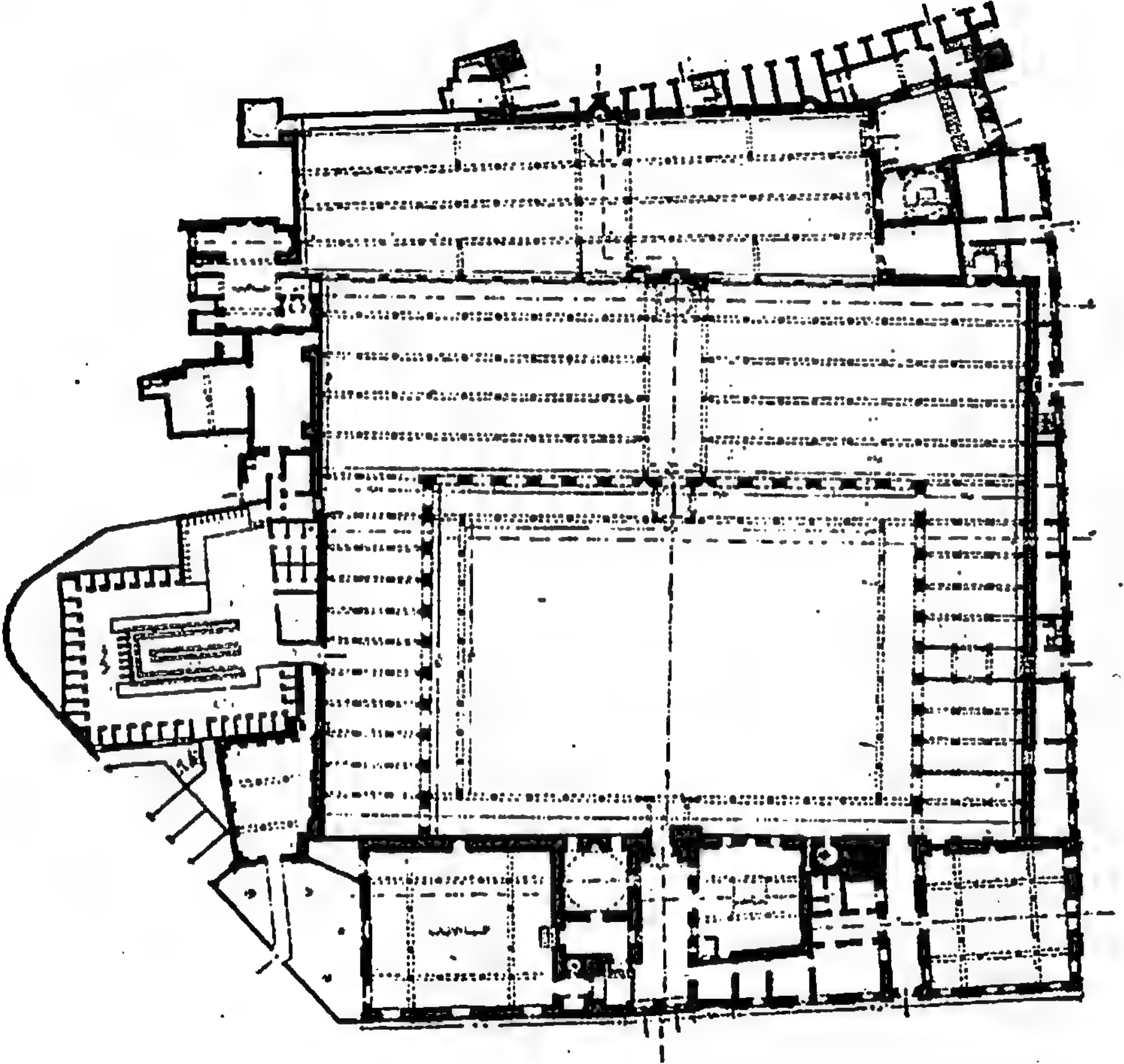
(١) لفظة الأزهر تؤدّى عدة معانٍ منها : يوم الجمعة ، والقمر ، والمشرق الوجه . (٢) اتساظ الخفاص ٧٥ (٣) القائد جوهر — أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الصقلي ، عهد إليه المعز لدين الله بفتح مصر على رأس جيش كبير فتم له فتحها بدون عناء كبير وأقام بها متولياً إدارة شؤونها وجباية أموالها إلى أن عزله المعز لدين الله في سنة ٣٦٤ هـ (٩٧٤ م) .

وفي خلافة ابنه العزيز بالله هدد إلى جوهر بقيادة جيش إلى دمشق في سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) ثم استبقاه في خدمته إلى أن توفي سنة ٣٨١ هـ (٩٩٢ م) وكان أديباً حسن السيرة . (٤) المعز لدين الله — مؤسس الدولة الفاطمية في مصر ، ورابع الخلفاء العبديين بالمغرب . ول الخلافة بعد أبيه المنصور بنصر الله سنة ٣٤١ هـ (٩٥٢ م) ، وهو الذي تهجد إلى قائد جوهر بفتح مصر . ولما تم له فتحها كتب إليه يبشره ويستدعيه إليها وأنه أقام الدعاء له بها وبالشام والحجاز ، وكان قدومه إلى القاهرة في ٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٣ م) واتخذها مقراً لخلافته ، وبقى بها إلى أن توفي سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) ، وكان عاقلاً حازماً أديباً رحمه الله . (٥) فضائل مصر لابن زولاق ص ١٦



الجامع الازهر

وهذا القصر وباقي القصور الفاطمية كانت من عجائب الأبنية ، بل كانت مضرِب الأمثال في الفخامة .
وقد أتحنفا المؤرخون بوصف خزان القصور وما حوته من طرف قيمة مما لا يكاد يصدقُه العقل .
إنشاء الجامع — وفي أثناء بناء القصر شرع جوهر أيضا في بناء الجامع ليصل فيهِ الخليفة
وليكون مسجدا جامعا للقاهرة أسوة بجامع عمرو بن العاص بالقسْطا ط . والجامع الطولوني بالقطائع .



مسقط أفق

كذلك أعد ليكون مهيذا لفئة معينة من الطلاب لتعليم الفقه الشيعي ونشره . فبدأ في بنائه في يوم
السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) . و انتهى العمل وأقيمت أول جمعة به
في ٧ رمضان سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢ م) وعرف بجامع القاهرة . وكتب بدائر القبة التي في الرواق الأول
على يمين المحراب ما نصه :

” بسم الله الرحمن الرحيم بما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معتمد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين على يد عبده جواهر الكاتب الصقل وذلك في سنة ستين وثلثمائة “ .

وقد اندثرت هذه الكتابة مع القبة أيضا غير أن الجامع الذي نراه اليوم ليس كله بالجامع الفاطمي الذي وضع أساسه جواهر، بل ذو مجموعة من الآثار ضمت إليه في أزمنة مختلفة سأتناولها بالشرح .

تصميم الجامع — كان مسقطه الأفقي وقت إنشائه مكونا من ثلاثة إيوانات حول الصحن، الشرق منها مكون من خمسة أروقة، وبكل من الجانبين القبلي والبحري ثلاثة أروقة . المشرف على الصحن منها قائم على أكاف مبنية . أما الجند الغربي فلا أروقة به ويتوسطه الباب العمومي الذي كانت تعلوه المنارة ولعله كان بارزا عن الوجهة .

وقد فتحت بأعلى الجدران شبائيك جصية مفترقة بأشكال هندسية تتخللها مضاهيات مزخرفة أحيطت بأفريز مكتوب فيه بالخط الكوفي المزخرف آيات من القرآن . وما زالت بقايا هذه الشبائيك تحدد الجامع القديم في جدران إيوان القبلة الشرقية والقبليّة والبحرية .

ويشطر الإيوان الشرقى مجاز يتجه مباشرة إلى المحراب ارتفعت عقودده كما ارتفع سقفه عن مستوى ارتفاعات الإيوان . وقد حليت حافات عقودده بآيات من القرآن مكتوبة بالخط الكوفي . كما حليت وجهاً عقودده بزخارف نباتية مورقة .

وعقود هذا المجاز هي الباقية بهذا الإيوان من عقودده القديمة، بينما تغيرت باقي العقود غير مرة . وينتهي هذا المجاز إلى المحراب القديم .

ويعلو هذا المحراب قبة مملوكية ترجع إلى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) حلت محل القبة الفاطمية القديمة . كما كان ينتهى طرفا هذا الإيوان بقبتين غير موجودتين الآن . وليكما استخلصنا وجودهما من أمرين : أحدهما فنى، والآخر تاريخى .

أما الفنى فتصميم جامع الحاكم إذا شتمل على ثلاث قباب . وأما التاريخى فقد أثبت المقرئ نصا تاريخيا كان مكتوبا على القبة التي في الرواق الأول على يمين المحراب والمنبر . وكذلك ما جاء في حجة وقف الحاكم بأمر الله على المسجد بما نصه : ” ما قدر لصيانة القباب فوق السطح “ .

هذا هو وصف جامع المعز لدين الله الذى أنشأه جواهر لسيده وعمل له ثلاثة أبواب في جدرانه القبليّة والبحرية والغربية .

العناية بالجامع وإصلاحه في العصر الفاطمي — لم تمض على الجامع فترة حتى عني بإصلاحه العزيز بالله بن المعز فحدد فيه أشياء لعلها أعمال تكميلية . وحوالي سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) جرده الحاكم بأمر الله، ووقف عليه وعلى جامع المقبس والجامع الحاكمي ودار العلم أعيانا دونها في وقفية كبيرة، خص الأزهر بحصة منها وزعت على مرافقه وشثونه استخلصت منها أنه كان للجامع قباب فوق السطح . وأنه خصص له تتورين وسبعة عشر قنديلا من فضة للاضاءة في شهر رمضان . على أن تعاد لحفظها في مكان خصص لها . وأنه إلى وقت الحاكم كان له صهرج وساقية ولم تعمل له دورة مياه . وقد بقي من عمارة الحاكم بأمر الله باب ذو مصراعين من خشب شوح تركي به حشوات منقوشة . وارتفاعه ٣,٢٠ متر طليه اسم الحاكم، وبه أثر إصلاح ظاهر . ويبدو أن بعض حشواته حديثة الصنع خصوصا الحشوات الخفيفة الحفر . كما يلاحظ فيه انقلاب الحشوات المكتوبة عند إعادة تركيبها . وصحتها : ” مولانا أمير المؤمنين الامام الحاكم بأمر الله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه “ . وهو مودع الآن بدار الآثار العربية .

وكذلك ينسب إلى الحاكم أو إلى العزيز بالله الزخارف والكتابات الكوفية الحصية بمؤخر الإيوان الشرقي من الداخل . وقد طغى عليها التجديد فشوه أكثرها . ومن عني بإصلاحه أيضا الخليفة الفاطمي المستنصر بالله . ولكن لم تحدد ماهية هذه الأعمال . ولكنها لا تعدو أعمالا زخرفية أو تكميلية .

وفي سنة ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) أمر الخليفة الأمر بأحكام الله أن يعمل للجامع محراب من الخشب فعمل . وهو محراب مزخرف بالنقوش بطريقه عمودان رشيقان . وعظمه من خشب قرو تركي وتجويفته من فلق وتواشيعه من خشب حمير والحشوات من خشب نبق . ويعلوه لوح مكتوب فيه بالخط الكوفي :

” بسم الله الرحمن الرحيم حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين . إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا . مما أمر بعمل هذا المحراب المبارك برسم الجامع الأزهر الشريف بالمعزية القاهرة مولانا وسيدنا المنصور أبي علي الامام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ابن الامام المستعلي بالله أمير المؤمنين ابن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين وعلى آبائهم الأئمة الطاهرين بنى الهداة الراشدين وسلم تسليما إلى يوم الدين في شهور سنة تسع عشرة وخمس مائة الحمد لله وحده “ .

بقى الجامع على حالته حتى تراءى للخليفة الحافظ لدين الله على ما أرجح أن يزيد فيه في المدة بين سنى ٥٢٤ - ٥٤٤ هـ (١١٢٩ - ١١٤٩ م) فلم يجد متسعا سوى الصحن . فأضاف إليه رواقا يحيط به من جوانبه الأربعة وقبة على رأس المجاز . حفلت جوانبها وقطبها بالزخارف والكتابات الكوفية . وكلها آيات من القرآن ، منها آية الكرسي ، وآيات من أول سورة يس . ومكتوب أعلى المقرنص : "بسم الله الرحمن الرحيم إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض الى قوله تعالى : أدعوا ربكم تضرعا وخفية " .

وقد حفلت هذه الكتابات بزخارف جميلة . وهى من أرق نماذج الخط الكوفى فى العصر الفاطمى . وتعتبر هذه القبة أقدم قبة نقشت من الداخل . وإن كانت قد سبقتها قبة مشهد الجيوشى بالمقطم إلا أن النقش فيها اقتصر على قطب القبة . فقد كتب فيه "مجد" بشكل زخرفى مكرر . وطريقة إضافة رواق على الصحن هى إحدى التأثيرات التى دخلت الى مصر من بلاد المغرب ، فقد رأيتها فى مساجد عقبة بالقيروان ، والجامع الكبير بسوسة ، والزيتونة بتونس . وتعرف هناك بالمجنبات . وبمناسبة العقود المعروفة بالفارسية حول هذا الصحن وطرزها ، أحب أن أنبه الى خطأ شائع هو أن هذه العقود ظهرت بظهور الدولة الفاطمية بمصر . والحقيقة أن عقود الدولة الفاطمية تقرب من عقود الجامع الطولونى كما هو مشاهد فى عقود المجاز بالجامع الأزهر ، وفى عقود الجامع الحاكمى . وحقيقة كان أول ظهور لهذا العقد فى الدولة الفاطمية ، ولكن فى منتصف حكمها حيث نراه لأول مرة فى قبة بدر الجمالى حوالى سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) . ثم شاع بعد ذلك فى العمار الفاطمية . والآن وقد انتهينا من الأعمال الفاطمية بالأزهر يجدر بنا أن نلقى نظرة على مابقى به من تفاصيل فاطمية . وهذه التفاصيل تنحصر فى :

(أولا) عقود المجاز يجانبه وما اشتملت عليه من زخارف وكتابات كوفية بجافتها . وترجع الى عصر إنشاء الجامع .

(ثانيا) الزخارف والكتابات حول الشبابيك الحصية الباقية فى الجنب القبلى ، وفى أول الجنب الشرقى ، وفى الجنب البحرى . وكلها من عصر إنشاء الجامع وتبين حدوده الأصلية .

(ثالثا) المحراب الكبير بكتابه ونقوشه ، وهو المحراب القديم للمسجد . وقد كان محتجبا لمدة سبعة قرون حتى تم كشفه فى يوم ١٠ أكتوبر سنة ١٩٣٣ ، وقد كان لى شرف اكتشافه . فأزيلت الكسوة الخشبية التى كانت تكسو طاقته فظهرت نقوشه وكتابه . فيقرأ حول العقد من الخارج

بالخط الكوفي المزهر قوله تعالى : " قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون " . وبالعقد الداخلى بالخط الكوفي المزهر الصغير قوله تعالى : " قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين " . وكان بحنية الطاقية زخارف جصية بارزة مذهبة على أرضية خضراء ، تكلت عند تغطيتها بالخشب وبقيت تفاصيلها .

(رابعاً) زخارف وكتابات مؤخر الجامع من الداخل ترجع الى عصر الحاكم بأمر الله لاتفافها مع زخارف الجامع الحاكمى . وقد طنى التجديد عليها . كما طرا تغيير على عقود طرفيه فى عمارة الحافظ لدين الله فقد حوت الى عقود فارسية .

(خامساً) القبة على رأس المجاز وقد احتفظت بنقوشها وكتابات الكوفية . وترجع الى عصر الحافظ لدين الله .

أما الزخارف والكتابات حول الطاقات بوجه عقود الصحن فانها حديثة عملت سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) . كما أن قبة المجاز والعقود حول الصحن أجريت بها إصلاحات كثيرة .

بدء التدريس — كان أول درس ألقى بالجامع الأزهر فى شهر صفر سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م)^(١) إذ جلس على بن النعمان القاضي وأملى مختصر أبيه فى فقه الشيعة . ويعرف هذا المختصر بالاختصار .

وفى سنة ٣٧٨ هـ (٩٨٨ م) طلب الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس من الخليفة العزيز بالله أن يصل رزق جماعة من الفقهاء فقتر لهم مرتبات ، وأعد دارا لسكاهم بجانب الجامع الأزهر . فاذا كان يوم الجمعة حضروا الى الجامع وعقدوا حلقات دروسهم بعد الصلاة الى صلاة العصر . وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلا . كما ألف ابن كلس كتابا فى فقه الطائفة الاسماعيلية كان يجلس لقراءته بنفسه . ولما بنى العزيز بالله مسجده المعروف بجامع الحاكم سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م)^(٢) أذن للفقهاء الموجودين بالجامع الأزهر أن يعقدوا حلقات دروسهم فيه .

الأزهر فى الدولة الأيوبية — لقد أفل نجم الأزهر فى الدولة الأيوبية إذ وجه ملك مصر صلاح الدين يوسف الأيوبى همه الى محاربة الشيعة وموازرة المذهب السنى ، فأبطلت الخطبة^(٣) من الجامع الأزهر عملا بمذهب الشافعى وهو امتناع إقامة خطبتين للجمعة فى بلد واحد اكتفاء

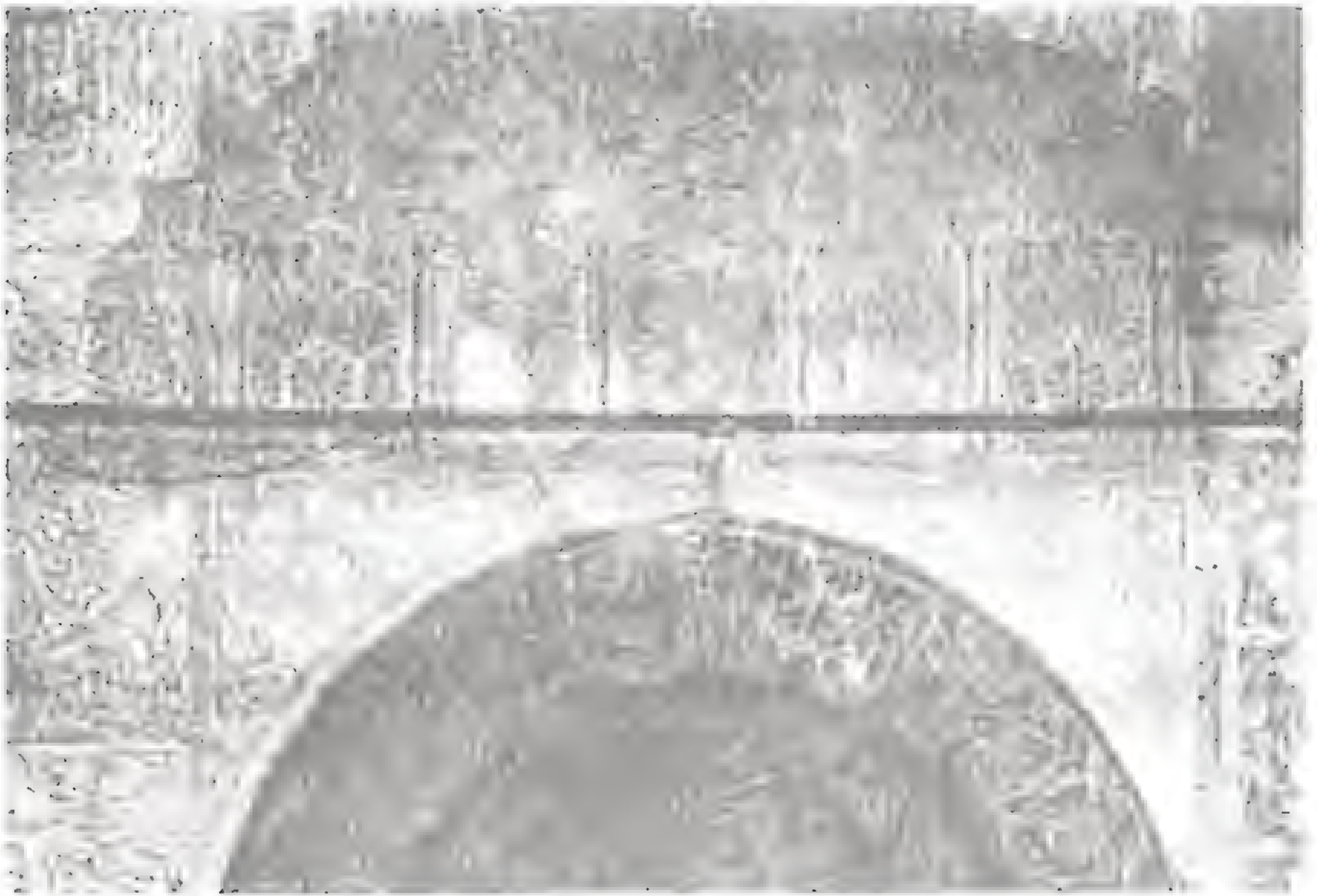
(١) المقرئى ج ٢ ص ٢٤١ (٢) المقرئى ج ٢ ص ٢٧٣ (٣) المقرئى ج ٢ ص ٢٧٧

(٤) المقرئى ج ٢ ص ٢٧٥

الجامع الأزهر

باقامتها بالجامع الحاكمي . وظلت معطلة فيه مائة عام الى أن أعيدت اليه في أيام السلطان الظاهر بيبرس البندقداري .

والذي يسترعى النظر في أخبار هذه الحقبة ما علمناه في حوادث سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م) من أنه كان للجامع زيادة ، لأن المحتسب^(١) هدم في هذه السنة حوائط واصطبلًا كان صدر الدين بن درباس أنشأها في زيادة الجامع الأزهر بجوار داره .



الزخارف الملوكية أعلى المحراب

دولتنا الممالك البحرية والجزراكسة — لقد غنى ملوك وأمراء هاتين الدولتين بالجامع الأزهر وتباروا في إصلاحه والزيادة فيه . ففي يوم الجمعة ١٨ ربيع الأول سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ م) أقيمت فيه صلاة الجمعة ، بسبب أن الأمير عز الدين أيدمر^(٢) الحلبي كان مجاورا للجامع ، فاستأذن السلطان الظاهر بيبرس البندقداري في عمارته فأذن له ، وتبرع له بجملة من المال ، كما أمر بعمل منبر له لم يبق منه إلا لوحته التاريخية المحفوظة بمتحف الجزائر ونصها :

” بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر بعمل هذا المنبر المبارك للجامع الأزهر مولانا السلطان الملك الظاهر المجاهد المرابط المؤيد المنصور ركن الدنيا والدين أبي الفتح بيبرس الصالحى قسيم أمير المؤمنين

(١) السلوك ج ١ ص ١٢١ (٢) المقرئى ج ٢ ص ٢٧٥

الجامع الأزهر

بالديار المصرية أعز الله أنصاره بتاريخ الثالث عشر من ربيع الأول سنة خمس وستين وستمائة من الهجرة النبوية .

وقد تناولت هذه العمارة إصلاح ما وهى من جدرانها ، وتبييضه وتبليطه وبعض إصلاحات أخرى . وقد بقي من هذه العمارة الزخارف الحصية الدقيقة التى تعلو المحراب القديم ، والكسوة الخشبية التى كانت تغطى طاقته بزخارفها .

وقد تبرع الأمير بيليك الخازندار بعمل مقصورة كبيرة ، عين فيها بعض الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الإمام الشافعى ، ومحدثا للحديث النبوى . ومن ذلك الوقت بدأ الأزهر يشارك بقية مدارس مصر والقاهرة فى أداء رسالته العلمية .

وعلى أثر زلزال سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) عنى الأمير سلار بعمارة الجامع . ثم توالى عليه الرعاية والإصلاح . فأصلحه القاضي نجم الدين محمد بن حسين الأسعدى محتسب القاهرة سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٤ م) ، والأمير سعد الدين بشير الجامدار الذى أزال منه الصناديق والخزائن التى كانت تشوهه ، وذلك فى سنة ٧٦١ هـ (١٣٥٩ م) ، وأنشأ سبيلا وكتابا عند الباب القبلى للجامع .

الممالك الجراكسة — لما ولى الأمير الطواشى بهادر مقدم الممالك السلطانية نظر الجامع ، استصدر مرسوما من الملك الظاهر برقوق ، بأن من يموت من مجاورى الأزهر من غير وارث شرعى وترك ثروة ، تؤول ثروته الى مجاورى الجامع . ونقش ذلك على حجر ثبته عند الباب الكبير الغربى .

وقد عثرت على هذا المرسوم وهو منقوش على لوح رخامى ، احتفظت به فى المسجد ونصه :
” بسم الله الرحمن الرحيم رسم بالأمر الشريف السلطانى الملكى الظاهر أبو سعيد برقوق عز نصره أن يكون موجود من يتوفى الى الله تعالى من الفقراء المجاورين وأرباب وظائفه ولم يكن له وارث شرعى يكون لصالح جامع الأزهر بمقتضى العلامة الشريفة بتاريخ سابع شهر ربيع الأول سنة اثنين وتسعين وسبع مائة “ .

وفى سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٧ م) هدمت منارة الجامع وكانت قصيرة ، وبُنيت مكانها منارة جديدة أطول منها ، كان الفراغ من عمارتها فى شهر ربيع الآخر سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٧ م) . وقد بقيت هذه المنارة حتى هدمت فى شهر شوال سنة ٨١٧ هـ (١٤١٤ م) لظهور خلل بها .

(١) المقرئى ج ٢ ص ٢٧٥ (٢) مقدم الممالك : المشرف على منار الممالك وعلى تربيتهم .

ولأجل بناء منارة حجرية أخرى فوق الباب الغربى للجامع ؛ هدم الباب المذكور وأعيد بناؤه بالجمر ، وأقيمت المنارة الجديدة فوق عقده ^(١) . غير أن هذه المنارة أيضا لم تعمر كثيرا فهدمت سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م) لظهور خلل بها وأعيد بناؤها .

وهنا نلاحظ أنه لم يرد ضمن العمارات التى أجريت بالجامع منذ العصر الفاطمى حتى سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٧ م) ، عمل ترميم أو إصلاح فى منارته ، مما يعزز وجود منارته القديمة دون أن يؤثر عليها زلزال سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) لأنها كانت خفيفة وقصيرة كما قيل فى وصفها .

وكذلك أكدت الحوادث أنها كانت فوق الباب (الغربى) للجامع شأن المنارات الفاطمية ، وهو الباب الذى جرده السلطان قايتباى وأقام منارته بجواره ^(٢) .

وفى شهر شوال سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م) شرع الملك الأشرف برسباى ^(٣) فى عمل صهرىج بالصحن تم بناؤه فى صفر سنة ٨٢٨ هـ (١٤٢٥ م) . وهذه العملية أظهرت آثار فسقية كانت بالصحن . وأهم العمارات التى أجريت فى دولة المماليك الجراكسة العارة التى أجراها السلطان قايتباى سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) ، فقد هدم باب الكير الغربى وهو الباب القديم للجامع الذى كانت تعلوه المنارة ، وجرده على ما هو عليه الآن ، وأقام على يمينه منارة رشيقة .

وهذا الباب والمنارة من طرف العارة الاسلامية ، فقد حفل الباب بنقوش وكتابات كوفية مزخرفة نصها : ” بسم الله الرحمن الرحيم . وسبق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا . الى قوله تعالى فادخلوها خالدين “ . والخط الكوفى بهذه القاعدة نادر جدا فى أبواب هذا العصر .

وكذلك حفلت المنارة بنقوش وكتابات نسخية وكوفية ، وهى مكونة من ثلاث دورات ، وأمتازت بدقة الصناعة وجمال التناسب .

وفى سنة ٨٨١ هـ (١٤٧٦ م) زار السلطان قايتباى الجامع الأزهر ^(٤) ، وأمر بالسير فى ترميمه وإصلاحه ، كما أمر بهدم الخلوات التى كانت بالسطح ، وتجديد دورة المياه .

وفى سنة ٩٠٠ هـ (١٤٩٥ م) أذن السلطان قايتباى ^(٥) للخوaja مصطفى بن الخوaja رستم ، بإجراء إصلاحات بالجامع وعمل مقصورة خشبية على وجه الإيوانات الثلاث حول الصحن ، وأثبت هذه العارة فى لوحة تاريخية مكتوب فيها :

(١) المقرئى ج ٢ ص ٢٧٦ (٢) الفرو اللامع ج ٦ ص ٢٠٩ (٣) النجوم الزاهرة ج ٦ قسم ٢ ص ٥٨٠ (٤) ابن إياس ج ٢ ص ١٦٩ (٥) ابن إياس ج ٢ ص ٢٨٥

” أمر بتجديد هذا الجامع سيدنا ومولانا السلطان الملك الأشرف قايتباي على يد الخوaja مصطفى بن الخوaja محمود بن الخوaja رستم غفر الله لهم بتاريخ شهر رجب عام إحدى وتسعمائة “ .



قطاع رأسى

وفي سنة ٩١٥ هـ (١٥١٠ م) أمر السلطان قانصوه الغورى ببناء منارة للجامع ، تلك المنارة الضخمة ذات الرأس المزدوجة . ودى منارة عالية امتازت بتليس القاشانى ببدن دورتها الثانية . كما امتازت بوجود سلمين فيما بين دورتيها الأولى والثانية لا يرى الصاعد فى أحدهما الآخر . وهى إحدى النكت الفنية فى العمارة الإسلامية .

ولهذا السلم مثلان آخران أحدهما فى منارة قوصون والآخر فى منارة أزبك اليوسفى . وإذا قد انتهينا من أعمال الاصلاح فى الأزهر الى نهاية دولة المماليك الجراكسة ، فنورد المنشآت التى أضيفت اليه ، ثم نتبعها بالاصلاحات التى عملت فى العصر العثمانى لأنها تشملها أيضا .

المدرسة الطبرسية — هذه المدرسة على يمين الداخل الى الجامع الأزهر ، أنشأها الأمير علاء الدين طبرس الخازندارى ، نقيب الجيوش فى دولة الناصر محمد بن قلاوون ، وجعلها مسجدا

لله تعالى زيادة في الجامع الأزهر ، وقدر بها دروسا للفقهاء الشافعية ، وألحق بها مiazza وحوضا لشرب الدواب . وانهت عمارتها سنة ٧٠٩هـ (١٣٠٩ م) .

ويقتر المقريزي أن الأمير طيرس غنى برخامها وتذهب سقوفها، بدرجة أن أحدا لا يمكنه محاكاة ما فيها من صناعة الرخام، فإن جميعه أشكال محاريب . وألحق بها مكتبة .

وهذا الوصف كشف لنا عن عبقرية المقريزي في الناحية الفنية، فإن صناعة الرخام في محراب هذه المدرسة، من أدق ما وجد من نوعها وأندر، فالجزء الأسفل منه مكون من طاقات مقرنصة، محمولة على عمد رخامية صغيرة، لها تيجان رخامية أيضا . وتواشيجها من رخام مدقوق به فروع زخرفية بارزة، وباقي المحراب من رخام أبيض لبست فيه ألوان الرخام بأشكال زخرفية ، وحليت تواشيعه وأعلاه بنسفساء مذهبة . وهو محراب قيم لم يبق منها سواه والوزرة بجانيه . كما بقيت شبابيكها النحاسية المفرغة بأشكال هندسية . وتعتبر ثاني أنموذج من النحاس المصبوب، إذ الأول في شبابيك قبة الصالح نجم الدين .

وقد اشتهر الأمير طيرس بحسن السيرة ، وبقي في نقابة الجليش الى أن توفي في ٢٠ ربيع الآخر سنة ٧١٩هـ (١٣١٩ م) ودفن في مكان بمدرسته باق حتى الآن، وعليه قبة بسيطة .

ومما يؤثر عنه أنه لما فرغ من بناء هذه المدرسة، أحضر اليه المشرفون على عمارتها حساب مصروفها، فلما قدم اليه استدعى طستا فيه ماء وغسل أوراق الحساب كلها، من غير أن يقف على شيء منها، وقال : شيء خرجنا منه لله تعالى لا نحاسب عليه .

وهذا يذكرني بما فعلته السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد حينما عرضت عليها مصاريف عين الماء التي أجرتها الى مكة ، إذ أخذت الدفاتر وألقت بها في النهر ، وقالت : تركنا الحساب ليوم الحساب^(٢) . وبما فعله السلطان أبو الحسن، أحد ملوك المغرب ، لما فرغ من بناء مدرسته بمكاسة الزيتون، فانه جلس على كرسي أمام صهر يجها ، وجيء بالحساب المتضمن نفقات البناء، ففرقه في الماء دون أن يطلع عليه^(٣) .

المدرسة الأقبغاوية : هذه المدرسة على يسار الداخل الى الجامع ، وبها الآن مكتبة الأزهر، أنشأها الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد، أستاذ الملك الناصر محمد بن قلاوون، سنة ٧٤٠هـ (١٣٤٠ م) . وعهد بإنشائها الى ابن السيوف، رئيس المهندسين في أيام الناصر محمد بن قلاوون .

(١) المقريزي ج ٢ ص ٢٨٣ (٢) نزهة الجليس ج ١ ص ٢٠

(٣) الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى ج ٢ ص ٨٧

والباقي من قديمها الآن مدخلها ووجهة القبة ومحرابها، ومحراب المدرسة والمنارة، وقد أكلت إدارة حفظ الآثار العربية قمة المنارة سنة ١٩٤٥، وهذه البقايا تدل على أنها كانت مدرسة حافلة بشتى الصناعات، بلجمال بابها بعمده ونقوشه، ودقة رخامها والفسيفساء المذهبة بمحاريبها. ومكتوب على بابها تاريخ البدء في عمارتها بما نصه :

” بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المقتر الأشرف العالي السيفي أقبغا الأوحدي أستاذ الأدر العالية الملكي الناصري . وكان ابتداء العمل المبارك في شهور سنة تسع وثلاثين وسبعائة “ .

ومكتوب بداخل القبة وعلى المنارة تاريخ الفراغ منها سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م) .

واختيار هذين الأميرين لإنشاء مدرستيهما لصق الوجهة الرئيسية للجامع، يجعلني أميل الى أنها كانت في منتهى البساطة . ولم تكن أكثر من سور به شبابيك علوية، ثم شرفة كما نرى في الجامع الطولوني .

المدرسة الجوهريّة : هذه المدرسة في الطرف الشرقى البحرى عند باب السر للجامع الأزهر، أنشأها الأمير جوهري القنقباي، خازن دار الملك الأشرف برسباي . وكان إنشاؤه لها في سنه الأخيرة . ولما توفي سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م) دفن في المدرسة . وهي مدرسة صغيرة، ولكنها اشتملت على جميع تفاصيل المدرسة، لاشتمالها على أربعة إيوانات يتوسطها صحن مفروش بالرخام الملون، كما كانت الإيوانات مفروشة بالرخام الدقيق الملون مثل الإيوان القبلي .

وقد حرص مهندسها على المضاهاة؛ فلم يترك بابا ولا دولابا إلا فتح أمامه ما يضاهيه . وبها شبابيك جصية ملونة، كما غنى بتطعيم نجارة الدواليب والأبواب بالسن .

أما ضلف الشبابيك فقد حليت بزخارف حفرت في وجهها، تقليدا لأبواب المدرسة الظاهرية .

وفي الطرف القبلي الغربى قبة صغيرة حجرية، لعلها أصغر قبة في الآثار الإسلامية بمصر بعد قبة المدرسة القاصدية، فرشت أرضيتها بالرخام على شكل محراب، ويتوسطها قبر المنشئ، وقد حلى سطح القبة بزخارف مورقة تعتبر من بواكير زخرفة القباب .

العصر العثماني : كان للأزهر نصيب كبير من ولاية مصر وأعيانها في العصر العثماني، فقد أجريت به أعمال ترميمية ووقفت عليه أوقاف كثيرة . فقد قام بممارته سنة ١٠٠٤ هـ (١٥٩٥ م) والى مصر السيد محمد باشا^(٣) .

(١) خازن دار : وظيفته الإشراف على خزينة الملك أو الأمير . (٢) الضور اللامع للسقاوى ج ٣ ص ٨٢

(٣) الروضة المأنوسة .

وفي سنة ١٠١٤ هـ (١٦٠٥ م) أجرى به الوزير حسن باشا والى مصر إصلاحات ، وعمر رواق الحنيفة^(١) . وكذلك أصلح سقفه الأمير إسماعيل بك بن ايواظ بك القاسمي المتوفى سنة ١١٣٦ هـ (١٧٢٣ م)^(٢) .

وفي سنة ١١٤٨ هـ (١٧٣٥ م) أنشأ الأمير عثمان كتنخدا زاوية للعلميان خارج الأزهر . وقد هدمت أخيرا . وعمر رواق الأتراك ورواق السليمانية (الأفغانيين) وزاد في رواق الشوام ورتب لذلك مقررات^(٣) خيرية .

وفي سنة ١١٦٣ هـ (١٧٤٩ م) أهداه منولين الوزير أحمد باشا كور والى مصر ما زالتا به . وإحداهما مركبة في الوجهة الغربية للصحن ، ومكتوب عليها :

مزولة متقنة * نظيرها لا يوجد

راسمها حاسبها * هذا الوزير الأجد

تاريخها أتقنها * وزير مصر أحمد

سنة ١١٦٣ هـ

وكانت أكبر عمارة أجريت به تلك التي قام بها الأمير عبد الرحمن كتنخدا سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م) ، فقد زاد في الجامع الأزهر مساحة كبيرة ، بإضافة الأروقة خلف المحراب القديم . وقد جدد لها الحديدو توفيق باشا سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) . وبقي بها محراب من الرخام الدقيق على يساره قطعة مئنة من الرخام مكتوب فيها بالكوفي المربع الله عهد وأسماء العشرة المبشرين بالجنة . وفوق المحراب قبة ، ويجواره منبر خشبي . ويجاور هذا المحراب محراب آخر صغير عرف بمحراب الدردير ، بالقرب منه محراب حديث ، أحدثته إدارة حفظ الآثار العربية لترتيب الكسوة الخشبية التي كانت تغطي المحراب القديم .

وفي النهاية القبلية لهذا الإيوان يوجد باب يؤدي إلى قبة أنشأها الأمير عبد الرحمن كتنخدا . ودفن فيها سنة ١١٩٠ هـ (١٧٧٦ م) . وأمامها سبيل ، ثم باب الصعايدة الذي أنشأه ، وأنشأ منارة بجواره ، ثم أنشأ باب الشورية في الطرف الشرقى البحرى ، وأنشأ منارة بجواره .

ومن أعماله بالجامع أيضا تجديد وجهة المدرسة الطيرسية ، وأبقى بها شبابيكها . النحاسية ودائرة من القاشاني بها : " الملك لله وحده " . وأنشأ الباب الغربى الكبير الرئيسى للأزهر . وهو على بكتابات وزخارف دقيقة في الحجر والرخام يسترعى النظر فيها براعة الخطاط في كتابة " الصلاة عماد الدين

(١) الروضة المأنوسة . (٢) الخطط الجديدة ج ٤ ص ١٢ ، الجبرق ج ١ ص ١١٤

(٣) الجبرق ج ١ ص ١٦٨ ، الأزهر للأستاذ محب الدين الخطيب ص ٢٠

عجلوا بالصلاة قبل الفوت " بشكل زعرقي نادر، وكان يملوه كتاب ويحاوره منارة . وبهذا الباب ضمت المدرستان الطبرسية والأقبغاوية إلى الأزهر . وقد هدم الكتاب والمنارة وفكت مباني الباب وأعيد بناؤه في سنة ١٨٩٦ م ، عند توسعة الشارع وبناء الرواق العباسي .

وألحقت بالجامع عدة أروقة للذاهب ، ولأهالي البلاد الإسلامية والبلاد المصرية ، رصدت عليها عدة أوقاف من أمراء مصر وسراتها .

أثر البيت العلوي في الجامع الأزهر — للأسرة الملكية على هذا المعهد مآثر جليلة وأياد بيضاء . ولا يسعني قبل أن أمضي في الحديث إلا أن أسجل لأmirات هذا البيت الكريم ما أسديته من الخير للأزهر ، فقد وقفت عليه المرحومة الأميرة زينب هانم ، كريمة المغفور له محمد علي باشا ، أوقافا كثيرة تبلغ عشرين ألف جنيه .

ووقفت المرحومة الأميرة جميلة هانم ، كريمة المغفور له إسماعيل باشا ، أوقافا عظيمة . ولقد مضى على تأسيس الجامع الأزهر ألف سنة ، كان فيها وضع رعاية ملوك مصر وأمرائها ، ولكنهم لا تعدوا المنن الفردية ، أما البيت العلوي الكريم فقد نتابعت مآثره على هذا الجامع العظيم منذ حوالي ١٤٥ سنة .

المغفور له محمد علي باشا — من مآثره أنه في سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) أجرى إصلاحات بالأزهر ، وأنشأ به رواق السنارية بالتماس الشيخ محمد وداعة السناري^(٢) .

وكان موضع رواق الحنفية بيوت مملوكة لأصحابها اشتراها المرحوم عباس باشا الأول ، وأمر بهدمها كي يبنها رواقا لأهل بلد الشيخ إبراهيم البيجوري شيخ الأزهر ، فوافقه المنية قبل إتمام هذا العمل ، فآتمه المغفور له السيد أبو بكر راتب باشا .

المغفور له سعيد باشا — ولي مصر سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٤ م) . وفي عصره عمر الأزهر عمارة حسنة .

المغفور له إسماعيل باشا — أمر بتجديد باب الصعايدة ، الموجود بالنهاية القبلية الشرقية . فحذده أدهم باشا ناظر الأوقاف سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) ونقش عليه أربعة أبيات من الشعر تضمنت اسمه ، ونصها :

الجامع الأزهر

باليمن أقبل باب سعد الأزهر * وسمت محاسنه بأعجب منظر
وغدا مجازا للحقيقة بالهدى * موصول مورده جميل المصدر
باب شريف للنجاح مجرب * انشاؤه نادى بنخير الأعصر
في دولة اسماعيل داور عصرنا * يمت يسر كمال باب الأزهر

المغفور له محمد توفيق باشا — كانت عنايته بالأزهر كبيرة، ففي سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) عني بتجديد إيوان عبد الرحمن كنتخدا، وقسم كبير من الإيوان الشرق القديم، ورواق الصعايدة ورواق الحرمين، والعقود حول الصحن وإعادة زخارفها وترميمها .

وفي سنة ١٨٩٠ جددت عقود وأكتاف مؤخر الإيوان الغربي، بكتابات الكوفية وزخارفه، وعمرت القبة الفاطمية برأس المجاز .

المغفور له الحاج عباس حلمي الثاني — ولما ولي الخديو عباس حلمي باشا الثاني، كانت أعمال الإصلاح جارية في عقود صحن الجامع، فأدى فيه فريضة الجمعة، في شهر جمادى الأولى سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) . وأمر بالسير في تميم العمارة، كما أمر بإصلاح الجوايز الخشبية، وكتب عليها أنها جددت في عصره سنة ١٣١٠ هـ .

مكتبة الأزهر — وأصدر الخديو عباس حلمي الثاني أمره في سنة ١٣١٤ (١٨٩٦ م) بإنشاء مكتبة الأزهر، فاخترت لها المدرسة الأقبغاوية . فأصابت وجمعت الكتب من بعض أروقة الأزهر وغيرها وأودعت بها، وبلغت نفقاتها ١٦٠٠ جنيه . شملت العمارة وعمل الدوايب . كما اتخذت بقايا المدرسة الطيرسية ملحقا لها . وما زال لبغض الأروقة مكتبات خاصة تحوى كتباً نادرة .

وبمناسبة مكتبة الأزهر أذكر أنها لازمت منذ إنشائه، وكانت أمانتها من الوظائف الكبيرة، ففي سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) تولى أمانتها مع خطابة الجامع أبو الفخر صالح^(١) .

وكان موضعها في القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) بجوار المنبر، فقد جاء في وقف كتاب تنبيه الأنام في بيان علو مقام نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام من محفوظات خزنة رواق الصعايدة أنه جعل مقرة بخلوة الجامع الأزهر المعروفة بخزانة الكتب بجوار المنبر .

(١) أخبار مصر، لابن ميسر ص ٦٤

ولا شك أن هذه الخزانة بقيت إلى سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م)، حتى هدمها الأمير عبد الرحمن كتنخدا وأدخلها في زيادته . فتفرقت الكتب في الأروقة ، وأودع بمضها في جامع الفاكهاني وجامع العيسني .

ولما أنشئت هذه المكتبة ، جمعت فيها الكتب المبعثرة ، ثم أهديت إليها مكبات أهمها مكتبة المرحوم سليمان باشا أباطه وبها نوادر قيمة، كما أهديت إليها مكبات المرحومين أحمد باشا راشد ومختار باشا الغازي، وكثير من أجلة مشايخ الأزهر وعلمائه .

وقد بلغت مجلداتها نحو مائة ألف مجلد . بينها نوادر اقردت بها عن كثير من المكتبات . كما يوجد بها مصاحف وربعات ملوكية، إحداها باسم الناصر محمد بن قلاوون، مودعة في صندوق خاص بها مكفت بالفضة مكتوب عليه اسم صانعه بما نصه : ” من صنعة أحمد بن أبارة الموصل في شهور سنة ثلاث وعشرين وسبعائة “ . وقد أضيفت إليها أخيرا مجموعة الرقوق المكتوبة بالخط الكوفي والمغربى وهى بقية عدة مصاحف كانت موقوفة على الأزهر . ثم أودعت في صندوق كان على يمين المحراب القديم، حيث حوله عدة أقاصيص؛ إلى أن فتح في ١٠ أبريل سنة ١٩٣٤ وأحدها وقفته السيدة زهرا بنت فايق مولات على بن المبارك التبتى على جامع القاهرة المنصورة .

وفي عهد الخديو عباس حلمى الثانى جددت الواجهة الغربية للجامع الأزهر بما فيها الباب الغربى الكبير وأنشئ الرواق العباسى واحتفل بفتاحه في ٢٤ شوال سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٨ م) .

المغفور له الملك فؤاد الأول — كان عصر المغفور له الملك فؤاد على الأزهر عصر خير وبركة، فقد اكتشف في عصره المحراب الفاطمى القديم، وأصلحت وكملت زخارفه، والزخارف الحصية بالإيوان الشرقى .

وقد أصدر جلالة القانون رقم ٤٦ لسنة ١٩٣٠ للأزهر وكان من أكبر مزاياه إنشاء كليات أصول الدين والشريعة واللغة العربية . فافتتح رحمه الله كلية أصول الدين في ٢٨ مارس سنة ١٩٣٣ ، وكليتى الشريعة واللغة العربية في ٢٩ مارس سنة ١٩٣٣ ، وقد تم في عصره إنشاء مساكن الطلبة والإدارة العامة للعهاد الدينية .

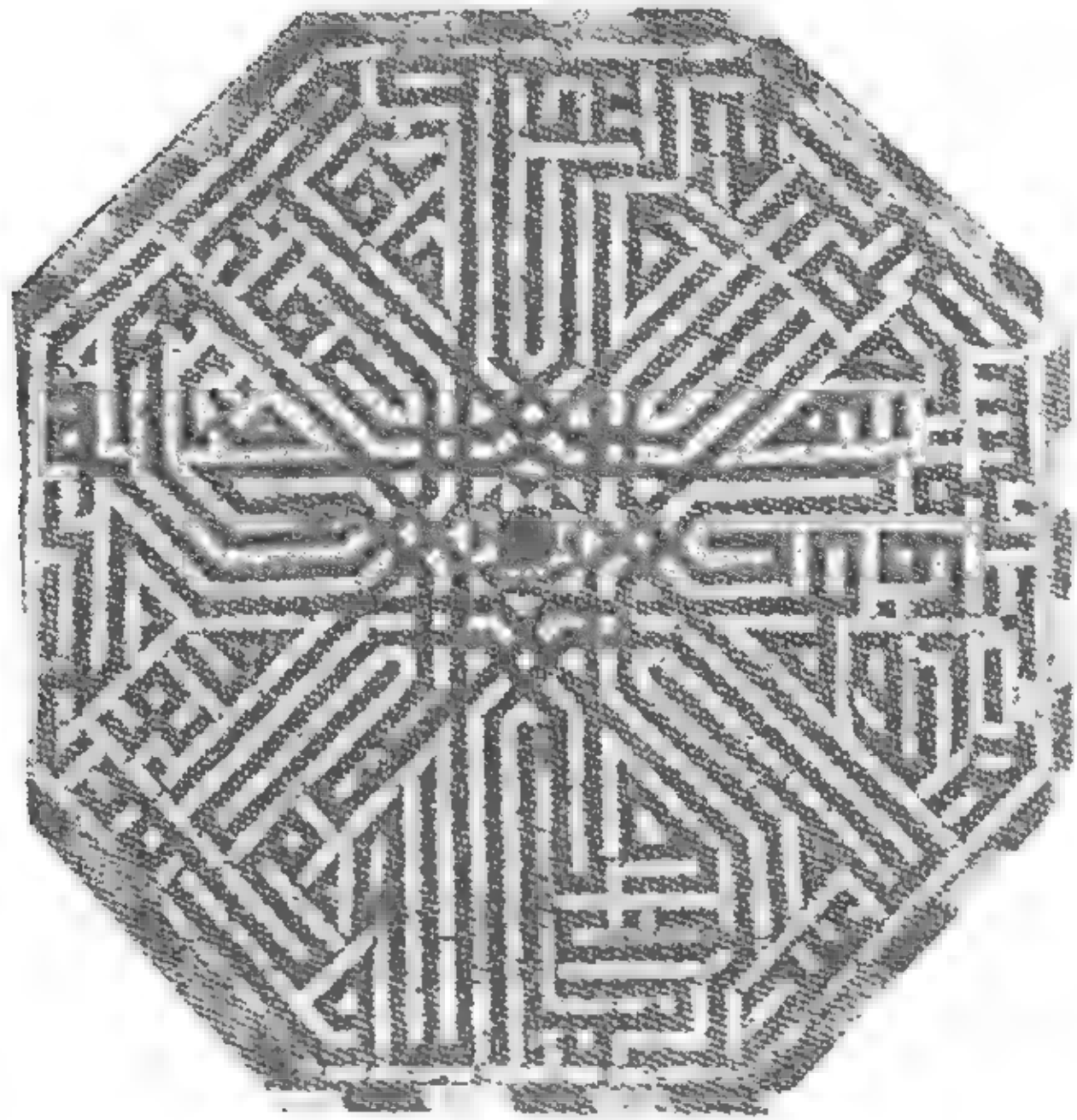
جلالة الملك فاروق الأول — لقد تابع جلالة الملك بخطوات والده ، فعنى بالأزهر وعلمائه فقترهم منه وأستن سنة حسنة باستماعه الى الدرس الدينى من المغفور له الأستاذ الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى . وتشريفه الاحتفال بأول العام الهجرى فيه وهو إحدى حسناته .

وفى عهده الزاهر أصاحت قمة منارتى الأقبغاوية وقايتباى ، وفرشت جميع أراضيه بالرخام تنفيذا لرغبته السامية .

وكذلك أمر بفرشه بالسجاد الفاخر على نفقة جلالته الخاصة ، فنفذت إرادته وتم عمل السجاد الذى بلغ مقاسه ٣٨٩٣ مترا وعدد قطعه ١٩٣ ، بلغت قيمتها ٧٠٠٠ جنيه .

ولإنها لمبة كبرى يذكرها العالم الاسلامى بجلالة الفاروق بالحمد والثناء ، وقد أتمت وزارة الأشغال إعداد مشروعات بناء الكليات وأقسام التخصص والتعليم الابتدائى والثانوى ، وقاعات المحاضرات العامة والمستشفى ودار الكتب حول الجامع الأزهر ، وستنفذ قريبا فى عهده السعيد إن شاء الله .

وفى يوم الجمعة ٧ صفر سنة ١٣٦٥ أدى فيه حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول فريضة الجمعة ومعه ضيفه العظيم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، ولعمري إنه خير تكريم للجامع الأزهر بل هو عيد ألفى له . فقد ألقى فى شهر صفر من سنة ٣٦٥ هـ أى منذ ألف سنة أول درس فى هذا المعهد الإسلامى الذى حفل تاريخه بشتى الذكريات .



العشرة المبشرون بالجنة

الجامع العتيق

بأسنا^(٥)

أسنا — وصفها مؤرخو القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) بأنها بلدة كبيرة حسنة العمارة كثيرة العمران ، بها ما يقرب من ثلاثة عشر ألف منزل ، وبها مدرستان إحداهما للشافعية^(١) أنشأها الأمير أيك بن عبدالله الصالحى التجمي المتوفى سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) وحمامان وأسواق ، وكان بها أسر كبيرة اشتهرت بالعلم والفضائل^(٢) ، حتى قيل إنه كان بها فى وقت واحد سبعون شاعرا ، وإليها ينتسب عدد كبير من العلماء والفضلاء منهم بنو السديد ، وبنو الخطيب ، وبنو أشواق ، وبنو النضر ، وابن الحاجب النحوى .

وكانت مركزا تجاريا لشقى السلع^(٣) ، وفى كل سنة ترد عليها قافلة من سنار ، حاملة تجارات تلك البلاد من الصمغ والريش وسنّ الفيل .

وقد عني بها المغفور له محمد على باشا فيسرها أعمال الرى ، كما أنشأ بها قصراله فى سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦ م) . وأنشأ بها مصنعا لنسج القطن ما زال موجودا حتى الآن ، وثكنات للجيش .

ومن أهم مساجدها الجامع العتيق ، ويعرف أيضا بالعمري ، وهى التسمية التى أطلقت على جميع المساجد القديمة بالأقاليم .

المنشئ — منشئ هذا الجامع هو الوزير الخطير بدر الجمالى . كان مملوكا أرمنيا لجمال الدولة ابن عمار ، فلذلك عرف بالجمالى . تنقل فى الوظائف حتى ولى إمارة دمشق من قبل المستنصر بالله سنة ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م) . ثم وليها ثانيا فى سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) . فبلغه قتل ولده شعبان فى عسقلان بفرج فى شهر رمضان سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ م) . فنار عليه العسكر وأخربوا قصره . ثم تقلد نيابة عكا .

ولما ضعفت حالة المستنصر بالله بمصر واختات دولته ، استدعى بدرا الجمالى على أن يتولى أمورها ، فعرض عليه شروطا كثيرة أجابه إليها . وقدم مصر فى سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م) . فولاه شؤون مصر ، وخلع عليه الطيلسان ، وزاد فى ألقابه ، كافل قضاة المسلمين ، فأصلح الدولة وساس أمورها أحسن سياسة .

وكان وزير السيف والقلم ، وهو الحاكم فى دولته . ومن محاسنه أنه أباح الأرض للزارعين ثلاث سنوات ، حتى عم الرخاء ومكث فى الوزارة إحدى وعشرين سنة ، الى أن توفى فى ربيع الأول ،

(٥) انظر الصور من رقم ٢٩ — ٣٠ بمجموعة الصور التوثيقية .

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ٢١٥ (٢) معجم البلدان ج ١ ص ٢٤٥ ، الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء .

والرواة بأمل الصعيد ص ١٦ (٣) الخطط الجديدة ج ٨ ص ٦١ و ٦٤

وقيل في جمادى الأولى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) على ما رواه المقرئى وابن الوردى وابن ميسر وأبو الفدا . وذهب ابن خلكان الى أن وفاته كانت سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) ، ودفن في قبة أعدّها لنفسه خارج باب النصر ، وأرجح أنها هي الموجودة الآن هناك ، والمعروفة بقبة الشيخ يونس . وكان مغرماً بالعمارة . بحدّد جامع العطارين بالأسكندرية ، وسور القاهرة الثانى ، وأنشأ أبواب النصر والفتوح وزويلة ، ومشهد الجيوشى^(٢) ، ومشهد الرأس بعسقلان وجامع المقياس ، وعمارة الجامع الطولونى والمشهد النفيسى ، ومسجد النمرى بالمحلة الكبرى ، ثم هذا الجامع .



لوحة تاريخية

وكان الشروع في بناء هذا الجامع في النصف من شهر ذى الحجة سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧٧ م) . والفراغ من عمل سقوفه سنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) بإشراف القاضى أبى الحسين على بن أحمد ابن محمد بن النضر . وكلت منارته سنة ٤٧٤ هـ (١٠٨١ م) بأمر الأجل المنتخب نحر الملك سعد الدولة أبى منصور سارتكين الجيوشى .

(١) أبو الفدا ، ج ٢ ص ٢٠٥ ، وابن ميسر ، ص ٣٠ ، ٣١ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٣١٣

(٢) وينسب هذا المشهد أيضا الى ابنه الأفضل شاهنشاه .

وقد جدد المسجد وبنيت وجهاته وعقوده بالطوب ، كما بنيت أبوابه ومحاريبه بالطوب الملوّن ، وكتب على بابه القبلي : "جُدد في شهر رجب سنة ١٢٩٥ هـ" . كما توجد به منزولة مؤرخة سنة ١٢٨٧ هـ من حساب خليل أفندي إبراهيم مهندس الخريطة الفلكية ، وقد بقي من المسجد القديم اللوحة التذكارية لإنشائه ، مكتوبة بالخط الكوفي ومثبتة على يمين المحراب ونصها :

"بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين صلوات الله وبركاته على مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين أمر بعمارة هذا الجامع المبارك السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام أبو النجم بدر المستنصرى أدام الله قدرته وأعلى كلمته القاضي أبا الحسين علي بن أحمد بن محمد بن النضر فأسس في النصف من ذى الحجة سنة تسع وستين وأربع مائة وسقف في النصف من شهر ربيع الأول سنة سبعين وأربع مائة وفقه الله لمرضاته وأمانه على طاعته كما يصرف اهتمامه الى عمارته " .

وبمناسبة تضمين هذا النص اسم ابن النضر أذكر ما كتبه الأديب عن هذه الأسرة وعن الجامع قال :
 "وبنو النضر رؤساء أعيان وهم الذين بنوا جامع الخطبة بإسنا بعد العشرين وأربعمائة . وبني الزيادة التي فيه علي بن محمد منهم في سنة تسع وخمسين وأربعمائة . وكان إذ ذاك ناظر الأحباس بالأعمال القوصية " .

وأهم ما بقي من المسجد منارته القديمة الواقعة في الركن الغربي القبلي ، وهي مبنية بالطوب . وقد طرأ على قاعدتها تغير بسيط ، وهي محتفظة بجميع تفاصيلها ، وتعتبر على ما أرجح أقدم نموذج مؤرخ كامل للمنارات الإسلامية بمصر ، وعلى متوالها أنشئت المنارات في الوجه القبلي . كما بقيت اللوحة التذكارية لإنشائها ، وهي مثبتة على يسار المحراب مكتوبة بالخط الكوفي ونصها :
 (٢)

"بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين . هذا مما أمر بإنشاء هذه المأذنة الأجل المنتخب نحر الملك سعد الدولة تاج المعالي ذو العزین حسام أمير المؤمنين أبو منصور سار تكين الجوشي نصره الله وظفره ووفقه وأحسن عونه في شهور سنة أربع وسبعين وأربعمائة ابتغاء مرضاة الله تعالى وثوابه ورجاء الدار الآخرة والأمن من عقابه رحمه الله تعالى وحشره مع موالیه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ورحم من رحم عليهم آمين يارب العالمين " .

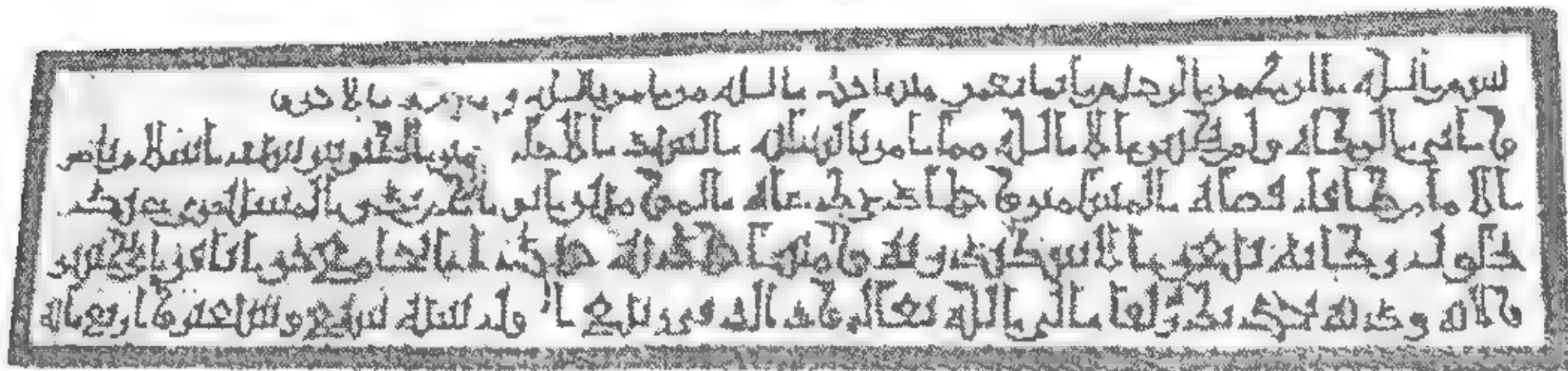
مسجد العطارين

(*)
بشارع جامع العطارين

هذا المسجد من أقدم مساجد الإسكندرية ، وكان قائما في سوق العطارين فعرف به ،
غير أن عوادي الزمن اعتدت عليه فخرّبه .

وفي سنة ٤٧٧ هـ (١٠٨٤ م) زار بدر الجمالي وزير الخليفة الفاطمي المستنصر بالله مدينة
الإسكندرية ، في طلب ابنه الأوحى الذي خرج عليه . فرأى هذا الجامع خرابا فأمر بتجديده ،
وأشار إلى ذلك في لوحة تاريخية لم يبق سواها من المسجد القديم ، ونصها :

” بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة
وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله مما أمر بإنشائه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر
الامام كافل قضية المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصرى عند حلول ركابه
بشعر الإسكندرية ومشاهدته هذا الجامع خرابا فرأى بحسن ولائه ودينه تجديده زلفا إلى الله تعالى
وذلك في ربيع الأول سنة سبع وسبعين وأربع مائة “ .



لوحة تاريخية

وقد ثبتت هذه اللوحة في قاعدة المنارة على يسار الداخل من الباب البحرى الشرقى . ولما
كان هذا المسجد حرما كبيرا لمدينة الإسكندرية ، ومن أكبر مساجدها ، فقد نقل ملك مصر
صلاح الدين يوسف الخطبة منه إلى مسجده^(٢) الذى أنشأه بالإسكندرية سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م)^(٣) ،
عملا بنخطته في مكافئة الفاطميين .

(*) انظر الصورة رقم ٣١ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) تاريخ مصر لابن ميسر ، ص ٢٦ و ٢٧ . (٢) ابن ميسر ، ص ٢٦ و ٢٧ . (٣) السلوك ، ج ١ ص ٧٦ .

وقد كان هذا الجامع مركزاً ثقافياً عرف بالجامع الجيوشي، وجامع العطارين . قام بالتدريس فيه أجلة العلماء؛ منهم الولي الصالح أبو العباس المرسى، فقد تولى التدريس فيه عقب الإذن له من شيخه أبي الحسن الشاذلي^(١).

ومن تولى التدريس فيه قاضي قضاة الاسكندرية أحمد بن أبي المعالي محمد ناصر الدين أبو العباس ابن المنير^(٢) المتوفى سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) . والعلامة إبراهيم بن محمد بن عبد الواحد بن وثيق^(٣)، وقد تلقى عليه به المكين الأسمر^(٤) شيخ القراء بالاسكندرية . ومن تولى التدريس فيه العلامة أبو محمد^(٥) الصعيدي شيخ القراء بالاسكندرية .

وكذلك تولى التدريس فيه العلامة محمد بن سليمان بن أحمد الصنهاجي المراكشي، واتخذ مسكناً له إلى أن توفي سنة ٧١٧ هـ (١٣١٧ م) ودفن فيه . وهو الذي عليه قبة المسجد الحالية .

وفي سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) أمر بتجديده على ما هو عليه الآن المغفور له الخديو عباس باشا حلمي الثاني . ولهذا المسجد منارة حجرية رشيقة، وبنيت وجهاته بالحجر، وحليت أبوابه بالمقرنصات والكتابات .

ويشتمل داخله على خمسة أروقة، وقد نقش المحراب بالبوابة تقليداً للرخام، يجاوره منبر بسيط، وفي الطرف البحري الشرقى قبة أقيم على وجهها حجاب من خشب الخرط، وفي مؤخره دكة المبلغ تشغل الجدار الغربي، وتعرف في الاسكندرية بالصندرة .

(١) دوة الأسرار، ص ١٨٢ (٢) بنية الوعاة ص ١٦٨ (٣) طبقات القراء، ج ١ ص ٢٥

(٤) ابن وثيق توفي سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) . والمكين الأسمر هو عبد الله بن منصور الإسكندري المتوفى بها

سنة ٦٩٢ هـ (١٢٩٢ م) وقبره بجوار مسجد ياقوت العرشي . . (٥) طبقات القراء، ج ١ ص ٤٠٠ — ٤٠١

(٦) ترجمه ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة وقال عنه : تزيل الاسكندرية وذكر وفاته دون محل دفنه . وقد ذكر

حضرة الأستاذ بشير الشندي في أهرام يوم ١٠ أغسطس سنة ١٩٤٥ أنه أقام بهذا المسجد إلى أن مات ودفن فيه . وقد سألت حضرة من المصدر الذي اعتمد عليه فأجابني أنه اعتمد على ورقات من مخطوط مجهول .

الجامع الأقر

شارع المعز لدين الله (النحاسين^(*))

مبنى هذا الجامع هو الخليفة الأمر بأحكام الله أبو على المنصور بن المستعلى بالله ، وكان مولده يوم الثلاثاء ١٣ محرم سنة ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) وبويع بالخلافة يوم وفاة أبيه ، وهو طفل عمره خمس سنين وأشهر^(١) وأيام . وذلك في يوم الثلاثاء ١٧ صفر سنة ٤٩٥ هـ (١١٠١ م) بتدبير من الوزير الخطير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي ، الذي كان مشرفا على شؤون الدولة وخليفتها غير المتوج . وقد ولى الوزارة بعد وفاة الأفضل في سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) أبو عبد الله محمد بن مختار بن فاتك البطائحي ، ولقب بالمأمون . وكان وزيرا حازما . ظل قائما بشؤون الدولة الى أن قبض عليه الأمر في سنة ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) واعتقله وتفرغ بعده للحكم ، ولم يبق أمامه منافس الى أن توفي في ١٤ ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ (١١٣٠ م) .

وكان الخليفة الأمر بأحكام الله كريما اقترن عهده بالرخاء ، وأنشئت في أيامه دار وكالة^(٢) بالقاهرة ، وخصصت للوافدين من العراقيين والشاميين وغيرهما من التجار ، وأمر بعمل دار الضرب^(٣) سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) لصك النقود .

ومما أخذ عليه أنه كان متفاعدا عن الجهاد ، متهاونا في الذود عن بلاده حتى استولت الفرنج على غالب السواحل^(٤) .

وعد من حسناته تعميره مدينتي تيس ودمياط ، وإنشاؤه قصر القرافة ، كما أمر بتجديد^(٥) المشاهد السبعة التي بين القرافة والجليل . وإنشاؤه قصر الهودج بالروضة ، وعمله محرابا خشبيا للجامع الأزهر ما زال موجودا بدار الآثار العربية . وأجمل منشأته وأحسنها هذا الجامع الذي لم يبق له سواه . والجامع الأقر من مفاخر العمارة الفاطمية . وقد أشرف على إنشائه وزيره أبو عبد الله محمد ابن فاتك ، ودون اسمه مع اسم الأمر في النصوص التاريخية التي كتبت على وجهة المسجد .

(*) انظر الصور من رقم ٣٢ — ٣٤ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) المقرئى ، ج ٢ ص ٢٩٠ ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ١٧٠ (٢) المقرئى ، ج ١ ص ٤٥١

(٣) ابن ميسر ، ص ٦٢ (٤) النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ١٧٨ (٥) ابن دقاق ، ج ٤ ص ١٢١

ابن ميسر ص ٦٢

وهو من المساجد المعلقة ، فقد كانت تحته حوانيت . وألحق به حوضا لشرب الدواب .
 ووجهته الغربية مبنية بالحجر ، وهى أجمل وجهة جافلة بالنقوش والكتابات الكوفية من آيات قرآنية
 ونصوص تاريخية ، كما أشتملت على مقرنصات وعقود بمحورصة تتوسطها دوائر مكتوب بها (محمد)
 مكر وعلى . وأجملها الدائرة الكبيرة فوق الباب وقد كتب بها : "بسم الله الرحمن الرحيم إنما
 يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" . ويتوسط العقد الأيسر للباب دائرة
 كتب حولها بالكوفي (محمد) مكررة وعلى .

كما يوجد بها حنايا وشبابيك صغيرة ، تكتنفها عمد صغيرة حلزونية وبعضها حلزوني من أعلاه
 لعلها أقدم نموذج بمصر ، يتوسطها قنديل ، ومكتوب أعلاها : "لا إله إلا الله وحده لا شريك له" .
 وعلى يسار الباب منارة لم يبق منها سوى بدن دورتها المستدير حتى الدورة الأولى . أما علوها
 فقد هدم سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) ، وبقاياها تشعر أنها كانت منارة ممتازة بالنقوش الغربية بمزامها
 وبطاقات المقرنص . وهى من إنشاء الأمير يلبغا السالمى سنة ٧٩٩ هـ (١٣٩٦ م) . وتنتهى الواجهة
 بناصية بها مقرنص من حطتين كتب على جانبيه محمد وعلى وفى طاقاته : إن الله مع الذين اتقوا والذين
 هم محسنون .

ومما يؤسف له أن هذه الواجهة النادرة ، اعتدى الزمن عليها ففقد نصفها الأيمن ، وحل محله
 منزل نزع ملكيته إدارة حفظ الآثار العربية . ولعل هدمه يساعد على وجود تفاصيل تمكن من
 إعادة بناء بقية هذه الواجهة التى لا شك أنها كانت مثل الجانب الأيسر .

وتوجد فكرة سائدة فى أن هذه الواجهة هى أول وجهة حجرية فى مساجد مصر ، ولبن ذهب هذا
 المذهب عذره ، لأنها هى أقدم وجهة حجرية باقية فى مصر ، ولأن الشائع فى المنشآت الفاطمية
 البناء بالطوب .

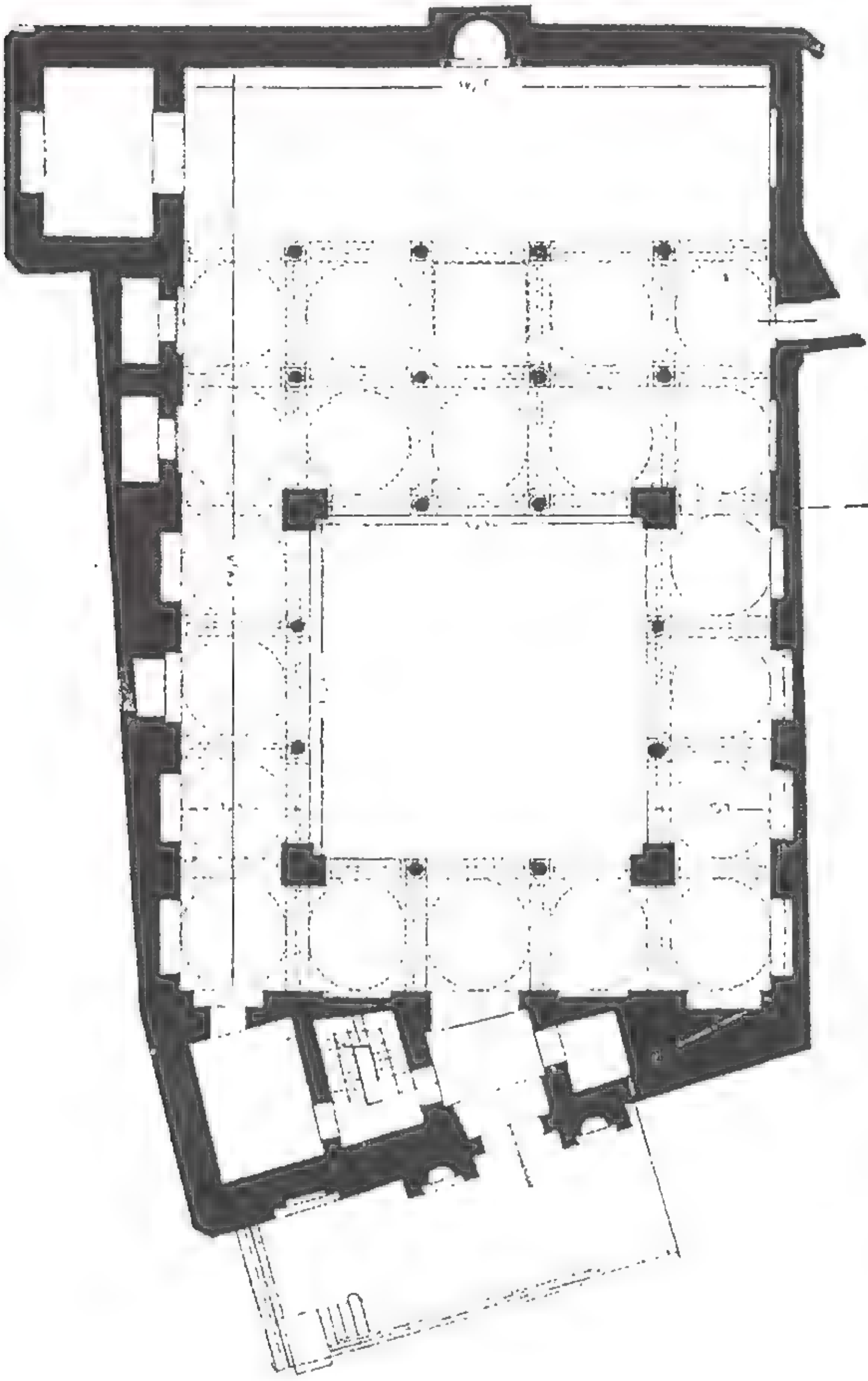
ولكن التاريخ حدثنا عن استعمال الحجر فى الأبنية الفاطمية بجانب الطوب ، فالقصور الفاطمية
 التى ضاعت ، يصفها ناصر خسرو^(١) ، وقد زارها سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٨ م) بأن جدرانها من الحجارة
 المحكمة الانطباق بعضها على بعض ، حتى ليخيل للإنسان أنها منحوتة فى صخرة واحدة . وقد عثرت
 فى أنقاض قصر بشتاك المنشأ على رقعة من أرض القصر الكبير ، على قطعة من الحجر المنقوش عليها
 صورة سيدة على رأسها غزال ، فلعلها مخلفة من أحد أبواب القصر الفاطمى ، هى وقطعة حجر
 أخرى منقوشة .

(١) رحلة ناصر خسرو ، ص ٤٩

وكذلك نرى باب الجامع الحاكي ومناртиه بنيت بالحجر . ويحدثنا المقرئ عن جامع ولى العهد أمير المؤمنين ، أحد الأقارب فى الأيام الحاكية بقوله : « وكان المسجد بالحجر » . كما يذكر أن جامع راشدة الذى بناه الحاكم سنة ٣٩٣ هـ (١٠٠٣ م) كان مبنيًا بالحجر .^(١)

وقد دقن على وجهة الجامع تاريخ إنشائه فى موضعين : أولهما بخط كوفى كبير فى الوجهتين الغربية والبحرية بما نصه :

(٢) « بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر بعمله ... فتى مولانا وسيدنا الإمام الأمر بأحكام الله ابن الإمام (المستعلى) بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى آبائهما الطاهرين وأبنائهما الأكرمين تقربا إلى الله الملك الجواد ... آمين ، وأقام ...
اللهم انصر جيوش الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين على كافة المشركين ... السيد الأجل المأمون أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعوات المؤمنين أبو عبد الله محمد الأمرى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته فى سنة تسع عشرة وخمسمائة ... لإقامة البرهان » .



مسقط أفق

والثانى بخط كوفى صغير يمتد مع الوجهة فوق عتب الباب ونصه :

(٢) « بسم الله الرحمن الرحيم أمر ... فتى مولانا وسيدنا الإمام الأمر بأحكام الله ابن الإمام المستعلى بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الأجل المأمون

(١) المقرئ ، ج ٢ ص ٢٨٢ (٢) الكدات المحصورة بين قوسين غير موجودة الآن وقد راجعت هذين النصين على

Répertoire Chronologique d'Épigraphie Arabe vol. VIII. p. 146-148.

أمير الجيوش (سيف الإسلام) ناصر الإمام (كافل قضاة) المسلمين وهادى دعوات المؤمنين أبى عبد الله محمد الأمري عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته (فى سنة) تسعة عشرة ونعمسائة والحمد لله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

والمسجد صغير الحجم ، يؤدى إليه باب بارز قليلا عن الوجهة ، له صحن مكشوف يحيط به أربعة إيوانات ، أكبرها إيوان المحراب المشتمل على ثلاثة أروقة بها عمد رخامية تحمل عقودا فارسية مغطاة بقبوات صغيرة .

أما الرواق أمام المحراب فهو أوسعها . ويبدو لى أنه كانت توجد مقصورة خشبية على وجه هذا الرواق لأن أثر قوائمها باق فى قواعد العمدة .

وتغطىة السقف بقبوات صغيرة فى العصر الفاطمى سبقه إليها بدر الجمالى فى بابى النصر والفتوح ، ووجدت فى مشهد إخوة يوسف . كما رأيناها بعد حول الصحن أمام قبة قلاوون . ثم فى خاتمه فرج بن برقوب بالصحراء ، ثم شاعت فى المساجد العثمانية ، وفى كثير من مساجد البلاد التى تكثر فيها الأمطار مثل رشيد ومطوبس وأدينا .

ويقوم المحراب فى صدر المسجد ، وهو مكسو العقد برخام ملون دقيق تعلوه لوحة تذكارية للعمارة التى أجراها بالمسجد الأمير يابغا السالى ونصها :

” بسم الله الرحمن الرحيم فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيى الأرض ... الآية أمر بعمل هذا المنبر والمئارة وغيره بعد اندراسه فى أيام مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوب حرس الله نعمته العبد الفقير الى الله تعالى أبو المعالى عبد الله يلبغا السالى الحنفى الصوفى . لطف الله به فى الدارين وجعله ... فى شهر رمضان المعظم سنة تسع وتسعين وسبعائة . وكان بنى هذا الجامع فى أيام الخليفة الأمر بأحكام الله ابن المستعلى بالله فى سنة تسع عشرة ونعمسائة من الهجرة النبوية “ .

وكتب على باب المنبر أيضا : ” وقالوا الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الدن وكبره تكبرا أمر بعمل هذا المنبر فى أيام مولانا السلطان الملك الظاهر برقوب نصره الله غرس نعمته العبد الفقير الى الله تعالى عبد الله يلبغا السالى الحنفى الصوفى الظاهرى لطف الله به فى الدارين آمين . فى شهر رمضان المعظم سنة تسع وتسعين وسبعائة “ .

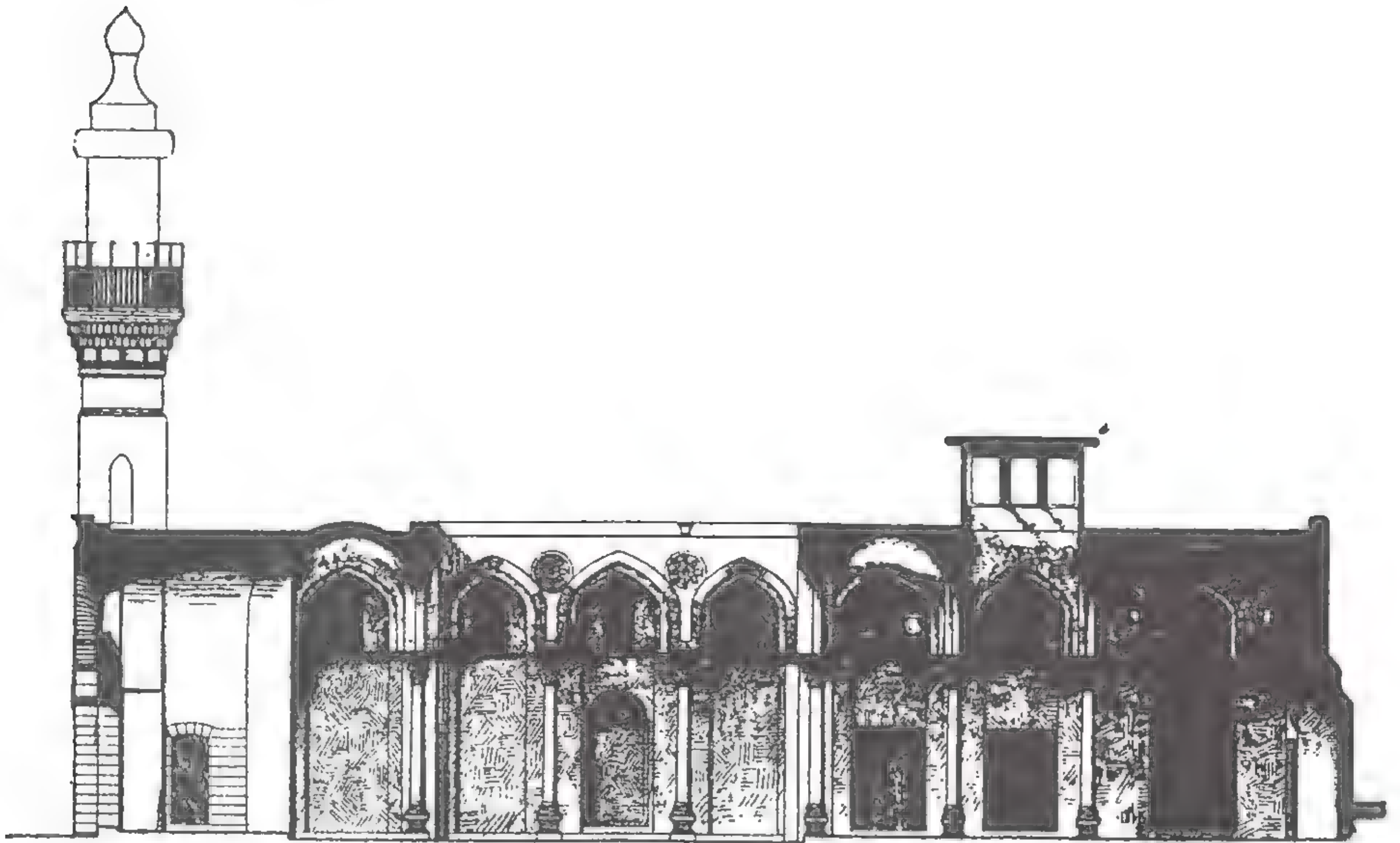
وقد تكررت الإشارة الى عمل المنبر فى النصين المذكورين ، وأحدهما على منبر فى منتهى البساطة ، لما لخصته فى سنة ١٩٣٦ م ، وكشفت أخشابا كانت مثبتة على قناطر مقدمه ، ظهرت

تحتها نقوش فاطمية قديمة ، مكتوب بوسطها بالخط الكوفي : ” الملك لله “ كما تبين أن بظهر جلسة الخطيب زخارف باقية من منبره الفاطمي .

وبفحص جوانب المنبر من الداخل ، تبين وجود حشوات بها صور حيوانات تبلغ نحو ٢٥ قطعة فاطمية ، لاشك أنها نقلت من مكان آخر واستعملت على ظهرها ، لأنها في مسجد .

إذن فنحن أمام بقايا من منبر الأمر ثبتت عليها لوحة يلغا . والله يعلم أين ذهب باقي منبر الأمر ومنبر يلغا إن كان عمله .

وقد كان منبر الأمر قويا كما تنبئ بقاياه ، لأن صناعة النجارة في المسجد دقيقة ، وتتمثل في معبرة^(١) المدخل التي امتازت بالبساطة والجمال . كما تتمثل في حشوات الدواليب ومعاربها .



قطاع رأسى

وكانت العقود حول الصحن محاطة بكتابات كوفية بها آيات من القرآن يقرأ منها الآن : ” بسم الله الرحمن الرحيم الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء “ .

وقد عنت إدارة حفظ الآثار العربية بإصلاحه في سنة ١٣٢٠ - ١٣٤٧ هـ (١٩٠٢ -

١٩٢٨ م) .

(١) معبرة الباب أو الشباك هي سقف مدخله الذي يعلو مصراعيه .

الجامع الأخضر

المعروف بالفاسكها^(١)

هذا الجامع على رأس حارة خوش قدم بشارع المعز لدين الله (العقادين) ، أنشاه الخليفة الظافر بنصر الله أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بن الأمر بأحكام الله سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨ م) ووقف حوائيته على سنده^(١) ومن يقرأ فيه ، وقزر به دروسا وفقهاء ومعلمين للقرآن . وفي زلزال سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) سقطت مئذنة الجامع^(٢) . وفي سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م)^(٣) جدد الجامع .

وفي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) عرف بجامع الفاكهيين ، وألحقت به مiazza أمر بعمامها العالم الجليل محمد بن أحمد بن محمد الجلال المحلى المتوفى سنة ٨٦٤ هـ (١٤٥٩ م)^(٤) . وولى إمامته العالم الجليل على بن أحمد بن علي الكونى ، المتوفى سنة ٨٨٨ هـ (١٤٨٣ م)^(٥) .

وفي نهاية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) عني بعمارة وزخرفته الأمير يشبك من مهدى . وأزال الأبنية التى كانت تحجبه .^(٦)

وفي سنة ١١٤٨ هـ (١٧٣٦ م) جرده الأمير أحمد كتحدا مستحفظان الخربوطلى فهدمه وأعاد بناءه^(٨) . وكما كان المسجد القديم معلقا ، فان بناءه أعيد معلقا أيضا ، وجعل فى أسفله حوائيت ، ولم يحتفظ من المسجد الفاطمى إلا بمصاريع البابين الغربى والبحرى ، وهى مصاريع فاطمية حليت حشواتها بنقوش من الأويمة ، تمثل زهرية تفرعت منها فروع نباتية .

وكانت هذه المصاريع بحالة سيئة ، إذ كانت مغطاة بطبقة سميكة من بوية الزيت ، فضاعت تحتها معالم الرسم القديم تقريبا ، كما أن بعض الأجزاء من نجارتها كانت تالفة جدا والبعض مشوه . وفي سنة ١٩١٩ أصلحت لجنة الآثار العربية هذه المصاريع وأزالت الدهان فعاد لها رونقها القديم .

(*) انظر الصور من رقم ٣٥ - ٣٦ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) المقرئى ، ج ٢ ص ٢٩٢ (٢) السلوك ، ج ١ قسم ٣ ص ٩٤٤ (٣) النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١١٨ طبع كالفرنبا . (٤) الضوء اللامع ، ج ٧ ص ٤١ (٥) الضوء اللامع ، ج ٥ ص ١٧٦ (٦) الضوء اللامع ، ج ١٠ ص ٢٧٤ وسماء الفكاهين . (٧) كتحدا : وظيفته قيم أروكل وتحترف الى (كخبنة) . (٨) الجبرقى ، ج ١ ص ١٦٨

كذلك تخلف من المسجد الفاطمي مداميك حجرية في أعلى الباب الغربي كتب عليها بالخط الكوفي : " لا إله إلا الله محمد رسول الله " . تشعر أن الحجر استعمل في بنائه .

ومما يذكر عن الأمير أحمد كتخدا الخربوطلى الذى سلفت الإشارة إليه ، أنه من أمراء مصر في العصر العثماني ، وقد توفي يوم الخميس ١٢ رجب سنة ١١٤٩ هـ (١٧٣٦ م) ، ودفن في قبة سودون القصرى بالباطنية .

وكان المشرف على تجديده عثمان شاي شيخ طائفة العقادين ، فقام بتجديده وألحق به سبيلا له أرضية رخامية دقيقة يعلوه كتاب بنهاية الوجهة الغربية ، كما أنشأ وكالة بجواره وقد بلغت النفقات (١) مائة كيس .

ويصعد إلى المسجد الحالى من كلا بابيه الغربى والبحرى ببضع درجات تؤدى إلى الداخل ، حيث أربعة إيوانات يتوسطها صحن مغطى بسقف منقوش في وسطه منور مثنى .

وأكبر هذه الإيوانات الشرقى ، وهى جميعا تسودها البساطة فلا نقوش ولا وزرات رخامية إلا المحراب ، فانه من الرخام الدقيق ، وطاقيته وعقده وتواشيحه من القاشانى (٢) ، تتوسطه تربيعة كتب عليها : " ما شاء الله " سنة ١١٤١ هـ . كما يحيط بالشباك المستدير أعلاه كسوة من القاشانى .

وتقوم المنارة على يسار الباب ، وهى منارة أسطوانية تنتهى بمسلة شأن باقى المنارات العثمانية .

وكان فى المسجد مكتبة كبيرة حافلة بمجموعة من المخطوطات فى شتى العلوم والمصاحف المذهبة ، أدركت بقيتها وزارة الأوقاف ونقلتها إلى الخزانة الزكية وقت أن كانت تابعة لها . ثم أرسلت إلى مكتبة الأزهر .

وقد دؤن تاريخ التجديد فى لوحات تذكارية يقرأ على إحداها وهى بأعلى الباب البحرى ما نصه :

" بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذا المكان المبارك وقصد الثواب من الملك التواب الفقير إلى الله تعالى الحاج أحمد كتخدا مستحفظان سابقا فى شهر رمضان سنة ١١٤٨ هـ " .

(١) الكيس يسارى خمسة جنيهات . (٢) طاقية المحراب هى حنية العليا والتواشيح — جانبا العقد المحيطة به

المشهد الحسيني

(٥)
بالقاهرة

الامام الحسين — سيد شباب أهل الجنة، الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو عبد الله، ربحانة النبي صلى الله عليه وسلم وشبيهه . ولد خمس ليال خلون من شهر شعبان سنة أربع^(١) من الهجرة، وأذن النبي صلى الله عليه وسلم في أذنه، وسماه حسينا، فهو وأخوه الحسن سيدا شباب أهل الجنة . أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، سيدة نساء العالمين إلا مريم عليهما السلام . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الحسن والحسين ريحائتاى من الدنيا » . وعن أبي يعلى بن مرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حسين منى وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا حسين سبط من الأسباط » . وعن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : طرفت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في بعض الحاجة ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو ، فلما فرغت من حاجتى قلت : ما هذا الذى أنت مشتمل عليه ؟ فكشفه ، فإذا الحسن والحسين على وركيه ! . فقال : « هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما »^(٢) .

وروى بالإسناد عن بريدة رضى الله عنه أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطبنا ، إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر ، فحملهما ووضعهما بين يديه ، ثم قال : « صدق الله ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ » . نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما » .

وروى بالإسناد الى عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم قال : نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ في بيت أم سلمة . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا فغسلهم بكساء وعلى خلف ظهره . ثم قال : « هؤلاء أهل بيتى ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » . قالت أم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال : أنت على مكانك ، أنت الى خير .

(٥) انظر الصور من رقم ٢٧ — ٤٣ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) تهذيب الأسماء للنزوى ص ٢٠٤ ، ٢١١ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ١٨ ، والطبرى ج ٣ ص ٣٩

(٢) مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٠٣ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ١١ (٣) أسد الغابة ، ج ٢ ص ١٢

كان رضى الله عنه شجاعا مقداما منذ طفولته . فمن المأثور عنه أنه جاء رجل الى الحسن رضى الله عنه فوجده معتكفا في خلوة فاعتذر إليه ، فذهب الى الحسين فاستعان به ففضى حاجته وقال : لفضاء حاجة في الله عز وجل أحب الى من اعتكاف شهر .

وكان رضى الله عنه كثير الصوم والصلاة والصدقة والنج وأعمال الخير جميعا ، وقد حج خمسا وعشرين حجة مليا ماشيا .

ومن كلامه رضى الله عنه : اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم ، فلا تملوا النعم فتعود نقما . واعلموا أن المعروف يكسب حمدا ويعقب أجرا ، فلو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه رجلا جميلا يسر الناظرين ، ولو رأيتم اللئيم رجلا لرأيتموه رجلا قبيح المنظر تنفر منه القلوب وتغض دونه الأبصار . وكان يقول من جاد ساد ومن بخل ذل ، ومن تعجل لأخيه خيرا وجده إذا قدم على ربه غدا .

مقتله — إننى فى هذا المقام أروى ما قاله العلامة محمد بن على بن طباطبا المعروف بالطقطقى^(٢) :

” هذه قضية لا أحب بسط القول فيها ، استعظاما لها واستفظاما ، فانها قضية لم يحرف في الإسلام أعظم فحشا منها . ولعمري إن قتل أمير المؤمنين عليه السلام ، هو الطامة الكبرى . ولكن هذه القضية جرى فيها من القتل الشنيع والسبى أو التمثيل ما تقشعر له الجلود . واكتفيت أيضا عن بسط القول فيها بشهرتها فانها شر الطامات . فلن الله كل من باشرها وأمر بها ورضى بشئ منها ، ولا تقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، وجعله من الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا “ .

وساوجز حادث مقتله فيما يلى : ألفت الدولة الإسلامية قيادها للأمويين ، فتمهدت الخلافة لمعاوية ، وتوطدت قواعد ملكه ، ودانت له الدنيا ، وقبض على ناصية الحكم . ولما توفى فى شهر رجب سنة ٦٠ هـ (٦٨٠ م) قام من بعده أبوه يزيد ، فأرسل الى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان أمير المدينة يأمره بأخذ البيعة له من الإمام الحسين بن على . فلما استدعاه قال له : مثل لا يبايع سرا . ولكن إذا اجتمع الناس حضرت وكنت واحدا منهم ، فأذن له بالانصراف . ثم خرج مع أصحابه الى مكة المكرمة وذلك لليلتين بقيتا من رجب فأقام بها من شعبان الى ذى القعدة .

وكان للحسين أشباع وأتباع ، وكان له أكثر من سبب في الدعوة لنفسه بعد مقتل أبيه وبعد تنازل الحسن لمعاوية بن أبي سفيان .

ولما بلغ أهل الكوفة وفاة معاوية وخروج الحسين الى مكة ، كتبوا إليه يسألونه القدوم عليهم ليسلموا الأمر إليه . وقالوا له في أحد كتبهم : إنا حبسنا أنفسنا على بيعتك ، ونحن نموت دونك . فصعدتهم وسار إليهم ومعه أهل بيته ، حتى بلغ كربلاء فغذلوه كما خذلوا أخاه وأباه من قبل .

لقي الشهادة في طلب حقه في موقعة الطّف بجانب مدينة كربلاء . وكان ذلك في المحرم سنة ٦١ هـ (٦٨٠ م) بعد أن تألبت عليه جيوش عبد الله بن زياد والى الكوفة ، وضيق عليه ومنعوا الماء عنه . فتقدم ليشرب فرمى بسهم فوقه في فمه ، فحال بينه وبين شرب الماء . ثم احترقوا رأسه ، وقتلوا معه من أصحابه وعشيرته اثنين وسبعين رجلاً ، خزوا رؤوسهم ووطئوا أجسامهم بنحوهم . ثم بعثت رؤوس القتلى والنساء والأطفال الى عبد الله بن زياد . بفعل ابن زياد يقرع فم الحسين بقضيب في يده . فقال له زيد بن أرقم : ارفع هذا القضيب ، فوالذي لا إله غيره ، لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين ثم بكى ! .

وقد جمعوا أشلاء القتلى ، ودفنوا جسد الحسين رضى الله عنه ومن معه في اليوم الثاني بكربلاء ، ويعرف قبره الى اليوم بمشهد الحسين .

وقد عني ابن زياد بتجهيز علي بن الحسين ومن كان معه من الجرم ، ووجه بهم الى يزيد بن معاوية مع زحر بن قيس وآخرين ، فساروا حتى قدموا الشام ، ودخلوا على يزيد بن معاوية بمدينة دمشق ، ومعهم رأس الحسين . ولما وضع الرأس بين يديه دمعت عيناه . وقال : ويحكم ! قد كنت أَرْضَى من طاعتكم بدون قتل الحسين ! رحم الله أبا عبد الله ! ثم أمر بالسيدات فأدخلن دارنساته ، وأمر بتجهيزهم والعناية بهم أحسن عناية . وأرسل معهم حرساً من ثلاثين فارساً ، حتى وصلوا الى المدينة ، وبعث معهم بالرأس الشريف الى عامله بالمدينة عمرو بن سعيد فكفنها ، وأمر بدفنها بالبقيع عند قبر أمه وأخيه .

وأكد هذه الرواية العلامة عمر بن أبي المعالي أسعد بن عمار في كتابه عن تحقيق مقر رأس الحسين .

(١) تاريخ بغداد ، ج ١ ص ١٤٢ ، والفخرى ص ١٠٥ (٢) أبو الفداء ، ج ١ ص ١٩١ ، والأخبار الطوال ص ٢٥٦ — ٢٥٨ ، والطبري ج ٦ ص ٢٦٤ (٣) مرآة الجنان ، ج ١ ص ١٢٦

وهنا تضاربت الأقوال : فمن قائل بأمر تجهيز الرأس الى المدينة ودفنه بها . وقيل : إنه أعيد الى الجسد بعد أربعين يوما ودفن معه بكر بلاء . ومن قائل إنه دفن عند باب الفراديس بدمشق . وهناك رواية أخرى أن الرأس وضع بخزانة السلاح بدمشق وبقى بها حتى ولي سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ (٧١٤ م) فحمل الرأس في ثوب وعطره ، ثم صلى عليه ودفنه في مقابر المسلمين . وقيل : إن القبر نبش بعد ذلك وأخذ منه الرأس . والله أعلم ما صنع به . وروى أن الرأس نقل في وقت ما إلى عسقلان . وبقى بها غير مشتهر الى أن زارها بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر بالله سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) ، فأرشد الى مكانه فأخرجه وأنشأ عليه مشهدا كبيرا . وزعم بعضهم أن أبا مسلم الخراساني : لما استولى على دمشق نقل الرأس منها الى مرو ، فدفن بها في دار الإمارة ثم بنى عليه رباطاً^(١) .

وبجانب هذه الروايات المتضاربة وجدت في الأقطار الإسلامية مشاهد متعددة باسم الإمام الحسين أذكر منها :

مشهد مرو — على فرسخين من مرو يوجد رباط ، قالوا : إن فيه رأس الحسين بن علي رضي الله عنه^(٢) .

مشهد حلب — وفي حلب مشهد الحسين ؛ وهو في وسط جبل جوشن ، بنى في أيام الملك الصالح ابن الملك العادل نور الدين^(٣) .

مشهد دمشق — المشهد الحسيني بدمشق بصحن المسجد الأموي ؛ وكتب عنه كثير من المؤرخين ، وعائنه خليل الظاهري^(٤) لما دخل دمشق سنة ٨٣١ هـ (١٤٢٧ م) . وكتب عنه ابن فضل الله العمري ما نصه «وله بدمشق مشهد معروف داخل باب الفراديس وفي خارجه مكان الرأس على ما ذكرنا^(٥) . وقد جاء في أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا أعظم الحسين ورأسه الى المدينة النبوية حتى دفنوه بقبر أخيه الحسن» .

مشهد عسقلان — ذكره أيضا ابن فضل الله بقوله : «كان رأسه بها ، فلما أخذها القرنج نقل المسلمون الرأس الى القاهرة ، ودفن بها في المشهد المعروف بها على زعم من قال ذلك . والأغلب أنه لم يتجاوز دمشق . والمدى بعيد بين مقتل الحسين ومبنى مشهد عسقلان^(٦)» .

(١) نهاية الأرب للتوحيدي ، ج ١٨ مجلد ٢ خط . (٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٢٢

(٣) تاريخ حلب لابن الشحنة ، ص ٨٧ (٤) كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، ص ٤٥

(٥) مسالك الأبصار ، ج ١ ص ٢٢٠ ، رسائل تاريخية ص ٢٧ (٦) مسالك الأبصار ، ج ١ ص ٢٢٠

هذا جزء من تضارب أقوال المؤرخين . وفي الوقت نفسه توجد لهم أقوال تناقض بعض هذه الروايات . فزى المسعودي ينقض عن غير قصد رواية دفن الرأس بالبقيع . إذ يقول بمناسبة دفن الحسن بن علي ببقيع الغرق مع أمه — وهناك إلى هذا الوقت رخامة مكتوب عليها : ”الحمد لله مبيد الأمم ومحبي الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين والحسن بن علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضوان الله عليهم أجمعين“ .

فلو كان الامام الحسين معهم لذكر اسمه بينهم .

وقد أورد هذه الأقوال أيضا ابن كثير المؤرخ ، وناقش رواية إحضار الرأس إلى مصر ولم يأخذ بها^(٢) .

وناقش هذه الأقوال عمر بن أبي المعالي أسعد بن عمار بن سعد بن عمار رحمه الله في كتابه «الفاصل بين الضدقين المبين في مقر رأس الحسين»^(٣) ووهنها وضعفها ورجح أنه بالمدينة حتى كاد يبلغ به مبلغ القطع فقال ما معناه : أما قولهم : إنه كان في خزان بنى أمية إلى أن ظهرت الخلافة العباسية ، وإن أبا مسلم نقله إلى خراسان ، فهذا بعيد جدا . لأن أبا مسلم لما فتح الشام كان بخراسان . والذي فتح دمشق هو عبد الله بن علي بن عباس . فكيف يتصور أن ينقله ؟ أو يمكن من ينقله إلى مولاهم بخراسان ؟ ولو أنه ظفربه في خزان بنى أمية لأظهره للناس ، ليزدادوا لبنى أمية بغضا .

وأیضا فقد ولی العبد الصالح عمر بن عبد العزيز الخلافة ، وبعيد أنه كان يترك رأس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزان السباح ولم يواريه .

وقولهم إنه كان بالمدينة عند أمه — قاله محمد بن سعد في طبقاته ، وابن أبي الدنيا وأبو المؤيد الخوارزمي خطيب خوارزم .

وأما قولهم إنه كان بعسقلان ، فلا يوجد في تاريخ من السواربخ أنه نقل إلى عسقلان ، ولا إلى مصر . ويقوى ذلك أن الشام ومصر لم تكن بها الشيعة علوية .

أوردت هذه الأقوال على سبيل المثال لا الحصر . ولما كانت عسقلان هي قنطرة وصول الرأس إلى القاهرة ، فإنني أورد أقوال من أخذ بها من المؤرخين .

(١) التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٢٠١ ، وقد ألفه سنة ٣٤٥ هـ (٩٥٦ م) .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ، ج ٨ ص ٢٠٤ (٣) نهاية الأرب للزيرى مجلد ٢ ج ١٨ ص ١٢٠ خط .

فمن أخذ بها ابن ميسر المؤرخ ، وخط بين بدر الجمالي وابنه الأفضل شاهنشاه في بناء مشهد عسقلان ، ولكنه قال : وكان حمل الرأس الى القاهرة ووضوله اليها يوم الأحد ٨ جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) .

أما القلقشندي فإنه يقرر نقل الرأس من عسقلان الى القاهرة سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) .
وأيضاً ابراهيم بن وصيف شاه ، وسبط بن الجوزي (٤) — فقد ذكر الأول أن الرأس نقل من عسقلان الى مصر سنة ٥٤٩ هـ . وذكر الثاني أنه نقل سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) .

واعترف بمشهد الرأس ابن المامون المؤرخ . فذكر في حوادث سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) أن الأمر بأحكام الله أمر بإهداء قنديل من ذهب وآخر من فضة الى مشهد الحسين بعسقلان . وأهدى اليه الوزير المامون قنديلاً ذهبياً له سلسلة فضية .

وأخذ ابن إياس برواية مشهد عسقلان ونقل الرأس الى مصر سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) ، وزاد عليها أنه نقل الى ثلاث أماكن قبل أن يحضر الى القاهرة (٦) .

أما المقرئ عميد مؤرخي مصر . فقد كان لبقاً كيساً أمام هذا التضارب ، وعبر تعبيراً جميلاً يبعث على الارتياح إذ يقول :

«ولحفظ الآثار، وأصحاب الحديث ونقل الأخبار، ما إذا طولع وقف منه على المسطور، وعلم منه ما هو غير المشهور، وإنما هذه البركات مشاهدة مرئية، وهي بصحة الدعوى ملية، والعمل بالنية» .

ثم ذكر رواية وجود الرأس بعسقلان نقلاً عن ابن عبد الظاهر . وأن المشهد هناك بناه أمير الجيوش بدر الجمالي ، وأتمه ابنه الأفضل شاهنشاه . وأنه لما خيف من سقوط عسقلان في أيدي الفرنج نقل الرأس الى القاهرة .

(١) أخبار مصر لابن ميسر ، ص ٢٨ (٢) صبح الأعشى ، ج ٣ ص ٢٥١
(٣) جواهر البحور ، ص ٥١ خط وقد تفضل حضرة الأستاذ الكبير أمين بك مرسي قنديل وكيل دار الكتب ونهني الى أن ما بين أيدينا من نسخ هذا الكتاب هو ملخص له لمؤلف مجهول وصل فيه الى عصر النوري .
(٤) مرآة الزمان ، ج ٨ ص ١٣١ (٥) المقرئ ، ج ١ ص ٤٠٨ (٦) ابن إياس ، ج ١ ص ٦٧
(٧) المقرئ ، ج ١ ص ٤٢٧

ورواية وجود الرأس في عسقلان معززة بنص تاريخي منقوش على المنبر الذي كان موجودا في مشهد الرأس بعسقلان^(١) . ولما خيف من سقوطها في أيدي الفرنج نقل الرأس الشريف الى مصر، ونقل المنبر الى المشهد الخليلي بالقدس، وهو باق به الى الآن .

وهو منبر نفخ ، جميع حشواته الخشبية مدقوقة بالأريمة الدقيقة وهو غاية في الدقة والجمال . ومكتوب على قوائمه :

” الحمد لله وحده لا شريك له محمد رسول الله علىّ وليّ الله صلى الله عليهما وعلى ذريتهما الطاهرة سبحان من أقام لموالينا الأئمة نسبهما مجدا ورفع راية وأظهر معجزا كل وقت وآية بين ... ربها فضلا عظيما وعناية . وكان من معجزه تعالى إظهاره رأس مولانا الامام الشهيد أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب صلى الله عليه وعلى جده وأبيه وأهل بيتهم بموضع بعسقلان كان الظالمون لعنهم الله ستروه فيه إعفاء لنوره الذي وعد تعالى آية لإظهاره لعنة الله على الظالمين وأما الله تجاذبه به عن دور المخالفين وإظهاره الآن شرقا لأوليائه الميامين وانشرح صدور شيعته المؤمنين (به عن دور المخالفين وإظهاره الآن شرقا لأوليائه^(٢) الميامين وانشرح صدور شيعته المؤمنين) الذين علم صفاء ضمائرهم في الولاء والدين وإنجاز الحجة على العالمين ورزق الله [على] قتي مولانا وسيدنا معذ أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين السيد الأجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاة المسامين وهادى دعاة المؤمنين أبا النجم بدر المستنصرى إظهاره في أيامه فاستخرجه من مكانه وخصه باجلاله وتكريم مقامه وتقديمه بإنشاء هذا المنبر برسم المشهد الشريف الذي أنشأ ودفن فيه هذا الرأس في أشرف محلة قبلة الأمير وصلاة للتحقلين وشفيع المستشفين ، والزائرين . وبناء من أسسه الى علوه وابتاع له الأملاك وحبس منافيه على غمارته وسدنته وجماله لليوم وما بعده الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وأنفق على جميع ذلك من فضل ما آتاه الله من حلّ ماله وخالص ما ملكه ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه واتباع رضوانه وإعلان شرف هذا الامام ونشر أعلامه بقوله تعالى إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وقال النبي صلى الله عليه وسلم خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإني لئن يفترقا حتى

(١) عسقلان مدينة بفلسطين اسمها في التوراة عسقلون . استولى الفرنج عليها سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) . ومكتوبها

٣٥ سنة ، واستخلصها منهم السلطان صلاح الدين ، ثم خربها في سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م) مخافة استيلائهم عليها مرة

أخرى . (٢) الجملة المحصورة بين قوسين مكررة أيضا على المنبر .

يردا على الخوض كهاتين ويجب على من يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيمه وتشريفه والنظر في مصالحه وعمارة ما يحتاجه في أوانه وتطهيره . وكان إنشاء هذا المنبر في سنة أربع وثمانين وأربع مائة^(١) .

ومكتوب على باب المنبر ما نصه :

”بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبي تميم الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه البررة الأكرمين صلاة باقية الى يوم الدين مما أمر بعمل هذا المنبر فتاه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الإمام كافل قضية المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصرى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته للمشهد الشريف بشجر عسقلان مسجد مولانا أمير المؤمنين أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما في شهور سنة أربع وثمانين وأربع مائة^(٢) .“

ولما زار الإمام الهروي الرحالة ثغر عسقلان سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) قال : وبمسقلان مشهد الحسين عليه السلام كان رأسه به . فلما أخذتها الفرنج نقله المسلمون الى مدينة القاهرة، وذلك سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) . وذكره القزويني أيضا ووصفه بأنه مشهد عظيم^(٣) . وتابعه ابن الطولوني الحنفى المتوفى سنة ٩٥٢ هـ (١٥٤٥ م) بقوله : « وبمسقلان مشهد الحسين كان به رأسه، فلما أخذها الفرنج نقله المسلمون الى القاهرة سنة ٥٤٩ هـ^(٤) » .

المشهد الحسيني بالقاهرة — كان نقل الرأس الشريف من عسقلان ووصوله الى القاهرة في يوم ٨ جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) . ولما وصل الى مصر حمل في سرداب الى قصر الزمرد . ثم دفن في قبة المشهد الذى أنشئ خصيصا له سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م)^(٥) .

ولما ولي ملك مصر السلطان صلاح الدين سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) أنشأ مدارس للذاهب الأربعة؛ منها مدرسة بجوار هذا المشهد، غلب عليها اسم المشهد^(٦)، وقزر بها مدرسين وعهد بالإشراف عليها الى الفقيه البهائى الدمشقى، فكان يجلس للتدريس عند المحراب الذى خلفه الضريح .

(١) Répertoire Chronologique d'Épigraphie Arabe, vol. VII, pp. 261, 262.

(٢) Répertoire Chronologique d'Épigraphie Arabe, vol. VII, pp. 259, 260.

(٣) آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٤٧ و ١٤٨ (٤) وسائل تاريخية، ص ٤٢

(٥) المقريزى، ج ١ ص ٤٢٧ (٦) النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٥٥

وهذا الوصف يجعلني أعتبر أن المسجد الحالي حل محل تلك المدرسة لوجود الضريح خلف جدار المحراب .
وقد طين المشهد والمدرسة في مبدأ الدولة الأيوبية الرحالة ابن جبير أثناء رحلته من بلاد
الأندلس قاصدا الحج سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) ، ووصفه وصفا مشوقا بقوله ^(١) :

« فن ذلك المشهد العظيم الشأن الذي بمدينة القاهرة ، حيث رأس الحسين بن علي بن
أبي طالب رضي الله عنهما . وهو في تابوت فضة مدفون تحت الأرض . قد بنى عليه بنان حفيل
يقصر الوصف عنه ، ولا يحيط الإدراك به ، مجلل بأنواع الديباج ، محفوف بأمثال العمد الكبار
شما أبيض . ومنه ما هو دون ذلك ، قد وضع أكثرها في أتوار فضة خالصة ، ومنها مذهبة .
وعلقت عليه قناديل فضة ، وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهبا ، في مصنع شبيه الروضة ، يقيد
الأبصار حسنا وجمالا . فيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مما لا يتخيله
المتخيلون . والمدخل الى هذه الروضة على مسجد على مثالها في التائق والغرابة ، حيطانه كلها رخام
على الصفة المذكورة ، وعن يمين الروضة المذكورة وشمالها بنان من كليهما المدخل اليها ، وهما أيضا
على تلك الصفة بعينها ، والأسنار البديعة الصنعة من الديباج معلقة على الجميع . ومن أعجب ما شاهدناه
عند دخولنا الى هذا المسجد المبارك حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل ، شديد السواد
والبصيص . يصف الأشخاص كلها ، كأنها المرأة الهندية الحديثة الصقل . نفعا الله ببركة ذلك
المشهد الكريم . وبالجملة فما أظن في الوجود كله مصنعا أحفل منه ، ولا مرأى من البناء أعجب
ولا أبدع منه ، قدس الله العضو الكريم الذي فيه بمنه وكرمه . »

وفي سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ م) بدأ أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكري المعروف بالزرزور بإنشاء
منارة على باب المشهد ، أتمها ابنه سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦ م) ، وهي المنارة الحافلة بالزخارف الحصية فوق
الباب المعروف بالباب الأخضر . والباقي منها قاعدتها المربعة وعليها لوحتان تذكاريتان نصهما :
« ... الشيخ الصالح المرحوم أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزرزور ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه .
وكان تمامها على يدي ولده محمد سنة ثلاثة وثلاثين وستة مائة عفا الله عنه » . وعلى الأخرى :

« بسم الله الرحمن الرحيم الذي أوصى بإنشاء هذه المأذنة المباركة على باب مشهد السيد الحسين
تقربا الى الله ورفعنا لمنازل الاسلام الحاج الى بيت الله أبو القاسم ابن يحيى بن ناصر السكري المعروف
بالزرزور تقبل الله منه . وكان المباشر بعمارتها ولده لصلبه الأصغر الذي أنفق عليها من ماله بقية
عمارتها خارجا عما أوصى به والده المذكور . وكان فراغها في شهر شوال سنة أربع وثلاثين وستة مائة » .

(١) رحلة ابن جبير ، ص ١٤ (٢) في رحلة البلوى في قواعد فضة .

ومن عني بالمشهد وزاد فيه العلامة معين الدين بن شيخ الشيوخ ، وزير الصالح نجم الدين .
فقد ألحق به إيوانا وبيوتا للفقهاء .

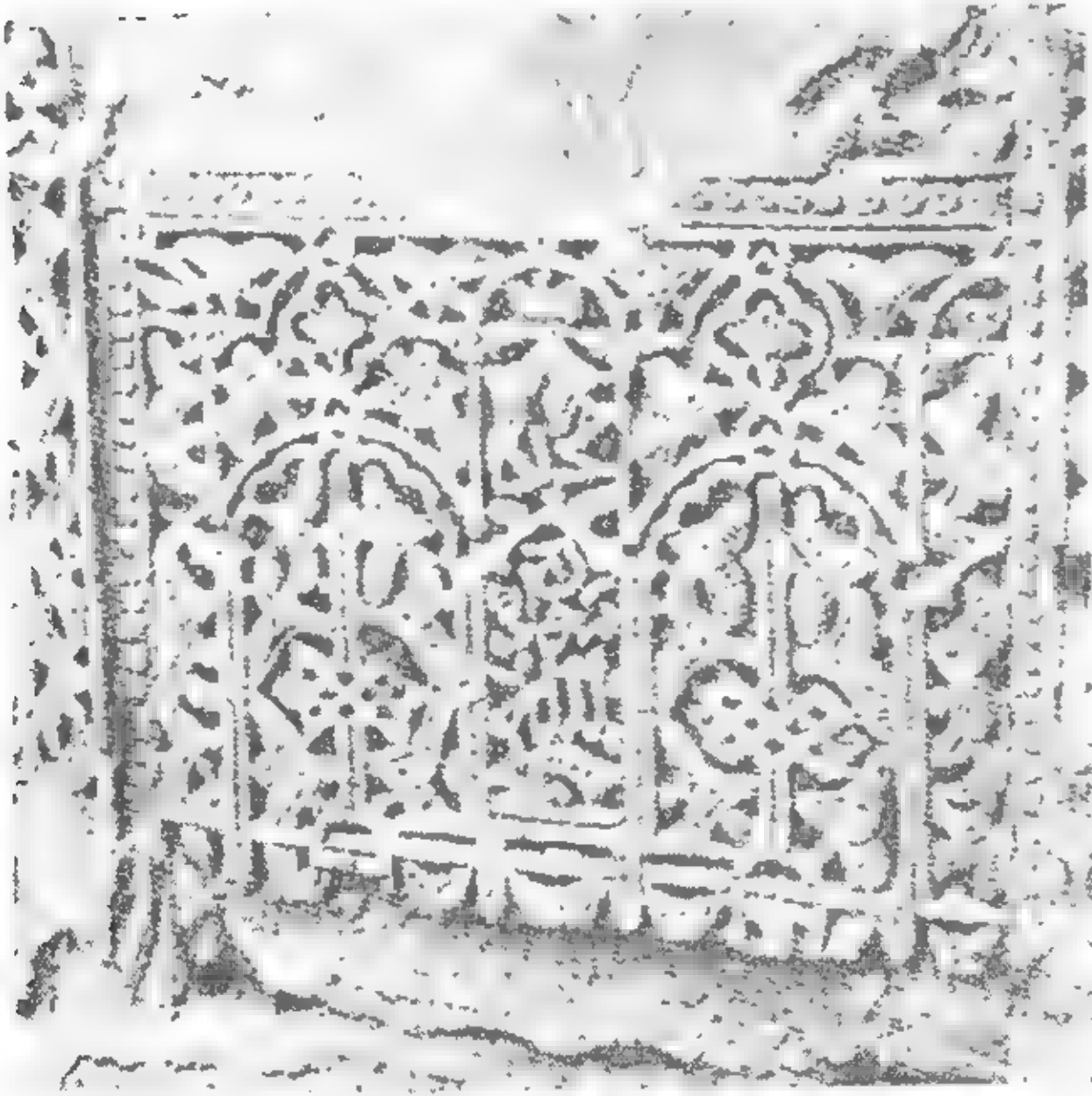
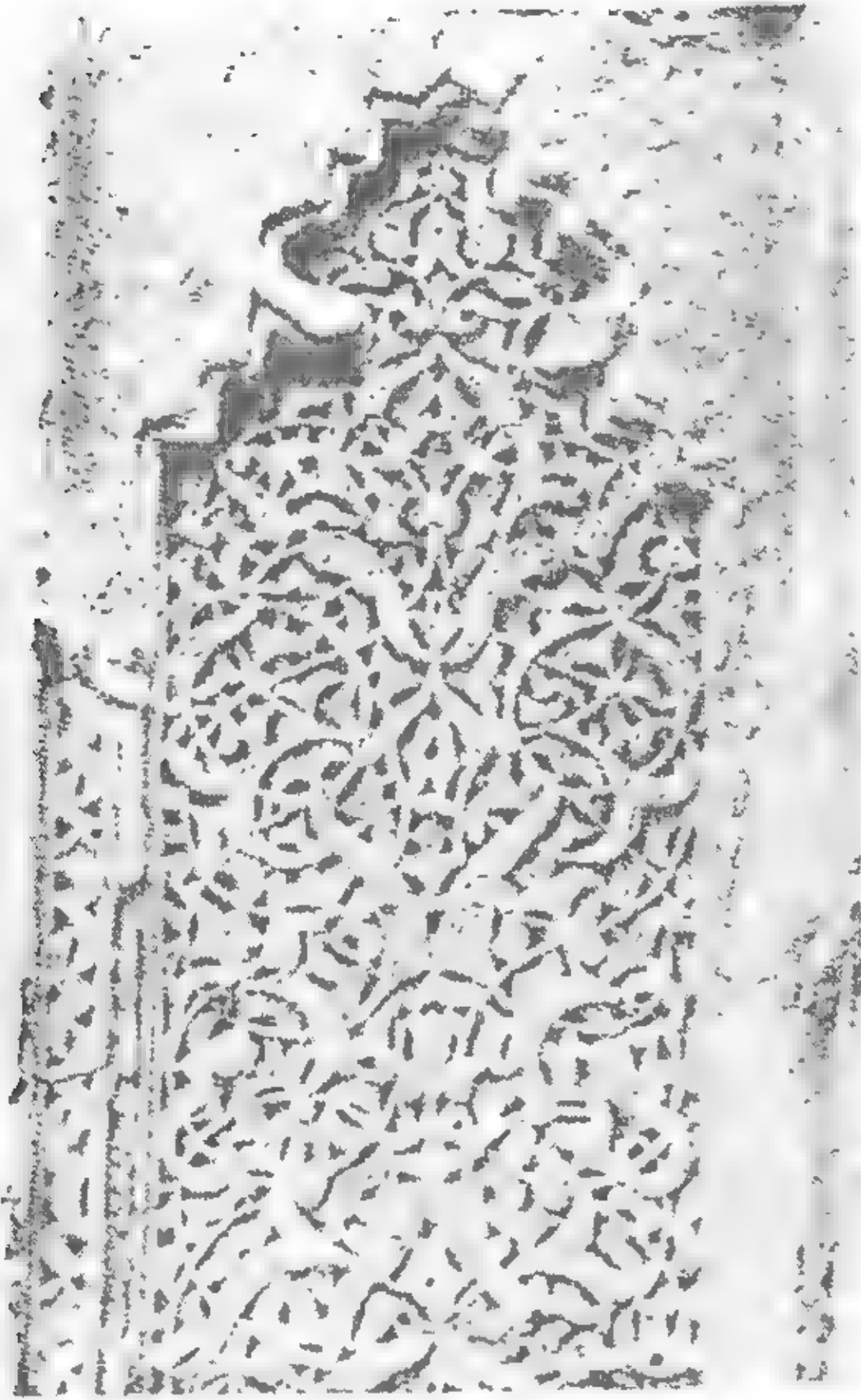
وفي سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) حصل حريق
بالمشهد^(١) ، فلم يلبث أن أصلح . ولذلك لما زاره
الرحالة ابن بطوطة ، الذي زار مصر حوالى
سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧ م) وصفه بقوله^(٢) :

« ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس
العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن علي عليهما
السلام . وعليه رباط ضخمة عجيب البناء على خشب
أبوابه حلق الفضة وشفائهما وهو موفى الحق
من الاجلال والتعظيم » .

وتابعه خالد البلوى الرحالة المغربي ، الذي
زار مصر سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٧ م) ، فوصفه^(٣)
بوصف خلاب ، اقتبسه من وصف ابن جبير .

ومن عني بالمشهد وأصلحه وزخرفه والى مصر
من قبل الدولة العثمانية السيد محمد باشا الشريف ،
الذى ولى مصر فى سنة ١٠٠٤ - ١٠٠٦ هـ^(٤)
(١٥٩٥ - ١٥٩٧ م) .

كذلك عني به الأمير حسن كتحذا عزبان
الجلفى المتوفى سنة ١١٢٤ هـ (١٧١٢ م) . فانه وسع
المشهد وزاد فيه ، وصنع له تابوتا من آبنوس مطعم
بالصدف والفضة . وجعل عليه سترا من حرير
مزرکش ، نقله إليه باحتفال كبير^(٥) .



تفاصيل من زخرفة المنارة

(١) السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٣٣٢ ، المقرئى ج ١ ص ٤٢٨ (٢) رحلة ابن بطوطة ، ج ١ ص ٣٠

(٣) تاج المشرق فى تحلية علماء المشرق ص ٢٢٢ ، ٢٣ . (٤) الروضة المأنوسة .

(٥) الجبرق ، ج ١ ص ١٠٩

وفي سنة ١١٥٦ هـ (١٧٤٣ م) طلب من الشيخ عبد الله الشبراوي أن ينظم أبياتا من الشعر لتكتب على باب الإمام الحسين ، وأخرى على المقصورة فأنشأ برعم ما يكتب على الباب الأول من الخارج :^(١)

يا كرام الأنام يا آل طه * ما على من يهيم فيكم سلام
بابكم كعبة الهدى وحماكم * منهل فيه للأنام ازدهام
باب فضل لما سما أزخوه * من دنا نحو بابكم لا يضام
رضى الله عنكم آل طه * وصلاة منى لكم وسلام

وفي سنة ١١٧٥ هـ (١٧٦١ م) جده الأمير عبد الرحمن كتخدا، وأثبت تاريخ عمارته على عتب رخامي نصه :

”مسجد للحسين أصل المعالي * لا يضاهيه في البقاع علاء
فيه فضل الرحمن للعبد نادى * زر وأزخ لك الهنا والرضاء“

وفي سنة ١٢٠٤ هـ (١٧٨٩ م) قام بعمارات وزيادات فيه السيد علي أبو الأنوار، وأثبت تاريخ عمارته بالباب البحري للقبه ، وهو باب مكسو بالرخام المنقوش وله مصراعان مكسوان بالنحاس . وبتواشيح الباب دوائر كتب فيها : لا إله إلا الله محمد رسول الله — الإمام علي — الإمام الحسين — الإمام الحسن — ويعلوه عتبان كتب على أحدهما :

أنشأ علي أبو الأنوار سيدنا * بابا لسبط رسول الله ذي الرشد
وحسن إشراق نور الله أزخه * باب حماء عظيم الجاه والمدد

عناية الأسرة العلوية بالمشهد — عزم على توسيع هذا المسجد عباس باشا الأول، فاشترى الأملاك اللازمة لذلك وهدمها وشرع في البناء ثم توفي إلى رحمة الله تعالى .^(٢)

وفي سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م) أمر المغفور له الخديو اسماعيل باشا بتجديده والزيادة فيه، فوضعت المشروعات اللازمة وفتح شارع السكة الجديدة وروعى في التصميم الحديد ترك القبه على حالها فلم يتناولها التجديد . ونقل إليه منبرا جميلا كان في جامع أزبك من ططخ بالأزبكية . وكذلك أمر الخديو اسماعيل بشراء العمد الرخامية من استامبول على حسابه الخاص .

وقد تم بناء المسجد سنة ١٢٩٠ هـ . ومنارته سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٣ - ١٨٧٨ م)، وأمر بعمل ستر مزركش له سنة ١٢٩٠ - ١٢٩٢ هـ . وقد انتقد تصميمه المرحوم علي باشا مبارك^(٣) وله كل الحق .

(١) ديوان الشبراوي ، ص ٦٧ (٢) المخطط الجديدة ، ج ٤ ص ٨٩ (٣) جامع أزبك — أنشاء الأمير أزبك من ططخ حوالى سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٧ م) واليه تنسب الأزبكية . وكان موقعه بمدخل شارع الموسكى بميدان الملكة فريدة . وبقى إلى أن هدم سنة ١٢٨٦ هـ (٤) المخطط الجديدة ج ٤ ص ٨٩

وفي سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) كسى المحراب بالقاشاني المغربي عبد الواحد التازي وكتب عليه آيات من القرآن ثم ما نصه: "اللهم كن برحمتك خير مجازي لمنشئه عبد الواحد التازي سنة ١٣٠٣ هـ".

وفي سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) أمر المغفور له الخديو عباس حلمي الثاني بإعادة نقوش القبة، وفتح نوافذ جديدة بها مع المحافظة على كتاباتها ونصوصها التاريخية.

وقد أمر المغفور له الملك فؤاد الأول، بعمل ستر جديد له، أنجز عمله في عصر الملك الصالح فاروق الأول. وقد بلغت نفقاته ٧٠٠٠ جنيه.

وفي عهد الملك الصالح فاروق الأول أصلحت أرضية القبة، وأخرج التابوت الخشبي النادر وتم إصلاحه.

ما تخلف من المشهد القديم — لم يبق من المشهد الفاطمي سوى أحد أبوابه وهو المعروف بالباب الأخضر، وهو باب مبنى بالحجر على يساره دائرة مفرغة بزخارف، وتعلوه بقايا شرفة جميلة.

وقد تخلف من المنارة الأيوبية التي أنشأها فوق هذا الباب أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزرزور، القسم الأسفل منها، وهو المربع الحافل بالزخارف الحصية النادرة، وتاريخ إنشائها. وهي منارة حل وجه قاعدتها المربعة بمستطيلات، شحنت بالزخارف الحصية يلحظ فيها التأثيرات الأندلسية.

أما القبة، فالمرجح أن قسمها العلوي، هو ومثل المنارة من أثر عمارة المرحوم عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٥ هـ (١٧٦١ م)، وأيضاً مصاريعها المكسوة بصفايح الفضة.

أما مربعاها الأسفل، فقد كسيت وجهته المطلة على المسجد بالرخام الدقيق المطعم بالصدف. وكذلك محيطها الداخلي، مؤزر بالرخام، والأجزاء الدقيقة منه المطعمة بالصدف ترجع إلى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي). والأجزاء العلوية من دوائر وتواشيح ترجع إلى العصر العثماني، ولعلها عملت ضمن أعمال النقش والتذهيب التي أجريت بها سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م).

تابوت المشهد الحسيني — وأهم ما بقي من المشهد القديم، التابوت الخشبي الذي كان محتجبا تحت المقصورة، وهو تابوت يزرى بالذهب والفضة، ظل هذا التابوت محتجبا عن الأنظار نحو ثمانية قرون، لم يسعد برؤياه سوى المرحوم السيد محمود الببلاوي، وسماحة السيد محمد الببلاوي أطال الله حياته، لعلاقتها الوثيقة بالمشهد، وكذلك عاينه السيد محمد عرفة وكيل مشيخة المسجد، ومعه المرحوم المعلم محمد سيور النجار. ولكن لم تكتحل به عين أحد من الأثرين.

وعند ما كتبت في جريدة الأهرام الغراء عن تاريخ المشهد الحسيني ، بمناسبة أداء جلالة الملك فريضة الجمعة فيه يوم ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٨ ، كتبت عن هذا التابوت ما نصه : والمعروف أن تحت أرضية هذه القبة ، حجرة بها تابوت من خشب محلى بزخارف وكتابات .



بسملة من التابوت

وكانت فرصة سعيدة تلك التي أناحها لى مولانا الملك الصالح ” فاروق الأول “ فقد أمر بأن يستبدل بالقاشانى الذى بأرضية المقصورة النحاسية رخام جميل ، فكشفت أرضية القبة وأخليت ، فانتهزت الفرصة يوم ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، وهبطت الى أسفل المقصورة ومعى الأستاذ السيد محمد عرفة ، فبهرتنى صناعة التابوت ، كما أحنزتنى الحالة التى هو عليها ، فقد دب التلف إلى أجزائه ، فأخذت له فى مكانه صورا فوتوغرافية ، رفعتها مع تقريرى الى لجنة حفظ الآثار العربية ، ثم أخرجته بعد الاتفاق مع وزارة الأوقاف وأصاحته إدارة حفظ الآثار العربية وأعادته الى مجده الفنى . ثم أودعته دار الآثار العربية فى ٢٢ يناير سنة ١٩٤٥ .

والحجرة التى وجد بها التابوت ، هى أسفل أرضية القبة الحالية وتشغل جزءا منها طوله ٥,٢٦ ، مقسمة الى قسمين : القسم الخارجى ٢,٣٨ ، ويهبط اليه من فتحتين بأرضية القبة بمقاس كل منهما ٠,٦٠ × ٠,٤٥ .

والقسم الداخلى به فتحة مشروعة فى الجدار الفاصل بينهما ، مقاسها ٢,٦٠ بها تركيبة حجرية لصق الجدار الشرقى ، مغطاة بلوح رخامى ، أحيطت بها ثلاثة أجناب التابوت الخشبي .

ومن فحص التابوت ، تبين أنه قاصر على الأجناب الثلاثة ولا رابع لها مما يعزز أنه عمل لهذا الوضع ومقاسه ١,٨٥ × ١,٣٢ × ١,٣٥ ، وهو مصنوع من خشب ساج هندي مكون من جنب ورأسين ، ومقسم الى مستطيلات رأسية وأفقية ، يحيط بها ويفصلها بعضها عن بعض إطارات مكتوبة بالخطين الكوفي المزهر والبسيط ، والنسخ الأيوبى . وهذه المستطيلات تحتوى على حشوات نجمية ومستدسة ، محفور بها زخارف نباتية مورقة ، تنوعت أشكالها فى جميع التابوت .

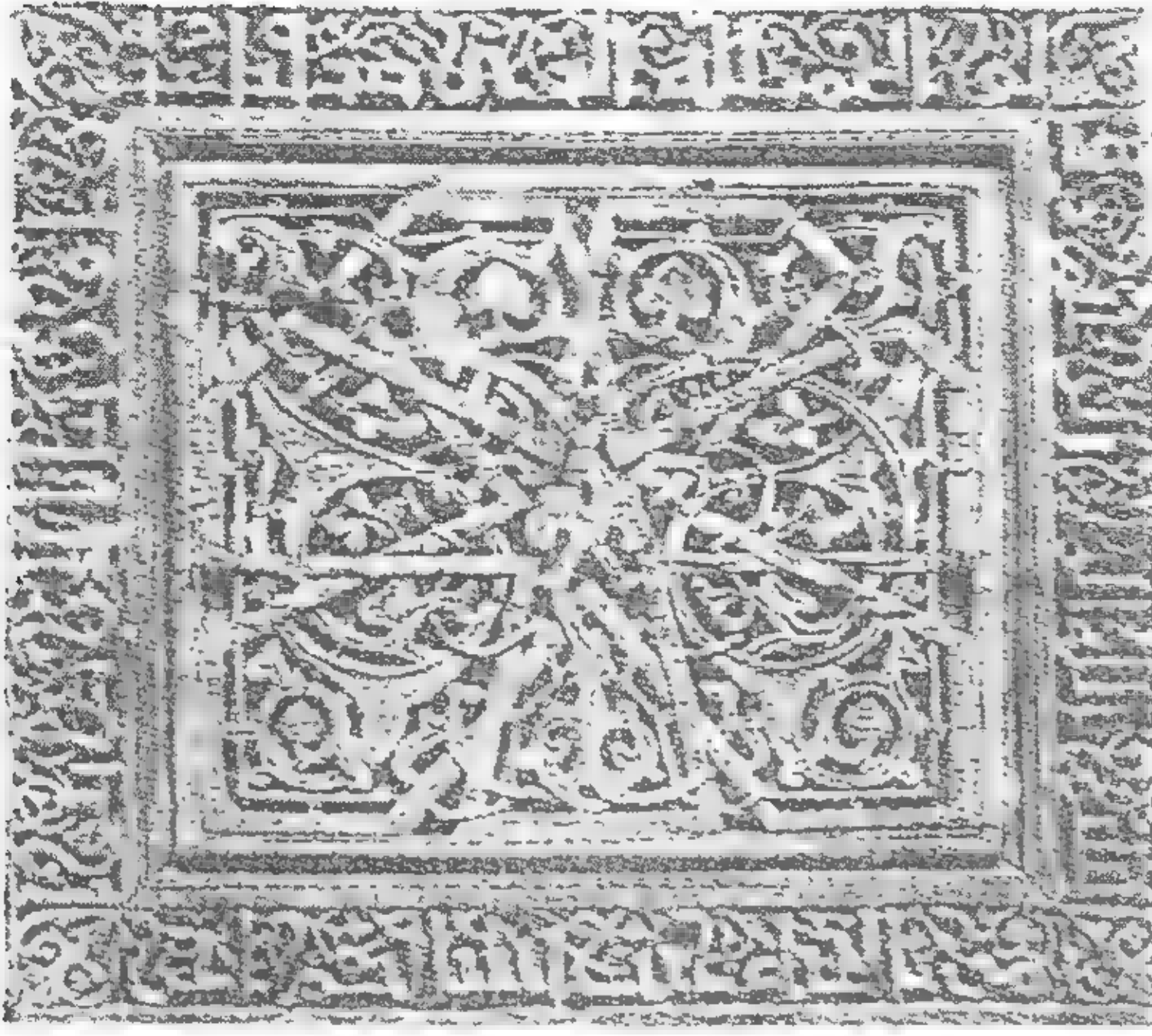
وقد أحيطت الحشوات المستدسة بقوائم وأفاريز كتب فيها بالخط الكوفي البسيط كلمات منها :
 "المملك لله" ، "وما توفيق إلا بالله" ، "نقتى بالله" ، "نصر من الله وفتح قريب" ، "المملك لله" ،
 "العزة لله" ، "التوفيق بالله" ، "وما بكم من نعمة فمن الله" .

وقد روعى في اختيار الآيات القرآنية ما يناسب تابوت جثمان طاهر من فرع الدوحة
 الحمديّة ، فيقرأ مما هو مكتوب على الوجه بالسطر العلوى بالخط الكوفي البسيط

"بسم الله الرحمن الرحيم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد . إنما يريد الله
 ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" .

ومكتوب بالسطر السفلى بالقوائم المحيطة بالمستطيلات المكتوبة والمنقوشة :

"بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم" الآية بالخط النسخ الأيوبى ، وقوله
 تعالى : "الله نور السموات والأرض" الآية .



المصراع الأوسط

ومكتوب بالخط الكوفي حول
 المصراع المربع الأوسط : "بسم الله
 الرحمن الرحيم وقالوا الحمد لله الذى صدقنا
 وعده وأورثنا الأرض ننبؤاً من الجنة
 حيث نشاء فنعم أجر" .

والقسم الأسفل من هذا الجنب مقسم
 الى ثلاثة مستطيلات ، مكتوب حولها
 بالخطين الكوفى والنسخ الأيوبى . فمما
 هو مكتوب بالخط الكوفى المزهر "بسم الله
 الرحمن الرحيم إن الذين اتقوا إذا مسهم

طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون إلى قوله تعالى : هذا بصائر من ربكم وهدى
 ورحمة" .

ومما هو مكتوب على الجنب الأيمن للتأبوت بالخط الكوفى الصغير البسيط بالسطر العلوى .
 "بسم الله الرحمن الرحيم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية إلى قوله تعالى :
 رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك" .

ومكتوب بالخط الكوفي الكبير المزهر : ” بسم الله الرحمن الرحيم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت “ .

ومكتوب بالسطر أعلاه وأسفله وبالسطر أسفل الحشوات المسدسة والنجمية بالخط النسخ الأيوبي :

” بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا الى قوله تعالى : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا “ .

ومكتوب بالخط الكوفي الكبير المزهر حول المستطيلين بالجزء الأسفل منه قوله تعالى : ” إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبصار الى قوله تعالى : ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار “ .

ومكتوب بالخط النسخ بالقوائم المحيطة به قوله تعالى : ” كنتم خير أمة أخرجت للناس الى قوله تعالى : والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس “ .

ومما هو مكتوب بالجانب الأيسر للتأبوت بالخط الكوفي الصغير البسيط : ” بسم الله الرحمن الرحيم والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا الى قوله تعالى : مستقرا ومقاما “ .

ومكتوب بالخط الكوفي الكبير قوله تعالى : ” لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا “ .

ومكتوب بالسطر أعلاه وأسفله وبالسطر أسفل الحشوات المسدسة والنجمية وبالخط النسخ الأيوبي :

” بسم الله الرحمن الرحيم إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه الى قوله تعالى : فإن الله غني عن العالمين “ .

ومكتوب بالخط الكوفي المزهر حول المستطيلين :

” بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية الى قوله تعالى : أولئك هم خير البرية جزاؤهم “ .

وإن أبرع وصف لهذا التأبوت لا يفیه حقه ، فقد تنوعت أشكال الحشوات وزخارفها تنوعا دلا على عبقرية الصانع ، كما تنوعت أشكال الخط الكوفي .

ومن وصف أبي جبير الرحاله ، نقههم أن التأبوت كان تحت الأرض منذ إنشاء المشهد .

وقد فحست هذا التابوت ، وقرأت جميع كتاباته فاذا هي آيات من القرآن الكريم لا أثر معها لنصوص تاريخية . ولكن دقة الزخارف وطرازها ؛ وقاعدة كتابة الخطين الكوفي والنسخي ، واجتماع أحدهما بالآخر يضعانه ضمن مصنوعات الدولة الأيوبية .

وكذلك مقارنته بشبيهه تابوت الإمام الشافعي تدل على أنه معاصر له ، بل تجعلني أرجح أنهما صنعا في عصر واحد و بيد صانع واحد . وتاريخ عمل تابوت الشافعي سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م) ، أى في دولة ملك مصر صلاح الدين الأيوبي .

وبما أنه ثبت أن لصلاح الدين صلة وعناية بالمشهد الحسيني ، إذ أنشأ مدرسة بجواره ، فنرجح أنه أمر بصنع هذا التابوت ، كما أمر بصنع تابوت الإمام الشافعي ولم يكتب اسمه على كليهما . وإذا ثبت ذلك نكون قد اهتمدنا الى اسم صانعه أيضا ، وهو النجار البارع الذي صنع تابوت الشافعي ، واسمه عبيد النجار المعروف بابن معالي .

المخلفات النبوية — هذه المخلفات مودعة في حجرة أنشئت خصيصا لها عام ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) ، مجاورة للقبه من الجهة القبليّة ، ويتوصل لها من بابين أحدهما في جدارها الغربي والآخر في جدارها البحري ، وقد كتب على جدرانها ما نصه :

” تشمل هذه الخزانة من الآثار النبوية الشريفة على قطعة من قميصه الشريف ، ومكحلة ومرودين ، وقطعة من القميص الشريف ، وشعرتين من اللحية الشريفة ، وبها أيضا مصحفان كريمان بالخط الكوفي : أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والآخر بخط سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه أمر بإنشاء هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى مولانا الخديوي المعظم عباس حلمي الثاني أدام الله أيامه وكان اتماؤه في أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٣١١ هجرية . وللآثار النبوية بمصر أخبار تتسلسل في التواريخ ، وتنتقل بالباحث من زمن الى زمن ، ومن مكان الى مكان ، حتى تصل به الى هذا المكان . وأول ما عرف عنها أنها كانت عند بني إبراهيم بينبع ، ثم اشتراها الوزير صاحب تاج الدين محمد بن حنا (بكسر الحاء) ونقلها الى مصر وبني لها رباطا على نيل مصر وهو باق الى الآن ، ومعروف برباط الآثار جهة أثر النبي . وكانت مكونة من قطعة من الحربة الصغيرة ومروود وملقط .

ولما زار ابن بطوطة هذا الرباط وصف هذه الآثار ، وزاد عليها مصحف أمير المؤمنين عليّ - ابن أبي طالب .

وقد بقيت هذه الآثار في هذا الرباط حتى أتم السلطان الغورى بناء قبته بالغورية سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م)، فاستصدر فتوى بنقل الآثار التي كانت بالرباط، ونقل المصحف العثماني الى مدرسته، ونقل اليها أيضا الرزمة العظيمة المكتوبة بالذهب وهي التي كانت بخانقاه بكنتمر .
وزاد ابن اياس أثرا آخر، فقد ذكر في حوادث^(١) سنة ٩٢٦ هـ (١٥١٩ م)، حينما توقف النيل عن الوجود، أنه أحضر من الآثار الشريفة الفميص من القبة الغورية، ووضع في فسقية المقياس وغسلوه في الماء الذي بها، وتضرعوا الى الله تعالى بطلب الزيادة .

ثم رؤى نقلها من قبة الغورى ، فنقلت منها سنة ١٢٧٥ هـ (١٨٥٨ م) الى المسجد^(٢) الزينبي، ثم الى القلعة . وقد أمر الخديو توفيق باشا بنقلها الى المشهد الحسيني ، فأحضرها من ديوان الأوقاف عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) الى قصر عابدين وأمر أن تحفظ في شقق من الديباج الأخضر، مطرزة بسلوك من فضة مذهبة . ثم احتفل بنقلها من القصر الى المسجد ، يوم الخميس ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٨ م) احتفالا فخما سار فيه العلماء والوزراء الى أن وصلوا بها الى المسجد .

وفي سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) تم بناء الحجرة التي أنشئت خصيصا لها فأودعت بها . وضم اليها شعرتان من اللحية النبوية الشريفة، وأخبرني السيد محمد عرفه أنه ضمت اليها شعرة مهداة من السيدة خديجة هانم كريمة المغفور له أحمد طلعت باشا الكبير .

وبمناسبة الشعرات الشريفة ، أقول : إنه كان يوجد بمصر وغيرها، شعرات نسبت الى النبي صلى الله عليه وسلم . استقصاها المرحوم أحمد تيمور باشا في بحته الشيق عن الآثار النبوية الذي نشر منه فصولا ممتعة في مجلة الهداية الإسلامية سنة ١٣٤٨ هـ .

أما المصحف المنسوب الى سيدنا علي^(٣) فلعله أحد اثنين : المصحف الذي كان موجودا في جامع عمرو بن العاص حتى سنة ١٦ هـ (١١٢٢ م) . وعنى به الأمر بأحكام الله، أو الذي كان في رباط الآثار . ولم تثبت نسبته اليه لأسباب فنية وتاريخية . وكذلك المصحف الثاني المنسوب الى سيدنا عثمان، قد عرفنا مصدره فقد كان بالمدرسة التي أنشأها القاضي الفاضل سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م)، يدرب ملوخيا (حارة قصر الشوك) بالقرب من المشهد الحسيني . وبقي الى أن استحوذ عليه السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى .

وهو مصحف كبير تجاوزت أوراقه الألف . ومكتوب على رق بالخط الكوفي البسيط الخالي من الإعجام والشكل . وبكل صفحة منه اثنا عشر سطرا . وقد حليت رؤوس السور بأفريز

(١) ابن اياس، ج ٣ ص ٢٢٦ (٢) مجلة الهداية ج ١ مجلد ٢ ص ١٣ ، الوقائع المصرية العدد ٣٠ ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٣٠٥ (١٠ مارس سنة ١٨٨٨ م) . (٣) المقرئى، ج ١ ص ٤٠٨

زخرفي ، يتكوّن من دوائر محاطة بنقوش . ومنها ما هو على شكل سلسلة . وهي زخارف بسيطة تدل على بداءتها . ويلاحظ أن آخره ، ابتداء من قوله تعالى : ((وأمرأته حمالة الحطب)) ؛ مكتوب بخط كوفي أحدث من خطه .

ومن قاعدة خطه ، وبساطة زخارفه ، أرجح أنه مكتوب في نهاية القرن الثاني الهجري أو أول القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . وأوله مهلهل وعلى حافته احمرار يزعمون أنه دم عثمان ، وهو زعم غير صحيح .

ولهذا المصحف صندوق من الخشب المغلف بجلد ، مخزم بأشكال هندسية منقّرة بالذهب . وله مفصلات مذهبة عليها اسم السلطان الغوري بما نصه : ” برسم المصحف الشريف العثماني السلطان — الملك الأشرف قانصوه الغوري “ .

وعلى أحد وجهيه ما نصه : ” جدد هذا المصحف الشريف المعظم الذي من إذا حلف به صادقا نجما وكان له من كل ضيق نخرجا . ومن حلف به فاجرا كف وهان وأصبح في ذل ومقت وخذلان بخط من رتب سورة وآياته وأجزائه ومن ختمه في كل ركعة من صلاته وبه أقتدى من سماه نبينا بالأمين ذى النورين زوج بنتيه ورفيقه في الدارين من استجبت منه ملائكة الرحمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، أمر وتشرف بتجليده السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري كان الله له وتجيده على يديه بعد ثمان مائة وأربع وسبعون عاما مضت تقبل الله ذلك منة عليه ببركته وحفظه ونصره وثبت قواعده دولته بمحمد وآله “ . ويلاحظ في هذه الكتابة أن جملة (السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري كان ...) مكتوبة بخط مغاير لبقية الكتابة . مما يؤكد أن القائم بحمل هذا الصندوق غيره ولعله السلطان قايتباي وأن السلطان الغوري أصلحه وعمل المفصلات ثم غيّر في الكتابة وكتب اسمه عليه .

أما الزعم بأنه مصحف عثمان فهو زعم منقوض لأسباب كثيرة . أهمها قاعدة الخط والزخرف فأنها لا تتفق والقرن الأول وأيضا فإن نسبة مصحف عثمان لا زمت كثيرا من المصاحف الموجودة في قرطبة وفي بلاد المغرب . وفي الشام والجزيرة تراجع أخبارها في المراجع المذيلة بها هذه الصفحة^(١) ، ولم يثبت أن عثمان رضى الله عنه كتب بخطه مصحفا .

ولذلك نستطيع الجزم مطمئنين بأن هذا المصحف غير مصحف عثمان رضى الله عنه .

(١) بقية المتس في تاريخ رجال الأندلس ص ٣٤ ، وتاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص ٢٣ ، وزبدة كشف المالك ص ٤٥ ، وقع الطبيب ، ج ١ ص ٣٥٦ ، والرحلة المجازية ص ٢٤٨ ، ومسالك الأبحار ، ج ١ ص ١٩٥ ، والمقرئى ، ج ٢ ص ٢٥٥

مشهد زيد بن زين العابدين

ميدان زين العابدين^(٥)

الإمام زيد بن علي، المعروف بزين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
كنيته أبو الحسن ، وهو الإمام الذي تنسب إليه الزيدية إحدى طوائف الشيعة . سكن المدينة ،
وروى عن أبيه علي بن الحسين الملقب زين العابدين ، وكان من أجل أهل البيت عليهم السلام ؛
علما وزهدا وورما وشجاعة ودينا وكرما .

قال أبو اسحاق السبيعي^(١) : رأيت زيد بن علي فلم أر في أهله مثله ولا أعلم منه ولا أفضل . وكان
أنصحهم لسانا وأكثرهم زهدا وبيانا . وقال الشعبي : والله ما ولد النساء أفضل من زيد بن علي ،
ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد ولا أبين قولا ، لقد كان منقطع القرين ، وكان دائما يحدث نفسه
بالخلافة ، ويرى أنه أهل لذلك . وما زال هذا المعنى يتردد في نفسه ، ويظهر على صفحات وجهه ،
وفلتات لسانه ، حتى كانت أيام هشام بن عبد الملك ، فاتهمه بوديعة لخالد بن عبد الله القسري أمير
الكوفة ، فأرسله إلى يوسف بن عمر أميرها في ذلك العصر ، فاستحلفه أن ما لخالد عنده مال ، ثم خلى
سبيله ، فخرج ليتوجه إلى المدينة ، فتبعه أهل الكوفة وقالوا له : أين تذهب يرحمك الله ومعك مائة ألف
سيف نضرب بها دونك وليس عندنا من بني أمية إلا نفر قليل وغير ذلك من أنواع الإغراء ، فقال
لهم : إني أخاف غدركم . فقالوا له : نعطيك من الايمان والعهود والمواثيق ما تثق به ، فإنا نرجو أن
تكون المنصور ، وأن يكون هذا الزمان الذي تهلك فيه بنو أمية وما زالوا به حتى أعادوه إلى الكوفة ،
وأقبلت الشيعة عليه يبأيعونه حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، سوى
أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وأهل خراسان والري وغيرها . ولما تم له هذا الحشد
وخفقت الألوية على رأسه ، قال : الحمد لله الذي أكمل لي ديني . والله إني كنت أستحي من
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرد عليه الخوض غدا ولم آمر في أمته بمعروف ولم أنه عن منكر^(٢) .
ثم إن يوسف بن عمر أمير الكوفة حشد جيوشه ، وخرج لمحاربتة ، وجرى بينهم قتال فتفرق
أصحاب زيد عنه وخذلوه ، وبقي في شرذمة قليلة فقاتل قتالا شديدا وأبلى بلاء حسنا إلى أن سقط
شهيدا على أثر سهم أصابه وذلك لليلتين خلتا من صفر سنة ١٢٢ هـ (٧٣٩ م) .

(*) انظر الصور من رقم ٤٤ - ٤٥ : مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) المقرئ ، ج ٢ ص ٤٣٦ (٢) الفخرى في الآداب السلطانية ص ١١٨ - ١١٩

أما الطبري واليعقوبي فذكرا وفاته في سنة ١٢١ هـ على قول الواقدي، وأما هشام بن محمد فزعم أنه قتل في صفر سنة ١٢٢ هـ^(١).

وهنا تضاربت الأقوال ؛ ف قيل إن أصحابه حفروا له في ساقية، ودفنوه فيها وأجروا الماء على قبره خوفا من التمثيل به ، ثم أرشد عن قبره يوسف بن عمر أمير الكوفة أرشده عنه حجام حضر مواراته فأخرجه وصلبه ، ثم أحرقه وذرى رماده في الفرات^(٢) .

وقيل إنه بعد وفاته حمل الى الكوفة ثم أحرق وذرى نصفه في الفرات ونصفه في الزرع . وقال يوسف بن عمر : والله يا أهل الكوفة لأدعنكم ناكونه في طعامكم وتشربونه في مائكم^(٣) .

وقيل إنه بعث برأسه الى هشام بن عبد الملك ، فنصبه على باب دمشق ، ثم أرسله الى المدينة ، ثم سار به الى مصر^(٤) . وأكد الكندي رواية قدوم الرأس الى مصر^(٥) ، في سنة ١٢٢ هـ (٧٣٩ م) مع أبي الحكم بن أبي الأبيض العبسي . وقيل القيسي .

وشرح رواية دفن الرأس بمصر الشريف محمد بن أسعد الجواني في كتابه الجواهر المكنون في ذكر القبائل والبطون ، فقال : « إنه بعد قدوم رأسه الى مصر طيف بها ؛ ثم نصبت على المنبر بالجامع بمصر في سنة ١٢٢ هـ (٧٣٩ م) فسرت ودفنت في هذا الموضع ، الى أن ظهرت وبني عليها مشهد في الدولة الفاطمية » .

وعنه ابن جبير هذا المشهد ضمن مشاهد أهل البيت حينما زار مصر .

مشهد زين العابدين — عرف قديما بمسجد محرس الخصى ويوجد نص تاريخي ركيك مكتوب فيه بالخط النسخ .

” بسم الله الرحمن الرحيم ، هاذا مشهد إمام علي زين العابدين ابن إمام حسين ابن إمام علي ابن عمران ابن عبد المطلب صلوات الله عليهم أجمعين في سنة ٥٤٩ هـ “ .

وهذا النص مثبت على مدخل المسجد القديم بالوجهة الغربية ، وهو باب مغطى بمقرنصات ذات دلايات شاع استعمالها في أبواب القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، وفتحة هذا الباب صغيرة ومركب عليها مصراع واحد من الجرانيت ، محاطة بحلق من الجرانيت أيضا .

وهذا النوع من المصاريع غير مألوف في مصر ، ولعله الوحيد من نوعه فيها فهو يكثر في بادية الشام ، وأشار ابن الشحنة الى وجود مثله في حلب على مشهد باسم المحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(٦) .

(١) الطبري ، ج ٨ ص ٢٦٠ (٢) القنري ، ص ١١٩ ، كنوز الذهب في تاريخ حلب ص ٢٥ خط

(٣) تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ص ٦٦ (٤) المقرئ ، ج ٢ ص ٤٤٠ (٥) تاريخ مصر رولاتها

للكندي ص ٨١ (٦) رحلة ابن جبير ص ١٥ (٧) تاريخ حلب لابن الشحنة ص ٨٦ .

وفي كتاب العمارة في سوريا الوسطى من القرن الثالث الى السادس الميلادي للباركي دي فوكيه ترجمة حضرة الأستاذ فؤاد مرابط نماذج^(١) لهذه الأبواب .

ولا توجد تفاصيل فاطمية في هذا المسجد سوى عقد فاطمي ، من عقود القرن السادس الهجري بالطريقة الداخلية على عيين الداخل للمصل .

والمسجد الحالي عدا البقايا السابقة ، يرجع الى آخر عمارة أجراها به عثمان أغا أغات^(٢) مستحفظان سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) فقد جددته وبيضه وزخرفه وأمر بعمل ستر احتفل بوضعه بهد العمارة . ولم نتناول هذه العمارة القبة لأن قاعدتها مع حطتي مقرنص منها ترجع الى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) . أما غطاؤها المصلى فانه يرجع الى إحدى العمارات المتأخرة .

وأعد عثمان أغا لنفسه وللبيدة بحرمه مقبرة بالمسجد ما زالت موجودة ، كتب عليها :
” المرحوم المغفور له عثمان أغا مستحفظان مصر سابق ، تابع المرحوم سليمان أغا توفي الى رحمة الله تعالى روجيخون فاتحة سنة ١٢٣٩ هـ “ .

وعليها شاهد آخر هذا نصه : ” هذا قبر المرحومة الست حفيظة زوجة المرحوم عثمان أغا أمير اللواء مستحفظان مصر سابقا توفيت الى رحمة الله تعالى سنة ١٢٤١ هـ “ .

وأثبت تاريخ عمارته في لوح رخامي فوق الباب الخارجي للقبة . وفي سنة ١٢٨٠ هـ أجرى به عمارة المرحوم محمد خفثاني باشا أثبتها في لوحين : أحدهما على الباب الخارجي ، والآخر على الباب الداخلي ونصه :

” لمحمد خفثاني باشا الأوحدي * فضل به قد ساد كل مسود

فكفاه فخرا أن من خيراته * إتحاف زين العابدين بمعبود

مولي بعمران المساجد مولع * ليفوز بالإسعاد يوم الموعد

ولذلك ناداه القبول مؤرخا * بشراك قد أحكت أبدع مسجد “

وتناولت عمارته عمل مقصورة حديدية تعتبر نموذجا راقيا لصناعة الحديد في مصر منذ خمس وثمانين عاما مكتوب عليها : ” أنشأ هذه المقصورة سعادة محمد قفطان باشا سنة ١٢٨٠ هـ “ .

وعتب باب القبة مكسو بقاشاني أمر بعمله عبد الواحد النازي سنة ١٣٠٤ هـ (١٨٨٦ م) . وفي عصر الملك الصالح فاروق الأول جددت وجهة المسجد سنة ١٩٤٤ ، وجدد معها الباب القديم مع المحافظة على تفاصيله القديمة ونصوصه التاريخية .

جامع الصالح طلائع

بشارع الدرب الأحمر^(٥)

ميدان باب زويلة — هذا الميدان حافل بمجموعة أثرية عظيمة من الآثار الإسلامية ، تمثل فيها العصور العمارية المتعاقبة ، إذ يشرف عليه باب زويلة العظيم أحد أبواب القاهرة الفاطمية ، فقد أنشأه بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر بالله عام ٥٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) . وفوقه منارتنا الجامع المؤبدى المنشأ ان سنة ٨٢٢ - ٨٢٣ هـ (١٤١٩ - ١٤٢٠ م) ، وأمامه زاوية فرج بن برقوق المنشأة سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨ م) . وقبلها منازل وقصبة رضوان المنشأة سنة ١٠٦٠ هـ (١٦٥٠ م) ، ثم درة هذا الميدان ونخر المساجد الفاطمية جامع الصالح طلائع بن رزيك .

المنشئ — أبو الغارات الملقب بالملك الصالح طلائع بن رزيك . كان واليا لمدينة بني خصيب من أعمال صعيد مصر . ثم ولى الوزارة فى خلافة الفائز بنصر الله الخليفة الفاطمى فى ١٩ ربيع الأول سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) ، ولقب بالملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين .

ولما مات الخليفة الفائز وتولى العاضد لدين الله مكانه ، استمر الصالح على وزارته ، وتزوج العاضد ابنته وذلك مما ساعد على امتداد نفوذه فى جميع شئون الدولة .

وفى عصره ازدهرت الآداب وقرب الفضلاء والشعراء ، واتخذهم جاساء له ، وأجزل لهم العطاء .^(٢) ويقترب ابن الأثير أن الصالح طلائع أرمى الأصل . وتبعه العيني فى كتابه عقد الجمان ، وابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة .^(٤)

ويقول ابن خلكان : إنه كان جيد الشعر ، ووقف على ديوان شعره وهو فى جزأين . ومع أن ابن أبى شامة أورد كثيرا من شعره فى كتابه الروضتين ، إلا أنه ينقل عن العباد فى كتابه الحريدة قوله فى صدد بعض القصائد المنسوبة الى طلائع : « وما يصدق أحد أن ذلك شعره بلخودته وإحكام معانيه ، فيقال : إن المهذب بن الزبير كان ينظم له والجلس ابن الحباب كان يساعده » .^(٣) وفى ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ هـ (١١٦١ م) ، قتل بدهليز القصر الفاطمى ، ودفن بتربته التى أنشأها بجوار مسجده بالقرافة الكبرى .

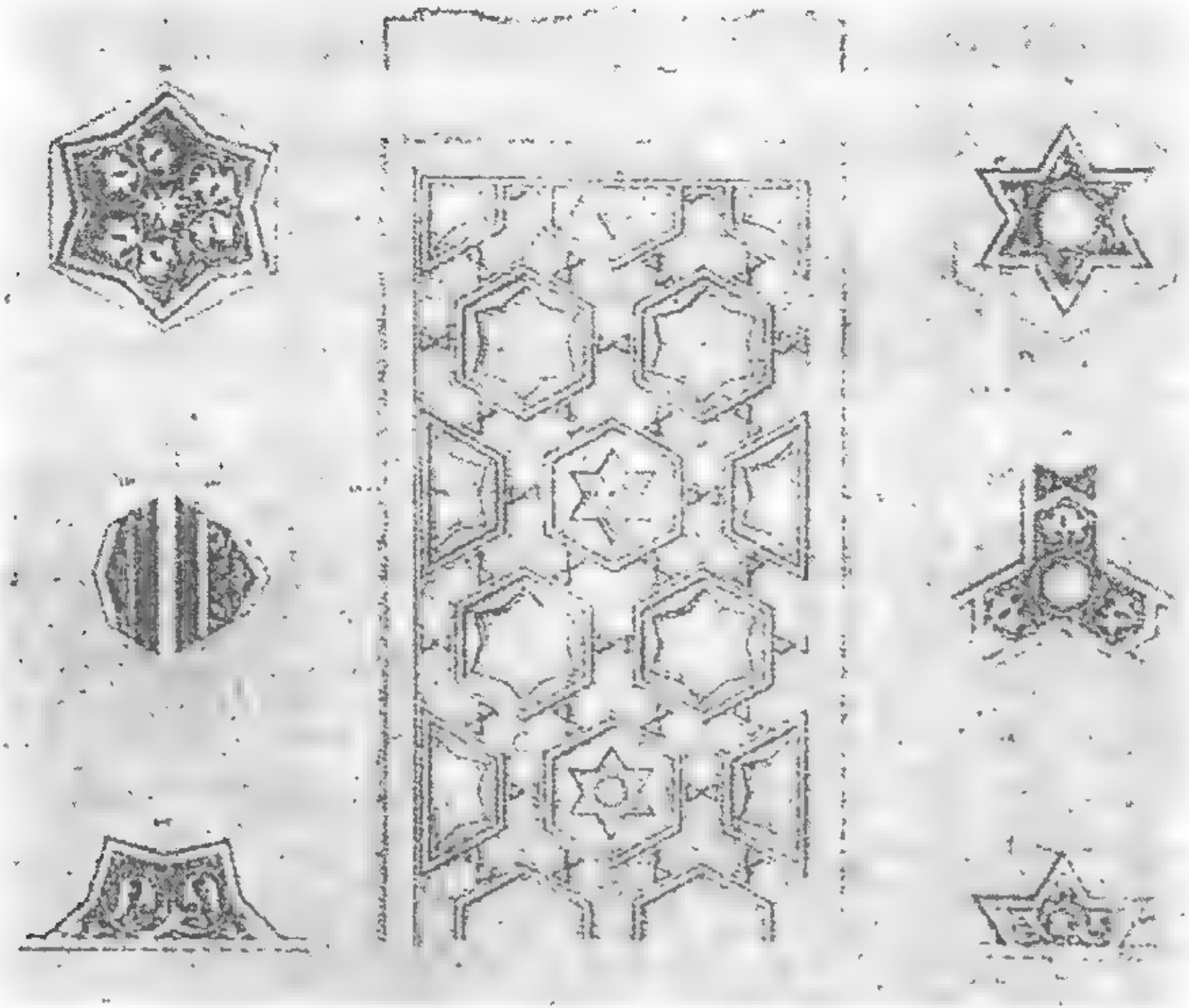
(*) انظر الصور من رقم ٤٦ - ٥٠ بمجموعة الصور القوتوغرافية .

- (١) ابن خلكان ، ج ١ ص ٣٣٧ . (٢) عقد الجمان مجلد ١٦ قسم ٢ (٣) الروضتين فى أخبار الدولتين ، ج ١ ص ١٢٥ ، مفرج الكروب ج ١ ص ١٥٢ (٤) النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ٣٤٥ ، تاريخ الكامل لابن الأثير ، ج ١١ ص ١١١ (٥) الروضتين فى أخبار الدولتين ، ج ١ ص ١٢٠ .



هذا باجماع المؤرخين ، عدا سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ، وابن تغري بردي^(١) في النجوم الزاهرة ، فانهما يقولان بوفاته في رجب من السنة المذكورة . أما ابن أبيك فيقول إنه توفي سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م)^(٢) . وقبل سنة ٥٥٦ هـ (١١٦١ م) .

تاريخ إنشاء الجامع — هذا المسجد آخر مسجد أنشئ في الدولة الفاطمية ، وقد تم إنشاؤه سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) ، وعين زين الدين الواعظ به ، فكان الصالح طلائع يحضر مجلسه . وأقيمت صلاة الجمعة فيه سنة بضع وخمسين وستائة هجرية . وهو من المساجد الكبيرة ، إذ تبلغ مساحته ١٥٢٢ مترا ، وقد اشتمل على مميزات عمارية قل أن تتوفر في مسجد فاطمي آخر . وعند بنائه كانت أرضيته مرتفعة عن مستوى الشارع بنحو ٣,٨٠ ، وله أربع وجوهات مبنية بالجحر ، أسفل ثلاث منها حوانيت ، وأهمها الوجهة الغربية وبها الباب العمومي . وقد أقيم أمام هذا الباب رواق ، محمول على أربع عمد رخامية ، تحمل عقودا حليت حافاتها بالزخارف ، وينتهي من طرفيه بحجرتين . وحلى صدر هذا الرواق وجانباه بزخارف على هيئة مروحة مخصوصة ، ونقشت بأفاريزه آيات من القرآن كتبت بالخط الكوفي المزخرف .



سقف الرواق الخارجي

ولهذا الرواق سقف من الخشب حلى بزخارف فاطمية عثر على بقاياها في عمارة المسجد فأكل على مثالها . ولعله السقف الفاطمي الوحيد ، إذا استثنينا بقايا السقف بالبيمارستان المنصوري الباقي من القصر الصغير الغربي .

(١) النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ٣٤٥ ، مرآة الزمان ، ج ٨ ص ١٠٤ (٢) در النيجان قسم ٤ ص ٣٥٨

وكان مربكا على هذا الباب مصراعان ، غشى وجههما بالنحاس المشتمل على زخارف جميلة ، وخلفهما حلل بزخارف محفورة بالخشب ، وقد أودع دار الآثار العربية ، ويعتبر أقدم باب نحاسي بمصر ، وقد عمل الباب الحديد على مثاله .

وفي أسفل هذه الواجهة والوجهتين القبليّة والبحريّة نحوانيت مسقوفها معقودة وأرضيتها مرتفعة عن الطريق ، وفي الأكتاف الفاصلة بينهما عمد رخامية في شئك البناء كأربطة لها ، وهي طريقة الفنا رؤيتها في أبواب القاهرة وأسوارها وأسوار صلاح الدين ، وفي قلعة الصالح نجم الدين بالروضة ، وفي جامع الظاهر بيبرس ، وفي قلعتي قايتباي بالاسكندرية ورشيد ، وقد حليت الوجهتان أيضا بأفاريز كتب عليها آيات قرآنية بالخط الكوفي المزخرف ، وحليت عقود الشبابيك بزخارف هندسية . ويتوسط كلا منها باب يوصل الى صحن المسجد .

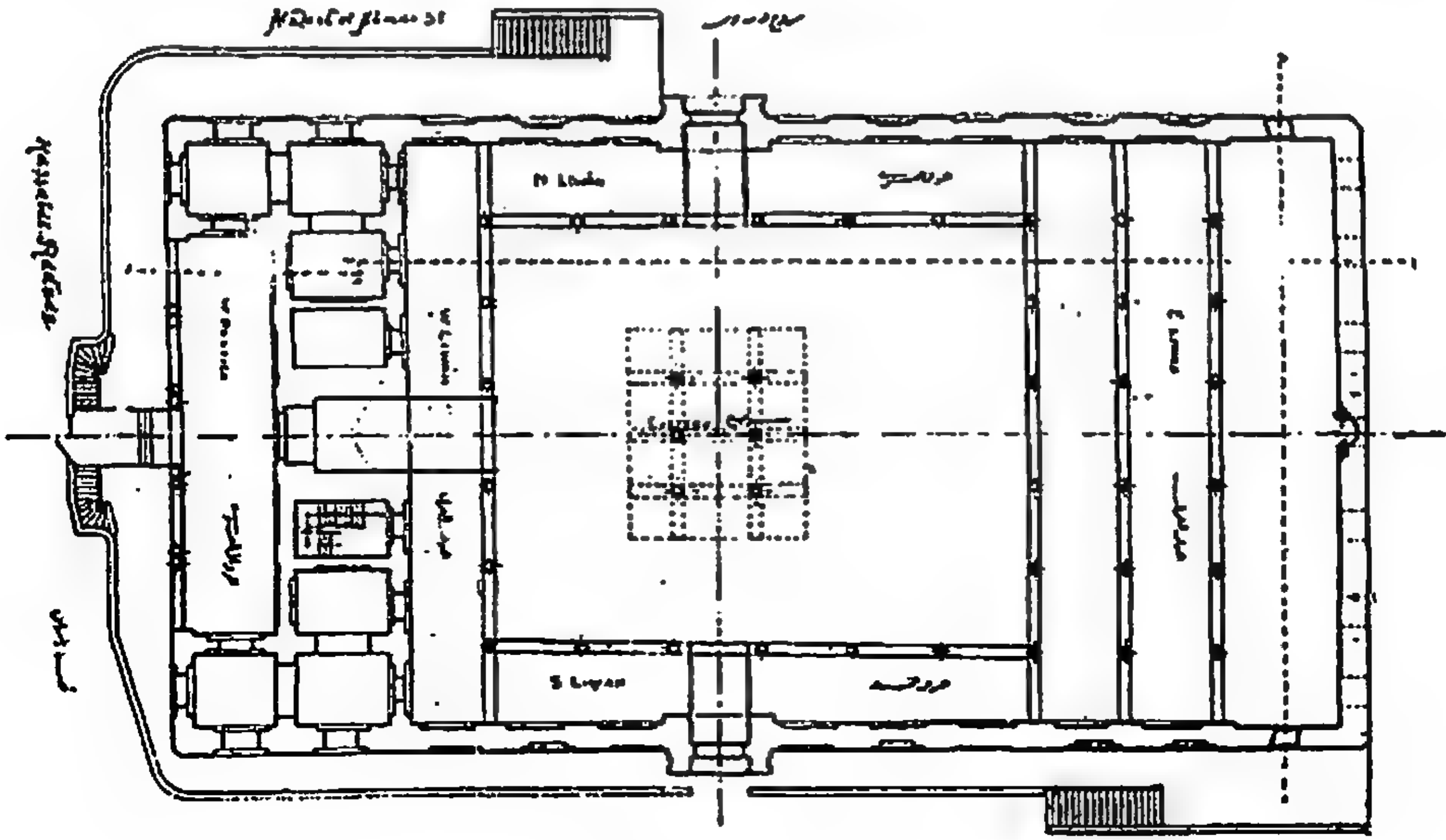
ويعلو الدكاكين إفريز حلل بترايع مزخرفة ، تنوعت أشكالها تعتبر الثانية من نوعها ، إذ الأولى في منارة الحاكم بأمر الله ، كما نرى نموذجا آخر لها في برج الظفر ، ثم في تربة إسماعيل بن ثعلب ، وأخيرا في المدرسة الصالحية وكلها نماذج دقيقة تدل على تقدم النقش في الحجر .

وقد كتب على نهاية الواجهة الغربية وأول الواجهة البحرية تاريخ إنشاء الجامع ونصه :

” بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المسجد بالقاهرة المعزية المحروسة فتي مولانا وسيدنا الإمام عيسى أبي القاسم الفائز بنصر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الأجل الملك الصالح ناصر الأئمة وكاشف الغمة أمير الجيوش سيف الاسلام غياث الأنام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو الفارات طلائع الفائزى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته ونصر الويته وفتح له وعلى يديه مشارق الأرض ومغاربها في شهور سنة خمس وخمسين وخمسمائة والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب أفضل الوصيين وعلى ولديه الم ... الطاهرين أبى محمد الحسن وأبى عبد الله الحسين وعلى الأئمة من ذريتهم أجمعين وسلم وشرف وكرم وعظم الى يوم الدين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين — رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ... “ .

وكانت المنارة تعلو الباب الغربى شأن المساجد الفاطمية ، وقد هدمت في وقت ما وحلت محلها منارة حديثة أزيلت سنة ١٩٢٦ لحدوث خلل بها .

والمسجد من الداخل يتكوّن من أربعة إيوانات يتوسطها صحن كبير، مساحته ٤٥٤,٥٤ متر، به صهرج كان يملأ وقت الفيضان من الخليج. وأهم هذه الإيوانات: الإيوان الشرقي الكبير المكوّن من ثلاثة أروقة ذات عقود مجولة على عمود رخامية. حليت حافات العقود من الداخل والخارج، بكتابة آيات من القرآن بالخط الكوفي المزهر، وفتحت بنواصر العقود دوائر جصية منخرفة من وجهيها فترغ وسطها بأشكال هندسية. ويعلو كل عقد شبك صغير مفترغ بزخارف نباتية مختلفة.



نقطة أنيق

والكتابة حول العقود سبقه فيها الجامع الأزهر والجامع الأحمر. وقد حليت الطبالي الخشبية فوق العمود بزخارف فورقة، كما حليت الأوتار بنقوش نباتية سبقه بها جامع الحاكم، وأخرى مكتوب بها آيات قرآنية، وهي تعطى فكرة صحيحة عما كانت عليه النجارة في هذا المسجد من رقي.

وفي جدار المحراب شبابيك من الجص حديثة، يحيط بها إفريز جصي مكتوب فيه بالخط الكوفي آيات من القرآن. وفي دار الآثار العربية شبك جصي منقول من المسجد، مكتوب فيه بالخط الكوفي المفترغ قوله تعالى: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم" وهو نموذج لشبابيك الجامع القديمة. أما الشباك بالنهاية القبلية لهذا الجدار المشتمل على كتابات كوفية ونسخية فهو من أثر عمارة الأمير بكتمر الجوكندار^(١).

(١) جوكندار: هو الذي يحمل الجوكار (الصولجان) مع السلطان في لب طكرة.

وتسود المحراب البساطة ، يكتنفه الآن عمودان من الرخام الأحمر ، وقد كسى غطاؤه بكسوة من الخشب منقوشة . وهذه الكسوة وإن كان شكل عقدها فاطميا ، إلا أنها متاخرة عن بناء الجامع ، لأنها قطعت إفريز الشباك المكتوب أملاها ، فلعلها من عمارة الأمير بكتمر الجوكندار سنة ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ م) وهو الأرجح .

وهذا المحراب يحتمل أنه كان من الحصن مثل بقية المحاريب الفاطمية ، كما يحتمل أنه كان من الرخام ، لأنه ثبت أن الفاطميين استعملوه في محاريبهم . وبه إلى الآن قطعة صغيرة من رخام دقيق . المنبر — وعلى يمين المحراب منبر نفيس ، دقت حشواته وقوائمه ووجها بابه وجانباً سلمه وجلسة الخطيب بالأوعية الدقيقة البالغة حد الإتقان ، وقد أمر بعمله الأمير بكتمر الجوكندار سنة ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ م) ، ومكتوب عليه فوق جلسة الخطيب : ” إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك الجنب العالي الأمير الكبير سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير جنداراً ، وذلك بتاريخ سنة تسع وتسعين وستمئة “ .

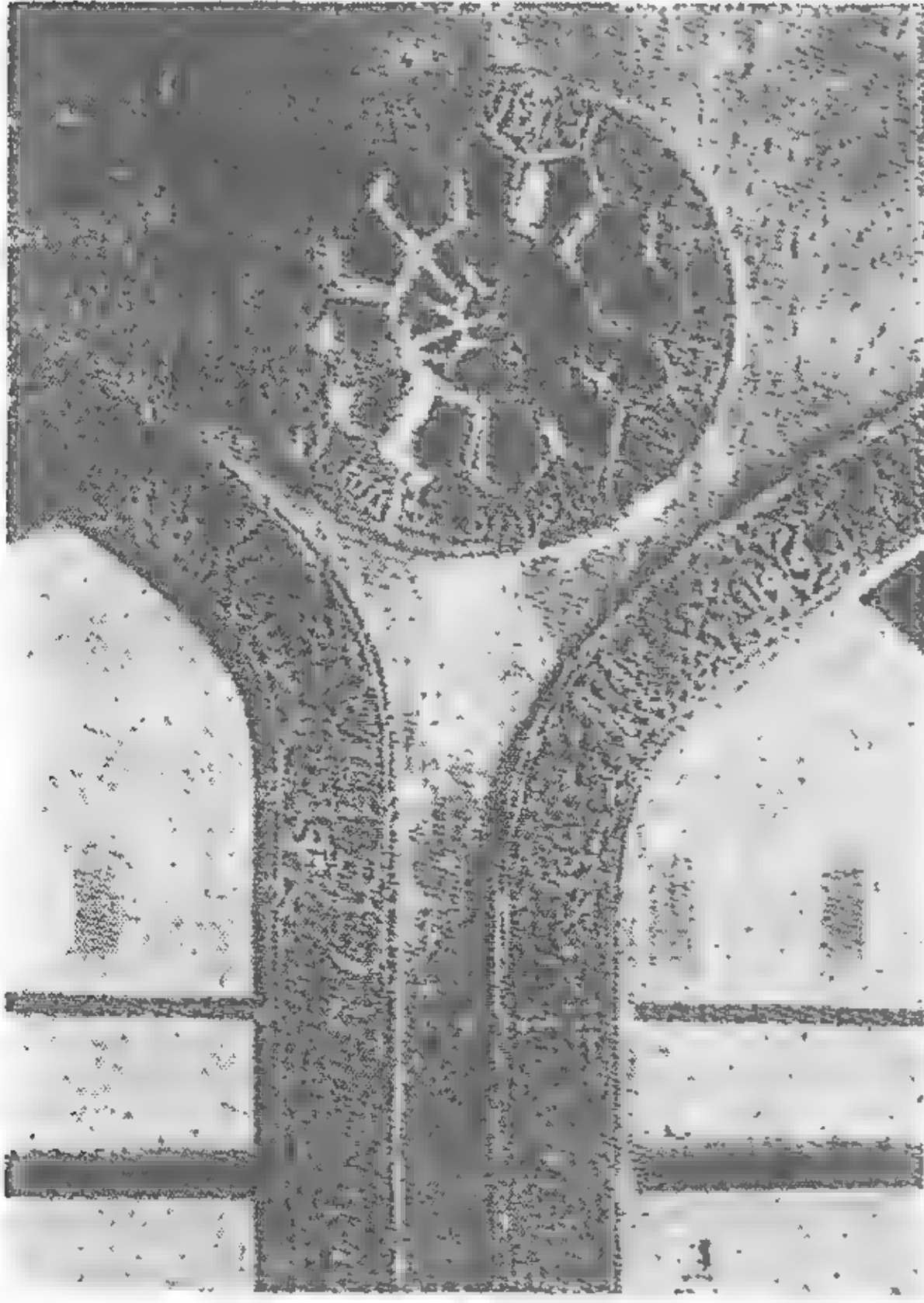
كما أنه مكتوب على باب المنبر : ” أمر بعمارة هذا المنبر المبارك من ماله ابتغاء لوجه الله الكريم المنقر العالي الأمير الكبير السيفي سيف الدين مقدم الجيوش بكتمر الجوكندار المنصوري السيفي أمير جندار الناصري وذلك بتاريخ شهر جمادى الآخر سنة تسع وتسعين وستمئة رحم الله من كان السبب “ . وقد جدد سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) .

ولا شك أن منبره الأصلي كان من الطرف النادرة ، كما تشهد بذلك بقايا نجارة المسجد ، وكما يؤيد ذلك منبره الكامل في مسجده بقوص .

وكان مربكاً على وجه هذا الإيوان مقصورة من الخشب الخروط محلاة بزخارف تفصيله عن صحن المسجد ، وباقي الإيوانات الثلاثة يتكوّن كل منها من رواق واحد .

وكانت جدران تلك الأروقة ، محاطة بهيئة عقود جصية ، نقش عليها آيات من القرآن بالخط الكوفي ، كما تدل بقاياها الموجودة بالجنب البحري بالجامع . وقد دارت مناقشات بين المرحوم محمود باشا أحمد المدير السابق للآثار العربية ومسيو بوتي الذي كان خبيراً فنياً بها حول صحة إعادة بناء الإيوان الغربي ، إذ يرى مسيو بوتي أن بناءه يؤثر على تناسق أبعاد الصحن ، ويؤثر على حسن وضع البابين الجانبين ، وهو متلف لهيئة التركيب الإجمالي المكوّن من محورين عموديين . كما أنه يحتمل حدائنة الأساس المكتشف لهذا الرواق عن بقية أسس الجامع .

ورد عليه المرحوم محمود باشا : بأنه بنى هذا الرواق على أثر عثوره على أساسه كاملاً ، وعلى قاعدتين من قواعد أعمدة هذا الإيوان في موضعين متقابلين لنظيريهما من قواعد أعمدة وجهة الإيوان الشرقى . كما أنه لحسن الحظ وجد بإحدى الصور الفوتوغرافية التي أخذت للجامع قبل تجديد الوجهة البحرية الرجل البحرية للعقد البحري من هذا الإيوان متكئة على الوجهة المذكورة ، وبها كتابة كوفية أصلية ، كالتي تحيط بالعقود الأخرى التي لا يشك في قدمها . وهذه الرجل بكتابتها لا تكفى لإثبات وجود إيوان غربى فحسب ، بل وتدل على أنه من إنشاء الصالح طلائع نفسه .



الكتابة حول العقود ودوائر خواصرها

ثم قال : ولو فرض وصحت حداثة عهد بناء أساس الإيوان الغربى ، فانه بعد مضى هذه المدة الطويلة على بنائه ، يكون قد اكتسب حق البقاء والقرار ، أسوة بغيره من الأجزاء التي أضيفت الى بعض الأماكن الأثرية بعد إنشائها .

وعن الاعتراض الخاص بتماثل الصحن ، الذى ينحصر فى أنه إذا جدد الإيوان الغربى بحيث يصير للجامع أربعة إيوانات ، فان تماثل الصحن بالنسبة للباين البحرى والقبلى يختل ، أى أن جزأه الكائن غربى هذين الباين ، يصير أصغر من جزئه الكائن شرقياً ، بخلاف ما اذا لم يحدد الإيوان ،

فان قسمى الصحن يكونان متساويين . وهى ملاحظة وجيهة من ناحية قواعد هندسة البناء فقط ، لكنها قليلة الواجهة من الناحية الأثرية ، فان تماثل الصحن قد ضحى بأكله فى مسجد الماردانى وفى غيره .

عمارة الأمير بكتمر الجوكندار — وفى سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) أصاب مصر زلزال كبير تصدع منه كثير من المساجد ، فقام بعمارة هذا المسجد الأمير بكتمر الجوكندار . غير أن الكتابة الموجودة على المنبر ، أثبتت علاقة هذا الأمير وعنايته بالمسجد قبل الزلزال أيضاً بنحو أربع سنوات . وفى سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م) أجرى به عمارة عبد الوهاب العيني أحد التجار .^(١)

عمارة الأمير يشبك من مهدى — وفى سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٧ م) ، كانت الأرض قد ارتفعت عن منسوب باب زويلة وعن هذا الجامع^(٢) ، فقام الأمير يشبك من مهدى دوا دار الملك

(١) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١١٨ طبع كفرنيا .

(٢) الضوء اللامع ، ج ١٠ ص ٢٧٤ ، ابن إياس ج ٢ ص ١٧٧ ، والنزهة السنية ص ١٣٥

الأشرف قايتباي ، بالكشف عن عتبة باب زويلة وعن سلم هذا الجامع ، فأنكشفت الدرجات التي كانت مردومة وعدتها عشر ، كما ظهرت العمدة ، وأزال ما كان بوجهته من أبدية وأجرى به إصلاحات .

عمارة لجنة حفظ الآثار العربية — أدركت لجنة حفظ الآثار العربية هذا المسجد بحالة سيئة جدا ، فالدكاكين أسفلها احتجبت تحت الأرض ، وأقيمت المنازل والدكاكين بداخله ولصق وجهاته فأخفتها ، كما تهدمت الإيوانات حول الصحن ، ولم يبق منها سوى الإيوان الكبير ، فوضعت برنامجا كاملا لتخليته منذ سنة ١٩١١ ، وفي سنة ١٩١٥ م تسنى لها السير في نزع الملكية ، وأعيدت الأرض الى مستواها ، وظهرت الدكاكين ، وعمل أمامها خندق ، ثم نزع ملكية المنازل وهدمت ، فأنكشفت الوجهتان وفكت و أعيد بناؤهما ، وكل الناقص منهما ، مع المحافظة على الأجزاء القديمة جهد المستطاع .



قطاع طول

وقد ساعدت التولية والوصول بالمسجد الى مستواه الأصلي ، على كشف سلم الجامع القديم بوسط الوجهة الغربية ، وأنكشفت تفاصيل جديدة من نظام بناء الوجهات ساعدت على إعادة بناء الرواق الخارجي أمام الوجهة الغربية بعمده ، كما أمكن بناء ثلاث وجهات مع المحافظة على تفاصيلها القديمة على قدر الامكان .

والى الآن توجد بين الأنقاض الأثرية المخلفة من الجامع ، بقايا محاريب صغيرة ، يرى مسيو بتريكولو الباشمهندس الأسبق للآثار العربية أنها كانت تكتنف الباب الكبير .

وفي هذا العام تم إصلاح بقية الوجهة البحرية وما ظهر من بقايا ملحقه بها في النهاية الشرقية . وامتد الخندق لنهايتها .

المسجد ورأس الحسين — روى المقریزی نقلا عن ابن عبد الظاهر أن الصالح طلائع بنى هذا الجامع ليدفن فيه الرأس الشريف . فلما فرغ منه ، لم يمكنه الخليفة من ذلك . وقال لا يكون إلا داخل القصور الزاهرة ، وبنى المشهد الموجود الآن^(١) .

وتبعه في هذه الرواية القلقشندي . وقال إن الخليفة الفائز تغلب عليه وأمر ببناء المشهد الحالي^(٢) . ومنذ سنوات ، ظهرت بقايا أبنية متصلة بالنهاية الشرقية للوجهة البحرية للجامع ، كانت محتجبة خلف منزل ودكان . وقد نزعت ملكية المنزل وهدم سنة ١٩٤٥ ، فاتضح أن هذه البقايا متصلة بأبنية الواجهة البحرية وهي من نوعها ، كما ظهر بها باب كبير اجتمعت فيه تفاصيل أبواب المسجد من مزررات ونقش وكتابة كوفية حول عقده .

وبالسور الذي يربط هذا الباب بالوجهة باب في مستوى أبواب الدكاكين ، يؤدي الى ما خلف الجدار الشرقي ، كان له نظير في النهاية القبليّة الشرقية . كما ظهر أسفل مدخل الباب الحديد بغوة كبيرة لعلها دكان أو مخزن ، لها عتب مزرر مثل أبواب الدكاكين ، وفي ارتفاعها يتصل بوجهتها جدار حجرى يمتد قليلا الى الجهة البحرية ، لعل سلم هذا الباب كان يقوم عليه .

ومكتوب أعلى الجدار المذكور ابتداء من الناصية الشرقية للمسجد في إفريز أصغر من مثيله في الواجهة البحرية بالخط الكوفي ما نصه : ” بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه الى قوله تعالى يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك قتي مولانا وسيدنا عبد الله أبو محمد ... ” .

وقد انقطعت الكتابة عند آخر فتحة الباب وفقدت .

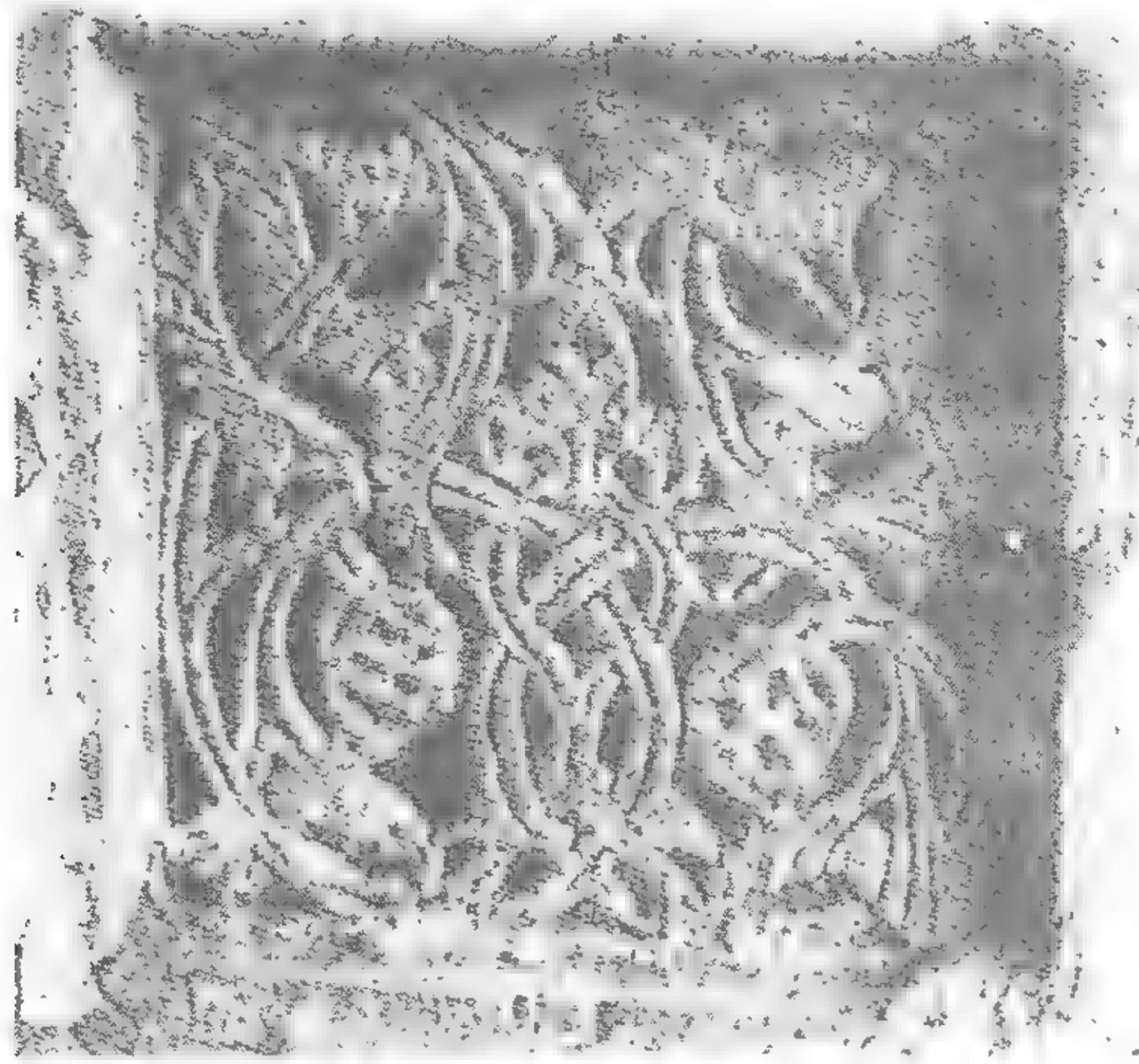
ويقرا حول عتب الباب قوله تعالى : ” بسم الله الرحمن الرحيم ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لا يسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين ” .

وهذه الكتابة مع كتابة الواجهة البحرية المتصلة بهذه البقايا واشتمالها على اسم الحسن والحسين ، وقوله تعالى : ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾ تحدو بي الى الأخذ برواية المؤرخين . ولما كان تصميم المساجد الفاطمية لا تشتمل على مدافن ، فمن المعقول أنه بدأ بإنشاء المشهد بجوار المسجد ، وتكون تلك البقايا باقية منه خصوصا أن الآية الشريفة المكتوبة على بابه : ﴿ ادخلوها بسلام آمنين ﴾ جرت العادة بأن تكتب على مداخل المدافن .

ولعل ما كتبه ابن دقماق في هذا الصدد يفيد إلى حد ما . فقد كتب عن الصالح طلائع : وهو الذي بنى جامع الصالح بظاهر باب زويلة ، وبني مشهد الحسين عليه السلام في سنة ٥٥٣ هـ . فهذه الفقرة يجوز إطلاقها على هذا المشهد .

بقيت مسألة الصلة التي تجمع المشهد بالمسجد ، وقد ضاعت معالمها بسبب عمل الخندق الشرقي وتجديد أكثر الجدار الشرقي ، الذي كان يوصل إلى المشهد .

ومن الاطلاع على المسقط الأفقي الذي عمله پريس دافين^(٢) حوالى سنة ١٨٥٠ م للجامع ، يتبين وجود بايين في طرفي جدار المحراب من المرجح أنهما كانا يوصلان إلى المشهد المذكور .



أحد الشبايك فوق العقود

(١) الجوهر الثمين مجلدا ص ٤٨

(٢) الفن العربي مجلد ٢ لوحات .

قبة وسجد للإمام الشافعي

شارع الإمام الشافعي^(*)

الإمام الشافعي — محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب الشافعي القرشي رضي الله عنه ، ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) وحمل من غزوة إلى مكة وهو ابن سنتين فنشأ بها وقرأ القرآن الكريم . وكان آية في الفهم والحفظ ، واجتمع له من الفضائل ما لم يجتمع لغيره . ومذهبه ثالث المذاهب الأربعة^(١) في القدم . أخذ عن الإمام مالك ، ثم استقل بمذهب خاص ، ودخل إلى العراق بعد مالك ، ولقي أصحاب الإمام أبي حنيفة وأخذ عنهم ومنهج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق ، وخالف مالكا رحمه الله في كثير من مذهبه .

ويذكر أصحاب الطبقات أن ظهور مذهبه كان أولا بمصر ، وكثر أصحابه بها ، ثم ظهر بالعراق وغلب على بغداد وعلى كثير من بلاد خراسان والشام واليمن وغيرها . وكان أكثر المصريين أحنافا ومالكية ، فلما قدم إليها الإمام الشافعي انتشر بها مذهبه .

كان رضي الله عنه كثير المناقب جم المفاخر ، عالما بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم^(٢) وكلام الصحابة رضي الله عنهم وآثارهم واختلاف أقاويل العلماء .

قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالست الشافعي . وقد أجمع علماء الحديث والفقه والأصول واللغة والنحو والقراءات على ثقته وأمانته وعدله وزهده وعلو قدره . وقال الزعفراني : « كان أصحاب الحديث رقودا حتى جاء الشافعي فأيقظهم فتيقظوا » .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : « قلت لأبي : أي رجل كان الشافعي ؟ فاني سمعتك تكثر من الدعاء له . فقال : يا بني ، كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن ؛ فهل لهذين من خلف أو عنهما من عوض ! » وقال يونس بن عبد الأعلى : « أوجعت أمة لوسعهم عقل الشافعي » .

قدم مصر سنة ١٩٩ هـ . وقيل ٢٠١ هـ (٨١٦ م) . ونزل بها ضيفا على أبي عبد الله بن الحكم الفقيه المالكي المصري . وأخذ عنه مجموعة من العلماء ، ولم يزل بها الى أن توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩ م) . ودفن بتربة أولاد ابن عبد الحكم بالقرافة الصغرى .

(*) انظر الصور من رقم ٥١ — ٥٦ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة ، ص ٢٨ (٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ، ج ١ ص ٦٢٧

(٣) النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ١٧٧

وقد ظلت هذه المقبرة موضع تكريم الزائرين يقصدونها بالزيارة والتبرك بهذا الإمام العظيم .
غير أنها بقيت ساحة حتى غنى بها صلاح الدين^(١)، كما غنى بنشر مذهبه . ففى سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م)
بنى تربة الشافعي رضى الله عنه ، وهى أول عمارة على قبره حدثنا عنها المؤرخون^(٢) .
وفى سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) شرع صلاح الدين فى بناء المدرسة الصلاحية بجوار قبر الشافعي ،
برسم الفقهاء أصحاب الشافعي . وكان الفراغ منها فى سنة ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م) وعرفت بتاج المدارس ؛
فقد كانت معقلا لئلا يشر مذهب الشافعي .

وقد زارها الرحالة ابن جبير عقب الفراغ من بنائها ووصفها بقوله :

« مشهد الإمام الشافعي رضى الله عنه ، وهو من المشاهد العظيمة احتفالا واتساعا . وبني
بإزائه مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها لا أوسع مساحة ولا أحفل بناء ويخيل لمن يتطوف فيها أنها
بلد مستقل بذاته ، بإزائها حمام ؛ الى غير ذلك من مرافقها . والبناء فيها حتى الساعة والنفقة عليها
لا تحصى . تولى ذلك بنفسه الشيخ الإمام الزاهد العالم المعروف بنجم الدين الخبوشاني . وسلطان
هذه الجهات صلاح الدين يسمح له بذلك كله ، ويقول زد احتفالا وتائقا علينا القيام ، وؤونة ذلك
كله ، فسبحان الذى جعله صلاح دينه كاسمة »^(٤) .

وقد تعاقب على التدريس فيها أئمة علماء المذهب حتى نهاية القرن التاسع الهجرى^(٥) (الخامس
عشر الميلادى) .

وقد كانت موضع رعاية ملوك مصر وأمرائها . فقد جتدها السلطان قايتباي^(٦) ، كما جتدها
صاحب الخيرات الأمير عبد الرحمن كتحدا^(٧) سنة ١١٧٦ هـ (١٧٦٢ م) ، وأنشأ سديلا على يسار باب
القبة باقية وجهته حتى الآن هى والكسوة الرخامية للباب الخارجى للقبة بمصراعيه المغشيين بالفضة ،
ونقش على أعتاب باب المسجد الذى كان جتده محل المدرسة الصلاحية ما نصه :

«مسجد الشافعي بمصر علوم * أشرقت شمسُه بنور محمد»

وعلى عتب آخر :

«أكرم به من مسجد مصباحه * كتر اهذى المولى الهام الشافعي»

وعلى يسار باب القبة قطعة مستديرة من الرخام الأسود اللاع محاطة باطار رخامى مزخرف تعتبر
أنظف قطعة من نوعها .

(١) النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ١٧٧ (٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٤ ص ٢٢٩

(٣) منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماء ص ٢٧٢ ، مفرج الكرب ج ١ ص ١٩٦

(٤) رحلة ابن جبير ، ص ١٧ و ١٨ (٥) حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١٨٦ طبع الوطن .

(٦) التبر المسبوك ، ص ٤٤ (٧) الجبرق ، ج ٢ ص ٦

وتختلف من المدرسة الصلاحية النص التاريخي المكتوب بالنسخ الأيوبي المتضمن انشاءها ، وهو مودع دار الآثار العربية ونصه : ” بنيت هذه المدرسة باستدعاء الشيخ الفقيه الإمام ال... الزاهد نجم الدين ركن الإسلام قدوة الأئمة مفتي الفرق أبو البركات بن الموفق الخبوشاني أدام الله توفيقه لفقهاء أصحاب الشافعي رضوان الله عليه الموصوفين بالأصولية الموحدة الأشعرية على الحشوية وغيرهم من المبتدعة وذلك في شهر رمضان سنة خمس وسبعين وخمس مائة “ . كما بقي منها مصراعان مغشيان بالنحاس مودعان دار الآثار العربية .

ثم أمر المغفور له الخديو توفيق باشا بتجديد المسجد ، فتم تجديده في سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) على ما هو عليه الآن . وهو مسجد جميل ، وجهاته مبنية بالحجر ، وحليت أعتاب الشبابيك بكتابات كوفية . وله منارة رشيقة عملت على مثال المنارات المملوكية . ومنبره مطعم بالسق والابنوس . كان الفراغ من عمله سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) .

تابوت الشافعي — وقد بقي من عمارة صلاح الدين الأولى لقبر الشافعي تابوت فاخر من الخشب مستطيل ، غطاؤه هرمي ، حافل بالنقوش والكتابات الكوفية والنسخية ، وجميع وجوه هذا التابوت مكونة من أطباق عربية كبيرة ، منقوشة بزخارف نباتية دقيقة ، من غصون مفترعة ، وأوراق مفترقة ، في مجاميع متماثلة ، تتخللها أشكال نجمية ومسدسة .

صنع عبد الحار المعروف باسم معالي

نوبيع النجار

ومن أهم الكتابات به النص المشتمل على تاريخ صناعة التابوت واسم الصانع وهو : ” عمل هذا الضريح المبارك للإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن الهاشم بن المطلب بن عبد مناف رحمه الله . صنعت عبيد النجار المعروف بابن معالي ، عمله في شهر سنة أربع وسبعين وخمس مائة ، رحمه الله ورحم من ترجم عليه ودعاه بالرحمة ولجميع من عمل معه من النجارين والنقاشين ولجميع المؤمنين “ . وحول هذا التابوت مقصورة خشبية منقوشة ، عملتها لجنة الآثار العربية لحماية هذا التابوت سنة ١٣٢٩ هـ .

وابن معالي هذا من أسرة نبغت في صناعة النجارة ، رأيت اسم أحد أفرادها على منبر نور الدين الشهيد في المسجد الأقصى بهذا النص : ” صنعة سلمان ابن معالي “ .

وعلى رأس هذا التابوت كتابة تاريخية بالخط الكوفي نصها : ” بسم الله الرحمن الرحيم وأن ليس للانسان إلا ما سعا وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى هذا قبر الفقيه الامام أبي عبد الله

محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن الهاشم بن المطلب ابن عبد مناف . ولد رضى الله عنه سنة خمسين ومائة وعاش الى سنة أربع ومائتين ومات يوم الجمعة آخر يوم من رجب من السنة المذكورة ودفن من يومه بعد العصر .“

وأمام القبر عمود من رخام مكتوب عليه بالخط النسخ ١٦ سطرا نصها : ” بسم الله الرحمن الرحيم وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى هذا قبر السيد الامام أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ابن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم ولد رضى الله عنه سنة خمسين ومائة وعاش الى سنة أربع ومائتين ومات يوم الجمعة آخر يوم من رجب من السنة المذكورة ودفن من يومه بعد العصر رضى الله عنه وأرضاه آمين .“

وهذا الشاهد استعمل للمرة الثانية لغرض واحد ؛ فقد وجدت على وجهه الآخر كتابة لم تنشر قبل اليوم مكتوبة بالخط الكوفي ونصها : ” بسم الله الرحمن الرحيم وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى هذا قبر الفقيه أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب ولد رضى الله عنه سنة خمسين ومائة وعاش الى سنة أربع ومائتين ومات يوم الجمعة في آخر يوم من رجب من السنة المذكورة ودفن من يومه بعد العصر رضى الله عنه .“

ولاشك أن هذا النص أقدم نص تاريخي باق في المشهد ؛ فهو مكتوب في العصر الفاطمي ، خصوصا أنه خال من لقب الإمام . ووجدت في تاريخ دمشق لابن عساكر أول لوحة تاريخية كانت على قبره ونصها : ” هذا قبر محمد بن إدريس الشافعي وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وأن صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمر وهو من المسلمين عليه يحيى وعليه مات وعليه يبعث حيا إن شاء الله وتوفى أبو عبد الله ليوم بقى من رجب سنة أربع ومائتين .“ وقد دفن في قبة الشافعي أيضا من أسرة صلاح الدين زوجته الملكة شمسة ، وابنه العزيز عثمان ؛ ولكن قبريهما غير محددين . ولعلهما في المقبرة المحاطة بالمقصورة المطعمة بالصدف والزرنيشان وكانت هذه المقصورة حول قبر الشافعي . وعليها اسم صانعها بما نصه : ” عمل عمر “ .

القبة — في سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١ م) أنشأ هذه القبة السلطان الملك الكامل محمد ابن العادل لما دفنت أمه هناك . وهي قبة كبيرة من أجل القباب وأجملها بمصر . فكما تفنن

المهندس في زخرفها ونقوشها ، بذل قصارى جهده في تخفيف كلفة البناء الضخمة التي سيجعلها مربع القبة . وحليت من الخارج بزخارف وكتابات وشرفات مسننة منقوشة .

وهذه القبة خشبية ومكسوة بالرصاص ، ولعلها أقدم قبة خشبية . وقد عملت على مثالها قبة جامع الظاهر بيبرس البندقداري ، ومن القباب الخشبية أيضا قبة المدرسة الناصرية بالناحية ، فقبة السلطان حسن قبل هدمهما .

وقد كسيت جدرانها من الداخل بالرخام . وفي جدارها الشرق ثلاثة محاريب ، طواقيها خشبية منقوشة . ثم محراب رابع أحدث لتصويب القبلة .

ويحيط بالمربع إفريز خشبي منقوش بزخارف بارزة ، كما يحيط بها إفريز آخر أسفل رجل المقرنص مكتوب به بالخط الكوفي آيات من سورة يس ، وبقية القبة منقوشة . ومكتوب بالخط الكوفي الأندلسي بدائرها العلوى آية الكرسي .

وقد دون تاريخ إنشائها في سطرين فوق العتب الخشبي للشباك الغربي للقبة ، بما نصه : ” بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه القبة المباركة مولانا السلطان الملك الكامل محمد بن مولانا السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب خليل أمير المؤمنين خلد الله ملكه وذلك في يوم الأحد لسبع خلون من جمادى الأولى من سنة ثمان وستمائة ... الله ... “ .

ولم يكن الكامل في هذا الوقت سلطانا لمصر ، بل كان والده الملك العادل هو السلطان . وهذا يساعد على الأخذ برواية من قال من المؤرخين : « إن أم الكامل هي التي عمرت قبة الشافعي على ما هي عليه ، وأجرت الماء من بركة الحبش إلى القبة المذكورة » .

وبالقبة تابوت آخر فوق قبر أم الملك الكامل لا يقل في أهميته عن تابوت الشافعي ، حليت جوانبه الأربعة بمحشوات دقت بالأويمة ذات الفروع النباتية ، تتوسطها محشوات نجمية اثنا عشرية ، آية في الدقة والجمال . ومكتوب بقوائم الرأس القبلية بالخط النسخي المزخرف ما نصه : ” بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر السيدة الشهيدة المرحومة الفقيرة إلى رحمة ربها والدة الفقير إلى رحمة ربه محمد ولد مولانا السلطان الملك العادل العامل العابد المجاهد المزابط المؤيد المظفر المنصور سيف الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين قاهم الخوارج والتمردين قاهر الكفرة والمشركين أبي بكر بن أيوب خليل أمير المؤمنين اللهم أقم بهما منار الحق وأعله واجعل أيامهما عامت البركات على الإسلام وأهله وأدم إعزاز الدين بماضى عزمهما ونصله وأدق عدوهما نار انتقامك

وأصله برحمتك يا أرحم الراحمين وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين . توفيت الى رحمة ربها ورضوانه قبل الفجر من الليلة التي صبحها يوم الأحد الخامس والعشرين من صفر سنة ثمان وستمائة قدس الله روحها ونور ضريحها وأسكنها الجنة مع المتقين “ .

ويلاصق مقصورة الشافعي مقصورة خشبية بسيطة حول قبر يقال إنه لأولاد ابن عبد الحكم .

وفي سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) أمر السلطان قايتباي بإصلاح القبة ، وعهد بعمارتها الى الخوجا شمس الدين بن الزمن . وقد ذكرت هذه العمارة في كتابة تاريخية بوزارة القبة نصها : ” أمر بتجديد هذه القبة المباركة مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره . وكان الفراغ من ذلك في شهر جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين وثمان مائة من الهجرة الشريفة النبوية “ .

وإذا كان ابن إياس لم يبين الأعمال التي أجراها قايتباي ، فقد أوضحها السخاوي في ترجمة ابن الزمن بين الأعمال المعمارية التي أشرف عليها فقال : « ... وعمر قبة الإمام الشافعي وجدد رخامها وزخرفتها^(٢) » .

وكذلك جددها الملك الأشرف قانصوه الغوري ، وكتب على الوزارة ما نصه : ” أمر بتجديد هذه القبة المباركة السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري عز نصره “ .



سقف الشباك

وفي سنة ١١٨٦ هـ (١٧٧٢ م) أجرى بها على بك الكبير عمارة كبيرة . فقد كشف ما عليها من الرصاص القديم من أيام الملك الكامل وقد أشعث ، فجدد ما تحته من خشب القبة البالي بغيره من الخشب النقي الحديث . ثم كساه بالرصاص ، وجدد نقوش القبة من داخل بالذهب واللازورد^(٣) . وقد دون تاريخ هذه العمارة على مربع القبة بما نصه : ” أمر بتجديد هذه القبة المباركة على التخصيص وتشيد أفنان وضعها بفنون النقش والترصيص

عزيز مصر وحاكمها من ثبت أحكامه في أقاليمها ومعالمها المتوكل على الله مولانا القائم في الرعية بما يحبه ويرضاه على الاسم والقدر والجاه الحاكم بأمر الله أيد الله بالنصر لواءه وخلد عزه وبقائه وخذل

(١) ابن إياس ج ٢ ص ١٩٨ و ٣٠١ (٢) الضوء اللامع، ج ٨ ص ٢٦١ (٣) الجبرتي، ج ١ ص ٣٨٢

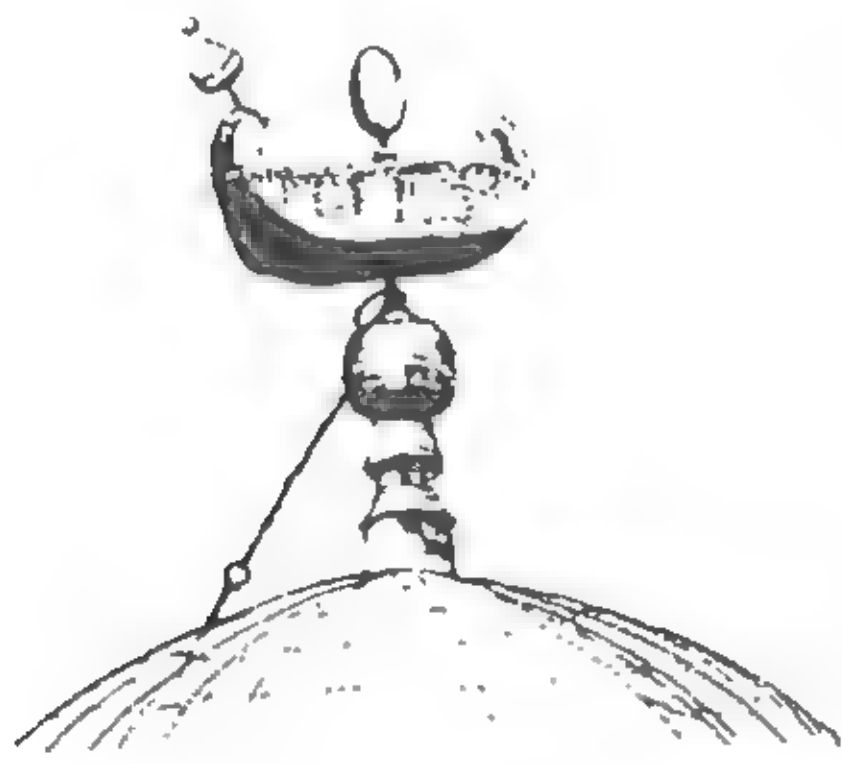
أضداده وأعداءه وبلغه قصده ورجاه إنه الملك اللطيف بركة صاحب هذا المقام الشريف وذلك في افتتاح سنة ست وثمانين ومائة وألف من الهجرة أدام الله عزه ونصره .

وقد حافظ أثناء عملية النقش على الكتابة الكوفية الأندلسية بقطب القبة، ويسترعى النظر معبرة الباب الغربى (شباك) المتخذة من قصع غير مقعرة وهو با كورة لهذا النوع من السقوف . ويلاحظ في مصر اعى هذا الشباك أن الوجه مكوّن من حشوات سدسة ، والظهر من حشوات مربعة ومستطيلة ، منقوشة ومكتوبة بالكوفى ، وعلى باب القبة مصراعان آحران من الخشب المجمع ، دقت حشواتهما بالأويمة الجميلة على مثال دقة تابوت أم الكامل ، لهما صنوان مثلهما نقلا الى مسجد الإمام الليث . ومنقوش على هذين المصراعين فى أربع حشوات تاريخ الفراغ من القبة ” وذلك لسبع خلون من جمادى الأولى من سنة ثمان وستمائة “ . وهذه الابيات :

الشافعى إمام الناس كلهم * فى العلم والحلم والعلياء والباس
له الإمامة فى الدنيا مسلمة * كما الخلافة فى أولاد عباس
أصحابه خير أصحاب ومذهبه * خير المذاهب عند الله والناس

ومن مآثر المغفور له محمد على باشا أنه فى سنة ١٢٣٠ هـ (١٨١٤ م) أنشأ بجرة توصل الماء إلى ميضأة مسجد الشافعى ، وإلى مدفن الأسرة الذى أنشأه خلف الشافعى .

العشارى فوق القبة — اشتهرت قبة الشافعى بالعشارى^(١) فوقها ، وهو مركب صغير مثبت فى هلال القبة ، تتدلى منه سلسلة حديدية ، يقال : إنها أعدت ليتسلقها من يريد الوصول إلى هذا المركب لوضع الماء والحبوب للطيور ، على ما يزعمون وهو ما يصعب تصديقه . وهذا المركب موضوع فى هلال القبة منذ إنشائها ، لأن الإمام البوصيرى صاحب البردة المتوفى سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) عاينها وقال فيها :



المركب فوق القبة

بقبة قبر الشافعى سقىنة * رست فى بناء محكم فوق جلمود
ومذ غاض طوفان العلوم بقبره اسـ * تنوى الفلك من ذاك الضريح على الجودى

(١) العشارى : مركب صغير خاص بالنيل والخلجان ، منه ما هو خاص بالملك ومنه ما هو خاص بكبار الدولة ، وهو ذو ألوان

وتبعه شعراء القرنين الثامن والتاسع الهجري (الرابع عشر والخامس عشر الميلادي) في وصفها؛ فقد أنشد فيها الأديب الكاتب ضياء الدين أبو الفتح موسى بن ملهم^(١) :

مررت على قبة الشافعي * فعان طرفي عليها العشاري

فقلت لصحبي لا تعجبوا * فان المراكب فوق البحار

وقال علاء الدين أبو علي عثمان بن إبراهيم النابلسي :

لقد أصبح الشافعي الاما * م فينا له مذهب مذهب

ولولم يكن بحر علم لما * غدا وعلى قبره مركب

ومن هذه الأشعار نستنتج أن هذا المركب قد يكون رمزا لعلم الامام الشافعي، لأنه بحر العلوم. وأول من أشار إلى أن هذا المركب أعد لوضع الحبوب به هو بهاء الدين العاملي، وقد زاره سنة ٩٩٢ هـ (١٥٨٤ م)^(٢)، وتبعه الرحالة عبد الغني النابلسي في رحلته «الحقيقة والمجاز» فقد زار مصر سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٢ م) وقال :

ورأينا على قبة الإمام الشافعي من جهة الخارج سفينة من خشب مربوطة بالهلال يوضع فيها الحب للطيور ثم أنشد^(٣) :

يا قبة للامام الشافعي زهت * بها القرافة في مصر هيبته

لو لم يكن تحتها بحر العلوم لما * سفينة الحب كانت فوق قبه

وتبعهما في رواية إعداد هذا المركب للحبوب المرحوم علي باشا مبارك^(٤)؛ فقد وصف المركب بأنه يسع قدر نصف إردب من الحبوب لأكل الطيور .

منشأ العشاريات على القباب والمنارات — لم تكن العشاريات مقصورة على قبة الشافعي، فقد كانت موجودة بهلال منارة الجامع الطولوني، وبقيت بها إلى أن سقطت سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣ م)^(٥).

وقد قزر كوربت بك عند ما كتب عن الجامع الطولوني ومنارته والعشاري الذي كان عليها أنه رأى بالأقاليم، وفي مدينة رشيد عدة مراكب فوق مناراتها^(٦). وقد زرت كثيرا من هذه البلاد فلم أجد مراكب على مناراتها . وإنما لاحظت في الأضرحة الموجودة على النيل مراكب صغيرة من الخشب أو الورق تعلق فوق المقاصير .

وقد رأيت بهلال القبة القبلية في خانقاه فرج بن برقوق بالصحراء مراكبا صغيرة باقيا حتى الان لا سبيل للوصول اليه . مما يعزز أن هذه المراكب ما هي إلا نوع من الأهلة، لا لوضع الحبوب للطيور .

(١) المقرئ، ج ٢ ص ٤٦٢ (٢) الكشكول ص ١٦ (٣) الحقيقة والمجاز، ص ٦٤

(٤) الخطط الجديدة، ج ٥ ص ٢٥ (٥) الجبرق، ج ١ ص ٢٥ (٦) الجامع الطولوني، ص ٨٣

مدرسة وقية قلاوون

بشارع المعز لدين الله (النحاسين)^(*)

المنصور قلاوون — هو السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى^(١) أحد مماليك الأتراك البحرية . اشتراه الأمير علاء الدين آق سنقر الساقى العادلى بألف دينار . ثم امتلكه الصالح نجم الدين سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) فجعله من جملة البحرية ، وترقى فى الوظائف إلى أن عين أتابك العساكر^(٢) .

وفى سنة ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م) عين ملكا على مصر ولقب بالملك المنصور ؛ فكان عصره عصر رخاء ورفاهية ، انتعشت فيه الفنون وازدهرت العمارة ، وقد ألنى كثيرا من المكوس ، وحارب التتار وهزمهم فى حمص ، كما هزم الصليبيين فى مواقع كثيرة واستخلص منهم بلادا إسلامية . وغزى النوبة .

انتقل إلى رحمة الله تعالى ليلة السبت ٦ من ذى القعدة سنة ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م) بعد أن حكم إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر^(٣) ، ودفن فى تربته التى أنشأها فى شارع بين القصرين .

أقيمت هذه المجموعة على رقعة من أرض القصر الفاطمى الصغير الغربى . وكان على جزء منها قاعة كبيرة لست الملك أخت الحاكم بأمر الله ، ثم آلت ملكيتها إلى الأميرة مؤنسة القطبية الأيوبية . ولقد غلب اسم البيارستان^(٤) على هذه المجموعة ؛ لأنه السبب فى إنشائها . ذلك أن المنصور قلاوون وقت أن كان أميرا سنة ٦٧٥ هـ (١٢٧٦ م) أصابه وهو بدمشق مرض ، فعولج بأدوية أخذت له من بيارستان نور الدين الشهيد . وبعد إبلاله من مرضه زار البيارستان . فأعجب به ونذر إن آناه الله ملك مصر أن يبنى بها بيارستانا .

فلما ولى الملك شرع بالوفاء بنذره ، ووقع اختياره على الدار القطبية وغيرها لإنشاء بيارستان ومدرسة وتربة ، وعهد إلى الأمير علم الدين سنجر الشجاعى بالتنفيذ . فقد كان خيرا بالعمارة .

(*) انظر الصور من رقم ٥٧ — ٦٤ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الألفى لأنه اشترى بألف دينار . (٢) أتابك أكبر الأمراء المتقدمين .

(٣) المنهل الصافى ، وفوات الوفیات ج ٢ ص ١٣٣ ، وابن إياس ج ١ ص ١١٩ ، والنجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٢٦ .

(٤) بيارستان — كلمة فارسية مركبة من « بيار » أى مريض ، ومن « ستان » أى محل . ويقال له بالتركية « خسته خانه » .

ويؤثر عن عبد الملك بن مروان أنه أول من اتخذ البيارستانات .

كان الأمير سنجر الشجاعى متعسفا غشوما ؛ فقد حشد إلى العماره ثلاثمائة أسير، كما حشد جميع الصناع ، وأمرهم جميعا بالعمل فى هذه العماره ومنعهم من العمل فى غيرها . ثم عمد الى قلعة الصالح نجم الدين بالروضة ونقل منها ما احتاج إليه من عمد جرانيتية ورخام وغيرها .

وكان البدء فى هذه العماره فى شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٣ م) . والفراغ منها فى جمادى الأولى سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٤ م) . أى أن القبة والمدرسة والبيارستان استغرق بناؤها ١٤ شهرا . ولم يكن هذا تقدير المؤرخين فحسب ، بل نقش ذلك على عتب الباب الرئيسى بما نصه : ” أمر بإنشاء هذه القبة الشريفة المعظمة والمدرسة المباركة والبيارستان المبارك مولانا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى وكان ابتداء عماره ذلك فى ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة والفراغ منه فى جمادى الأول سنة أربع وثمانين وستمائة “ .

كما نقش على بقية المجموعة تاريخ البدء والفراغ من أجزائها . وهى مستندات قوية ، ولكن عظم مساحة هذه المجموعة وكثرة زخارفها ودقتها تجعلنى أتشكك — كما تشكك غيرى^(١) — فى تصديق ذلك . وكل ما أستطيع الأخذ به أن هذه التواريخ كتبت عند الفراغ من كتلة البناء أو الواجهات لا الزخرف . وقد قوى هذا الشك عندى وعززته اختلاف المؤرخين فى تاريخ دفنه بقبته . فقد ذكر كثير منهم أنه دفن بها غداة وفاته . وقال اثنان بخلاف ذلك : أولها مفضل بن أبى الفضائل الذى يقرر أنه فى ١٠ محرم سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) نقل السلطان الشهيد المنصور من القلعة ودخلوا به من باب البرقية وصلوا عليه بجامع الأزهر^(٢) . وحمل الى تربته ودفن بالقبة . وثانيهما ابن الفرات فى حوادث سنة ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م) إذ يقرر أن المنصور قلاوون حينما اعترم السفر الى عكا ونزل بنجيمه فى منزلة مسجد التبر^(٣) ، وكان عليلا اشتد مرضه فبقى هناك الى أن توفى يوم ٦ من ذى القعدة ، وحمل الى قلعة الجبل ليلا واستمر بها الى آخر يوم الخميس غرة المحرم سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م)^(٤) . وفى يوم ٢ محرم نقلت جثته من القلعة الى تربته التى أنشأها بالمدرسة المنصورية داخل القاهرة . وعزز هاتين الروايتين ابن شاكر الكتبي ثم المقرئ^(٥) ، فقد ذكر أن الأشرف خليلا أمر بنقل أبيه من القلعة الى القبة المنصورية فى ٢ محرم سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) .

(١) سبقنى الى هذا التشكك النورى حيث يقول : فاذا شاهد الرأى هذه العماره العظيمة وسمع أنها عمرت فى هذه المدة القريبة ربما أنكر ذلك ، ص ٩٩٨ ملاحق الجزء الأول من السلوك نقلا عن نهاية الأرب . . . (٢) تاريخ سلاطين المماليك ج ٢ ص ٥٢٧ (٣) مسجد التبر : موجود فى الشمال الغربى لمحة حمامات القبة بالقرب منها . (٤) تاريخ ابن الفرات ج ٨ ص ٩٧ (٥) المقرئ ، ج ٢ ص ٣٨١ ، فوات الوفيات ج ٢ ص ١٣٤

ومن هذه الروايات يفهم أن هذه المجموعة تمت بناء ورخاما وزخرفا في أول سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) وتكون قد استغرقت سبع سنين وثمانية أشهر ، وهى المدة المعقولة لبناء هذه المجموعة الشائخة الحافلة بمختلف فنون العمارة الدقيقة .

فإن صحت هذه الروايات فهل يكون التأخر فى العمارة مقصورا على القبة ؛ لأنها أحفل قسم بالزخرف والرخام الدقيق ؟ فقد ورد أنه فى سنة ٦٨٦ هـ (١٢٨٧ م) جلس قاضى القضاة برهان الدين السنجارى للحكم فى المدرسة المنصورية بين القصرين^(١) . وأنه فى شهر ربهضان سنة ٦٨٤ هـ عين مهذب الدين المعروف بابن أبى حليقة لتدريس الطب بالبيارستان^(٢) ، فيجوز أنهما قاما بوظائفهما فى جزء من البناء قبل الفراغ منه ، كما حدث فى الجامع المؤيدى وغيره . وكثيرا ما رأينا مدارس ومساجد احتفل بافتتاحها وعين مدرسوها قبل أن يتم بناؤها .

وصف القبة والمدرسة — تقع هذه المجموعة فى شارع المعز لدين الله بين القصرين . والواقف أمام هذه البناية الضخمة يرى قسمين : الأول وهو القبلى وجهة المدرسة ، والثانى وهو البحرى وجهة التربة ، تعلوها قبة كبيرة . وفيما بين هذين القسمين الباب الذى يسلك منه الى المدرسة والقبة والبيارستان .

والناظر الى هذه المجموعة يرى منظرا من أروع المناظر للعمارة الاسلامية بالقاهرة ؛ فقد اشتملت الواجهة على عقود محمولة على عمد رخامية ، وبداخل تلك العقود شبابيك مفترقة بأشكال هندسية ، بها افريز مكتوب به اسم المفشى والقباه ، وتاريخ الإنشاء . وتنتهى من أعلاها بشرفة مسننة حلى وجهها بزخارف . وهى وجهة ذات طراز غير مألوف فى عمارات مصر . وهذا بلا شك من ظواهر التأثيرات السورية عليها .

وعلى الطرف البحرى المنارة المكونة من ثلاثة أدوار : الأسفل والأوسط مربعان ، فتحت بهما شبابيك تنوعت عقودها . والثالث مستدير به نقوش دقيقة ، وكتابات فى الجص متوج بكرنيش مصرى الطراز . أما خوذتها فليست منها ، ولعلها كانت مضلعة مخصوصة مثل منارات الجاولى وبيبرس الجاشنكير ، وهو الطرز الشائع فى منارات هذه الفترة .

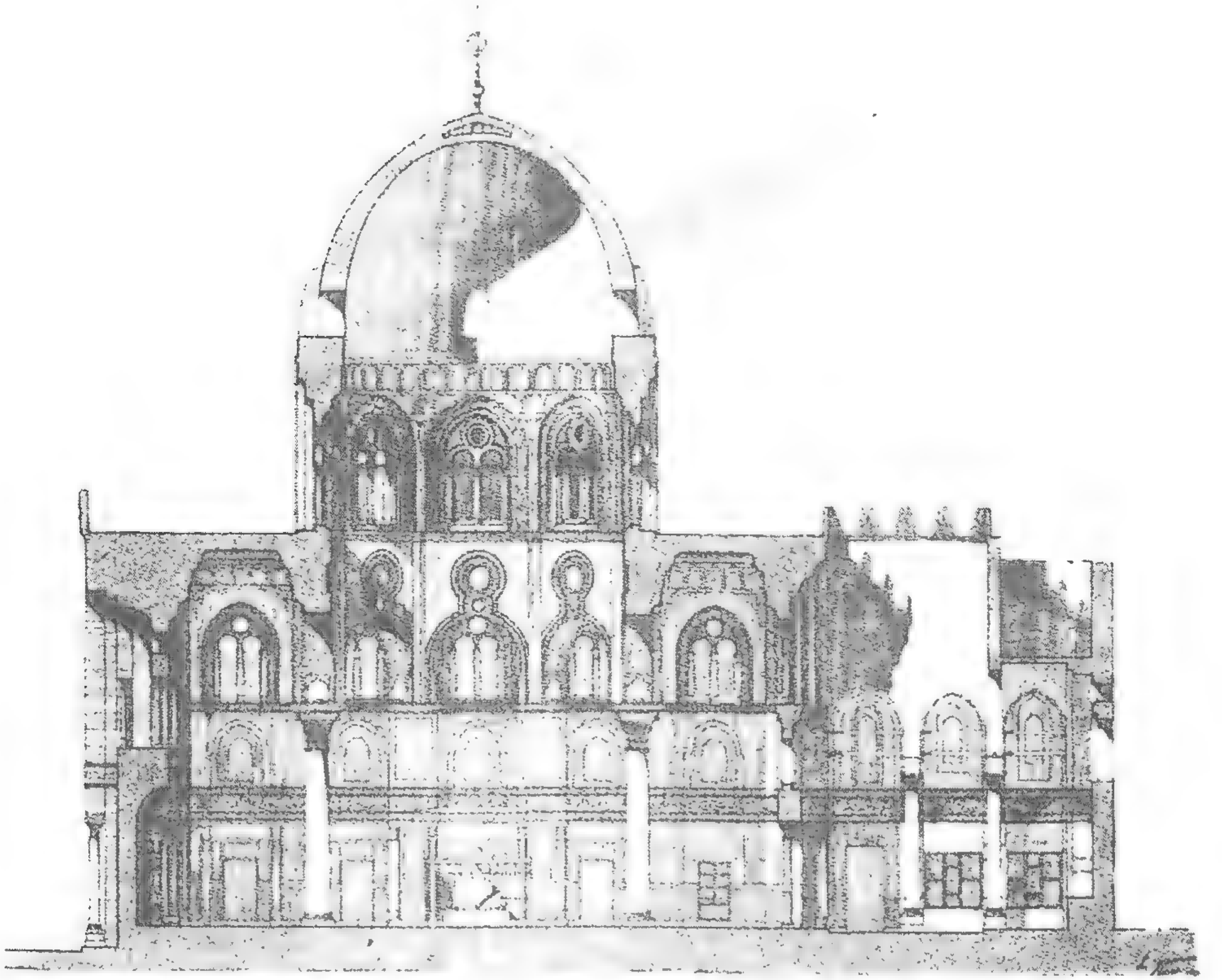
وهذه المنارة أنشأها ابنه الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) بمعرفة الأمير سيف الدين كهرداش المنصورى^(٣) على أثر سقوطها فى زلزال سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) . ونقش تاريخ

(٢) السلوك، ج ١ قسم ٣ ص ٧٢٩

(١) السلوك، ج ١ قسم ٣ ص ٧٣٤

(٣) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٦٩

التجديد في أربعة أسطر تحيط بمربع الدورة الأولى أسفل المقرنص بما نصه : ” بسم الله الرحمن الرحيم اللهم جدد الرحمة والرضوان على روح الملك المنصور رحمه الله أمر بتجديد هذه المأذنة في أيام ولده مولانا السلطان الملك الناصر أبو الفتح محمد وذلك عند ظهور الآيات المنزلة وسقوط أعاليها عند حدوث الزلزلة في شهور سنة ثلاث وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام “ . كما أثبت ذلك أيضا في لوحة ثانية على وجه قاعدتها في الناحية البحرية .



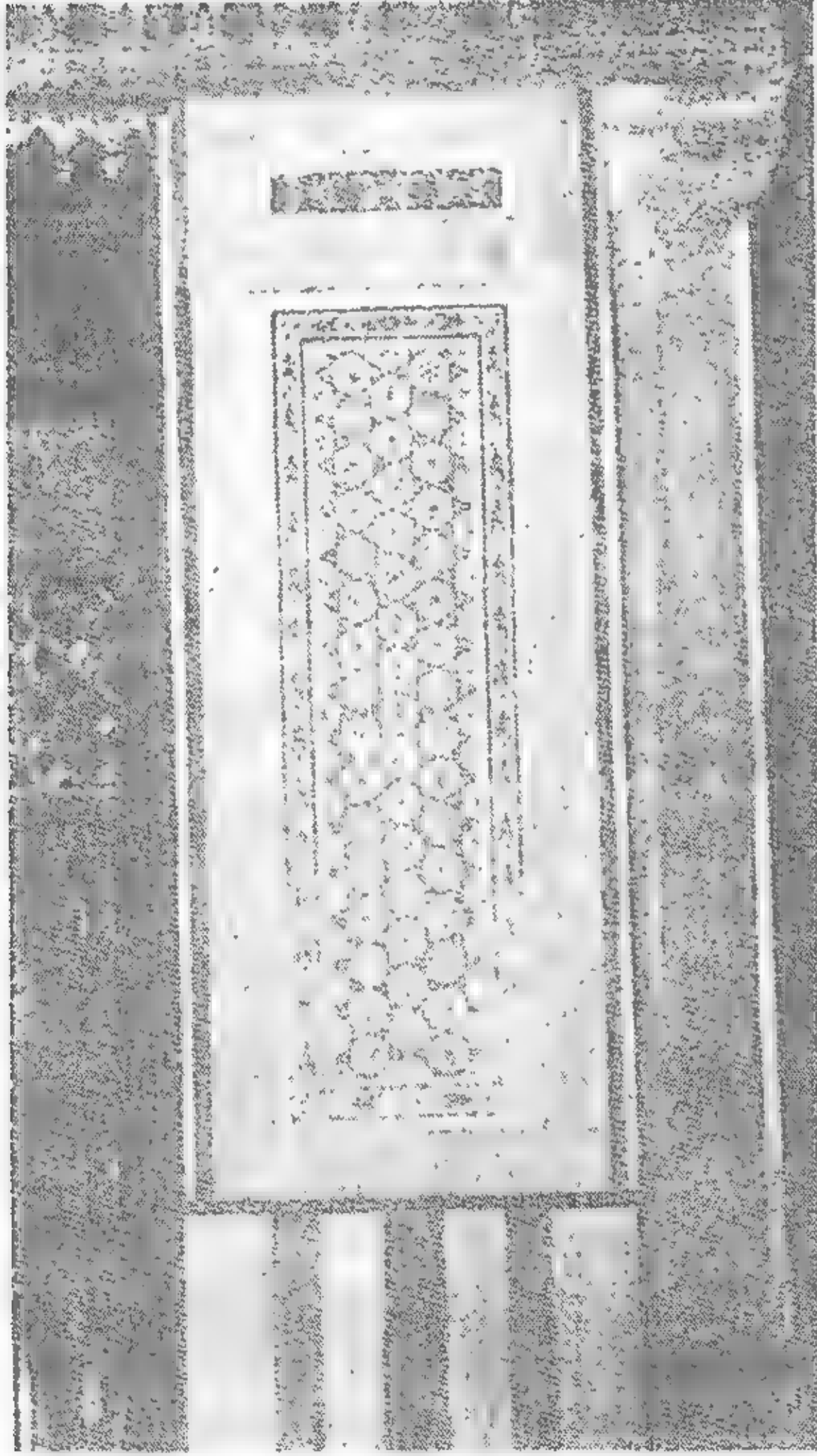
قطاع طول للقبة المنصورية

ويتوسط هذه الواجهة الباب الذي يسلك منه الى المدرسة والقبة والبيارستان ، وهو مكسو بالرخام الملون ، وعلى مصراعيه كسوة نحاسية مفرغة برسوم هندسية جميلة ، وسماعته على شكل رأس حيوان .

وهذا الباب يؤدى الى دهليزه سقف خشبي جميل ، فتحت على جانبيه أبواب وشبابيك متقابلة للتربة والمدرسة ، ينتهى الى باب يؤدى الى البيارستان حلى عقده بنقوش .

وللتربة بابان مفتوحان على هذا الدهائز ، يدخل إليها مباشرة من أولها ، ومن الثانى الى القاعة أمامها . وقد أدخل الأمير عبد الرحمن كتنخدا فى عمارته التى أجراها سنة ١١٧٤هـ (١٧٦٠م) تغييرات على هذا الباب وعلى باب المدرسة المقابل له وهما البابان الرئيسيان ، كما هدم القبة الكبيرة ^(١) .

وتصميم هذه القبة غريب بالنسبة للقباب غيرها بمصر ، لكنه مقتبس الى حد ما من تصميم قبة الصخرة بالقدس الشريف ، فالقاعدة مربعة ، أقيم وسطها أربعة عمد ضخمة من الجرانيت متقابلة مذهبة تيجانها ، وأربعة أكتاف من البناء ، فى نواصى كل منها أربعة عمد رخامية ، كسيت أجنابها الخارجية بالرخام الدقيق المطعم بالصدف ، يجمعها من أعلى إفريز رخامى دقيق ، فوقه إفريز منقوش مذهب ، ثم إفريز آخر به آيات من القرآن وتاريخ تجديداتها بحروف مذهبة على أرضية زرقاء . وباقي الأكتاف مكسوة بالخشب المنقوش .



وزرة القبة

وهذه الأكتاف مع العمد تحمل عقوداً ، حلى باطنها بزخارف جصية ، كما حليت حافتها الخارجية بهذه النقوش ، وتنتهى من أعلى بميمة فوقها شباك مستدير هو وإطاره من الجص المنقوش . وفتح بأضلاع المثلث شبايك قندلية ^(٢) من الجص والزجاج الملون ، أحيطت بزخارف جصية موزقة ، ثم مقرنص خشبي فالقبة .

وهذه القبة أعادت بناءها لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) على مثال قبة الأشرف خليل بن قلاوون المعاصرة لها .

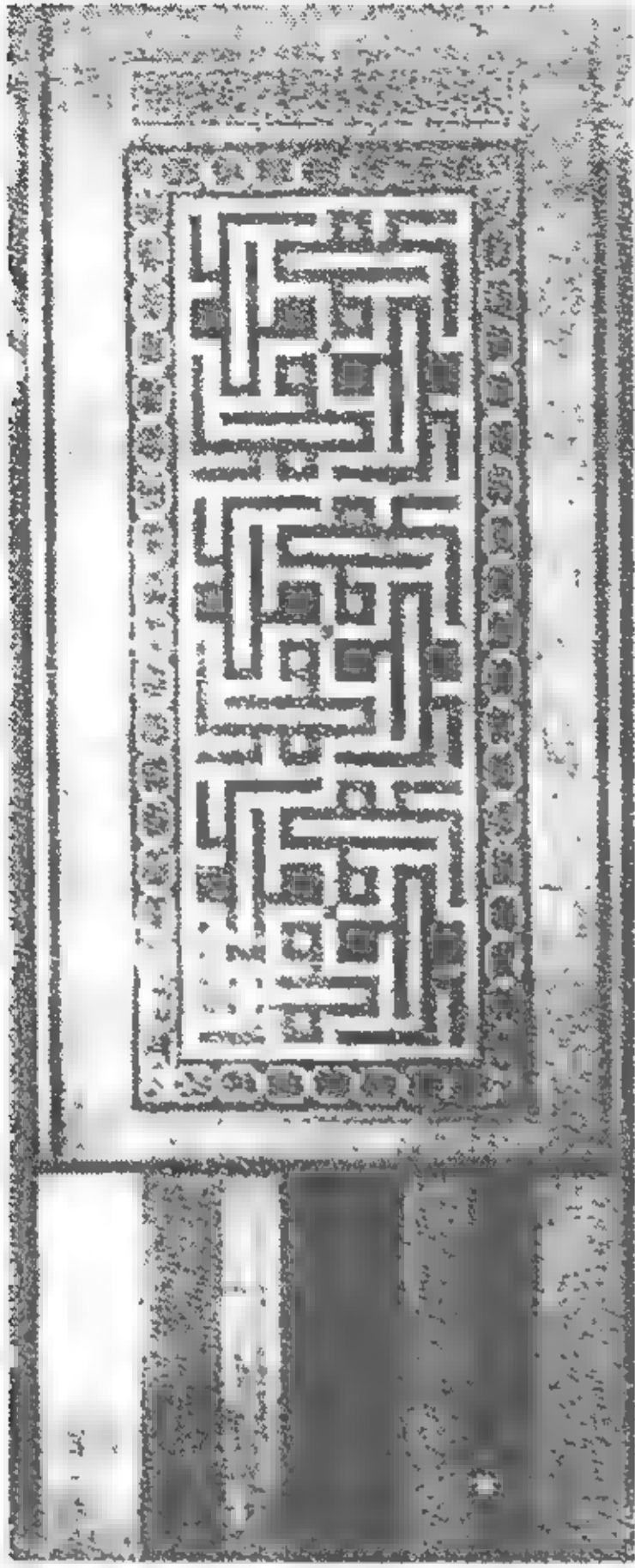
وقد غطى ماحول المثلث بأسقف خشبية مذهبة ، بعضها قصع نقش بها اسم المنصور قلاوون ، والآخر من رطوم ومربوعات ملونة مذهبة .

أما جدران القبة وفتحات الشبايك والدواليب المحيطة بها فهى مؤزرة بالرخام المطعم بالصدف من أدق أعمال الرخام بالآثار الإسلامية بمصر ، نقش بعضها على هيئة رسوم هندسية ، والبعض الآخر كتب به بالكوفي المربع عهد مكررة اثنا عشر مرة ، يعلوها إفريز رخامى دقيق الصنع للغاية .

(١) الجبرق ج ٢ ص ٦ ، الخطط الجديدة ج ٥ ص ١١٠ (٢) الشبايك القندلية هى شبايك كل شباكين منها متجاوران يفصلهما عمود و يعلوهما شباك مستدير .

أما المحراب فهو أكبر وأخف محراب في آثار مصر يكتنف كلا من جانبيه ثلاثة عمد رخامية، ويتجويفته أربع طبقات من تجاويف محارية مذهبة محمولة على عمد رشيقة، وباقيه من الرخام والصدف الدقيق.

ومن أرضية القبة إلى قمتها لا ترى إلا لونا زاهيا، وتذهيبا براقا، وزجاجا ملونا بالشبابيك، وعقودا محلاة بزخارف جصية مورقة. وبوسط المثلث قبر عليه بقايا تابوت من الخشب المنقوش والمكتوب بالخطين الكوفي والنسخي. وهذه البقايا منحصرة في الرأسين القبليّة والبحريّة للتابوت وتشتمل على حشوات مئنة ومسدسة محفورة بالأويمة الدقيقة ومكتوب عليه " ... الدنيا والدين قلاوون الصالحى سلطان الاسلام والمسلمين قدس الله روحه ونور ضريحه انتقل الى رحمة الله تعالى... ". وقد دفن بهذا القبر المنصور قلاوون، وابنه الناصر محمد، وابنه عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون. وفي سنة ١٢٣١ هـ (١٨١٦ م) أقام أحد نظاره شاهدين رخامين على أحدهما عمامة عثمانية بها ريشة مذهبة وعلى الآخر أبيات من الشعر.



محمد مكررا بوزرة القبة

وقد أحيط هذا المثلث بمقصورة خشبية حليت بنقوش وكتابات أمر بعملها الناصر محمد بن قلاوون، وكتب اسمه عليها. وحليت الوجهة الغربية للتربة بشبابيك وبزخارف جصية وكتابات كوفية. وأمامها صحن مكشوف تحيط به أروقة معقودة بقبوات. وكان ملحقا بها مكتبة ومتحف لحفظ ملابس من دفن بها. وهو ثالث متحف نسمع باقامته لحفظ مخلفات العظماء؛ إذ الأول متحف عقبة بن عامر في مسجده، والثاني هو الذى أقامته شجر الدر ملكة مصر بقبة زوجها الصالح نجم الدين تجاه هذه القبة.

أجترئ من وصف هذه القبة العظيمة بهذا القدر : لأننى مهما أطنبت فى وصفها فلا أوفىها حقها . ومن العجب أن العمل فيها استغرق خمسة أشهر، من شوال سنة ٦٨٣ هـ الى صفر سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٤ - ١٤٨٥ م) كما هو منقوش على باب القبة

بما نصه : " أمر بإنشاء هذه القبة الشريفة المعظمة مولانا وسيدنا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى قسم أمير المؤمنين أدام الله أيامه وحرس إنعامه ونشر

في الخاقين ألويته وأعلامه وكان ابتداء عمارتها في شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة والفراغ منها في صفر سنة أربع وثمانين وستمائة للهجرة المحمدية النبوية .

وهذه المدة تضاعف تشككي وتشكك كل من يزور القبة ويرى عظمتها ودقنة صناعتها ، سواء في الرخام أو الخشب أو الجص . وفي ذلك يقول ابن الفرات المؤرخ بمناسبة الفراغ من البناء : ” وإذا شاهد الرائي هذه العمارة العظيمة واتساع فضائها وعلو أسوارها ومكنة بنائها ، ثم سمع أنها عمرت في هذه المدة القريبة ربما أنكر ذلك ” .

وكان التوفيق خليف بلخنة حفظ الآثار العربية في ترميم هذه القبة ، إذ وجه إليها عنايته المهندس العظيم هرتس باشا ، واستمر العمل في إصلاحها من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩١١ ، إذ جدد زخارفها وسقوفها وشبابيكها ونجارتها وأقام قبتها ، وكان موفقا كل التوفيق في هذا الإصلاح .

المدرسة — وأمام باب القبة باب المدرسة المنصورية ، ويتوصل إليها الآن من بابين متقابلين لبابى القبة . وقد كانت تخربت فعميت إدارة حفظ الآثار العربية بإصلاح الإيوان الشرقى ، بها وأتمت الأعمال فيه في سنى ١٩١٦ - ١٩١٩ م .

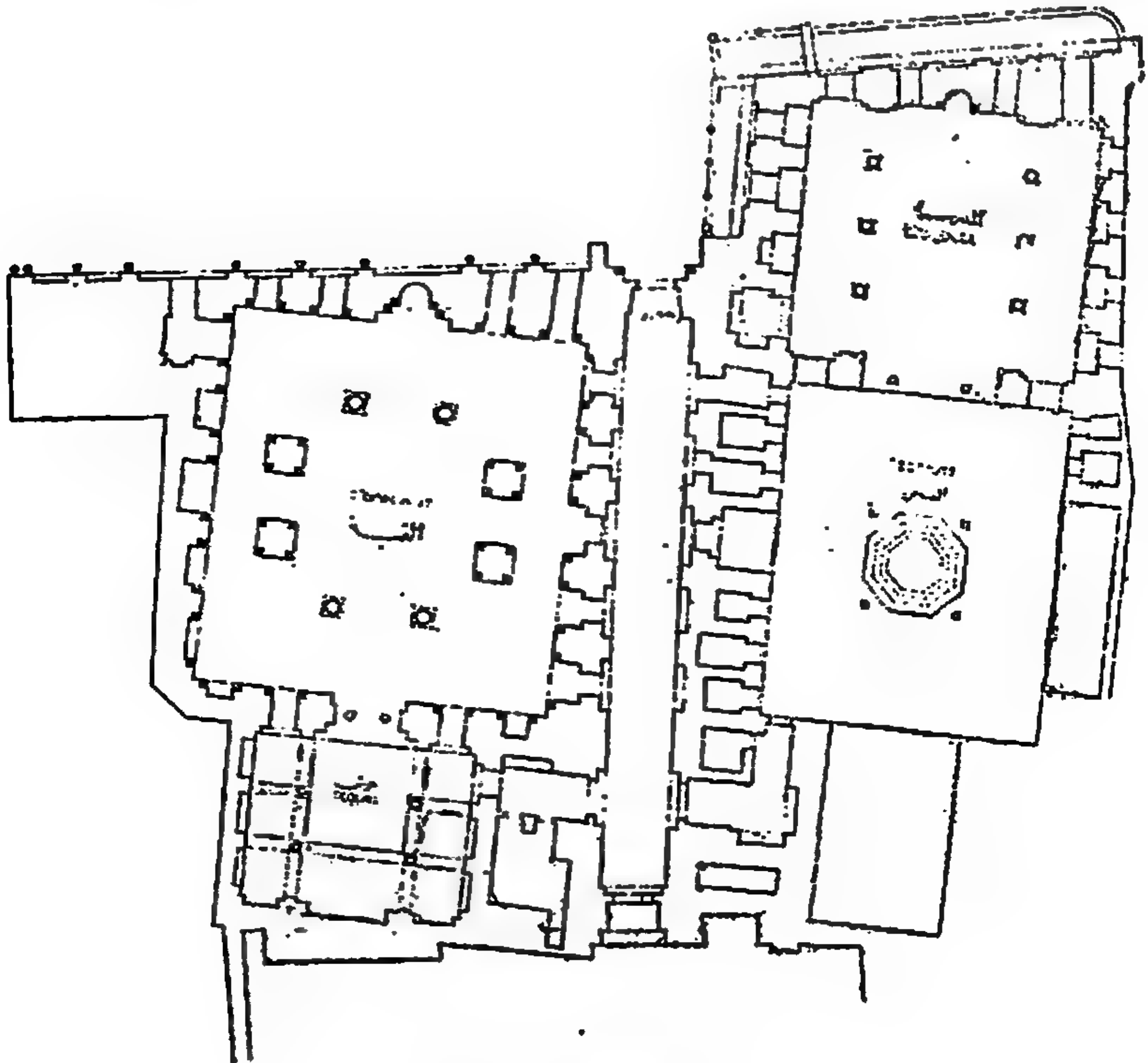
ونلمس في هذا الإيوان نظاما خاصا لم يسبق له مثيل بمصر . فقد أقيم على فتحته عمودان بجلان عقدتين كبيرين ، يكتنف كلا منهما فتحتان معقودتان مستطيلتان ، يعلو ذلك شباك مستدير ، يكتنفه كتفان بكل منهما ثلاثة شبابيك بعضها فوق بعض . ولا شك أن هذه العقود والشبابيك كانت علامة بزخارف جصية كما تنبئ بقاياها .

وينقسم الإيوان إلى ثلاثة أروقة ، أوسطها أكبرها ، وسقفه محمول على عمد رخامية ، تعلوها عقود حليت هي والشبابيك المستديرة أعلاها بزخارف جصية ، كما أنه توجد كوابيل متقابلة بوجه أرجل العقود أعلى الأعمدة موجودة على استواء مبدأ الطارات المنتهية بها الوجهتان القبليّة والبحرية من الإيوان .

والقسم الأوسط من الإيوان وإن غطى في عمارته الأخيرة بسقف مستوي إلا أن العقد الدائر بالشبابيك الثلاثة الحافلة بالزخارف فوق المحراب يدل على أن هذا السقف كان مغطى بقبوة معقود . ومن رأى أسنادى المغفور له محمود باشا أحمد أن الكوابيل الموجودة كانت تحمل عقودا في باطن هذا القبو . كما أن سقوف جانبي هذا الرواق كانت من عقود مصلبة ، وهذا من تأثيرات المائر المسيحية في فلسطين .

والمحراب أقل نخامة من محراب القبة، إلا أن طاقته وتواشيعه من الفسيفساء المذهبة، يحاوره منبر بسيط، ليس بالمنبر الأصلي بل عمله الأمير أزيك من ططخ سنة ٨٩٩ هـ (١٤٩٤ م) أثناء عمارته للمدرسة وعمله قبة أعلى الفسقية التي كانت بالصحن^(١).

أما الإيوان الغربي فقد تحزب وضاعت معالمه وأجريت به إصلاحات لصيانتة. والمرجح أن الجانب القبلي للصحن كانت به حجرات مثل الجانب البحري المقابل له يتوسط كلا منهما إيوان صغير.



مخطط أفق القبة والمدرسة

وقد استغرق بناء هذه المدرسة على سمعتها أربعة أشهر، كما دون على أعتاب شبابيك المدرسة وأعلى المحراب بما نصه: "أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة السعيدة مولانا وسيدنا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى قسم أمير المؤمنين أدام الله أيامه وحرس إنعامه ونشر في الخافقين ألوته وأعلامه. وكان ابتداء عمارتها في صفر سنة أربع وثمانين وستمائة، والفراغ منها في جمادى الأول من السنة المذكورة للهجرة المحمدية".

(١) ابن إياس، ج ٢ ص ٢٨٢

وبعد الفراغ من المدرسة والقبة عين بهما المدرسون للذاهب الأربعة ولتختلف العلوم، كما خصص مدرسون لتعليم الأطفال بكتاب السبيل؛ فهي والحالة هذه جامعة للطب ولتختلف العلوم .

وقد ألحق بوجهة هذه المدرسة^(١) سبيل وكتاب أنشأه السلطان الناصر محمد بن قلاوون على روح والده سنة ٧٢٦ هـ (١٣٢٦ م) بمباشرة الأمير آقوش نائب الكرك . ووضعه هذا وإن جاء مشوها للوجهة إلا أنه تخلص به من حوض كان معدا لشرب الدواب . ويعلو هذا السبيل قبة صغيرة كسيت رقبتها بالقاشاني المكتوب وفتحت بها شبايك خشبية مفرغة بنقوش وكلاهما يعتبر الأول من نوعه .

البيمارستان — كان الدافع الأول لإنشاء هذه المجموعة هو البيمارستان، ولذلك كان البدء به في أول ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) . ويقول المقریزی : إن علم الدين الشجاعى أبقى قاعة ست الملك على حالها وعملها بيمارستانا . ثم وصف الحالة التي رأى عليها البيمارستان فقال : وهي ذات إيوانات أربعة ، بكل إيوان شاذروان وبدور قاعتها فسقية يصير الماء إليها من الشاذروان (سلسيل) .

والحقيقة أن البقايا الباقية من البيمارستان وتتحصر في بقايا إيوانين كبيرين ترجع إلى عصر المنصور قلاوون . وقد عثرت إدارة حفظ الآثار العربية في القسم البحري للبيمارستان على أجزاء من سقف خشبية ، بها رسوم طيور وحيوانات ، وبها كتابات كوفية نقلت إلى دار الآثار العربية . وبقى منها قسم آخر، أرجح أنه منقول من القصر الصغير وبقى منه .

ومن وصف المؤرخين وحجة الوقف عرفنا أنه كان بيمارستانا كاملا ومدرسة للطب له صيدلية كاملة خصص لمعالجة جميع الأمراض ؛ إذ كانت به أقسام للزمد والجراحة وللا مراض الباطنية والعقلية وأمراض النساء . وجميع هذه الأقسام داخلية وخارجية . كما أنه كانت تصرف الأدوية والأغذية لمن يعالجون في منازلهم^(٢) .

وقد ظل البيمارستان يؤدى وظيفته إلى سنة ١٨٥٦ م . حيث دب إليه الانحلال، فلم يبق به سوى المجانين الذين نقلوا منه إلى ورشة الجوخ في بولاق ، ثم نقلوا إلى العباسية سنة ١٨٨٠ م^(٣) . ثم تحول البيمارستان لمعالجة جميع الأمراض ، ثم اقتصر على معالجة أمراض العيون .

(١) المقریزی ، ج ٢ ص ٤٠٧

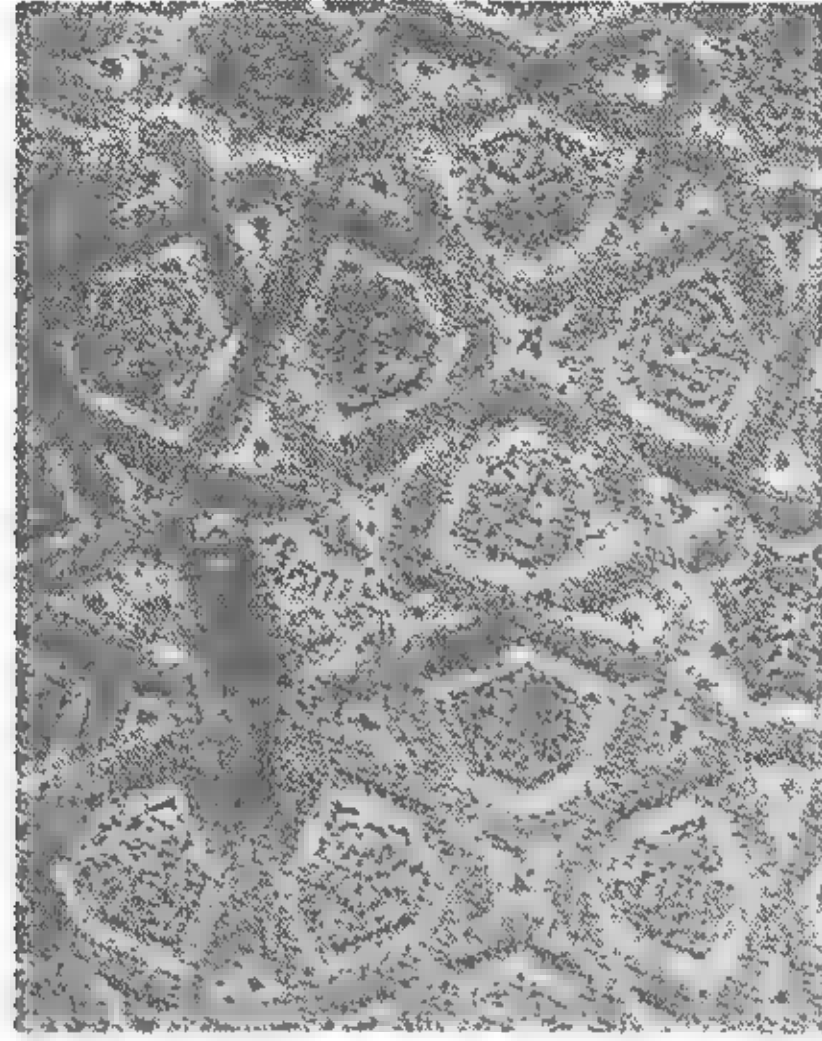
(٢) ملحق الجزء الأول للسلوك نقلا عن نهاية الأرب ص ٩٩٩ قسم ٣ ج ١

(٣) تاريخ البيمارستانات في الإسلام ص ١١٠

وفي سنة ١٩١٥ أقامت وزارة الأوقاف بقسم من البيمارستان مستشفى لمعالجة أمراض العيون هو الباقي إلى الآن .

ولم يبق من البيمارستان القديم سوى قسم من الإيوان الشرقي به فسقية رخامية كانت تنساب إليها المياه على سلسبيل صغير، تندفع منه إلى مجرة من الرخام الدقيق . كما يوجد به شبابيك أحيطت أفاريزها بكتابات كوفية . وكذلك توجد بقايا من الإيوان الغربي ، وبه سلسبيل حليت حافته بحيوانات تنحدر عليها المياه إلى فسقية فمجرة من الرخام لتتلاقى مع المجرة المقابلة لها . ومثل هذا موجود في قصر الحمراء بالأندلس .

ومما يؤثر عن المنصور قلاوون أنه لما زار البيمارستان عقب فراغه تناول قدحا من شراب البيمارستان وشربه وقال : « قد وقفت هذا على مثل فم دونى وجعلته وقفاً على الملك والمملوك والذكور والإناث والكبير والصغير والحر والعبد والهندي والأمير » .



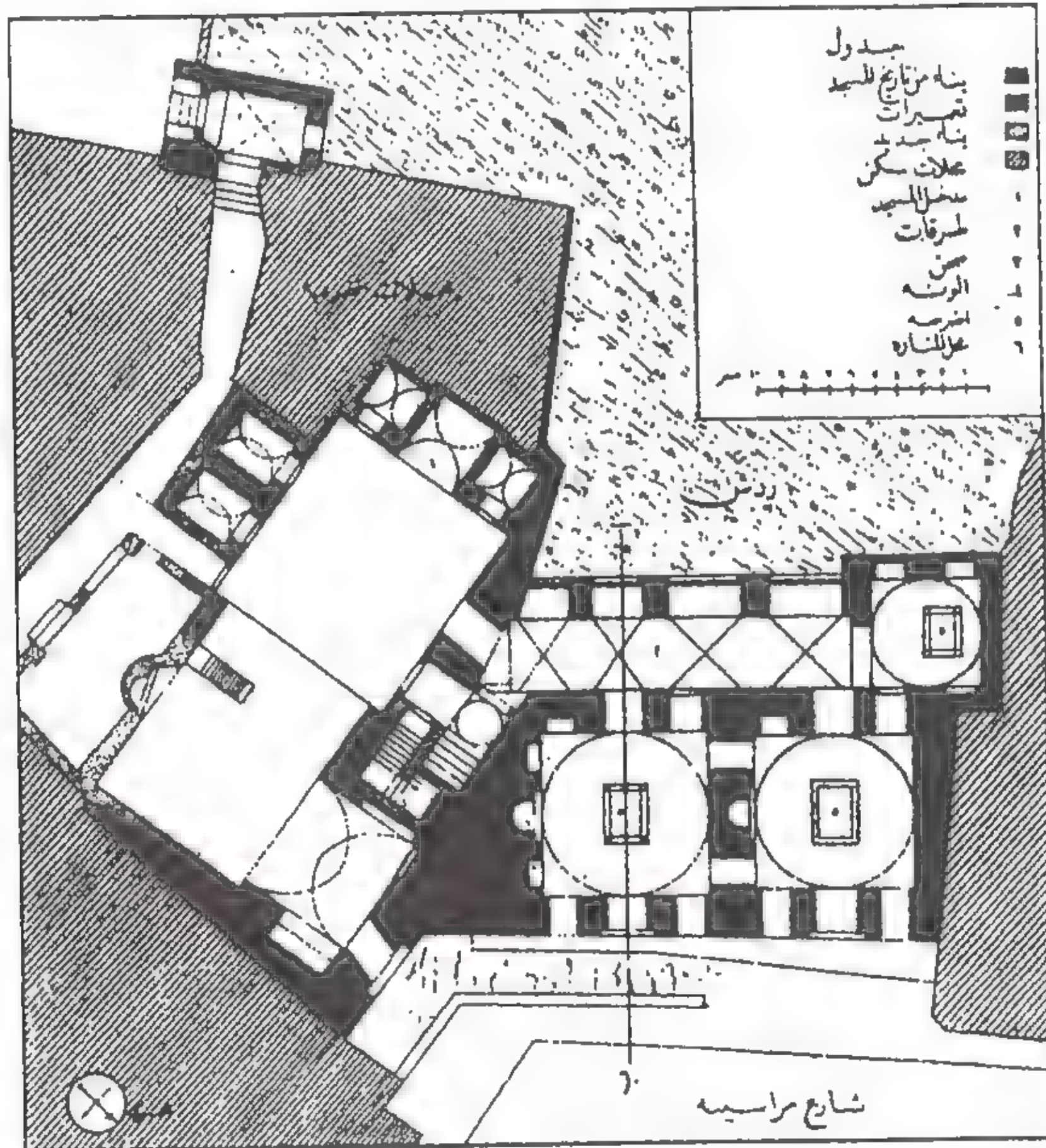
سماة الباب رأس حيوان

الخانقاه الجاولية

(*)
بشارع مراسييه

هذه الخانقاه في شارع مراسييه، الآخذ من ميدان السيدة زينب إلى القلعة، وهي مبنية على رتبة عالية وقد اقترن اسم هذه الخانقاه بشخصيتين كبيرتين :

أولاهما من عرفت به وهو الأمير الكبير سنجر الجاولي الشافعي . فقد ولد سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥ م) بآمد ثم امتلكه الأمير جاولي فنسب إليه، ثم انتقل إلى أسرة المنصور قلاوون . وترقى إلى أن صار مقدما بالشام، ثم واليا لغزة، وصادفته محن انتهت في سنة ٧٢٨ هـ (١٣٢٨ م) بتعيينه أميراً مقدماً بمصر . ثم واليا لجماه بعد موت الناصر، فواليا لغزة . فأقام بها أربعة أشهر، ثم عاد إلى مصر وبقي بها إلى أن توفي في ٩ رمضان سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٦ م) . وقد قارب مائة سنة .



سجد سنجر الجاولي بقلعة الكيش بالقاهرة
رسم أفقي

وكان من المشتغلين بالعلم متخصصاً في الحديث وفي فقه الإمام الشافعي . روى مسند الشافعي وحدث به غير مرة . ورتب مسنده وشرحه في مجلدات بمعاونة غيره . وله منشآت خيرية بمصر

(*) انظر الصور من رقم ٦٥ — ٦٨ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

والشام : منها جامع بالخليل ، وأخر بغزة ومدرسة بها وببمارستان^(١) . وقد وصفت منشأته بالإتقان والجمال . ولما ترجمه العلامة عبد الوهاب السبكي لم يذكر من منشأته هذه الخاتمة^(٢) .

والشخصية الثانية الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة . فقد كان مملوكا للنصور قلاوون ، وتنقل في عدة وظائف عند أولاده إلى أن عين نائبا للسلطنة في دولة الناصر محمد بن قلاوون . وقد كان قليل الظلم كبير العقل شجاعا مهيبا ، تمكن من شؤون الدولة إحدى عشرة سنة ، ورشح للسلطنة في غيبة الملك الناصر محمد بن قلاوون وفاز بها ببيرس الجاشنكير .

وقد أثرى ثراء كبيرا بولغ فيه ، ولكنه كان شرا عليه فلم ينفعه ، فمات جوعا حينما قبض عليه الناصر محمد بن قلاوون وسجنه إلى أن توفي في ربيع الآخر سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) .

وبعد موته عهد الملك الناصر محمد إلى الأمير علم الدين سنجر الجاولي — وكان صديقا لسلار — بأن يتولى خزانته وجنازته ، فدفعه بتربته التي أنشأها بجانب مدرسته بقاعة الكبش^(٣) .

ويذكر المؤرخ ابراهيم بن مغلطاي وفاة سلار سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) . ويقول : « ونقل إلى تربته التي على الكبش فدفن فيها^(٤) » .

ولعل هذه الجملة تلقى ضوءا على الغموض الذي يحيط بهذه الخاتمة ولمن تنسب ؛ إلى سلار قارون زمانه أم إلى سنجر الجاولي ؟ وقد كان في سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) أميرا فقيرا .

ولا بأس من الإشارة إلى أن النصوص التاريخية المدونة عليها لم تنسبها إلى أحدهما . ولكني أرجح أن منشأها هو الأمير سلار ؛ ولذلك يقرأ على مشكاة له : « مما عمل برسم تربة العبد الفقير إلى الله تعالى سيف الدين سلار نائب السلطنة المعظمة عفا الله عنه » .

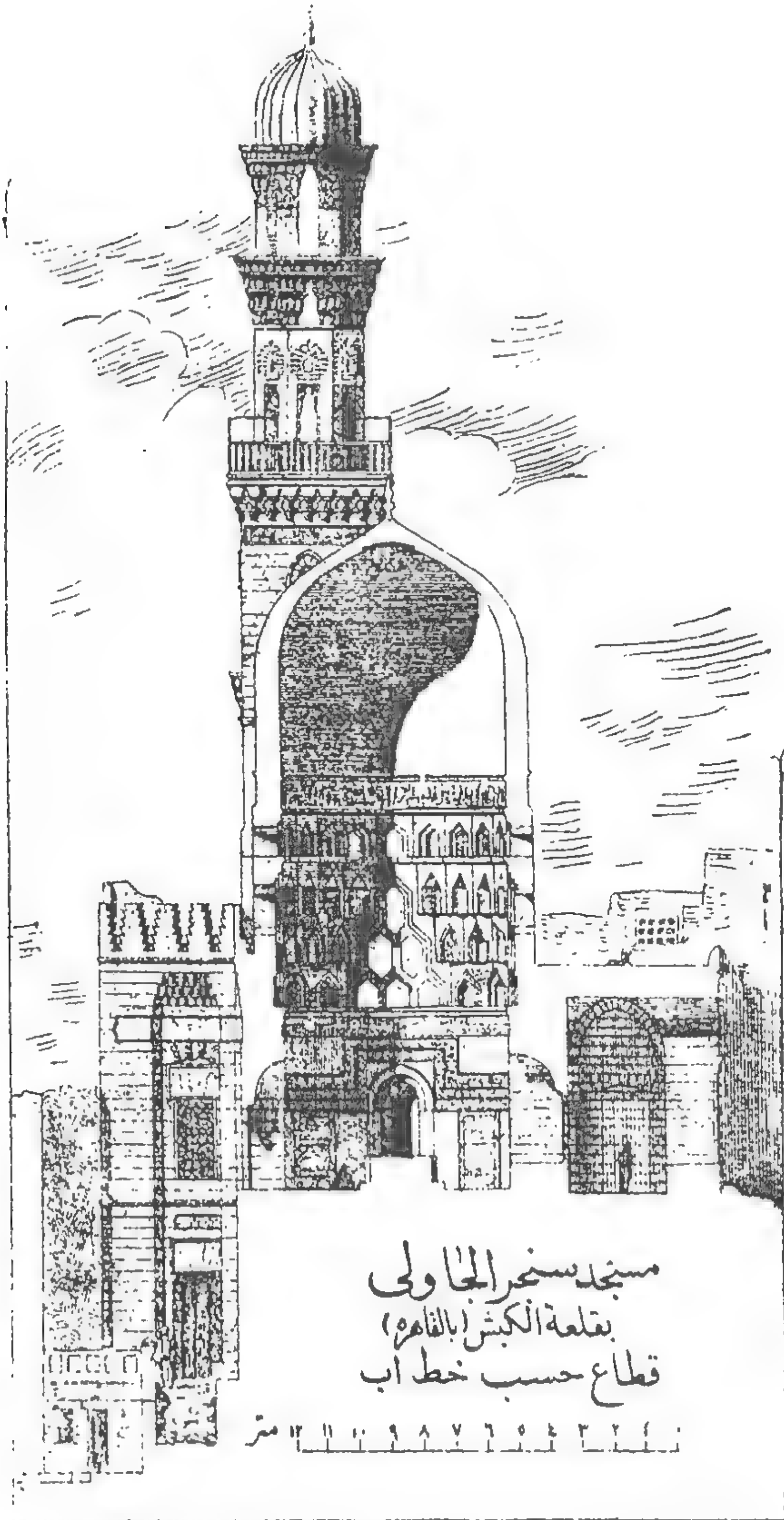
وهذا الأثر نعت المقيزي بأنه مدرسة ثم عاد وسماه خاتمة^(٥) . ولكن تصميمه شاذ عن تصميم المساجد والمدارس ؛ فلا هو تصميم مسجد ولا هو تصميم مدرسة . كما أن النصوص التاريخية التي فيه لم تحدد ذلك . وعندى أنه أقرب إلى تصميم الخوانق لتفاصيله المعمارية . وهي مبنية على الصخر مباشرة . وبابها العمومي على ارتفاع ثلاثة أمتار ونصف من مستوى الشارع ، وهو يؤدي إلى دركاة سقفها معقود بها باب عقده مثلث يؤدي إلى سلم مكون من ٢٣ درجة يوصل إلى الخاتمة .

ومسقطها الأفقي غير منتظم ، ويبلغ مسطحها ٧٨٠ مترا مربعا . والوجهة البحرية لها فريدة في بابها ، فقد اشتملت على قبتين : إحداهما أكبر من الأخرى ، وتجاورها منارة ثم الباب العمومي .

(١) شذرات الذهب ج ٦ ص ١٤٢ — ١٤٣ ، المقيزي ج ٢ ص ٣٩٨ (٢) طبقات الشافعية ج ٦ ص ١٠٦

(٣) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٩ (٤) تاريخ المسالك ص ١٥٢ (٥) المقيزي ، ج ٢ ص ٤٢١

وبوجهة كل من القبتين ثلاثة شبابيك ، أكبرها أوسطها ، حليت أعتابها بنقوش ، كما غطيت بمقرنصات مختلفة ما بين حلبية وبلدية . ثم شرفة مسننة .



والقبتان مبنيتان بالطوب ، حليت أضلاع قاعدتهما بأفاريز من الحص المنقوش ، وبخاريات صغيرة منقوشة ، ثم رقبة بها شبابيك من الحص والزجاج الملون ، يعلوها إفريز به كتابات جصية ، تتخللها زخارف مورقة يعلوها إفريز آخر صغير به كتابات كوفية .

وجود الكتابات الكوفية في هاتين القبتين من مميزات قباب نهاية القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، وأول الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) فقد رأيناها في قبة الخاتمة البندقدارية سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) ، وفي قبة زين الدين يوسف سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٧ م) . ويجاور القبة الكبيرة المنارة المبنية قاعدتها المربعة بالجحر حتى الدورة الأولى ، أما دورتاها العلويتان فقد بنيتا بالطوب . ويلاحظ في القاعدة المربعة تتوع عقود الشبايك . كما يسترعى النظر فيها بابها المعقود ذو المكستين ، وهو الأول من نوعه ، يليه باب منارة مسجد بشتاك بشارع درب الجمايز .

وبدن الدورة الثانية مثنى ، وقد حلى بعقود محارية . وبدن الدورة الثالثة مثنى أيضا ، وينتهي بترس فوقه خوذة مضلعة . وهذا القسم الأخير من مميزات المنارات الأيوبية ، لازم كثيرا من المنارات المملوكية حتى منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) إذ نراه في منارات مساجد أبي الغضنفر^(١) ، والصالح نجم الدين ، وزاوية الهندود ، والجامع الطولوني ، وقمى منارتى الحاكم ، وبيبرس الجاشنكير ، وقوصون ، ومنجك اليوسفى ، وتكرينا . وفي الثلاث الأخيرة تطورت من طوب الى حجر . ثم رأينا هذا النوع يظهر في منارات الوجه البحرى في القرنين التاسع والعاشر الهجرى (الخامس عشر والسادس عشر الميلادي) وخاصة في المحلة الكبرى وسمند .

ويجاور المنارة باب المسجد المغطى بمقرنص من ثلاث حطات . ومكتوب عليه : ” بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله عمل هذا المكان المبارك في شهور سنة ثلاث وسبعائة^(٢) “ .

وهذا الباب يؤدى الى طرقة مربعة فسلم فطرقة مربعة بها باب المصلى والمدفن وبها منور حجرى مستدير به أربع زوايا . والمصلى مكوّن من قسمين : بحرى وبه محراب وسقف حديتان ، وبه أيضا إيوان غربى معقود يشرف على المدخل . والقسم القبلى على حاله الأولى ، به فى الجنب الشرقى ثلاث خلوات للصوفية ، يعلو باب اثنتين منها شباك من الحجر المقزغ بأشكال زخرفية . والجنب القبلى منه به إيوان معقود ، ويكتنفه خلوتان يعلوهما شباك صغيران مفزغان . ويعلو هذا الجنب شبايك صغيرة خشبية ، محلاة بزخارف محفورة ، ويحيط بها إفريز جصى مكتوب تتخلله زخارف . ونظام هذا الإيوان يؤكد أن هذا الأثر أنشئ ليكون خاتمة ومدفنا .

(١) منارة أبي الغضنفر بشارع الدراسة ، وذهب كثير من الأثرين الى أنها منارة فاطمية والحقيقة أنها واقبتها أيوبية .

(٢) رفع خطأ مطبعى فى كتاب الخطوط للفرىزى ج ٢ ص ٤٢١ ، ٢٩٨ طبع بولاق فوردت سنة ٧٢٣ هـ .

وباب المدفن يؤدى الى طرقة طولها خمسة عشر مترا وعرضها ثلاثة أمتار ، معقودة بثلاث مصليات . ويفتح على هذه الطرقة بابا القبتين وشبابيكهما المحلاة أعتابها بزخارف جميلة . فالباب الأول يوصل الى القبة الكبيرة ، وقد دفن فيها الأمير سلا . ومكتوب على عتبها : ” بسم الله الرحمن الرحيم كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام هذه تربة العبد الفقير الى الله تعالى سيف الدين سلا نائب السلطنة المعظمة الملكى الناصرى المنصورى المستغفر من ذنبه الراجى عفوره رحم الله من دعا له بالرحمة وجميع المسلمين عمل هذا المكان المبارك فى شهور سنة ثلاث وسبعائة “ .

وهى قبة أكبر من زميلتها وأخفل منها زخرفا؛ إذ يتوسطها تابوت به بقية من حشواته المدقوقة أويمة ، وبصدرها محراب حليت طاقيته برخام دقيق أيضا . وهى ميزة لم تتوفر فى كل المحاريب ، رأيناها فى قبة قلاوون ، ثم فى مساجد الماردانى وقطلوبغا الذهبى وقعجاس الاسحاقى والأشرف برسباى بالحاقاه ، ثم زاوية فرج بن برقوق . أما ما عدا ذلك فأشرطة رخامية ملونة . وأسفل الطاقية وعلى جانبي المحراب إفريز رخامى دقيق يعالوه إفريز آخر محفور بنقوش دقيقة . وهذا المحراب والمحاريب المعاصرة له متأثرة صناعة الرخام فيها بمثلتها فى قبة قلاوون .

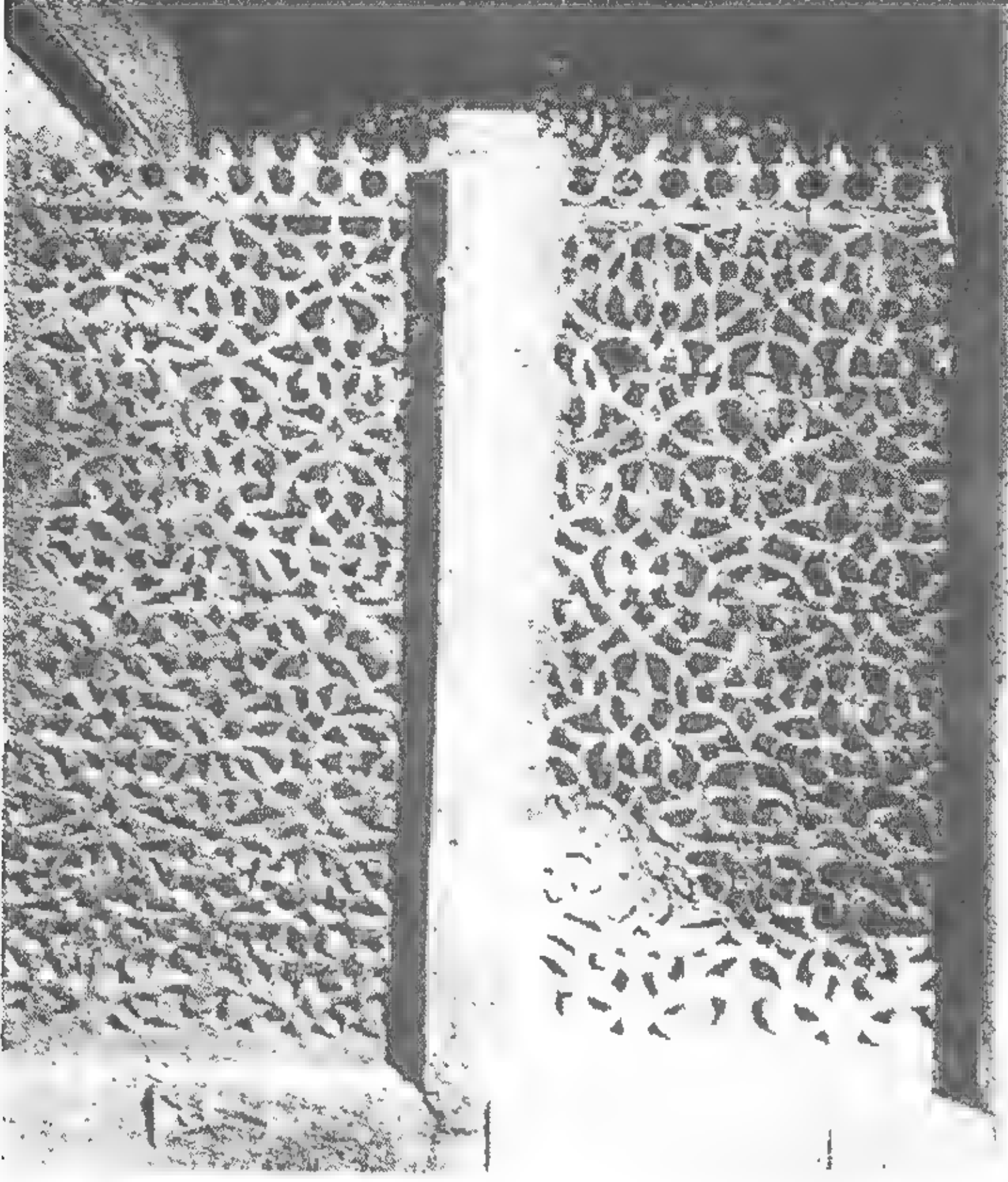
ويحيط بالمحراب وجداره إفريز خشبي مكتوب به آية الكرسي ؛ كما يحيط بمربع القبة أسفل المقرنص إفريز رخامى به آيات من القرآن . والمقرنص من ثلاث حطات ، وقد حليت رقبة القبة بإفريز جصى مكتوب .

والباب الثانى يؤدى الى القبة الثانية . وقد دفن بها الأمير سنجر . ومكتوب على بابها : ” بسم الله الرحمن الرحيم كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام هذه تربة العبد الفقير الى الله تعالى المستغفر من ذنبه الراجى عفوره سنجر الجاولى أستاذ الدار العالية الملكى الناصرى المنصورى رحم الله من دعا له بالرحمة فى شهور سنة ثلاث وسبعائة “ .

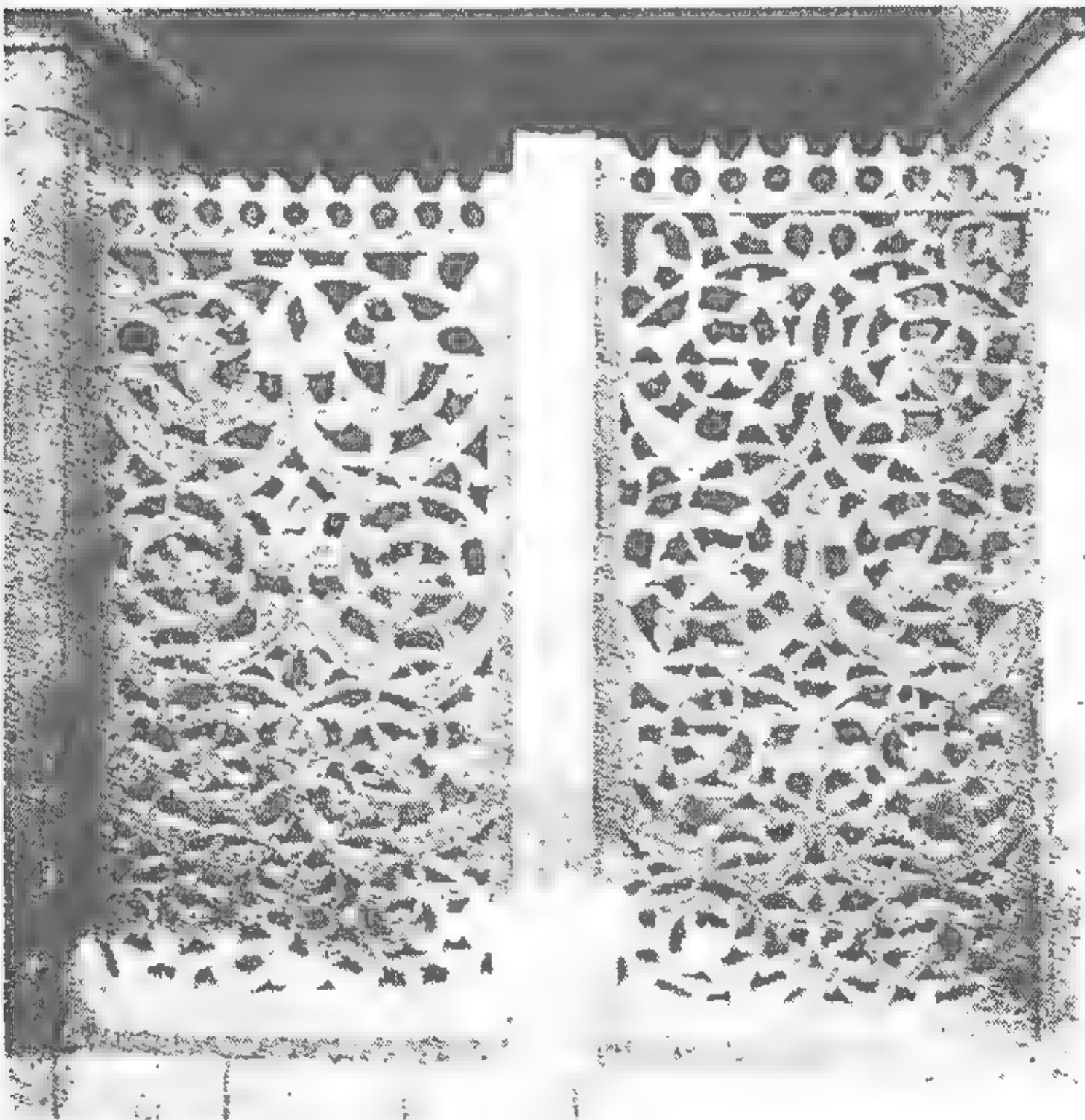
وهى أصغر من سابقتها وأقل منها زخرفا؛ غير أنها تتفق معها فى كثير من تفاصيلها . ويتوسطها تابوت رخامى ، ومحرابها حجري حليت طاقيته بمقرنصات .

وفى النهاية الغربية لهذه الطرقة توجد قبة صغيرة من الحجر خالية من النقوش ومقرنصها من حطتين . وهى تعتبر أقدم قبة حجرية باقية فى الآثار . تليها قبة سنجر المظفر سنة ٧٢٢هـ (١٣٢٢م) . والثانية قبة بالمعنى الصحيح .

وقد عرفت هذه القبة بقبة عبد الله الزاكر . ولعل المدفون فيها أيضا الأمير بشتاك المنقول إليها من الاسكندرية سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) .



نماذج للشبابيك الحجرية بخاتمة الجاهلي



والجدار القبلي للطريقة أمام القبتين به ثلاث فتحات ، كل فتحة منها غطيت بشريحتين من الحجر ، فرغتا بأنواع مختلفة من النقوش المورقة حليت من الداخل والخارج ، وقد بلغت حد الاتقان ، ولا مثال لها في أثر آخر .

وأمام هذه الشبابيك صحن مكشوف به بقايا قبور ، بجداره الشرقي محراب يتصل به سطر مكتوب فيه بالحص المحلى بالخارف آيات من القرآن الكريم ، تتخللها زخارف ودوائر على هيئة عش النحل . وخلف هذا الجدار في الجزء المعترف في المسقط الأفقي ، بحلات متخربة خلوات للصوفية ، ما زال موجودا على أبوابها شبابيك حجرية مفترغة مثل الموجود منها أعلى الخلوات بالصحن ، تعلوها خلوات أخرى تتصل بالخلوات العلوية المشرفة على المصلى . ويوجد بهذا الجزء مزولة من عمل عبد الرحمن الطواوني سنة ١٠٦٤ هـ (١٦٥٣ م) .

وفي النهاية الشرقية القبليّة لهذه البقايا يوجد باب محلي بالمقرنصات ، يوصل الى قلعة الكباش
كي ينتفع به صوفية الخانقاه . ويدخل منه سنجر الجاولي ؛ إذ كانت داره مجاورة للخانقاه من هذه
الناحية .

أعمال الاصلاح — وقد عيّنت لجنة حفظ الآثار العربية بالخانقاه منذ سنة ١٨٩٢ فقامت
بتخليتها من الجهة الغربية . كما قامت بإجراء إصلاحات بها من الداخل والخارج في سني ١٨٩٩ ،
١٩٠٩ ، ١٩٢٨ فقامت مبانيها وأصلحت رخامها وشبابيكها الحجرية والحصية والخشبية وزخارفها
الحصية .



بخارية

خاتمه بېرس الجاشنكير

بشارع الجمالية^(*)

أنشئت هذه الخانقاه على رقعة من أرض دار الوزارة الكبرى الفاطمية التي أنشأها الوزير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي، والتي كانت تمتد على وجه التقريب من وكالة ذى الفقار حتى حارة الروم الجوانية .

منشئ الخانقاه — السلطان الملك المظفر ركن الدين بېرس بن عبد الله المنصورى الجاشنكير . اشتراه الملك المنصور قلاوون صغيراً وألحقه بخدمته ، وظل ينتقل في الوظائف الى أن عينه جاشنكيراً^(١) . ولما قتل الأشرف خليل بن المنصور قلاوون كان ممن ساعد في القبض على المعتدين عليه . وقتل الأمير بيدرا وغيره . ولما ولي الناصر محمد بن قلاوون سلطنة مصر للمرة الثانية تلاً لأ نجم بېرس ، ورقى الى وظيفة أستاذ دار^(٢) ، وجج سنة ٧٠١ هـ (١٣٠١ م) . ففضى على كثير من الخرافات الشائعة هناك .

وفي سنة ٧٠٨ هـ (١٣٠٨ م) خرج الناصر محمد الى البرك ، وكتب الى أمراء مصر بتنازله عن الملك ، فاستقر رأيهم على تولية بېرس الجاشنكير ، ولقب بالملك المظفر ، وذلك في يوم السبت ٢٣ شوال سنة ٧٠٨ هـ (١٣٠٩ م) .

وكان موصوفاً بالعقل والميل الى الخير ومحاربة الموبقات . جدد جامع الحاكم سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) وفي عهده أبطلت الخمرات ، ومواطن الريب ، وأريقتم الخمر . وعمل جسراً من قلوب الى مدينة دمياط ، وهو مسيرة يومين .

ولحبة الشعب للناصر محمد بن قلاوون لم يتعاونوا مع بېرس ، وكاتبوا الناصر . وتغلب عليه الأمراء والمماليك مما اضطره لترك المملكة في شهر رمضان سنة ٧٠٩ هـ (١٣١٠ م) حينما علم بقدوم الناصر محمد من الشام .

وفي أول شوال سنة ٧٠٩ هـ (١٣١٠ م) قدم الملك الناصر محمد الى قلعة الجبل ، واستولى على ملك مصر للمرة الثالثة . ثم قبض على بېرس الجاشنكير في شرقى غزة ، وأحضر الى القلعة

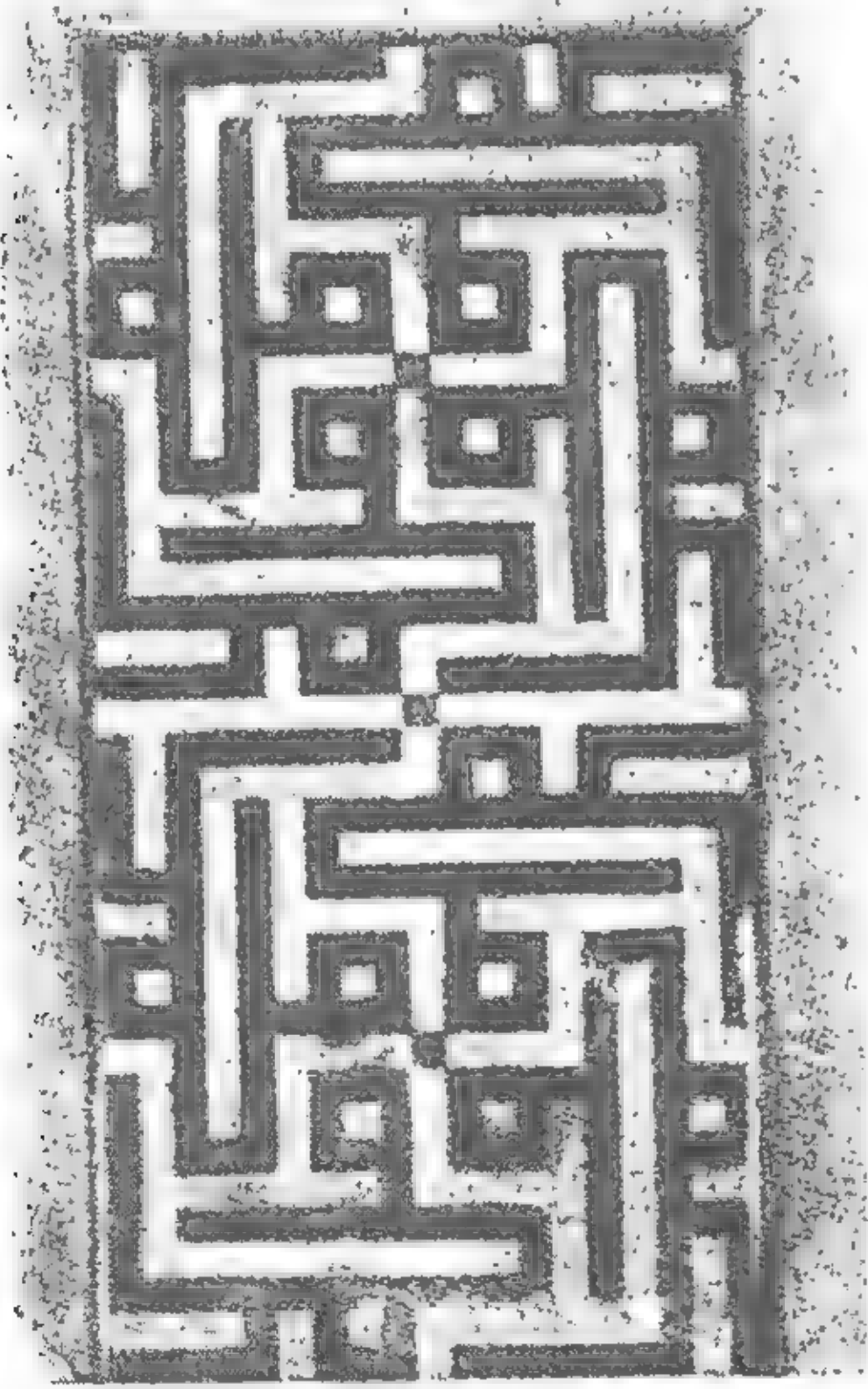
(*) انظر الصور من رقم ٦٩ - ٧٤ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) جاشنكير : هى وظيفة الأمين على تذوق الأطعمة والمشروبات قبل تقديمها الى السلطان . للتحقق من سلامتها . وفي الدولة العثمانية رئيس الفرعية . (٢) أستاذ دار : وظيفته الإشراف على الشؤون الخاصة بالملك بمثابة ناظر الخاصة .

في ١٣ ذى القعدة سنة ٧٠٩ هـ (١٣١٠ م) وقتل ليلة الجمعة ١٥ ذى القعدة سنة ٧٠٩ هـ (١٣١٠ م) .
ثم دفن بتربة الفارس أقطاي . ثم نقل الى تربته المجاورة لزاوية الشيخ أبي السعود بن أبي العشائر
بالقرافة الصغرى . ثم نقل مرة ثالثة الى قبة هذه الخاتناه ^(١) .

الخاتناه — بدأ في إنشائها الأمير ببيرس الجاشنكير في سنة ٧٠٦ هـ (١٣٠٦ م) قبل أن
يلى السلطنة . وأنشأ بجانبها رباطا كبيرا يتوصل اليه من داخلها . وألحق بها قبة كبيرة ، يقول المقرئى :
إنه ركب على أحد شبابيكها الشباك الكبير الذى كان بدار الخلافة فى بغداد ويجلس الخلفاء فيه .
كذلك أخذ من دار الوزارة أنقاضا . كما اشترى كثيرا من الدور المشهورة وأخذ أنقاضها وأدخلها
فى عمارة الخاتناه . وأدخل فى عمارتها كثيرا من الرخام الذى كان مودعا أحد سراديب الفاطميين ^(٢) .
واستمرت الأعمال جارية بها الى أن كملت فى شهر رمضان سنة ٧٠٩ هـ (١٣١٠ م) . وقرر بها
أربعائة صوفى ، وبالرباط مائة من الجند ، وبعض الأفراد الذين أخنى عليهم الدهر . ووقف عدة
ضياغ بمصر والشام لعمارتها والصرف عليها .

وعقب الفراغ منها وافتتاحها قبض عليه الناصر محمد بن قلاوون وقتله وأمر بغلقها وأخذ
ما كان موقوفا عليها . وظلت عشرين سنة معطلة الى أن صدر الأمر بفتحها ثانيا فى أول سنة ٧٢٦ هـ
(١٣٢٦ م) . فأعاد اليها ما كان موقوفا عليها .



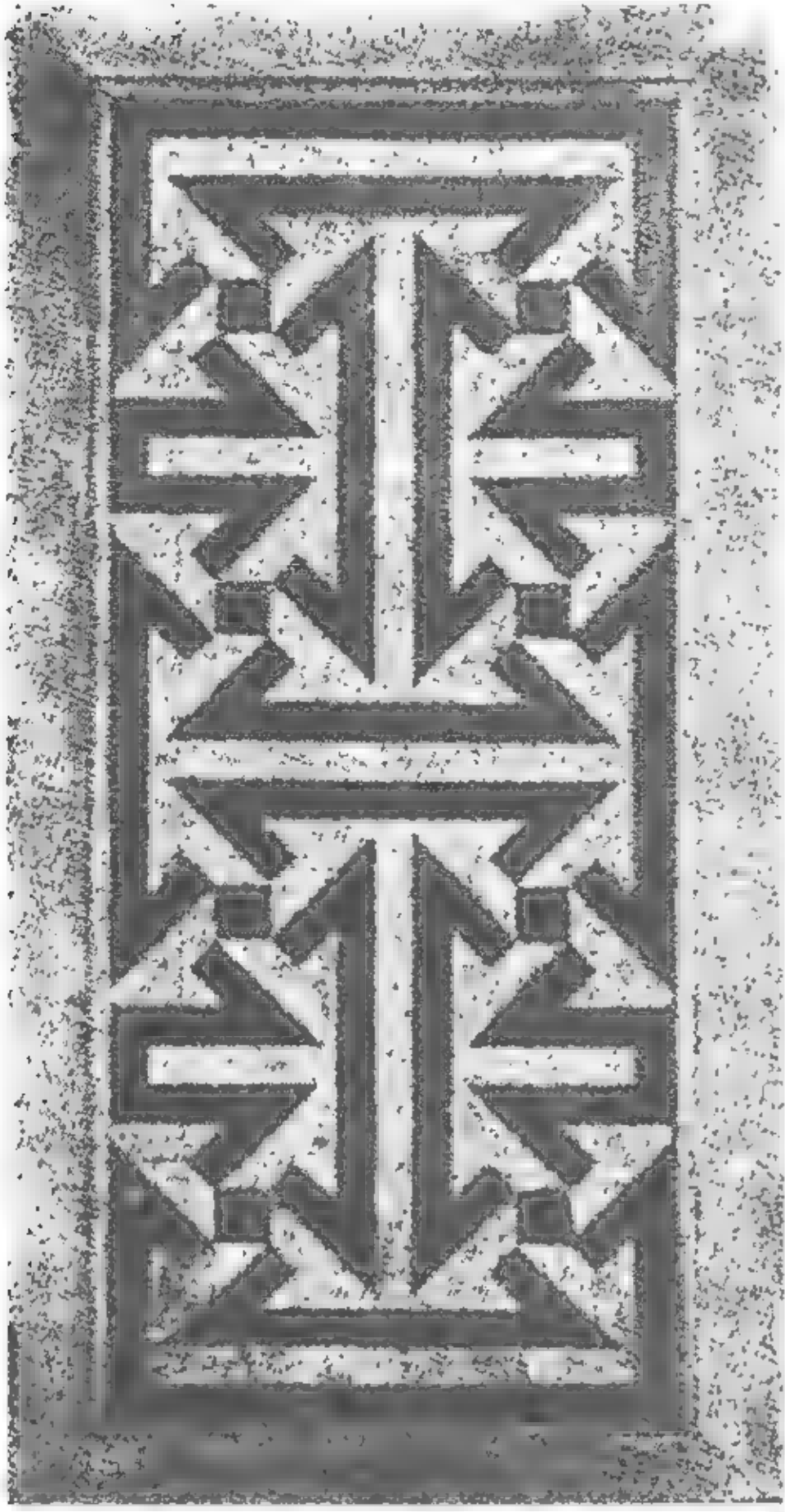
محمد مكرا بوزرة القبة

وصف الخاتناه — قبل الدخول فى وصفها نلقى
نظرة على الوجهة الغربية وهى العمومية ، فنرى وجهة كبيرة
مبنية بالحجر ، ينتهى طرفها القبلى بباب عظيم كسى
بالرخام ، وكتب عليه آيات من القرآن بالرخام الأبيض
الملبس فى الرخام الأسود ، وبه مقرنصات . ويكتنفه
من جانبيه صفوف مجوفة مكسوة بالرخام ، مخلق بها
عمد وتيجان رشيقة . ويغضى هذا المدخل عقد مجيدى
كبير بداخله مقرنص . وفى هذا الباب نرى تطورا
جديدا وابتكارات فى المداخل العامة نهج على منوالها
بعد ذلك .

(١) النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٢٧٦ ، المقرئى ج ٢ ص ٤١٨ ، تاريخ انباليك ص ١٥١ و ١٥٢
(٢) عثر فى هذه الخاتناه على لوح رخامى كان مقلوبا على وجهه وقد نقش عليه صور أسماك وطيور وكتابة كوفية تهشمت .

وقد غطيت الشبابيك بالوجهة بمقرنصات متنوعة، وبها كتابة نصها : ” بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ... الى قوله تعالى : بغير حساب أمر بإنشاء هذه الخانقاه السعيدة وقفا مؤبدا على جماعة الصوفية من فيض فضل الله تعالى وجزيل إحسانه راجيا بذلك عفوه وغفرانه العبد الفقير الى الله تعالى (ركن الدين بيبرس المنصوري عبيد الله والفقير اليه الراجي رحمته يوم القدوم عليه ضاعف الله ثوابه وزكى أعماله ويسر له أسباب ما نشط اليه من المعروف آماله بمنه وكرمه وإفضاله وصلى الله على سيدنا محمد “ .

ويلاحظ في هذه الكتابة أن القسم الواقع بين كلمتي « تعالى » و « ركن الدين » وطوله نحو متر محيت كتابته . وأرجح أن الكلمات التي محيت هي ” السلطان الملك المظفر “ .



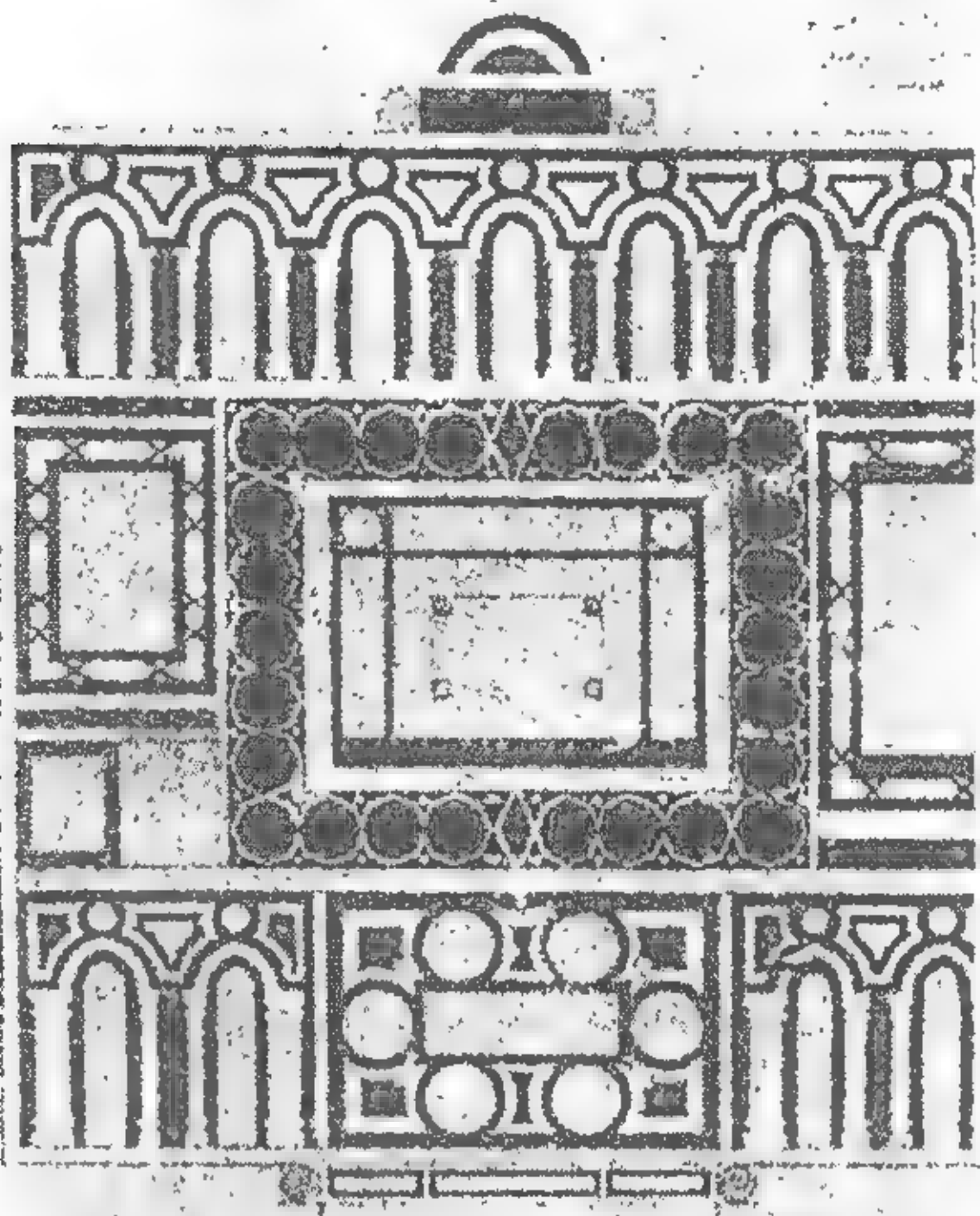
تفاصيل من الوزرة

والمعروف أن الأمر بمحوها هو الملك الناصر محمد . فكان وفاء منه ألا يعترف له بصفة الملك فيمحوها من البناء، بينما ترك اسمه على الخانقاه لتظل منسوبة الى منشئها . ويتوسط هذه الوجهة شباك كبير من النحاس . وهنا نتساءل : هل هذا الشباك هو الذي حدثنا عنه المقريري بأنه نقل من دار الخلافة في بغداد ثم دار الوزارة بمصر، ثم هذه الخانقاه؟ الجواب على ذلك أن شباك دار الخلافة كان من الحديد وهذا من النحاس وتبدو عليه الجدة كما تبدو على الشبابيك المجاورة له مع تطابقها جميعا في الصناعة . فآين ذهب شباك دار الخلافة ؟ — العلم عند الله — وكل ما وصل الينا أن الشيخ محمد الابراشي ناظر الخانقاه أزال ثلاثة شبابيك كانت بوجهتها وحولها الى دكاكين .

ويعلو المدخل منارة قاعدتها مربعة ضخمة حليت بالمقرنصات . وبدن دورتها الثانية مستدير . وقد كسبت قمتها المضلعة بالقيشاني الأزرق . وهي أول تكسية عثرت عليها برءوس المنارات ، ولم تكن معروفة من قبل ، تليها منارتا مسجد الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة .

وعلى الباب مصراعان من النحاس الدقيق ، بهما تكفيت بسيط بالفضة ومكتوب عليهما اسم المنشئ . وقد حلي ظهراهما بزخارف جميلة ، مدقوقة أريمة .

نحّاز الباب العظيم الى دركاة مربعة على يسارها باب القبة . وهى من القباب الكبيرة ، فرشت أرضيتها بالرخام الأسود والأبيض على هيئة محاريب^(١) ، وبوسطها قبر المنشئ ، وجدرانها مؤزرة بالرخام الدقيق بارتفاع ٣,٦٠ كتب بها بالخط الكوفي المربع : ” محمد “ مكررة ، كما يوجد بها تقاسيم هندسية ملونة . وبها مجموعة من الشبابيك الحصينة الدقيقة ذات الزجاج الملون . ولها محراب شاذق كسى بالرخام الدقيق ، بأسفله وأعلاه طاقات مخصوصة محمولة على عمد صغيرة وخلفه ممر أحدثته لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٠٩ للتهوية ، يتوصل إليه من مدخلين على يمين ويسار المحراب على هيئة دواليب . وأقيم على وجه العقد الغربى لقاعدة القبة سياج من الخشب الحرط ، مكتوب عليه ” بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون . الى قوله تعالى فارتقب لآلهم مرتقبون وافق الفراغ من هذه القبة والخانقاه فى شهر رمضان المعظم سنة تسع وسبعائة “ .



أرضية القبة

يحاور باب القبة باب آخر ، يوصل إلى طريقة مستطيلة فرشت بالرخام الملون توصل الى صحن الخانقاه ، وتصميمها لإيوانان كبيران معقودان شرقى وغربى . أما الجانبان البحرى والقبلى فقد أنشئ بهما خلوات للصوفية بعضها فوق بعض ، حليت أعتابها بمقرنصات وعقود متنوعة ، وانفردت بنوع غريب من العقود يكتنف فتحى الايوانين الشرقى والغربى . يتوسط كلا منهما إيوان صغير معقود ، غطيت فتحته بباب معتب ، يعلوه شبك مغلى بمقرنصات لطيفة كى ينسجم مع باقى الواجهة .

والإيوان الشرقى أكبرها ، وقد قسم إلى ثلاثة أقسام ، يتوسطه محراب من الحجر تسوده البساطة وهو عار من الزخرف . ولعل هذا راجع الى وفاة المنشئ قبل أن يتمها أو لأنها خانقاه أعدت للتصوفين .

(١) الأرضيات المحاريب والأبسطة المحاريب شاعت فى هذا العصر . فقد كانت أرضيات المدرسة الطبرسية وأبسطها على شكل محاريب . والفاطميون أسبق فى ذلك فقد استعملوا الحصر المحاريب المبطنة .

وعلى ذكر الخانقاه اذكر أن الخانقاه أو الخانكاه — كلمة فارسية معناها ديار الصوفية والرباط هو المكان المخصص للأنفال الصالحة والعبادة وإقامة المتقطعين من الأهل ، ويجوز للفقهاء الإقامة فى الربط وتناول مراتبها ، ولا يجوز للتصوف الإقامة فى المدارس وأخذ جراتها لأن المعنى الذى يطلق على المتصوف موجود فى الفقيه ولا عكس .

أعمال الإصلاح — عنت لجنة حفظ الآثار العربية بهذه الخانقاه منذ سنة ١٨٩٢ ، فوجدتها فى حالة تخرّب . مبانيها مهذمة ورخامها مفكك ومفقود وسقف الطرقة أمام القبة آيل الى السقوط وشبابيكها محولة الى دكاكين ، فقامت بإجراء إصلاحات متعاقبة فيها ، فقومت مبانيها من الداخل والخارج . وأصلحت رخامها بالأرضيات والوزرات ، وأصلحت سقف الطرقة أمام القبة . كما عنت بإصلاح الباب النحاسى النادر والشبابيك الحصية بالقبة . وأزالت الدكاكين التى كانت تحجب وجهة القبة وأعادت الشبابيك الى أصلها وركبت عليها مصبغات نحاسية . كما أصلحت المنارة وكان لهذه الأعمال أثر كبير فى صيانة هذه الخانقاه وإقامة الشعائر الدينية فيها .

(١) كنوز الذهب فى تاريخ حلب لموفق الدين أبى ذر الشيربسىط ابن المعنى الجلبى ص ١٣٦ خط

مسجد الماس الحجاب

بشارع الحلمية^(*)

يقع هذا المسجد عند أول الحلمية من جهة شارع محمد علي، وقد أنشاه الأمير سيف الدين الماس ابن عبد الله الناصري حاجب الحجاب في الديار المصرية .

الأمير الماس — الماس (بضم الألف وسكون اللام وفتح الميم) معناه باللغة التركية «خالد»، كان مملوكا للناصر محمد بن قلاوون، وظل يتدرج في وظائف الدولة حتى صار من أكبر الأمراء . ولما عين الأمير أرغون نائبا لحلب وبقي منصبه في مصر شاغرا عظمت مكانة الماس وصار في منزلة النائب، إلا أنه لم يأخذ لقب نائب . والأمراء في خدمته وصار يجلس في باب القلعة من قلعة الجبل في منزلة النائب، والحجاب وقوف بين يديه .

وفي سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م) خرج الناصر محمد إلى الحج وتركه في القلعة هو وبعض الأمراء . وفي سنة ٧٣٣ هـ (١٣٣٣ م) غضب عليه الناصر بسبب سوء تصرفه في غيبته وعدم إخلاصه، وصادر أمواله فوجدها شيئا كثيرا، وصادر ما عنده من التحف وكانت كثيرة كذلك . وقبض عليه في ٢٠ ذي الحجة سنة ٧٣٣ هـ (١٣٣٣ م) . وظل مقبوضا عليه إلى أن خنق في سجنه في ١٢ صفر سنة ٧٣٤ هـ (١٣٣٣ م) ودفن في هذا المسجد^(٢) .

وصف الجامع — بدئ العمل في هذا الجامع في شهر سنة ٧٢٩ هـ (١٣٢٩ م) . و انتهى في سنة ٧٣٠ هـ (١٣٣٠ م) . وله وجهتان : إحداهما بحرية تسودها البساطة وبها الباب البحري، والأخرى غربية وهي الرئيسية، وتشتمل على المنارة والقبة، ويتوسطها المدخل الرئيسي تكتنفه نافذتان حليت أعتابهما ومزرتاهما برخام ملون، يعلو كلا منهما شباك من الخشب المفرغ بزخارف جميلة . والوجهة محلاة من أعلاها بأفريز مكتوب به أدعية، منها : "اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيننا وبين الصديق والإخلاص والخشوع والهيبة والنور واليقين والعلم والمعرفة والحفظ والعصمة والنشاط والقوة والبيان والفهم في القرآن وأدخلنا مدخل صدق وأخرجنا مخرج صدق واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا ... " .

وهذا النوع من الكتابة غريب في وجهة رئيسية لمسجد ، لأننا ألفنا أن نقرأ في مثل هذا الوضع آيات من القرآن، أو تاريخ إنشاء الجامع .

(*) انظر الصور من رقم ٧٥ — ٨٠ بمجموعة الصور الفوتوغرافية . (١) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٣٠١ ، المقرئ ج ٢ ص ٣٠٧ ، الدرر الكامنة ج ١ ص ٤١٠ (٢) تاريخ المالك ص ١٨٧

ويجوز الباب العمومي مستطيل الشكل يكتنفه عمودان رخاميان ، وقد غطى بمقرنصات حجرية ذات دلايات . وهذا النوع من الأبواب من مميزات العمارة في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) حيث نراه قد شاع بعد ذلك في قصرى بشتاك وقوصون ومسجد بشتاك .

وتوجد الى جانب هذا المدخل نافذة كانت مصاريعها مكسوة بالنحاس المزخرف كما يبدو عليها ، تعلوها نافذتان أخريان حليت نواصيهما بعمد رخامية صغيرة وغطيت بشبابيك خشبية مفزعة بأشكال نباتية جميلة وغطيت بمقرنصات ويقابلها مثلها .

ومصراعا الباب من الخشب المحلى بزخارف نحاسية مفزعة ، تكون أطباقا اثني عشرية ، يتوسطها ترس يحيط به إفريز نحاسي ينتهى من أعلى وأسفل بمزامين ، كتب بالعلوى منهما قوله تعالى : " إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة " . وبالرأس الأسفل تاريخ ترميمه سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م) وبما يلاحظ أن حشوات النحاس في هذا الباب مثبتة على الخشب مباشرة . وهذا قليل ، إذ أن المؤلف تكسية الخشب بالأواح نحاسية توضع فوقها تلك الحشوات . وثمت ملاحظة أخرى وهى نخل الحشوات من الأثانات^(١) التى تحيط بالحشوات . ويعلم الباب شبا كان من الخشب المفزغ ، يملوها سطر مكتوب فيه : " أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك الفقير الى الله ألماس أمير حاجب في شهور سنة تسع وعشرين وسبع مائة وكاله سنة ثلاثين من الهجرة النبوية " .

وهذا النوع من الشبابيك الخشبية حل هنا محل الشبابيك الجصية ، ويعتبر النموذج الثانى ؛ لأن أول ما ظهر منه فى قبة السبيل الذى أنشاه الملك الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين ، ثم فى هذا المسجد . ورأيناه بعد ذلك فى مسجد بيدمر البدرى ، فوجهة مسجد برفوق بالنحاسين . وأخيرا فى مسجد اينال الأتابكى ، وهو أقلها من الناحية الفنية .

ومن الباب العمومي يتوصل إلى صحن المسجد ، وهو محاط بأربعة إيوانات ذات أعمدة رخامية وعقود ، وأكبرها إيوان المحراب . وقد حليت حافة العقود حول الصحن بزخارف جصية ؛ كما فتحت بنواصرها شبابيك صغيرة ، حليت أطرافها الخارجية بزخارف جصية ، تتوالت عن زخارف العقود فيها ، كما يوجد بالجدار الشرقى بقايا زخارف جصية .

ومن النادر أن نرى فى دولة المماليك البحرية حافة عقود مزخرفة ، بينما لم تستعمل زخرفة العقود إلا فى الجامع الطولونى ، وتطورت إلى كتابات فى مساجد الأزهر والأقمر والصالح طلائع ، ثم رأيناها فى مدرسة قلاوون .

(١) الأثانات : أنمطة تحيط بالحشوات وقد سبقه فى ذلك باب الإمام الشافعى بدار الآثار العربية .

وكذلك يسترعى النظر زخرفة باطن العقد الكبير أمام المحراب ، وهذا النوع أيضا لم نجده إلا في الجامع الطولوني ومدرسة قلاوون . وأخيرا في بعض مدارس عصرى قايتباى والغورى .

والمحراب مكسو برخام ، ولكنه أقل دقة من محراب القبة ، تعلوه زخارف جصية وبخاريات ، ويحاوره منبر خشبي ليس بالمنبر القديم ، بل يرجع الى العصر التركى .

وبؤخر هذا الإيوان دكة المبلغ من الرخام ، وهى محمولة على ثمانية عمد رخامية — والدكك الرخامية شاعت في هذا العصر — ولعل هذه أول ظهورها ، وقد رأيناها بعد ذلك في مساجد آق سنقر والسلطان حسن والماردانى وبرقوق والمؤيد وعبد الغنى الفخرى .

ويحيط بجدار المحراب إفريز رخامى مكتوب فيه آيات من سورتى الفتح وتبارك . وقد بقى في هذا الإيوان بقايا وزرة رخامية بسيطة أرجح أنها باقية من ترميم أجرى بالمسجد في وقت ما ، لأنه باق به بقايا أخرى من الرخام المزخرف والمكتوب بالكوفى المربع والمطعم بالألوان والمفترغ مثبتة في الإيوان البحرى ، لاشك أنها باقية من وزرات المسجد القديمة . ولا عجب ، فإن ابن تغرى بردى المؤرخ يقول عن المنشئ إنه عنى جدا برخام هذا المسجد وبالقاعة التى أنشأها بالقرب منه . كما أن بقايا السقوف القديمة الباقية بالإيوان الشرقى كانت مدقوقة بالأويمة وملونة ، وفي الجنب البحرى مقصورة خشبية على وجه مزيرة ، وفي النهاية البحرية للإيوان الغربى توجد القبة ، وهى وإن كانت بسيطة من الخارج إلا أن داخلها يشتمل على دوائر جصية مزخرفة ، وقد ركب على بابها مصراعان من الخشب حليا بأشرطة وجامات نحاسية غريبة وغير شائعة .

ويتوسط القبة قبر المنشئ ، عليه تركيبة من الرخام ، أجمل ما فيها باباتها . وبها محراب ، تدل بقايا الرخام الموجودة به والعمد المزخرفة المكتنفة له على مقدار دقة صناعة الرخام بهذا المسجد .

وقد بقى من مصاريع الشبابيك القديمة مصراعان دقت حشواتهما المستدسة بالأويمة وطعمت بالسق . أما منارة المسجد فحديثة بالنسبة إليه ، ويدل طرازها وتأنر صناعتها على أنها ليست بالمنارة الأصلية ، بل ترجع الى العصر التركى .

وقد قامت إدارة حفظ الآثار العربية بعدة إصلاحات في هذا المسجد انتهت سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م) تناولت تقويم الأعمدة والعقود ، وإصلاح الباب النحاسى والنوافذ الخشبية وأعمال الرخام .

جامع قوصون

بشارع محمد علي^(*)

الأمير الكبير سيف الدين قوصون الساقى الناصرى ، قدم مصر ضمن من وفد إليها من بلاد بركد^(١) مع خوند ابنة القان أزبك زوج الناصر محمد بن قلاوون في ٢٣ ربيع الانحر سنة ٧٢٠ هـ (١٣٢٠ م) . وما إن رآه الناصر حتى أمر بشرائه ؛ فاشترى بثمانية آلاف درهم . ونال حظوة عنده ، ورقاه في جملة وظائف : من أمير عشرة الى إمرة طبخاناه ، ثم أمير مائة ، فمقدم ألف . وأحضر افراد أسرته الى مصر ، وعظم مركزه عند السلطان فتزوج أخته وزوجه ابنته في سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧ م) . واحتفل بزواجه احتفالا كبيرا تبارى الأمراء في تقديم الهدايا فيه حتى بولغ في تقدير قيمتها^(٢) .

وكان يقيم في قصره الفخم الذى أنشاه خلف مسجد السلطان حسن الموجودة بقاياها حتى الان ، ويعيش فيه عيشة بذخ وترف زائد ؛ فقد كانت الآنية من الذهب والفضة . - هذا عدا الجواهر وكميات الذهب الكثيرة ، حتى إن سروج خيله كانت من الذهب والفضة . وكان أميراً جليلاً كريماً . وقد وجد في مخازن قصره كميات كبيرة من الأبسطة صناعة مصر بلغت ١٨٠ زوجاً ، منها ما طوله من أربعين الى ثلاثين ذراعاً ، و ٣٢ أخرى عمل الشريف بمصر منها أربعة من الحرير .

وفي دولة الأشرف علاء الدين بكك بن الناصر محمد بن قلاوون تقلد نيابة السلطنة بمصر . ثم انتهى أمره بالقبض عليه وإرساله الى الإسكندرية ؛ فسجن بها الى أن توفى في آخر شوال سنة ٧٤٢ هـ (١٣٤٢ م) . وكان خيراً كريماً جزيلاً العطاء ، رحمه الله وعفا عنه . وله بمصر منشآت عمرارية هامة ؛ منها بقايا خانقاه بالقرافة الصغرى ، ووكالة بشارع باب النصر ، وبقايا القصر الذى كان يسكنه .

موقع الجامع وتاريخ انشائه — كان موقع هذا الجامع قبل إنشائه داراً للأمير أقوش نيله ، ثم عرفت بدار الأمير جمال الدين قتال السباع الموصلى . فأخذها الأمير قوصون وهدمها وأنشأ مكانها هذا الجامع .

وفي ٢١ رمضان سنة ٧٣٠ هـ (١٣٣٠ م) تم بناء الجامع ، وإفتحه الملك الناصر محمد بن قلاوون . وكان الخطيب يومئذ قاضى القضاة جلال الدين القزوينى .

(*) انظر الصور من رقم ٨١ - ٨٤ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) بركد من فرى بخارى ، معجم البلدان ج ٢ ص ١٤٩ (٢) التمل الصاقى ، والمقرىزى ج ٢ ص ٧٢ و ٢٠٧ ،

والدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٥٧ . (٣) المقرىزى ، ج ٢ ص ٢٠٧ ، تاريخ الممالك ص ٢٢٦



ويبدو لي أن محته كان لها تأثير كبير على منشآته فقد وصلت إلينا مشوّهة بسبب الاعتداء عليها ، ولم نجد أحدا من المؤرخين عني بذكرها تفصيلا ، ولم نسمع أن دروسا أقيمت بها مثل بقية المساجد . وقد زاد تخرب هذا المسجد عقب فتح شارع محمد علي سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) فانه أخذ منه قطعة من ضمنها الساقية والمنارة .

تجديد المسجد الحالي — وعقب فتح شارع محمد علي وضع المغفور له علي باشا مبارك تصميما لتجديده شرعت وزارة الأوقاف في تنفيذه ، ولم تتم عمارته إلا في عصر المغفور له الخديو عباس حلمي الثاني سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) وهو مبنى بالحجر من الداخل والخارج . ويتكوّن من أربعة إيوانات ، يتوسطها ضحى مغطى بقبة من الخشب منقوشة . كما يعلو المحراب قبة . أما المحراب فهو مزخرف بالبوية الملونة ، يجاوره منبر من الخشب المجمع بأشكال هندسية . وفي الإيوان الغربي دكة المبلغ وهي من الرخام . غير أن تصميمه وتفصيله العمارية لا تمت من الناحية الفنية بأية صلة إلى الجامع القديم .

الأجزاء القديمة بالمسجد — لم يبق من المسجد القديم إلا الباب البحري ، وهو مع ضخامته تسوده البساطة ، تجاوره بقايا الزخارف والشبابيك الحصية التي تلاصق المسجد بالحديد من بحريه ، ولعلها جزء من الإيوان الشرقي للجامع القديم . وتدل هذه الزخارف على أن الزخارف الحصية كانت شائعة في المسجد القديم كما أن الإفريز الزخرفي الذي كان يحيط بجدران الجامع أسفل الشبابيك لا نظير له . وقد تنوّعت أشكال الشبابيك كما تنوّعت زخارفها ، وعقودها المدببة مرتكزة على عمد رشيقة ، وبشواشيحها زخارف موزّقة ، كما أحيط بعضها بكتابات . كذلك بقي أحد أبواب المسجد . وهذا الباب بشارع السروجية يتوصل منه إلى حارة خلف المسجد الجديد ، توصل إلى شارع محمد علي ، تعرف بمظفة المحكة . وهو من الأبواب الفخمة ، مبنى بالحجر وأعتابه مكسوّة بالرخام الملون ، وينتهي أعلاه بمقرنصات ذات دلايات ظريفة ، ومكتوب على جانبيه ما نصه : ” أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك بكرم الله تعالى العبد الفقير إلى الله تعالى قوصون الساقى الملكى الناصرى في أيام مولانا السلطان الملك الناصر أعز الله أنصاره وذلك في سنة ثلاثين وسبع مائة “ .

وعلى الكتف الأيسر للباب مزولة مكتوب عليها بالخط الكوفي ” عمل أحمد الحريرى عام خمس وثمانين وسبع مائة “ .

وكان مربكا على هذا الباب مصراعان مغشيان بالنحاس أودعا دار الآثار العربية ، كما كان يعلوه إحدى منارتى الجامع .

ونشر مسيو فان برشم كتابة تاريخية أخرى نصها :

”بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله... الآية — أمر بإنشاء هذا الجامع العبد الفقير إلى الله تعالى السيفي قوصون الملكي الناصري في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد ابن قلاوون وذلك في شهر سنة ثلاثين وسبعائة من الهجرة“ .

هذه هي المخلفات القديمة من جامع قوصون، وهي لا تاقى ضوءاً جديداً عليه، بل تزيد أمره تعقيداً، فإن المسافة بين هذا الباب وبين البقايا الزخرفية بحرى الجامع الحديد كبيرة جداً . ولا شك أن الجامع كان كبيراً كما وصفه ابن حجر العسقلاني وعلى ذلك يكون هذا الباب موصلًا إلى ملحقات حول المسجد، مما يرجح أن الأمير قوصون لم ينشئ الجامع في هذه المنطقة فقط بل أنشأ حوله منشآت أخرى داخلية في حدوده لم يتعرض لذكرها أحد . واشتماله على منارتين يعزز أنه كان مسجداً كبيراً . فقد ألفنا أن نرى المساجد ذات المنارتين كبيرة جداً مثل مساجد الحاكم والسلطان حسن وبرقوق بالصحراء والمؤيد .

معماري المنارتين — وقد عرفنا جنسية المعماري الذي قام ببنائهما، وهو فارسي قدم من تبريز، فبنى المئذنتين على مثال المئذنة التي عملها خواجا علي شاه وزير السلطان أبي سعيد في جامع بمدينة توريز من بلاد فارس .

وإذا كان المعماري فارسيًا فهل نستطيع أن نتخيل طراز المنارتين من شكل منارة خانقاه قوصون المنشأة سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) والباقية إلى الآن بالقرافة الصغرى؟ يجوز ذلك، كما يجوز أن يكون هو الذي قام ببنائها أيضاً . كذلك يحتمل أن يكون طرازهما على مثال منارتى مسجد الناصر محمد ابن قلاوون بالقلمة المنشأ سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٥ م) . وقد غشيت قمتها بالقاشاني . ونظن إلى حد كبير أن بناءهما كان فارسيًا أيضاً، بل لعله البناء التبريزي .

وقد حدثنا الجبرتي عن سقوط إحدى المنارتين بما نصه : « وفي آخر شعبان سنة ١٢١٥ هـ (١٨٠١ م) سقطت منارة جامع قوصون، سقط نصفها الأعلى فهدم جانباً من بوائك الجامع، ونصفها الأسفل مال على الأماكن المقابلة له بمطقة الدرب النافذ لدرب الأغوات . وأظن سقوطها من فعل الفرنسيين بالبارود » .

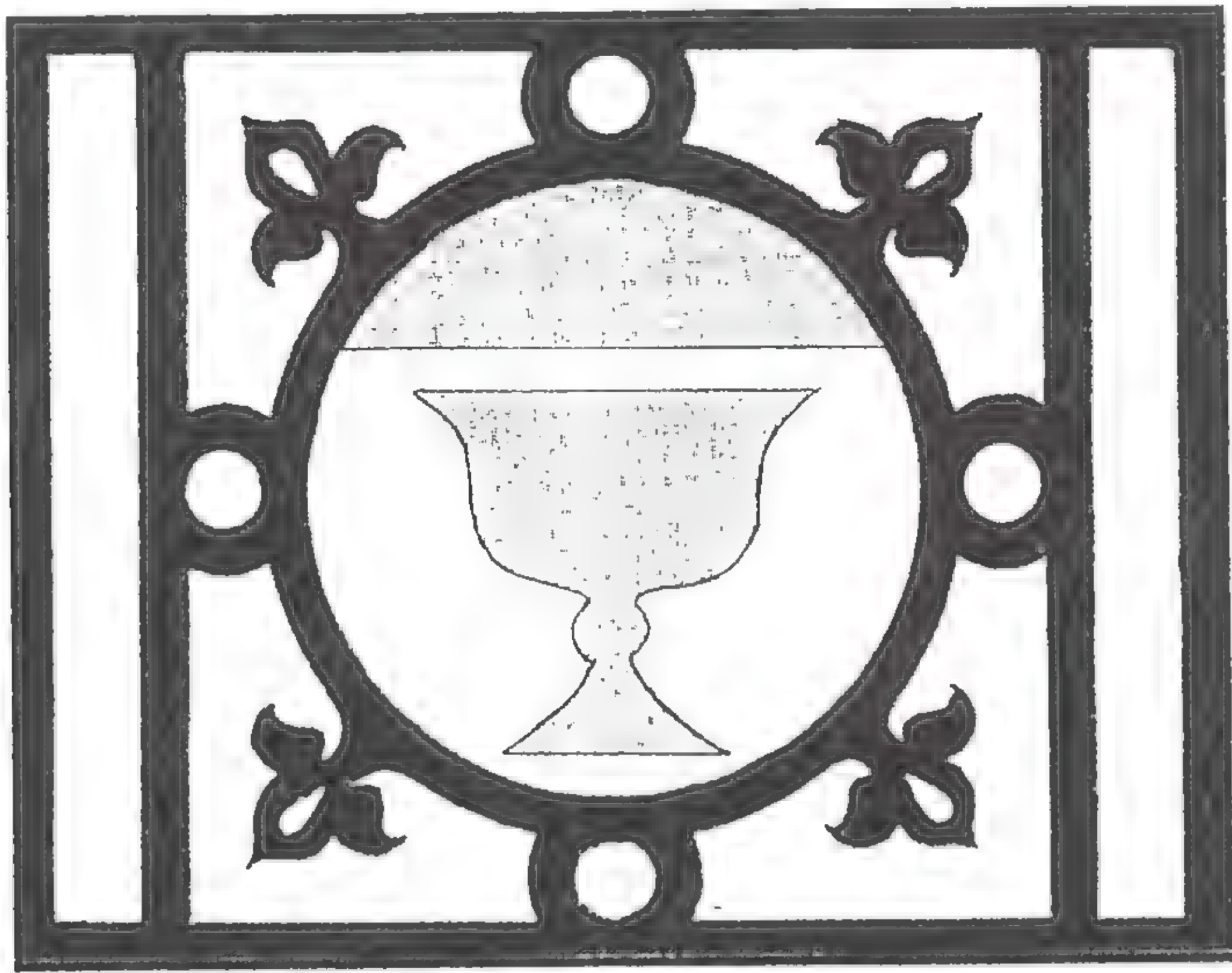
كذلك أخبرنا المرحوم علي باشا مبارك بضياح بقايا المنارة عند فتح شارع محمد علي سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) وأن به قبة قديمة .

(١) المقرئ، ج ٢ ص ٣٠٧ (٢) الجبرتي، ج ٣ ص ١٤٢ و ١٤٤ (٣) المخطوط الجديدة ج ٥ ص ٨٨

وقد أدرك الجامع قبل نهاية تخرجه المهندس التقديريريس دافين، الذي ظهر كتابه سنة ١٨٧٧م وعان الجامع ووصفه بأن تخطيطه كان مربعا، وأن به أعمدة تحمل عقودا مدببة . ولم يعان به سوى إيوان المحراب، وأشار إلى شبابهيكه الحصية ورسمها . وقال : إنه كان يعلوالمحراب قبة لها تصميم جميل . وكذلك وصف مقصورة من الخشب منقوشة بنقوش جميلة ، وكرسيين للقرآن ، وتنورا من النحاس يبلغ طوله حوالى ثلاثة أمتار^(١) . ثم وصف المنبر وحشواته الدقيقة، ونعته بأنه تحفة فنية ، تفوق نقوشه نقوش منبر جامع طلائع بن رزيك بقوص . ونشر له فى كتابه الفن العربى أربع لوحات تناولت تفاصيله الدقيقة .

ومن نص تاريخى نقله ثان برشم عرف أن المنبر انتهى سنة ٧٢٩ هـ (١٣٢٩ م) . أما التنور (ثريا) فإنه مصنوع من النحاس الأصفر المخزم ذو إثنى عشر ضلعا مكون من أربع طبقات مزينة بأشكال نجمية كثيرة الأضلاع وأشكال هندسية . ويقول صانعه بدر بن أبى يعلا إنه أتمه فى مدة أربعة عشر يوما .

أما الصينية أسفل التنور فمنقوش عليها جامات باسم السلطان حسن ، وهو مودع بدار الآثار العربية ومعرض ضمن مقتنياتها .



رنك قوصون على وكالته بشارع باب النصر

ولما أدى فيه فريضة الجمعة يوم ٢٩ ذى القعدة سنة ١٣٥٧ حضيرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول أم المصلين ، وهو حادث له أهميته فى تاريخ مصر .

(١) كراسة محاضر وتقاير لجنة الآثار سنة ١٩١٠ ص ١٤٩

جامع بشتاك

بشارع درب الجمايز^(١)

الأمير بشتاك الناصري من أمراء الناصر محمد بن قلاوون . اشتراه الناصر بستة آلاف درهم .
وعهد إلى الأمير قوصون بترتيبه ، فكانت له حظوة عند الناصر . وتقلب في جملة وظائف من أمير
شكار^(٢) ، إلى كاتب سر . وكان موضع احترام الناصر محمد بن قلاوون ، وكثيرا ما كان يغمره بهداياه .
وبعد وفاة الناصر محمد قبض عليه واعتقل بالاسكندرية . ثم قتل في شهر ربيع الآخر سنة ٧٤٢ هـ
(١٣٤١ م) . وفي سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) نقلت جثته من الإسكندرية ودفن بترية منجر الجاولي ،
وله منشآت عمارية هامة ؛ منها قصره العظيم بشارع بين القصرين ، والحمام بسوق السلاح ، ثم خانقاه ،
فمسجده هذا .

تاريخ إنشاء المسجد — اختار الأمير بشتاك الحافة الغربية لبركة الفيل ، والشاطئ الشرقي
للخليج المصري ؛ فأنشأ على شاطئ الخليج خانقاه احتفل بافتتاحها في أول شهر ذي الحجة سنة ٧٣٦ هـ
(١٣٣٦ م) .

وفي شهر رمضان سنة ٧٣٦ هـ (١٣٣٦ م) أنشأ المسجد تجاهها ، فوق الفراغ منه في شهر رجب
سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٧ م) وقيل في ذي الحجة سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٧ م) . وأنشأ بينه وبين الخانقاه
ساباطا يصل أحدهما بالآخر . ولما تم بناء المسجد واحتفل بافتتاحه خطب فيه العلامة تاج الدين
عبد الرحيم ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني . ويذكر ابراهيم بن مغلطاي المؤرخ أن الجمعة
أقيمت فيه في ٢١ شعبان سنة ٧٣٦ هـ (١٣٣٦ م) .

وقد ظلت هذه المنشآت عامرة بذكر الله تعالى إلى أن تخربت الخانقاه ولم يبق لها أثر .
أما المسجد فإنه باق إلى الآن ، وإن كان أكثره قد جدد .

ومن بواعث الأسف أننا لم نعثر على وصف لتلك المنشآت ، وإن كان الأمير بشتاك قد عودنا
أن نرى الفخامة والضخامة تسود منشآته . وهاهو قصره العظيم الباقي حتى الآن بشارع بين القصرين
تجاه المدرسة الكاملية ، نخر المنشآت المدنية في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) .

(١) أنظر الصور من رقم ٨٥ - ٨٦ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(٢) الدور الكامنة ج ١ ص ٤٧٧ . (٣) أمير شكار (أمير الصيد) ويشرف على شؤون الصيد ولوازمه .

(٤) المقرئ ج ٢ ص ٤١٩ . (٥) السلوك ، ج ٢ قسم ٢ ص ٤٢٣ . (٦) تاريخ الماليك ص ٢٢٦ .

وقد رأينا المقرئ المؤرخ الجليل يعبر عن إعجابه بهذا المسجد بإيجاز حيث يقول : « وهو من أبهج الجوامع وأحسنها رخاما وأزهرها » .

أما كونه من أبهج الجوامع وأزهرها فيكفيه موقعه ، وأنه يشرف على بركة الفيل إحدى متزحات مصر التي فتن الشراء والكتاب . فقد وصفها ابن سعيد الأديب الأندلسي فقال :

انظر الى بركة الفيل التي اكتفت * بها المناظر كالأهداب للبصر
كأنما هي والأبصار ترمقها * كواكب قد أداروها على القمر

وأما أنه أحسن الجوامع رخاما فهذا طبيعي ؛ لأن صناعة الرخام في الآثار المعاصرة لهذا الجامع بلغت أوج مجدها في الدقة والجمال والتطعيم بالصدف . كما أن البقايا القليلة التي عثرت عليها إدارة حفظ الآثار العربية بوزارة قاعة قصره العظيم دلت على مقدار دقة صناعة الرخام بها .

ثم إن صناعة الرخام في باب حمامه بشارع سوق السلاح لا نظير ولا ثاني لها في باب آخر . والبقايا القديمة التي لا تزال ترى في المسجد بعد تجديده ، وتتحصر في الباب العمومي الداخل والمئذنة ، تدل دلالة واضحة على أنه كان مسجدا كبيرا فخا حافلا بشتى الصناعات .

أعمال التجديد — في سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦١ م) أمرت المغفور لها والدة المرحوم مصطفى فاضل باشا أنحي المغفور له إسماعيل باشا بتجديد هذا الجامع ، بمناسبة إنشاء دارها المجاورة له وعهدت الى نيازي بك بهذا العمل الخيري ؛ فأعاد بناءه من الداخل ، وحافظ على الباب العمومي القديم والمئذنة على يساره ، وأنشأ له بابا ووجهة جديدة .

وصف المسجد — تقع الواجهة العمومية الغربية — وبها الباب الحديد — على شارع درب الجماميز وتسودها البساطة . ويعلو الباب لوح رخامي به تاريخ التجديد والثناء على المجددة بأبيات من الشعر تقتطف منها :

لقد أمست ذات العفاف بناءه * على دائم التقوى فتم لها الخير
بهجت من أضفى له السعد خادما * نيازي هو اليك الذي زانه الفخر
وجاءت بشارات القبول وأزخت * بإتمام بيت الله دام لها الأجر

واجتياز هذا الباب يؤدي الى رحبة ، يقابل الداخل إليها الباب القديم ، وهو باب عظيم مبني بالحجر يكتنفه عمودان من الرخام ، ويجانيه صفتان غطيتا بمقرنصات . يغطي ذلك سقف من الحجر به مقرنصات متدلية ، تتوسطه سرة بها تضاليع محارية يعلوه سطر مكتوب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر... الآية » .

وداخل المسجد جديد، وهو مكوّن من ستة أروقة يتوسطها منور . والمحراب من الرخام كتب
أعلاه : ” هو العلي الأعلى . فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب “ . وقد فرش المسجد
بالسجاد ذى المحاريب .

وفي الجدار القبلى مدفن يضم رفات المرحوم أحمد رشدى بك المتوفى سنة ١٢٩٦هـ (١٨٧٩ م) .
وهو نجل المغفور له مصطفى باشا فاضل . ولما نقل أخيراً جثمان المغفور له مصطفى باشا فاضل
المتوفى سنة ١٢٩٢هـ (١٨٧٦ م) الى هذه المقبرة أضيف الى الكتابة التى على الباب السطر الأعلى
منها فأصبح نصها : ” ضريح المغفور له الأمير مصطفى باشا فاضل وضريح الأمير المرحوم أحمد
رشدى بك نجل الأمير المغفور له مصطفى فاضل باشا نجل الأمير الشهير المبرور ابراهيم باشا نجل
ساكن الجنان عزيز مصر الحاج محمد على باشا فى عشرين ذى القعدة سنة ١٢٩٦هـ الى أرواحهم
الفاتحة “ .

وهذا التاريخ هو تاريخ وفاة أحمد رشدى بك كما هو منقوش على قبره الذى تعلوه قبة منقوشة
محمولة على عمد . أما مصطفى باشا فاضل فكانت وفاته فى الآستانة عام ١٢٩٢هـ (١٨٧٦ م) —
ثم نقل جثمانه الى هذه المقبرة . وكان من غواة جمع الكتب ، وكانت له مكتبة حافلة بنوادير المخطوطات
التي لا نظير لها . اشتراها بعد وفاته المغفور له الخديو اسماعيل باشا بمبلغ ١٣,٠٠٠ ليرة عثمانية^(١) ، دفعها
من ماله الخاص وأهداها الى دار الكتب المصرية . وهى مميزة بين فهارسها بحرف « م » بعد رقم
كل كتاب .

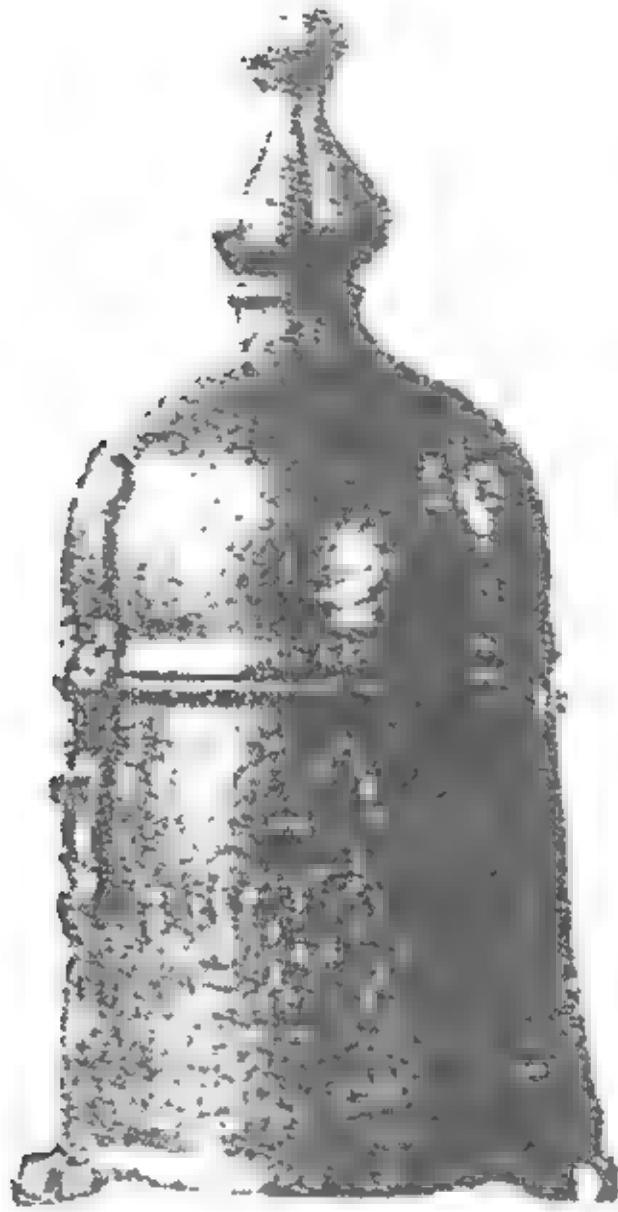
وفي مؤخر المسجد باب يوصل الى سلم حلزونى قديم ، يؤدى الى السطح فإلى المنارة ؛ وهى من
المنارات العظيمة المبينة بالجمر والحافلة بالنقوش والكتابات ، وامتازت بكثير من التفاصيل العمارية
التي لا توجد فى غيرها . وأولى تلك المميزات بابها ذو المكسلتين . نعم سبقتها فى هذا منارة مسجد
الجالوى ، ولكن الباب من غير مقرنصات ولم يكتب عليه نص تاريخى مثل هذه . ومكتوب فوق
الباب : ” بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما مهده لنفسه المقر الأشرف بشتاك المالكى الناصرى
والابتدا فى مستهل شهر رمضان المعظم سنة ست وثلاثين وسبعمائة و فرغ آخر شهر رجب الفرد
سنة سبع وثلاثين وسبعمائة “ .

(١) يعادل بالتقريب مبلغ تسعة آلاف جنيه مصرى فى ذلك الوقت .

وثاني مميزات تلك التجاويف الرأسية في بدن الدورة الثانية، فهي مقصورة عليها . وقد تنوعت النقوش المفرغة بشق الدرايزين وشملت قوائمها . أما الدورة الثالثة فهي حادثة ودخيلة عليها . ولعلها عملت سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦١ م) .

ومن مآثر السيدة والدة فاضل باشا لإنشائها على جزء من أرض الخانقاه سبيلا وكتابا في سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) كسيت وجهته بالرخام المحلى بالنقوش والكتابات . وهو تجاه الخارج من باب المسجد .

وبأعمال هذه السيدة الجليلة أضيفت صفحة ناصعة من صفحات سيدات البيت العلوى الكريم الى أثر المرأة في العمارة الاسلامية .



مسجد الطنبغا المارداني

بشارع التبانة^(٥)

كان الخارج من باب زويلة في عهد الدولة الفاطمية حين يأخذ الطريق على يساره (الدرب الأحمر) الآن يجد فضاء كبيرا لا بناء فيه .

وفي سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) أنشأ الصالح طلائع بن رزيك مسجده تجاه الخارج من هذا الباب . وبعد إنشائه له أقيمت في هذا الفضاء مقابر لأهل القاهرة . فلما زالت الدولة الفاطمية وأنشأ صلاح الدين الأيوبي القلعة على رأس الشرف المطل على القطائع ، كان يسلك الى القلعة من هذا الطريق .

وفي نهاية القرن السابع الهجري (السادس عشر الميلادي) أنشئت في هذا الشارع المساجد والأبنية ، وقسم الى أخطاط عرفت بسوق البسطيين : نخط الدرب الأحمر ، نخط جامع المارداني ، نخط سوق الغنم ، نخط التبانة ، نخط باب الوزير حتى القلعة .

وأكثر هذه الأخطاط باقى الى الآن وأكثرها بأسمائه القديمة . وهى حافلة بشتى المنشآت العمرية في مختلف العصور ، ما بين مسجد ومدرسة وخانقاه وسبيل وكتاب ودور وقصور . وقد أبى الدهر على أكثر هذه المنشآت . ومن أجلها جامع المارداني .

المنشئ — الطنبغا بن عبد الله المارداني الساقى الأمير علاء الدين ، أحد مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون . كان الناصر كثير العناية به فعينه ساقيا ثم أمير طبابخاناه^(٢) في مدة يسيرة ، ثم عينه أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية وزوجه أبنته . وبعد وفاة الناصر محمد تولى ولده المنصور أبو بكر قبض عليه في صفر سنة ٥٧٤٢ هـ (١٣٤١ م) . ولما خلع المنصور وتولى أخوه الملك الأشرف بكك بن محمد بن قلاوون سنة ٥٧٤٢ هـ (١٣٤١ م) أفرج عنه .

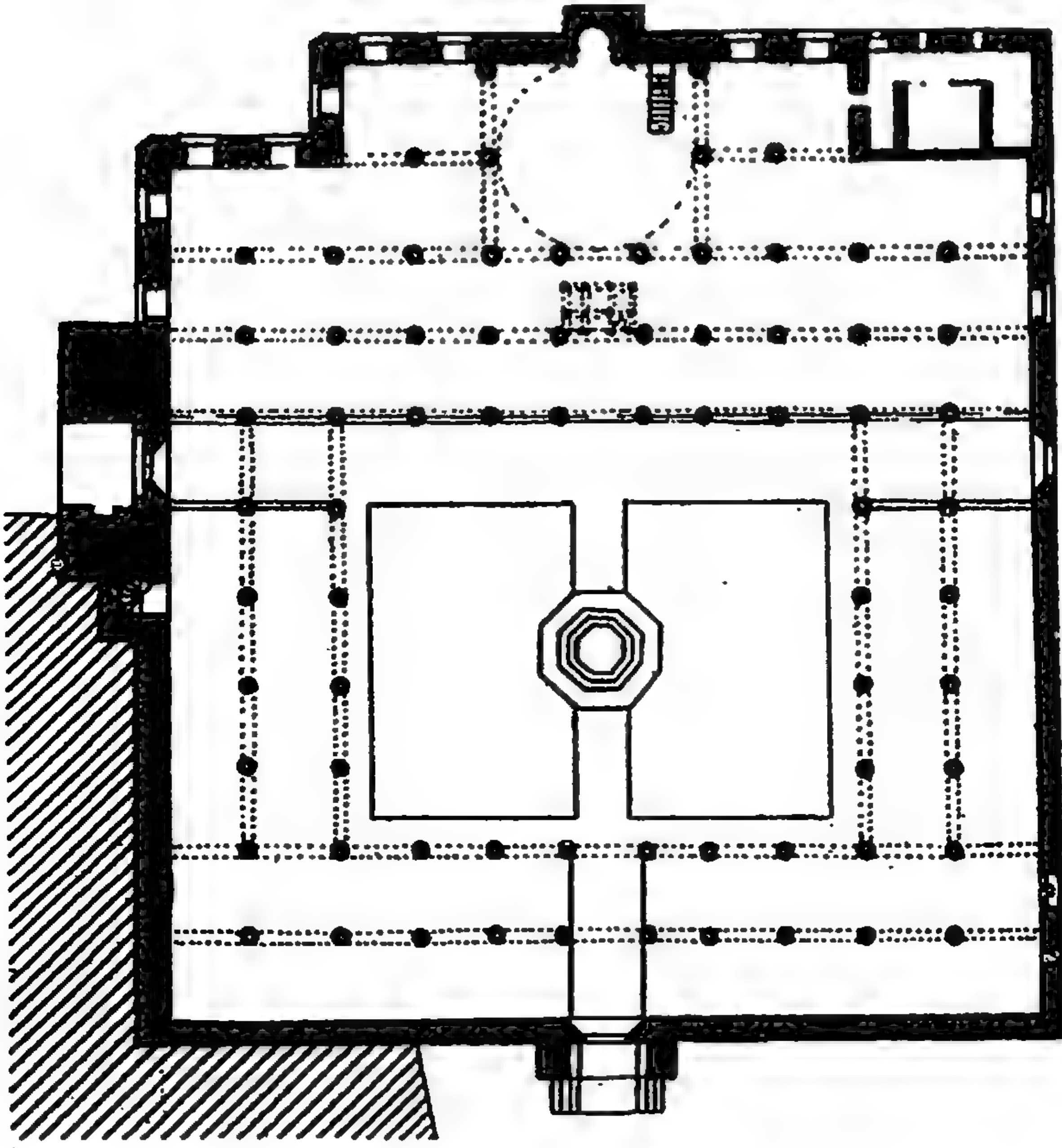
(٥) انظر الصور من رقم ٨٧ — ٩١ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٠٩ — المنهل الصافي — أبو الفداء ج ٤ ص ١٣٩

(٢) الساقى : وظيفة إعداد مائدة السلطان . ثم تقديم المشروب عقب رفع المائدة .

(٣) الطببخاناه : بها الآلات الموسيقية للفرقة التى تعزف على باب القصر الملكى .

وحين استقر الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون، في المملكة عين الطنبغا نائباً على حماه، فتوجه إليها في شهر ربيع الأول سنة ٧٤٣ هـ (أغسطس سنة ١٣٤٢ م) .
وفي شهر رجب عين نائباً لحلب، فاستمر بها إلى أن توفي في صفر سنة ٧٤٤ هـ (١٣٤٣ م) .



مسقط أفق

تاريخ إنشاء الجامع — شرع الأمير الطنبغا المارداني سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٧ م) في بناء هذا الجامع، ويقال : إنه كان سخيّا في نزع الملكية للأماكن اللازمة له . وقيل : إنه أخذ عمده مما كان في جامع راشدة الفاطمي واستمر العمل جارياً فيه بهمة كبيرة حتى كمل ، واحتفل بافتتاحه بأول خطبة أقيمت في يوم الجمعة ٢٤ رمضان سنة ٧٤٠ هـ (مارس سنة ١٣٤٠ م) هذا ما ذكره المقرئى وقد جاء مطابقاً لما كتب على جدران المسجد ومدخله والوجهة القبليّة له .

(١) المقرئى، ج ٢ ص ٣٠٨ ثم نراه في ج ٢ ص ٢٨٣ يتفصّل هذه الرواية ويقول أن جامع راشدة كان عامراً إلى

ما بعد سنة ٨٠٦ هـ (١٤٠٣ م) .

ويظهر أن مدة السنة لم تقنع ابن بهادر المؤرخ فذكر أنه أنشئ — وطبعاً يقصد أنه بدئ فيه — سنة ٨٧٣٥ (١٣٣٥ م) ، وهو ما أقتره عليه . وهذا ما قتره أيضاً المقرئى فقد ذكر في حوادث سنة ٨٧٣٥ (١٣٣٤ م) الشروع في نزع ملكية الدور اللازمة له بمعرفة النشو فاغتصبها بنصف قيمتها^(٢) . وصف الجامع — وضع تصميمه على مثال المساجد الجامعة الأربعنة إيوانات ذات أروقة يتوسطها صحن مكشوف . أكبرها إيوان القبلة . فهو يحتوي على ثلاثة أبواب : غربي وقبلي وبحري . والأخير أخفها زخرفاً ؛ فقد كسى بالرخام المائون الملبس في الحجر ومكتوب عليه ما نصه : ” بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . وكان الفراغ من هذا الجامع المبارك في شهر رمضان المعظم سنة أربعين وسبعائة “ .

وفي هذا الباب ظاهرة معمارية هامة ، وهي بروزه عن سمت الواجهة ونماذجها معدودة . وعلى يسار هذا الباب منارة مكونة من ثلاث دورات . وإن انقطاع الكتابة من الجدران الحاملة لهذه المنارة وانفصالها عن باقي كتابة المدخل مع وجود تكملة لها بهذه الواجهة مما يجاز على اليقين بأن عمارة جديدة أجريت بالمدخل في وقت غير معلوم . وتعدته إلى المنارة بخدات أيضاً . كما يحتمل أن تكون قد عملت تقوية جديدة لأساس المنارة وقاعدتها فقط فخجبت ما خلفها من كتابات . والرأى الأول أرجح . ويفصل الإيوان الكبير عن الصحن سياج من الخشب الخراط المحفور من وجهيه بزخارف جميلة . وقد كتب على وجهيه من أعلا آيات من سورتي الفتح والنجم .

ويتوصل إلى داخل الإيوان الكبير من أبواب شرعت في هذا السياج . ولعله أقدم سياج باق في الآثار العربية بمصر ، أو هو الثاني إذا عدنا سياج مسجد آل ملك الجوكنداز . ويليهما سياج قايتباي بالجامع الأزهر .

والإيوان الشرقي غني بمختلف الصناعات ؛ فقد أقيمت عقوده على عمود من الرخام والجرانيت الأحمر ، ويعلو هذه العقود سقوف حفرت بها زخارف ، لونت وزهبت بالوان زاهية جميلة . كذلك كسيت الجدران إلى ارتفاع نحو ثلاثة أمتار بوزرة مكونة من أشرطة من الرخام ، ومن أجزاء دقيقة جدا من الرخام والصدف ، بعضها يمثل أشكالاً هندسية ، والبعض الآخر كتابات بالخط الكوفي المربع بالرخام الأخضر ، يقرأ فيها : ” لا إله إلا الله محمد رسول الله “ واسم ” محمد “ مكرراً . ويتوسط بعضها دوائر كتب حولها : ” بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون “ . وتنتهي بإفريز رخامي على شكل شرفات .

أما المحراب فمعدود من المحاريب الدقيقة بالقاهرة ، إذ أنه كسى بالرخام الدقيق والصدف المكون لأشكال هندسية غاية في الدقة . وغطاؤه المبرعته بالطاقيّة من النماذج القليلة المعدودة فهو ملبس بالرخام الأسود والأحمر والفيروزى ويجاوره منبر حشواته مدقوقة بالأويمة ومطعمة بالسن ، وبه حشوات من السن المحفور بنقوش دقيقة . ومن الظريف فى هذا المنبر أن نحواً من أربعين حشوة من حشواته سرقت قبل تشكيل لجنة حفظ الآثار العربية بعشر سنوات ، ونقلت إلى أوروبا ، ثم أعيدت إلى مصر حوالى سنة ١٩٠١ لتباع فيها ؛ فاشترتها اللجنة بمبلغ ثمانين جنيهاً ، وأعادتها إلى منبرها الأصلي ، وأتمت إصلاحه سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) .

وفوق المحراب قبة كبيرة حملت على ثمانية أعمدة من الجرانيت الأحمر لها تيجان مصرية . ولهذه القبة مقرنصات من الخشب المحلى بزخارف مذهبة ، ويحيط بمربعها إفريز خشبي مكتوب مذهب ، وبأجانبها شبابيك جصية بها زجاج ملون . ويوجد فوق المحراب ، وبين مقرنصات القبة وشبابيكها زخارف جصية تمثل أشجاراً وبخاريات آية فى الدقة والجمال بها أثر تلوين .

وبهذا الإيوان دكة المبلغ من الرخام ، وهى محولة على اثني عشر عموداً من الرخام . وقد اشتمل هذا الإيوان على كتابات تاريخية . منها لوحان فى الجدار البحرى حفرت كتاباتهما فى الحجر ولبست بالرخام الأخضر تضمنا اسم المنشئ وتاريخ الفراغ من إنشائه ، وهو شهر رمضان سنة ٧٤٠ هـ .

والكتابة الثالثة على يمين المنبر ونصها : ” بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى الراجى عفوره الطنبغا الساقى الملكى الناصرى وذلك فى شهر سنة أربعين وسبعمئة وصلى الله على سيدنا محمد وآله “ .

ويحيط بجدران هذا الإيوان شبابيك من النحاس ، حلوةها مزخرفة بموهة بالذهب ، يعملوها شبابيك جميلة من الجص والزجاج ، تتخللها بخاريات جصية كانت مذهبة .

أما باقى الإيوانات فكل منها يشتمل على رواقين ، وهى عبارة عن عمد تحمل عقوداً فتحت فى خواصرها عقود . وهى خالية من الشبابيك وعارية من الزخرف ، ولا يوجد بها سوى بخاريات جصية . ويتوج وجهات هذه الإيوانات شرفة مسننة محلاة بزخارف ، غلف أعلاها بقطع مفرغة من الخرف ، تعتبر النموذج الوحيد بين الآثار . وعلى أبعاد مختلفة أقيم فوق إحدى الشرفات خوذة مخوصة انتهت بالحلية الخرفية . وهى مقتبسة من مثلما فى مسجد الناصر بالقلة . وسبقتهما نماذج مبسطة فى الجامع الطولونى وفى الجامع الأزهر .

كذلك حليت وجهات العقود بزخارف ماين مستديرة ونجمية وعقود محارية محكاة لمشائلاتها في الجامع الطولوني والأزهر .

ويتوسط الوجهة الغربية الباب الغربي . وهو من الأبواب العظيمة ، حلي بمقرنصات تغاير مقرنصات الباب البحري . وقد كتب عليه تاريخ البدء في العمارة بما نصه : " بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله والذين معه أشدء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا أنشأ هذا الجامع المبارك من فضل الله وكرمه العبد الفقير إلى الله تعالى الطنبغا الملكي الناصري وذلك في شهر سنة تسع وثلاثين وسبع مائة للهجرة النبوية عليه السلام " .

أما الباب القبلي فهو أبسطها . وقد حليت ظهور الأبواب الثلاثة من الداخل بالرخام وبزخارف حجرية مورقة كانت ملونة ، كما يعلو كل باب منها شبك من القاشاني المأون بالأخضر والأبيض والأسود ، والمفتوح بزخارف مورقة . ولا نظير لهذه الشبايك في مسجد آخر . ويتوسط الصحن حوض من الرخام للوضوء ، تعلوه قبة من الخشب نقلت إليه من مسجد السلطان حسن سنة ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) . ومع أن مصاريع الأبواب خالية من كسوتها النحاسية فقد كانت مكسوة بالنحاس على شكل نجوم بوسطها صرة مخزمة ، نقلت بقاياها إلى دار الآثار العربية .

المهندس — عرفنا أن مهندس هذا الجامع مهندس قدير ، وهو ابن السيوفي كبير مهندسي دولة الناصر محمد بن قلاوون . كما أنه هو مهندس المدرسة الأقباقوية^(١) بالأزهر . ومجهوده في كليهما يدل على براعته وأقتداره . وليس ببعيد أن يكون هو الذي أشرف على الكثير من العمارات المنشأة في دولة الناصر محمد بن قلاوون .

أعمال الإصلاح — في سنة ١٨٨٤ م عاينت لجنة حفظ الآثار العربية لأول مرة هذا الجامع وكان متخربا ، بجدرانته مائلة ومهتمة ، ومنارته ناقصة ، وأكثر رخامه مفقود ، فقررت اتخاذ الإجراءات اللازمة لصلب المباني المهتدة بالسقوط . ثم نتابعت عنايتها به ، فخذت ما وهى من جدرانته ، وأبدلت ما تداعى من أساطينه وأصلحت وزراته ومحاربه . كما أصلحت المنبر والشبايك والأبواب ، وأنشأت القبة فوق المحراب ، وأصلحت مقرنصاتها القديمة وأعادت إليها نقوشها كأصلها ، كما أعادت بناء الدورة العليا من المنارة ، وأصلحت السياج الخشبي والسقف . وأستمرت هذه الأعمال في المدة من سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) إلى سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) . وبهذه الإصلاحات أعيد إلى هذا الجامع العظيم جماله وبهجته .

جامع آق سنقر (ابراهيم أغا)

بشارع باب الوزير^(*)

الأمير آق سنقر الناصري أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون ، عينه في عدة وظائف من أمير مائة إلى مقدم ألف وأمير شكار^(١) . وزوجه إحدى بناته . ثم عين واليا لغزة بعد وفاة الناصر . ثم عين أميراً خور^(٢) في دولة الصالح اسماعيل بن الناصر محمد . ثم ولي نيابة طرابلس . وما يؤثر عنه أنه كان عفيفاً عن أموال الرعية ، وكان حسن الخط . وفي دولة الكامل شعبان تلا لأخيه ، وعمل على انتقال الملك إلى المظفر حاجي ابن الناصر محمد بن قلاوون ، حتى صار نافذ الكلمة . ولعب دوراً كبيراً في سياسة الدولة إلى أن قبض عليه في ربيع الآخر سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) وقتل رحمه الله ، ودفن في هذا المسجد^(٣) .

تاريخ إنشاء المسجد — شرع الأمير آق سنقر الناصري في ١٦ رمضان سنة ٧٤٧ هـ (يناير ١٣٤٧ م) في بناء هذا الجامع ، وأنشأ بجواره مكتبا وسبيلا ، ومكانا ليدفن فيه ونقل إليه ابنه . وقد عني بعمارة عناية كبيرة ، حتى إنه كان يشرف على العمارة بنفسه ويشجع العمال . وعين له المدرسين ، وافتتحه للصلاة في يوم الجمعة ٣ ربيع الأول سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) ووقف عليه ضيعة من قرى حلب للصرف عليه وتعميره .

وهنا نلاحظ أن الفترة بين البدء في الإنشاء وإقامة الصلاة فيه دون ستة أشهر، وذلك مما يجعلني أؤكد أنه أقام الصلاة فيه قبل الفراغ من بنائه . وهذا كثير الوقوع . ويعزز هذا الرأي ما هو مكتوب على الباب القبلي للجامع ونصه: ” بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أمر بإنشاء هذا الجامع العبد الفقير إلى الله تعالى آق سنقر الناصري تغمده الله برحمته وكان ابتداء عمارته سادس عشر رمضان المعظم سنة سبع وأربعين وسبعائة وكان الصلاة فيه يوم الجمعة ثالث ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وسبعائة وتوفي إلى رحمة الله تعالى تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبعائة “ .

(*) أنظر الصور من رقم ٩٢ — ٩٧ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) أمير شكار : وظيفته الإشراف على الطيور والكلاب المخصصة للصيد .

(٢) أمير خور كبير : هو المشرف على الاصطبلات الخاصة والبريد والمجن .

(٣) الدرر الكامنة لابن حجر، ج ١ ص ٣٩٤ والمثل الصافي لابن تقي بردي .

ويؤخذ من هذا النص أنه كتب بعد وفاته ، لأنه تضمن تاريخ الوفاة ولم يتعرض لتاريخ الفراغ منه ، ولا للتعريف بمن قام بتكليفه .

وفي سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) أنشأ في صحنه الأمير طوغان الدوادار فسقية ، أقام فوقها سقفا محولا على عمد لم يبق لها أثر اليوم . وربما حلت محلها الحديقة الموجودة في وسط الجامع أو المظلة بجوارها .

وصف الجامع — وضع تصميمه على مثال المساجد الجامعة ، أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف ، أكبرها إيوان القبلة المشتمل على رواقين . أما الإيوانات الثلاثة فكل منها رواق واحد . ويتوصل إلى داخله من ثلاثة أبواب في وجهاته الغربية والبحرية والقبليّة . والأخيرين غير متعامدين إذ البحريّ منهما منحرف إلى الجهة الغربية .

وتعدّ الواجهة الغربية أهم وجهاته ، بها الباب العمومي المحمول عقده على كوابيل ظريفة . وعتب الباب ملبس بمزرات رخامية خضراء . وعلى يساره قبة علاء الدين بكك ، المحلاة شبابيكها بمزرات رخامية ملونة ما بين خضراء وبيضاء ، يعلوها شبك مستدير ، لبس ما جوله بالرخام الملون المنحرف ، يغطيها مقرنص واحد . وبها لوح رخامي نصه : ”بسم الله الرحمن الرحيم كل نفس ذائقة الموت هاذي القبة المباركة عمرت لدفن العبد الفقير إلى الله تعالى مولانا السلطان السعيد الشهيد الملك الأشرف علاي الدين بكك وكانت وفاته في شهر جمادى الأول من سنة ست وأربعين وسبعمائة“ .

وعلى يمين الباب شباك ، حليت أعتابها بمزرات رخامية خضراء ، يغطيها مقرنص واحد . وتنتهي الواجهة بمئذنة رشيقة مكونة من ثلاث دورات . بدن الدورة الأولى منها مستدير ، والثانية قنوات مستطيلة ، والثالثة سدسة ، فوقها خوذة خشبية مغلقة بالرصاص ، قصد بها هزئ باشا عند تجديددها التخفيف . ترك الواجهة ونجتاز الباب العمومي ، فنجد على اليسار قبة أنشئت قبل الجامع ليدفن فيها السلطان الملك الأشرف علاء الدين بكك ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون المتوفى في شهر جمادى الأولى سنة ٧٤٦ هـ (١٣٤٥ م) وهي قبة ظريفة ، بها إيوان وبها دوائر وبخاريات جصية ، ويحيط بها إفريز جصى مكتوب به آية الكرسي واسم من دفن بها وألقابه . ومقرنصها من حطة واحدة ، وهو من شواذ العمارة في ذلك العصر .

وعلى يمين الداخل بمؤخر الإيوان القبلي حجرة أنشأها إبراهيم أغا مستحفظان سنة ١٠٦٣ هـ (١٦٥٢ م) جدرانها مؤزرة بالرخام ، وبها محراب رخامي . ثم كسيت بالقاشاني حتى السقف ، يتوسطها قبر من الرخام أنشأه في حياته سنة ١٠٦٤ هـ (١٦٥٤ م) ومكتوب عليه : ”أنشأ هذا المكان

المبارك الراجي عفوري به ستر الله عيوبه وغفر ذنوبه هو الغفور الرحيم ابراهيم اغا مستحفظان حالا بتاريخ شهر شعبان المبارك في سنة ١٠٦٤ هـ .

ومثبت فوق شباك المدفن من الخارج لوحة رخامية بتاريخ عمارته للمسجد نصها : ”إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله عمر وجد هذا الجامع الشريف المبارك ابراهيم اغا مستحفظان حالا بتاريخ سنة إحدى وستين وألف من الهجرة النبوية“ .

وتوجد لوحة أخرى على الوجهة البحرية للمدفن نصها : ”أنشأ هذا المدفن المبارك من فضل الله تعالى في زمن عبد الرحمن باشا حاكم مصر المحروسة ابراهيم اغا مستحفظان حالا بتاريخ سنة ١٠٦٢ هـ“ .

ويجاور هذه التربة الباب القبلي للجامع ، يلاصقه مربع بسيط من البناء بداخله قبر تسوده البساطة . ويقرأ في لوحة مثبتة عليه : ”هذا قبر المرحوم آق سنقر الناصري المعروف بجامع النور وكان ابتداءه سادس عشر رمضان سنة ٧٤٧ هـ والفراغ في سنة ٧٤٨ هـ“ .

ومن المؤكد أن هذه المقبرة حديثة ، لأنه معلوم أن آق سنقر أعد لنفسه مقبرة بجوار الجامع ، حلت محلها الآن الأبنية التي تحجب باقي الوجهة القبلية على ما أرجح . والتربة في وضعها الحالي هي وتربة ابراهيم اغا يشغلان جزءا كبيرا من الإيوان القبلي ، ولم يسبق إقامة قباب أو قبور في مثل هذا الوضع في المساجد فهي من عمل ابراهيم اغا الذي بنجل على المنشي الأصلي بمقبرة تناسب عمله الخيري العظيم .

والإيوان الشرقي أكبر الإيوانات ، وهو يشتمل على رواقين كانت عقودهما محمولة على أكتاف حجرية مئنة وسقوفها معقودة . وما زال الرواق أمام المحراب محتفظا بأصله لم يتغير ، بخلاف الرواق الثاني المشرف على الصحن ، فان عقودها استبدل بها سقف من الخشب وبقي طرفاه على أصلهما ، وأبدلت بدعائمه عمد رخامية وأكتاف حجرية مربعة ، وكذلك الرواقان القبلي والبحري . أما الرواق الغربي فانه محتفظ بكثير من تفاصيله القديمة .

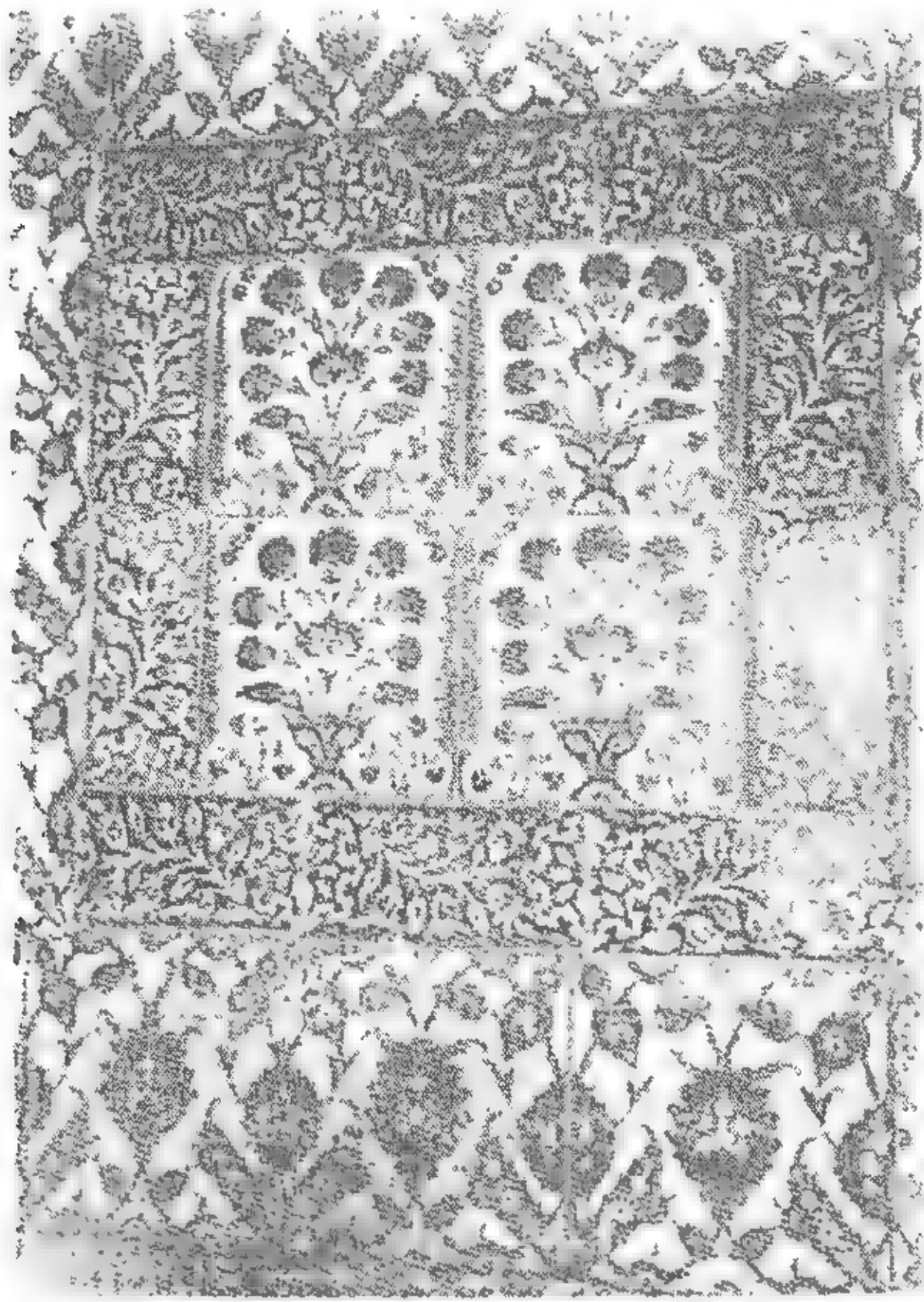
وهذا التغيير أحدثه ابراهيم اغا مستحفظان في عمارته الكبيرة التي أجزاها بالجامع سنة ١٠٦١ - ١٠٦٢ هـ (١٦٥١ - ١٦٥٢ م) ، كما هو منقوش في غير موضع بالجامع . ولم يقتصر على هذه العماره ؛ بل كسى الجدار الشرقي حتى السقف بالقاشاني الملون الجميل . وهي أكبر مجموعة منه وجدت في أثرواحد بمصر . ويزيد في أهمية هذه المجموعة أنها عملت خصيصا لهذا الجامع برسوم موضوعة ، ولذلك نجد أطرافها كاملة ونقوشها متماثلة ؛ فبعضها يمثل محرابا يعلوه قنديل وكتب فيه : ”يا الله يا محمد“

يكتنفه عودا سرو . وبداخله زهرية تفرعت منها فروع نباتية تحمل زهورا . والبعض الآخر يمثل زهريات مختلفة وزخارف وزهورا ملونة .

ولذلك عرف الجامع ، وخاصة عند الزائرين الأجانب ، بالجامع الأزرق ، نسبة الى مجموعة القاشاني العظيمة الموجودة فيه .

ومما يسترعى النظر في هذا الإيوان المنبر الرخامي الملون ، ودرازينه الحافل بالزخارف البارزة المورقة وعناقيد العنب . وهو أقدم منبر رخامي باقٍ في مساجد مصر ، يليه منبر مدرسة السلطان حسن .

وأقدم ما عرف من المنابر الرخامية منبر مسجد الخطيرى المنشأ سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٧ م) وبقاياه



تفاصيل من القاشاني

محفوظة بدار الآثار العربية . ويجاور المنبر محراب كبير كسى بأشرطة دقيقة من الرخام والصدف . وطاقاته الصغيرة من حرفة ومحمولة على عمد . وغطاؤه المعبر عنه بالطاقيّة من الرخام المحلى بزخارف نباتية ملونة بارزة ، وأعلها الأولى من نوعها . وقد ثبت على يسار هذا المحراب لوح من الرخام مكتوب فيه : " رأى النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المحراب المبارك في ليلة السبت تاسع شهر رذى القعدة الحرام سنة ثمان وستين وثمان مائة وهو قائم يصلى عمر هذا الجامع الشريف إبراهيم أغا مستحفظان حالا في تاريخ سنة ١٠٦٢ هـ " .

ويعلم المحراب قبة كبيرة مقرنصها من طاقة واحدة . وغريب أن نرى مقرنصات قباب هذا المسجد وقبتي مسجد أم السلطان شعبان وقبتي تنكزبا وكلاهما في عصر واحد ومن طاقة واحدة . وهى ميزة امتازت بها القباب الفاطمية فى نشأتها . وبمؤخر هذا الإيوان دكة المبلغ وهى من الرخام .

أعمال الإصلاح — فى سنة ١٣٠٧ هـ أجريت بالجامع عمارة تناولات المنارة وذلك فى عصر المغفور له توفيق باشا . ثم توالى عناية لجنة حفظ الآثار العربية بهذا الجامع ، فأصلحت العقود والقاشاني ، وأصلحت المنبر ، وكشفت الوجوهات من الأبنية التى كانت تحجبها حتى ظهر المسجد بهذا المظهر الجميل .

(١) لهذا الأمير منشآت عمارية كثيرة فى شارع باب الوزير ما بين حوض لشرب الدواب الى دور وأسبلة ، كما أن منزله كان هناك .

جامع الأمير شيخو الناصري

شارع شيخون بالصليبية^(*)

الأمير شيخو — شيخو العمري الناصري ، أحضره الى مصر الخواجا عمر ؛ فاشتراه الملك الناصر محمد بن قلاوون . وقد علا نجمه في دولة الملك المظفر حاجي^(١) ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون . وحظي عنده فشع في كثير من الأمراء وسعى في الإفراج عنهم . وفي دولة الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون عظم شأنه وصار زمام المملكة بيده . يتصرف في شؤون الدولة كيفما شاء الى شهر شوال سنة ٧٥١ هـ (ديسمبر سنة ١٣٥٠ م) . حيث عين نائبا لطراباس . ولما وصل إلى دمشق في طريقه إليها صدرت الأوامر بإقامته بها ، ولم يلبث أن قبض عليه وأحضر الى الإسكندرية وسجن بها .

ولما ولي الملك الصالح صالح بن الملك الناصر محمد بن قلاوون أفرج عنه في رجب سنة ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م) . وأنعم عليه بتقدمة ألف . وأبلى في مكافحة العرب التائرين بالصعيد بلاء حسنا . ولما عاد الملك الناصر حسن الى الملك للمرة الثانية سنة ٧٥٥ هـ كافاه فأنعم عليه بوظيفة أمير كبير ؛ فتكاملت عظمته واشته نفوذه وكثرت ثروته ؛ الى أن كان يوم الخميس ثامن شهر شعبان سنة ٧٥٨ هـ (١٣٥٧ م) وثب عليه مملوك وهو جالس في دار العدل بالقلعة وضربه بالسيف في يده وفي وجهه ، فحمل الى بيته فأقام به قليلا نحو ثلاثة أشهر عاده فيها السلطان غير مرة . وقبض على المعتدى وقتل . وفي ليلة الجمعة ٢٦ ذى القعدة سنة ٧٥٨ هـ (نوفمبر سنة ١٣٥٧ م) . توفي متأثرا بجراحه ودفن بالخانقاه الشيخونية . وكان أميرا جليلا خيرا دينيا . وله منشآت خيرية باقى منها السبيل الجميل النادر المثال المحفور في الصخر بالحطابة ، والخانقاه العظيمة ، والجامع الذى أمامها بالصليبية . ومنهما تتكون مجموعة أثرية عظيمة أكسبت هذا الشارع روعة وعظمة .

تاريخ إنشاء الجامع — هذا الجامع أول منشآت الأمير شيخو في هذه المنطقة . وتاريخ البدء فيه غير معلوم ، ولم يذكره أحد من المؤرخين ، ولا يوجد به نص تاريخي يفيد تاريخ البدء فيه . بينما وجد تاريخ الفراغ من بنائه في شهر رمضان سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) .

ولمى أريج أن البدء في العمارة كان عام ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) في آخر دولة الملك المظفر حاجي . ويعزز هذا الرأي عندى وجود اسم الملك المظفر على شبك من النحاس المكفت بالذهب والفضة .

(*) انظر الصور من رقم ٩٨ — ١٠١ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) المقرئ ج ٢ ص ٣١٤ ، شذرات الذهب ج ٦ ص ١٨٤ (٢) في المنهل الصافي ١٦

اكتشفته بالجامع سنة ١٩٣١ ، وأودع دار الآثار العربية . وهو شبك من رماح ونحزات ، حلى وجه الرمح بزخارف وتطعيم بالفضة ، وحلى وجه المخترزة بنقوش مكففة بالذهب . وكتب بوسطها : ” الملك المظفر “ .



مشكاة من زجاج بالمينا باسم شيخو الناصري

وصف الجامع — يرى القادم من ميدان صلاح الدين قاصدا الجامع الطولوني بنائيتين متقابلتين ، تماثلت وجهاتهما : إحداهما على اليسار ، وهى الخانقاه التى أمر بإنشائها الأمير شيخو سنة ٧٥٦ هـ (١٣٥٥ م) ونقل إليها صوفية الجامع وزادهم وأعد بها مساكن لهم ، كما أعدها لتكون دار حديث ومدرسة للمذاهب الأربعة وعلم القراءات . ولما مات دفن بها .

وأمام الخانقاه الجامع من إنشاء الأمير شيخو أيضا ، وهو جامع جميل يبلغ مسطحة ٩٩٠/٣٩ مترا له وجهة عالية ، حليت بالشبابيك الحصية المتنوعة ، والمقرنصات المختلفة ، والآيات القرآنية . وفي طرفها الباب العمومي ، حلى بمزرات رخامية ملونة وشباك من الخشب المغطى بالنحاس ، فوقه مقرنص ظريف ، يعلو ذلك مقرنص الباب ذو الدلايات ، ومكتوب في طاقته لفظ الجلالة . وتواشيع الباب محلاة بزخارف نباتية موزقة . وتعلوه منارة كبيرة من ثلاث دورات ، متماثلة مع منارة الخانقاه في الطرز والارتفاع ، وتستريح النظر برشاقنها والنقوش الموجودة في بدن دورتها الأولى ، ووجود شرفة واحدة بها ، والزخارف والكتابات بخوذتها ، والكرانيش المصرية الطرز الغربية في نوعها . يجوارها قبة صغيرة حلى مسطحها بقنوات رأسية .

والكرانيش المصرية نراها لثالث مرة في الآثار الإسلامية بمصر ، فأول ما رأيناها في منارة قلاوون ، ثم في منارة منجك اليوسفي ، فهاتين المنارتين . وقد هدم طرفا الوجهة القبالية الرئيسية للجامع ، وكانت مماثلة لوجهة الخانقاه في الطول ، كما كانت مماثلة لها في كثير من التفاصيل والارتفاع .

والباب العمومي يؤدي الى دركاة على يمينها باب القبة ، وقد ثبتت في جنبات الدركاة ثلاث قطع من رخام أسود له بريق كالمرآة . ألفنا رؤيته في مداخل بعض المساجد ، رأيت في قبة الإمام الشافعي ، وفي المدرسة القاصدية ، فمدرسة السلطان حسن ، فقبة سيدى عقبة ، كما عاين ابن جبير الرحالة قطعة منه في مدخل المشهد الحسيني ، ووصفها بأنها كالمرآة الهندية الحديثة الصقل . ولعل هذا هو الغرض المقصود منها .

ويتوصل من هذه الدركاة الى صحن المسجد المفروش بالرخام الملون ، ويحيط به أربعة إيوانات ، بكل من الشرق والغرب منها رواقان . أما القبلي والبخري فكل منهما رواق واحد صغير ، قصدهما إيجاد التماثل فقط .

ويغطي النوافذ العليا للمسجد شبابيك جصية ، بها زجاج ملون من أبداع النماذج ، جذدت حديثا طبقا لبقاياها ، وسقوف المسجد محلاة بنقوش وكتابات .

والمنبر من الحجر وقد دقت قوائمه وجوانبه بزخارف جميلة ، كما حليت عمدته وتيجانها بزخارف كانت ملونة . ودكة المبلغ بمؤخر هذا الإيوان ، وهي من الحجر أيضا ، محمولة على عمد منقوشة ، ولها سلم حجري حلزوني ، ومكتوب بها آيات من سورة الفتح ، ثم ما نصه : ” أنشأ هذه الدكة المباركة

الحج محمد بن شعبان بن سعيد النقلي غفر الله لهم وللمسلمين وكان الفراغ من ذلك في شهر صفر سنة أحد وستين وتسعمائة .

وهي أول دكة حجرية، إذ المؤلف أن تكون رخامية أو خشبية. والمرجح أنه هو الأمر بعمل هذا المنبر أيضا، الذي يعتبر ثاني منبر حجري؛ إذ الأول الذي أنشاه السلطان قايتباي لخانقاه فرج بن برقوق سنة ٨٨٨ هـ (١٤٨٣ م) . والمحراب مكسو أعلاه بالرخام وأسفله بالقاشاني المغربي .

وبهذا الإيوان كرسى المصحف . وهو كرسى جميل ، نجارة الخراط فيه دقيقة . وقفه هو ومصحفه الأمير الشهابي أحمد ولد المقر السيفي بركاس الظاهري في شهر جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثمانمائة من الهجرة .

ولالإمام عبد الرحمن السيوطي العالم الكبير والمؤرخ الجليل المتوفى سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) صلة وثيقة بهذا المسجد، فقد ولي إحدى وظائفه وهو صغير . وألقى فيه أول درس بحضور أساتذته^(٢) . وكان يعلو المحراب قبة احترقت مع سقف هذا الإيوان سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) بسبب اختفاء^(٣) السلطان طومانباي بالجامع وقت حروبه مع السلطان سليم .

وفي شهر رمضان سنة ٩٢٥ هـ (١٥١٩ م) جدد هذا السقف . ويشق الإيوان الغربي إلى الباب الثاني للمسجد ممر ، وهو باب بسيط ، يسترعى النظر فيه بروزه عن سمت الواجهة .

ويرى مسيو باتريكولو الباشمهندس الأسبق للآثار العربية أن الواجهة الغربية المشرفة على حارة الميضة مبنية على أسلوب يخالف أبنية الأمير شيخو، لأن مدا ميكها مرتفعة ومن قطع كبيرة من الحجر . وبالمسجد حوض رخامي (سبيل) محلى بزخارف وكتابات أمر بعمله الأمير إبراهيم الرزناجي سنة ١١٥٠ هـ (١٧٣٧ م)

وقد وقف على الجامع مجموعة من الكتب الأمير الصالح أحمد جاويش أرناؤد باش اختيار . المتوفى سنة ١٢٠١ هـ (١٧٨٦ م) .

أعمال الإصلاح — عنت إدارة حفظ الآثار العربية بالجامع منذ أمد بعيد، وكانت أهم الأعمال التي أجريت به في سني ١٩٣١ — ١٩٣٣ حيث تم إصلاح المنبر وكرسى المصحف والمحراب والشبابيك الحصية، وتقويم عمد وجدران الإيوان الغربي، وإصلاح الأرضيات الرخامية . وبهذه الإصلاحات عاد للجامع رونقه .

(١) شذرات الذهب ج ٨ ص ٥٢ (٢) عن الدرس الديني الذي ألقاه فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهرين يدي صاحبي الجمالة الملكين العظميين فاروق الأول وعبد العزيز آل سعود .
(٣) ابن إياس، ج ٣ ص ١٠٤ (٤) الجبرتي، ج ٢ ص ١٥٠

مدرسة صرغتمش

بشارع الخضرى^(*)

الأمير صرغتمش — سيف الدين صرغتمش الناصرى من ممالك الناصر محمد بن قلاوون، اشتراه سنة بضع وثلاثين وسبعائة بثن كبير وعينه جمدارا^(١) . وفى دولة الملك المظفر حاجى بن محمد ابن قلاوون بدأ نجمه يتلأأ، وظل يترقى حتى عين أميراً للطبلخاناه .

وفى سنة ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م) رقى الى رأس نوبة^(٢) كبير، وأعطى سلطة كبيرة^(٣) . ثم زاد نفوذه فى دولة الصالح صالح، وانفرد بتدبير شؤون الدولة بعد الأمير شيخو .

ولما عاد السلطان حسن إلى ملك مصر ورأى تدخله وعظم نفوذه وتصرفه فى شؤون الدولة، قبض عليه فى ٢٠ رمضان سنة ٧٥٩ هـ (١٣٥٨ م) وحبسه بالإسكندرية، وبها مات فى شهر ذى الحجة سنة ٧٥٩ هـ (١٣٥٨ م) ثم نقلت جثته إلى قبة هذه المدرسة^(٤) .

وكان أميراً حازماً، اشتغل بالعلم، وتفقه على مذهب الإمام أبى حنيفة وتعصب له . وكان يقرب علماء فارس ويحلهم إجلالا زائدا .

تاريخ المدرسة ووصفها — أنشئت هذه المدرسة لصق الزيادة الغربية للجامع الطولونى . وبسببها سد بابان من أبواب هذه الزيادة .

وكان الفراغ من إنشاء المدرسة فى شهر ربيع الآخر سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦ م) . وهى من المدارس الجليلة التى أعدت لتدريس فقه السادة الحنفية .

ويصفها المقرئى بأنها جاءت من أبداع المباني وأجلها وأحسنها . واحتفل صرغتمش بافتتاحها بحضور الأمراء وقضاة القضاة الأربعة والعلماء، وعين أستاذ الفقه بها قوام الدين أمير كاتب الاتقانى، ورتب بها درسا للحديث النبوى، ورصد عليها أوقافا منها منية حلقا بالقرب من قناطر أبو منجا^(٥) .

وكانت هذه المدرسة معقلا لعلماء الحنفية وخاصة الفرس منهم فى القرنين الثامن والتاسع الهجرى (الرابع عشر والخامس عشر الميلادى) . وتولى التدريس فيها علماء أجلاء أذكر منهم :

(*) انظر الصور من رقم ١٠٢ - ١٠٥ بمجموعة الصور التوتوغرافية .

(١) جام دار مركب من كلمتين : جام، أى مرآة، ودار أى حامل؛ فهو الذى يحمل المرآة أمام الملك ويتولى خدمته

حينما يلبس . (٢) رأس نوبة . لقب لمن يتولى رئاسة الممالك . (٣) المقرئى، ج ٢ ص ٤٠٤

والدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٠٦ (٤) السلوك، ج ٣ ص ٣٦ مجلد ١ (٥) ابن دقاق، ج ٥ ص ٤٧

محمد بن قطلوشاه أرشد الدين المتوفى سنة ٧٧٥ هـ (١٣٧٣ م) . ومحمد بن أحمد التلمساني المتوفى سنة ٧٨١ هـ (١٣٧٩ م) ، ومولانا زاده أحمد بن أبي يزيد المتوفى سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) ، وجلال الدين التيزي المتوفى سنة ٧٩٣ هـ (١٣٩١ م) ، وعبد الرحمن التفهني المتوفى سنة ٨٣٥ هـ (١٤٣٢ م) . ولما توفي العلامة قوام الدين الاتقاني دفن بالايوان الغربي بها .

وقد انفردت هذه المدرسة بمميزات معمارية قيمة . وكان لاهتمام المنشئ بالفرس وإكرامهم أثر كبير في التأثيرات الفارسية الملموسة في عمارتها مما يذهب بالظن الى أن مهندسها كان فارسيا .

وللمدرسة وجهتان : إحداهما قبلية، وبها شبابيك المدرسة، وأسفلها دكاكين أمامها سلم بعرض ٤,٦٠ متر يصعد منه إلى الرحبة أمام الباب الغربي للجامع الطولوني على ارتفاع عشرة أمتار .

ويرى مسيو باتريكولو الباشمهندس الأسبق للآثار العربية^(١) أن هذه المدرسة بنيت على أساس أبنية تسبقها في القدم ، سدت فتحاتها لتكون منها قاعدة قوية للأبنية التي أقيمت عليها على رسم مغاير لها في الشكل . وهذا يبدو جليا وبخاصة في هذه الواجهة .

والواجهة الثانية غربية وهي العمومية . وبطرفها القبلي القبة، وهي بارزة عن بقية الواجهة . وقد فتح بقاعدتها شبابيك عليها مصبغات النحاس، تعلوها أخرى مغطاة بشراخ من الجص مفرغة برسوم هندسية متنوعة ، وتنتهي من أعلى بشرفة مسننة . وبطرفها القبلي المنارة ، ويجوازها الباب العمومي ، وقد حلى عتبة بنقوش نباتية موزقة ومكتوب على جانبيه : ” أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المقز الأشرف العالی المولوى العالمى العادلى الفاضلى السيفى صرغتمش رأس نوبة الملكى الناصرى [صربى العلاء] مقوى الضعفاء باني المدارس والمساجد في ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وسبعائة “ .

وقد غطى الباب بمقرنصات جميلة، ونقشت تواشيحه برسوم نباتية موزقة، وهذا الباب يؤدى الى دركاة بها على اليسار باب الميضأة ، وعلى اليمين باب يؤدى الى حجرة كبيرة تطل على الواجهة ، ثم باب يصعد إليه ببعض درجات يوصل إلى داخل المدرسة .

وتصميمها من الداخل كبقية المدارس : أربعة إيوانات حول صحن مكشوف يتوسطه فسقية حولها ثمانية عمد رخامية، ليست هي بالفسقية القديمة . ولعل الباقي منها عمدها .

Compte Rendu du Comité de Conservation des Monuments de l'Art Arabe (١)
(1915—1919) p. 103—104.

(٢) فان برشم ج ٢ ص ٢٤٠ .

ويكتنف الإيوان الشرقي أربعة أبواب : آثنان منها خلوات ، والآخراَن يوصلان إلى المدارس . كما يكتنف كلا من الإيوانين القبلي والغربي أربع خلوات . ويكتنف الإيوان البحري أربعة أبواب .

وعقود هذه الأبواب فارسية الطراز ومكسوة بالرخام الأبيض والأسود . وهذه الكسوة طارئة عليها ؛ لأنه تبين أن فتحاتها كانت معتبة وأوسع مما هي عليه الآن .

ويسترعى النظر في الإيوان الشرقي أشتماله على مميزات نماذجها قليلة : أولاها القبة فوق المحراب ؛ فهي أول قبة باقية فوق محراب مدرسة ، وقد هدمت القبة في وقت ما ، وأعادت بناءها إدارة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٤٠ طبقا لصورة فوتوغرافية قديمة لها . ولها مقرنصات خشبية . وهذا الإيوان ينقسم الى ثلاثة أقسام ، أكبرها أوسطها وتعلوه القبة .

وثانيها وجود فتحتين في كل من جانبيه اقتبستا من مدرسة قلاوون وخانقاه ببرز كما اقتبسهما بعد ذلك مهندس مسجد ألباى اليوسفى .

وعلى جانبي المحراب بقايا وزرة مكونة من ألواح رخامية منها آثنان تتوسطهما بخارية بها رنكة^(١) ، ومحاطة بزخارف موزقة ومكتوب برءوسهما : ”مما عمل برسم المقر العالى السيفى الملكى الناصرى صرغتمش أسبغ الله ظلالة“ كما يوجد لوح آخر اشتمل على بخارية بوسطها قنديل . وبها زخارف موزقة وعناقيد عنب بأوراقها . وتوجد دائرة رخامية زخارفها بارزة موزقة مذهبة حولها أربعة نواشيع من الرخام الملون .

ونقل الى دار الآثار العربية تسعة ألواح من وزرة هذه المدرسة ودائرة مثل التي بها الآن . ومنقوش على بعض هذه الألواح نقوش عربية على هيئة أوراق مفزعة ، وعلى البعض الآخر أوراق مصمتة . كما يوجد على البعض عدا الزخارف النباتية صور تمثل بعض الأواني ، ويدان قابضتان على غصنين ، ومشكاة ، وبعض الطيور .

ونقل الى مسجد قانى باى المحمدى القريب من المدرسة لوحان بهما نقوش وبخاريات .

وأثناء إصلاح الأرضية الرخامية بالصحن سنة ١٩٤٥ وجد لوح كبير به عناقيد عنب بأوراقها ، تتخلله فروع زخرفية ، وتتوسطه زهرية تتفرع منها فروع نباتية بأوراقها . وبرأسه صور حيوانات متقابلة .

(١) الرنك هو شارة الأمير .

ووجود حيوانات وطيور في وزرة مسجد ، ظاهرة غريبة لعلها الأولى في مثل هذا الوضع ، لأنه وجدت رسوم حيوانات وطيور حول ساسبيلات الأسبلة الملحقة بالمساجد وفي سماعات بعض الأبواب النحاسية .

كما وجدت بهذه الأرضية دوائر منقوشة وأخرى مكتوب عليها : ” عز لمولانا السلطان الملك المظفر العالم “ ولاشك في أنها كانت بالوزرة .

وهذه المجموعة تعطي فكرة عن مقدار رقي صناعة الرخام في هذه المدرسة مما دفع ابن الصائغ الشاعر الى أن يصفها بقوله :

ليهنك يا صرغتمش ما بنيتـه * لأخراك في دنياك من حسن بنيان

به يزدهى الترخيم كالزهر بهجة * فله من زهر والله من ^(١)باني

والمحراب من أشرطة رخامية مائنة ، وبعضها به نقوش موزقة ، وطاقينه منقوشة ومكتوب عليها آية الكرسي ، يحاوره منبر جمع مكتوب عليه : ” أنشأ هذا المنبر من فضل الله تعالى قيومجي أحمد كتحداي عزبان عمره الله سنة ١١١٨ هـ “ .

ويحيط بجدران الإيوانات والصحن إزار خشبي . وبسقف الإيوان القبلي بقايا زخرف وكتابات تنبي عما كانت عليه سقوف المدرسة من جمال ، وكذلك حليت معابر الأبواب والدواليب بزخارف محفورة ورك المنشي .

وفي الركن القبلي للإيوان الغربي باب القبة ، وهي على مثال القباب السمرقندية ، لها رقبة مستطيلة أحيطت بأفريز منقوش ومكتوب . وهذا النوع من القباب نادر بمصر وظهر لأول مرة في هذه المدرسة ، إذ تتكون القبة من غطاءين . فالقبة يبدأ تكويرها من الداخل ابتداء من عقد شبك الرقبة ، بينما يبدأ تكويرها من الخارج على مسافة كبيرة من عتب الشباك المذكور . ولهذا القبة نظير آخر أرقى منها وهو قبلة خاتمة خوند سمرا بصحراء السيوطي ، وقبة يونس الدوادار بالخطابة ، ويحيط برقبته شبابيك جصية وجدرانها مؤزرة بالرخام . ويتوسط هذه القبة تركيبة رخامية تعتبر نموذجا راقيا جدا لهذا النوع من التراكيب ، تحتها قبر المنشئ وأبنة الأمير إبراهيم المتوفى سنة ٧٧٠ هـ (١٣٧٨ م) ^(٢) .

وبهذه القبة إيوان غربي على جزء منه مقصورة من الخشب الخروط ، له سقف من مصابيات صغيرة .

ويوجد بحرى الإيوان الغربي حجرة مستطيلة بها سقف حافل بالنقوش الملونة والمذهبة .

وقبل مغادرة المدرسة نلقى نظرة على منارتها ، وهي منارة رشيقة مبنية بالحجر ارتفاعها — عن

(١) حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١٩٢ طبع الوطن . (٢) السلوك ، (النسخة الفوتوغرافية) ج ٣ مجلد ١ ص ٦٨

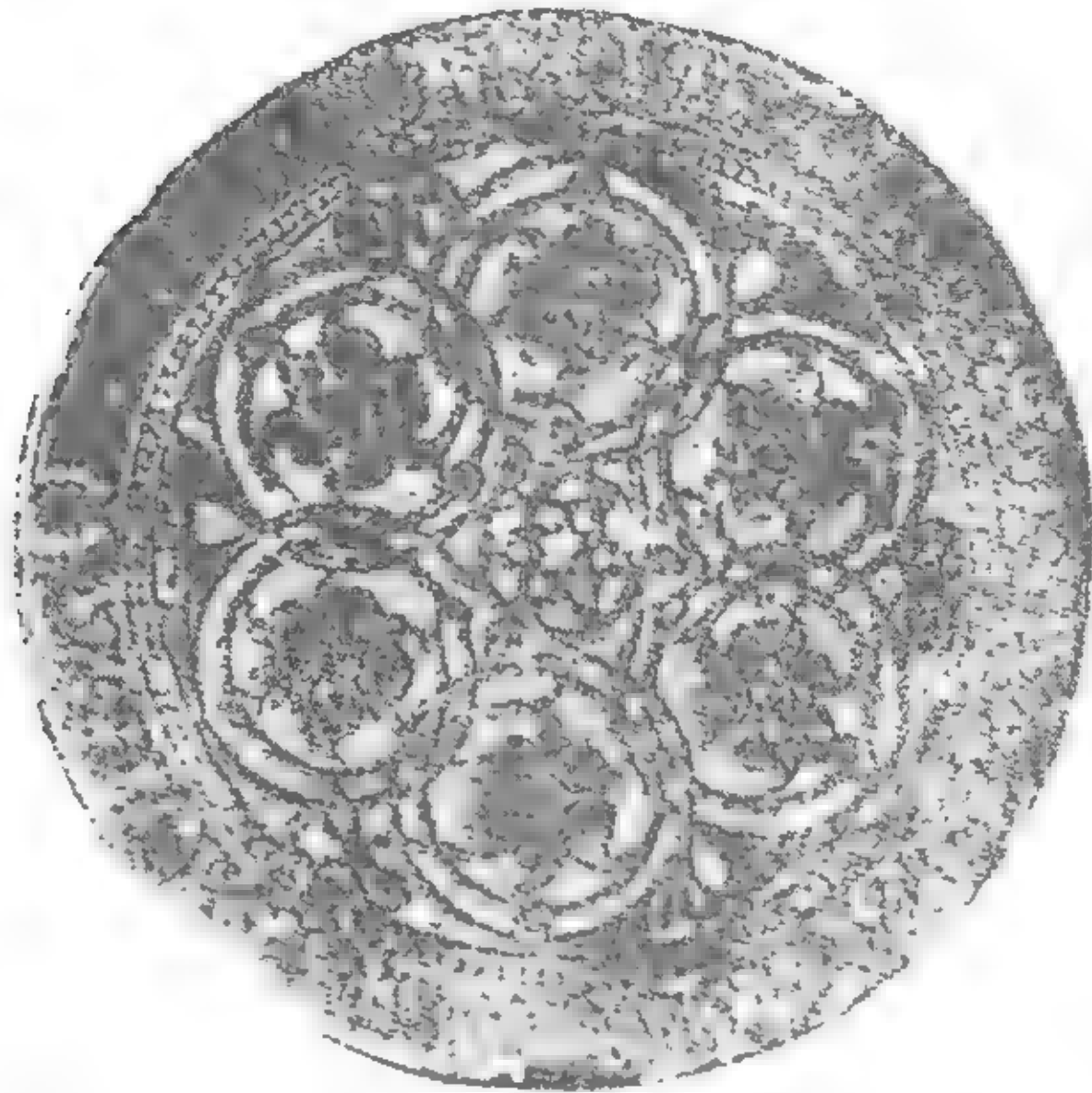
مستوى الطريق الى قمتها — أربعون مترا ، ومن سطح الجامع الى تلك القمة ٢٤/٦٠ مترا مكوّنة من ثلاث طبقات : أولاها السفلى التي تعلو سطح الجامع مئنة ، ومثلها الطبقة الثانية ، أما الدورة الثالثة فتشتمل على عمدة رخامية تحمل مقرنصات لطيفة فوقها خوذة منقوشة .

ويسترعى النظر فيها تلبس الحجر الأحمر في الأبيض على شكل دالات بدورتها الثانية وهو من مميزات منارات هذا العصر . وثمة ميزة أخرى وهي اقتصارها على شرفة واحدة (بـاكون) في أحد أضلاع قاعدتها الأولى ، بينما المألوف وجود أربع منها . وقد سبقتها في ذلك منارة مسجد الناصر محمد بالقلعة ومنارتا خانقاه ومسجد شيخو .

وقد طرأ عليها خلال فقامت إدارة حفظ الآثار العربية بفكها وأعادت بناءها في سنة ١٩٣٤ ، ثم أنشأت دارا صغيرة بجوارها لتجميل المنطقة .

وفي عهد الملك الصالح فاروق الأول أعيد بناء القبة أعلى المحراب وأصاحت الأرضية الرخامية بالصحن .

وما زالت المدرسة في حاجة الى إصلاحات أخرى في الأجزاء الملحقه بها .



دائرة رخامية من الوزرة

مدرسة السلطان حسن

بميدان صلاح الدين^(*)

السلطان حسن — السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ولد في سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٤ م) . وسمى أولا قماري^(١) ، ولما ولي ملك مصر اختار اسم حسن فعرف به . ولي الملك في ١٤ رمضان سنة ٧٤٨ هـ (ديسمبر سنة ١٣٤٧ م) . وعمره ثلاث عشرة سنة . ولصغره ناب عنه في إدارة شؤون الدولة الأمير بيلغا روس نائب السلطنة ، وأنعم على الأمير منجك اليوسفي وعين في الوزارة والأستادارية^(٢) .

وفي سنة ٧٥١ هـ (١٣٥٠ م) . أثبت القضاة أنه بلغ سن الرشد . وقبض على الأميرين منجك وبيغاروس ، مما دعا الأمراء الى التآمر عليه وإقصائه عن الملك في ١٧ جمادى الآخرة سنة ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م) . واعتقاله في الدور السلطانية وتعيين أخيه الملك الصالح صالح .

وفي الثاني من شهر شوال سنة ٧٥٥ هـ (أكتوبر سنة ١٣٥٤ م) . أعيد الناصر حسن الى ملك مصر فاستبد بالمملكة وصفت له الدنيا ولم يشاركه أحد في الحكم ، فبالغ في أسباب الطمع الى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦٠ م) . حيث تزايد سلطانه وكثرت ممالিকে . وأهدى إليه بعض ملوك اليمن خيمة غريبة الشكل تتكون من قاعة وحمام محلاة بالنقوش .

ومن أجل تغير الجو في مصر خرج مع حاشيته الى ضواحي الجيزة فأقام بها ثلاثة أشهر . وفي هذه الفترة أشتدت الفتنة بينه وبين الأمير بيلغا الخالصكي ، وحاول السلطان حسن الفتك به فلم يوفق ، فهاجمه بيلغا في القلعة فهرب السلطان حسن ، ثم قبض عليه وعلى من معه جهة المطرية ، وذلك في جمادى الأولى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) . وهنا يقول أغلب المؤرخين : كان هذا آخر العهد به ، وقيل : إنه خنق وألقي به في البحر ولم يعرف له قبر .

ويقول المقرئى : إنه دفن في مصطبة كان يركب عليها من داره بقلعة الكيش . كما قيل : إنه دفن بكيمان مصر وأخفى قبره . وتبعه في الأخذ برواية دفنه في مصطبة داره ابن أبي الفلاح^(٣) المؤرخ . كان رحمه الله ملكا حازما شجاعا متزها عن كثير من تقائص الممالك . وكان ينفر منهم ويقرب غيرهم من أبناء الأسر ويعينهم في حاشيته .

(*) انظر الصور من رقم ١٠٦ — ١١٤ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الدرر الكامنة ، ج ٢ ص ٢٨ (٢) المقرئى ، ج ٢ ص ٢١٧

(٢) السلوك ، ج ٣ قسم ١ ص ٢٦ — ٢٧ النسخة الفوتوغرافية . (٤) شذرات الذهب ، ج ٦ ص ١٩٦ — ١٩٧

مدرسة السلطان حسن — إن حق لمصر الفرعونية أن تفخر بأهرامها فإن لمصر الإسلامية أن تفتخر بمدرسة السلطان حسن التي لا يعادلها بناء آخر في الشرق بأجمعه ؛ فقد جُمعت شتى الفنون فيها .

ويعرف موقعها قديماً بسوق الخيل، وكان به قصر من أجل القصور، أمر بإنشائه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٨ هـ (١٣٢٧ م) لسكنى الأمير يلغا اليحياوى . وقد بقى هذا القصر حتى هدمه الملك الناصر حسن وبني محله هذه المدرسة . ففى سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦ م) بدأ هذا السلطان فى بنائها وعنى بها عناية شديدة واستمرت العمارة جارية فيها مدة حياته ، وكان يصرف عليها بسطاء عظيم . ونسب الطواشى مقبل الشامى الى السلطان حسن أنه قال : « لولا أن يقال إن ملك مصر عجز عن إتمام بناء بناه لترك بناء هذا الجامع من كثرة ما صرف عليه » . وليس بمستبعد أن يقول هذا ؛ فالبناء شاخ يدل على العظمة والجبروت وعلى المقدرة الفنية ، كما ينم عن كثرة النفقات . وقد ابتكر مهندسه فى هذا البناء الضخم زخارف دقيقة وكتابات ونقوشاً ونحاساً مكيفتاً آية فى الحسن والبهاء . ويصفه المقرئى المؤرخ بقوله : « فلا يعرف فى بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحاكي هذا الجامع وقبته التى لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلاً » .

وقد أجمع على هذا رأى جميع المؤرخين والرحالة الذين زاروها ، فيقول عنها ابن تغرى بردى « إن هذه المدرسة ومثذتها وقبتها من عجائب الدنيا ، وهى أحسن بناء بنى فى الإسلام » .

ويقول عنها غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى المتوفى سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) ما ملخصه : « ليس لها نظير فى الدنيا ؛ فقد حكى أن الملك الناصر حسن لما أمر بعمارتها طلب مهندسين من أقطار الأرض وأمرهم بعمارة مدرسته — ولم يعمر أعلى منها — فعمرت وعُمر بها أربع منارات وقيل : ثلاث فى ارتفاع المدرسة أيضاً ؛ ثم هُدم بعض المنارات واستمرت الآن على اثنتين ، وهى عجيبة من عجائب الدنيا » .

ووصفها السلطان سليم^(٤) وقد زارها سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) بقوله : هذا جصار عظيم .

ويقول الورثيلاى الرحالة المغربى — وقد زار مصر فى القرن الثانى عشر الهجرى ، (الثامن عشر الميلادى)^(٥) — : « إنه مسجد لا ثانى له فى مصر ولا فى غيرها من البلاد فى نخامة البناء ونباهته ،

(١) المقرئى ، ج ٢ ص ٢١٦ (٢) منتخبات من حوادث الدهور ، الفصل الثانى ص ٢١٩

(٣) زبدة كشف الممالك لغرس الدين ، ص ٣١ (٤) أخبار الأول ص ١٢١ (٥) الرحلة الورثيلاية ،

وارتفاعه وإحكامه ، وآتساع حناياه وسعة أبوابه كأنه جبال منحوتة ، تصفق الرياح في أيام الشتاء بأبوابه كما تفعل في شواهد الجبال . وفي أحد أبوابه سارية رخامية لطيفة يقال إنها من إيوان كسرى ؛ وفيها نقوش عجيبة ^(١) .

ويصفه عبد الغنى النابلسي ^(٢) — وقد زاره سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣ م) فيقول — : « إن هذا الجامع من أعظم الجوامع على شكل القاعة العظيمة ، ونظرنا الى إيوانه القبلي الذي فيه المنبر والمحراب فإذا هو إيوان كبير عظيم » .

وقد أحصى هرتس باشا أقوال الرحالة والمؤرخين الأجانب في هذا المسجد فنقتطف منها ما يأتي :
بيترودي لافالليه سنة ١٦١٦ م : « وتجاه القلعة جامع لم أر أجمل منه منظرا ، ولا أبدع منه شكلا ^(٣) . وأحسن ما رافني منه قبله وشكلها الغريب التي لم أشاهد مثلها ، فانك بينما تراها ضيقة من الأسفل لتسع في عينك كلما تعلمونم تأخذ في الضيق على هيئة بيضة الدجاج » .

مسيو تيفنو — وقد جاء مصر سنة ١٦٥٧ م ووصفه في رحلته ببلاد الشرق ص ٢٦٦ :

« هذا الجامع متقن البناء عظيم الارتفاع وكله مبنى بحجر الآله » .

كتاب وصف مصر للحملة الفرنسية : « إنه جامع جميل بل من أجمل مباني القاهرة بل الدولة المصرية بأسرها » . وقد بالغ واضح هذا الفصل في ضخامة قبلته وارتفاع منارتيه ، وذكر الكتابات المنقوشة على جدرانها فقال : « إنها ملونة بألوان شتى . وأشار الى المصابيح الجميلة المعلقة في عقود إيوانه وفي قبة التربة ... » .

وقد عني حضرة الأستاذ الجليل مسيو جاستون ثيت مدير دار الآثار العربية بجمع طائفة كثيرة من تلك الآراء في بحثه الذي نشره تحت عنوان جامع السلطان حسن ، وأبدأ بفقرات من وصفه له :
« وقد يكون في وصف الجامع وصفا مسهبا ما يدعو الى السآمة والملل بالرغم من أن الجزئيات تشترك في إبراز الكليات . ولكن هذا الأثر بحاجة الى قلم بليغ وأسلوب شاعري حتى يمكن إبراز دقائقه وجزئياته حتى لا يكون ما يراه القارئ قاصرا على هذه الجزئيات فحسب ، وإن كانت بعض هذه الجزئيات غاية في الطرافة والابتكار وكأنها بيوت شعر من قصيدة عصماء . والفنان في هذا الجامع لم يوجه همه الى الزخرفة كعامل جوهري في العمارة بل اقتصد فيها وسيطر عليها وأخضعها لكل فاذت أغراضها . وقد يكون هذا الجامع هو الوحيد بين جوامع القاهرة الذي

(١) الرحلة الوثيلية ص ٢٦٥ (٢) الحقيقة والمجاز ص ١٠٣ (٣) تاريخ جامع السلطان حسن ص ١٥ — ١٦

(٤) نشره في (La Revue du Caire) وعزبه الأستاذ محمد رمي ، ونشر في المقتطف .

يجمع بين قوة البناء وعظمته ورقة الزخرفة وجمالها . وأثره قوى في نفوسنا إذ له خصائصه التي لا يشترك معه فيها غيره . إن جامع السلطان حسن هو العمل العظيم في الإسلام الذي روعى في تشييده متانة البناء ، فهو كالمعابد القديمة يتحدى الزمن وينطبق عليه ما تخيله شاعر عربي من أن الزمن هو الذي يقاوم قوة هذه المباني الضخمة . ولا ريب في أن هذا البناء العالى الشهرة والعظيم القيمة رمز لمجد الإسلام وقوته وعظمته مقطرة معترف بها .

وقال ابرص « إن كل ما نراه في الجامع مركب في مكانه تركيبا هادئا منسجما ، فإذا أمعنت النظر في زخارف إيوان القبلة وقاعة القبر جزءا جزءا أحسست إحساس الرضا . . فهناك ثروة فنية وأشكال رشيقة بارعة » .

وكتب جومار في كتاب وصف مصر : « إنه من أجمل مباني القاهرة والإسلام ، ويستحق أن يكون في الرتبة الأولى من مراتب العمارة العربية بفضل قبته العالیه ، وارتفاع مثذنتيه وعظم اتساعه ونخامة وكثرة زخارفه التي تكسو الأرضية والحيطان في أوضاع بسيطة خاصة بهذه العمارة ، كما أن خشوات الخشب والبرونز التي تكسو الأبواب الخشبية والنحاسية محفورة حفرافيا » .

وكتب عنه المصور لينوار : « إن جامع السلطان حسن المملوكي يشرف على القاهرة كلها ، وأسلوب بنائه من أرقى الأساليب المعمارية ، ومساحته عظيمة ، ولذا يعد أجمل جامع في الشرق كله بلا نزاع » .

وقال آرثر روني : « إن العبقرية هي التي أتاحت لصاحبها السيطرة على الأشكال التقليدية أو الهندسية فبث فيها روحا من عنده ، فلكل زخرفة في جامع السلطان حسن طابع خاص تمتاز به عن سواها من زخارف الأبنية الأخرى » .

تصميم المدرسة — وقد وضع تصميمها على طريقة التعامد (Cruciforme) التي تشمل على أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف . وكان المقر في مشروع بنائها أربع منارات فرغ من بناء ثلاث : منها اثنان تكتنفان القبلة بالوجهة الشرقية ، والثالثة كانت على الكتف الأيمن للباب العمومي ، وقد سقطت يوم السبت ٦ ربيع الآخر سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) فأبطل السلطان حسن بناء المنارة الرابعة التي كان مقررا لها الكتف الأيسر للباب المذكور ، وأكتفى بالمنارتين . وفي شهر جمادى الأولى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) قتل السلطان حسن ، وكانت المدرسة كاملة هذا بعض أعمال تكميلية أتمها من بعده الطواشي بشير الجمدار .

أعمال بشير الجمدار — قد قام الطواشي بشير بأعمال تكميلية كثيرة بهذه المدرسة دون أن يتمها أيضا . منها أعمال الرخام بالوزرات والأرضيات ، ولذلك نراها بسيطة ويدخل فيها الكسوة الرخامية لأبواب المدارس بالصحن ، ولذلك يقرأ على كل منها ما نصه :

” بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر حسن ابن مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك في شهر سنة أربع وستين وسبعائة “ . (مع ذكر المذهب المخصصة له المدرسة : المذهب الشافعي أو المذهب الحنفي الخ) ويسترعى النظر فيها مرزقاتها وتطعيم القاشاني والتفيس المكتوب فيه لفظ الجلالة . كما أتم قبة النسقية بالصحن سنة ٧٦٦ هـ (١٣٦٤ م) ، وهي قبة خشبية أقيمت على ثمانية عمد رخامية وكتب بدائرها آية الكرسي وتاريخ الفراغ منها سنة ست وستين وسبعائة .

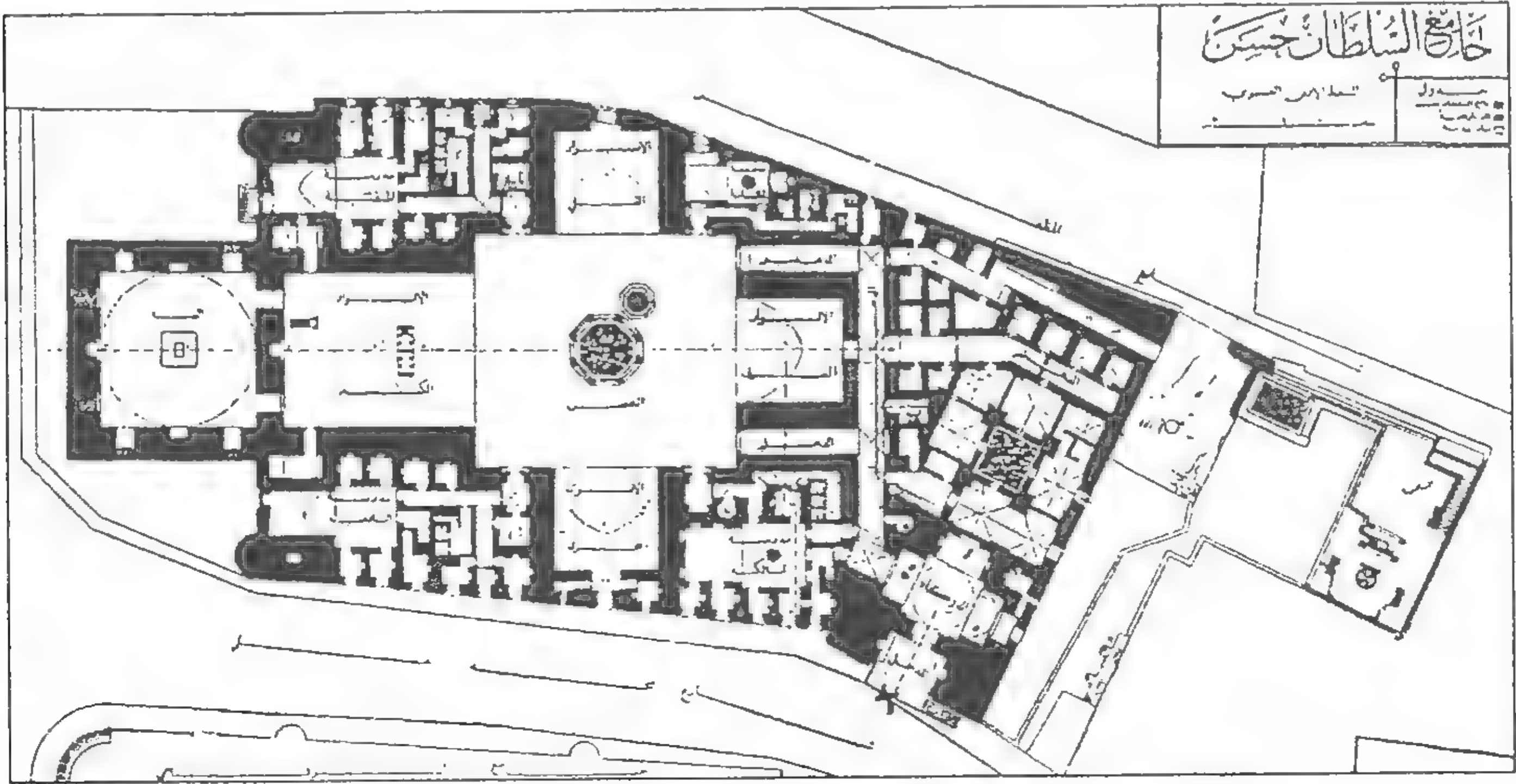
وعمل المصراعان النحاس للباب الكبير الموجود الآن في جامع المؤيد ؛ إذ يقرأ عليهما ما نصه : ” أمر بإنشاء هذا الباب المبارك العبد الفقير الى الله تعالى مولانا السلطان الشهيد أبو المعالي حسن ابن مولانا السلطان الشهيد الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك في سنة أربع وستين وسبعائة “ .

كما أتم بناء القبة الكبيرة وكتب بافريزها آية الكرسي ، ثم : ” وكان الفراغ من هذه القبة ، المباركة في شهر سنة أربع وستين وسبعائة “ . والمرجح أنه لم يتم بناء القبة ، كما كان مقررا لها ، ببناء عظيم يتناسب مع الجدران الضخمة التي أعدت لحملها ، بل أقامها من الخشب وغطاها بالواح من الرصاص . وعلى ذلك تكون هذه رابع قبة خشبية كبيرة في مصر ؛ إذ الأولى قبة الإمام الشافعي ، ثم قبة مسجد الظاهر بيبرس البندقداري ، قبة الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين .

هذه هي أعمال بشير الجمدار — أما الزخارف وبقية أعمال الرخام بالوجهات فقد تركها دون أن يتمها كما تركها السلطان حسن .

غير أن وفاة السلطان حسن قبل إجراء باقي الأعمال التكميلية ليس معناه أن المدرسة لم تفتح في حياته ، فقد احتفل السلطان حسن بافتتاحها وصلى بها الجمعة وأنعم على البنائين والمهندسين ، وأقيمت بها الدروس في حياته أيضا . كما حرر لها وقفية . ووزعة في شهر رجب سنة ٧٦٠ هـ (١٣٥٩ م) ، ورصد عليها وعلى غيرها عقارات وأراضى تنال للصرف عليها ، وعين بها الموظفين والقراء ، وفرشها وعلق بها الثريات والمشكاوات الجميلة ، وعين لها إماما .

وصف المدرسة — إن المطلع على رسم هذه المدرسة يرى في وضعها بعض آزرار ، بل يصعب عليه تحديد شكلها . وغاية ما انتهى إليه الوصف أنه شكل كثير الأضلاع . وتبلغ مساحتها ٧٩٠٦ متر مربع ، إذ امتداد أكبر طول ١٥٠ متر ، وأطول عرض ٦٨٠ متر ، ولها أربع وجهات : شرقية وبها القبة ومئذنتان أقدمهما القبليّة ، ويبلغ ارتفاعها عن صحن الجامع ٨١٫٦٠ ، وبحرية وقد سقطت سنة ١٠٧٠ هـ (١٦٥٩ م) وجددت في عمارة إبراهيم باشا سنة ١٠٨٢ هـ .



(عن هرتس باشا)

مسقط أفق

وقد حليت أعتاب شبابيك القبة بمقرنصات وعقود غريبة ، كما طعمت بأشرطة من القاشاني . وحليت نواصيها بعمد من الحجر ظريفة بها كتابات كوفية . ويتجلى منظرها من ميدان صلاح الدين ومن أعلى القلعة .

وأخرى قبليّة بها شبابيك مدرستي الحنابلة والحنفية ، وغربية وتحتها دورة المياه ، وأمامها الساقية التي كانت توصل المياه إلى المدارس وإلى المسجد بواسطة مجرة على كوابيل بالوجهة القبليّة . وبحرية ويبلغ ارتفاعها عند الباب ٣٧٫٧٠ وهي الوجهة العمومية ، وبطرفها الغربي الباب العمومي ، وهذا الباب طرفة أثرية ، فقد حلى من جانبيه بالزخارف المتنوعة الممتدة إلى أعلى . وأكثرها لم يتم إلى الآن . كما أن أجزاء كثيرة في الباب والوجهات كان مزعما تليّسها بالرخام ولم يتم . ويكتنف هذا المدخل حنيتان برأسيهما مقرنصات لبستا بالرخام الأخضر بأشكال هندسية وكتب أعلاهما بالخط الكوفي المزهر قوله تعالى : ” إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله “ ، يعلوهما تربيعتان كتب على أحدهما بالكوفي المربع ” لا إله إلا الله محمد رسول الله “ وبالأخرى : ” أبو بكر . عمر . عثمان . علي “

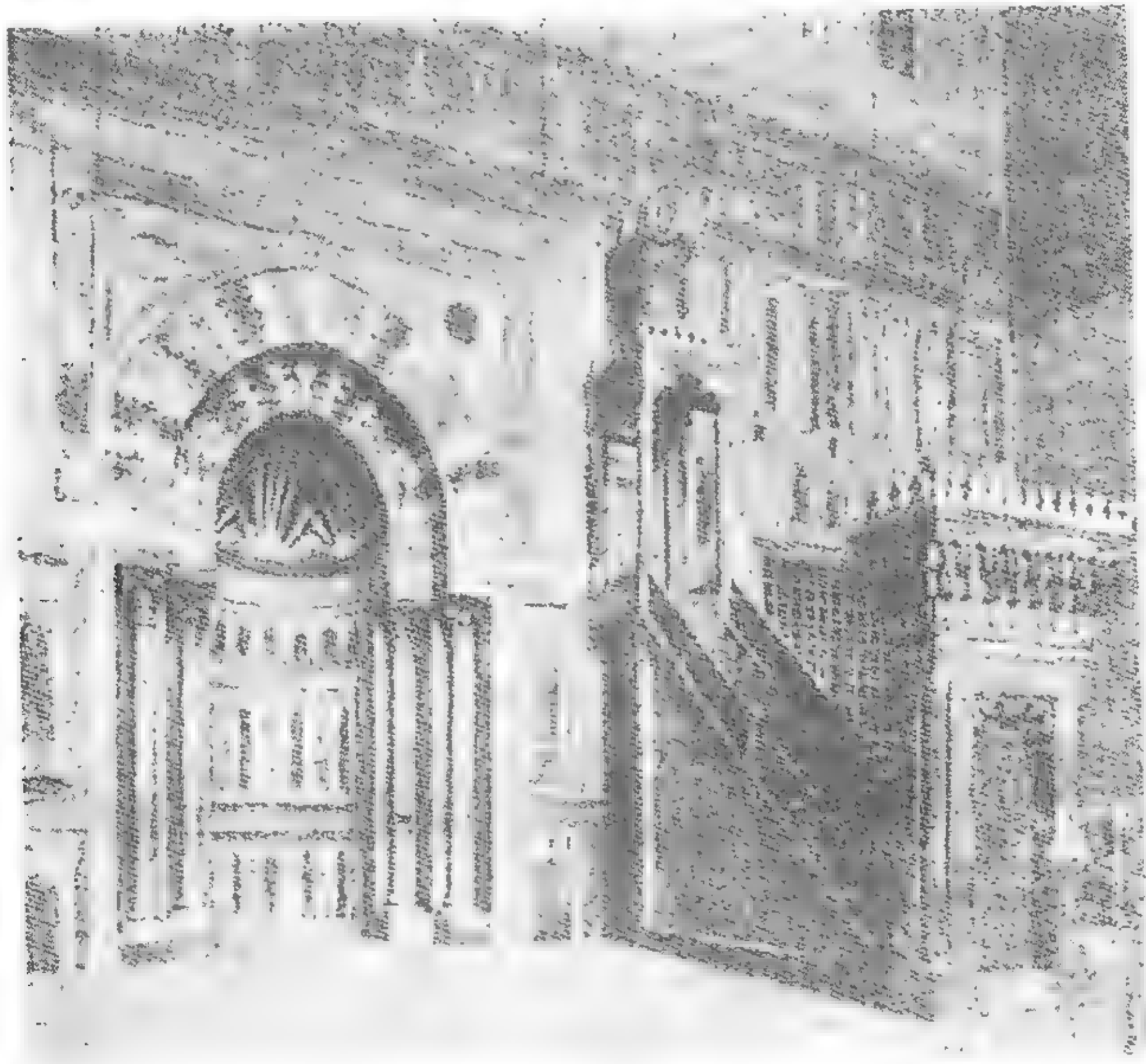
وقد كان لهذا الباب مصراعان من الخشب مغشيان بالنحاس من أنفاس الأبواب النحاسية ، نقلهما السلطان المؤيد شيخ إلى مسجده بالسكرية سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦ م) . ويغطي هذا الباب مجموعة كبيرة من المقرنصات رأينا هرّتس باشا يأخذ على مهندسيها بعض الهفوات في وضعها . ويحلى نهاية الوجّهات مقرنصات بارتفاع ستة مدا ميك ، وبرزت بمقدار ١,٤٠ أضيفت إليها شرفة موزقة في وقت ما قامت إدارة حفظ الآثار العربية بإزالتها من الوجّهة البحرية .



الباب العام

ويقتر هرّتس باشا أن زخارف هذا الباب الكثيرة لا نظير لها في الديار المصرية ، وأن أمثالها كثيرة الوجود في آثار آل ساجوق التي تمتاز الأبواب فيها عن باقي البناء بكثرة زخارفها . وهذا الباب يؤدى إلى مدخل مربع الشكل مكون من ثلاثة إيوانات مغطاة بمقرنصات يتوسطها قبة ملبّسة بالججر الأحمر ، وبصدر هذا المدخل مسطبة حلى صدرها بالرخام الملون الملبس في الرخام الأبيض ، وشباك من الجص ودوائر ومستطيلات زخرفية دقت في الججر لاتقل دقة عن الأويمة في الخشب أو الجص ، ومن هذا المدخل يتوصل إلى سلم ذى خمس درجات يؤدى إلى دهليز معقود

ينتهي دفعة واحدة إلى اليسار وينتهي إلى صحن كبير مفروش بالرخام الملون مساحته ٣٤,٦٠ متر في ٣٢,٠٠ متر، يتوسطه فسقية تعلوها قبة محمولة على ثمانية أعمدة مكتوب بدائرها آية الكرسي وتاريخ الفراغ منها ، وبها تاريخ عمارة أجريت بها سنة ١٠٨٨ هـ (١٦٧٧ م) ، وحول الصحن أربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة ، وهو إيوان كبير لا نظير له في سعته وارتفاعه ، إذ تبلغ فتحته ١٩,٢٠ ، يحيط به إفريز نادر من الجص مكتوب عليه بالخط الكوفي المزهري ما نصه : ”أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . إنا فتحنا لك فتحا مبينا — إلى قوله تعالى : فوزا عظيما“ ، ويتخلل الكتابة زخارف دقيقة ، ويتوسطه دكة من الرخام يلفت النظر فيها تلبس عمد الرخام الملون في نواصيها ، وبصدره المحراب المغشى بالرخام الملون والمحلى بزخارف موزقة تتخللها عناقيد العنب . ويجاور المحراب منبر من الرخام له باب من النحاس المفترغ ، ويكتنف المحراب بابان يوصلان إلى القبة خلف المحراب أحدهما قبلي مغشى بالنحاس المكفت بالذهب وعليه أسم السلطان حسن ، والآخر فقدت كسوته . وعلى جانبي المحراب لوحتان مكتوب عليهما : ” جدد هذا المكان المبارك حسن أغا خزيندار — الوزير إبراهيم باشا بيد الفقير محمد سنة ١٠٨٢ “ .



المحراب والمنبر

والقبة مربعة طول كل ضلع من أضلاعها ٢١,٠٠ مترا ، وارتفاعها إلى ذروتها ٤٨,٠٠ مترا ، وبها محراب من الرخام محلى بزخارف دقيقة ، ووزرة مرتفعة نحو ثمانية أمتار ، تعلوها إفريز خشبي به كتابة بارزة نصها : ” بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم “ — الآية — ” وكان

الفراغ من هذه القبة المباركة في شهور سنة أربع وستين وسبعائة وصلى الله على محمد . . يعلو ذلك شبايك ودوائر جصية ومقرنصات خشبية محلاة بزخارف ملونة ومذهبة . وغطاء القبة الحالى ليس هو القديم ؛ فقد كانت القبة خشبية مكسوة بالرصاص .

وقد زار مصر السائح بيترودى^(١) لأقالليه وكتب رحلته سنة ١٠٢٥ هـ (١٦١٦ م) . ومن وصفه للقبة يعتبر طرازها كطراز القباب السمرقندية ؛ كذلك ذكر پريس دثين أن القبة سقطت سنة ١٠٧١ هـ (١٦٦١ م) ، وكانت أعظم ارتفاعا ، وباطنها حافل بالنقوش . وقد جددتها إبراهيم باشا سنة ١٠٨٢ هـ (١٦٧١ م) ، وهى محاطة من الخارج بدعامات أسطوانية الشكل ، ويتوسط القبة تركيبة من الرخام كتب عليها أنها أنشئت سنة ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م) برسم تربة السلطان السعيد الشهيد الملك الناصر حسن وذريته . ولكن السلطان حسنا لم يدفن فيها كما شرحناه في ترجمته ودفن فيها ابنه الشهاب أحمد المتوفى في ١٤ جمادى الآخرة سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) . وقد أودع بهذه القبة كرسى المصحف المكون من حشوات من وآبنوس وخشب دقت بالأويمة الدقيقة .

ووضع القبة خارجا عن سمت جدار المحراب وخارجا عن المسجد يعتبر وضعها شاذا سبقه فيه المشهد الحسينى ، ونسج على منواله فيما بعد في مساجد أمير حسين والمحمودية وألتي برقى بمصر وبعض مساجد الوجه البحرى . ويتبدل من عقود الإيوانات مجموعة من السلاسل النحاسية كانت معدة لحمل مشكاوات زجاجية مشغولة بالمينا وعليها اسم السلطان حسن ، وقد حفظ ما تبقى منها وعددها ٣٤٠ صياحا مع ثريتين من النحاس بدار الآثار العربية إحداهما باسم الأمير قوصون .

وبمناسبة الثريات النحاسية (التناير) الخاصة بالمسجد أذكر أن الملك المؤيد شيخ . كان نقل إحداهما إلى مسجده مع الباب النحاسى .

ويحيط بالصحن أربع مدارس للذاهب الأربعة تعتبر من تصميمها مساجد صغيرة محذقة بالجامع الكبير ، أكبرها المدرسة الحنفية ؛ إذ تبلغ مساحتها ٨٩٨ متر ، ويتكون كل منها من إيوان وصحن لتوسطه فسقية ، ثم طبقات بعضها فوق بعض تشرف على صحن المدرسة وعلى الوجهات .

وباقى فى اثنتين منها طراز جصى مكتوب بالخط الكوفى على مثال الإيوان الشرقى ، أحدهما فى مدرسة المالكية ومكتوب فيه : ” بسم الله الرحمن الرحيم الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ، اللهم أكثر الخير وأتبع العطا نسالك وأنت خير مسئول دوام دولة من أسس هذا الخير وأصله مولانا السلطان الأعظم الما والمساكين يته فى عقبه “ .

(١) تاريخ جامع السلطان حسن ص ١٥ (٢) نزدة النفوس والأبدان ج ١ ص ٧١

نظام المدارس : وقد قرر السلطان حسن^(١) لهذه المدارس مدرسين ومراقبين وعين لهم مرتبات تثبتها فيما يلي :

قرر لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخا ومائة طالب ، من كل فرقة خمسة وعشرون متقدمون وثلاثة معيدون ، وعين مدرسا لتفسير القرآن ، وعين معه ثلاثين طالبا عهد الى بعضهم أن يقوموا بعمل الملاحظة ، وعين مدرسا للحديث النبوي ، ومقرئا لقراءة الحديث ، وثلاثين طالبا يحضرون يوميا عهد الى بعضهم أن يقوموا بوظيفة التقيب والبعض الآخر يقوم بوظيفة داع للسلطان عقب الدروس . ثم عين بالإيوان القبلي بالجامع شيخا عالما مفتيا ، ورتب معه مقرئا مجيدا للقراءة على أن يحضر أربعة أيام من كل أسبوع ، منها يوم الجمعة ؛ فيقرأ المقرئ ما تيسر من القرآن وما تيسر من الحديث الشريف ، وعين مدرسا حافظا لكتاب الله عالما بالقراءات السبع ليحاضر كل يوم ما بين صلاة الصبح والزوال بالإيوان القبلي ، وقارئا آخر يجلس معه ليلقن القرآن لمن يحضر عنده ، ثم عين اثنين لمراقبة الحضور والغياب ، أحدهما بالليل والآخر بالنهار . وأعد مكتبة عين لها أمينا ، وألحق بالمدرسة مكتبتين بمدرسيهما لتعليم الأيتام القرآن والخط ، وقرر لهم الكسوة والطعام ؛ فكان إذا أتم اليتيم القرآن حفظا يعطى خمسين درهما ويمتنع مؤذبه خمسين درهما مكافأة له .

وعين طبيين مسلمين أحدهما باطنى والآخر للعيون ، يحضر كل منهما كل يوم بالمسجد ليداوى من يحتاج الى علاج من الموظفين والطلبة ، ورتب طبييا ثالثا جراحا : وقد أُرصد في وقفيته مرتبات الأساتذة والطلبة والموظفين . وقيمة ما يصرف لهم من الماكل كل ليلة جمعة وما يصرف لهم في الأعياد .

المدرسة كقلعة — لوقوع هذه المدرسة أمام قلعة الجبل آخذها المماليك حصنا لهم يدافعون به عن أنفسهم أماءها ؛ فحينما تقع فتنة بينهم يصعد الأمراء وغيرهم الى أعلى مدرسة السلطان محسن ويضربون القلعة . ففى سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) نصبت مكحلة^(٢) أعلى المدرسة رمى بها على باب السلسلة فهرب المماليك . ولما تكررت هذه الحوادث أمر السلطان الظاهر برقوق في ٨ صفر سنة ٧٩٣ هـ (١٣٩١ م) بهدم السلم الموصل الى سطح المدرسة وسد ما وراء الباب النحاسي الكبير^(٣) ، ثم فتح شباك من شبابيك المدرسة يوصل الى داخلها .

وفى شهر رمضان سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢٢ م) صُرح بالأذان في المنارتين وأعيد بناء الدرج والبسطة وركب باب بدل الذى أخذه المؤيد شيخ .

(١) الخطط الجديدة ج ٤ ص ٨٤ — ٨٥ (٢) ابن اباس ج ١ ص ٢٧٨ والمكحلة (مدفع) .

(٣) المقرئى ، ج ٢ ص ٣١٦

ولما عاد الأمراء الى مهاجمة القلعة من منارة المدرسة أمر السلطان أبو سعيد جقمق بهـ^(١)دم السلام الموصلة الى المنارات ، وذلك في سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) .

وفي ٢٩ ذى الحجة سنة ٨٥٨ هـ (١٤٥٤ م) عهد السلطان أبو النصر إينال الى المهندسين بفحص المنارة القبلية للمدرسة خوفا من حدوث خلل بها . وبفحصها تبين لهم سلامتها ، ولكن تبين أن رصاص القبة به ثغرات من كثرة إصابتها بالمكاحل في أيام الحروب ، وأعوجاج هلالها فرفع وبقيت القبة بدونه .

وفي سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٧ م) كانت موقعة اقبردى ، فحاصر القلعة وضر بها من أعلى المدرسة بمكحلة أصاب أول حجر منها باب السلسلة ، فقبول الاعتداء بمثله وصوتت المكحلة المعروفة^(٢) بالمجنونة الى من في مدرسة السلطان حسن فأصاب المدفع شباك المدرسة فقتل ثلاثة من المالك . ونهبت بسط المدرسة وقناديلها ورخامها .



وفي سنة ٩٠٣ هـ (١٤٩٧ م) جدد الأمير طومانباي الدوادار الثاني جدران المدرسة وأصلح ما تلف منها ، وأقيمت الخطبة بها بعد أن كانت معطلة نحو عشرة أشهر^(٤) .

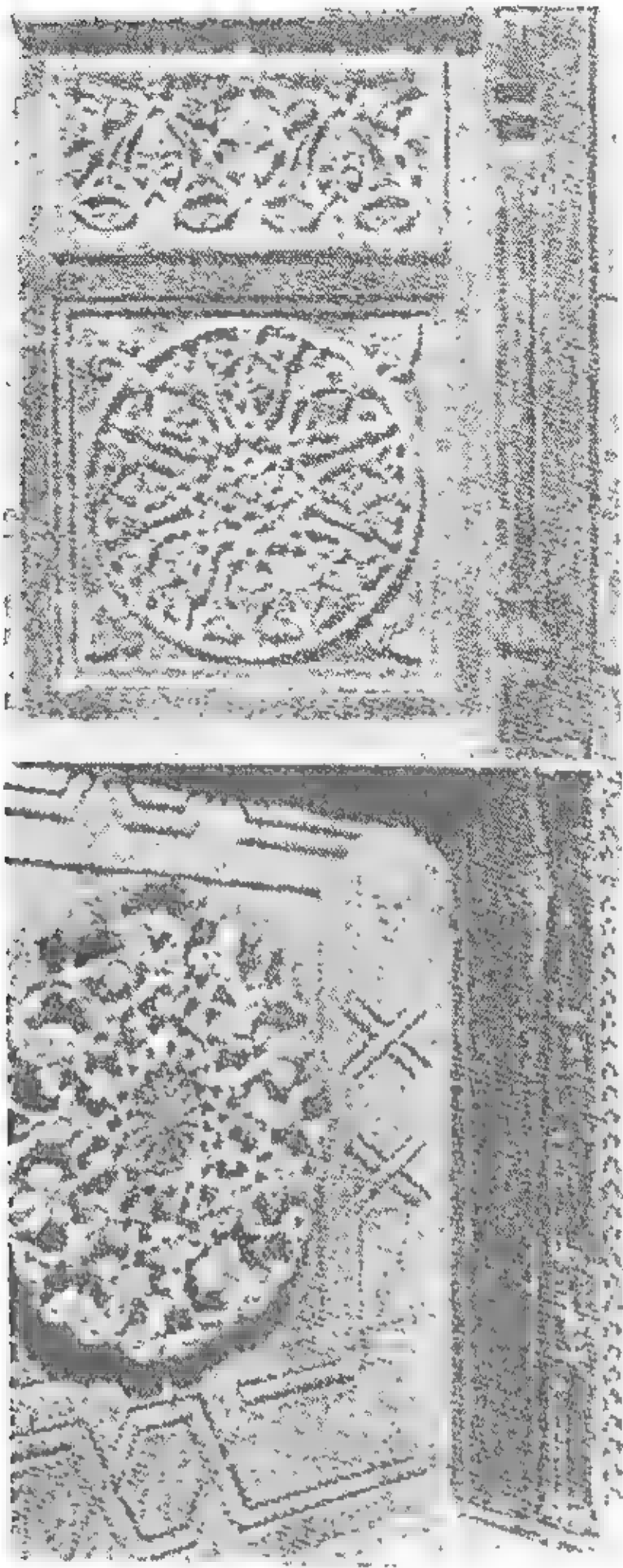
وفي سنة ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م) هدم الأشرف جان بلاط جزءا بسيطا خلف محراب القبة بصعوبة ثم أوقف الهدم^(٥) .

(١) النجوم الزاهرة ج ٧ قسم ١ ص ٤٩ طبع كفرنيا . (٢) منتخبات من حوادث الدهور قسم ٢ ص ٢١٩ طبع كفرنيا . (٣) ابن إياس ج ٢ ص ٣٢٦ (٤) ابن إياس ج ٢ ص ٣٤١ (٥) ابن إياس ج ٢ ص ٣٨١

ولما ولي ملك مصر الملك العادل طومانباي أمر بترميم جميع ما فسد من جدران مدرسة السلطان حسن^(١) في مدة محاصرة القلعة .

ولما زار مصر الرحالة المغربي الورشيلاني سنة ١١٧٩ هـ (١٧٦٥م) وجد جدارا كبيرا مهدوما من المسجد وكان العمل جاريا في رفع أنقاضه . وبعودته من الحج بعد سنة ونصف سنة وجدهم قد فرغوا من ترميمه . ولعل هذه العمارة لإصلاح ما هدمه جان بلاط ، أو من أثر المعركة التي قتل فيها أحد عشر أميرا في بيت محمد بك الدفتردار سنة ١١٤٩ هـ (١٧٣٦م) وتسبب عنها سد الباب الكبير مرة ثانية لمدة ٥١ سنة ؛ الى سنة ١٢٠٠ هـ (١٧٨٥م) حيث أصلح المسجد سليم أغا^(٢) وفتح بابه وأزال الدكاكين التي أحدثت بأسفله ؛ وبني له سلام ومصطبة جديدة .

ومن هذه الحوادث نرى كيف كلفت هذه المدرسة وصمدت أمام تلك التقلبات وبقيت محتفظة بكانها أكثر من القلعة .



ملحقات الجامع — وقد اتخذت خلف الدركاة والإيوان الغربي أبنية فرعية ؛ الدور الأرضي منها يشتمل على دورة مياه فسيحة مساحتها ٤١٢ متر وتركت الجهة الوسطى من هذا المكان مكشوفة لتجديد الهواء ودخول الضوء .

وتتخفص أرضية هذه الجهة عن أرضية الجامع بسنة أمتار ونصف متر . ويتوصل إليها من باب في غاية الجمال ، وفي وسطها ميضأة من الرخام الأبيض ، وعلى امتداد جدران هذا المكان مرافق ومنافع متنوعة ، ومن ملحقات الجامع أيضا الساقية ، وهي في الزاوية القبليّة الغربية .

المهندس — أخذ المرحوم هرتس باشا على مهندس السلطان حسن اتخاذه مقرنصات مقلوبة لتحلية قواعد الأعمدة . ومنها استنتج أن المهندس أجنبي عن هذه البلاد ، وعلق على ذلك بقوله : «وايكن أنى لنا العلم ببلده وهو لم يترك لنا اسمه ولا أثره ؛ ولذلك جعلنا جميعا متشوقين لمعرفة » .

زخارف جيرية وبها الدعامة الصغرى

(١) ابن إياس ج ٢ ص ٣٨٨ (٢) نزعة الأنظار ص ٢٦٥ — ٢٦٦ (٣) الجبرتي ج ١ ص ٩٦

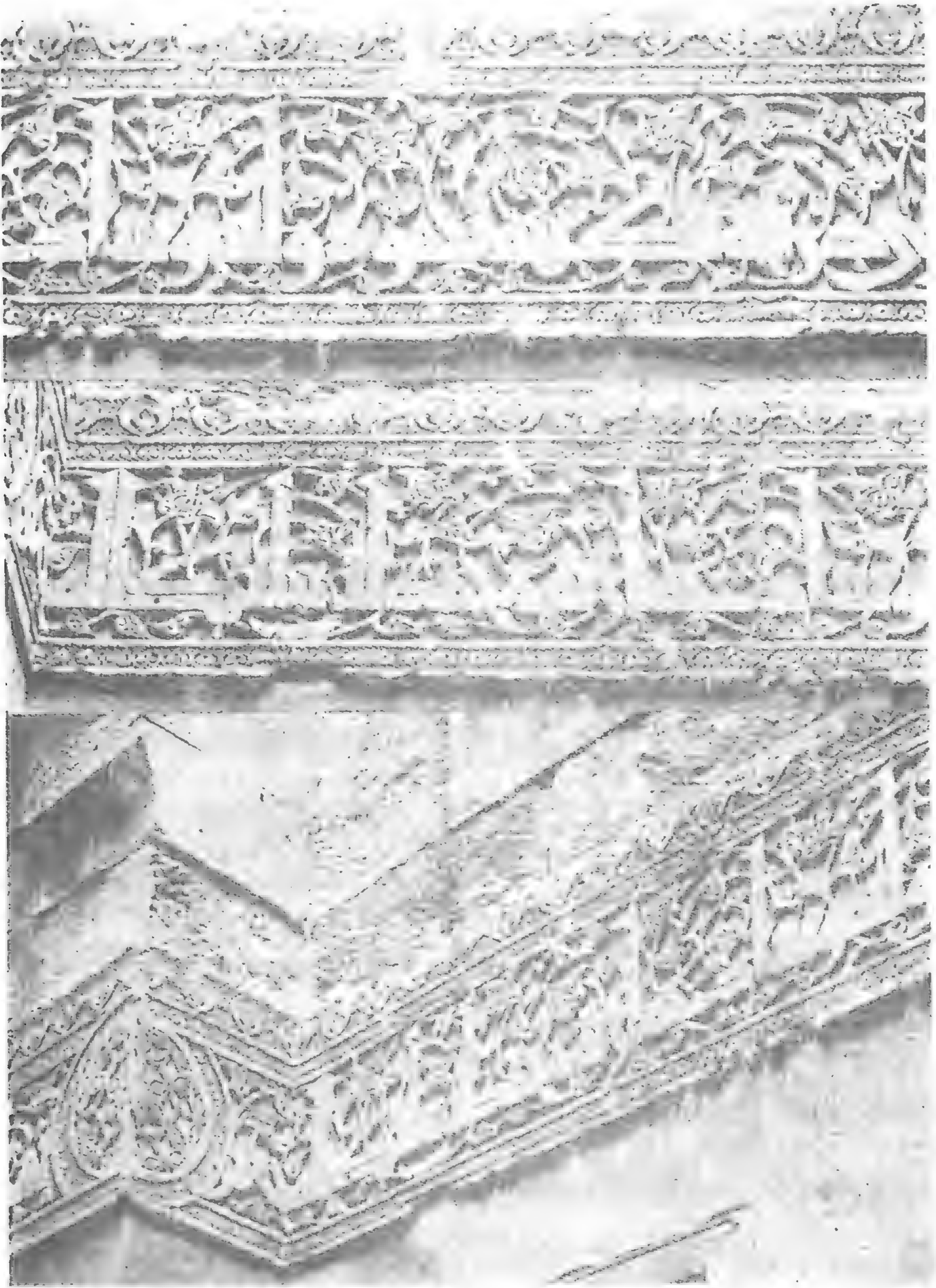
(٤) الجبرتي ج ٢ ص ١٠٧

وأستطرد فقال : ” ولم يذكر أحد من المؤرخين — حتى ولا المقرئ الذي يكثر الكلام على الآثار — أسم هذا المهندس ، كما أننا لم نعث على شيء يتضمنه في الكتابات الكثيرة المنقوشة على جدران الجامع ؛ ولذلك تضطرتنا الحال إلى معاودة البحث في عمله عن أثر يدلنا عليه ، أو إشارة تهدينا إليه بالتأمل في كيفية تصميم دقائق البناء وكيفية توقيعهما . والموصول إلى هذه الغاية جعلنا الدعامة الصغرى المركبة على أحد وجوه كتف الباب محل نظرنا فدلنا على أن المهندس — لعدم استطاعته تدوين اسمه في عمله — اكتفى بنسبة الفخر إلى وطنه فأشار إليه إشارة ليب في ركن صغير . وهي إشارة تخفى على العامة ، ولكنها كافية لأن يهتدى بها من كان بسرّ الأحجار عالماً .

وبيان ذلك أن هذه الدعامة ترى عليها ستة سطوح بعضها فوق بعض متعاقبة بين صغير وكبير ، وكلها محلاة برسوم بارزة . أما الجار فرسومها متشابهة أو تكاد تكون كذلك ؛ فإن في جميعها أقواساً متبينة مرتكزة على زوج من العمد الصغيرة ، وهذه الأقواس — وإن لم يكن فيها ما يستوقف النظر خلاف كون الرسومات الزهرية النباتية التي في السطح الباطن جلية اليان — فإن العمد تسترعى النظر بأبدانها المهندمة الدالة على أنها من طراز قديم عن الطراز العربى . أما الرسومات المنقوشة في السطوح الصغيرة فأغرب من ذلك ؛ إذ قد مثل في الأسفل منها بيت صغير ذو طبقتين سطحه على شكل جملون وبجانبه بناء أعلا منه ، ومن الباطن بناء آخر له باب وعدة نوافذ ، وفي السطح الذى يليه كنيسة ، وطبقة أرضية عالية لها باب ينتهى عليه بشكل جملون ، وعليها طبقة أخرى أقل منها في الأهمية ومتخذة قاعدة لقبة يزيد حجمها عن نصف كرة ، وهي ترتكز على قاعدة مخروطية . واستخلص من هذا الوصف مستنتجاً أن المهندس وضع هذه الدقائق في الرسم ليكشف بها عن جنسيته ، ورجح أن المهندس يزنطى تلقى أصول الطرز الإسلامى في أحد البلاد السلجوقية ، مما مكنته من تصميم بناء فائق في بابه مثل جامع السلطان حسن . وهو رأى يؤيده ما كان من الروابط والعلاقات المستمرة بين يزنطة وملوك بني سلجوق “ .

وإن الغموض الذى أحاط بالفنان الذى أبدع هذه المدرسة أحاط غيره من بقية المنشآت المعمارية في مصر . ولكن عقريه هذا الفنان كانت حافزة دائماً لمعرفة ؛ لأنه شاد بناء عظيم لم يسبق ولم يلحق .

وفي هذا الصدد كتب الأستاذ الجليل مسيو جاستون ثييت عند بحثه لهذه المدرسة : أن جامع السلطان حسن عمل عظيم خالد ، ولكن شخصية الفنان العبقري الذى ابتدعه يكتنفها الظلام .



اسم المهندس : ويقراً في السطر العلوى . ذريته كنية تجو دوله وشاد ،
وفي السطر الأوسط : وشاد عمارته محمد ابن بليك الم...
وفي السطر الأخير : دوله وشاد عمارته محمد ابن بليك المحسن

وفي يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤٤ -- أثناء اشتغالي بمراجعة كتابات الجامع لنشرها مع أستاذي الجليل مسيو فييت ضمن مجموعة الكتابات التاريخية الجارية نشرها -- عثرت في المدرسة الحنفية على اسم المهندس مكتوبا في طرازها الجصى بما نصه : " بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين في جنات وعيون أدخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم -- إلى قوله تعالى : وما هم منها بمخرجين . اللهم يادائم لا يفنا يا من نعمه لا تحصى آدم العز والتمكين والبصر والفتح المبين ببقاء من أيدت به الإسلام والمسلمين وأحييت حسن ابن مولانا السلطان الـ عنه على ما وليته وخلده في ذريته كنية تمحو دولته . وشاد عمارته محمد ابن بيليك المجسنى "

ويكتبه تمحو (أى أن هذه الأدعية مكتوبة لحماية دولته) ، وقد كتب تمحو بدلا من تمحي -- ومثل هذا الخطأ وقع في نفس الكتابة ؛ فقد كتب : " يادائم لا يفنا يا من نعمه لا تحصى " بالألف بدل الياء .

والمعروف أن السلطان حسنا ، حينما شرع في عمارة مدرسته ، أشرف عليها مهندسين ومشتدين ^(٢) (ملاحظى عمارة) ، فاذا وجدنا أسم ابن بيليك بجانب أسم السلطان حسن فلا شك أنه لا كبر مهندس فيهم ، خصوصا إذا عرفنا أنه من البيوتات الكبيرة الذين اصطفاهم السلطان حسن . وقربهم منه ، وكان من أمراء الألو ف .

ومن تتبع تراجم أسرة ابن بيليك -- وقد نشأت هذه الأسرة في عصر المنصور قلاوون ، وتقلب أفراد أمرتها في وظائف الدولة في عهد هذه الأسرة ، وكثير منهم تسمى بمحمد -- وجدنا المؤرخين يخلطون فيهم . وآخرهم محمد بن بيليك الذين خلطوا ترجمته بترجمة أبيه . وكل ما عرفناه عنه أنه كان من أمراء الألو ف ومن أولاد الناس ، وأنه وقف بجانب السلطان حسن في محنته مع يلغا . ولم نقف على بقية ترجمته ولا سنة وفاته .

ولا ضير علينا في عدم العثور على نعته بالمهندس في الفقرات الصغيرة التي بين أيدينا من ترجمته ؛ لأن كثيرا من المهندسين لم يكونوا محترفين للهندسة ، بل اشتغل بها ملوك وأمراء وعلماء ، كما اشتغلوا بغيرها من الفنون والصناعات . والشواهد كثيرة . فقد ثبت أن الناصر محمد بن قلاوون هندس ^(٣) بنفسه

(١) لم يكن اسم هذا المهندس معروفا قبل اليوم ، بل لم يكن هذا النص معروفا بالجمهرة الأثرين ومن اشتغل في المدرسة من المهندسين وغالبهم موجود أمده الله في حياتهم ، ولم ينشر قبل نشرى له في جريدة الأهرام بأى وسيلة من وسائل النشر .

(٢) النجوم الزاهرة ، ج ٥ فصل ١ ص ١٥٠ ، طبع طهرنيا . (٣) الدرر الكامنة ، ج ٤ ص ٢٧ .

قصر الأمير يلغا اليحياوى وقد كان قصرا عظيما ، وأن الملك الصالح صالح بن الناصر محمد بن قلاوون كان مغرما بالصناعات وأجاد صناعة^(١) الزجاج وغيرها ، وأن الأمير قطلوبك بن قرا سنقر أحد أمراء الطبلخاناه كان مهندسا^(٢) للرى . فقد عمر قناة بالقدس واستقدمه الناصر محمد بن قلاوون الى مصر ليعهد إليه بمشروع عمل قناة للاء من بركة الحبش .

وأن العلامة أحمد بن على بن إبراهيم النسائي الأسواني المصرى كان طالما كاتباً شاعرا مؤرخا مهندسا^(٣) ، وأن الأمير سنجر بن عبد الله الشجاعى المنصورى وزير الديار المصرية كان خبيرا بالسياسة والعمارة^(٤) . وهو الذى نفذ منشآت المنصور قلاوون .

هذا عدا الكثير من الملوك والوزراء والأمراء الذين اشتغلوا بكثير من العلوم ونبغوا فيها . ولدينا مسألة طريفة تعزز أن ابن بيليك هو المهندس . ذلك أن كلمة بيليك التركية معناها بالعربية سعد .

وقد كتب المؤرخون أن السلطان حسنا لما صلى صلاة الجمعة فى المسجد لافتتاحه أنعم على البنائين والمهندسين ، كما كافأ الفعلة لكل واحد عشرة دنانير ؛ فأنشد الشاعر ابن نباتة المصرى مقطوعة فى المعنى ضمنها أهم المهندس فقال :

ملكك التقي هنيئ بالجامع الذى * وجدت الى مبناه سعدا موافقا
وشعراء هذا العصر من دأبهم تضمين الأسماء فى شعرهم ؛ فنجد أن هذا الشاعر قد هنا الملك الكامل شعبان بملك مصر أبيات منها :

طلعة سلطانتا تبئت * بكامل السعد فى الطلوع^(٥)
فأعجب لها كيف منه أبدت * حلال شعبان فى ربيع^(٦)

وإذا لم يكن محمد بن بيليك هذا مهندسا فذا لما استطاع بناء هذه المدرسة وما أذن له بوضع اسمه بجانب اسم السلطان ، ولا لهج الشعراء باسمه مع اسم السلطان .

(١) الدرر الكامنة ، ج ٢ ص ٢٠٤

(٢) الدرر الكامنة ، ج ٢ ص ٢٠٤

(٣) معجم الأدباء ، ج ١ ص ٤١٦

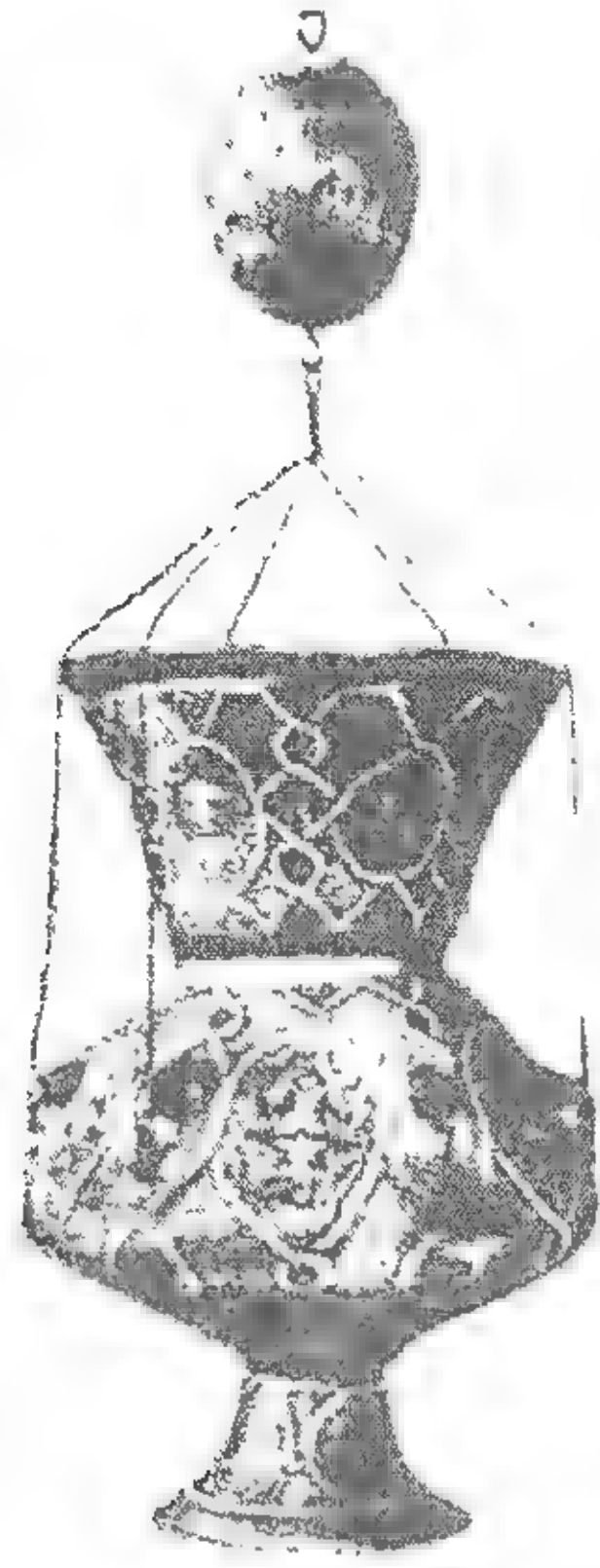
(٤) المنهل الصافى .

(٥) ابن إياس ج ١ ص ٢٠٤ ، ديوان ابن نباتة ص ٣٥٣

(٦) سكران السلطان ص ٣٤

وقد قيض الله لهذه المدرسة لجنة حفظ الآثار العربية فبذلت في إصلاحها مجهودا جبارا فاكملت بناء منارتها وأصلحت جدرانها ورخامها ونجارتها وأرضيتها حتى أعادت إليها رونقها، بعد أن صرفت عليها ٤٠ ألف جنيه .

وانتهت هذه الأعمال في منتصف سنة ١٩١٥ تحت إشراف المهندس الكبير هرتس باشا كبير مهندسيها ، وصاحب الفضل في تعمير الكثير من الآثار الإسلامية بمصر .



مشكاة وكرتها من زجاج بالمينا

مدرسة أم السلطان شعبان

بشارع باب الوزير^(١)

يقتن اسم هذه المدرسة باسم شخصيتين عظيمتين : الأولى السيدة الجليلة خوند بركة أم السلطان شعبان وقد كانت من السيدات الخيرات اشتهرت بميلها الى أعمال البر : ويضرب المثل ببذخها حينما خرجت الى الحج سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٩ م) فقد استصعبت حاشية كثيرة ومائة من الممالك السلطانية ومعهم الموسيقىات ، كما اشتهت راحلتها على قطار من الجمال محمل محار قد زرعت فيها البقول والخضروات حتى سميت تلك السنة بسنة أم السلطان .

توفيت في أوائل الكهولة في ذى القعدة سنة ٧٧٤ هـ (١٣٧٣ م) ودفنت في هذه المدرسة .
أما الشخصية الثانية فهو الملك الأشرف أبو المفاخر شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون .
ولد سنة ٧٥٤ هـ (١٣٥٣ م) وولى ملك مصر في يوم الثلاثاء ١٥ شعبان سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م) وزمام الدولة في يد الأتابك يلغا العمرى والأمير طيغا الطويل . ولم يلبث الأشرف شعبان كثيرا حتى تخلص منهم ومن غيرهم من الأمراء الذين يزاحمون السلطة ، وصفا له الوقت وعنى بالممالك وأغدى عليهم هباته وقرب من بلاطه من يثق به من الأمراء .

ومن المأثور عنه أنه هو الذى أمر في سنة ٧٧٣ هـ (١٣٧١ م) بأن يميز الأشراف بمصر والشام عمامهم بعلامة خضراء تعظيما لقدرهم ليقابلوا بالتعظيم ويمتازوا عن غيرهم . وفي عصره راجت سوق العلم والعلماء ، وافتتحت سبىس .

وفي سنة ٧٧٨ هـ (١٣٧٧ م) اعتزم الحج وأمر بإعداد راحلة حوت أنواع البذخ والترف ، فافت راحلة والدته ومعه الجمال محملة بالأقمشة والهدايا والخضر المزروعة ، غير أنه لم يوفق الى إتمام رحلته بسبب تأمر الأمراء عليه وقتله في ليلة الثلاثاء خامس ذى القعدة سنة ٧٧٨ هـ (١٣٧٧ م) ودفن في قبة هذه المدرسة بإجماع المؤرخين^(٢) ، عدا ابن إياس فانه يقول بدفنه في قبة أمام المدرسة^(٣) .

حقيقة توجد بقايا قبة تلاصق منارة تكية الهنود تجاه المدرسة ، ولكنى أميل الى الأخذ بإجماع المؤرخين خصوصا وأن ابن تغرى بردى يقرر دفنه في قبة المدرسة ويقول : «وقيل في موته غير ذلك والصحيح

(*) أنظر الصور من رقم ١١٥-١١٩ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٧٤ ، درر الفرائد المنظمة ، ج ٢ ص ٤٠٨ والمقريزى ج ٢ ص ٤٠٠

(٢) المنهل الصافى ، ابن إياس ج ١ ص ٢٢٧ (٣) السلوك ج ٢ قسم ٢ ص ٩٨ والنجوم الزاهرة ج ٥ قسم ١

ص ٢٢٢ طبع كفرنبا والمنهل الصافى . (٤) ابن إياس ج ١ ص ٢٢٤

ما ذكرناه « ثم وصفه بأنه كان ملكاً جليلاً شجاعاً مهيباً كريماً، لم يل الملك في الدولة التركية أحلم منه ولا أحسن منه خلقاً وخلقاً . ومن مآثره العمارية مدرسته التي أنشأها بالصوّة^(١)، فقد شرع في إنشائها في شهر صفر سنة ٧٧٧ هـ (١٣٧٥ م) وانتهت عمارتها في شهر شوال سنة ٧٧٨ هـ (١٣٧٧ م) وكانت غنية بشتى الصناعات كفتت أبوابها وشبابيكها بالذهب . وكان بها مكتبة اشتملت على مجموعة من المصاحف المكتوبة بخط ياقوت وابن البواب وغيرهما من مشاهير الخطاطين، وبعض هذه المصاحف محفوظ بدار الكتب المصرية . وفي سنة ٨١٠ هـ (١٤٠٧ م) اعتدى عليها جمال الدين الأستاذ وأخذ شبابيكها وأبوابها ونقلها إلى مدرسته التي أنشأها بالجمالية ، وفي سنة ٨١٤ هـ (١٤١١ م) هدمت .

ومع أن النصوص التاريخية المنقوشة في أنحاء المدرسة تجمع على أن الأشرف شعبان قد أنشأها لوالدته ، فإن صفر سنة وقت إنشائها يجعلني آخذ برواية المؤرخين من أن والدته هي المنشئة لها وكتبت اسمه عليها في حين أن من ترجمه منهم ذكر مدرسته بالصوّة ولم يذكر هذه المدرسة ، كما أنها كتبت أيضاً اسمه على القيسارية التي أنشأها بالدرب الأصفر بالجمالية .

تاريخ المدرسة ووصفها — كان الفراغ من إنشاء هذه المدرسة في سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٨ م) وأعدت لتكون مدرسة للشافعية والحنفية وقيل للذهاب الأربعة . وقد حفلت بشتى الصناعات . وهي وإن كان الزمن أعتدى عليها فأفقدتها الكثير من تفاصيلها العمارية من خشب ونحاس ورخام إلا أن ما بقي منها يشعر أنها كانت مدرسة غنية بمختلف الفنون ، فقد كانت السقوف مآونة مذهبة والأرضيات مفروشة بالرخام ، كما أن التذهيب كان يشمل الكثير من زخارفها الحجرية والرخامية ولا عجب فهي منشأة لسيدة ، وهي ظاهرة ألفتها في المنشآت التي أمرت بتشييدها السيدات . ووجهة المدرسة جمعت حوضاً لشرب الدواب متفصل عن الواجهة يعلوه كتاب . فالمدخل العام فسبيل ثم ملحقات للمدرسة فالمنارة ، وقد كانت مكونة من ثلاث دورات فقدت دورتها الثالثة مع الخوذة وقد كانت قائمة على أكتاف حجرية مغلّقة بها عمد . ويكتنف الواجهة الشرقية قبتان . والباب العام من أحفل الأبواب زخرفاً وأندرها تصميماً ، فقد انفرد بطرزه وعقوده ومقرنصاته المذهبة وزخارفه الموزقة بتواشيحه ، والكتابة الكوفية المحيطة به وقد اشتملت على آية الكرسي .

(١) هذه المدرسة كانت على شرف عال بالحجر ووصفها ابن تقي بردى بأنها كانت من محاسن الدنيا ضاهى بها مدرسة عم السلطان حسن وقد أنشأ مكانها الملك المؤيد شيخ بخارستانا حول ال مسجد لا زالت بقاياها موجودة حتى الآن .
(٢) المنيل الصافي . (٣) القريرى ج ٢ ص ٤٠٠ ، والسلوك ج ٣ ص ٧٧ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٢٢ والدرر الكامنة ج ١ ص ٤٧٤ ، وابن أبياس ج ١ ص ٢٢٧

وهذا النوع من الأبواب متأثر بالعمائر السلجوقية التي تعني بزخرف المداخل — ومكتوب على جانبي هذا الباب :

”بسم الله الرحمن الرحيم الذين إن مكّاهم في الأرض أقاموا الصلاة — الآية — أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة لوالدته مولانا السلطان الملك الأشرف شعبان بن المرحوم حسين سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيى العدل في العالمين مظهر الحق بالبراهين حامى حوزة الدين عز نصره“ .
ويملوه سطر آخر تحت رجل المقرنص يحيط بالعقود الجانبية وبالعقد أعلى المدخل مكتوب فيه :

”بسم الله الرحمن الرحيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة لوالدته مولانا السلطان المالك الأشرف شعبان بن المرحوم حسين سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيى العدل في العالمين مظهر الحق بالبراهين حامى حوزة الدين سيد الملوك والسلاطين قسم أمير المؤمنين قاهر الخوارج والتمردين كثر الغزاة والمجاهدين منصف المظلومين من الظالمين ذخر الأراذل والمحتاجين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والحصون الإسلامية والنفوس السكندرية والقلاع الساحلية والأقطار الجبالية والأعمال الفراتية ناصر الملة المحمدية أعز الله أنصاره وذلك في شهور سنة سبعين وسبع مائة للهجرة النبوية وصلى الله على سيدنا محمد وآله“ .

ويقوم على يسار الباب سبيل أقيم على وجهه حجاب من الخشب المجمع بأشكال هندسية يعتبر النموذج الأول من نوعه رأيناه بعد ذلك في أشعة الأبواب حول الصحن في مدرسة إينال اليوسفى بالخيمية ثم في شبابيك المدرسة الظاهرية ثم في أحجية مثل هذا بنحانقاه فرج بن برقوق بالصحرى — ومكتوب على هذا الجباب : ”أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك لوالدته مولانا السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين عز نصره في شهور سنة سبعين وسبع مائة“ .

والمدخل العام يؤدى إلى طريقة مربعة بصدرها صفة على يمينها باب يؤدى إلى الكتاب ، وعلى يسارها باب يوصل إلى طريقة مستطيلة بصدرها باب مغطى بمقرنصات ومكتوب عليه :

”أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة لوالدته سيدنا ومولانا ومالك رقنا السلطان المالك الأشرف شعبان بن حسين أعز الله أنصاره بمحمد وآله وسلم“ وهذا الباب يؤدى إلى ملحقات للسجدة غير منتظمة فهى سراديب ومتاور تنتهى إلى إيوان يطل على الوجهة ، أمامه صحن مكشوف بصدره باب به مصراعان حشواتهما من السن والآبنوس المدقوق أويمة دقيقة يوصل إلى طريقة أمام قبة أم السلطان .
نعود إلى الطريقة الأولى فنجد بها لوحة رخامية مثمنة مكتوب عليها : ”الحمد لله أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الملك الأشرف أعز الله أنصاره لوالدته تقبل الله منهما فمن أبطل

شيئا منها أو من أوقافها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمه يوم القيامة فمن بدّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه إن الله سميع عليم“ .

وهي طريقة طويلة معقودة تشق جدارين أصمين بالنهاية اليمنى منها باب يوصل للجزء العلوى ، وبصدرها باب يؤدى الى صحن المدرسة .



عنب منقوش يعلوه نقيس فوقه مرزور

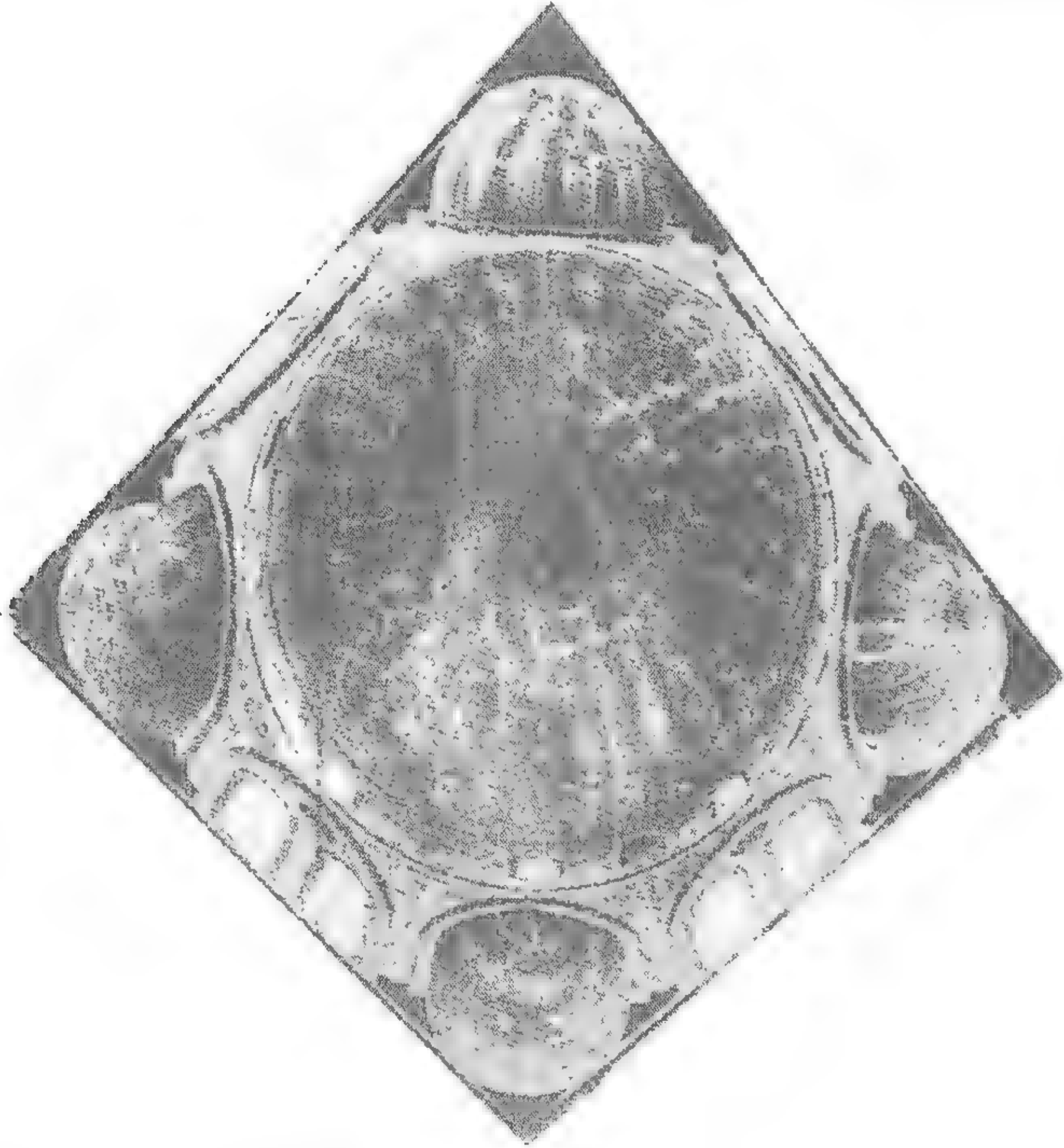
وللمدرسة أربعة إيوانات متعامدة يتوسطها صحن مكشوف ، وقد حليت أعتاب الأبواب بزخارف غربية مذهبة . كما غطيت هذه الأبواب بمقرنصات لطيفة ومكتوب على جوانبها : ”أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة لوالدته مولانا وسيدنا السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين عن نصره“ .

ويسترعى النظر في الإيوان القبلى سقفه المحلى بنقوش زرقاء ومذهبة ، وهو مثال اسقفوف الإيوانات التى كانت على غاية من الأهمية .

أما الإيوان الشرقى فقد احتفظ بكسوة الرخام بالمحراب والشباكين بجانبيه . وهو كبقية المحاريب ، غير أن ما يلفت النظر فيه تلك الزخارف التى دقت فى تواشيح الشبابيك وكذلك عمد المحراب المثمنة فقد نقش بعض أضلاعها بزخارف موزقة ، ويقوم الى جانب المحراب منبر خشبي بسيط أمر بعمله الأمير على أحد أمراء الحرا كسة ، وصناعته ترجع الى القرن الثانى عشر الهجرى ، ويكتنف هذا

الإيوان قبتان ، القبليّة منهما خصّصت لدفن السلطان شعبان ودفن^(١) فيها أيضا ابنه الملك المنصور حاجي المتوفى سنة ٨١٤ هـ (١٤١١ م) وهي قبة صغيرة بنيت بالحجر وخارجها مضلع . أما من الداخل فإن مقرنصها من طاقة واحدة ولا محراب لها . والقبة البحرية أعدت لدفن خوند بركه ، وقد دفنت معها ابنتها خوند زهرة ويتوسطها قبر مكتوب عليه :

”هذا ضريح ريحانة الجنة الست المرحومة الدرة المكنونة ست الستات زين الحواتين الست زهرة ابنة المقام المرحوم الأجد سيدى حسين ولد المقام الشهيد المرحوم الملك الناصر كريمة سيدنا ومولانا المقام الشريف المالك الملك الأشرف ناصر الدنيا والدين شعبان بن حسين توفت في يوم الاثنين ثامن عشرين جماد الآخرة سنة أحد وسبعين وسبعمائة“ .



مقرنص القبة من طاقة واحدة

ونلاحظ في هذا النص أنه عبر عن الشقيقة بكريمة وهذا له نظير في مدرسة تترالجزية ابنة الناصر محمد بن قلاوون فقد ورد فيه ”كريمة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وهي شقيقته“ . وهو تعبير صحيح يفاير الشائع بيننا الآن .

وهي قبة شاهقة الارتفاع مبنية بالحجر ومضلعة من الخارج ويتوسط شباكها محراب رفيع يكتنفه عمودان مئتان حليا بنقوش . ويلاحظ في تيجان هذه العمدة أثر التذهيب .

(١) ابن إياس ج ١ ص ٢٩٠

أما مقرنص هذه القببة والقببة الأخرى فهو من طاقة واحدة، والمقرنص من طاقة واحدة، غريب في قباب دولة المماليك لأنه من مميزات القببة الفاطمية في نشأتها ، ولكن ظهوره في دولة المماليك اقتصر على بعض قباب النصف الثاني من القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي .

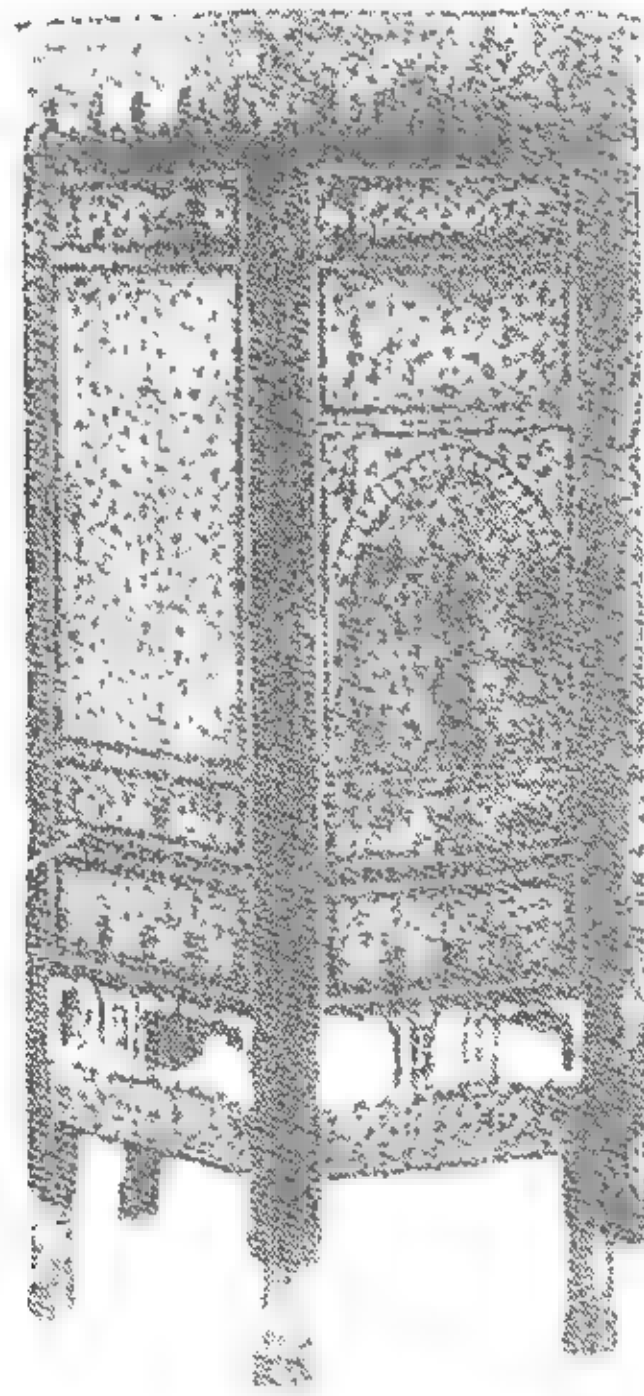
ولكل من القببتين شبك يشرف على الإيوان الشرقي لهما مصاريع خشبية حشواتها من السن المدقوق بالأويمة الدقيقة ومحاطة بإفريز منقوش بالسن ، وهي مصاريع دقيقة وغنية جدا .

ووجود قببتين يكتنفان الإيوان الشرقي من النماذج المعدودة في المدارس القائمة ، فقد كان الإيوان الشرقي في كل من الأثر المعروف بالمنوفي وخانقاه أم آنوك وخانقاه خوند سمرا تكتنفه قببتان ، هدمت إحداهما وبقيت الأخرى .

والمساجد أسبق من المدارس في ذلك ، فقد كان الإيوان الشرقي للجامع الحاكم بأمر الله ينتهي بقببتين ومثله الجامع الأزهر ، كما انتهى الإيوان الشرقي لخانقاه فرج بن برقوق بالصحرَاء بقببتين ، ومثله مسجد المؤيد ولم تكمل القببة الثانية .

وقد نقل من المسجد إلى دار الآثار العربية كرسي من خشب ، ذي ستة أضلاع ، محلاة بزخارف دقيقة من السن والآبنوس ، كما نقلت إليها مشكاوات من زجاج بالمينا .

المهندس — لا نعرف جنسية المهندس وربما كان أجنبيا عن مصر . ولمس عدم توفيقه في تصميم المدرسة وماحققاتها كما يلاحظ في القسم الواقع بين المدخل وصحن المدرسة وفيما بين المدخل والقببة البحرية الذي دل على ارتباك ، ولكنه بجانب هذا كان موفقا كل التوفيق في تصميم المدخل العام وفي أعمال الزخرفة التي دلت على عبقريته وتفوقه .



كرسي مطعم بالآبنوس والسن

مدرسة أبحائى اللىوسفى

شارع سوق السلاح^(*)

أبحائى اللىوسفى — الأمير أبحائى بن عبد الله اللىوسفى سلف الدين، كان من أكلة الأمراء . وقد تقلب فى مناصب عدة الى أن عينه الملك الأشرف شعبان أمير مائة ومقدم ألف، ثم ترقى الى وظيفة أتابك العساكر، وناظر البيارستان المنصورى بدلا من الأمير منكلى بنا الشمسى فى سنة ٧٧٤ هـ (١٣٧٢ م)، وتزوج بنخوند بركة أم الأشرف شعبان، وألقى إليه السلطان مقاليد الدولة يتصرف فيها كيفما شاء، وظل كذلك الى أن توفى فى المحرم من سنة ٧٧٥ هـ (١٣٧٣ م)، ودفن فى قبة مدرسته^(١).

وكان محل هذه المدرسة مقابر فأزالها وأنشأها مدرسة للشافعية والحنفية وألحق بها مكتبة . ومن تولى التدريس فيها العلامة جلال الدين البنائى الحنفى، وكان يسكن فى مسكن ألحق بها فى الجنب البحرى من المدرسة .

تاريخ إنشاء المدرسة — حدثنا المقرئى بأن هذه المدرسة شيدت سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٦ م)، فى حين أن الكتابة المنقوشة على بابها تفيد أن الفراغ منها كان فى شهر رجب سنة ٧٧٤ هـ (١٣٧٣ م)، وقد عرفت بالسائس^(٢) لأن الأمير علاء الدين على بن أحمد الطبريسى الشهير بابن السائس ولى نظارتها بعد وفاة منشئها فعرفت به .

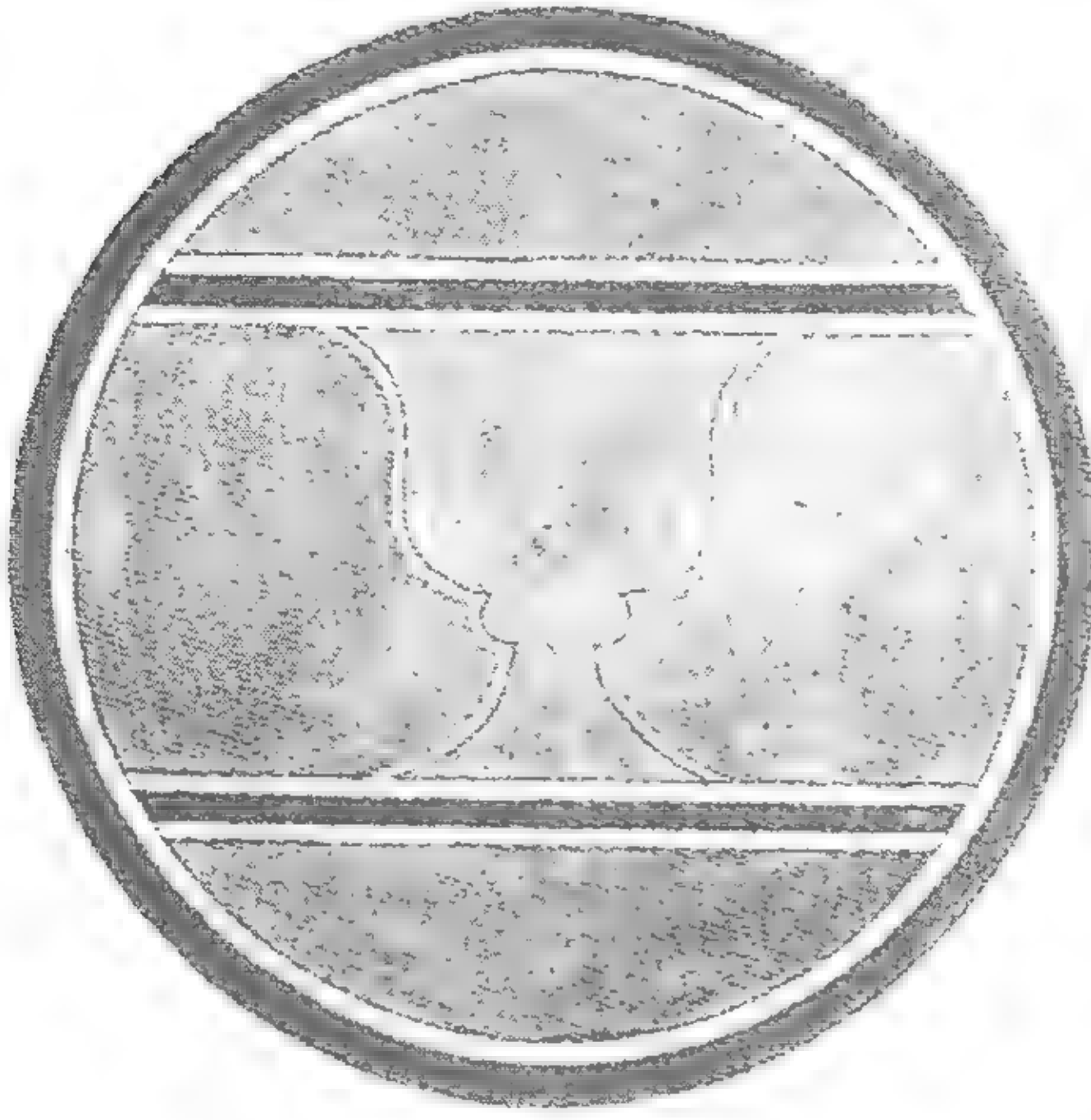
والوجهة الغربية هى الرئيسية وتجمع القبة والمنارة والمدخل ثم سبيلا وكتابا، إذ ينتهى طرفها القبلى بقبة شاهقة مضلعة تضليعا حلزونيا نعتبره الأول من نوعه، له نموذج ثان فى قبة أيتمش البجاسى مع تنوع بسيط فى مبدأ التضليع . ثم شبايك الإيوان الغربى، ويستريح النظر فيها أن ثلاثة منها يجمعها حجر واحد ينتهى بمقرنصات متعددة الحطات، كما أن كلا من وجهة القبة والمسجد قد حلى بعقود محارية . وهذا النوع من العقود قد ألفنا مشاهدته فى الآثار الفاطمية والأيوبية، ويندر استعماله فى الوجهات الحجرية المملوكية، وقد سبق الى استعماله مهندس مسجد المهندار المنشأ سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م)، كما يوجد فى صفة مدخل مدرسة السلطان حسن .

(*) انظر الصور من رقم ١٢٠ — ١٢٤ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) المقرئى ج ٢ ص ٣٩٩ (٢) تعليق أستاذنا المرحوم محمد بك رمزى بهامش ص ٢٠٥ ج ٨ النجوم الزاهرة .

وتنتهي الوجهة بشرفة موزقة تشعر بأنها أخذت مكانها بجانب الشرفة المسننة منذ النصف الثاني للقرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) .

وتقوم المنارة على يمين الباب ، وهي منارة مبنية بالحجر وحليت بزخارف ومقرنصات . ويستري النظر فيها عدا رشاققتها تلبس الحجر في بدن دورتها المستدير بشكل شرفات ، وظاهرة اتخاذ تلبس الحجر الأصفر في الأبيض أو الأحمر في الأبيض في المنارات ، ألفنا رؤيتها في هذا العصر ، بل تعتبر من مميزاتا . وتقوم دورتها الثالثة على عمدة رخامية رشيقة تحمل خوذة ، وفي هذه الدورة نرى ابتكارا جديدا لعله الأول من نوعه ؛ فقد استبدلت بشقق الدرازين حول قاعدة الخوذة شرفات صغيرة ، وقامت رأس الخوذة على ترس تحته حطة مقرنص ؛ نعم وجدت الشرفة في منارة مسجد بشتاك ولكنها حديثة ، وكذلك رأينا الدورة الثالثة لمنارة آسنبغا البوبكري ، مطابقة لهذه ، وكلتاهما من المنارات الرشيقة ، وهما متعاصرتان .



رنك المنشئ

والباب الرئيسي قد كسى بالرخام وعليه رنك المنشئ ، ومكتوب على جانبيه : ”بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله — الى المهتدين . صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم . أمر بإنشاء هذا الجامع والمدرسة المباركة المقر الأشرف العالي المولوى الأمير السيفي أبلحاي أتابك العساكر المنصورة الملكى الأشرفى عز الله نصره بتاريخ شهر رجب سنة أربع وسبعين وسبعمائة“ .

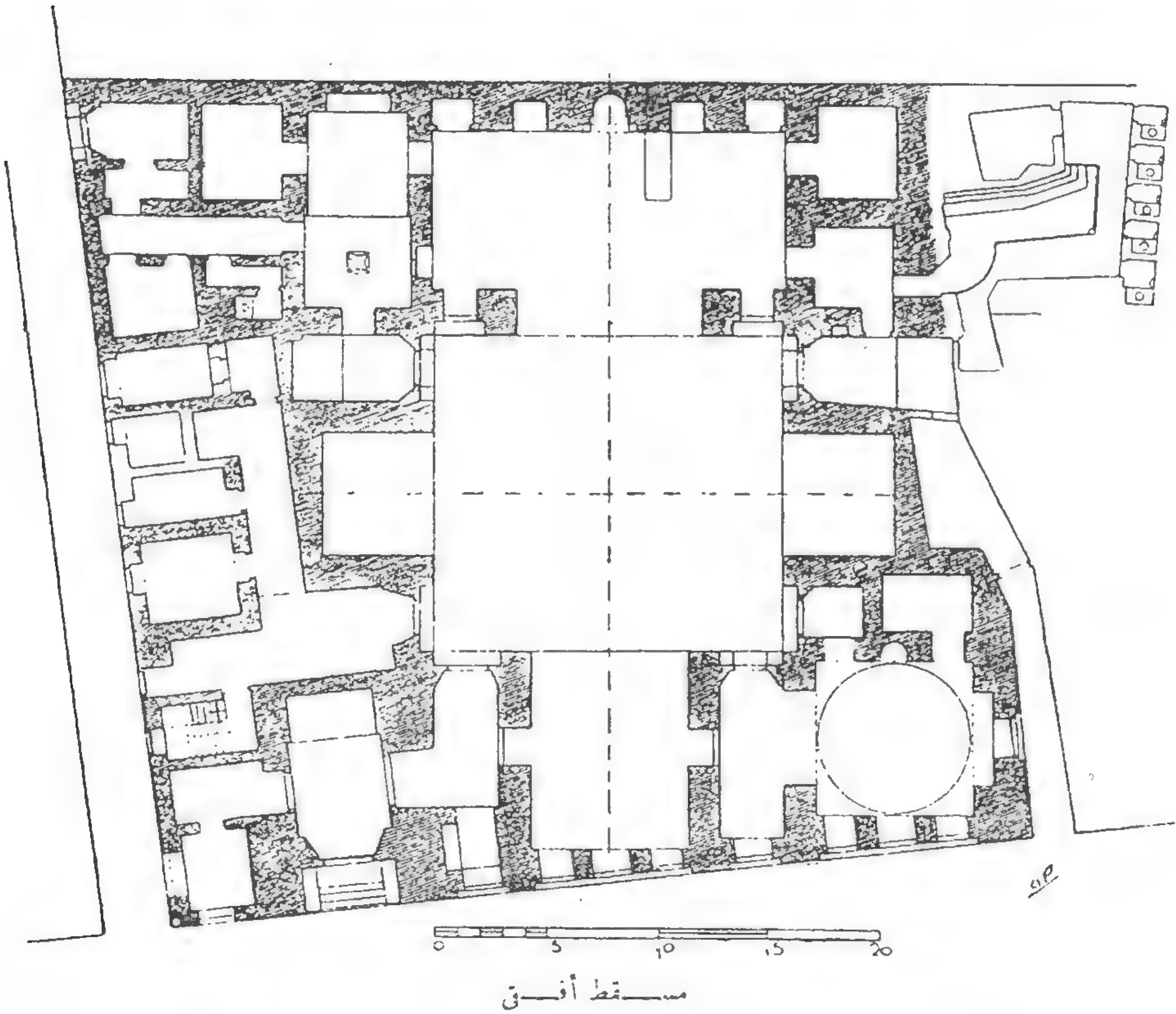
ويعلو الباب لوح رخامى مكتوب فيه : ”بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا الجامع والمدرسة المباركة المقر الأشرف أبلحاي أتابك العساكر المنصورة الملكى الأشرفى غفر الله له ولجميع المسلمين بتاريخ شهر رجب سنة أربع وسبعين وسبعمائة“ .

وهذان النصان تضمنتا أن هذا البناء أعد ليكون جامعا ومدرسة ، وهذا مؤيد لنظرية أن هذه المنشآت روعى في تسميتها الأغراض التى خصصت لها لا لطرز بنائها .

وعلى يسار الباب سبيل ناصيته قائمة على عمودين أحدهما فوق الآخر ، له سقف جميل من برطوم ومربوعات مطعم بالصدف وتحت مقرنص ومكتوب عليه لوحة تاريخية نصها : ”جده الأمير

محمداً أعا سنة ست وأربعى وألف“، وكان مصراعاً الباب مغشىى بالنعاس، كما تدل على ذلك بقاياه، وهو يؤدى الى طرقة بها مصابة غاية فى الفخامة ودقة الصنعة، ومن الداخل تصمى مدرسة، أربعة إىوانات حول صحن مكشوف.

ومن أهم ما عنى به المهندس حرصه على المضاهاة، فلىس هناك باب ولا شباك إلا وىقابله مثله، فكما يكتنف الإىوان الغربى بابان يكتنف الإىوان الشرقى شباك كان يعلوها شبابىك كى تنسجم أىضا مع فتحات الناصىتىن بجوارهما، وقد غطى الشبابىك العلى فى الزوايا الأربع للصحن بمقرنصات ذات دلاىات أكسبها منظراً رائعا.



والمسجد وإن كان طراً علىه تفىر أفقده سقف الإىوانى الشرقى والغربى فإن سقفى الإىوانى البحرى والقبلى ىنبثان على ما كان علىه من جمال، كما أن الشباك الجصى الباقى بالإىوان الغربى ىنبى على ما كانت علىه بقىة الشبابىك من دقة.

والمحراب حجرى بسىط حلىت تواشىحه بزخارف وزقة، بجاوره منبر حشواته مدقوقة بالأوىة ومحاطة بأشرطة من السن، وهو طرفة قىمة، ومكتوب أعلى بابه: ”بسم الله الرحمن الرحىم فى بىوت

أذن الله أن ترفع ويزكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال وكان الفراغ فى شهر سنة أربع وسبعين وسبعائة“ .

والقبة فى الركن القبلى الغربى، وقد دفن بها المذنب؛ وهى قبة حجرية شاهقة الارتفاع، بابها يؤدى الى طرقة بسيطة غطيت بسقف به بقايا قصع غير مقعرة حافاتها مئمة، ومكتوب على الباقى من الإزار: ”... تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويعمل لك قصورا... أنا بك العساكر المنصورة الأشرفى ختم الله بالصالحات أعماله“، وفى هذه القبة تعددت الشبابيك من جصية وغيرها بقصد المضاهاة أيضا .

أعمال الإصلاح — أدركت لجنة حفظ الآثار العربية هذا المسجد فى حالة سيئة جدا؛ فقد كانت شبابيك القبة والمسجد بوجهته الغربية محولة الى دكاكين، فترعت ملكيتها وأصلحت الوجهة وأعادتها الى أصلها، وكذلك عنت برفع الانتقاض وإزالة المباني المحدثه بالمدرستين على يمين ويسار الإيوان البحرى، وأسفرت التخلية عن أن القسم الذى على يسار الإيوان البحرى كان مخصصا لسكنى الشيخ الذى يتولى التدريس بالمدرسة، وعن أن القسم الذى على يمين هذا الإيوان كان مخصصا لإقامة الطلبة، وكلاهما ما زال فى حاجة الى الإصلاح والتدعيم .

وفى عهد المغفور له الملك فؤاد الأول عنى بإصلاح القبة والمئارة فقومت مبانيهما . وفى عهد الملك الصالح فاروق الأول عنى بإصلاح وجهة المسجد وتقوية مبانيه .



مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق

شارع المعز لدين الله^(١) (بين القصرين^(٢))

الظاهر برقوق — الملك الظاهر برقوق بن أنس بن عبدالله الجركسي العثماني كان اسمه الطون بغا ، فلما أحضره الخواجه عثمان تاجر الرقيق باعه الى الأمير يلبغا الكبير فسماه برقوقا لتو في عيده ، وبقى في خدمته الى أن تقي الى الكرك ، ثم ألحق بخدمة منجك نائب الشام ، ثم حضر معه الى مصر فأنصل بخدمة الأشرف شعبان ورقى الى إمرة أربعين . ومقدم ألف ثم أتاكبا للعساكر في دولة المنصور على . ولما عين طشتمر العلائي مدبرا للملكة كان برقوق في خدمته حتى سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م) حينما ثار عليه المماليك ، فأنهى الأمر باستقرار بركة وبرقوق في تدبير الملكة بعد القبض على طشتمر . فلم تطل الأيام حتى اختلفا وتباينت أغراضهما وقامت بينهما حروب دامت أياما الى أن قبض على بركة وسجنه بالاسكندرية . وانفرد برقوق بتدبير الملكة الى أن حل شهر رمضان سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) ، فتم له الأمر واستقبل بالملك ولقب بالملك الظاهر وبايعه الخليفة المتوكل محمد بن المعتضد ، واستمر في الملك الى أن عزل عنه في جمادى الأولى سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) بالملك المنصور حاجي . ثم عاد الى ملك مصر ثانية في ١٤ صفر سنة ٧٩٢ هـ (١٣٩٠ م) وبقى فيه الى أن توفي ليلة نصف شوال سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٩ م) ، وقد أثنى عليه كثير من المؤرخين فوصفوه بالشجاعة وميله للفروسية وإجادته اللعب بالرمح وأنه أبطل كثيرا من المكوس . وقد اتسع ملكه حتى خطب باسمه في ماردن والموصل وسنجار وغيرها . ودفن بالصحرَاء مع مجموعة من العلماء والصالحين منهم الشيخ علاء الدين السيرامي ، وأوصى ببناء تربة عليهم يلحق بها مسجد وخانقاه ، فنفذ وصيته ابنه الناصر فرج .

(*) أنظر الصور من رقم ١٢٥ — ١٣١ ، مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) لشارع بين القصرين ذكر بات تاريخية مجيدة لازمت حضارة القاهرة في أزهى عصورها الاسلامية . فقد عرف بهذه التسمية لوقوعه بين القصرين الفاطميين : (الشرق الكبير) . وقد حل في قسم من أرضه المدرسة والقبة الصالحية والمدرسة الظاهرية القديمة وسبيل محمد علي وسوق السلاح القديم وتصر بشتاك ، (والقصر الصغير الغربي) . وكذلك حل في قسم من أرضه مدرسة وقبة وبيمارستان فلادون ومدرسة ابنه الناصر محمد والمدرسة الظاهرية (برقوق) ومدرسة الحديث الكاملة . ثم جددت هذه التسمية في القرن الثامن الهجري — (الرابع عشر الميلادي) بسبب إنشاء قصر الأمير يسرى وقصر الأمير بشتاك تجاهه وقد ضاع الأول . وكان الشارع منسما تعرض فيه البلند في الدولة الفاطمية . ومنذ قيام الدولة الأيوبية خصص لبيع الحلوى والمأكولات والفواكه ، وكان من أهم أسواق القاهرة يزوره في الليل أعيان مصر وسكانها للتمتع برؤيته مضاء — كذلك كان به مجتمعات لقراءة السير والأخبار وإنشاد الأشعار والتفنن في أنواع الألعاب والملاهي ، حتى إن الواقدين على مصر كانوا يعجبون بعمران هذا الشارع ويهرمون إليه للتمتع ببجالة وبها حواء .

(٢) تربة القوس والأبدان ج ١ ص ٣٠٨

وكان محبا للعمارة فأجرى إصلاحات في الحرمين المكي والمدني، وجدّد خزائن السلاح بالإسكندرية وسور دمنهور، وعمر زاوية البرزخ بدمياط، وقناة بالقدس، وأصلح قناطر المياه بمصر، وأنشأ قبة الشيخ رجب الشيرازي بالمحجر سنة ٧٨١ هـ (١٣٧٩ م)، ثم هذه المدرسة .

تاريخ إنشاء المدرسة — هذه المدرسة أولى المنشآت العمارة في دولة المماليك الجراكسة وكان بموضعها قبل إنشائها فندق يعرف بخان الزكاة^(١) كان مملوكا لورثة الناصر محمد بن قلاوون . ففي ١٢ رجب سنة ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م) ، اشتراه منهم وعهد الى الأمير جركس الخليلي^(٢) الأمير آخور بالإشراف على العمارة، فابتدأ في الهدم يوم الأحد ٢٤ رجب من هذه السنة .

وفي يوم الخميس أوائل شوال سنة ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م)، وضع الحجر الأساسي لإنشاء مدرسة وخانقاه عرفت «بالمدرسة والخانقاه البروقية» ، واستحضر لبنائها أحجارا ضخمة أعدها العجول لسحبها على عجل خصص لنقلها من الجبل . ومن ذلك الحين أطلق المعماريون على الحجارة الكبيرة أسم «عجالي» . وفي ١٤ جمادى الأولى سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م)، نقل رفات والده أنس وآبن له من تربة الأمير يونس^(٣) الدوادر الى قبة هذه المدرسة .

وفي يوم الخميس ١٢ رجب سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) فرشت المدرسة بالحصر العبداني^(٤) والأبسطة عمل الشريف، واجتمع القضاة والعلماء والأمراء وأعدت الأطعمة وملئت الفسقية بالسكر وحضر الظاهر برقوق إلى المدرسة بمناسبة الفراغ من عمارتها . وبعد أن عاينها أنعم على الأمير جركس الخليلي وعلى معلم المعلمين شهاب الدين أحمد بن الطولوني (المهندس) ، كما أنعم على ممالك الأمير جركس الخليلي الذين عاونوه في مباشرة العمارة وعدتهم خمسة عشر . ثم شرح العلامة علاء الدين علي بن أحمد السيرامي قوله تعالى : ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ — ثم قرأ القارئ ما تيسر من القرآن ودعى للسلطان وانهت الحفلة .

وفي يوم الجمعة ١٠ رمضان سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) أقيمت الجمعة فيها^(٥) ، وحضر قاضي القضاة الحنفى وحكم بصحتها، طبقا للتقاليد ثم عين بها المدرسين فقرر دروسا للأذهاب الأربعة وللتفسير والحديث والقراءات .

(١) الضوء اللامع ج ٣ ص ١١ ، والمآثر الصافي ، نزعة النفوس والأبدان ج ١ ص ٤٣

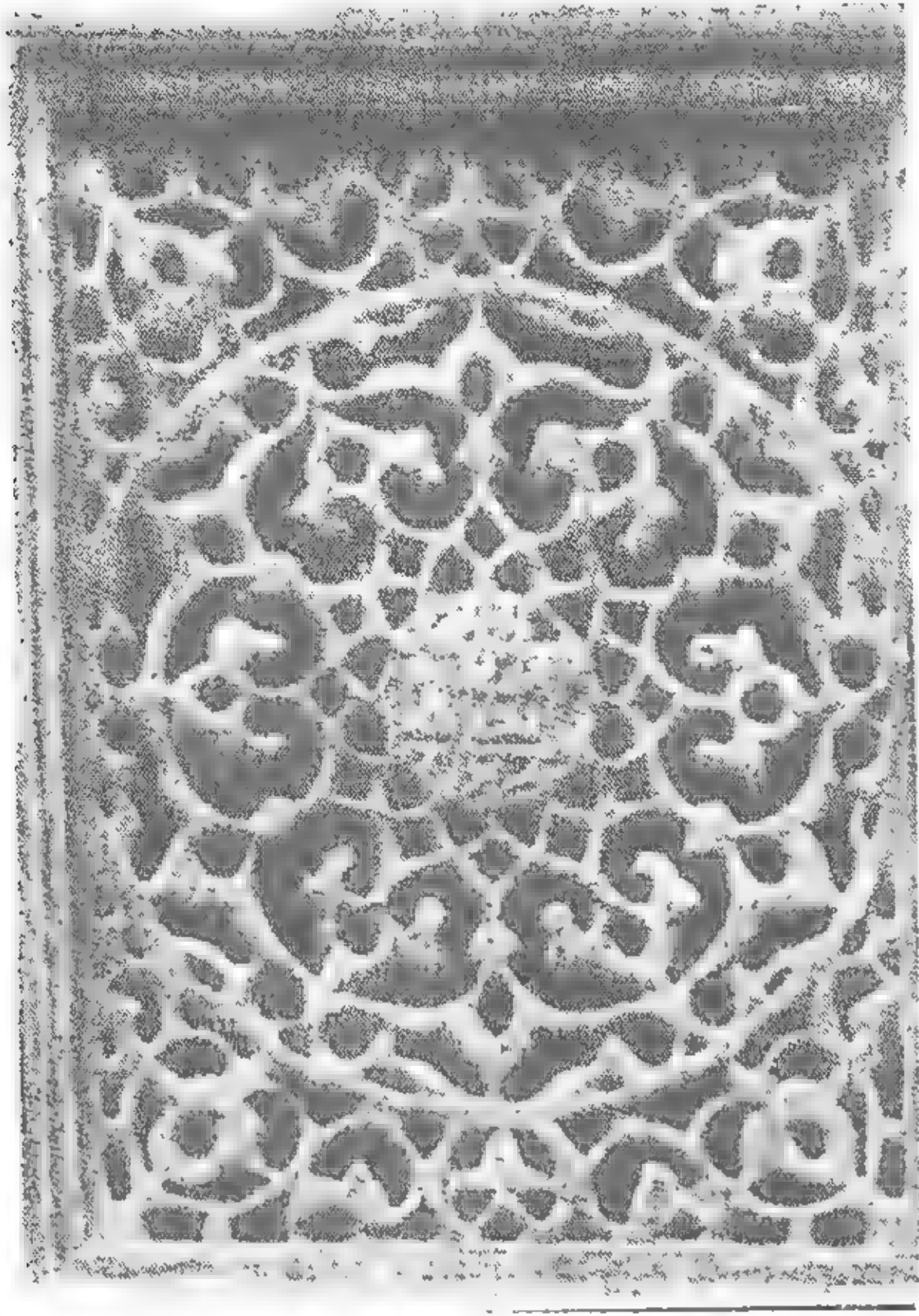
(٢) أمير آخور كبير : وظيفة للأمير الذي يشرف على الاصطبلات السلطانية بما فيها الهجن والبريد .

(٣) هذه القبة بجوار خانقاه فرج بن برقوق بالصحراء من الجهة البحرية الغربية وتعرف بقبة أنس .

(٤) الحصر العبداني يستنبت سمارها بمصر جهة الفرما وتصنع بالإسكندرية (الفضائل الباهرة) .

(٥) نزعة النفوس ج ١ ص ٦٧

وصف المدرسة — قبل الدخول في وصفها نلقى نظرة على وجهتها الرئيسية المشرفة على الشارع فترى وجهة عالية مبنية بالحجر، يتدنى طرفها القبلي بالباب العمومي المكسى بالرخام الملون، الملبس بطريقة فنية، نماذجها قليلة، اقتبست من مسجد أصلم السلحدار في مثل هذا الوضع، وبها شباك مستدير مفرغ بالنحاس يعلوه المقرنص، تتخلله فروع زخرفية. وينتهي الطرف البحري بمنارة عظيمة مكونة من ثلاث دورات امتازت بتلبيس الرخام في بدن دورتها الثانية، وهو أقدم النماذج لتلبيس الرخام في بدن المنارات بمصر. فقد سبقه تلبيس الحجر الملون في المنارات السابقة لها. ويتوسط الواجهة شبابيك من النحاس، بأعقابها مزرورات من الرخام، وخلقت في أكافها عمدة من الحجر نقش تيجانها، تعلوها شبابيك غطيت بمصاريع من الخشب المجمع بأشكال هندسية آية في الإبداع، وغطاء الشبابتك بمصاريع خشبية بدل الحصية نماذجها معدودة، أقدمها في سبيل الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين، ثم في جامع ألماس فمدرسة بيدمر البدرى.

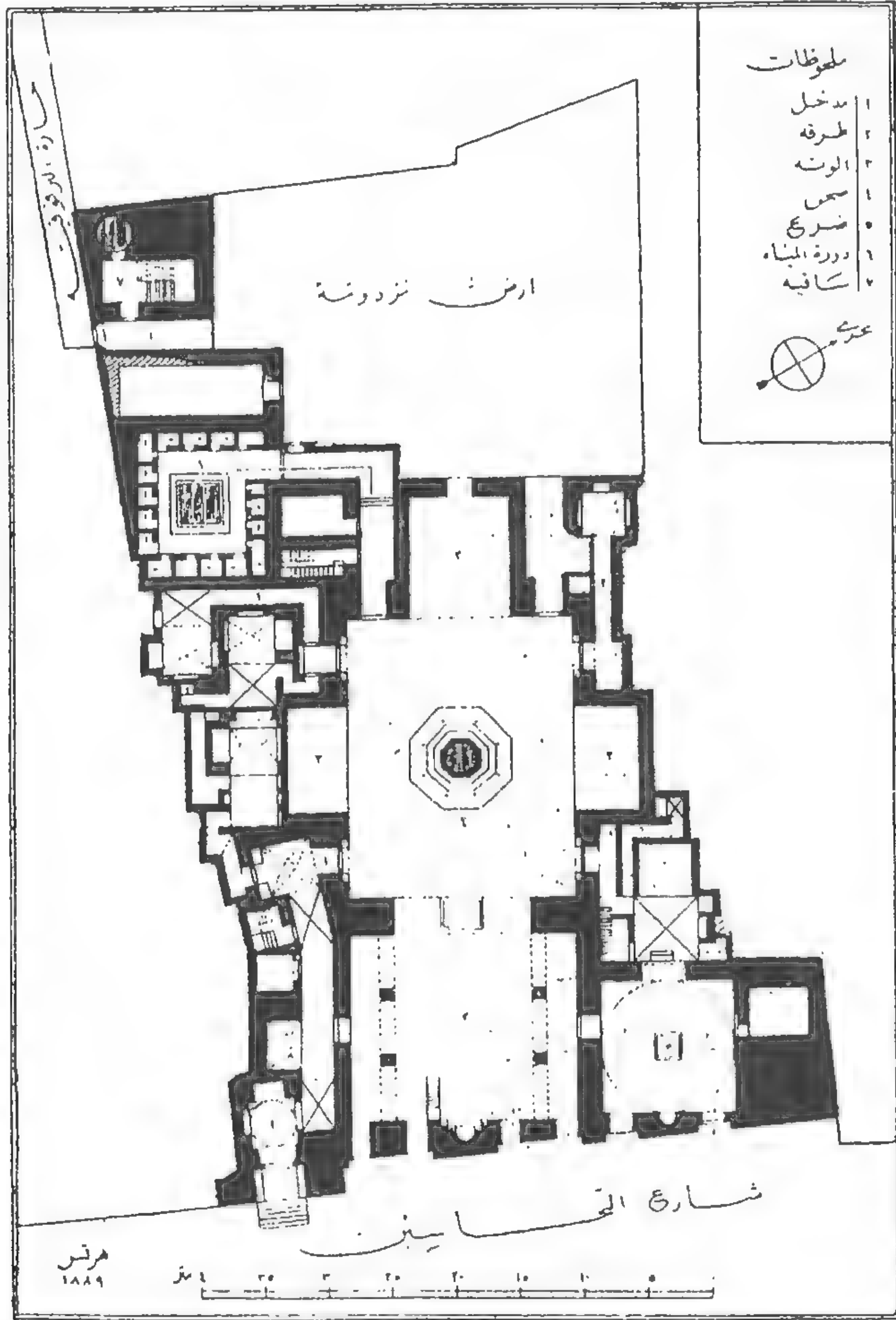


شباك نحاسى مصبوب

وتتوج الواجهة بطراز كتب فيه أسم المنشئ وألقابه وتاريخ الفراغ من العماره بما نصه :
”بسم الله الرحمن الرحيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة والخانقاه مولانا السلطان الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق سلطان الإسلام والمسلمين نصره الغزاة والمجاهدين حامى حوزة الدين ذخر الأيتام والمساكين كثر الطالبين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية عز نصره وذلك فى مباشرة العبد الفقير الى الله تعالى المقر السيفى جركس الخليلى أميرآخور الملك الظاهر أبو سعيد برقوق أدام الله أيامه بمحمد وآله يارب العالمين وكان الفراغ فى مستهل ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وسبعائة“

ترك الواجهة لنجتاز الباب الرئيسى، وقد ركب عليه مصراعان مغشيان بالنحاس المفرغ بنقوش دقيقة ومكفت بالفضة، وقد كتب عليه أسم المنشئ وألقابه وتاريخ مستهل ربيع الأول سنة ٥٧٨٨هـ، وهما أقرب المصاريع شها بمصراعى السلطان حسن بجامع المؤيد، وكلاهما من أنفس المصاريع

النحاسية. وهذا الباب يؤدى الى طرقة مربعة غطيت بقبة صغيرة مئنة الأضلاع ملبسة بالججر الأحمر والأبيض ، على يمينها باب يؤدى الى طرقة مستطيلة فرشت أرضيتها بدوائر الرخام المألون تؤدى الى صحن المدرسة ، وقد أحيطت به الأبواب الأربعة التى غشيت مصاريعها بالنحاس وحليت أعتابها بالرخام الملبس بالججر. ويعلو كل باب شبك صغير من النحاس المفرغ بأشكال هندسية لعلها النموذج الثالث لشبابيك النحاس المصبوب ؛ إذ الأول فى قبة الصالح نجم الدين والثانى فى المدرسة الطيرسية بالأزهر .



مسقط أفق

ويكتنف الإيوان الغربى بابان أحدهما يؤدى الى الخانقاه وما زالت بقاياها موجودة وقد لبست أعتابهما بمزرات رخامية. وبوسط الصحن فسقية عليها قبة أقيمت على ثمانية أعمدة جددتها لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٣١٤ هـ حلت محل سابقتها القديمة الباقى منها فوارتها .

ومكتوب حول الصحن : ”بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم الى قوله تعالى لا إكراه فى الدين الآية — آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى قوله تعالى وإليك المصير صدق الله العظيم وكان الفراغ فى مستهل ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وسبعائة “ .

أما تصميمها فهو كبقية المدارس : أربعة إيوانات أحدت بصحن مكشوف ، وأهمها إيوان القبلة فقد فرشت أرضه بالرخام . القسم الأمامى منه على هيئة محاريب مقتبسة من مثلتها فى خاتناه ببيرس الجاشنكير ، وكلاهما مقتبس من فكرة الحصر الفاطمية ذات المحاريب التى انتشرت فيما بعد فى السجاد . وجانبها الإيوان مؤزران بالرخام ، وبصدره المحراب ؛ وهو من أدق أعمال الرخام فى هذه المدرسة ؛ فقد أبس الرخام الأسود على شكل شرفات فى أرضية بيضاء بها فصوص صدفية وفيروزية وحمراء . وعلى جانبي هذا الإيوان إيوانان صغيران كل منهما أقيم على عمودين ضخمين من الجرانيت ، ولكل منهما سقف مذهب ذو دلايات . أما سقف القسم الأوسط فهو مستو ويتوسطه سرة مخصصة ، وقد حلى بنقوش مذهبة ، وهو من أنقىس السقوف . وقد حاكاه فيما بعد الأشرف برسباى فى سقف الإيوان الغربى بمدرسته بالأشرفية . والمنبر تسوده البساطة ، ومنشئه الملك الظاهر أبو سعيد جقمق ، وأسمه منقوش عليه بما نصه : ” أنشأ هذا المنبر المبارك السلطان الملك الملك الظاهر محمد أبو سعيد جقمق عز نضره “ .

وبطرف هذا الإيوان دكة المبلغ من الرخام ؛ كما يوجد به كرسي المصحف طعمت جوانبه بحشوات من السن ملبسة فى الخشب ، أما الإيوانات الثلاثة فهى معقودة . وفى الطرف البحرى قبة يتوصل إليها من باب على الصحن يؤدى إلى المدرسة ثم إليها ، وأمامها طرفة مربعة يحدق بها أربعة أبواب حفرت مصاريعها بزخارف نباتية موزقة بشكل مبتكر ؛ فقد حفر بوسطه رسم بخارية يحيط بها أربع زوايا مثل كسوة الأبواب النحاسية ومكتوب عليه : ” عز مولانا السلطان الملك الظاهر برقوق “ . وقد عممت هذه الطريقة فى الشبائيك العلوية للمدارس المشرفة على الصحن . وقد رأيت مثالا ثانيا لهذا النوع فى شبائيك الوجهة البحرية للمدرسة الجوهريّة بالجامع الأزهر . وعلى فتحة القبة حجاب من خشب الخراط مكتوب عليه : ” بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه القبة المباركة من فضل الله تعالى مولانا السلطان الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق عز الله نصره وذلك بتاريخ مستهل ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وسبعائة “ .

وهى قبة غنية بزخارفها فى الوزرات الرخامية ، وفى المحراب والنقوش ؛ فقد ارتفعت الوزرة فى جدرانها الأربعة إلى عقد المحراب . ويتوسطها قبر دفن فيه والد المنشئ وأولاده وقاطمة أم خوند وخوند شيرين زوجته .

ويحيط بمربها افريز مذهب ينتهى بشرفة صغيرة مكتوب فيه : ” بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا ،
أمر بإنشاء هذه القبة المباركة والمدفن المبارك والمدرسة المباركة والخانقاه مولانا السلطان المالك
الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبوسعيد برقوق العالم العادل المجاهد الم رابط المؤيد الغازى الحاكم
بأمر الله والنسالى لكتاب الله سلطان الإسلام والمسلمين نصرة الغزاة والمجاهدين حامى حوزة الدين
ذخر الأيتام والمساكين صاحب الصدقات والمعروف المغيث لكل مظلوم وملهوف أدام الله أيامه
وأعز أحكامه وختم بالصالحات أعماله يا رب العالمين ، وكان الفراغ فى مستهل ربيع الأول
سنة ثمان وثمانين وسبعائة “ .

أما القبة فقد أنشأتها لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٣١١ هـ - (١٨٩٣ م) واحتفظت
بمقرنصها القديم المشحون بالزخارف المائنة والمذهبة .

ويلحق بهذه القبة فى جدارها البحرى مكتبة لحفظ المصاحف عثرت فيها سنة ١٩٣٨ على نحو
مائة وخمسين قطعة زجاجية من مشكاوات منقوشة بالمينا أودعت دار الآثار العربية . ومن حسن
المصادفات أنها أكلت مشكاوات ناقصة كانت منقولة إليها من هذه المدرسة . وهى مخصصة للإضاءة .

المهندس — لم نعرف من أسماء المهندسين الذين شادوا تلك المنشآت المعمارية العظيمة
إلا النذر اليسير . ومن حسن الحظ أن نعرف أسم مهندس هذه المدرسة وهو شهاب الدين أجد
ابن الطولونى^(١) ، وهو مهندس ابن مهندس من أسرة اشتغلت بالهندسة وقامت بأعمال معمارية فى مصر
والبحار . وقد بلغ من إعجاب الملك الظاهر برقوق به وتقديره له أن صاهره فى ابنته . ويعلق
المغفور له أحمد تيمور باشا^(٢) على تلك المصاهرة بأنها تدل على ما كان للمهندسين ونحوهم من المكانة
العظيمة بين الناس بحيث لا يترفع السلطان عن مصاهرة أحدهم .

أعمال الإصلاح — لقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بأعمال جلية فى هذه المدرسة ؛
فأصلحت رخامها ونجارتها وقومت مبانيها وأصلحت السقوف وزهبتها ، كما أنشأت القبة الكبيرة
سنة ١٣١١ هـ - (١٨٩٣ م) طبقا لصورة قديمة وقبة الصحن سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) .
والحق أنه عمل جليل يعد من مفخر هذه اللجنة وبرهان ساطع على مقدار دقتها وعنايتها
بالآثار الإسلامية .

(١) المنهل الصافى ، ج ١ ص ٣١٧ رزمة الفوس والأبدان ج ١ ص ٦٤ (٢) المهندسون الإسلاميون .

مسجد الإمام الليث

بشارع الإمام الليث^(*)

الليث بن سعد — الإمام الكبير الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي^(١) — نسبة إلى فهم، وهم بطن من قيس عيلان — الأصفهاني الأصل، المصري، فقيه مصر وأحد أعلامها. كنيته أبو الحارث وهو من تابعي التابعين.

ولد في شعبان سنة ٥٩٤ هـ (٧١٣ م) حسب روايته. وقيل: إنه من أهل قلقشندة إحدى قرى مديرية القليوبية وبها ولد.

كان من الشخصيات البارزة في مصر، وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه يتأسف على فوات لقائه. وكان مع علمه وثرائه ممتعا جوادا؛ فقد كان دخله كل سنة حوالي مائة ألف دينار. وما وجبت عليه زكاة قط. لأن الحول لا ينقضي حتى ينفقها ويتصدق بها لذلك لقب بأبي المكارم. وقيل: إن الإمام مالكا كتب إليه من المدينة:

”بلغني أنك تأكل الرقاق وتلبس الرقاق وتمشي في الأسواق“ فكتب إليه الليث بن سعد^(٢) (قل من حرم زينة الله) الآية. وقد استقل بالفتوى في عصره بمصر.

وقيل أيضا: إنه أول من دُون ديوان الأحباس بمصر في أيامه. وأُفرد للارزاق الاحباسية ديوانا يختص بها دون ديوان الجيش. وأجمع العلماء على أمانته في الفقه والحديث.

وقال يحيى بن بكير^(٣): ما رأيت أحدا أكل من الليث بن سعد؛ فقد كان فقيها عربيا اللسان يحسن القرآن والفقه والنحو، ويحفظ الحديث والشعر، حسن المذاكرة بها.

توفي إلى رحمة الله يوم الخميس متصفاً شهر شعبان سنة ١٧٥ هـ (ديسمبر سنة ٧٩١ م) ودفن يوم الجمعة بالقرافة الصغرى. وقد أسف عليه أهل مصر وصار يعزى بعضهم بعضا.

ولما أتى الإمام الشافعي^(٤) مصر زار قبر الليث وقال: «ما فاتني شيء كان أشد عليّ من ابن أبي ذئب والليث بن سعد». كما يروى أن الإمام الشافعي لما وقف على قبره قال: «لله درك يا إمام! لقد حزت أربع خصال لم يكملهن عالم: العلم والعمل والزهد والكرم».

(*) انظر الصور من رقم ١٢٢ — ١٣٥ مجموعة الصور الفوتوغرافية. (١) ابن خلكان ج ١ ص ٦٢٥، تهذيب الأسماء ص ٥٢٩. (٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٨٢، الكواكب السيارة ص ٩٩ — ١٠٠. (٣) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٤ طبع الوطن. (٤) وقال أبي حيان سنة ١٧٦، ٧٧ وقال أبي سعد سنة ٦٥ (٥) الكواكب السيارة ص ١٠٠.

موقع المسجد وتاريخه — بعد أن انتقل الى رحمة الله تعالى الامام الليث بن سعد دفن في مقابر الصديين بالقرافة الصغرى . وكان قبره كالمصطبة مكتوب عليه : ” الإمام الفقيه الزاهد العالم الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث المصري مفتي أهل مصر “^(١) .

وبعد سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) أقام أبو زيد المصري كبير التجار بناء على القبر، واستمر أهل الخير يتبارون في زيادة هذا البناء . وحوالي سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) جدد قبته الحاج سيف الدين المقدم^(٢) .

وأخبرنا المقرئ المؤرخ عن عمارة أجريت بالمسجد في دولة الناصر فرج بن برقوق على يد الشيخ أبي الخير محمد ابن الشيخ سليمان السادح في محرم سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨ م) . ويوجد بالمسجد باب صغير مبنى بالحجر أمام قبة الليث، ونجهه من الخارج محاط بالنقوش، ومكتوب على جانبيه بسملة أدخلوها بسلام آمين (الآية) ومكتوب أعلاه : ” هذا مقام السيد الإمام الليث بن سعد تفننا الله به آمين “ . ومكتوب فوق العتب : ” جدد هذا المقام المبارك في أيام سيدنا ومولانا السلطان الأعظم الملك الظاهر محمد عز نصره ، على يد الفقير الى الله تعالى أبو بكر بن يونس شيخ القرافتين الصوفي خادم السيدين الإمامين الشافعي والليث بن سعد لطف الله به في المحرم عام أحد عشر وثمان مائة “ .

وهذا الباب بقي من العمارة التي أجريت بهذا المسجد بإشراف الشيخ أبو الخير محمد السادح .

ولكن التناقض الموجود في هذا النص يحتمل على القول بأنه حدث في دولة الملك الظاهر محمد أبي سعيد جقمق أن قام شخص ما — ولعله أبو بكر بن يونس — بحو اسم الناصر فرج وأثبت اسم سلطان وقته الظاهر محمد ، كما يحى اسم سلفه أبي الخير السادح شيخ القرافتين الصوفي وخادم الإمامين وأثبت اسمه مكانه . ثم فاته تغيير التاريخ فتم ذلك مع أسباب فنية أخرى على هذه السريقة التاريخية .

وفي سنة ٨٣٢ هـ (١٤٢٩ م) جددته السيدة مرحبا بنت إبراهيم بن عبد الرحمن . وفي سنة ٨٨٤ هـ (١٤٧٩ م) أنشأ الأمير يشبك من مهدى أحد أمراء الملك الأشرف قايتباي منارة في الطرف القبلي الغربي للمسجد الحالي، وهي منعزلة عنه الآن ، وقائمة على ساباط ، ولها قاعدة مربعة تعلوها كسرات هرمية ، وبكل من أضلاع المثلثين بخارية منقوشة . ومن مميزات أن خضراف جلستها الأولى به نقوش بدل المقرنصات . ومكتوب عليها ما نصه : ” أمر بإنشاء هذا المنار المبارك المقتر الأشرف العالي المولوى الأميرى الكبيرى المالكى المندومى المجاهدى المرباطى المشاغرى المؤيدى الذخرى الهامى القوامى السيدى السندى السيفى يشبك من مهدى أمير دوا دار كبير الملكى الأشرفى

(١) المقرئى، ج ٢ ص ٤٦٣ (٢) المقرئى، ج ٢ ص ٤٦٣

عن نصره بتاريخ أربع ... “ . وبقى الكتابة محتجب خلف بناء منزل مجاور لأحد أضلاع المنارة . كما أن بدن دورتها الثانية منقوش بنقوش دقيقة .

وفي سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) جدد المسجد السلطان الغوري . ولم يبق من عمارته سوى الباب الثالث الكبير المؤدى إلى المسجد . وهو مبنى بالحجر وبه دائرتان بهما اسم الغوري ، وتاريخ العمارة مكتوب على جانبيه بما نصه : “ أمر بإنشاء هذا الباب الشريف من فضل الله تعالى سيدنا ومولانا ومالك رقابنا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري عن نصره . وكان الفراغ من إنشاء هذا المكان في مستهل رجب الفرد من سنة إحدى عشرة وتسعمائة “ .

وهو من الأبواب البارزة عن الواجهة مثل بابي مسجدى الحاكم بأمر الله والظاهر بيبرس بميدان الظاهر . ومكتوب على الجنب الغربى منه : “ بسم الله الرحمن الرحيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة . الآية “ . وعلى الجنب الشرقى : “ ... ناظر الاصطبلات الشريفة وناظر هذا المكان الشريف غفر الله له “ .

ولا شك أن هذه الكتابة كانت متضمنة اسم المباشر لهذه العمارة لاشتمالها على وظائفه .

وفي شهر ذى القعدة سنة ١١٣٨ هـ (١٧٢٦ م) جدد المسجد والقبة الأمير موسى جوريجى مرزا مستحفظان . ومن أثر عمارته القبة والمقصورة الموجودتان حتى الآن . وأثبتت هذه العمارة فى لوحة تاريخية مثبتة بالقبة نصها : “ بسم الله الرحمن الرحيم هذا تاريخ تجديد رحاب الإمام الأعظم والملاذ الأكرم الليث بن سعد قدس الله روحه ونور ضريحه الذى جددہ الجنب الماعظم المخدم المكرم الأمير موسى جوريجى مرزا مستحفظان تابع المرحوم مصطفى جوريجى مرزا مستحفظان . وكان الفراغ يوم الخميس فى ٢٥ شهر القعدة سنة ١١٣٨ “ .

وفي سنة ١١٩٤ هـ (١٧٨٠ م) . أجريت عمارة بالمسجد ، كما أجريت به عمارة أخرى سنة ١٢٠١ هـ (١٧٨٦ م) . بقی منهما لوحان ثبتتا على الباب الخارجى تضمنتا أبياتا من الشعر فى مدح الإمام الليث . وكذلك أجرى به عمارة الأمير مصطفى أغا قوردزلى سنة ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م) . وبقى من عمارته لوح رخامى يقرأ فيه :

هذا مقام فيه ليث ضارى * أعنى وليا من عباد البارى

وقد كانت أعمال الإصلاح المتداولة على هذا المسجد داعية الى التغيير والتبديل فيه وعدم الإبقاء على أجزاء قديمة كثيرة ؛ اللهم إلا أجزاء بسيطة سأتناولها بالشرح حينما أقف أمامها .

فالقادم الى المسجد يهبط بضع درجات . فأول ما يصادفه باب حديث ثبت عليه لوحتان مؤرختان سنة ١١٩٤ و ١٢٠١ يقرأ على السفلى منهما .:

إذا رمت المكارم من كريم * فيعم من بني للفضل بيتا
فذاك الليث من يحيى حماء * ويكرم جاره حيا وميتا ١٢٠١

يلي هذا الباب باب آخر حادث أيضا يؤدي الى طرفة كبيرة بها عمودان رخاميان ، ثم باب ثالث مبنى بالحجر أنشاه السلطان الغورى سنة ٩١١ هـ . (١٥٠٥ م) . ونقل إليه من الإمام الشافعى مصرعان من الخشب بهما أويمة دقيقة وتاريخ سنة ٦٠٨ هـ . واسم الإمام الشافعى ؛ وهما طبق الأصل من صنوهما هناك . ويجاور هذا الباب مقصورة خشبية بها قبر الشيخ محمد الليثى . وهذا الباب يؤدي الى المسجد ، وهو مستطيل . على يمين الداخل إليه باب الضريح ، وهو حجرة مربعة أقيمت بوسطها قبة صغيرة محمولة على أربعة أعمدة رخامية بها قواعد وتيجان بها زخارف عربية وكتابات كوفية يقرأ عليها : ” بركة كاملة — نعمة شاملة ” لعلها باقية من عمارة سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) . يحيط بها سقف عليه نقوش وكتابات .

وتحت القبة تركيبة رخامية كتب على دائرها آية الكرسي ، وحولها مقصورة خشبية مطعمة بالصدف عليها تاريخ ٢٥ القعدة سنة ١١٣٨ هـ ، وهو تاريخ البعارة التى أجراها الأمير موسى جوريجى . وأمام هذه القبة قبة صغيرة فيها قبر محمد بن هارون الصدفى^(١) ، والإمام المحدث شعيب ابن الإمام الليث بن سعد ومكتوب على بابها : ” هذا مقام سيدنا ومولانا الشيخ شعيب ابن الإمام الليث بن سعد نعمنا الله ببركاتهم ” يجاوره الباب الباقى من عمارة الناصر فرج .

أما باقى المسجد ، بمحرابه ومنبره ، فحديث يرجع الى عمارة المرحوم إسماعيل بك ابن المرحوم راتب باشا الكبير سنة ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) ، وهو الذى جدد الإيوان بالقبة أيضا^(٢) . ومنذ سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) أو بعدها بتليل^(٣) اعتاد القراء الاجتماع كل يوم جمعة بعد الظهر بهذا المسجد لتلاوة القرآن الكريم تلاوة مجودة يختمونه فيها عند السحر ؛ وقد ظلت هذه العادة الى ما قبل خمسة وعشرين عاما .

أما الآن فيجتمع كبار القراء بالمسجد كل يوم جمعة من قبيل العصر الى قبيل الغروب ويتناوبون القراءة . وقد كان ملوك مصر يقصدون قبر الإمامين : الليث والشافعى للزيارة والتبرك ، خصوصا السلطان قايتباى والسلطان الغورى . وكثيرا ما كانت تقرأ فيهما ختمات القرآن وتوزع الصدقات تقربا الى الله تعالى وإهداء ثوابها الى سلطان الوقت .

(١) الكواكب السائرة ص ١٠١ (٢) الخطط الجديدة ج ٥ ص ٩٧ (٣) القوريزى ج ٢ ص ٤٦٣

المدرسة الباسطية

سكة الخمر نقش^(*)

القاضي عبد الباسط — القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الشافعي ، ولد بدمشق سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) ، وقيل : سنة ٧٩٠ هـ ، ونشأ بها في خدمة البدر محمد بن موسى كاتب السر ، ثم اتصل من بعده بالمؤيد شيخ الحمودي حينما كان نائبا بدمشق . وظل ملازما له حتى قدم معه مصر سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) .

ولما ولي المؤيد شيخ ملك مصر عينه ناظرا للخرانة والكسوة الشريفة ، فعنى بالكسوة عناية كبيرة وأدخل عليها تحسينات كثيرة . وبقي في هذه الوظيفة مدة اشترى خلالها قصر الأمير تنكر نائب الشام فأصلحه وزاد فيه وأخذ مسكنا له ، وهو القصر الذي آل الى المغفور له عباس باشا الأول فأنشاه إنشاء جديدا ، ثم آل الى أسرة البكري .

وقد أقام تجاهه مدرسة جميلة تم تشييدها سنة ٨٢٣ هـ (١٤٢٠ م) .

وبلغ القاضي عبد الباسط من الثراء جانبا كبيرا ، وعاش عيشة بذخ وترف ، واشترى كثيرا من الممالك . وكان متمتعا بمطف السلطان مقربا منه ، وكثيرا ما خصه بهبات سنية . وظلت حظوته قائمة بعد وفاة المؤيد شيخ عند الأشرف برسباي ، فقربه منه وعينه في الوزارة والأستادارية فناظرا للجيوش . وبعد أن اعتزل الوظائف حج غير مرة فأسدى خيرا كثيرا للأقطار المجازية . وظل ينتقل ما بين مصر والشام إلى أن توفي يوم الخميس ٤ شوال سنة ٨٥٤ هـ (نوفمبر سنة ١٤٥٠ م) ودفن في تربته بالصحرَاء^(١) .

ومن منشآته الخيرية مسجد في دمشق وآخر في غزة ثم هذه المدرسة ، ومما يذكر عنه سخاؤه في بناء هذه المدرسة ، فلم يسخر أحدا في بنائها . وبعد الفراغ افتتحها للصلاة وألحق بها مكتبة ، وخصص مرتبات لصوفييها . ولما قدم مصر العلامة محمد بن الجزري أنزله بها وحضر دروسه .

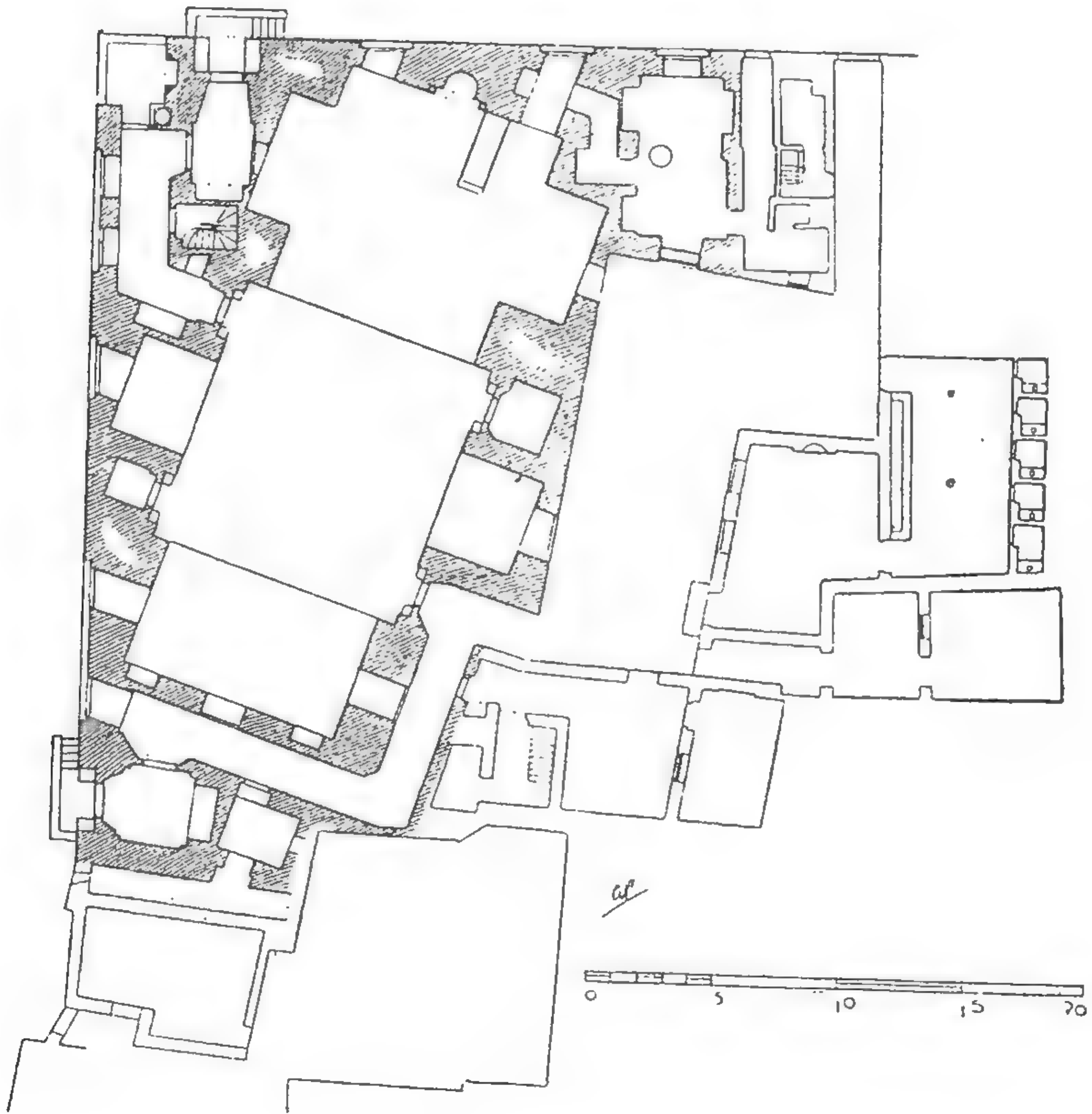
ولهذه المدرسة وجهتان : إحداهما شرقية وبها الباب العمومي ، وبنهايتها البحرية سبيل يهלוه كتاب قائم على عمود . وقد لبست أعتاب الشبابيك بهذه الوجهة بالرخام الملون والفصوص الزرقاء ، وغطيت من أعلاها بمقرنصات متنوعة ومكتوب بافريز الوجهة العلوى : ” بسم الله الرحمن الرحيم

(*) انظر الصور من رقم ١٣٦ — ١٤٠ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الضوء اللامع ، ج ٤ ص ٢٤ (٢) المقرئ ، ج ٢ ص ٢٢١

إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر — إلى قوله تعالى : فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين . أنشأ هذه المدرسة المباركة مما أنعم الله تعالى على الفقير إلى رحمة ربه القدير عبد الباسط ابن خليل الشافعي ناظر الكسوة الشريفة والخزانة السلطانية المؤيدية أبو النصر شيخ خلد الله ملكه تقبلها الله تعالى وجعلها خالصة لوجهه الكريم . وكان ابتداء عمارتها في شهر جمادى الأول سنة ثلاثة عشر وثمان مائة وآخرها في شهر جمادى الأول سنة ثلاثة وعشرين وثمان مائة “ .

هذا النص طبق الأصل وفيه نظر ، لأن تاريخ البدء في العمار لا يستقيم وتاريخ المنشئ ، لأن قدومه إلى مصر كان مع المؤيد شيخ سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) .



مسقط أفق

والوجهة الثانية البحرية وقد كسيت أعتاب شبابيكها بالرخام الملون ، كما غطيت من أعلاها بمقرنصات متنوعة ، وبها قاعدة المنارة ، وبنهايتها الغربية الباب الثاني للمدرسة وقد حلى بالرخام الدقيق وكسيت مصاريعه بالنحاس .

والباب الشرقى محلى بالرخام الدقيق الملبس فوق العتب بأشكال هندسية وموزقة، وتعلوه مزترات رخامية ملونة ومغطى بمقرنصات . وركب عليه مصراعان غشيا بالنحاس المفرغ، ومكتوب عليهما تاريخ إصلاحهما سنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) . وهذا الباب يؤدى الى دركاة بصدرها مسطبة مؤزرة بالرخام ، وعلى يسارها شباك نحاسى يطل على الإيوان الشرقى ، ولها سقف من رقعة واحدة مذهب ملون ، وعلى يمين هذه الدركاة باب يؤدى الى طريقة بها باب السبيل ، وقد آشتل على سقف نادر كتب بازاره قوله تعالى : " إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا " . ويتوسط هذا السقف دائرة من عشرة أضلاع تتدلى منها مقرنصات مذهب، وبه بقية أرضية رخامية .

وبهذه الطريقة باب للسطح والمئذنة وبصدرها مزيرة . ثم تنفتى الى صحن المدرسة التى يحيط بها أربعة إيوانات .

وأهم الإيوانات الشرقى منها ، وهو مقسم الى ثلاثة أقسام أكبرها أوسطها . وقد فرشت أرضيته كما فرشت أرضية الصحن بالرخام الدقيق الملون .

أما المحراب فهو حجرى وعار من الزخرف ومن الرخام يكتنفه عمودان تادران من النوع المعروف (بشحم ولحم) . يقوم الى جانبه منبر طعمت حشوات جوانبه ودرازينه بالسن والزرنشان . وحشوات الزرنشان فى هذا المنبر بلغت غاية الدقة مثل منبر مسجد عبد الغنى الفخرى . وكلاهما فى عصر واحد .

ولوجود شطرات فى أرض هذه المدرسة تلاشاها المهندس بحكمة ، فأحدث فى سمك الشباك القبلى الشرقى على يمين المنبر دولابا طعمت حشوات مصاريحه بالسن ، كما أحدث به حجرة صغيرة تؤدى الى قاعة لها شباك وباب على الوجهة الشرقية .

وبهذا الإيوان شبابيك جصية، القديم منها غاية فى الدقة . وقد بقى من السقف القديم زواياه ذات المقرنصات وإزاره المكتوب فيه قوله تعالى : " فى بيوت أذن الله أن ترفع . الآية " . وتلك البقايا تنبئ بما كان عليه السقف من روعة وجمال .

وبصدر الإيوان الغربى دولابان ، بكل منهما أربعة مصاريح طعمت حشواتها بالسن برسوم فريدة واحتفظ بتفاصيل سقفه .

ويحيط بالصحن أربعة أبواب أحدها يؤدى إلى الباب الشرقى ، والثانى فى الركن الغربى القبلى يؤدى إلى الباب البحرى الغربى من طريقة تلتف حول الإيوان الغربى . والبابان الآخران لحلوتين .

وقد فتحت في حجورها شبابيك بعضها فوق بعض للمضاهاة ؛ لأن سقوفها مرتفعة ارتفاع سقوف
الإيوانات وأنتهت بسطر مكتوب فيه آية من القرآن وغطى بمقرنص .

ولما توفي الشيخ أحمد بن خليل
السبكي إمام وخطيب المدرسة سنة ١٠٣٢ هـ
(١٦٢٢ م) دفن في تربة أحدثها بجوار
الإيوان الغربي . وقد عاين هذه المقبرة
مسيو مهران وقرأ عليها -- هذا مقام
الشيخ أحمد السبكي .

ومكتوب بدائر جوانب الصحن من
أعلاه : ”بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله
إلا هو الحى القيوم - إلى قوله تعالى :
الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
إلى النور صدق الله العظيم - أنشأ هذه
المدرسة المباركة مما أنعم الله على منشئها
العبد الفقير الراجى عفوره القدير عبد الباسط
ابن خليل الشافعى ناظر الكسوة الشريفة
والخزانة الشريفة المؤيدية أبو النصر شيخ
خلد الله ملكه“ . وتخللت الكتابة أربع
دوائر بها شطفان كتب عليها : ”لا إله إلا
الله محمد رسول الله“ .



تريا من البرونز

وتقوم المنارة فى الركن الغربى البحرى للصحن ، وهى منارة رشيقة من ثلاث دورات : الأولى
مثمثة ، وقد حليت بشرفات صغيرة ومقرنصات . والثانية مثمثة ، وقد حليت بزخارف دالية وكتابات .
والثالثة أقيمت على عمد رخامية وفوقها الخوذة وفرغت شقق الدرابزين بزخارف هندسية وموزقة .
وهذه المنارة مطابقة لمنارتى المؤيد . ولا عجب فقد أنشئت فى وقت واحد .

وكان بالمدرسة تنور (ثريا من البرونز) نقل إلى دار الآثار العربية ، وهو تنور جميل على شكل هرم ناقص ، ذو ثمانية أضلاع ؛ مركب من ثلاث طبقات وينتهي من أعلى بنحورنقات تعلوها قبة فوقها هلال ، ومنقوش على الطبقة الوسطى منه اسم الأمير عبد الباسط وألقابه .

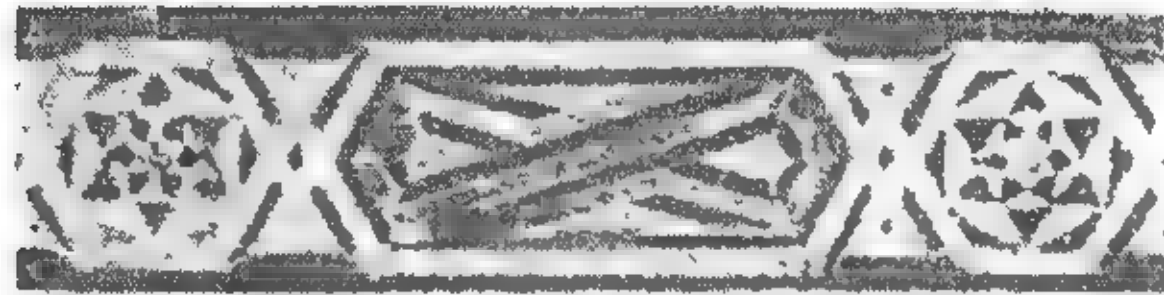
أعمال الإصلاح — كانت المدرسة تابعة لوقف أهلى فأهملت وأسىء استعمالها وأتخذت مسكناً مما ترتب عليه ضياع الكثير من معالمها .

وفى سنة ١٩٠٧ أشرفت عليها وزارة الأوقاف فعنت بها إدارة حفظ الآثار العربية ، وعملت خندقين أمام البابين الشرقى والبحرى .

ومن سنة ١٩٠٩ — إلى سنة ١٩١٢ قامت الإدارة بأعمال تقوية ، وترميم فى الوجهات والإيوانات والسقوف والشبابيك ومصاريع الأبواب ، كما أصلحت الأرضيات الرخامية .

وفى سنة ١٩١٦ تم إصلاح الأرضيات الرخامية والأبواب حول الصحن ، واكتشفت بها أشرطة نحاسية ترجع إلى العصر الأيوبي مرسوم عليها فرسان بأسلحتهم ، وبها نقوش وكتابات كوفية .

وفى عصر الملك الصالح "فاروق الأول" أصلح السبيل وأعيد إلى ما كان عليه وأكمل المفقود من المنارة بجاءت طرفة قيمة ؛ كما عني بالمنبر فأصلح وأستكمل المفقود من حشواته وأبوابه حتى أعيد إلى أصله .



مسجد المؤيد شيخ

بشارع المعز لدين الله (السكرية^(*))

الملك المؤيد شيخ — المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الجركسى الأصل، ولد تقريبا سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٨ م)، وقدم القاهرة فى سنة ٧٨٢ هـ (١٣٨١ م)، وعمره إذ ذاك اثنا عشرة سنة، فاشتراه الخوارج^(١) محمود شاه اليزدى تاجر الماليك فعرف بالمحمودى، ثم قدمه الى الأمير برقوق — وكان وقتئذ أتابكا للعساكر^(٢) — فأعتقه وعنى به وبتربيته وكان ذكيا فتعلم الفروسية واللعب بالرمح ورمى النشاب والضرب بالسيف والمصارعة وسباق الخيل .

ثم تدرج فى الوظائف وأنعم عليه بإمرة عشرة فى دولة الظاهر برقوق، ثم عين نائبا لطرابلس فنائبا للشام .

وفى أول شعبان سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) ولى ملك مصر، وما زال سلطانا بها الى أن توفى فى ٩ عرم سنة ٨٢٤ هـ (١٤٢١ م) . ومع أن بعض مؤرخى عصره وصفوه بالبخل وبعض الهنات، إلا أن الكثير منهم أجمع على اشتغاله بالعلم، وحده على العلماء وأنه كان يباشر الأحكام بنفسه وينزل الناس منازلهم، كما أن بعضهم نعته بقوله : « وكان مأكا مهيبا ماجدا أديبا جوادا على الهمة جليل القدر يملأ العين ويرجف القلب ... » . وكان مغرما بالعمارة، أنشأ منارة بالأزهر وجدد مسجد المقياس وأنشأ الخانقاه الخروبية وأنشأ عدة مساجد وأسبلة ومكاتب ومناظر^(٣) بمصر والشام، ولم يبق من منشآته سوى بقايا سبيل ومصلى بالقلعة والبيارستان بالحجر والحمام بشارع تحت الربع ومسجده هذا . وهذا المسجد داخل باب زويلة وملصق له، وهو فخر المساجد فى دولة الماليك الجراكسة، فقد أجمع المؤرخون على أهميته : فترى السخاوى المؤرخ يصفه بقوله : « قيل إنه لم يعمر فى الإسلام أكثر منه زخرفة ولا أحسن ترخيا بعد الجامع الأموى . ويصفه عميد مؤرخى مصر المقرئى بقوله :

(*) انظر الصور من رقم ١٤١ — ١٤٨ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الخواجه لفظ فارسي دخيل فى التركية ورسم فى اللتين هما فى آخره وهو لقب تكريم عندهم يرادف الأغا والأندى والسيد، ويطلق أيضا على الأساتذة المعلمين ولا سيما المشايخ المسمين منهم . ثم لقب به كبار التجار منذ القرن السابع الهجرى، وظل مستعملا بمصر حتى القرن الثالث عشر الهجرى، ورأيت مكتوبا على مسجدى أبي العلاء بمصر والبدري بدمياط، وعلى منزل جمال الدين الذهبى بمصر وعلى بعض الطرف النحاسية بدار الآثار العربية . (٢) أتابك هو كبير الأمراء .

(٣) الضوء اللامع، ج ٣ ص ٣١٠، النجوم الزاهرة ج ٦ قسم ١ ص ٢٨٨ طبع كلفرنيا، نزعة النفوس والأبدان ج ٢

« فهو الجامع الجامع لمحاسن البنيان ، الشاهد بفخامة أركانه و ضخامة بنيانه أن منشئه سيد ملوك الزمان . يحتقر الناظر له عند مشاهدته عرش بلقيس وإيوان كسرى أنوشروان ، ويستصغر من تأمل بديع أسطوانه الخورنق وقصر غمدان^(١) ... » .

وإذ رأينا المقرئ يسرف في وصفه هذا فلا نستطيع اتهامه بالمغالاة ؛ لأنه أدرك الجامع ورآه كاملاً فأخذ بجماله ، وأن التفاصيل الباقية تعزز رأي المفتونين به . ومن المأثور عن السلطان سليم حينما زاره أنه قال : « هذه عمارة الملوك^(٢) » .

موقع المسجد — كان موقع هذا المسجد سجيناً عرف بخزانة شمائل سجن فيه المؤيد وقت أن كان أميراً وقاسى فيه شدائد ، فنذر حينئذ إن نجاه الله تعالى لبنيته مسجداً ، وقد وفى بنذره حينما ولي ملك مصر فاشترى قيسارية الأمير سنقر الأشقر وأضاف إليها خزانة شمائل وعدة دور وحارات هدمها ..

وفي رابع جمادى الآخرة سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥ م) ، شرع في حفر الأساس ، وفي خامس صفر سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦ م) شرع في البناء ، واستمر العمل إلى يوم الخميس ١٧ ربيع الأول فأشهد السلطان على نفسه أنه وقف هذا المسجد لله تعالى ووقف عليه عدة مواضع بمصر والشام .

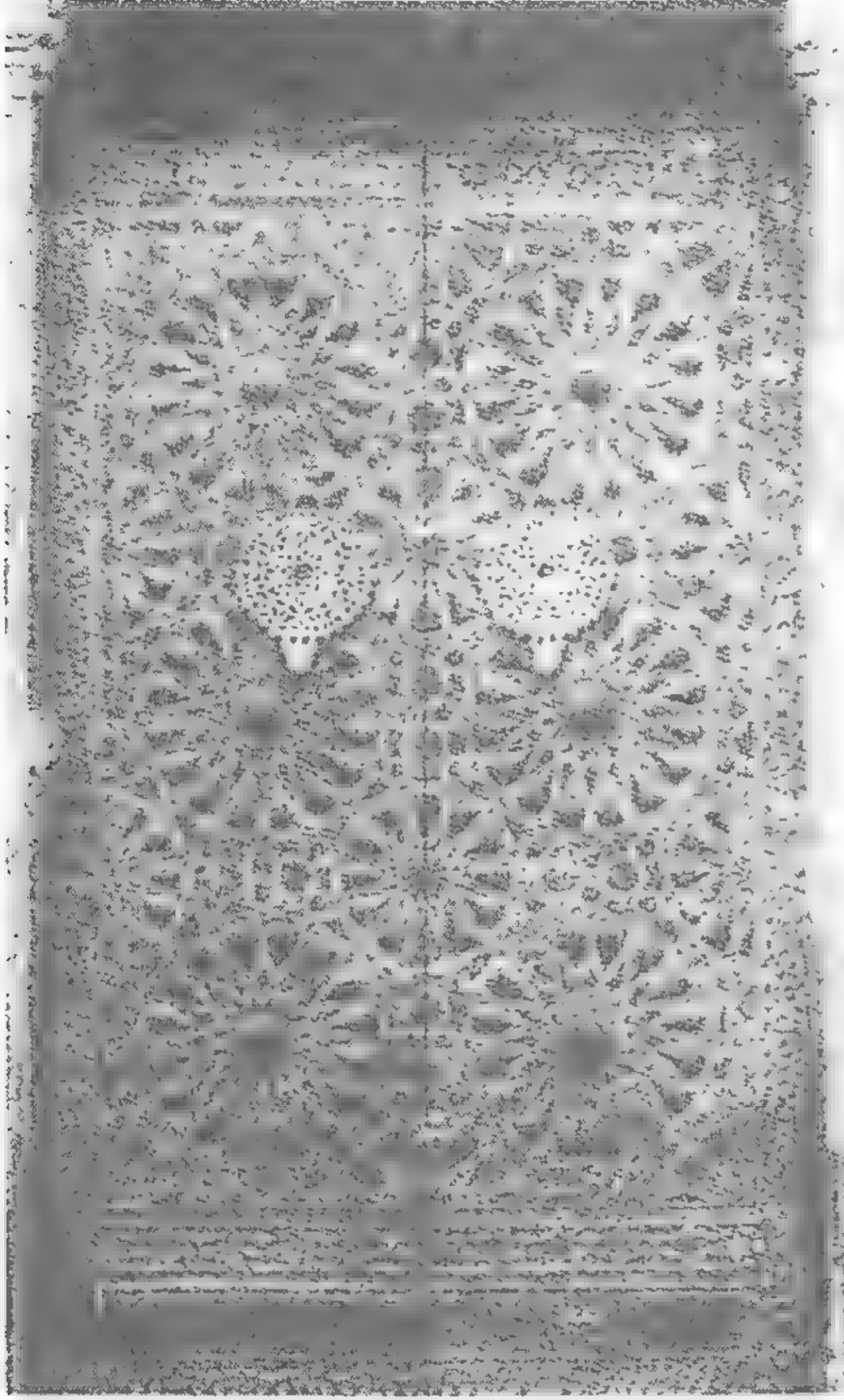
وقد كان المؤيد مهتماً بسرعة إنجازهِ فتكررت زيارته للعمارة ، ففي شهر شعبان سنة ٨١٩ هـ جمعت العمد والأواح الرخام اللازمة له ، ثم نقل الباب النحاس الكبير من مدرسة السلطان حسن مع التنور النحاس ، ودفع ثمنهما ٥٠٠ دينار .

وعال بعض المؤرخين نقل الباب بحجة أن السلطان برقوفاً كان قد سد باب مدرسة السلطان حسن فكان الباب غير متفع به . وقيل : إنه نقله بناء على اقتراح المهندسين ، وإنه في نظير ذلك وقف على مدرسة السلطان حسن قرية فيها بالقليوبية^(٣) .

وإلى شهر ذى الحجة سنة ٨١٩ هـ (١٤١٧ م) ، بلغت النفقات أربعين ألف دينار ولم ينتهِ المسجد ؛ ومع ذلك فقد نقل إليه مكتبة حافلة كانت بالقلعة . هذا عدا خمسمائة مجلد قدمها له ناصر الدين محمد البارزى كاتب السر ، وافتتحها في محرم سنة ٨٢٠ هـ (مارس سنة ١٤١٧ م) .

وفي يوم الجمعة ٢ جمادى الأولى سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) ، أقيمت به صلاة الجمعة ولم يكمل منه سوى إيوان القبلة .

وهذا الخبر له أهميته فقد أوضح لنا تحليل بعض النصوص التاريخية التي تنص على الفراغ من بناء مساجد كبيرة في سنة أو دونها ، وهو مالا يقره العقل ؛ فكأن منشئها كانوا على هذا المنوال يتعجلون افتتاحها بأية وسيلة ويكتبون اللوحة التذكارية التي تنسبها اليهم قبل الفراغ من بنائها .



باب مدرسة السلطان حسن المنقول للمسجد

وفي خامس رمضان سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) ، هدمت الأماكن اللازمة لبناء الميضاة بشارع تحت الربع وضاع فيها وفي الحد القبلي للجامع سور القاهرة الفاطمي في هذه المنطقة ، وتمت عمارتها في شهر شوال سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) . وقد بلغت نفقات الإنشاء الى آخر رمضان نحو سبعين ألف دينار ، والسلطان دأب الإشراف على العماره .

غير أنه في شهر ربيع الآخر سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) ظهر خلل بالمئذنة المجاورة للمسجد فهدمت . وكان المشرف على عمارة الجامع وقتئذ بهاء الدين محمد بن البرجي .

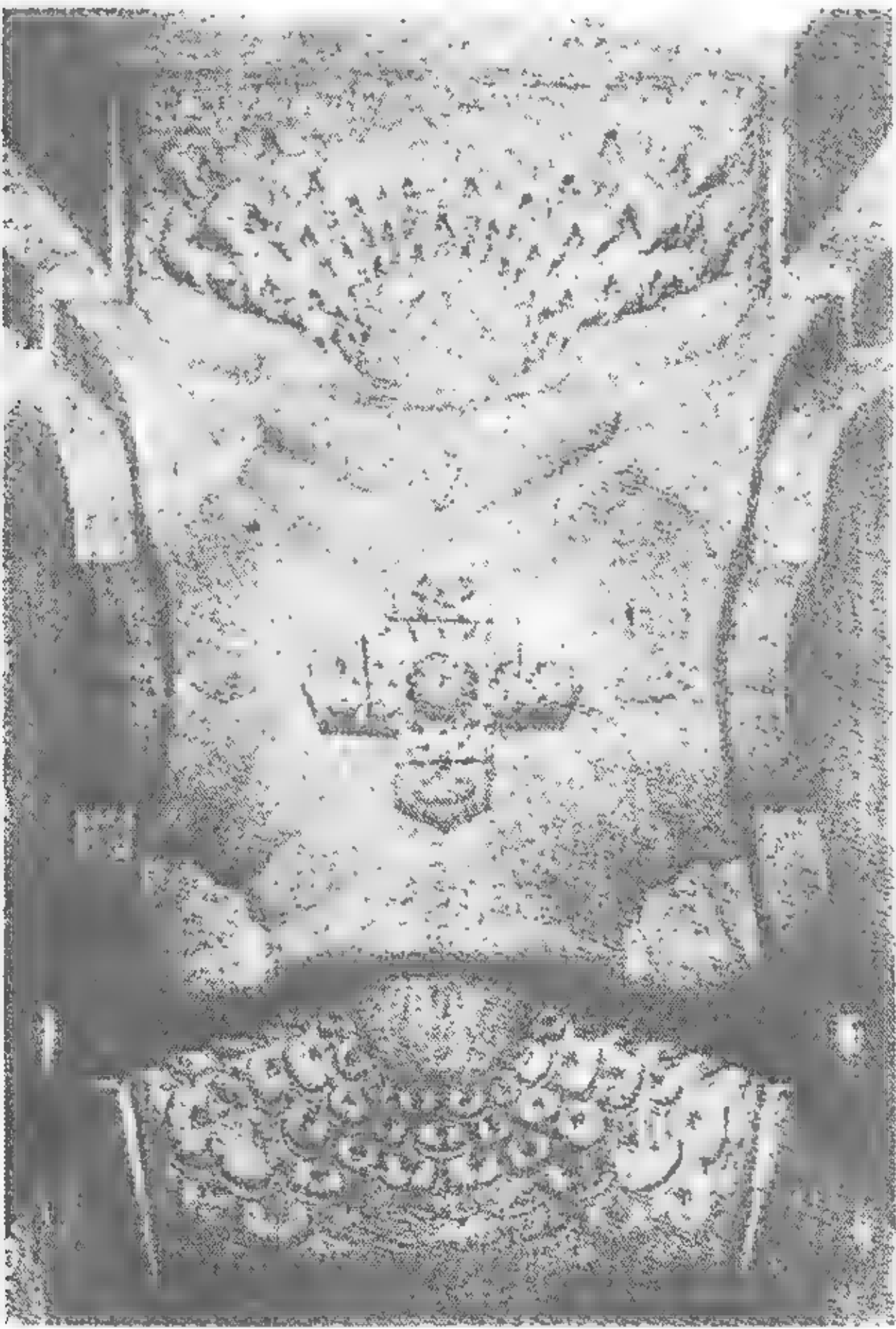
ومع أن العماره كانت قائمه بالمسجد ولم يشرع في كثير من أجزائه مثل القبتين ؛ فقد رأينا المؤيد يعين المدرسين له في شهر جمادى الأولى سنة ٨٢٢ هـ (١٤١٩ م) للذهاب الأربعة والحديث والقراءات والطب ويحضر دروسهم .

وفي يوم الجمعة ٢١ شوال سنة ٨٢٢ هـ (١٤١٩ م) أمر بإعداد سماء عظيم ، وأن تملأ الفسقية بالصحن بالسكر ، واحتفل بافتتاحه وأنعم على الخطيب والمدرسين بحضور كبار رجال الدولة وأبنه الصارمى إبراهيم .

وإلى سنة ٨٢٣ هـ (١٤٢٠ م) لم تكن قباب المسجد قد بنيت ؛ ولما مات ابنه الصارمى إبراهيم يوم الجمعة ٢٢ جمادى الآخرة دفن في القبة البحرية للجامع ولم تكمل بعد . وكذلك لما توفي الملك المؤيد في يوم الاثنين ٨ محرم سنة ٨٢٤ هـ (١٤٢١ م) دفن بالقبة البحرية قبل أن تتم ، واستمر العمل فيها حتى كملت في شهر رمضان سنة ٨٢٤ هـ (١٤٢١ م) . وإلى هذا الوقت كان كثير من ملحقات الجامع لم يشرع فيه مثل القبة القبلية وبيوت الصوفية بالخانقاه .

ولهذا الجامع أربع وجهات جُدد ثلاث منها . أما الوجهة الرئيسية الشرقية فهي المحتفظة بتفاصيلها ، وهي وجهة كبيرة شاهقة خلعت أعتاب شبابيكها ومزراتها بالرخام ، كما غطى كل شابا كين بمقرنص واحد تعددت جطاته ، وخلق في النواصي عمد بتيجانها .

وفي الطرف البحرى لهذه الوجهة المدخل العمومى ، وله سلم مزدوج من الرخام ، وهو باب شاهق كسى بالرخام الملون وغطى بالمقرنصات ، وله مسطبتان طويلتان بهما مزرات رخامية تعلو كلا منهما صفة بوسطها مربع مكتوب فيه بالكوفى المربع : ” لا إله إلا الله محمد رسول الله “ . وفوقهما سطر مكتوب فيه : ” بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله ، الآية ... سنة ثلاثة وعشرين وثمان مائة “ . يعلوه مربع آخر به بالكوفى المربع : ” نصر من الله وفتح قريب “ . وكتفا الباب من قطعتين كبيرتين من الجرانيت الأحمر المرقط يحملان عتبا لابس بالرخام ، ويحيط بالباب إفريز من الرخام مقسم إلى دوائر ومستسات مطعمة باللونين الفيروزى والأحمر ، وقد ركب عليه



مصلبة المدخل

مصرعان من الخشب المغشى بالنحاس تقلهما إليه من مدرسة السلطان حسن ، وهما من أنفاس المصاريع النحاسية وأكبرها ، يبلغ ارتفاع كل منهما ٦,٠٠ متر ، وبهما من دقة النقش ما يبهير الأبصار . ومكتوب على الباب : ” أمر بإنشاء هذا الباب المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى مولانا السلطان الشهيد أبو المعالى حسن بن مولانا السلطان الشهيد الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك فى سنة أربع وستين وسبعمائة “ وهو أنخم الأبواب النحاسية وأكبرها .

وهذا الباب يؤدى إلى دركاة لها سقف شاهق على هيئة مضلّبة حجرية يكتنفها عقود بها مقرنصات ، وبها تربيعتان من الرخام مكتوب فى كل منهما بالكوفى المربع آية الكرسى :

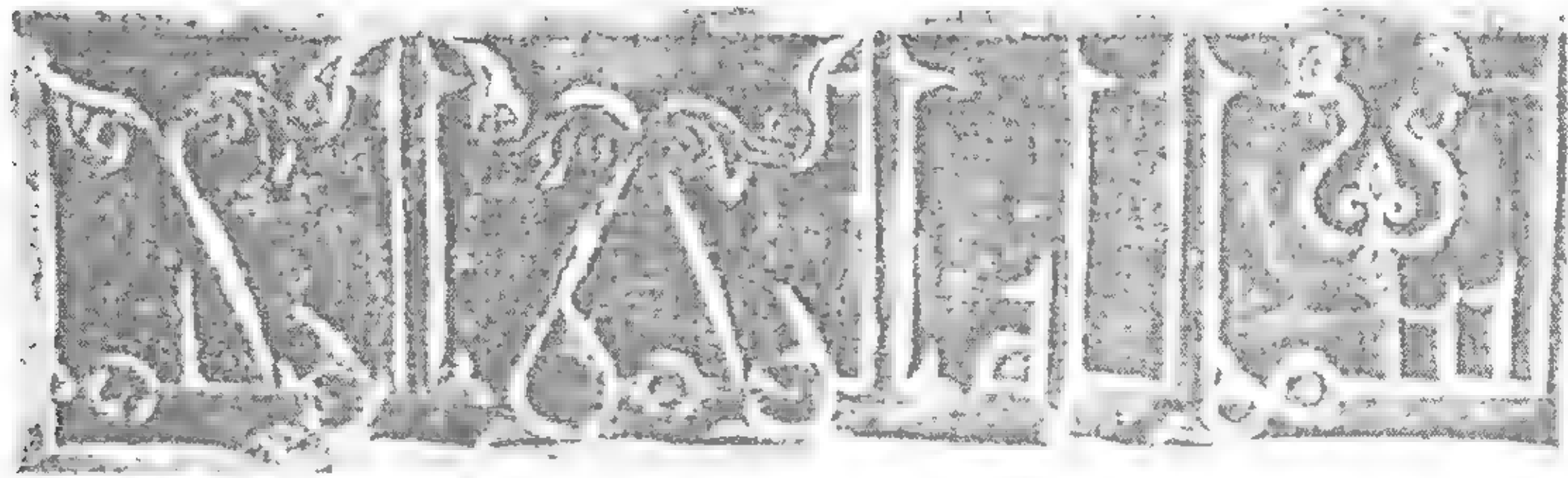
وعلى يمينه ويساره بابان بهما بخارية وأشرطة نحاسية مكتوب فيها اسم المؤيد شيخ ، الأيمن منهما يؤدى إلى طرقة مفروشة بالرخام على يسارها مزيرة عليها حجاب من الخشب الخروط مكتوب

عليه تاريخ إصلاحه سنة ١٣٠٨ هـ وتنتهى هذه الطريقة إلى باب يؤدى إلى مؤخر الإيوان الشرقى وقد حلى عتبه بمزرات من رخام ملون يعلوه شبك يكتنفه مستطيلان مكتوب فيهما بالكوفي المربع . ” بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند ملك مقتدر “ .

والباب الثانى على يسار الدركاة ، وهو يؤدى إلى قبة شاهقة مبنية بالجمر وحلى سطحها بزخارف دالية . وقد فرشت بالرخام كما فرشت أرضية الشبائيك بالرخام المأون ، وبها قبران : أحدهما قبر ابنه الصارمى إبراهيم وإخوته المظفر أحمد وأبو الفتح موسى وعليه أجزاء من تركيبة رخامية غير منسجمة لا فى الكتابة الكوفية التى عليها ولا فى الزخرف ، والثانى قبر الملك المؤيد وعليه تركيبة رخامية مكتوب عليها بالخط الكوفي القديم : ” بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين فى جنات وعيون أدخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا — إلى قوله تعالى وما هم منها بمخرجين “ . وأرى أن هذه التركيبة منقولة إلى الجامع من بناية أسبق منها ؛ لأن قاعدة هذا الخط فاطمية ، ومنها نماذج أخشيدية أسبق من العصر الفاطمى بقليل فى تركيبة أمام قبة الخلفاء العباسيين مؤرخة سنة ٣٤٧ هـ (٩٥٨ م) ، ومنها ما حول قاعدة المنارة القبيلة للجامع الحاكم بأمر الله .

ورأيت جنين منقولين أيضا إلى تربة خوند طولبية سنة ٧٦٥ هـ (١٣٦٤ م) ، وهى نماذج تشهد بأنها منقولة لأن للخط الكوفي فى عصر المماليك أسلوبا خاصا .

ويحيط بهذه التركيبة مقصورة من الخشب الخروط مكتوب على بابها : ” أمر بإنشاء هذه المقصورة المباركة مولانا المقدر الأشرف الكريم العالى السيفى يشبك من مهدى أمير سلاح وأمير دوا دار الملكى الأشرفى “ .



بسملة على قبر المؤيد

ولهذه القبة بابان ركب لكل منهما مصراعان طعما بالسن والزرنيشان ، نقشت وزهبت حلوقهما ، يعلو كلا منهما لوحة ؛ ومكتوب بهما : ” بسم الله الرحمن الرحيم وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا صدق الله العظيم وصلى الله على سيدنا محمد “ .

وإذ وصلنا إلى الإيوان الشرقى فإننا نرى بدائع الفن مجمعة ؛ فالزخرف يغمر هذا الإيوان من الأرض إلى السقف ؛ فقد كسى الجدار الشرقى بالرخام الملون إلى ارتفاع المحراب الذى تعلوه دائرة من الرخام بها دوائر وتواشيج .

ويعلو الكسوة الرخامية شبابيك جصية دقيقة كل منها من شريحتين ، يكتنفها بخاريات ومستطيلات منقوشة ومذهبة ، ويحيط بها إفريزان أحدهما الكبير مكتوب بالخط النسخ المملوكى بحروف مذهبة بما نصه : ” بسم الله الرحمن الرحيم شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم — إلى قوله تعالى : فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن أتبعن صدق الله العظيم ورسوله محمد . بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر — إلى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أنشأ هذا الجامع المبارك المعمور بذكر الله تعالى سيدنا ومولانا ومالك رقابنا السلطان الأعظم المالك الملك المؤيد أبو النصر شيخ سلطان الإسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين قاتل الكفرة والمشركين مظهر الحق بالبراهين منصف المظلومين من الظالمين كهف الفقراء والمساكين ذخر الأيتام والمنقطعين حامى حوزة الدين قسم أمير المؤمنين صاحب العلمين خادم الحرمين الشريفين ملك العرب والعجم والترك والديلم “ .

كما يحيط بها إفريز آخر مكتوب فيه بالخط الكوفى بحروف سوداء على أرضية ذهبية آيات من القرآن منها قوله تعالى :

” لله ما فى السموات وما فى الأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ... “ .

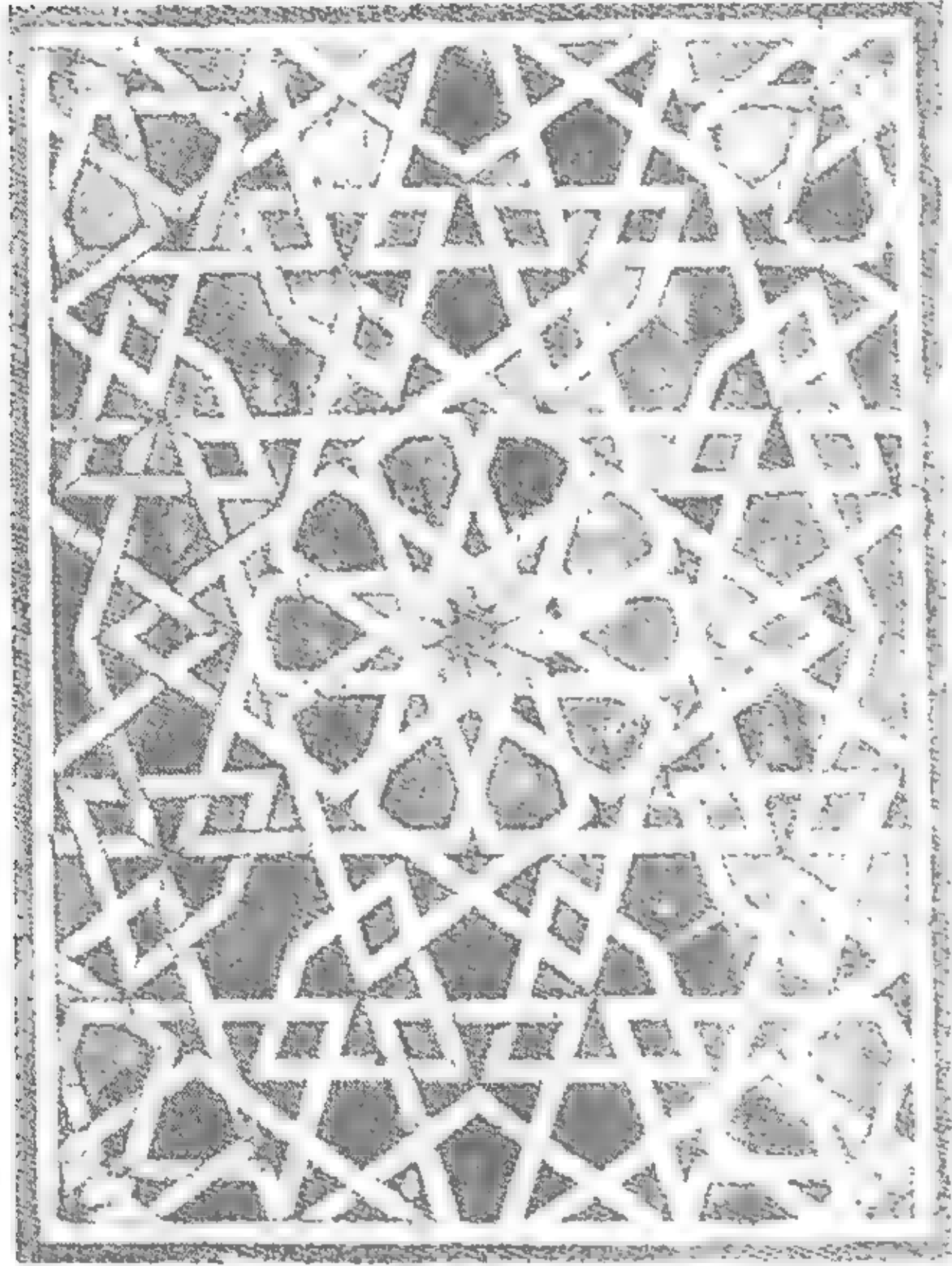
ويتوسط هذا الجدار محراب مكسو بالرخام حافل بمختلف الألوان والنقوش يكتنفه عمودان أحمران لهما تيجان عربية منقوبة يقوم بجواره منبر كبير مطعم بالسن والزرنيشان ، وهو منبر غنى ؛ فقد طعمت حشوات الدرازين أيضا كما ذهبت منه أجزاء كبيرة ومكتوب عليه : ” أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك سيدنا ومولانا السلطان المالك الملك المؤيد أبو النصر شيخ أدام الله أيامه “ .

وعلى ذكر المنبر، أذكر أن الملك المؤيد شيخ هو الذى أمر فى سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦ م) بأن الخطباء عند ما يدعون للسلطان على المنبر يوم الجمعة ينزلون درجة ثم يدعون للسلطان حتى لا يكون ذكره فى الموضع الذى يذكر فيه اسم الله واسم نبيه .

(١) سقطت من هذه الآيات آية ، كما سقطت كلمة رجال من قوله تعالى (رجال لا تلهيهم تجارة — الآية) أعلى الباب العام .

والطرف القبلي لهذا الإيوان سدت فتحتان كانتا به وكسيتا بالرخام والقاشاني، وقد كتب على دوائرها أسماء العشرة المبشرين بالجنة ثم دائرة بها تاريخ هذه العمارة بما نصه : ” جدد هذا المسجد المبارك إبراهيم خادم فقراء كلشني سنة ١٢٥٤ “ .

وقد تنوعت زخارف السقف وهي بلا شك من أرق نماذج السقوف الخشبية . وفي مؤخر الإيوان دكة المبلغ وهي من رخام وقائمة على ثمانية عمود رخامية ، وقد نقشت جوانبها وذهبت ومكتوب عليها : ” بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أدم العز والبقاء والنصر على الأعداء لسيدنا ومولانا السلطان المالك الملك المؤيد أبو النصر شيخ سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين مظهر الحق بالبراهين منصف المظلومين من الظالمين ذخر الأيتام والمنقطعين كثر الفقراء والمحتاجين صاحب العلمين خادم الحرمين الشريفين سيد ملوك العرب والعجم السلطان المالك الملك المؤيد أبو النصر شيخ أعز الله نصره “ .



(أرضية شبك بالقبة)

وقد انتهز مهندس فرصة وجود باب زويلة بجوار المسجد فاتخذ من بدنتيه قاعدتين لمئذنتيه ، وهو اعتداء صارخ في نظر الأثريين ، ولكنه كان موفقا فيه كل التوفيق . وهما منارتان رشيقتان لكل منهما ثلاث دورات حليت بالكتابات والنقوش ، وتقوم الدورة الثالثة على عمد رشيقة ومكتوب على الشرقية منهما :

” عمل هذه المأذنة المباركة العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن القزاز وكان الفراغ أول رجب سنة اثنين وعشرين وثمان مائة “ .

وعلى الغربية : ” أمر بإنشاء هذين المنارتين المباركتين سيدنا ومولانا السلطان المالك الملك المؤيد أبو النصر شيخ عز نصره ، وذلك في نظر العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن القزاز والفراغ في شهر شعبان المعظم قدره سنة ثلاث وعشرين وثمان مائة “ .

وبمناسبة المنارتين أذكر أن المؤرخ علي بن داود الجوهري انفرد عن المؤرخين بذكر ثلاث منارات للجامع إحداها كانت بالوجهة الغربية . وأكدت هذه الرواية حجة الوقف التي تنص أيضا

(١) نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ، حجة وقف المؤيد .

على أنه كان للجامع أربعة أبواب في وجهاته الأربع وأن إيواناته الغربية والبحرية والقبلية كل منها من رواقين .

وقد دب التلف سريعا إلى هذا الجامع في الوقت الذي احتفظت فيه الجوامع المعاصرة له بتفاصيلها . ولعل هذا راجع إلى مهاجمة الجامع^(١) سنة ١٠٧٦ هـ (١٦٦٥ م) وضربه بالمدافع على أثر تحصن بعض الطغاة به المعروفين بالزرب ، وقد كثرت فسادهم وقتلهم مصر فاستفتى عمر باشا حاكم مصر العلماء فأفتوه بأن يقابلهم بما يقابلونه به وإن تهدم شيء من الجامع يعاد بناؤه ؛ فأمر العسكر بالزحف عليهم ومعهم اثنا عشر مدفعا ، وصوبوها عليهم إلى وقت العصر فاستسلموا وفتحوا أبواب الجامع فقبضوا عليهم وقتلوهم وأستصفوا أموالهم . وفي سنة ١١٠٢^(٢) هـ (١٦٩٠ م) قام بعمارة أحمد باشا وإلى مصر .

ولم يأت القرن التاسع عشر إلا والمسجد في أسوأ حالات التخريب ؛ فقد عاينه مسيو بسكال كوست ، كما عاينه مسيو مهران ونقل كتاباته سنة ١٨٧٢ م وقال : « إن المسجد متخرب ماعدا الإيوان الشرقي » .

وفي المدة من سنة ١٨٧٠ إلى سنة ١٨٧٤ م — وبناء على أمر الخديوى إسماعيل — جددت وزارة الأوقاف وجهاته الثلاث : القبلية والبحرية والغربية .

ومنذ سنة ١٨٨١ م وجهت لجنة حفظ الآثار العربية عنايتها إلى المسجد فوجدته متداعيا وقد فقد إيواناته عدا صفى عمد بالإيوان الشرقي كانا على وشك السقوط . ورخام الجدار الشرقي للحراب مشوه ، وقبة المؤيد في حاجة إلى الإصلاح ومنارتا الجامع مفقود جزؤهما العلوى .

وقد قامت بالمحافظة على البقايا الأثرية وأزال الدكاكين التي كانت بالوجهة الشرقية ، وقومت العمدة وركبت عمدا جديدة ، وأصلحت سقفى الرواقين وأعادتاهما إلى سابق مجدهما ، وأصلحت الباب النحاسي والمدخل الرئيسي ، وأصلحت الرخام بالجدران والمحراب ، كما أصلحت دكة المبلغ ، وكلت المنارتين ، وأنشأت الرواق الثالث المشرف على الصحن ، كما عملت قبة الضوء بالصحن وأصلحت المنبر وأبواب القباب .

وفي حديقة المسجد لوحة تاريخية تشير إلى تعميره سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) في عصر الخديو توفيق .

المدرسة الفخرية (مسجد البنات)

بشارع مسجد البنات^(*)

أنشأ هذه المدرسة الأمير نحر الدين عبد الغنى بن عبد الرزاق بن أبي الفرج بن نقولا بن الوزير تاج الدين الأرميني الأصل . كان جده أرمنيا تابعا لابن نقولا الكاتب فنسب إليه . وهو أول من أسلم من آبائه ، ونشأ ولده عبد الرزاق مسلما وتقلب في جملة وظائف من صراف لقطيا الى ناظر ثم أمير لها الى أن ولى الأستاذارية والوزارة .

ولد الأمير عبد الغنى في سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) وتعلم بمصر ، ثم تدرج في جملة وظائف حينما كان أبوه وزيرا ، إذ عين واليا لقطيا سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨ م) ، ثم صرف عنها وأعيد إليها في دولة الناصر فرج بن برقوق ثم عين كاشفا للشرقية سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨ م) . وفي سنة ٨١٤ هـ (١٤١١ م) رقى الى وظيفة أستاذ دار فلم يمكث بها كثيرا . وفي دولة الملك المؤيد شيخ عين كاشفا للوجه البحرى ، ثم عين في سنة ٨١٦ هـ (١٤١٣ م) أستاذ دارا فحسنت سيرته ، ثم أضيفت اليه الوزارة في صفر سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) .

وقد أخذ عليه في مبدأ أمره أنه كان مسرفا في أخذ الأموال من أهل القرى ، وأنه كان جبارا قاسيا . ووصفه السخاوى المؤرخ بأنه كان يعرف كيف يجمع الأموال . وقد جمع في ثلاث سنين مالا يجمعه غيره في ثلاثين سنة . أما المقرئى فقد حمل عليه حملة شديدة . وكانت وفاته في نصف شوال سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) ودفن بهذه المدرسة .

موقع المدرسة وتاريخها — تقع هذه المدرسة بالقرب من محكمة الاستئناف في الجزء الواقع بينها وبين شارع الأزهر ، وكان الفراغ من إنشائها سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) حيث احتفل بافتتاحها يوم الجمعة ٢٨ شعبان سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) ، وخطب فيها الشيخ ناصر الدين محمد بن عبد الوهاب ابن الباربارى الشافعى ، وخصصت بها دروس للتصوف والفقهاء على مذاهب السادة الحنفية والمالكية والشافعية ، وتولى التدريس فيها العلماء : شمس الدين محمد البرماوى الشافعى ، وشمس الدين محمد الديرى المقدسى الحنفى ، وقاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن مقدار المالكى^(٢) .

(*) أنظر الصور من رقم ١٤٩ — ١٥١ بمجموعة الصور الفوتوغرافية . (١) قطيا بالقرب من القرما ؛ وهي مكان يخص الجوازات وتحصيل المكوس ، وقد تدمر كثير من الرحالة الذين مروا بهامن تغت ولاتها . (٢) الضوء اللامع ج ٤ ص ٢٤٨ ، النجوم الزاهرة ج ٦ قسم ١ ص ٤٦٣ طبع كلفرنيا . (٣) المقرئى ، ج ٢ ص ٢٢٨

ولهذه المدرسة بابان : أحدهما على الشارع العام حيث وجهته الغربية الرئيسية وبها المنارة وسبيل يعلوه كتاب . والآخر يتوصل إليه من درب سعادة . وللباب الكبير مصراعان مغشيان بالنحاس المفرغ بأشكال زخرفية آية في الدقة والجمال .

ومن هذا الباب يتوصل الى طرقة مربعة مفروشة بالرخام على يسارها باب يؤدي الى الميضاة، وعلى اليمين باب آخر يؤدي الى طرقة طويلة مفروشة بالرخام بها حجاب من خشب الخرط على مزيرة كان بها زير رخامى نقل الى دار الآثار العربية ، وتنتهى هذه الطرقة الى باب يوصل الى صحن المدرسة ، وهو صحن فسيح مكشوف فرشت أرضيته بالرخام الملون ، ويحيط به أربعة إيوانات أكبرها الإيوان الشرقى ، ومما يذكر عن هذا الإيوان أنه مقسم الى ثلاثة أقسام أكبرها أوسطها يفصلها صفان من أعمدة الجرانيت تحمل عقودا وسقوفا ملونه . ويغطى القسم الأوسط منه سقف من رقعة واحدة به زخارف وسرر ملونه ، ومكتوب به تاريخ تجديد لجنة حفظ الآثار العربية له فى عام ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) .

أما المحراب فتسوده الآن البساطة ، يجاوره منبر مطعم بالسن والزرنشان ، كما حلى داخله وسلمه بزخارف هندسية حفرت فى الخشب ، وهو من المنابر الهامة .

ويحيط بهذا الإيوان من أسفله دواليب وشبابيك يعلوها شبابيك جصية ، وتقوم فى مؤخره دكة رخامية محمولة على ثمانية عمد من الرخام .

وفى أسفل الإيوان الغربى شبابيك ودواليب يعلوها نوعان من النوافذ الجصية ، ولهذا الإيوان سقف حافل بالنقوش المجتدة . أما الإيوانان القبلى والبحرى فهما أصغر مساحة ، وهما معقودان بالجحر . ويحيط بالصحن أربعة أبواب مصاريعها محلاة بالنحاس المفرغ ، أحدهما الشرقى البحرى يوصل الى قبر المنشئ وابنه الأمير زين الدين عبدالقادر^(١) الأستاذ دار المتوفى سنة ٨٣٣ هـ (١٤٣٠ م) ، وهذا القبر فى حجرة على هيئة قاعة يبدو مما بقى بسقفها من زخرف ورنوك أنها كانت غنية بشتى النقوش . ويستريح النظر فيها بحبال الزخرف والكتابة فى التركيبة الرخامية الصغيرة المخصصة لبعض أفراد أسرة المنشئ ، وقد اشتملت على كتابة تاريخية نصها : ” بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر أمير حاج بن محمد ابن عبدالغنى بن أبى الفرج أوقفه على نفسه وعلى أولاده ووالدتهم سور باى تنمدهم الله برحمته لا أعان الله من تكلم فى بيعه أو باعه بتاريخ عاشر جماد الأول سنة تسع وتسعين وثمان مائة من الهجرة النبوية أحسن الله عاقبتها “ .

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ قسم ٢ ص ٨١٣ طبع كافرنا .

وهذه الأبواب مغطاة من أعلاها بمقرنص له دلايات تعددت خطاته واتحدت أشكاله ، وينتهي الصحن من أعلاه بشرفة موزقة .

وقد فقدت من هذه المدرسة منارتها القديمة وكثير من رخامها ، وهذا يرجع الى ما أصابها من تخرب ، وما طرأ عليها من إصلاحات كثيرة ؛ ولأن منشئها توفى قبل أن يتمها .

سبب تسميتها مسجد البنات — غلبت هذه التسمية على المدرسة فعرفت بها ونسى اسم صاحبها ؛ ولذلك أقصوصة لازمتها منذ القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) ، فقد زارها الرحالة عبد الغنى النابلسى سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣ م) . وقال :

« إن أهل مصر يعرفون هذا المسجد بمسجد البنات لأن البنت التى لا يتيسر لها زواج تأتى الى هذا المسجد فى يوم الجمعة والناس فى الصلاة وتجلس فى مكان هناك ؛ فإذا كان المصلون فى السجدة الأولى من الركعة الأولى من صلاة الجمعة تمرين الصفيين وتذهب فيتيسر لها الزواج وقد جربوا ذلك » .

هذا قول رحالة مسلم سمع هذا ممن بالمسجد طبعاً ، أو من أهل القاهرة وقتئذ ؛ وقد قضى على هذه الخرافة ولله الحمد وبقيت التسمية لاصقة بالمسجد وبالشارع .

عناية الأسرة العلوية بالمدرسة — كانت أولى العمارات التى أجريت على الأرجح تلك العمارة الكبيرة التى قامت بها السيدة البازة صاحبة الخيرات والدة حسين بك نجل عزيز مصر المغفور له الحاج محمد على باشا ، وذلك فى سنة ١٢٦٨ هـ (١٨٥١ م) . فقد أصلحت الوجهة الغربية وأنشأت المنارة الباقية حتى الآن على يمين الباب .

ومن أعمال هذه السيدة أيضاً إنشاؤها السبيل الواقع أمام هذه المدرسة فى سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣ م) . وقد أثبتت تاريخ عمارتها بالمسجد فى لوح تاريخى فوق الباب العمومى ونصه :

« قد كان تجديد عمارته وإنشاء منارته على يد المصونة والدة المكنونة والدة حسين بك نجل عزيز مصر القاهرة الحاج محمد على باشا ذى المآثر الباهرة طاب ثراهما وجعل فى الجنات قراءهما طلباً لإيصال الثواب إليهما ورغباً فى إنزال الرحمة عليهما من هجرة الرسول الأمين ١٢٦٨ » .

أعمال الإصلاح — يظهر أن هذه المدرسة طرأ عليها تخرب كبير أضاع الكثير من تفاصيلها ؛ لأن لجنة حفظ الآثار العربية أجرت بها عمارة كبيرة فى سنة ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) ، تناولت إصلاح إيوانها الشرقى والغربى ، وعمل سقوف جديدة لها ، كما قومت المبانى وأصلحت الأرضيات الرخامية والشبابيك الحصية ، وأصلحت المنبر وأكلت ما فقد من أجزائه . هذا عدا ما قامت به من إصلاح الأبواب النحاسية وعمل شبابيك ودواليب فى جميع نواحيها .

مسجد جاني بك الأشرفي

بشارع المغربلين

كان منشئ هذا المسجد — وهو الأمير جاني بك الأشرفي^(١) — مملوكا للملك الأشرف برسباي ، وقد تدرج عنده في عدة وظائف الى أن عينه في محرم سنة ٨٢٦ هـ (يناير سنة ١٤٢٣ م) أمير اللطيفخانه^(٢) ثم خازندارا، ثم دوادارا ثانيا. وبلغ من حظوته لدى الملك الأشرف أن ترك له التصرف في شؤون الدولة. توفي الى رحمة الله تعالى في ٢٧ ربيع الأول سنة ٨٣١ هـ (يناير سنة ١٤٢٨ م) . وهو لا يزال في الخامسة والعشرين من عمره . ودفن في قبة هذه المدرسة ، ثم نقل منها بعد مدة الى تربة الأشرف برسباي^(٣) بالصحراء . والمرجح أنه دفن في القبة المعروفة به بحرى قبة الأشرف برسباي وهي من طراز منشآتة . ومما يذكر عنه أنه كان متدينا كثير البر بالفقراء ، وكان الى جانب هذا مولعا بالصيد . ومن لطيف ما مدحه به العلامة ابن حجر :

الدوادار قال لي * أنا أقضى . آربك

قم زن المال قلت لا * حفظ الله جانبك

وكان الفراغ من^(٤) إنشائه والاحتفال بافتتاحه في يوم الجمعة ثاني شهر رمضان سنة ٨٣٠ هـ (١٤٢٧ م) . وهو مسجد عظيم له وجهة كبيرة اشتملت على القبة والمنارة والمدخل العام ويلاحظ أن شبابيك الوجهة لم يتم تلبيس الرخام في أعقابها . وكان بالطرف البحري سبيل هدم . كما يوجد بالطرف القبلي باب للبيضاة يجاوره حوض لشرب الدواب .

وباب المسجد مكسو بالرخام الأسود والأبيض وغتبه من رخام ملون يعلوه نفيس ، ثم شباك يكتنفه عمودان حولها تربيعتان إحداهما مفقودة ، ومكتوب على الثانية بالكوفي المربع : ” لا إله إلا الله محمد رسول الله “ . وظاهرة الكتابات الكوفية المربعة في مثل هذا الوضع ألفنا رؤيتها في مساجد هذه الفترة إذ نراها في مساجد المؤيد ، وكافور الزمام ، والجمالى يوسف ، وفيروز الساق .

وتقوم المنارة على يمين الباب وهي مبنية بالطوب ومكوّنة من دورتين حلينا بالمقرنصات .

ومصراعا الباب حلينا بكسوة نحاسية : زوايا وأشرطة وبخارية مفرغة تقريبا دقيقا مكتوب عليهما

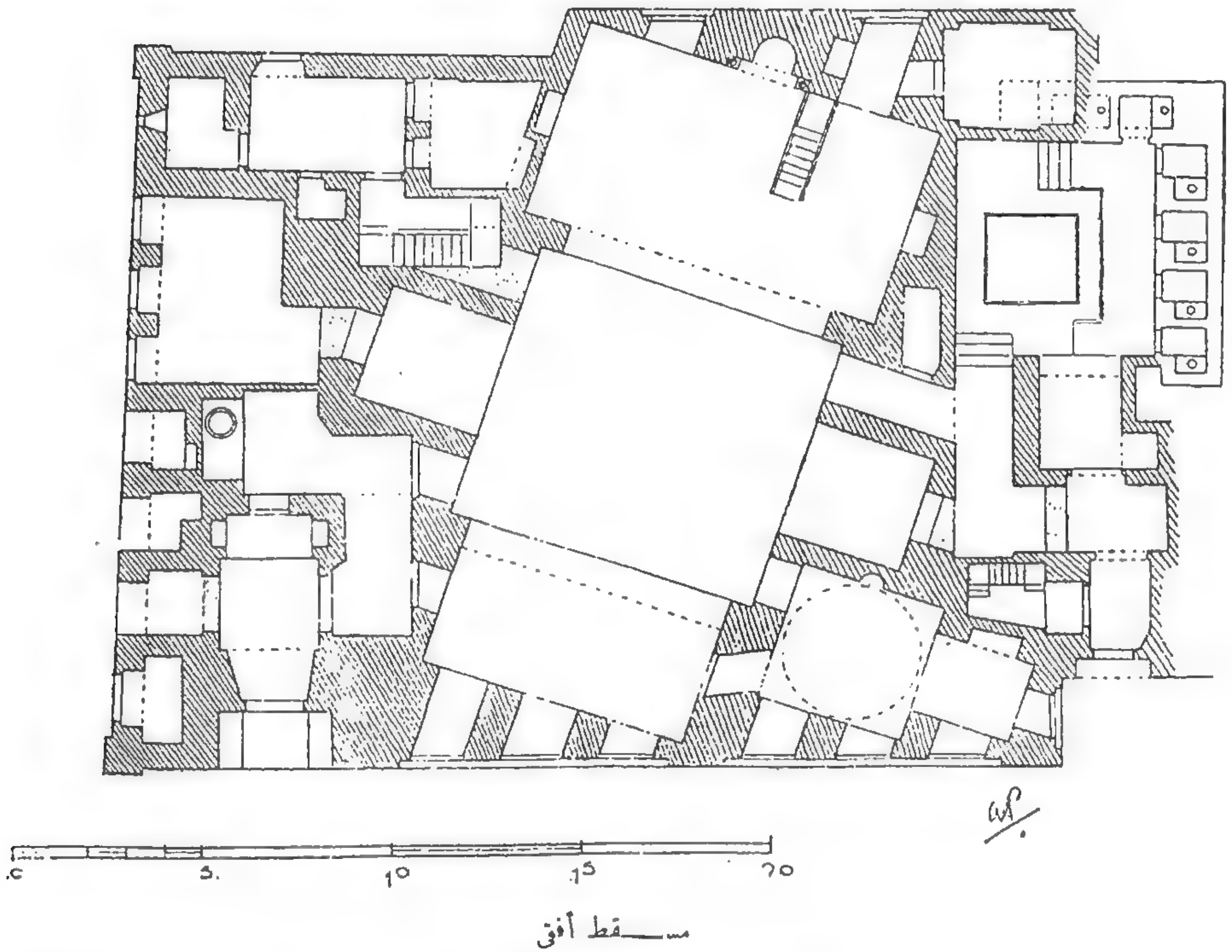
اسم المُنشئ وتاريخ رجب الفرد سنة ٨٣٠ هـ . ومكتوب على جانبي مدخله :

(*) أنظر الصور من رقم ١٥٢ — ١٥٤ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الضوء اللامع ج ٢ ص ٥٤ (٢) اللطيفخانه — بها آلات الموسيقى المخصصة للعرف أمام قصر السلطان .

(٣) النجوم الزاهرة ج ٦ قسم ٢ ص ٨٠١ طبع كفرنبا . (٤) النجوم الزاهرة ج ٦ قسم ٢ ص ٦٢٣

”بسم الله الرحمن الرحيم إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون صدق الله العظيم . أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك المقر الأشرف السيفي جاني بك الدوادار الملكي الأشرفي عز نصره بتاريخ شهر سنة ثلاثين وثمان مائة“ . وهذا الباب يؤدي الى دركاة لها سقف خشبي له مقرنصات بدلايات مثل سقوف قصر الحمراء بالأندلس . وتصميم المسجد من الداخل هو تصميم المدرسة : أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف فرشت أرضيته بالرخام الملون بأشكال جميلة امتازت بوجود فصوص زرقاء بها ، كما فرشت أيضا أرضيات تلك الإيوانات بالرخام بأشكال متنوعة .



والمنبر وإن كان قد أصابه تلف كبير إلا أن بقاياها تدل على أنه كان منبرا مطعما بالسن والزرنشان . وقد اشتمل المسجد على مجموعة نادرة من الشبائيك الحصية امتازت بدقتها والكّابات حولها ، والمحراب وإن كان حجريا إلا أن عمده تلفت النظر بأن قواعدها مخلقة من بدنها . كما أن بقايا السقوف وخاصة في الإيوانين القبلي والبحري تدل على ما كانت عليه من دقة وجمال . والقبة في الركن القبلي الغربي من الصحن ، وهي قبة حجرية صغيرة حلى سطحها بنقوش دالية ، كما اشتملت من الداخل على إيوان صغير في الجنب القبلي .

ومن هذا الوصف يكون هذا البناء لمدرسة ، بينما كتابتها التاريخية تنص على أنها جامع ، في الوقت الذي يقول عنها السخاوي^(١) إنها مدرسة للسادة الحنفية وبها صوفية ، ويعبر عنها المقريري^(٢) بخانقاه . وقد علق على ذلك مسيو فان برشم وقال : « إن تسمية هذه المدرسة جامعاً في كتابة تاريخية من التطورات المهمة في أسماء المباني الدينية » . والمرجح أن هذه الأسماء كانت ترجع الى وظيفة البناء لا الى البناء نفسه ، فكان مدلولها الغرض الذي أقيم من أجله لالطرز بنائه .

أعمال الإصلاح — بدأت لجنة حفظ الآثار العربية أعمال الإصلاح فيه منذ سنة ١٩٠٩ ، وفي سنة ١٩١١ اتسعت هذه الأعمال وتناولت الباب النحاس الذي اتضح أنه كان مكفناً بالفضة .

وفي عهد الملك الصالح فاروق الأول أصليحت الأرضيات الرخامية . وهي على جانب عظيم من الأهمية .

(١) تحفة الأحباب ، ص ١٧٢ خط . (٢) المقريري ، ج ٢ ص ٢٣١



قبة جاني بك الأشرفي بالصحراء

مدرسة الأشرف برسباي

بشارع المعز لدين الله^(١) (الأشرفية)

الملك الأشرف برسباي — كان برسباي الدقاق^(١) الظاهري مملوكا للسلطان الظاهر برقوق فاعتقه وعلمه، وأستمر في خدمته الى أن ألحق بخدمة ابنه الناصر فرج، وشغل عدة وظائف منها نيابة طرابلس، ثم دوا دار كبير بالقاهرة، ثم تولى سلطنة مصر في ٨ ربيع الآخر سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢٢ م) وساس الملك خير سياسة، وأذعن له الأمراء والتواب ودانت له البلاد^(٢).

وكان الأشرف مدينا يحب العلماء ويقربهم، كما كان يحب أعمال البر ومنح الصدقات، وفتحت في أيامه بلاد كثيرة، كما فتحت قبرص وأسر ملكها.

توفي الى رحمة الله تعالى في عصر يوم السبت ١٣ ذى الحجة سنة ٨٤١ هـ (١٤٣٨ م) ودفن بترابته بالصحناء.

ومن أعماله الجليلة حفره خليج الاسكندرية سنة ٨٢٦ هـ (١٤٢٣ م) وكان مطموما^(٣)، وقد بقي من آثاره الكثيرة التي أنشأها بمصر: الخانقاه، والتربة بالصحناء، والمسجد بخانقاه سرياقوس، ثم هذه المدرسة.

كان موضع هذه المدرسة حوانيت تعلوها رباح ومن ورائها ساحات وقياسر وبعد أن استبدلت واشترت الأرض اللازمة لإنشائها، ابتدئ في هدمها في أول شهر رجب سنة ٨٢٦ هـ (١٤٢٣ م)، ويجزء الفراغ من إيوان المحراب أقيمت بها صلاة الجمعة في ٧ جمادى الأولى سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م) وخطب بها الحموي الواعظ.

وهذا التصريح كشف لنا عن عدم صحة ما يرد في بعض النصوص التاريخية من تفصيل مدة الإنشاء بقصد الإطناب في قوة المنشئ، وقد جاء في النص التاريخي للوجهة ما نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا — الى قوله تعالى نصرا عزيزا صدق الله العظيم". أنشأ هذه المدرسة المباركة سيدنا ومولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر برسباي خلد الله ملكه بمحمد وآله يا رب العالمين وذلك بنظر العبد الفقير الى الله تعالى عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة

(١) انظر الصور من رقم ١٥٥ — ١٦٠ بمجموعة الصور الفوتوغرافية.

(٢) الدقاق نسبة الى دقاق نائب حماء الذي اشتراه وأهداه الى الظاهر برقوق.

(٣) البدر الطالع ج ١ ص ١٦١ (٢) ابن ياس ج ٢ ص ١٧ (٤) المقرئ ج ٢ ص ٢٣١

غفر الله له وللمسلمين في مدة أولها شهر شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائة وآخرها سلخ جمادى الأول سنة سبع وعشرين وثمان مائة .

والحقيقة أن الفراغ منها كان في سنة ٨٢٩ هـ (١٤٢٥ م)^(١) وهي السنة التي فتحت فيها قبرص ، وبهذه المناسبة علقت خوزة مليكها على باب هذه المدرسة تذكارا لهذا النصر ، وظلت باقية عليها حتى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) فقد عاينها الإسماعيلى المؤرخ^(٢) .

والوجهة الشرقية لهذه المدرسة جمعت تفاصيلها الهامة ، فالطرف البحرى ينتهى بقبة حجرية حلى سطحها بنقوش دالية ، وهى من القباب الجميلة ، ثم وجهة الإيوان الشرقى وقد حليت أعتاب الشبابيك بالرخام وغطيت بالمقرنصات ، فالمئذنة وهى ذات قاعدة مربعة وتشتمل على ثلاث دورات حلى بدن دورتها الثانية بقنوات مستطيلة متقاطعة تربطها ميمات . وتقوم دورتها الثالثة على عمد رشيقة أتمتها سنة ١٩٤٥ إدارة حفظ الآثار العربية ، ثم الباب العمومى وقد كسى بالرخام الأبيض والأسود ، ومكتوب على جانبيه فى الرخام : ” بسم الله الرحمن الرحيم وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا صدق الله العظيم أنشأ هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيى العدل فى العالمين قسيم أمير المؤمنين خدام الحرمين الشريفين المالك الملك الأشرف خلد الله ملكه “ .

وعتب الباب محاط بإطار رخامى دقيق ملون وهى ميزة ألقاها فى مساجد هذه الحقبة سبقه فيها أبواب مدرسة السلطان حسن وزاوية فرج بن برقوق ومدرسة القاضى عبد الباسط ، ويعلوه نفيس من الرخام دقت به زخارف موزقة ، فوقه مززر من رخام ملون ، يكتنفه دائرتان مكتوب عليهما : ” عن مولانا السلطان الملك الأشرف “ يغطى كل هذا مقرنص جميل . وينتهى الطرف القبلى بسبيل يعلوه كتاب مكتوب عليه : ” أمر بإنشاء هذا المكان المبارك ابتغاء لوجه الله تعالى وطلباً لرضوانه سيدنا ومولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر برسباي خلد الله ملكه “ .

وعلى مصراعى الباب كسوة نحاسية بها اسم المنشئ وتاريخ تجديدها سنة ١٣٣٢ هـ . والداخل من هذا الباب يجد دركاة على يسارها باب يؤدى الى حجرة السبيل وقد فرشت بالرخام الدقيق ، كما يعلوها سقف متوسطه سرة محارية مذهبة .

والباب الأيمن منها يؤدى الى طرفة بها باب السطح والمئذنة . وبها مزيرة أقيم على وجهها حجاب من الخشب الخروط مكتوب عليه : ” بسم الله الرحمن الرحيم إن الأبرار يشربون من كأس كان

مزاجها كافورا — الى قوله تعالى يوفون بالنذر ويخافون يوما “ . ثم باب إحدى المدارس خباب للميضاة ، يقابله الباب المؤدى الى الصحن ، وقد أحدثت به أربعة إيوانات ، كما أحدثت به أربعة أبواب أحدها يؤدى الى إحدى المدارس ، وقد تهدمت ، والثاني الى القبة ، والثالث الى الميضاة . وقد غطيت تلك الأبواب بمقرنصات من نوع واحد ، كما حليت أعتابها بمزرات رخامية . ومكتوب بدائر الصحن ما نصه : ” بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه — الى قوله تعالى والله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير . صدق الله العظيم . أنشأ هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين منصف المظلومين من الظالمين خادم الحرمين الشريفين الملك الأشرف خلد الله ملكه “ .

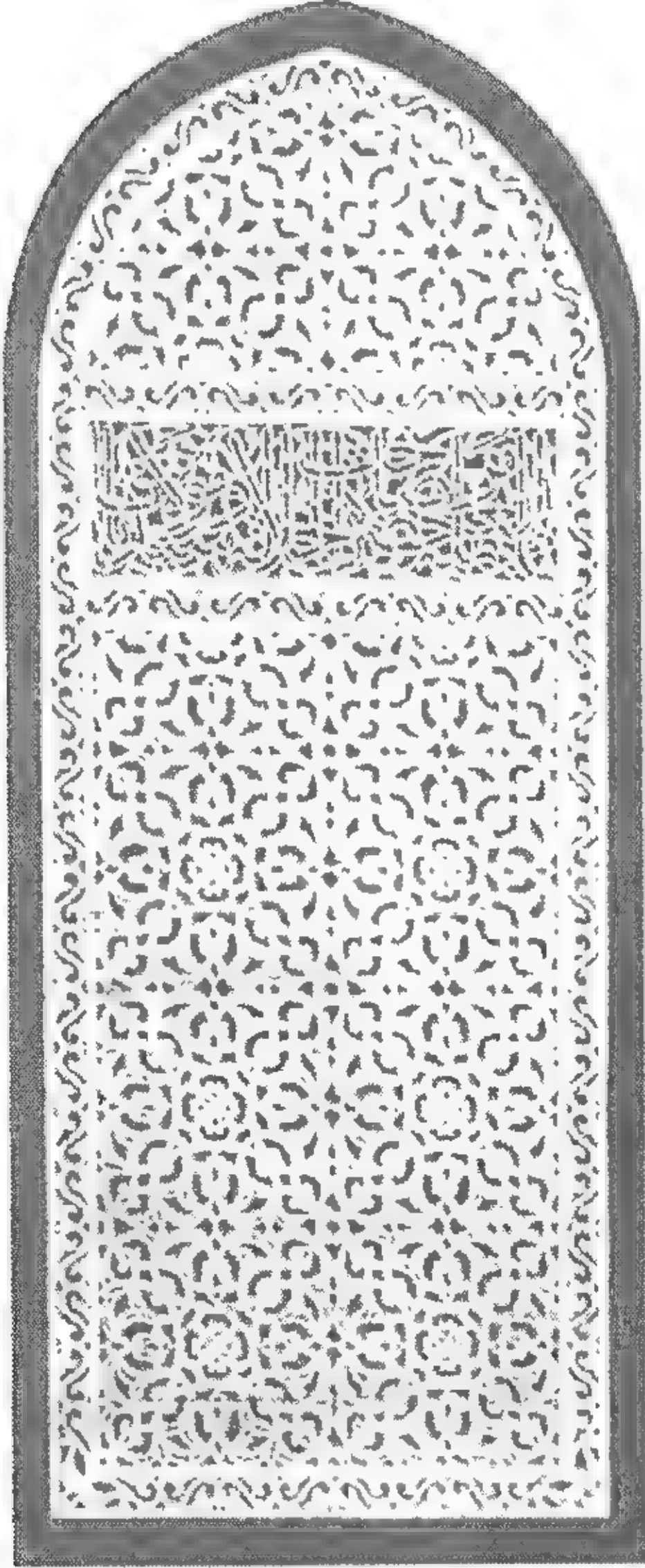
وكانت جدران الإيوان الشرقى مؤزرة بالرخام لم يبق منه سوى كسوة جدران المحراب ، وقد ارتفعت بارتفاعه وبها أثر تذهيب ، وكسيت عقود الشبايك بمزرات رخامية ، كما يوجد بها إفريز رخامى منقوش ومكتوب بالخط الكوفى ، ومع ما اشتمل عليه المحراب من صناعة دقيقة فى الرخام ، فإن صناعة الأرضية الرخامية تفوقه جمالا ، فقد اشتمل وسط الإيوان على دائرة رخامية بأشكال زخرفية ملونة ترمى بالسجاد اقتبسها بعد ذلك مهندس الغورى لمدخل مدرسته بالفورية . ومنشآت الأشرف برسباي كلها غنية بصناعة الرخام .

وقد تغير سقف هذا الإيوان وحل محله سقف غيره بكرادى لا يتفق مع طراز هذا العصر . أما الإيوان الغربى فقد احتفظ بسقفه ، وهو من رقعة واحدة مثل سقف الإيوان الشرقى بمدرسة الظاهر برقوق ، وقد حل بدوائر وسرر مذهبة ، أصالحت إدارة حفظ الآثار العربية جانباً منه كي يعطى فكرة عن مقدار جماله ، ومكتوب بإزاره آية الكرسي . وبه دكة للبلغ حديثة . وقد تقرر إزالتها .

ويحيط بجدار الإيوانين الشرقى والغربى سطر مكتوب فيه بيان الأعيان التى وقفها الأشرف برسباي على هذه المدرسة وغيرها من منشآته ، وأوجه الصرف عليها ، وقد أوضح حكمة كاتبها بهذه الطريقة فى أولها بقوله : ” أمر بكتابة هذا السطر المبارك مولانا المقام الشريف السلطان الملك الأشرف برسباي خلد الله ملكه تذكرة لمن يلى نظر هذه المدرسة المباركة وأصانت الجهات الموقوفة عليها وعلى ذريته وغير ذلك على ما يشهد به كتاب الوقت المبرور ... “ .

ويقوم على جانبي المحراب منبر دقيق الصناعة ، طعنت حشوات جوانبه وأبوابه ودرازينه بالسن والزرنشان . ومكتوب على بابه : ” أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة سيدنا ومولانا السلطان

الملك الأشرف عز نصره“ . كما يوجد بهذا الإيوان كرسى للمصحف طعم بحشوات السن بأشكال هندسية . وقد أتت في صناعته طريقة صناعة كرسى مدرسة الظاهر بقوق ، وهى طريقة مبتكرة وجيلة فقد طعم الخشب بحشوات من السن برسوم هندسية .



شباك من جص وزجاج ملون

والقبة بالطرف البحرى يتوصل إليها من باب بالصحن ، ومن خوخة في الشباك النحاسى البحرى للإيوان الشرقى ، وأمام مدخلها إيوان صغير على وجهه حجاب من الخشب الخروط كما أقيم على مدخلها حجاب من الخشب الخروط مكتوب عليه : ”بسم الله الرحمن الرحيم كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز“ .

وهى قبة عالية يتوسطها قبران حولهما سياج قصير من الخشب الخروط ومكتوب على أحدهما : ”هذا ضريح المرحومة فاطمة جهة المقام الشريف الأشرف“ . وهذه السيدة هى أم ولده الناصرى محمد ، وقد توفيت فى ١٥ جمادى الآخرة سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م) ^(١) .

ومن دفن بها أيضا ابنه الناصرى محمد المتوفى فى ٢٦ جمادى الأولى سنة ٨٣٣ هـ (١٤٣٠ م) ^(٢) .

وقد عنت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاح هذه

المدرسة فأصلحتها فى سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) ، وأصلحت رخام محرابها وإزارها وأرضيتها .

وفى سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م) أصلحت المنبر وكرسى المصحف واستكلت ما كان مفقودا منهما .

عناية الملك الصالح فاروق الأول بهذه المدرسة — وفى عهد الملك الصالح فاروق الأول أصلحت إدارة حفظ الآثار القبة وأكلت المنارة وعملت شبابيك جصية بالإيوان الشرقى تنفيذا لأمره الكريم .

ومن طريف ما يذكر أن السوق المجاورة للمدرسة من جهتها القبالية خصصت لبيع العنبر منذ سنة ٦٨٦ هـ (١٢٨٧ م) وكانت تجارته رائجة جدا وما زالت الى الآن مخصصة لبيع الروائح العطرية .

(٢) النجوم الزاهرة، ج ٦، ق ٢ ص ٨١٢ طبع كفرنيا .

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ ق ٢ ص ٧٨٤

خانقاه الأشرف برسباى

بالقرافة الشرقية^(*)

هذه الخانقاه والتربة ثانى منشآت الملك الأشرف برسباى، وهى فى القرافة الشرقية المعروفة بصحراء قايتباى .

وإذا اعتبرنا أن خانقاه فرج بن برقوق القريبة منها أكبر بناية أنشئت بالقراقات ، فإن هذه المجموعة تعتبر الثانية فى السعة ، فقد أنشأها لتؤدى عدة أغراض .

فإن خانقاه لإقامة الصوفية ، ثم حوش كبير فيه قبور وبقايا قبة وقبة كاملة لأخيه الأمير يشبك وأقاربه وبعض العلماء ، ومصلى لإقامة الشعائر الدينية ، ثم قبة حجرية عظيمة تجلت فيها عظمة القباب المملوكية . وكان الفراغ من بناء هذه المجموعة فى شهر رذى الحجة سنة ٨٣٥ هـ (١٤٣٢ م) ، وتجمعها وجهة كبيرة بنيت بالحجر ، تنتهى من الطرف القبلى بالخانقاه ، وهى تشغل مساحة كبيرة تخربت ولم يبق منها إلا وجهتها ، وقد ثبتت عليها ألواح رخامية نقش عليها بيان الأعيان الموقوفة على التربة التى أنشأها لأخيه بالحوش الملقق بتربته ، وبيان وجوه صرفها بتاريخ سنة ٨٣٤ هـ (١٤٣١ م) كما نقش عليها أيضا بيان ما وقفه على التربة التى أنشأها بحوشه لقريبه الأميرين أقطوه وتانى بك ، وبيان وجوه صرفها . ثم وقفية ثالثة على أخيه السيفى يشبك رحمه الله بتربة أنشأها المقام الشريف بالصحراء ، وبيان الأعيان الموقوفة ووجوه صرفها ، وقد خص مسجد الظاهر بيبرس البندقدارى بحصة منها . وقد أبان لنا الحكمة فى كتابة وقفه نقشا على منشآته لمنع عبث العابثين بها ، فلم يجد هذا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقد تخربت هذه الخانقاه وبها بقايا عقود تتوعت أشكالها إلى محاريب فقار وصرح . والقسم المحتفظ بتفاصيله الآن : المصلى ، وقبة الأشرف برسباى ، وحوشها الشرقى المدفون به أقاربه وبعض العلماء .

ويتوصل إلى هذه التربة من الطريق المؤدى من خانقاه برقوق إلى مدفن السلطان قايتباى حيث يوجد سلم ذو جناحين يؤدى إلى مدخل لطيف تعلوه منارة جزؤها العلوى حديث ساذج الشكل . ووجهة التربة مبنية بالحجر على طراز الوجهات المألوفة فى المساجد . صفوف مفتوح فيها صفان من الشبابيك : أحدهما قريب من أرضية المصلى والقبة . والآخر علوى ومنطى بشبابيك جصية

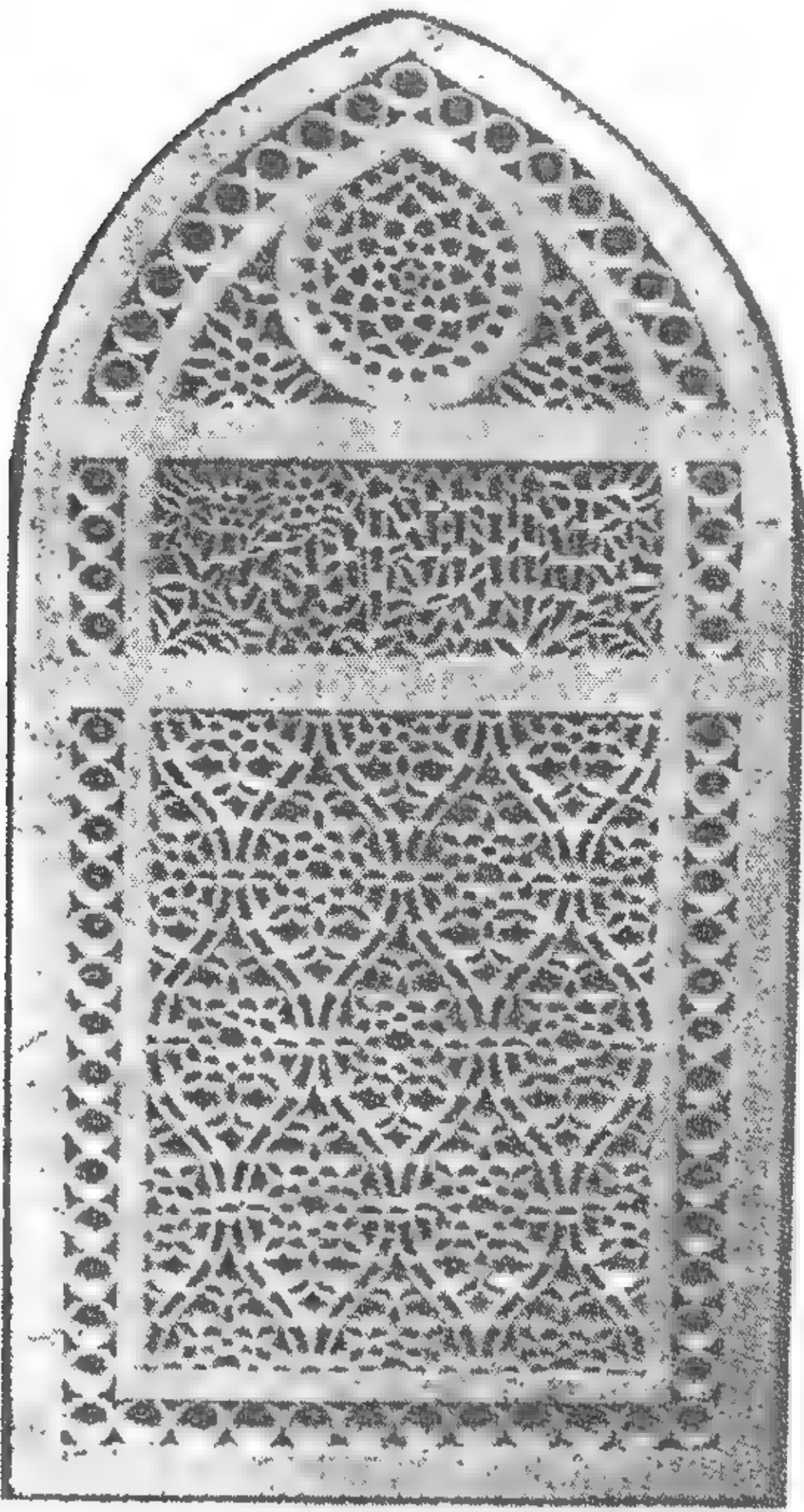
(*) أنظر الصور من رقم ١٦١ - ١٦٧ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

غالبيتها جديد . ثم أكتاف فاصلة بين الصفف المغطاة من أعلى بمقرنصات . ويتوج الوجهة
افريز كانت تعلوه شرفات . والباب العمومى مكتوب على جانبيه : ” بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ
هذه الخانقاه المقام الشريف مولانا السلطان الملك الأشرف سلطان الإسلام والمسلمين ابو النصر
برسباى عن نصره ، وكان الفراغ من ذلك فى شهر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وثمانمائة “ .

وعتب الباب مززر وفوقه نفيس منقوش ، يعلوه سطر آخر مكتوب فيه : ” بسم الله الرحمن
الرحيم إنما يعمر مساجد الله - الآية “ . يكتنفه دائرتان بهما : ” السلطان الملك الأشرف برسباى عن
نصره “ . وعقد الباب مداين مخوص ينتهى بطاقيتها بمقرنصات .

وفى الجانب البحرى للدركاه التى تلى المدخل باب
معقود يؤدى إلى مصلى ذى إيوانين يفصل بينهما
مجاز تؤدى نهايته البحرية إلى باب القبة .

وسقف المصلى محمول على صفين من العقود يشتمل
كل صف منهما على ثلاثة عقود محمولة على عمودين من
رخام : اثنان منهما قواعدهما تيجان . وأرضية الإيوان
الشرقى بالمصلى من الرخام الدقيق وبها ترابيع محاطة بمزرات
ملونة وهذا يشاهد لأول مرة فى الأرضيات فقد ألفنا
رؤية المزرات فى أعتاب الأبواب والشبابيك فقط .
وبالمصلى محراب حجري عار من الزخرف وشبابيك
جصية عمات حديثا ، وقد نقش السقوف بالبوية ،
وكتب بإزارها ألقاب المنشئ . أما القبة فإن أرضيتها
من الرخام ، ولكنه مع جماله دون دقة الأرضية بالمصلى .
وقد احتفظت وزرة جدرانها بأشرطة من رخام



شباك من جص وزجاج ملون

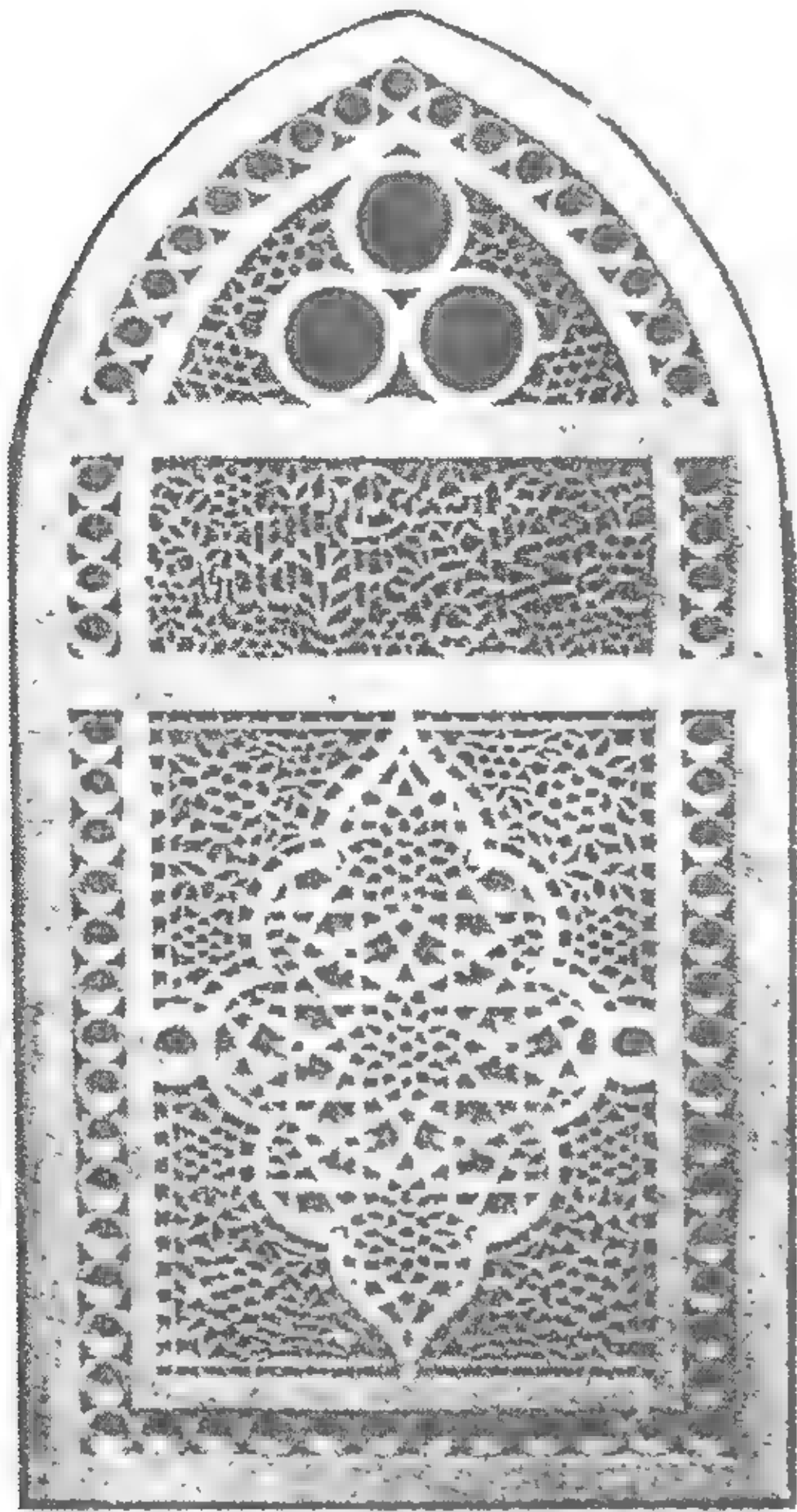
وصدف دقيق جدا ، وصناعة الرخام بالمحراب دقيقة . وعلى جانبيه خورنقات صغيرة طعمت بالصدف
الدقيق ، وأمامه قبر المنشئ وزوجته خوند جلبان أم ولده الملك العزيز يوسف ، وقد توفيت فى ٢ شوال
سنة ٨٣٩ هـ (١٤٣٦ م) .

والقبة من القباب الكبيرة ، قاعدتها مربعة ، تعلوها رقبة ، فوقها قبة كبيرة جميعها من الحجر ، وسطحها
مغشى بنقوش هندسية بدیعة . ونقوش هذه القبة تعتبر الخطوة الثانية بعد قبة خانقاه فرج بن برقوق

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ قسم ٢ ص ٨٤٢ طبع كفرنبا .

في سبيل ترقية زخارف القباب الإسلامية، ومكتوب برقيتها من الخارج : ” بسم الله الرحمن الرحيم ،
الله لا إله إلا هو الحي القيوم الآية “ ثم أسم الأشرف برسباي وألقابه .

وخلف المصلي الحوش الذي يضم قبور أخيه وأقاربه ، ويتوصل إليه من باب بصدر الدركاه
بالمدخل ، وبه الآن قبتان : إحداهما تلاصق المصلي ، وقد هدمت ولم يبق سوى قاعدتها . والثانية
أمامها وقد أقيمت على أربعة عقود ، ومقرنصها من الجص : وتحتها تركيبتان من الرخام ، مكتوب
على الكبيرة منهما آية الكرسي وعلى التركيب الصغيرة أمام المحراب لوح رخامي مؤرخ ٢٠ شوال
سنة ٨٤١ هـ (١٤٣٨ م) . باسم خوي بن سيدى داود ولد المقام الشريف ... وأرجح أنه منقول
من مكان آخر لأنه في غير موضعه ؛ وهى قبة صغيرة مبنية بالحجر ، وقد نقش سطحها بالزخارف الجميلة .



شباك من جص وزجاج ملون

ومن دفن في هذا الحوش : الأمير سيف الدين
يشبك بن عبد الله أخو الملك الأشرف برسباي ، وقد
توفي في شهر رجب سنة ٨٣٣ هـ (١٤٣٠ م) ^(١) والعلامة محمد
ابن محمد بن أحمد شمس الدين القليوبي ، وقد توفي
سنة ٨٤٩ هـ (١٤٤٥ م) . وعلى بن بركات بن حسن ^(٢)
ابن عجلان ، وقد توفي في ١٣ رجب سنة ٨٩١ هـ ^(٣)
(١٤٨٦ م) .

المنبر — يقوم الى جانب المحراب بالمصلي .
منبر جميل طعمت حشواته بالسق والزرنيشان والأويمة
برسوم جميلة ميزته على كثير من المنابر المعاصرة له
وقد حلّ باب مقدمه بنحط ميموني دقيق مكتوب فيه
بالخط الكوفي : ” إنا لله وملائكته يصلون على
النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه “ له نظير في صنوه ،
منبر المدرسة المزهريّة . وقد طعم الخشب النحط
بدرابزينه بالسق .

وهذا المنبر منقول اليه هو وكرسى المصحف من مسجد الغمرى بشارع امير الجيوش المنشأ
سنة ٨٤٣ هـ (١٤٣٩ م) بعد تحزبه وهدمه .

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ قسم ٢ ص ٨١٤ (٢) التبر المسبوك ص ١٣٨ (٣) الضوء اللامع ج ٥ ص ١٩٧

ومعلوم أن الأمر بعملهما للمسجد هو محمد بن علي المعروف بابن الردادى^(١) حوالى سنة ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م) .

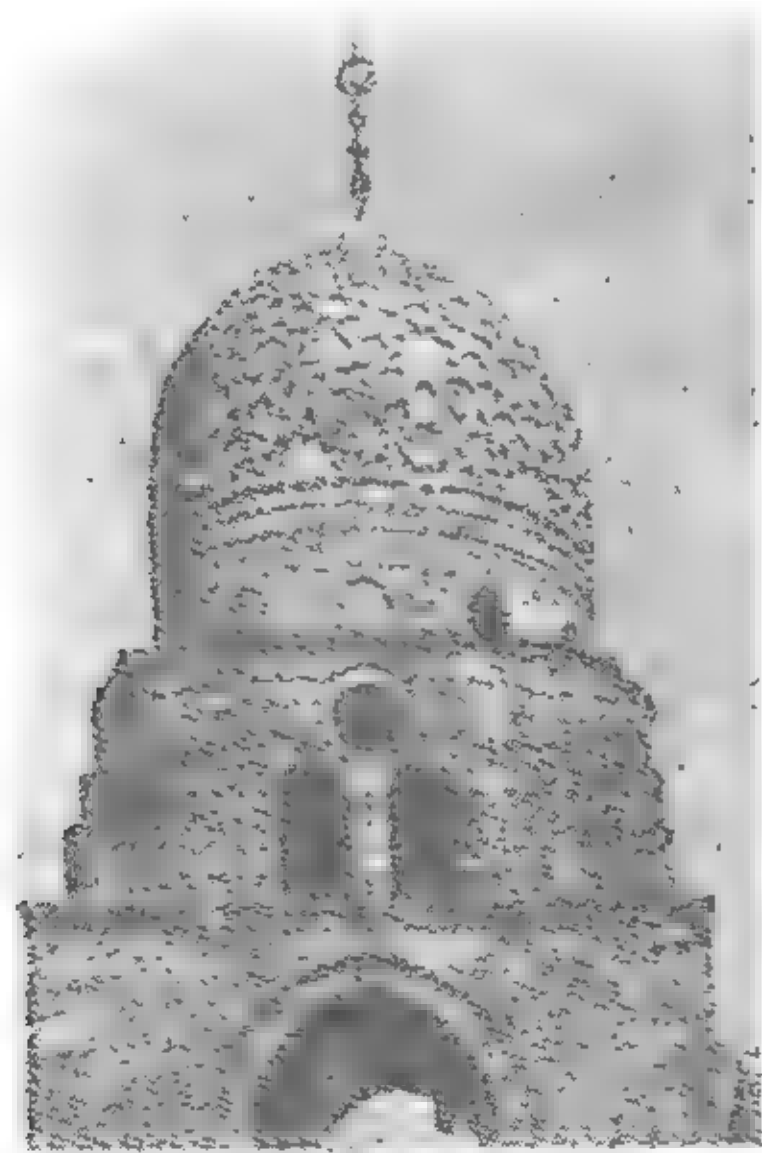
وقد كان هذا المنبر والكرسى فى حالة سيئة ، قد فقدوا بعض حشواتهما ، فعنيت إدارة حفظ الآثار العربية بهما ، وأصلحتهما ؛ ثم وقع اختيارها على إيداعهما هذا المسجد لحاجته اليهما ، فقد كان به منبر فى منتهى البساطة لا يمت له بصلة .

وصانع هذا المنبر هو النجار الماهر أحمد بن عيسى بن أحمد الديياطى ثم القاهرى . كان نابغا فى صناعته^(٢) ، وقد قام هذا النجار بأعمال هامة فى دولة الظاهر جقمق والجمالى ناظر الخاىص ، وجاء فى ترجمته أنه هو الذى عمل منبر المدرسة المزهريّة ، ثم المنبر المكى ومنبر جامع الغمري ؛ توفى بالمنزلة فى ذى القعدة سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢ م)^(٣) .

وبمقارنة هذا المنبر بمنبر مدرسة أبى بكر بن مزهر بجارة برجوان المنشأة سنة ٨٨٤ هـ (١٤٧٩ م) نجده متفقا معه فى كثير من التفاصيل ، وخاصة الخطر الدقيق والكتابة الكوفية فى باب المقدم ، وتقاسيم الجانبين ، وقد ميزتهما على كثير من المنابر .

وبذلك نكون قد وفقنا الى معرفة نجار ماهر ترك لنا من صناعته منبرين من أنفس المنابر وأجملها .

(١) الضوء اللامع ج ٩ ص ٩ (٢) الضوء اللامع ج ٢ ص ٥٩ (٣) الضوء اللامع ج ٢ ص ٥٩



القبلة شرق المصلى

مسجد الأشرف برسباي

بالحانكاه^(١)

الحانكاه — بلدة تابعة لمركز شبين القناطر بمديرية القليوبية، وواقعة على خط سكة حديد القاهرة . وكانت تعرف قديما باسم « سمامس سرياقوس » وقد غاب عليها اسم الحانكاه لأنه كان بها الخانقاه التي أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) وسبب بنائها أنه لما بنى الميدان والأحواش في بركة الحب القريبة من هذه المنطقة لشغفه بالصيد فيها ، آتفق أن ركب على عادته إليها ، فطراً عليه ألم جسم كاد يهلكه وهو يغالبه ، حتى اضطر إلى النزول عن فرسه ، فنذر إن شفاه الله لينين في هذا المكان مسجدا لعبادة الله تعالى ؛ فتقبل الله منه ، وزال ما به من مرض ، ونشط للصيد بقية يومه ؛ ثم عاد الى قلعة الجبل ، فلزم الفراش أياما ، ثم عوفي فركب بنفسه ومعه المهندسون ، وأختط على قدر ميل من ناحية سرياقوس خانقاه جعل فيها مائة خلوة لمائة صوفي ، وبني بجانبها مسجدا كما بنى بها حماما ومطبخا ؛ وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ٧٢٣ هـ (ديسمبر سنة ١٣٢٣ م) وافتتح هذه المجموعة في يوم الجمعة ٧ جمادى الآخرة سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) ؛ ثم وزعت التشاريف السلطانية على قاضي القضاة والعلماء وشيخ الشيوخ (شيخ الخانقاه) .

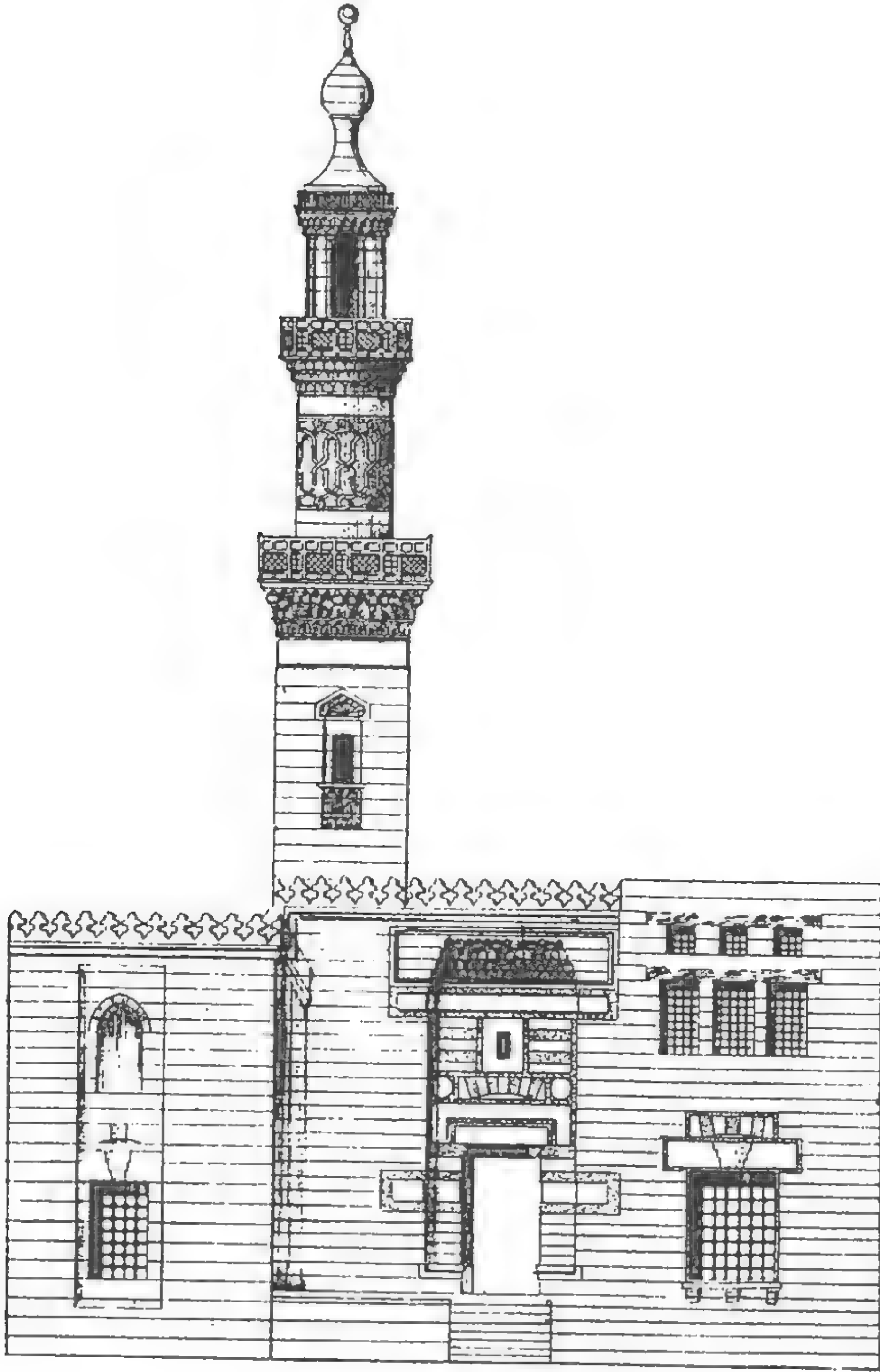
ومنذ ذلك الوقت رغب الأمراء وغيرهم في السكنى حولها ، فأنشئت بها المساجد والدور والحنات ، وصارت بلدة كبيرة عرفت بخانقاه سرياقوس ، إلا أن الزمن لم يبق على هذه الخانقاه فزالت من الوجود .

مسجد الأشرف برسباي — حدثنا الإسماعيلي^(٢) والصفوي المؤرخان عن سبب بناء هذا المسجد حديثا خلطا فيه بين فتح الأشرف برسباي لقبرص وبين سفره الى آمد ومحاصرتها ، استخلصنا منه أنه عند خروجه لفتح قبرص سنة ٨٢٩ هـ (١٤٢٦ م) نزل في مكان خال من البناء بالخانقاه السرياقوسية ، ونذر إن أحياه الله تعالى وظفر بعدوه ورجع سالما ليعمر في هذا المكان سيلا ومدرسة ؛ فنصره الله وفتحها ، وأسر ملكها^(٣) ، وجرى به الى القاهرة أسيرا ، فزينت المدينة ؛ وصادف ذلك الفراغ من بناء مدرسته بالأشرفية ، فأمر بتعليق خوذته على باب هذه المدرسة ، وقد بقيت حتى رآها الإسماعيلي المؤرخ في القرن الحادي عشر الهجري (السادس عشر الميلادي) وقد وثق بنذره ، وأنشأ المسجد وألحق به سيلا ، كما أنشأ بجواره مقعدا وخانا وحوضا لشرب الدواب^(٤) .

(*) انظر الصور من رقم ١٦٨ - ١٧٢ بمجموعة الصور التوثيقية . (١) المقرئ ، ج ٢ ص ٤٢٢

(٢) أخبار الأمل ص ١٢٢ ، صفوة الزمان ص ١٠٠ (٣) هو الملك جان دي لوزيان . (٤) حجة الوقف .

وفي هذه الرواية نظر — لأن حجة الوقف تفيد أن هذه المنطقة كانت عامرة بالمدارس والدور وإن الخانقاه الناصرية كانت موجودة غربى المسجد . ومدرسة سودون بن عبد الرحمن كانت شرقيه .



المدخل والمنارة

تاريخ المسجد ووصفه — كان البدء في إنشاء هذا المسجد وملحقاته في سنة ٨٣١ هـ (١٤٢٧ م)^(١) وأنشأ بجواره مقعدا وخانا وبستانا في الجهة البحرية منه ، ودورة للمياه وساقية وحوضا لشرب الدواب في الجهة القبليّة .

(١) ابن إياس ج ٢ ص ١٨

وكان الفراغ من بناء هذه المجموعة في سنة ٨٤١ هـ (١٤٣٧ م) ، ولم يبق منها الآن سوى المسجد وماحقاقه وبقايا الحوض ودورة المياه .

ولهذا المسجد أربع وجهات مبنية بالحجر بارتفاع ١٠,٢٥ متر بما فيها الشرفة وأهمها الواجهة الشرقية، وهي الرئيسية، وبطرفها البحري الباب العمومي وسبيل تعلوه حجرة كتاب .

والباب العمومي مكسو بالرخام، من مداميك بيضاء وسوداء، ومكتوب على جانبيه ما نصه :
(بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) إلى ... (المهتدين) .
أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك سيدنا السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسباي عز نصره .

ومصراعا الباب من الخشب المغطى بالنحاس، قامت بعملهما حديثا إدارة حفظ الآثار العربية على مثال باب مدرسته بالأشرفية .

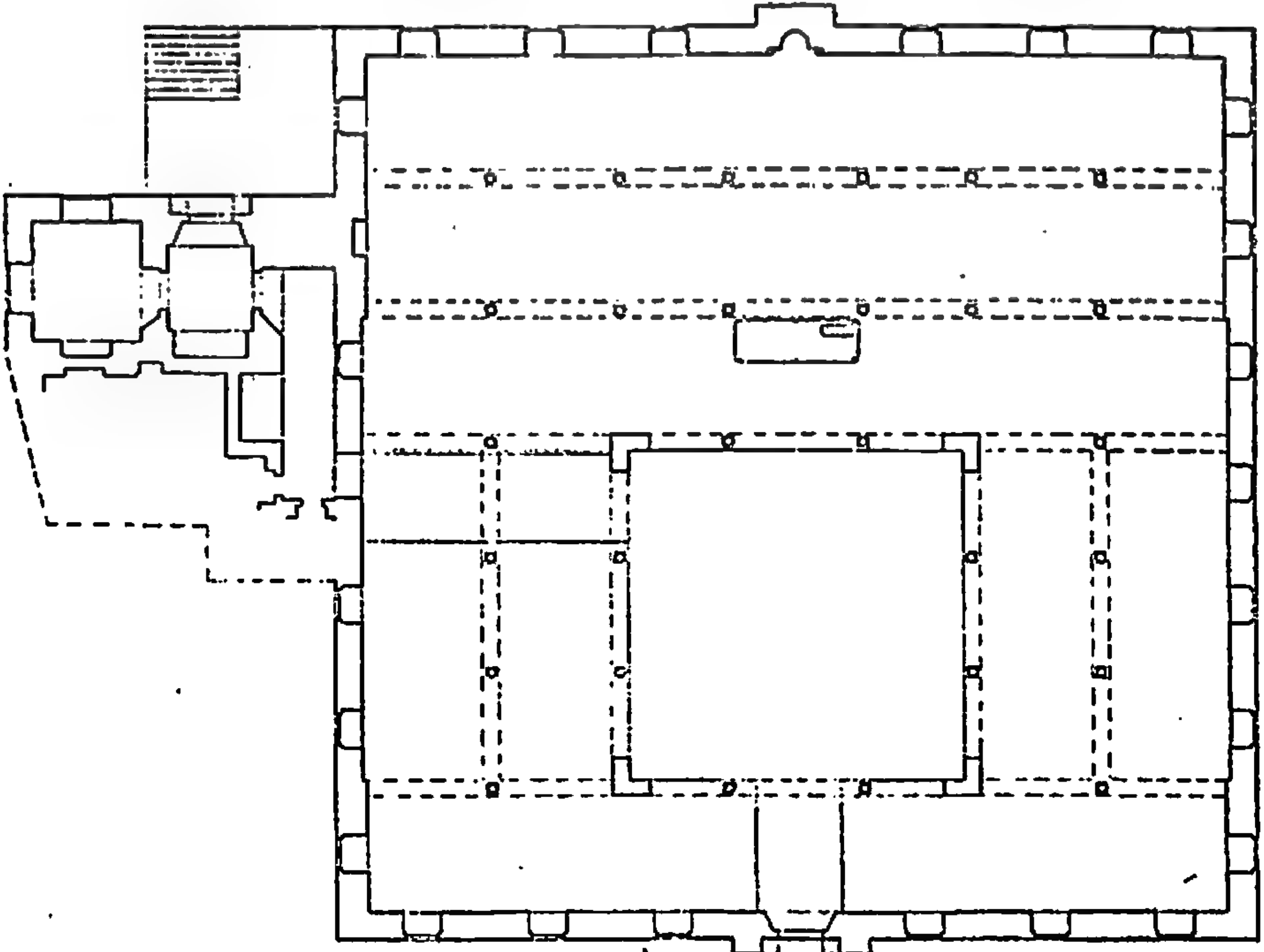
وقد كان مربكا عليه باب مكسو بالنحاس منقول اليه من أثر آخر أقدم منه، وعليه اسم الأمر بعمله الأمير شمس الدين منقر الطويل المنصوري ، فأصلح سنة ١٩٠١ م . وأودع دار الآثار العربية ، وهو باب منقوش بالنحاس الحافل بالكتابات، وبه صور حيوانات .

ويعلو الباب عتب رخامي مزور على هيئة شرفات بيضاء وسوداء، يحيط به إفريز رخامي ملون ، كما يوجد به دائرتان مكتوب عليهما : "عز لمولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسباي عز نصره"
يعلوها سطر مكتوب فيه تاريخ الفراغ من البناء بما نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) صدق الله العظيم .
وكان الفراغ من ذلك في مستهل جمادى الأولى سنة أحد وأربعين وثمانمائة من الهجرة النبوية .

وملئ يسار هذا الباب منارة رشيقة قاعدتها حتى الدورة الأولى مربعة لم يبق قديم سواها . وقد قامت إدارة حفظ الآثار العربية بتكلفتها ، فجاءت تحفة فنية . وتتكون من ثلاث دورات يبلغ ارتفاعها من سطح المسجد ٢٣,٠ متر : الدورة الأولى مربعة ٣,٠ × ٣,٠ متر وارتفاعها ٧,٨٠ متروبيها مقرنص من ثلاث حطات وأربع مشربيات بجوانبها . والدورة الثانية مستديرة ، قطرها ٢,٤٠ متر وارتفاعها ٥,٧٠ متر بها زخارف على شكل جفوت متقاطعة ، وبها مقرنص من ثلاث حطات ، والدورة الثالثة مئنة ، ارتفاعها بما فيه الخوذة واللال ٨,٥٠ متر ، وبها ثمانية أعمدة رخامية يعلوها مقرنص من حطتين .

(١) النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٢٥٢ طبع كفرنيا، تركة النفوس والأبدان، ج ٣ ص ١٢٨ خط .

والباب يؤدي إلى دركاة مربعة، بصدرها مسطبة لها وزرة رخامية، على يمينها باب معقود يؤدي إلى السبيل، يقابله باب آخر يؤدي إلى طرقة مفروشة بالرخام، بها منقطة (مزيرة) عليها حجاب من خشب الحرط الحديد، يليها باب يؤدي إلى القاعة الملحقة بالوجهة البحرية، وبصدر هذه الطرقة باب يؤدي إلى الكتاب والمجرات الملحقة به وإلى المنارة والسطح.



مسقط أفق

والمسجد مربع طول ضلعه ٣٨,٤ مترا ومساحته ١٤٧٤ مترا ومساحته بما فيه المدخل والسبيل وملحقاته ١٧٢٧ مترا، ويتكوّن من أربعة إيوانات، يتوسطها صحن مكشوف مفروش بالرخام الملون مساحته ١٣,٩٠ × ١٣,٩٠ مترا.

وأكبر الإيوانات الإيوان الشرقي، وبه ثلاثة أروقة، بكل رواق ستة عمد رخامية، تحمل عقودا حجرية فتحت في خواصرها شبابيك مستطيلة للتخفيف. وبؤخر هذا الإيوان دكة المبلغ، محمولة على ستة عمد رخامية، ولها درابزين بوجهين من الخشب الحرط.

وصدر هذا الإيوان وجانباه مكسوة بوزرة رخامية مائنة، يتوسطه محراب تجويفه وطاقيته من الرخام الدقيق، قيل: إنه كان به تسع شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) أخبار الأول ص ١٢٢، الحقيقة والمجاز ص ٢٩، صفوة الزمان ص ١٠١ - خط.

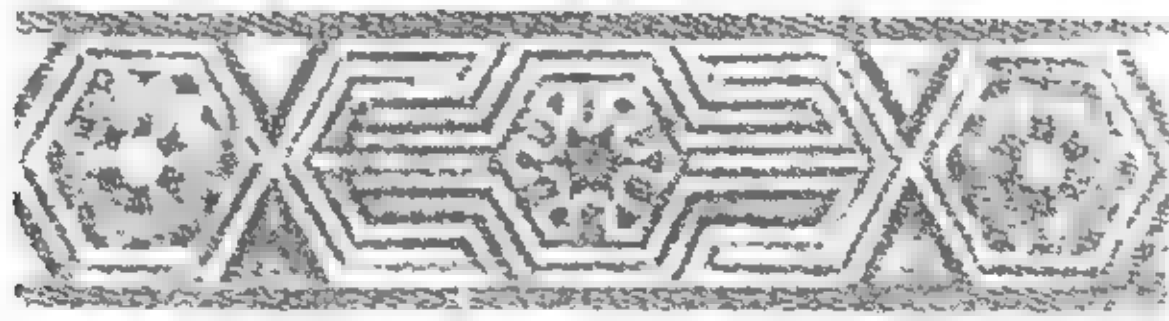
ويحاور المحراب منبر خشبي مطعم بالسق وبكل من الإيوانين البحري والقبلي رواقان .
أما الإيوان الغربي فمن رواق واحد ، يتوسطه باب تسوده البساطة .

ويحيط بجدران المسجد من أسفل شبابيك حديدية ، ومن أعلى شبابيك جصية من الداخل والخارج .
وكانت سقوف المسجد محلاة بزخارف البوية ، فأعيد سقف الإيوان الشرق منها طبقاً لأصله .

أعمال الإصلاح — عيّنت لجنة حفظ الآثار العربية بهذا المسجد منذ سنة ١٨٩٤ م ،
فقررت تسجيله ضمن الآثار العربية ، وكانت حالته سيئة فأجرت به إصلاحات جزئية على مر السنين .
وفي عصر المغفور له الملك فؤاد الأول أجريت به إصلاحات هامة هيأته لإقامة الشعائر الدينية
وتمت هذه الأعمال نهائياً ، وأعد للصلاة في عهد الملك الصالح فاروق الأول .

وقد تناولت هذه الأعمال إصلاح الواجهات ، وتكملة السبيل وملحقاته ، والوجهة البحرية ،
وعمل باب جديد ، وتقوية المنارة وتكتمتها ، وعمل مزينة ، وإصلاح رخام الوزرات والأرضيات ،
وتكملة المحراب والمنبر وإصلاحهما ، وتقوية العمدة ، وإصلاح الرخام بالصحن وأمام المحراب ،
وعمل شبابيك جصية من الداخل والخارج بالواجهات وأعيدت طبقاً لأصلها نقوش سقف
الإيوان الشرق .

”وقد تفضل بافتتاحه حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول بأداء فريضة الجمعة
فيه يوم ١٤ المحرم سنة ١٣٦٤ هـ (٢٩ ديسمبر سنة ١٩٤٤ م) أعزّه الله وأدام ملكه السعيد“ .



مسجد زين الدين يحيى

بشارع الأزهر^(*)

الأمير زين الدين يحيى — يحيى بن عبد الرزاق الزينى القبطى — وفى رواية الأرمنى —
الظاهرى^(١) الأستاذ المعروف بالأشقر . ولد بمصر قبل أوائل القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر
الميلادى) ، فنشأ بها وتدرّب فى وظائف الدولة ، وتدرّج فيها إلى أن عين ناظرا لديوان المفرد^(٢)
غير مرة ، ثم عين ناظرا للاسطبل السلطانى ، ومحتسبا للقاهرة .

وفى دولة الظاهر جقمق كان الأمير مقربا منه ، فأقبلت عليه الدنيا ، وأثرى ثراء عظيما بسبب
تسفه ، وأستيلائه على أموال كثيرة بطرق غير مشروعة .

وبعد وفاة الظاهر جقمق تنكرت له الدنيا ، فنكب وعذب غير مرة ، وأستخلصت منه أموال
كثيرة ، وقاسى أهوالا شديدة ، ثم أرسل إلى المدينة الشريفة النبوية فبقى بها شهرا عاد بعدها
إلى مصر ولزم بيته .

ولما ولى الملك الأشرف قايتباى ملك مصر صادره أيضا ، وحبسه بالقاهرة ، إلى أن توفى
ليلة الخميس ٢٨ ربيع الأول سنة ٨٧٤ هـ (١٤٦٩ م) . وقد زاد عمره على الثمانين ودفن بهذه
المدرسة ، عفا الله عنه .

وله منشآت عمارية كثيرة ، منها مسجدان : أحدهما بالحبانية . والآخر ببولاق ، وكلاهما باق إلى
الآن ، وهما من الآثار القيمة ، وقد جدد رباط أبى طالب بشارع بين السورين ، وأنشأ هذا المسجد
تجاه داره ، مع ملحقات كثيرة وردت فى كتاب وقفه الذى يتبين منه أيضا أن باب الخوخة أحد
أبواب السور الفاطمى^(٣) كان مجاورا له من الجهة القبلىة .

موقع المسجد ووصفه — عند تلاقى شارع الأزهر بشارع الخليج المصرى ، يستوعب
النظر وجهة جديدة بنيت بالجمر ، تجلّت فيها دقة الصناعة ، تلك هى الوجهة القبلىة الجديدة لمسجد
زين الدين يحيى .

(*) انظر الصور من رقم ١٧٣ — ١٧٦ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

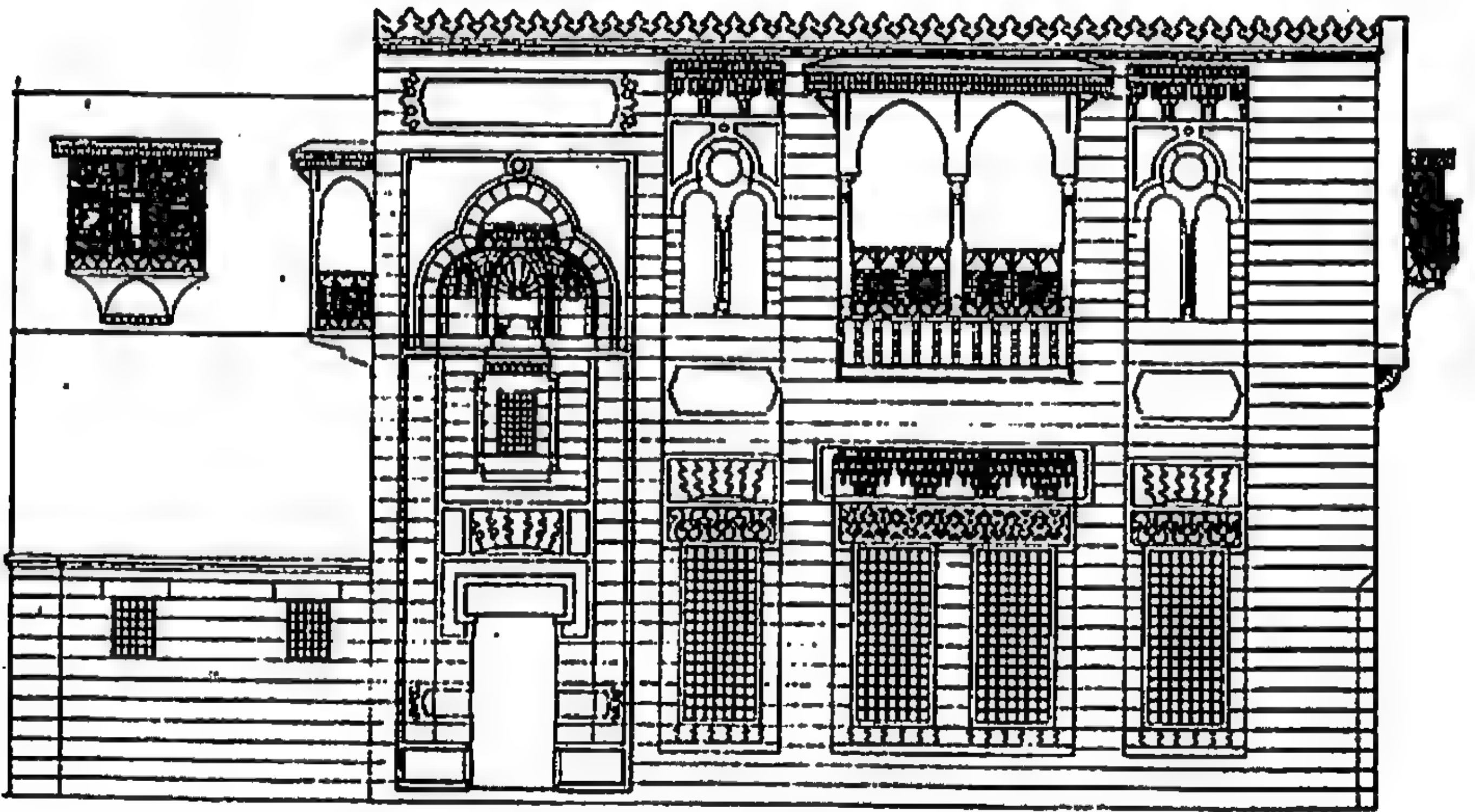
(١) ابن إياس ج ٢ ص ١١٤ ، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٣٣ — ٢٤

(٢) ديوان المفرد (ديوان الخاصة)

(٣) جهة الوقف .

وهو الذى يتولى الاتفاق على مالك السلطان وإيراده من البلاد المفردة له .

أنشئ هذا المسجد سنة ٨٤٨ هـ (١٤٤٤ م) وهو من المساجد الجميلة الحافلة بشتى الصناعات . وله الآن ثلاث جهات : الشرقية ، وبها شبابيك أعتابها من مزررات رخامية ، وبطرفها القبلى مدفن للنشئ ، كان يحواره سبيل ، وبطرفها البحرى المنارة الرشيقة ذات الدورات الثلاث والملبس بدن دورتها الثانية برخام ، وبهذه الوجهة أيضا شباك صغير مكتوب عليه : " هذا ضريح الشيخ الصالح سيدى فرج السطوحى أعاد الله بركته على من جدد هذا المعروف وعلى المسلمين بمحمد وآله " . والوجهة البحرية تتكون من باب لليضاة المنخفضة عن مستوى الشارع ، يحاوره الباب الرئيسى للمسجد ، وهو باب جميل كسى بالرخام الأبيض والأسود ، وعتبه مزرر بالرخام ويكتنفه مستطيلان من رخام دقيق ملون ، يعلو ذلك سطر مكتوب فيه ما نصه : « أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى ، المقز الأشرف الكريم الملكى الظاهرى » . يغطى ذلك مقرنصات جميلة ذات دلايات .



الوجهة القبلىة

ومكتوب على جانبي هذا الباب قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ بتاريخ جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وثمان مائة . ومركب على هذا الباب مصرعان مكسوان بالنحاس المخزوم بأشكال زخرفية . وهذا الباب يؤدى إلى دركاة مربعة صغيرة ، بصدرها مسطبة مفروشة بالرخام الملون وشباك ، يعلوها سقف منقوش مذهب ، مكتوب بأزاره قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ . وعلى يسار هذه الدركاة باب يؤدى

إلى ضريح عرف بالشيخ فرج وإلى سلم السطح، وعلى يمينها باب يؤدي إلى طرقة مستطيلة فرشت بالرخام، توصل إلى صحن المسجد، وتصميمه تصميم مدرسة أربعة إيوانات متعامدة أكبرها إيوان القبلة، بصدرة محراب حجري عار من الزخرفة، كتب بتجويفه قوله تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها﴾. الآية. يحاوره منبر خشبي طعنت حشوات جوانبه ودرازينه وأبوابه بالسق والزرنشان؛ فهو من المنابر القيمة وعلى بابيه رنك محبرة، وكسبي المصحف صناعته مثل صناعة المنبر، مطعم بالسق والزرنشان.

ولهذا الإيوان سقف مزخرف مذهب مكتوب بإزاره آيات من القرآن، وكذلك باقي سقوف الإيوانات وهي في غاية الجمال وعلى جانب عظيم من الأهمية هذا عدا الشبايك الحصية ذات الزجاج الماتون.

وقد غطى الصحن بسقف مزخرف مذهب، بإزاره آيات من القرآن، كما كتب بمشمن منوره تاريخ عمارته سنة ١٣١٤ هـ.

ومكتوب تحت مقرنص أرجل عقود الإيوانات أسم المنشئ وألقابه وتاريخ العماره بما نصه: «أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك مولانا المقر الأشرف الكريم العالي المولوى الأميرى الكبيرى الأجل المحامى المخدومى السيدى السندى المالكى الذخرى العضدى النظامى الهامى المشيرى السفيرى الزينى أبو زكريا يحيى أمير أستاذ دار العالية . . وكان الابتداء فى . . سنة . . وثمان مائة، والفراغ منه فى ثانى شعبان المكرم سنة تاريخه عمرها . . . بذكره .

والباب القبلى الشرقى للصحن يؤدي إلى مدفن المنشئ، تتوسطه تركيبة رخامية كتب بمجوانبها كلمات من آية الكرسي ثم مانصه:

«أنشأ هذا المدفن المبارك الفقير إلى ربه المقر الأشرف العالي الزينى يحيى أمير أستاذ دار العالية وما مع ذلك عز نصره بتاريخ عاشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين وثمان مائة» .

ويتوسط هذه الكتابة حلية زخرفية بها شمعدانان يتوسطهما قنديل. والباب القبلى الغربى يؤدي إلى سلم يهبط إلى دورة المياه القديمة، وكانت تحت الإيوان الغربى، ويؤدي الآن إلى دورة المياه الحديثة الملحقة بالجهة الغربية للمسجد.

عناية لجنة حفظ الآثار العربية بهذا المسجد — عند ما شرعت لجنة حفظ الآثار العربية فى العناية بهذا المسجد كان فى حالة سيئة فقد كان خاليا من أكثر السقوف، ونصفه متخرب تقرىبا،

والمئذنة لم يكن بها سوى دورتها الأولى. أما باقيها فقد كان من الخشب والطوب، عمل سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م)، والوجهات مشعشة، والنجارة مفقودة أكثرها، فعُتبت بتقوية أبنيتها، وتكلمة وجهاته، وأعادت بناء الكتاب بمشربته، وأصلحت المنبر والكرسي، وقد فقد الكثير من حشواتهما، وسرقت نصوصهما التاريخية، وحفظت اللوحة التاريخية التي كانت على المنبر بمخزاة النقود العتيقة بباريس، ونصها: « أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك المقر الأشرف العالي الأميرى الزينى أستاذدار العالية عز نصره ».

وحفظت اللوحة التاريخية التي كانت على كرسي المصحف في مجموعة شيفر الأثرية، ونصها: « أمر بإنشاء هذا الكرسي المبارك المقر الأشرف العالي الزينى أستاذدار العالية عز نصره في شهر سنة ثمان وأربعين وثمان مائة ».

وكذلك أكملت المئذنة من تفاصيل منارات عصرها، وأعيدت السقوف إلى أصلها، والشبايك الحصية، حتى أصبح المسجد تحفة فنية على ما هو عليه الآن، وقد بلغت نفقات تعميره ٢٧١١ جنيهاً، وأثبت تاريخ هذه العمارة على منور سقف الصحن، وفي لوح رخامى بطرفة المسجد بما نصه: « شرع في تجديد هذا الجامع المبارك في عصر ساكن الجنان الخديو الأعظم محمد توفيق باشا سنة ثلاث وثلاثمائة وألف، وآنهى في عصرولى النعم الخديو الأعظم عباس حلمى باشا الثانى بمباشرة لجنة حفظ الآثار العربية عام خمسة عشر وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية ».

وعلى أثر فتح شارع الأزهر آنكشفت الوجهة القبلى لهذا الجامع، فوجدت مهتمة لا تنفق وجمال هذا الأثر وأهمية الشارع، فعُتبت بها إدارة حفظ الآثار العربية ووضعت لها تصميماً حافلاً تم تنفيذه في عصر الملك الصالح فاروق الأول.

ولهذه الوجهة باب حافل بالنقوش والكتابات والمقرنصات، مركب عليه مصراعان مغشيان بنحاس مخزم بأشكال جميلة، كما حليت أعقاب الشبايك بالرخام، والوجهة بالمشربيات، وقد كتب أعلى الباب العمومى ما نصه: « تجددت هذه الوجهة في عهد الملك الصالح (فاروق الأول) في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف ».

وكان أداء حضرة صاحب الجلالة الملك فريضة الجمعة فيه يوم ٢٤ شعبان سنة ١٣٥٩ هـ (٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٠ م) إيذاناً بافتتاح عمارته الجديدة التي تمت في عهده الزاهر، أمد الله في عمره السعيد، وثبت قواعده ملكه.

مسجد زين الدين يحيى ببولاق

بشارع الحضرة^(*)

هو ثاني جامع أنشأه الأمير يحيى زين الدين ، وعرف بجامع المحكة ، لاتخاذ محكة منذ القرن العاشر الهجرى حتى عصر المغفور له محمد علي باشا .

وقد أنشئ في سنى ٨٥٢ هـ (١٤٤٨ م) - ٨٥٣ هـ (١٤٤٩ م) ، وأفتتح للصلاة في سنة ٨٥٢ هـ (١٤٤٨ م) قبل الفراغ من عمارته ، لأن السخاوى المؤرخ يقرر « أنه في يوم الجمعة ٣ رمضان سنة ٨٥٢ هـ خطب بالجامع الذى أنشأه الزينى الأستاذ بشاطى النيل ببولاق ، بإذن السلطان ، وكان يوما مشهودا ، وخطبه يومئذ هو الشيخ المقرئ تاج الدين عبد الوهاب السكندرى المالكي . وقرر بالجامع تصوفا وميعادا ، وقرر في مشيخة ذلك الشيخ نور الدين على المناوى سبط ابن الملقن ، وفي الإمامة بدر الدين البرماوى الموقع . وفي قراءة الحديث الشيخ أباحامد القدسى . فعل كل هذا ، وعمارته لم تنته إلا في السنة الآتية^(٢) . »

ويظهر أن الإسراع بحفلة الافتتاح كان من عادة منشئ هذه الآثار ، لأن العماره استمرت بعد افتتاحه خمسة عشر شهرا ، فلم تنته إلا في ذى الحجة سنة ٨٥٣ هـ (يناير سنة ١٤٥٠ م)^(٣) بينما تقرأ على الجامع أن الفراغ منه في شهر شعبان سنة ٨٥٢ هـ . وقد تكررت هذه الحالة في كثير من المساجد والمدارس ، وكأنهم أرادوا أن يشعروا الأجيال التى تليهم بقوة سلطانهم ونفوذهم . ونرى ابن تغرى بردى عند ذكره تاريخ الفراغ من العماره يقول : « ولم أدر المصروف على بنائه من أى وجه ومن كان له شئ فله أجره » .

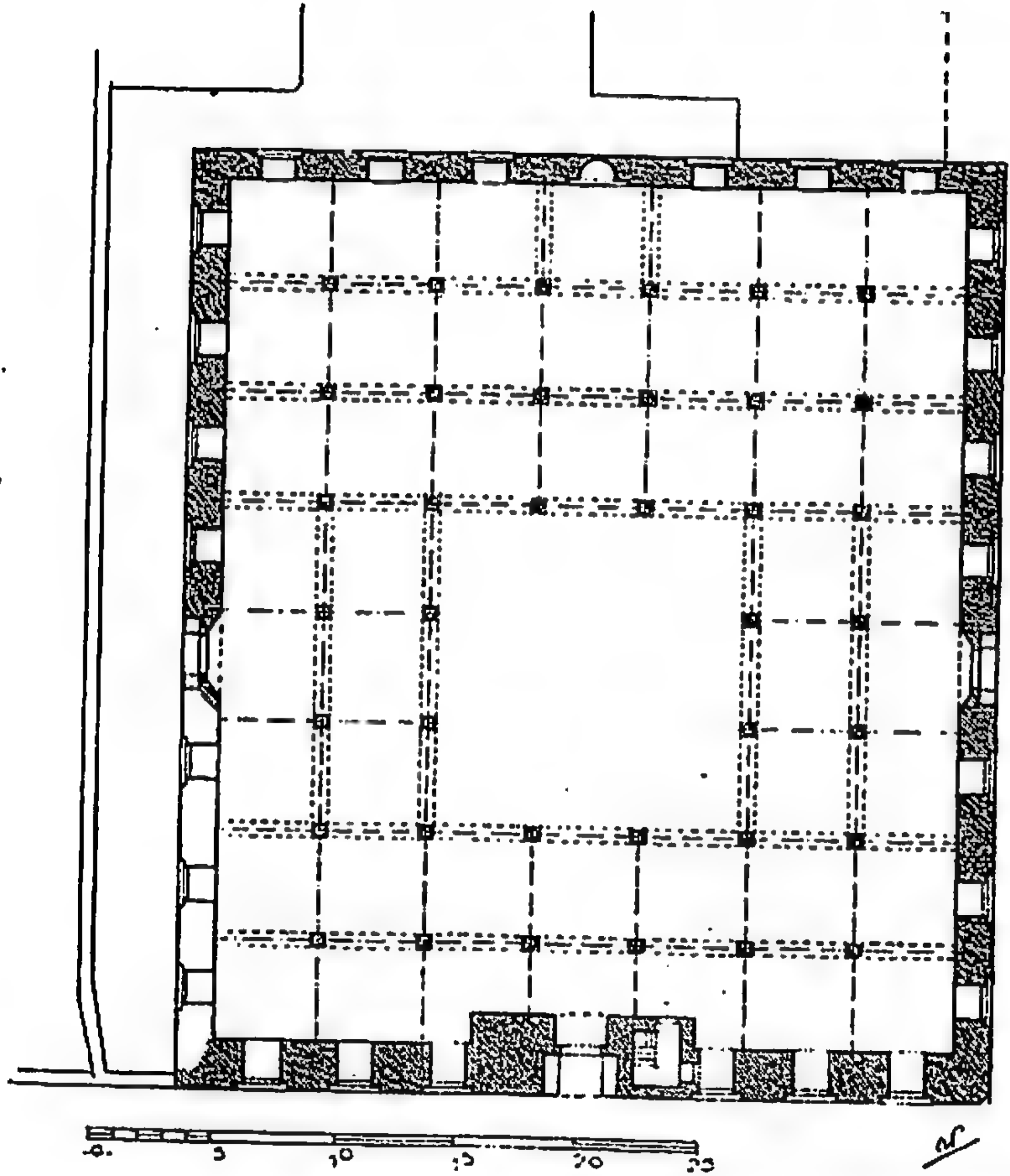
ولهذا المسجد ثلاث وجهات رئيسية مبنية بالحجر ، يتوسط كلا منها باب : القبلى والبحرى منهما متماثلان ، بينما اختلف الغربى عنهما ، وقد اشتملت تلك الأبواب على مقرنصات متنوعة ، وزخارف هندسية ، وتطعيم بالرخام الماتون ، وكتابات تاريخية ، فما هو مكتوب على الباب الغربى في أربعة مستطيلات حجرية : « أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك المقرئ الأشرف الكريم العالى الزينى استاذ دار العالية الملكى الظاهرى عز نصره » .

(*) أنظر الصور من رقم ١٧٧ - ١٧٩ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) باى شرع محكم ص ٣١ (٢) التبر المسبوك ص ٢١٧ (٣) النجوم الزاهرة ج ٧ قسم ١ ص ١٨٢ ،

طبع كفرنيا والتبر المسبوك ص ٢٧٠ (٤) النجوم الزاهرة ، ج ٧ قسم ١ ص ١٨٣ طبع كفرنيا .

ومكتوب أعلى الباب القبلي : « أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك ابتغاء لوجه الله تعالى المقتر
الأشرف الكريم العالى الزينى أستاذ دار العالية الملكى الظاهرى عز نصره » .
ومكتوب على جانبي الباب : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة
وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ . « وكان الفراغ من ذلك فى شهر
شعبان سنة اثني وثمان مائة » .



مسقط أفق

ولا شك أنه قد سقطت من الكاتب كلمة (وخمسين) فتكون صحته اثني وخمسين وثمانمائة .
وتصميمه الداخلى تصميم مسجد أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف كتب بدائره ما نصه :
« ... الشريف السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق عز نصره ، العبد الفقير إلى الله
تعالى المقتر الأشرف الكريم العالى المولوى الملكى المخدومى العضدى الزحرى ... » .

وبكل من إيواناته الثلاثة رواقان: أما الإيوان الشرقى فيشتمل على ثلاثة أروقة، يتوسطه محراب حجرى عار من الزخرف لبست طاقيته بالحجر الأحمر وبها لفظ الجلالة، ومكتوب بتجويفه: « أنشأ هذا الجامع المبارك فى صحائف مولانا السلطان الملك الظاهر محمد أبو سعيد جقمق عز نصره ، فقير رحمة ربه ، أبو زكريا يحيى الشافعى ، عامله الله بإطفه الخفى » .

وبعلو المحراب قبة خشبية جددت على مثال القبة فى مسجده بالحسانية، ويمجاوره منبر خشبي جديد مكتوب على باب مقدمه: « أنشئ هذا المنبر فى عصر حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول » . والمسجد وإن كان خاليا الآن من الزخرف بسبب ما أصابه من تخرب وهدم ، فإن مجوار أبوابه من الداخل حفلت بزخارف جصية دقيقة تسترعى النظر .

وتقوم المنارة على يسار الباب الغربى ، وقد هدم قسمها العلوى فلم يبق سوى قاعدتها حتى الدورة الأولى وبها زخارف وكتابات تضمنت أسم المنشئ . ويلاحظ فيها أن جلسة دورتها الأولى مخضرفة منقوشة . وقد قلدها مهندسا السلطان قايتباى فى منارة مسجده بقلعة الكيش والأمير يشبك من مهدى فى منارة الإمام الليث .

المهندس — لم نجد نصا صريحا فى أسم مهندس الأمير زين الدين يحيى ، ولكن عرفنا أن مهندس السلطان فى ذلك الوقت كان المعلم محمد بن حسين الطولونى ، وقد توفى فى ذى الحجة سنة ٨٥٢ هـ (يناير سنة ١٤٤٩ م) فيحتمل أن يكون قد أشرف على إنشاء مسجده بشارع الأزهر وعلى هذا الجامع .

أعمال الإصلاح — أدركت إدارة حفظ الآثار العربية هذا المسجد خربا مندثرا مهتما ، وجدراناه مائلة ، وعقوده ساقطة ، وسقفوه مفقودة ، فقد كان عبارة عن أطلال . وقد قدرت المقايسة التى أعدت لإصلاحه سنة ١٨٩١ م بمبلغ ٦٠٠٠ جنيه مصرى .

ومنذ سنة ١٩١٦ بدأت عنايتها بإصلاحه تدريجيا وتحلية ما حوله ، ومن الممكن القول بأن إصلاحه من الداخل كان بمثابة إنشائه مع إدخال الأجزاء القديمة فى التجديد فلم تأت سنة ١٩٢٠ م إلا وقد تم إعادة الإيوان القبلى إلى أصله ، والإيوانين البحرى والغربى والنصف الأيمن من الإيوان الشرقى، ثم أعيد بناء المفقود من الواجهة البحرية وترميم باقيها ، وأقيمت القبة الخشبية فوق المحراب ، وعمل له منبر جديد .

وقد تمت أعمال الإصلاح وأفتتح للصلاة . فى عهد المغفور له الملك فؤاد الأول رحمه الله .

مسجد زين الدين يحيى

بالحبانية^(٥)

هذا المسجد ثالث مسجد أنشاه الأمير أبو زكريا يحيى زين الدين بن عبد الرزاق ، وكان الفراغ من إنشائه في شهر جمادى الآخرة سنة ٨٥٦ هـ (١٤٥٢ م) .

ولهذا المسجد وجهة بحرية تشمل على الباب ، وقد أحيطت عتبته برخام دقيق ملون يحوطه إفريز حجري منقوش ، يعلوه عتب مززر ، يكتنفه تلبيس بالجر الأصفر في الأبيض على شكل شرفات . وعقد الباب مداين مخوص ، له طاقات ملبسة بالجر الأحمر والأبيض ، مغطى بمقرنصات لها دلايات ، كما نقش أعتاب الشبايك السفلية والعلوية بنقوش هندسية ومورقة نادرة المثال ، وتنتهى الواجهة بإفريز مكتوب فيه آية الكرسي إلى قوله تعالى : (وسع كرسيه) .

وتقوم على يمين الباب منارة حجرية يجاورها الكتاب ، ولم يبق منها الآن سوى قاعدتها حتى دورتها الأولى المزدانة بالنقوش والكتابات والمقرنصات .

ويحيط بمصراعى الباب أشربة نحاسية ، وهو يؤدى إلى طرقة بصدرها شبك بطل على الإيوان الغربى ، وعلى يسارها باب يؤدى إلى طرقة توصل إلى المسجد . ويشتمل داخله على أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف ، وأكبرها الإيوان الشرقى المشتمل على رواقين . أما بقية الإيوانات فكل منها يشتمل على رواق واحد ، وقد حليت خواصر العقود حول الصحن بدوائر مفزعة من الوسط وحولها مقرنصات ، وتواشيع منقوشة ، يعلوها سطر كان مكتوبا .

والمحراب حجرى وقد طعمت تواشيعه برخام أسود ، وأحيط عقده وطاقته بجفوت حجرية ، يعلوه شبك مستدير ، تكتنفه مستطيلات بها زخارف وكتابات ، وهذا المحراب من بواكير المحاريب الحجرية ، ومكتوب بتجويفته العليا قوله تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا أركعوا واسجدوا وأعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . إلى قوله تعالى : هو سميع العليم من قبل) .

ومكتوب بتجويفته الوسطى ما نصه : « أنشأ هذا الجامع المبارك فى صحائف مولانا السلطان الملك الظاهر محمد أبو سعيد عز نصره ، فقير رحمة ربه يحيى ، عامله الله بلطفه الخفى بمحمد وآله » .

(*) انظر الصور من رقم ١٨٠ — ١٨٣ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) التبر المسبوك ص ٣٨٨ ، ومشتغبات من حوادث الدهور ، ج ١ ص ١٢٩



وهنا نلاحظ كتابته أسم السلطان الظاهر جقمق في هذا المسجد وفي مسجده ببولاق ، كما نلاحظ كتابته أيضا في مسجد لاجين الاللا بشارع مراسينه ، وفي المدرسة الفخرية القديمة بدر ب سعادة بعد تجديدها مع عدم قيامه بانشاء تلك المساجد .

وقد كفانا مؤونة البحث في هذا العلامة السخاوي^(٢) إذ يقول : إن الظاهر جقمق عقب توليته الملك رغب في أن يتسمى بمحمد تشرفا ، ويغير اسمه ؛ ثم رأى الجمع بينهما لما خيل إليه من طمع الملوك فيه ، لظنهم أنه من عنصر غير تركي ، فأمر بكتابة اسمه على كثير من المساجد المجددة والمنشأة في عصره .

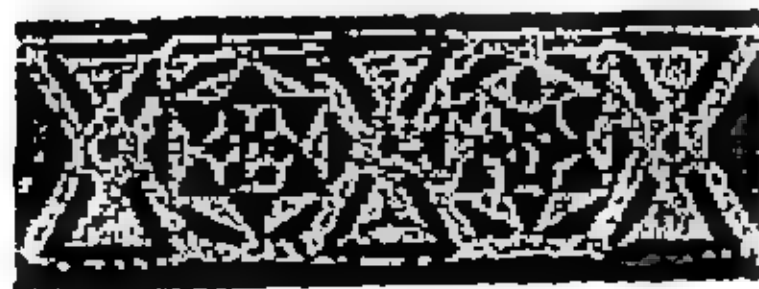
وعلو المحراب قبة صغيرة خشبية ، لها مقرنصات خشبية أيضا ؛ كانت ملونة والقباب فوق المحاريب مألوف وجودها في المساجد السابقة لهذا العصر ، بينما هي نادرة في مساجد دولة المماليك البحرا كسة ، وامتا ز بها مسجده هذا ومسجده ببولاق . وتحت المقرنص إفريزان أحدهما خشبي والآخر مجرى بهما آيات من القرآن .

ويجاور المحراب منبر صغير طعمت حشوات جوانبه وقاعدته ودرازينه بالسق والزرنشان الدقيق الملون ، وعلى باب مقدمه رنك محبرة .

ويوجد بالمسجد كرسي للمصحف مطعم بالسق أيضا ، ومكتوب عليه : « وقف مولانا السلطان الملك الظاهر محمد أبو سعيد جقمق عز نصره » .

وقد عنت إدارة حفظ الآثار العربية بهذا المسجد فأصلحته إصلاحا شاملا في سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) .

(١) المدرسة الفخرية القديمة أنشأها الأمير نحر الدين أبو الفتح بن قزل سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) ، وفي سنة ٨٤٩ هـ (١٤٤٥ م) سقطت منارتها فخربتها ، وفي سنة ٨٥٥ هـ (١٤٥١ م) جددتها ناظر الخا ص الجمال يوسف وكتب عليها اسم الظاهر جقمق فعرفت به . (٢) الفوه اللامع ، ج ٣ ص ٧١



مسجد عمر بن الفارض

بجبهة الأيمنية بسفح المقطم

عمر بن الفارض — أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي المعروف بابن الفارض شاعر مصري وصوفي جليل، من أجلة الشعراء الذين تفتخريهم مصر، فهو حجة أهل التوحيد وحامل لواء الشعراء، له النظم الرائق والنثر الفائق .

قدم أبوه من حماة الى مصر فقطنها، وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام، ولذلك عرف بالفارض . ثم ولي نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب « بالفارض » .

ولد بمصر في الرابع من شهر ذي القعدة سنة ٥٧٦ هـ (١١٨١ م)، فنشأ في رعاية أبيه الذي عني بتعليمه . ولما شب اشتغل بفقهاء الشافعية، وأخذ الحديث عن ابن عساكر وغيره . ثم اشتغل بالأدب فأجاده وأنشد الشعر ثم سلك طريق الصوفية، وتردد الى الحج غير مرة، وأقام بمكة مدة . وكان حسن الهيئة والملبس رقيق الطبع فصيح العبارة .

ولما عاد الى مصر أقام بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر^(١)، وعكف عليه الأئمة والعلماء، وقصده بالزيارة الخاص والعام، حتى إن الملك الكامل كان يسعى لزيارته، وسأله أن يعده له قبرا عند قبة الشافعي فاعتذر .

وديان شعره اعترف به الموافق والمخالف، والمعادي والمخالف؛ وقد اعتنى بشرحه جماعة من العلماء؛ وأثنى على هذا الديوان حتى من كان سيئ الاعتقاد فيه، ومنهم ابن أبي خجلة الذي وصفه بأنه أرق الدواوين شعرا، وأنفسها دراء، وأسرعها للقلوب جرحا، وأكثرها على الطلول نوحا؛ إذ هو صادر عن نفثة مصدور، وعاشق مهجور، وقلب بحز النوى مكسور؛ والناس يلهجون بقوافيه، وما أودع من القوى فيه . توفي إلى رحمة الله تعالى في يوم الثلاثاء الثاني من جمادى الأولى سنة ٦٣٢ هـ (يناير سنة ١٢٣٥ م) بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر ودفن بالمقطم^(٢) .

(١) ابن خلكان، ج ١ ص ٥٤٦، النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٢٨٨

(٢) شذرات الذهب، ج ٥ ص ١٤٩

(٣) شذرات الذهب، ج ٥ ص ١٤٩ — ١٥٢، الكواكب السبابة ص ٣٠٠



في هذا القدر كفاية للتعريف بأبن الفارض ، فهو يستحق دراسة مفردة تجمع آراء العلماء في شعره ، والمتحاملين عليه ، والمدافعين عنه ، والغلبة في جانبهم .



قبة ابن الفارض

وقبر ابن الفارض مزار يحفه النور ، مقصود بالزيارة والتبرك في جميع عصوره ، إذ كانت تعقد فيه حلقات الصوفية لإنشاد أشعاره ، وكثيرا ما وقع اختيار ملوك مصر وأمرائها على ضريحه لقراءة القرآن فيه تقربا إلى الله تعالى ، وقد سماه سيدي علي وفا « قاعة الفرح » كما سماه إبراهيم المتبولي « ميدان الأولياء » .

تاريخ المسجد — يرجع تاريخ إنشاء القبة المقامة على قبره الى حوالى سنة ٨٦٥ هـ (١٤٦٠ م) فقد بقى قبره من غير قبة شأن أعلام القرافة فى ذلك الوقت ، الى أن عني باقامة هذه القبة الأمير برقوق الناصرى^(١) الظاهرى نائب الشام المتوفى سنة ٨٧٧ هـ (١٤٧٢ م) . ويقرر السخاوى : «إن العناية بالقبر فى ذلك الوقت وجهت من الملك الأشرف إينال العلأى ، فقد عهد الى الأمير تمر الإبراهيمى عتيق الأشرف برسباى وابنه برقوق الناصرى عتيق السلطان الظاهر جقمق العلأى بعمل الأوقات عنده ، والتصدق على الفقراء . وفى سنة نيف وستين وثمانمائة وقف السيفى تمر على قبر الشيخ عمر حصصا من إقطاعه ، ابتاعها من بيت المال ، وأنشأ مقاما مباركا ، وجعل له خادما ، وعين السيفى برقوق ناظرا على ذلك^(٢) » .

وهى قبة صغيرة مبنية بالحجر ، أقيمت على أربعة عقود مفتوحة ، وقد حلى سطحها بنقوش دالية ، ومقرنصها من خمس حطات بعضها مخوص ، وقد ارتفعت الأرض عليها . وفى سنة ١١٧٣ هـ (١٧٥٩ م) جدد المسجد أمير اللوا السلطانى على بك قازدغلى أميرالج . وقد أدرك المسجد المرحوم على باشا مبارك وقال فى وصفه : إن على بابه الخارجى لوحا مكتوبا فيه : «هذا مسجد العارف بالله تعالى سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه ونفعنا به أمير اللوا الشريف السلطانى على بك قازدغلى أميرالحاج حالا فى غرة رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف » .

”وعلى بابه الداخلى تاريخ سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف . وبه منبر وأربعة أعمدة من الرخام حاملة لبائكتين من الحجر ، وسقفه بلدى من الخشب ، وبه قبتان : إحداهما قديمة يكتنفها عمودان صغيران من الحجر الأسود ، وبداخلها أعمدة صغيرة من الحجر ، وبها آثار شغل قديم بالصدف ، والأخرى جديدة من الحجر . وله منارة ، وأغلب محالّه متخرّبة ، وبداخله ضريح سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه^(٣) ” .

وما زالت بقايا مسجد على بك قازدغلى قائمة فى الجهة الشرقية للمسجد الحالى ، وهى مكونة من عمودين حجرين ، ومحراب حجرى ودكة المبلغ وبقايا منبر . وأحدث بداخله مدفن إسماعيل باشا صبرى العمرى الفارضى قومندان عموم السواحل المصرية وأمير الحج سابقا ، المتوفى فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٤ هـ .

(١) ابن إياس ج ٢ ص ١٤٢

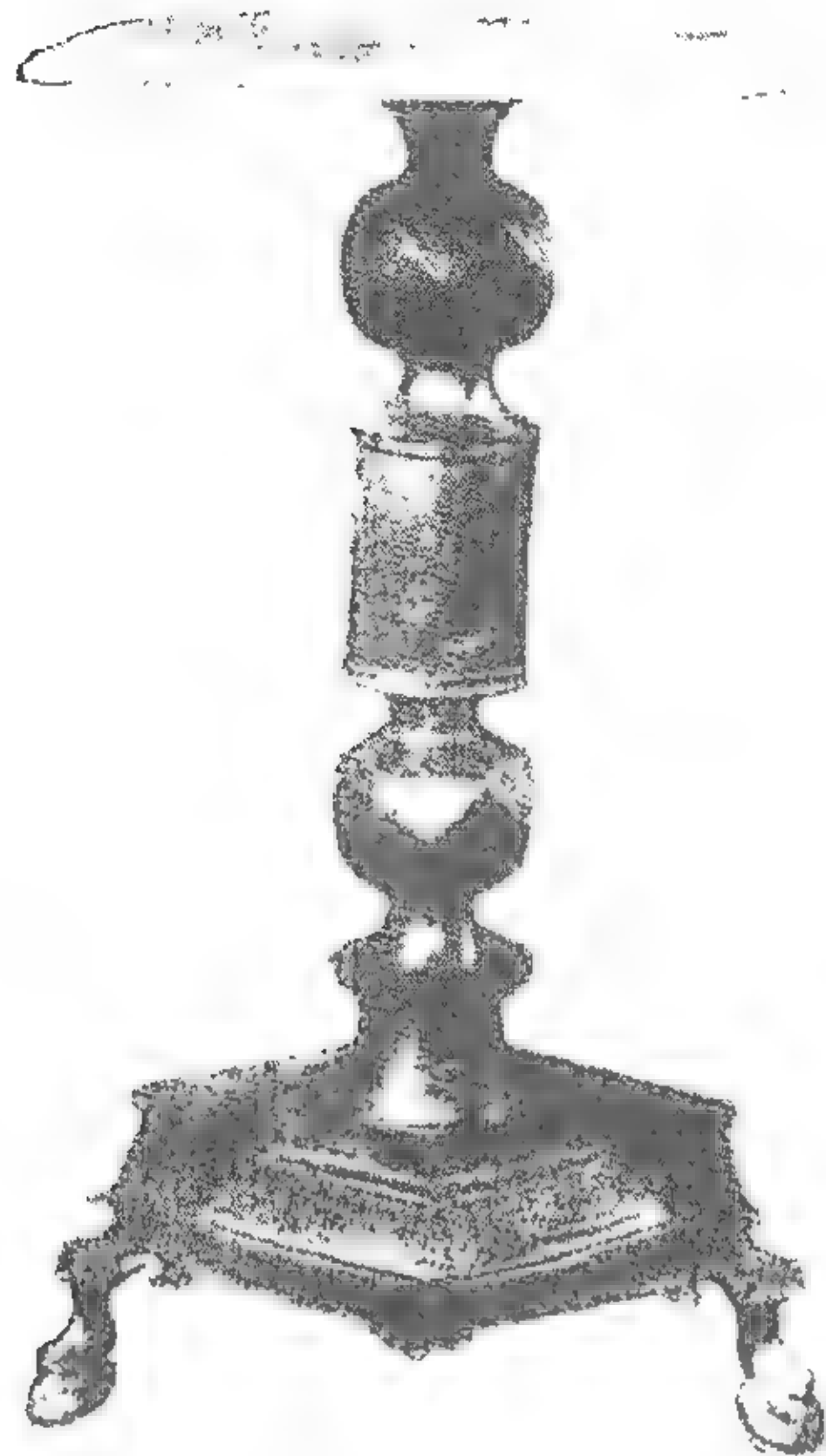
(٢) تحفة الأحباب ص ٤٢٢ خط .

(٣) الخطط الجديدة ج ٥ ص ٥٨ — ٥٩ .

والمسجد الحالى أنشأته على جزء من أرض المسجد القديم المغفور لها الأميرة جميلة فاضيلة هانم كريمة المغفور له الخديو اسماعيل باشا سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) وهو مسجد مستطيل ، محمولة سقوفه على أربعة عمد حجرية ، وله محراب بسيط منقوش بالبوية ، يجاوره منبر بسيط .

وقد أنشأت بجوار المسجد قبة كبيرة دفن فيها ابنها الأمير إبراهيم جمال الدين المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) .

وقد ألحقت بالمسجد مطهرة وحديقة صغيرة . وتشرف الأوقاف الخصوصية الملكية على المسجد والقبة ، وتعنى بهما العناية التامة .



مسجد فاطمة شقرا

بشارع أحمد باشا ماهر « تحت الربيع »^(*)

من المساجد التي ذكرها المقرئ بنحط تحت الربيع على يسرة من سلك من دار التفاح يريد قنطرة الخرق مسجد أنشأه رشيد الدين البهائي دون أن يعترفه أو يذكّر تاريخ إنشائه . فهل جدّته السيدة فاطمة شقرا ؟ هذا جائز الاحتمال كما يحتمل زواله من الوجود وقيام السيدة فاطمة شقرا بإنشاء مسجد جديد في موقع آخر .

وهذا المسجد تتحصر وجهته الغربية في بابه العمومي ، وهو باب مبنى بالحجر ، ونبس عتبه بالرخام وفصوص زرقاء ، كما حلّى بكثير من الزخارف . أما أعلاه فينتهي بطاقيّة استخدم في بنائها حجر رفيع السمك جدّا باللونين الأبيض والأحمر .

وتقوم المنارة على يساره ، وهي لا تتفق وطرّاز الباب ، بل هي منارة عثمانية أسطوانية الشكل ، لعلها منشأة في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) . وقد حليت وجوه قاعدتها بمستطيلات حجرية مزخرفة مخلفة من المنارة القديمة .

ومكتوب على جانبي الباب ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم ... الست المصونة فاطمة شقرا ... بتاريخ شهر جمادى الآخر من سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة » .

ظل هذا الجامع معدّا لإقامة الشعائر ، وعرف بمسجد المرأة وبمسجد المقشّات إلى أن تخرب فأدرّكته إدارة حفظ الآثار العربية سنة ١٨٨٩ فوجدت به أكواما من القاذورات ، وردما من أثر الهدم ، فكان مهملًا تمام الإهمال .

وفي سنة ١٩٠٥ طلبت وزارة الأوقاف تجديده ، فوافقت لجنة حفظ الآثار العربية على ذلك ، بشرط الاحتفاظ بالأجزاء القديمة منه ، وهي الباب العمومي والمنارة والمحراب والمنبر . ثم عيّنت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاح المنبر والمحراب ، فتم إصلاحهما سنة ١٩٠٧ .

والمسجد من الداخل حديث البناء ، وهو يشتمل على خمسة أروقة ، بها أكتاف حجرية تحمل عقودا وأعتابا أقيم السقف عليها . وبالجانب البحري منه مدفن عرف بقبر السيدة فاطمة ،

(*) انظر الصور من رقم ١٨٤ — ١٨٥ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) المقرئ ، ج ٢ ص ٤١٠



كما يرجح دفن المنشئة في هذا المسجد . ولا يزال منبره القديم باقيا ، وهو منبر خشبي طعمت حشواته بالسق والزرنشان الدقيق .

ويجاور هذا المنبر محراب قديم يعد من أجمل المحاريب الحجرية ، فقد اشتملت طاقته على مقرنصات وتليس بالرخام الأسود ، ويحيط بصنح عقوده أشرطة منقوشة ، ويعلوه مستطيلان كتب فيهما : ((وما النصر إلا من عند الله . إن ينصركم الله فلا غالب لكم)) .

وظاهرة وجود المحاريب الحجرية المنقوشة في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) تعتبر متممة لأسلة تطوّر زخرف المحاريب في العمارة الإسلامية . فقد اتخذت المحاريب في الدولة الطولونية محاطة عقودها بزخارف جصية ودوائر صغيرة ، ثم لم تلبث أن ترقّت في الدولة الفاطمية ونقشت عقودها وطواقمها وتواشيحها بزخارف جصية وعمد رشيقة . ثم تطوّرت إلى تضاليع محارية تنتهي بمقرنصات . وتحلّ تواشيحها بزخارف ويحاط دائرها بكتابات كوفية ؛ ومنها ما اكتفى بإحاطة دائره بكتابة كوفية . ثم تدرّجت إلى نقوش في تجويفها .

ونحن وإن كنّا لم ندرك نماذج رخامية من المحاريب الفاطمية ، فإن التاريخ أثبت استعمال الرخام في محاريب جامع عمرو^(١) والمشهد النفيسي في العصر الفاطمي .

وفي مبدأ العصر الأيوبي حليت عقود المحاريب بزخارف جصية على شكل تضاليع محارية . ثم شاع استعمال الرخام فيها وتغطية الطاقية إما بفسيفساء مذهبة ، وإما بنحش منقوش ومكتوب . ثم تدرّج إلى رخام .

وفي دولة المماليك البحرية ارتقت جدّا صناعة الرخام في المحاريب ، فالمحراب غطى كله بالرخام ما بين أشرطة إلى رخام دقيق مطعم بالصدف تنوّعت أشكاله .

وفي هذا العصر ظهرت نماذج قليلة لمحاريب من الجص غاية في الأهمية ، كما وجدت منها نماذج حجرية قليلة جدا حليت طواقمها بمقرنصات . واستمرت المحاريب الرخامية متقدمة في دولة المماليك الجراكسة ومستواها لا يقل عن محاريب دولة المماليك البحرية .

وفي الوقت الذي ازدهرت فيه صناعة الرخام في المحاريب شاعت المحاريب الحجرية بجانب المحاريب الرخامية ، وانحصر شيوعها في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ، وأول القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) .

ومن الغريب ظهورها في مساجد امتازت بصناعة الرخام في وزراتها وأرضياتها ، ومن نماذجها القيمة أيضا محراب جامع القاضي يحيى بالحسانية ومحرابا تربى الأشرف إينال وقايتباى بالصحرء ، فقد كسى أسفلهما بأشرطة رخامية كما نقش تجويفهما الحجرى وطاقيتهما وتواشيحهما بزخارف ملونة . وكذلك منشآت الأشرف قايتباى الغنية بصناعة الرخام ، اتخذت محاريبها من الحجر . على أن محراب هذا المسجد امتاز بنقوشه وبتطعيم حجّره بالرخام وهو نموذج ممتاز .



مدرسة قايتباى بالفرافة الشرقية

صحراء قايتباى (الفرافة الشرقية^(٥)) — كانت المنطقة الممتدة من قلعة الجبل الى العباسية حتى أوائل القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ميدانا فسيحا أعد للعب الكرة، وقد عرف بميدان القبق، وميدان العيد .

وفى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) بدأ ملوك مصر وأمرائها فى إنشاء المساجد والخوانق بهذه المنطقة، وألحقوا بها مدافن لهم .

وقد تباروا فى هذا المضمار الحيرى حتى ازدحمت هذه المنطقة بمختلف الآثار، تطاول السماء بمناراتها الرشيقة وقبابها المزخرفة .

وما انتهى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ، إلا كانت بها مجموعة لم تجتمع فى صعيد واحد مثل ما اجتمعت هناك . وفيها يرى الفنان والمهندس خيرا إلهام له ، إذ يرى الفن متجليا فيها ما بين مترف وغنى ومتوسط .

ورغم ما أصاب الكثير منها من ضياع وتخرّب ، فقد بقيت بها بقايا معمارية على جانب عظيم من الأهمية .

وقد عرفت هذه المنطقة بمقابر الخلفاء ، وهى تسمية غير صحيحة ، إذ الأولى بها أن تعرف بمقابر المماليك .

وأكثر من غنى بإنشاء آثارها الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ، فقد أنشأ بها ربعا كبيرا وحوضا لشرب الدواب وسبيلا ومقعدا ومدفنا لأسرته ومدرسة ، وقبة للشيخ عبد الله المنوفى وربعا آخر تجاه المدرسة خصصه لإقامة الصوفية ؛ هذا عدا ملحقات المدرسة ، ودرة منشآت تلك المنطقة مدرسته ومدفنه .

السلطان قايتباى — السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى الجركسى المحمودى الأشرفى ثم الظاهرى ، ولد سنة ٨٢٦ هـ (١٤٢٣ م) وقيل بضع وعشرين تقريبا ، ثم اتصل بالملك الظاهر جقمق ، فاعتقه . ولم يزل يترقى الى أن وصل الى وظيفة أتابك . ثم آل أمره الى أن بويع له بالسلطنة يوم الاثنين ٣ رجب سنة ٨٧٢ هـ (يناير سنة ١٤٦٨ م) .

(*) انظر الصور من رقم ١٨٦ — ١٩١ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الضوء اللامع ، ج ٦ ص ٢٠١ ، شذرات الذهب ، ج ٨ ص ٧ .

وكان ملكا جليلا صالحا من خيرة ملوك الجراكسة وأطولهم مدة ، فقد ظل ملكا لمصر نحو ٢٩ سنة ، كان فيها مثال الملك العادل الصالح ، فقد عني بسياسة مصر الخارجية ، كما كان كثير العطف على مسلمى أسبانيا ، وقد حاول حمايتهم مما هم فيه من خطر ، فأرسل رهبان كنيسة القيامة كوفد الى ملك أسبانيا فردينند يهتده بأنه اذا لم يبق على غرناطة فان كنائس الشرق تهدم ، والمجيج الى الأراضى المقدسة يبطل^(١) .

وكانت له عناية كبيرة باختيار كبار الموظفين ، وخاصة الوظائف الدينية ، كالقضاء والشيخة والتدريس ، لا يعين فيها إلا من تأكد من صلاحيته وحسن سيرته . وكان محبا للسفر ، كما كان مغرما بالمهارة . واهتم اهتماما كبيرا بالأراضى المقدسة . وله منشآت معمارية خيرية كثيرة بمكة والمدينة والقدس . وقل أن يخلو حى من أحياء القاهرة أو إقليم من أقاليمها أو قطر من الأقطار الإسلامية إلا وله فيه أثر لامع .

ومن هذه المنشآت فى مصر طائفة من المساجد والمدارس والوكالات والمنازل والأسبلة والقناطر . كما عني بالحصون ، فأنشأ قلعة بالاسكندرية ، وأخرى برشيد . وكلها منشآت امتازت بالرشاقة ودقة الصناعة .

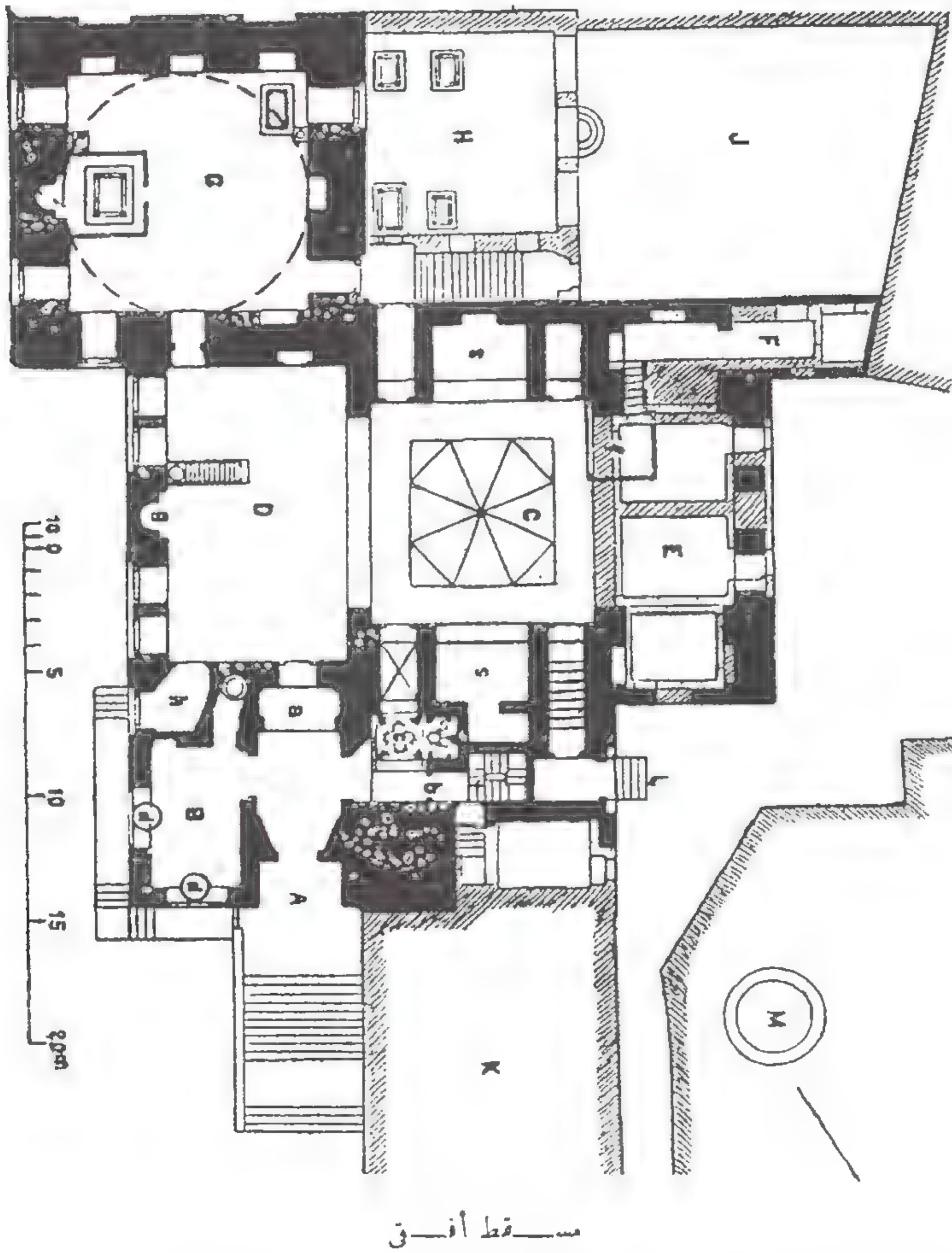
وقد ظل متوليا ملك مصر الى أن توفى فى ٢٧ ذى القعدة سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٦ م) ، وترك اسمه مسطورا على ما يزيد على سبعين أثرا إسلاميا ما بين إنشاء وتجديد .

تاريخ إنشاء المدرسة — كان البدء فى إنشائها فى سنة ٨٧٧ هـ (١٤٧٢ م) ، والفرغ منها فى شهر رجب سنة ٨٧٩ هـ (نوفمبر سنة ١٤٧٤ م) .

وهى مجموعة مكونة من مدرسة وملحقاتها وتربة وسبيل وكتاب . والزائر لها تستهويه بجبالها ورشاقتها ، ولا غرو فهى محط رجال زائرى مصر ، لأنها جمعت أرقى التفاصيل العمارية التى وجدت فى دولة المماليك الجراكسة .

والوجهة البحرية لها هى الرئيسية وبها الباب ، وقد حلى عتبه ومزوره بالرخام الملون والكتابات ، يغطيه مقرنصات منقوشة وطاقية ملبسة بالحجرين الأبيض والأحمر وعلى يساره سبيل يعلوه كتاب له وجهتان : إحداهما الغربية من عقدين ، والثانية الشرقية ، ولها ثلاثة عقود ، تحملها عمد منقوشة .

وعلى يمين الباب منارة رشيقة من ثلاث دورات حلى بدن دورتها الأولى بنقوش وكتابات ، أما بدن الدورة الثانية فقد حلى بنقوش موزقة محاطة بجفوت ، وتقوم الدورة الثالثة على عمدة رشيقة . وهى من أرقى منارات مصر . ومن طريف ما يذكر أن مؤذن هذه المنارة فى عصر قايتباى وعصر ابنه ، كان يجيد الخط والنقش فى الحجر . فقد نقش على قاعدة القبة وباب المنارة ومدخلها وباب دورتها الأولى آيات من القرآن وحكما مؤرخة بسنى ٨٨٥ ، ٩٠٤ ، ٩١١ هجرية (١٤٨٠ ، ١٤٩٨ ، ١٥٠٥ م) ووقعها باسمه بما نصه : — نقشه محمد الشينى — كتبه بيده الفانية محمد الشينى المؤذن .



وتنتهى الوجهة الشرقية من الجهة القبلىة بقبة عالية حلى سطحها بنقوش هندسية وموزقة ، وتعتبر من أجمل القباب .

والباب حلى مصراعه بخارية نحاسية مفزعة بأشكال زخرفية وأشرطة مكتوب عليها «عزى مولانا السلطان المساك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيى العدل فى العالمين عزى نصره» . ومكتوب على جانبيه : « بسم الله الرحمن الرحيم وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم » . أمر بإنشاء هذه المدرسة مولانا الملك الأشرف قايتباى سيد ملوك العرب والعجم الملك الأشرف قايتباى خلد الله ملكه وثبت قواعده دولته بمحمد وآله بتاريخ سنة سبع وسبعين وثمان مائة من الهجرة . كما يعلو هذا الباب دائرتان رخاميتان مكتوب عليهما : «عزى مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عزى نصره» :

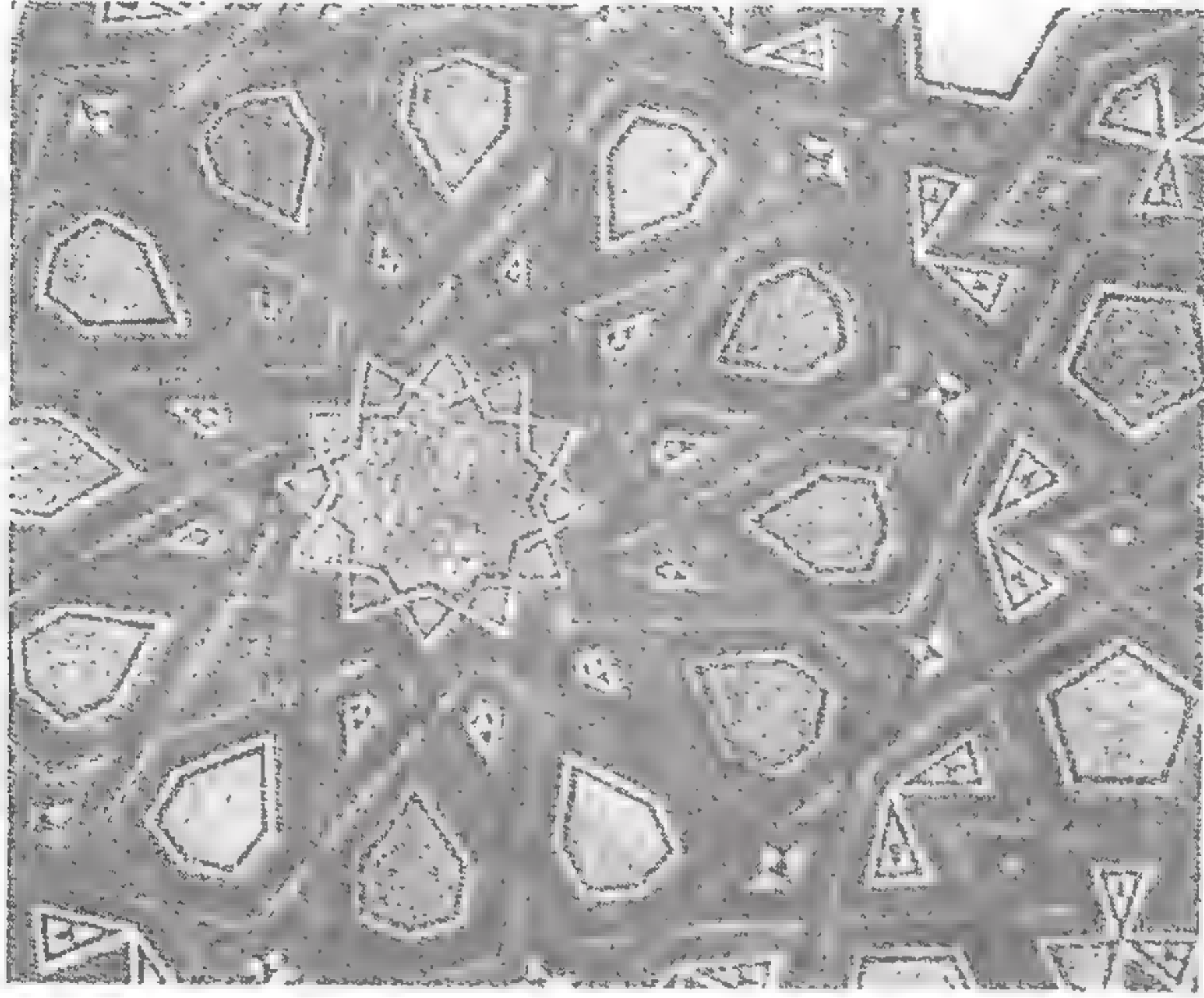
وهذا الباب يؤدى إلى دركاة مربعة ، بصدرها مسطبة مقروشة ، مؤزرة بالرخام الملون على جانبيها دولابان بكل منهما أربع مصاريع طعمت حشواتها بالسق المدقوق أويمة دقيقة جدًا ومكتوب عليهما « اللهم انصر عبدك مولانا السلطان الملك الأشرف قايتباى خلد الله ملكه » وعلى يمينها ويسارها باب كتب فى دائرة فوق عقده بشكل زخرفى نادر : « قل كل يعمل على شاكلته » . الأيسر منهما باب السبيل ، له سقف منقوش «أون» ، ومكتوب بإزاره : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . إلى قوله تعالى ويخافون يوما كان شره مستطيرا . أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك سيدنا ومولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى صاحب الصدقات والمعروف » .

والباب الأيمن يؤدى إلى طرفة مستطيلة بصدرها باب يؤدى إلى المنارة وإلى الكتاب تجاوره مزيرة على وجهها حجاب من الخشب الخروط ، مكتوب عليه بالخط الكوفى المربع : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . ومكتوب على بابها « بسم الله الرحمن الرحيم ، يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » .

ويعلو هذا القسم من الطرفة (مصابة) حجرية لها أرجل منحوتة دقيقة ، وتنتهى هذه الطرفة إلى صحن المدرسة ، وقد فرشت أرضية هذا الصحن برخام ملون ، كما فرشت أرضيات الإيوانات . والمداخل كل قسم منها يفاير الآخر ، فبينما نرى الصحن من دوائر رخامية ملونة ، نرى الإيوانات على شكل دالات تنوعت ، ويغطى الصحن سقف يتوسطه منور ، وقد نقش بزخارف ملونة ومذهبة ، وبعضها على شكل فصع تتوسطه قبة صغيرة كتب عليها : « قل كل يعمل على شاكلته » بشكل زخرفى . وكتب على إزاره تاريخ تجديد لجنة حفظ الآثار العربية له سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) .

ويحيط بالصحن أربعة إيوانات معقودة تأخذ بالأبصار بما حوته من نقوش وشبابيك جصية ، ومكتوب على وجه عقودها حول الصحن ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله

إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، الآية . أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة سيدنا ومولانا ومالك رقنا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى سلطان الإسلام والمسلمين أبو الفقراء والمساكين ناصر الدنيا والدين سيدنا ومولانا الإمام الأعظم المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره بتاريخ رمضان المعظم قدره سنة سبع وسبعين وثمان مائة .



تفاصيل من المنبر

وقد حليت أرجل عقود الإيوانات بمقرنصات مزخرفة مذهبة . وقد حرص المهندس على المضاهاة، فلم يترك بابا إلا افتح أمامه بابا أو دولابا على هيئة باب .

وأكبر هذه الإيوانات إيوان المحراب، وقد أحيط بطراز مذهب مكتوب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر . الى قوله تعالى وكان الله عليا حكيما صدق الله العظيم ورسوله الكريم ، وكان الفراغ من ذلك فى شهر رجب الفرد عام سبع وسبعين وثمان مائة من الهجرة » . ومكتوب على الجانب القبلى منه : « أمر بإنشاء هذا المكان المبارك مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ، سلطان الإسلام والمسلمين وارث الملك ، سيد الملوك والسلاطين » .

والمحراب وإن كان خاليا من الزخرف إلا أنه يكتنفه عمودان مثمان حلى بدهنهما مع قواعدهما وتيجانهما بنقوش موزقة ، كما لبست طاقيته بحجر أحمر على هيئة شرفات ، يجاوره منبر دقيق جميع حشوات جوانبه ودرازينه وأبوابه من السنّ المدقوق او يمة دقيقة، وقد ذهبت قوامه وخودته .

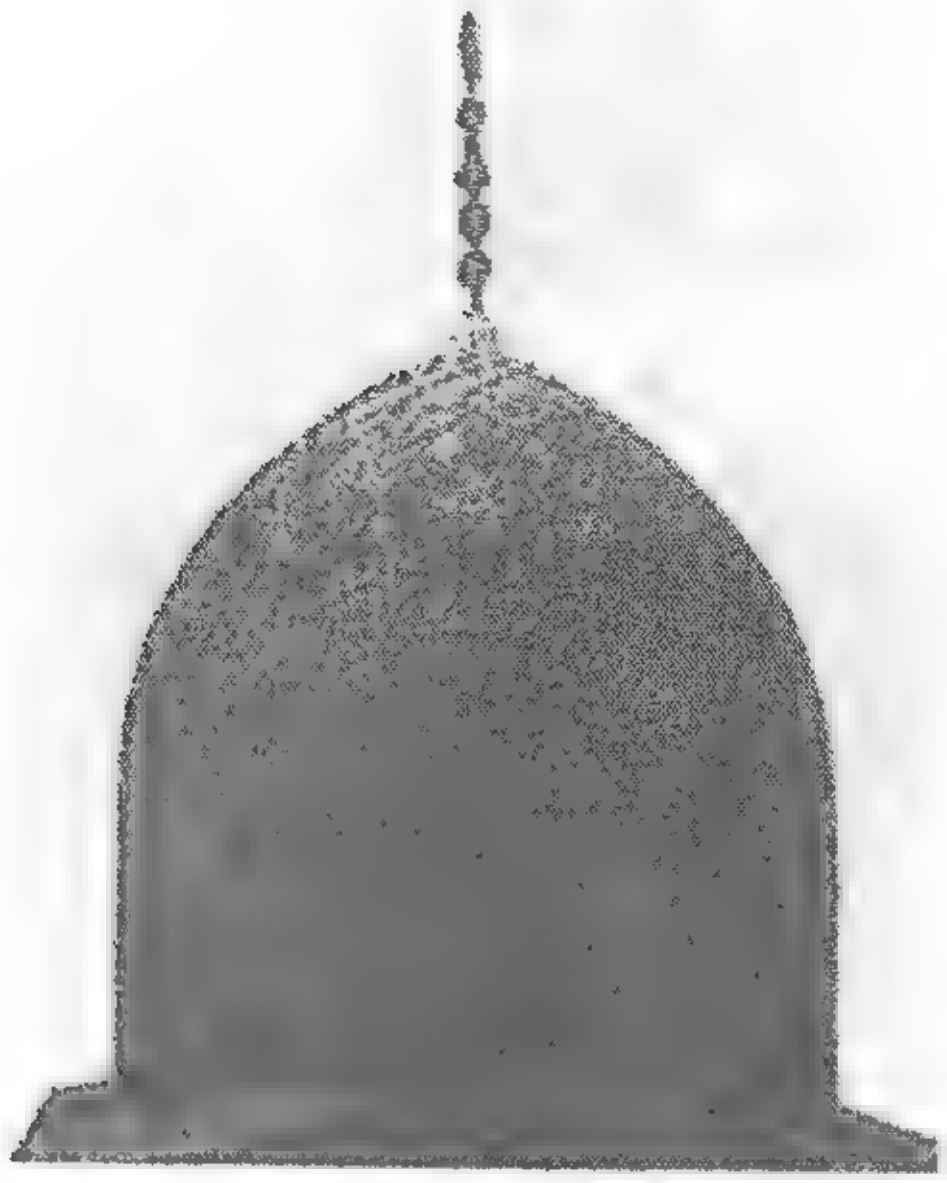
ونقشت حجور الشبابيك بزخارف جصية ، وهى ميزة أمتازت بها منشآت السلطان قايتباى ، ولهذا الإيوان سقف من برطوم ، ومربوعات منقوشة مذهبة . وكانت المدرسة مزودة بمجموعة قيمة من الشمعدانات والثريات النحاسية والمشكاوات معلقة فى كرات من القاشانى .

أما الإيوان الغربى فقد قسم الى ثلاثة أقسام تغطيها سقوف ملونة مذهبة . وفى القسم القبلى منه حجرة المكتبة وما زالت رفوفها موجودة بينما نقلت كتبها الباقية الى دار الكتب المصرية ، ومكتوب على طراز هذا الإيوان : « بسم الله الرحمن الرحيم لقد جاءكم رسول من أنفسكم » الآية . وفى الركن البحرى الغربى للصحن باب يؤدى الى سلم يهبط الى الباب الغربى للمسجد وهو المعروف بباب السر .

والقبة تلاصق الإيوان الشرقى من قبله ، وهى قبة عالية جدا ، وقد نقشت من الخارج فى الحجر ، كما نقشت من الداخل بزخارف مذهبة ملونة ، وبها مجموعة من الشبابيك الحصية الدقيقة ، وأحيطت جدرانها بوزرة رخامية تنتهى بإفريز مكتوب عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون — الآية ، أمر بإنشاء هذه القبة المباركة من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العنيم على سيدنا ومولانا ومالك رقنا سلطان الإسلام

والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين ، محيى العدل ثريا نحاسية عليها اسم قايتباى دار الأناار العربية فى العالمين الإمام الأعظم والملك المكرم السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين سيد ملوك العرب والعجم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى أعز الله تعالى أنصاره وختم بالصالحات أعمالنا وأعماله وثبت قواعده دولته وأيد أحكامه بمحمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا يارب العالمين آمين . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ،

بسم الله الرحمن الرحيم ، قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا يا رب العالمين اللهم وأيد الإسلام وأعل كلمة الإيمان ببقاء عبدك سيدنا ومولانا المقام الشريف السلطان الزاهد العابد العالم العامل العادل فى أحكامه الورع المتوزع الصائم القايم بحدود الله ، التابع سنة رسول الله ، التالى كتاب الله ، الحاج إلى بيت الله الحرام ، الزاير بقبر رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، المجاهد فى سبيل الله سيد الملوك والسلاطين أبوالفقراء والمساكين المجاهد المرابط المؤيد المنصور السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى صاحب الصدقات والمعروف خلد الله ماله بمحمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا يا رب العالمين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله . وكان الفراغ من هذه القبة المباركة فى شهر رجب الفرد الحرام سنة تسع وسبعين وثمان مائة .



قبة قايتباى

وبها كرسى للمصحف طعمت جميع أجزائه بالسق المدقوق أويمة مثل المنبر، ومكتوب عليه : « أمر بإنشاء هذا الكرسى الملك الأشرف قايتباى بتاريخ شهر ربيع سنة ثمان وسبعين وثمان مائة . »

ومحرابها حجرى كسى أسفله بأشرطة رخامية وباقيه مع طاقيته وعقده حلى بزخارف مدقوقة بالحجر وملونة ، وأمامه مقصورة خشبية بداخلها قبر المنشئ . وقد فرشت أرضيتها بالرخام الملون الدقيق .

وقد دفن فى هذه القبة أيضا ابنه الملك الناصر محمد ، كما دفن فى تربة أخرى أبناء عمه جانم وجانى بك وأزبك الخاصكى . وغربى القبة قبور خاصته وإحدى سراريه دولات باى .

ويجاور قبر قايتباى قبة صغيرة نحاسية مذهبة تحتها حجر أسود ، به أثر قدمين يقال : إنهما للنبي صلى الله عليه وسلم ، كما يوجد بجوار القبر الآخرة أخرى خشبية على شكل مسلة بها حجر عليه أثر قدم يقال : إنه قدم الخليل إبراهيم عليه السلام ، وكلاهما غير صحيح ، لأنه يوجد بمصر أقدام أخرى متفاوتة المقاس ، كما توجد أقدام منها فى القدس والطائف والقسطنطينية ، وكذلك فى الأقطار الإسلامية أقدام منسوبة إلى آدم بالهند ، والخليل بالحرم المكي ، وموسى بظاهر دمشق ، وعيسى ببيت المقدس .

وقد نص جماعة من حفاظ المحدثين على أن ما استفاض واشتهر خصوصاً على السنة الشعراء والمذاهب من أن قدم النبي صلى الله عليه وسلم غاصت في الحجر لا أصل له . كما أن للإمام السيوطي إجابة على سؤال رفع اليه عن هذه الأقدام بأنه لم يقف في ذلك على أصل ولا سند ، ولا رأى من خرجته في شيء من كتب الحديث ، كما أنكره كثير من العلماء وأثبتته بعضهم . وقيل عن هذه الأحجار إن السلطان قايتباى اشتراها وأوصى يجعلها عند قبره .

ويقول العلامة المغفور له أحمد تيمور باشا : وإذا لم يصح شراء السلطان لهذين الحجرين أو أحدهما فلا يبعد أن يكونا من الأحجار التي قيل إنها أحضرت من خير لشمس الدين ابن الزمن التاجر وجعلها في مدرسته التي كان شرع في إنشائها بشاطئ بولاق ، فيحتمل أنه أحضرها معه من الحجاز ، ثم اختار السلطان منها هذين الحجرين فنقلهما بعد موته من مدرسته .

وقد زار قبة قايتباى رحالة القرنين الحادى عشر والثانى عشر الهجرى (السابع عشر والثامن عشر الميلادى) ، ووصفوا الأحجار والقبة التي عليها ، وذكر المرحوم أحمد تيمور باشا إن السلطان أحمد ابن محمد المعروف عند العثمانيين بأحمد الأول نقل حجر القدم الى القسطنطينية سنة ١٠٢٤ هـ . ثم أمر برده الى محله ، وجعل عليه قبة مكتوبا عليها الأبيات الركيكة الموجودة حتى الآن ، ومنها :

تشوق حضرة السلطان أحمد * زيارة موطن القدم المكرم
فخرته بجاذبة اشتياق * على إقدام أقدام فقدهم
وسيره الى القسطنطينية * فقال له : تقدم خير مقدم

وبعد أن ذكر هذه الأبيات ، وصوبها المغفور له أحمد تيمور باشا لم يستبعد على السلطان أحمد نقله الحجر إليه ، لأنه كان كثير التعظيم للآثار النبوية .

أعمال الإصلاح — لعل هذا الأثر هو الوحيد بين آثار الصحراء الذي احتفظ بكثير من تفاصيله التي ساعدت على إعادته الى أصله ، كما أن لشهرته خير أثر في البدء بإصلاحه قبل آثار الصحراء إصلاحاً شاملاً ، وترجع عناية لجنة حفظ الآثار العربية به الى سنة ١٨٩٣ م ، فقد عنيت بإصلاحه ولم تنته سنة ١٨٩٧ إلا وقد تناولت أعمال الإصلاح تقوية مبانيه وإصلاح الرخام والسقوف والأرضيات الرخامية والنجارة والشبابيك الحصية ، وإصلاح المنارة وتقويتها ، ثم تابعت بعد ذلك بقية الإصلاح حتى أصلح إصلاحاً شاملاً كاملاً ، وأصبح لا يحتاج الى أى إصلاح الآن .

قبة يشبك من مهدى

بكوبرى القبة^(٥)

هذه القبة عند مدخل حدائق قصر القبة العامر ، أنشأها الأمير يشبك من مهدى^(١) ، وأنشأ الى جانبها مدرسة وأماكن كثيرة .

والأمير يشبك من خيرة أمراء دولة المماليك الجراكسة ، امتلكه الظاهر بچقمق ، وتقلب فى جملة وظائف فى دولته ودولة الأشرف إينال ، الى أن عين فى سنة ٨٧١ هـ (١٤٦٦ م) فى دولة الظاهر خشقدم كاشفا للصعيد بأسره ونائباً للوجه القبلى - بأكمله الى أسوان وأنعم عليه بإمرة عشرة ، فحكم هذه البلاد ، وجرت بينه وبين عرب هواره حروب وخطوب انتهت بفوزه ، فاستتب الأمن فى عهده ، وتآلق نجم يشبك وأثرى ثراء كبيراً .

وفى دولة الأشرف قايتباى نال حظوة كبيرة فعينه دواً^(٢) كبيراً ، ثم أضاف إليه الوزارة ، فالأستادارية^(٣) ، فتركزت شؤون الدولة فى شخصه ، وسكن فى قاعة ألماس تجاه مسجده ، ثم أنتقل الى قصر الأمير قوصون خلف مسجد السلطان حسن وأدخل عليه إصلاحات كثيرة وكتب اسمه وألقابه عليه . كما نقش رنكه على جانبي مدخله .

ونعته كثير من مؤرخى عصره بالخصال الحميدة . وميله الى أعمال الخير ، وحبسه للعلماء . واشتغاله بالعلوم ، واقتنائه للكتب ، وميله الى العمران والى تنظيم الطرق .

فمن مآثره أنه فيما بين سنين ٨٨٢ - ٨٨٤ هـ (١٤٧٧ - ١٤٧٩ م) آهم بإصلاح الطرق وتوسيعها ، وإصلاح وجهات الربوع التى تطل على الشوارع ، وهدم الكثير مما كان يعوق سعتها ، ومهد الشوارع . وترتب على ذلك اكتشاف سلم باب مسجد الصالح طلائع^(٤) ، وإصلاح مسجدى المؤيد والفاكهانى وغيرهما .

وقد بقى على هذا الحال من الباس والقوة والنفوذ حتى سافر الى الشام على رأس جيش كبير ثم سافر الى العراق ومنها الى الرها حيث قتل فى شهر رمضان سنة ٨٨٥ هـ (نوفمبر سنة ١٤٨٠ م) .

(*) انظر الصور من رقم ١٩٢ - ١٩٣ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) من مهدى ، نسبة الى مهدى التاجر الذى باعه . (٢) درادار : اسم لوظيفة من يحمل دراة السلطان .

(٣) الاستادار : موظف كبير يعهد إليه بالإشراف على مالية الملك الخاصة .

(٤) الضوء اللامع ، ج ١٠ ص ٢٧٤ (٥) التزعة النية ض ١٣٥

كان رحمه الله شغوفاً بالعمارة، فأنشأ كثيراً من الآثار التي لم يبق منها سوى زياداته في قصر الأمير قوصون ومنازة الإمام الليث وقبة الفداوية ثم هذه القبة .

وكان البدء في إنشاء هذه القبة سنة ٨٨١ هـ (١٤٧٦ م) ، وأنشأ إلى جانبها مدرسة وأماكن كثيرة . وكانت هذه المنطقة معدودة من أجمل المترهات .

للسلام على من عمل الخير

بسملة من الوزرة

ولما كمل بناؤها في سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٧ م) افتتحها الملك الأشرف قايتباي وأعجب بها فأقام هناك يوماً وليلة، وأثنى على منشئها .

ثم تكرر نزول السلطان بها وإقامة الحفلات هناك ، ومنها حفلة آبن مزهر رئيس ديوان الإنشاء التي أقامها سيده الملك الأشرف قايتباي سنة ٨٨٣ هـ (١٤٧٨ م) .

وعند عودة السلطان قايتباي من الحج عام ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) نزل بهذه القبة وأحتفل بقدومه الأمير أربك الأتابكي، وبات هناك^(٢) .

وكثيراً ما كان السلطان قايتباي يتوجه إليها مترها أو لصلاة الجمعة^(٣) بها، كما أنه أقام حفلة كبيرة فيها للججمة بن عثمان في سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م)^(٤) .

ومن فتن بجمال هذه المنطقة الملك الأشرف قانصوه الغوري ، فأنشأ بجوارها منشآت عمارية كان يخرج إليها للتنزه^(٥) .

وقد أزيلت المدرسة التي أنشأها يشبك وملحقاتها ، كما أزيلت منشآت الغوري ولم يبق سوى هذه القبة .

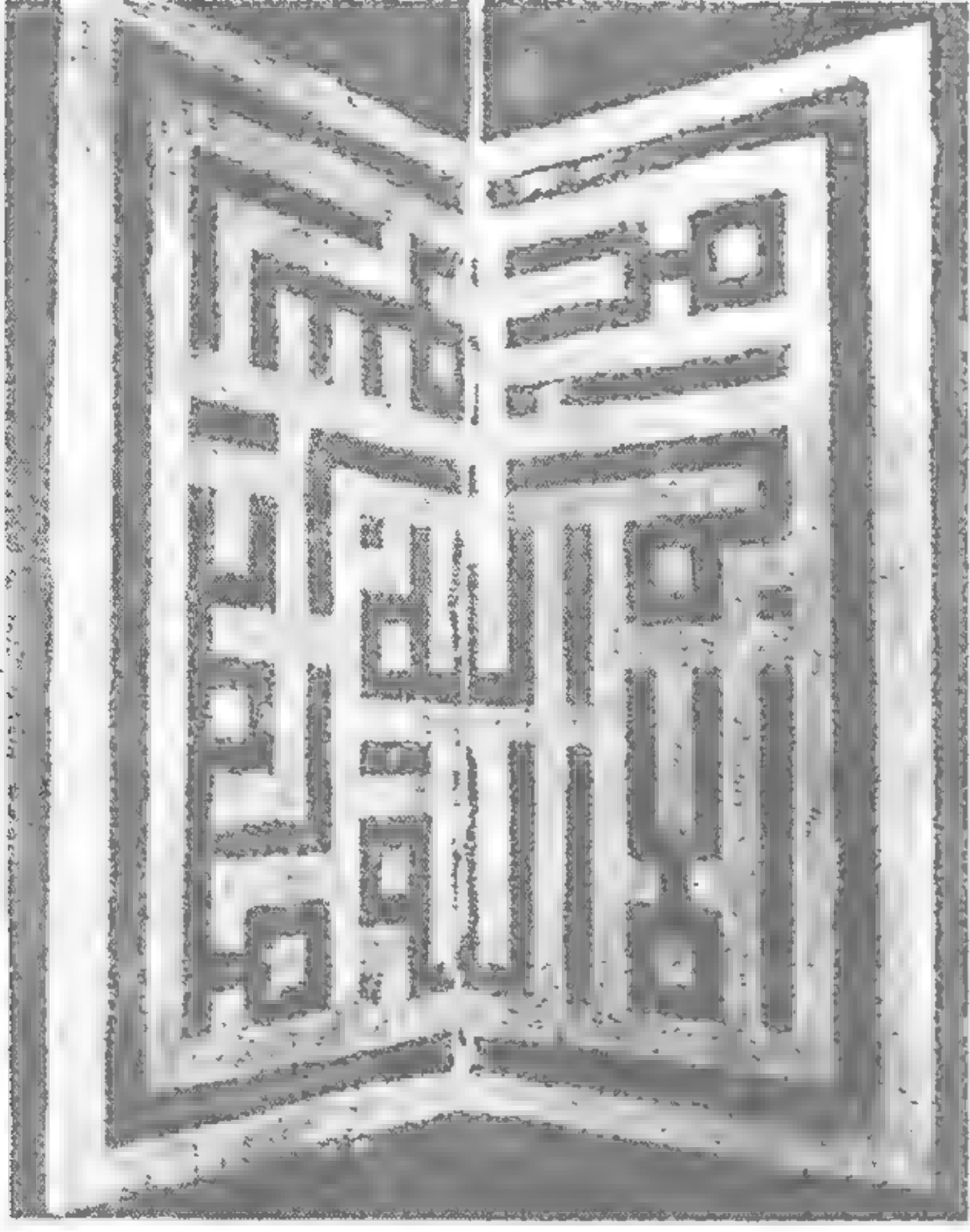
وهي من القباب الكبيرة ، امتازت بطراز خاص لم يكن شائعاً بقباب مصر ، تسود خارجها البساطة بخلاف قباب عصرها ، فهي مكونة من قاعدة حجرية فوقها قبة بالطوب .

أما من الداخل فقد كسيت جدرانها بوزرة من الرخام المختلف الألوان، وتنتهي هذه الوزرة بأفرز رخامي كتب عليه بالخط الكوفي المزهري، المنزل بالمعجون الأسود في الرخام الأبيض مانصه :

(١) ابن إياس، ج ٢ ص ١٨٣ (٢) ابن إياس، ج ٢ ص ١٩٣ (٣) ابن إياس، ج ٢ ص ٢٠٥
(٤) ابن إياس، ج ٢ ص ٢٠٨ (٥) ابن إياس، ج ٣ ص ٦٢

«بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد - السورة . إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما . قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء . إلى قوله تعالى : وترزق من تشاء بغير حساب صدق الله العظيم » . وكان الفراغ من ذلك في شهر ربيع الأول سنة اثنين وثمانين وثمان مائة .

ومكتوب بنواصى القبة في الوزرة بالخط الكوفي المربع : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .



كوفي مربع بنواصى الوزرة

وكتب في محيط القبة أسفل الشبابيك بالخط الذسخ المملوكي : «بسم الله الرحمن الرحيم هل أتى على الإنسان حين من الدهر ، إلى قوله تعالى : وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا . وذلك في شهر ذى القعدة سنة أحد وثمانين وثمان مائة » .

ومكتوب برقبة القبة أعلى الشبابيك : «بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله - الآية - أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام - إلى قوله تعالى وجنات لهم فيها نعيم مقيم - ثم تاريخ تجديدها سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) » .

والمحراب من الحجر، كُسى أسفله بالرخام وكتب على حافة عقده الداخلية : «بسم الله الرحمن الرحيم وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » الآية .

وقد حليت طاقيته بزخارف مذهبة . وفي رقبة القبة شبابيك من الجص والزجاج الملون . وفي أرضية الشباك البحري الغربي حوض رخامي مقسم إلى ثلاثة أقسام منقوشة لوضع قليل الماء وغشيت جدران القبة بزخارف ملونة ومذهبة ، وأقيم إلى جانب المحراب منبر صغير حديث الصناعة . وملاحق بالقبة من الجهة القبليّة مصلّى ومنازة أسطوانية ، أنشأها المرحوم مصطفى باشا فاضل سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦١ م) بإشراف نيازى بك .

وكان لقرب هذه القبة من قصر القبة العامر أحسن الأثر في العناية بها ، فأصلحتها إدارة حفظ الآثار العربية ، وأصلحت رخامها ، كما أجرت بها كثيرا من أعمال النقش والتذهيب .

وفي عصر الملك الصالح فاروق الأول وبناء على أمره الكريم أخليت المنطقة حول القبة وأنشئت بها الحدائق والميادين وبذلك أعاد إليها بهجتها وجمالها .

مدرسة فحماس الاسحاقى

بشارع الدرب الأحمر^(١)

الأمير فحماس الإسحاقى — نشأ فى خدمة أستاذه جقمق نائب الشام الذى عنى بتعليمه وتجويده الخط، فنبغ فيه. ثم رقى إلى عدة وظائف . وفى دولة الظاهر خشقدم عيّن خازن داراً، ثم رقى فى دولة الظاهر بلباى أمير عشره^(٢) .

ولما ولي ملك مصر الملك الأشرف قايتباى كان من المقربين إليه ، ثم عينه نائباً للاسكندرية فى سنة ٨٧٥ هـ (١٤٧٠ م)، فأنشأ بها مسجداً خارج باب رشيد، وأنشأ بجانبه تربة وخانا، وجدّد جامع الصوارى خارج باب سدره، كما أنشأ خارج باب البحر رباطاً^(٣) .

وفى سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٥ م) عينه أميراً خوراً كبيراً لمصر . وفى أثناء توليه هذه الوظيفة سافر إلى الاسكندرية غير مرة للإشراف على عمارة قلعة قايتباى .

وفى سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) عينه نائباً للشام، فأنشأ بها مدرسة وبقى بها إلى أن توفى فى شهر شوال سنة ٨٩٢ هـ (١٤٨٧ م) . ودفن هناك .

كان حسن السيرة مؤدباً متواضعاً، محباً للعلماء والصالحين . ولم يبق من منشآته العمارية التى أنشأها بمصر والإسكندرية سوى هذه المدرسة ولم يدفن بقببها التى أعدّها لنفسه، بل دفن فيها أحد الصالحين المعروف بالشيخ أحمد أبو حريّة^(٤)، المتوفى سنة ١٢٦٨ هـ (١٨٥٢ م) فعرف المسجد به .

تاريخ المدرسة ووصفها — لم تذكر النصوص التاريخية فى هذه المدرسة تاريخ البدء فى إنشائها ، بل كلها تنصب على الفراغ من أجزائها فى سنى ٨٨٤ و ٨٨٥ و ٨٨٦ و ٨٨٧ هـ . وإذا عرفنا أنه عين والياً على الشام فى أواخر سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) ، فأننا نستطيع أن نرجح

(*) انظر الصور من رقم ١٩٤ — ٢٠٠ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) خازندار : وظيفة لمن يشرف على خزائن السلطان أو الأمير .

(٢) الضوء اللامع ج ٦ ، ص ٢١٢ وابن إياس ج ٢ ص ١٢٤

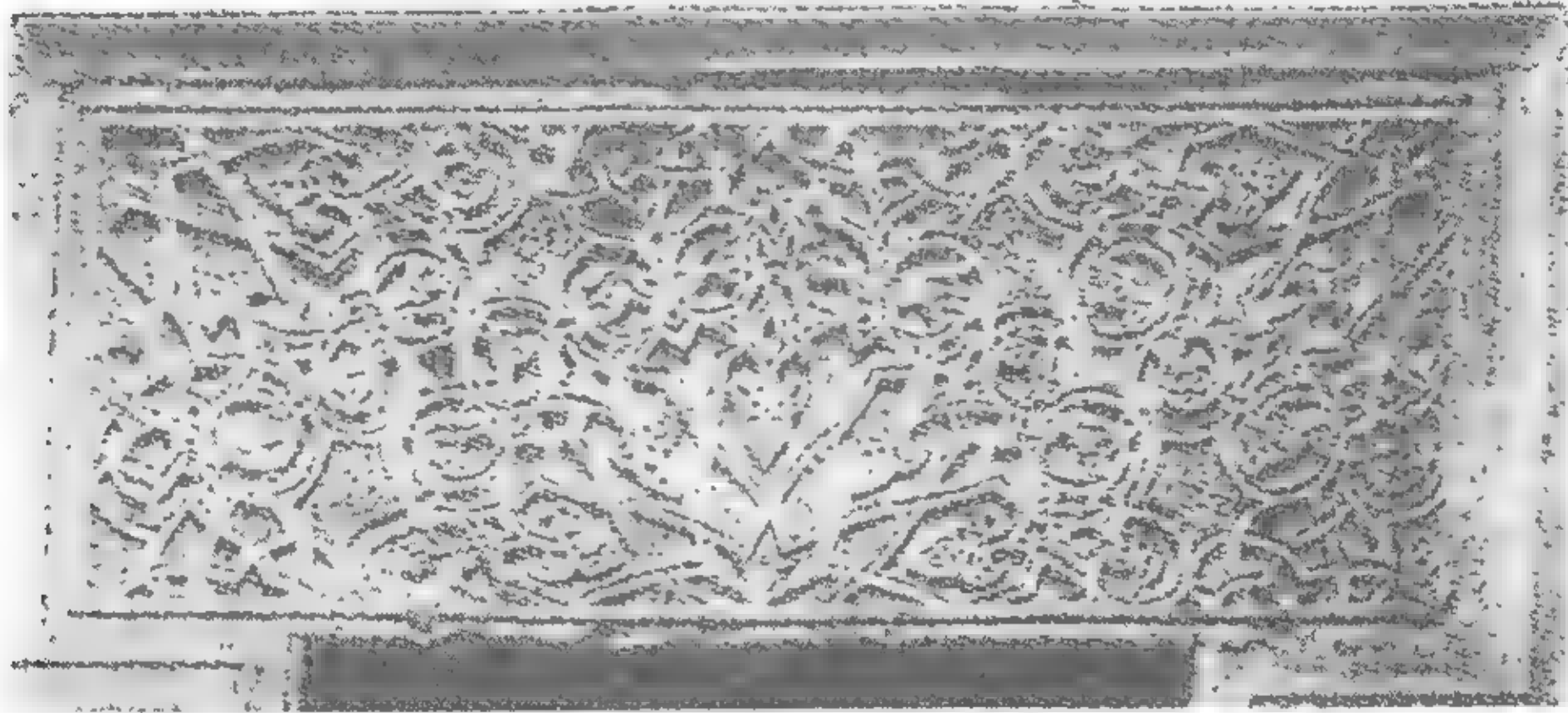
(٣) الرباط هو سكن الصوفية والمتعلمين من الفقهاء . وباب البحر كان قرياً من مسجد أبي العباس المرسى .

(٤) أميراً خوراً كبيراً : المشرف على اصطبلات الخيالة والبريد والمجن . (٥) الخطط الجديدة ج ٤ ص ٤٨

أنه شرع في بنائها قبل سنة ٨٨٤هـ (١٤٧٩ م)، كما أن النصوص التاريخية الداخلية بالمدرسة المؤرخة سنة ٨٨٥هـ تضمنت ذكر وظيفته (أميرآخور) بينما كتابة المدخل العمومي المؤرخة سنة ٨٨٦هـ خالية من ذكر الوظيفة، وهذا يؤكد أن أعمال البناء ظلت سائرة في المدرسة بعد سفره إلى الشام، كما أن أعمال النجارة لم تنته إلا في سنة ٨٨٧هـ (١٤٨٢ م) .

وهذه المدرسة مرتفعة عن مستوى الشارع، وتحت وجهاتها الأربع حوانيت، وهي من أحفل مدارس دولة المماليك الجراكسة، بل تعتبر نموذجا كاملا للكثير منها، فهي غنية بثتى الفنون الإسلامية . وهي تكون مجموعة أثرية هامة، فقد ألحق بها سبيل ثم ساباط يؤدي إلى الميضاة، تعلوه مشربية، فحوض لشرب الدواب، تعلوه كتاب لتعليم الأطفال .

وهي منسجمة متناسبة تنتقل العين فيها من حسن إلى أحسن، فالباب العمومي وأعتاب الشبايك محلاة بالرخام الملون، وجلسات الشبايك وأعتابها وأعتاب الأبواب وعمد النواصي والمقرنصات محلاة بنقوش في الحجر تنوعت أشكالها .



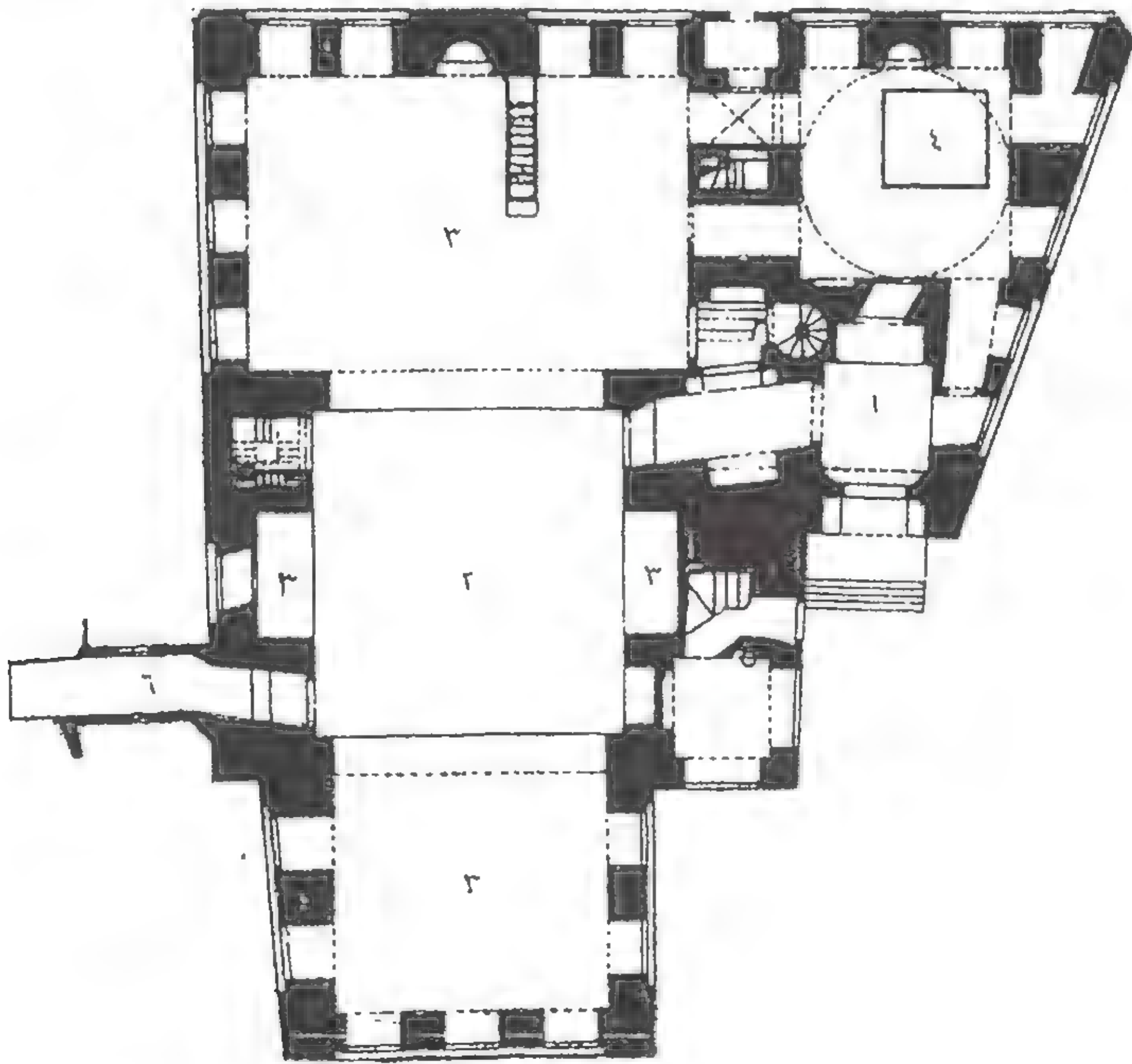
عتب باب السبيل

وتقوم على يسار الباب منارة رشيقة من ثلاث دورات : دورتها الأولى مئنة، ثم بدن مستدير، فالدورة الثالثة محمولة على عمد رخامية، كما يجاوره سبيل صغير حتى عتب بابه بنقوش جميلة وفُرشت أرضيته بالرخام الدقيق، وله سبيل رخامي منقوش وسقفه الخشبي محلى بنقوش مذهبة ملونة . وبه سلم يوصل الى حجرتين تشرفان على وجهة المسجد وعلى صحنه حتى سقف إحداهما بنقوش ملونة بها رنك المنشي، ومكتوب بآثارها اسمه وألقابه .

وركب على باب المسجد مصراعان غشيا بالنحاس المفرغ بأشكال هندسية، ومكتوب بالحزام العلوي اسم المنشي بما نصه : « المقر الأشرف العالى السيفى پخاس أميرآخور كبير الملكى الأشرفى أعز الله أنصاره » . وله سماعتان رأساهما على هيئة حيوان . ومكتوب على جانبيه : « بسم الله

الرحمن الرحيم وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا صدق الله العظيم . وكان الفراغ من الجامع في شهر الله المحرم سنة ست وثمانين وثمان مائة .

وهو يؤدي إلى دركاة مربعة لها سقف منقوش مذهب مكتوب بإزاره قوله تعالى : «إنا فتحنا لك فتحا مبينا الى — وينصرك الله نصرا عزيزا — صدق الله العظيم ورسوله الكريم وصلى الله على سيدنا محمد . بتاريخ شهر شعبان سنة أربع وثمانين وثمان مائة» على يمينها مسطبة بها شباك وبها باب صغير يؤدي إلى منور، عليه باب للقبّة، وهو أحد ابتكارات المهندس التي تغلب بها على ما صادفه من شطرات في الأرض ، وعلى يسارها باب كبير له مصاريع جرّارة تسير في مجرّة وتدخل في سمك الجدار ، وبها باب يؤدي الى سلم يهبط الى استطراق معقود بمصليات حجرية بها دوائر منخرفة يمر أسفل مدخل القبّة وبعرضه حتى يصل الى الباب الشرقي للمدرسة . وهو باب حافل بالزخارف الحجرية . وعلى يسار هذا الاستطراق باب يوصل الى الفراغ أسفل الإيوان الشرقي .



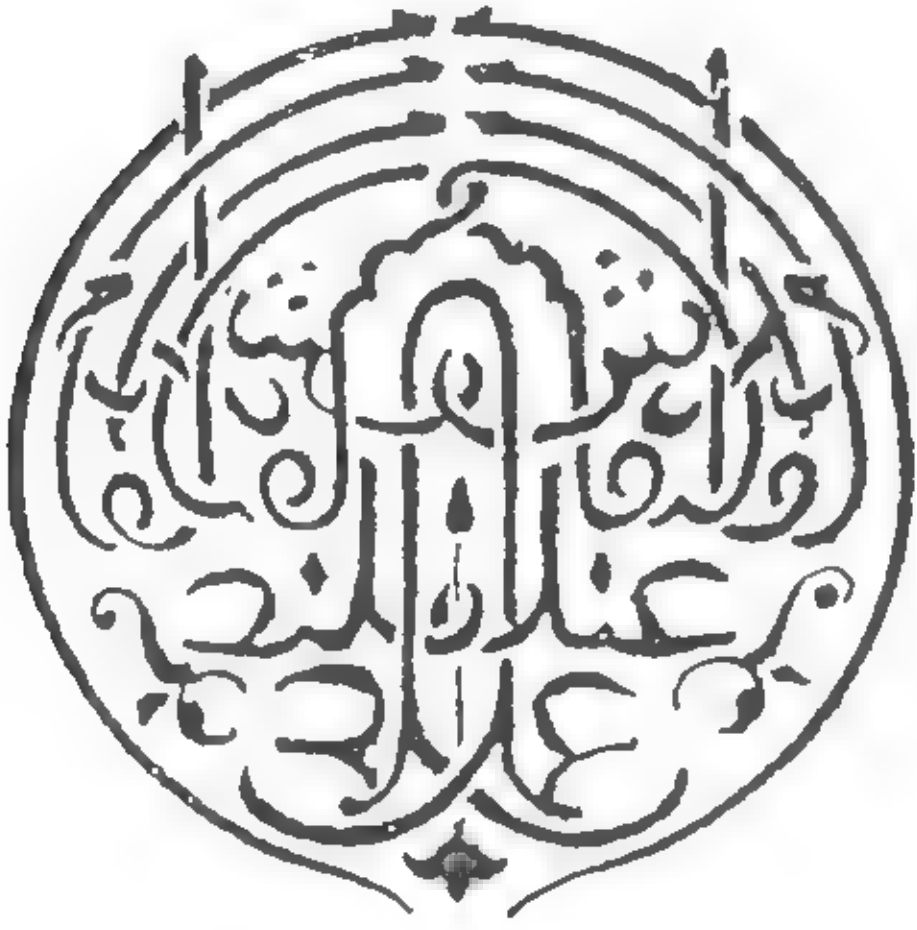
مسقط أفق

وطريقة الأبواب والشبابيك الجرّارة كان المظنون أنها من المبتكرات الحديثة، ولكنها وجدت في هذه المدرسة وفي مدرسة أبي بكر بن مزهر المعاصرة لها ثم رأيناها بعد ذلك في شبابيك الدور في العصر التركي بمصر ورشيد .

ومن الطريقة الثانية يتوصل الى صحن المدرسة المفروش بالرخام ، وقد أهدقت به أربعة إيوانات :
أثنان كبيران وهما الشرقى والغربى ، وأثنان صغيران وهما القبلى والبحرى ، كما يشرف على هذا الصحن
أبواب تؤدى إلى المنارة وإلى حجرات علوية ، ومنها باب يؤدى إلى الساباط الموصل إلى دورة المياه
وآخر إلى الصهرىخ .

وأينما أتجهت العين داخل هذه المدرسة فلا ترى إلا صناعة دقيقة وألوانا زاهية ، فالأرضيات
بالصحن ، والإيوانات فرشت برخام ملون تنوعت أشكاله ، وجميع السقوف ملونة مذهبة ، والجدران
مؤزرة بالرخام وبها نقوش وكتابات مذهبة كما تنوعت أشكال الشبابيك الحصية .

وإيوان المحراب يستهوى الناظر إليه بما حواه من صناعات دقيقة ، وألوان أخاذة ، فقد كسى
صدره بوزرة رخامية ارتفعها نحو خمسة أمتار ، وحليت خواصر العقود وتواشيحها برخام مطعم
بالمعجون الملون ومكون بأشكال زخرفية . وهذا نوع من الزخرف شاع في دولة المماليك الجراكسة ،
استغنى به عن تجميع الرخام الخردة ، أو تلبيس القطع الملونة في الرخام الأبيض . ويتوسطه المحراب ،
وهو مكون من أشرطة رخامية ، ورخام مطعم بالمعجون الملون ، إلى طاقية من رخام دقيق معدودة
من النماذج النادرة . وكتب بتجويفته بالخط الكوفي المزهر قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك
في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ﴾ .



توقيع النقاش

وقد أعتز الصانع بعمله هذا فكتب اسمه بشكل زخرفي
في تجويف المحراب وكسوة الشبابيك بما نصه : « عمل عبد
القادر النقاش » . وسواء أكان نقاشا أم مرنما فهو صانع
ماهر ، وهو الذى قام أيضا بأعمال النقش في محراب وإيوان
المدزنية المزهرية بحجارة برجوان ، المذشاة سنة ٨٨٤ هـ
(١٤٧٩ م) . وهى أيضا من طرائف العمارة الإسلامية .

وجميل أن نعثر على اسم هذا الصانع مدقونا على أعمال تشرفه ، فى حين أننا فقراء إلى معرفة أسماء
الصناع ، فلا يوجد لدينا منها إلا القليل فى نماذج معدودة لنجارين ومرتمين أحصيتُ وصورتُ
ما عثرتُ عليه منها منقوشا على الآثار الإسلامية بمصر والأقاليم .

أما دار الآثار العربية فقد أشتملت على مجموعة كبيرة من أسماء هؤلاء الصناع مرقومة على الطرف
الخزفية والنحاسية وغيرها .

و يجاور المحراب منبر خشبي جمعت حشواته بأشكال دقيقة، وطعمت جوانبه وأبوابه ودرابزينه وقاعدته بالسق والزرنشان، وهو من النماذج المعدودة في دقة الصناعة وتنوعها، ومكتوب عليه : « أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك المقتر الأشرف الكريم السيفى بقماس أميرآخور كبير الملكى الأشرفى عز نصره » .

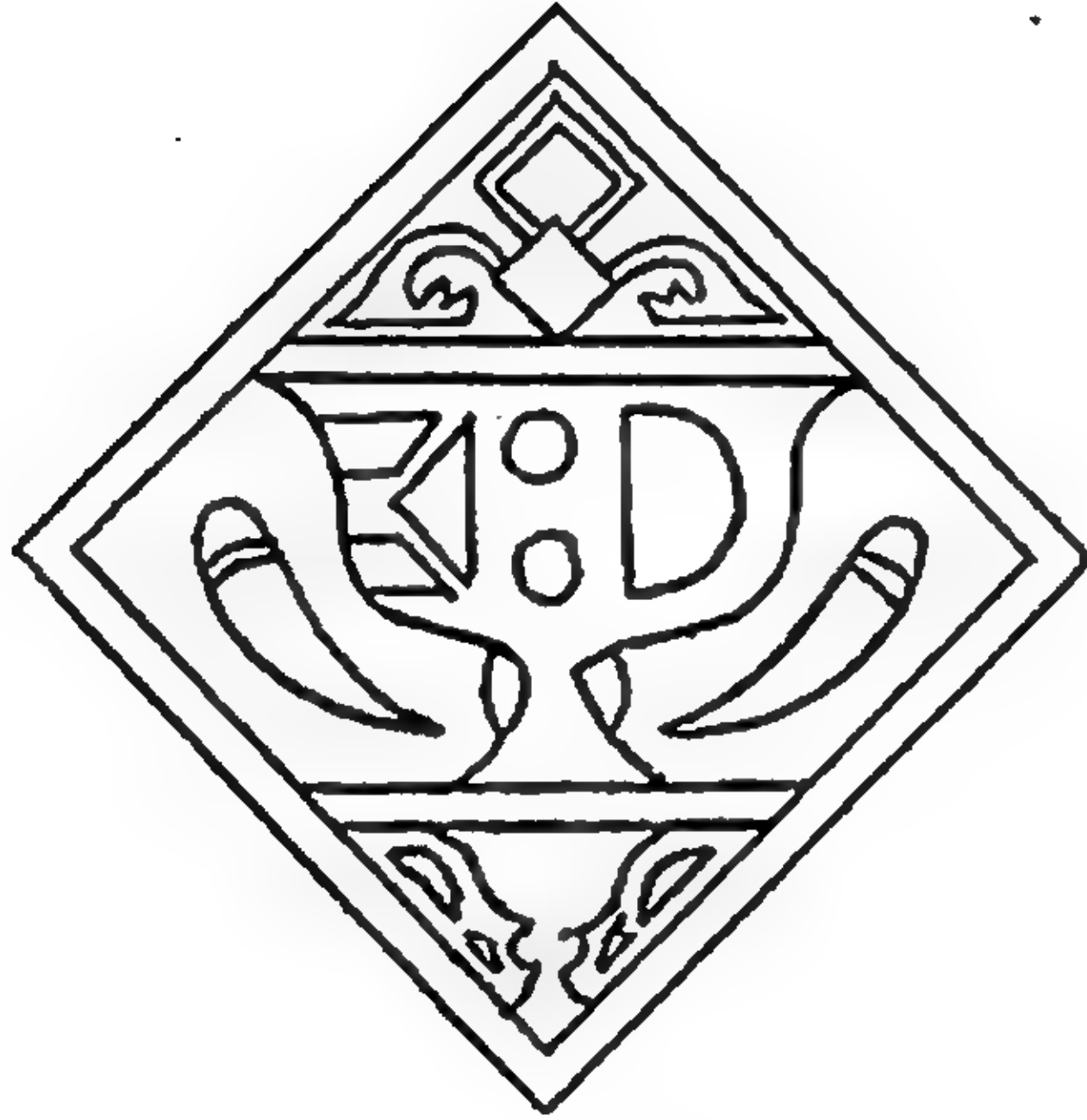
وفي الجانب القبلى للإيوان الشرقى باب يؤدي إلى القبة يكتنفه شباكان حليت خواصرهما بزخارف حجرية مذهبة، وهى قبة شاهقة مبنية بالطوب وخالية من الزخرف . ولا شك فى أنها أبسط جزء فى هذا الأثر، فقد ألقنا أن نرى قباب هذا العصر نتخذ من الحجر، وتنقش سطوحها الخارجية إما على شكل دالات أو شرفات موزقة، كما ينقش داخلها بالبوية أحيانا مثل قباب قايتباى وقانصوه أبى سعيد والكاشنى وغيرها ، وتكتنف عقود الإيوانين البحرى والقبلى عقود محارية بتواشيحها وبأعلاها زخارف حجرية، ومكتوب بدائر الصحن : « بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . أمر بإنشاء هذا الجامع السعيد المبارك من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم على مولانا المقتر الأشرف الكريم العالى المولوى الأميرى الكبيرى السيدى السندى المالكى المخدومى المجاهدى المرابطى المؤيدى المنصورى الورع المتورعى الزاهدى الغابدى الصامى القائمى الراكى الساجدى السيفى بقماس أميرآخور كبير المالكى الملكى الأشرفى أعز الله أنصاره بمحمد وآله فى أيام مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره . وكان الفراغ من هذا المكان المبارك فى شهر رمضان المعظم قدره سنة خمس وثمانين وثمان مائة » .

ويحيط بجدران الإيوان الغربى إفريز مكتوب عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه . إلى قوله تعالى : والله يرزق من يشاء بغير حساب ... وكان الفراغ من هذا الجامع فى شهر رمضان المعظم قدره سنة خمس وثمانين وثمان مائة من الهجرة » . ومكتوب على كرسى المصحف : « أمر بإنشاء هذا الكرسي المبارك المقتر السيفى بقماس كافل الملكة الشامية سنة سبع وثمانين وثمان مائة » .

ومع أن هذه المدرسة توفرت فيها كل مميزات المدارس ، فقد رأينا جميع نصوصها التاريخية تنعتها بالجامع ، وهذا يعطينا فكرة عن أن الرغبة الأولى لمنشئ المدارس فى هذا العصر هى إعدادها أولا لإقامة الشعائر ، ثم إلحاق مدافن لهم بها . ولما كان تصميم المدرسة هو الشائع فى هذا الوقت ، فقد غلب على تصميم المسجد بصرف النظر عن إعداده للتدريس أو عدم إعداده له ، دون التقيد بنقته مدرسة أو جامعا .

وما إن تم بناء المدرسة حتى أمر بقماس بتعيين مدرّس لها وقارئ للبخاري، ونقل ما كان قتره من التصوّف بجامع الأزهر إليها .

وقد عُنيت إدارة حفظ الآثار العربية بإصلاح هذه المدرسة إصلاحاً شاملاً منذ سنة ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م) فكشفت عن جوانبها، وأكملت المنارة، وأصاحت المنبر والرخام والشبابيك والسقوف والأرضيات الرخامية، حتى أعادت إليها رونقها . وصنعت لها نوعاً خاصاً من المشكاوات الزجاجية المكتوبة والمنقوشة بالمينا .



رنگ المنشئ

مسجد سلطان شاه

بشارع غيط العدة^(*)

أنشأ هذا المسجد المقر السيفي الأمير سلطان شاه بن قرا، أمير الطبلخانا في دولة السلطان شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون^(١)، ثم أنعم عليه السلطان وعينه حاجب الحجاب في سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٦ م) . وقد توفي في سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٤ م) ودفن في مسجده بباب الخرق . وكان محبا للخير صالحا .

ويرجع إنشاء المسجد إلى حوالي سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) . وقد ظل قائما إلى أن هدمه ووسعه الملك الأشرف قايتباي بعد سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٥ م) بإشراف الأمير تغرى بردى القادرى^(٢)، كما أنشأ ربما تجاهه فوق مطهرته التي بناها هناك^(٣)، وكذلك أمر بعمل منبر قيم له ، كبقية المنابر المنشأة في عصره دقيق الصناعة ، مطعمة حشواته بالسق، ومدقوق بالأويمة الدقيقة، مما يشعر بأهمية المسجد وجمال زخرفته وقتئذ، وقد بقي منبره هذا إلى حوالي سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) حيث تصرف فيه بالبيع ناظر المسجد محمد أفندى الكريدلى بمبلغ ٢٥٠ جنيها إلى أحد الأجانب فأخرجه من مصر .

وما إن بلغ المغفور له الخديو إسماعيل باشا ذلك حكم على هذا الناظر وعلى النجار الذي تولى فكه بالنفى إلى البحر الأبيض بالسودان، فمات الناظر هناك .

وكان المسجد قد تخرب ، فأمر الخديو إسماعيل باشا بإصلاحه ، وجدد وجهته العمومية ، وذلك في سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ م)، كما أمر بعمل منبر له^(٤) .

أما المنبر القديم فقد طوّحت به الأقدار إلى أن أستقر في المتحف البريطاني بلندن .

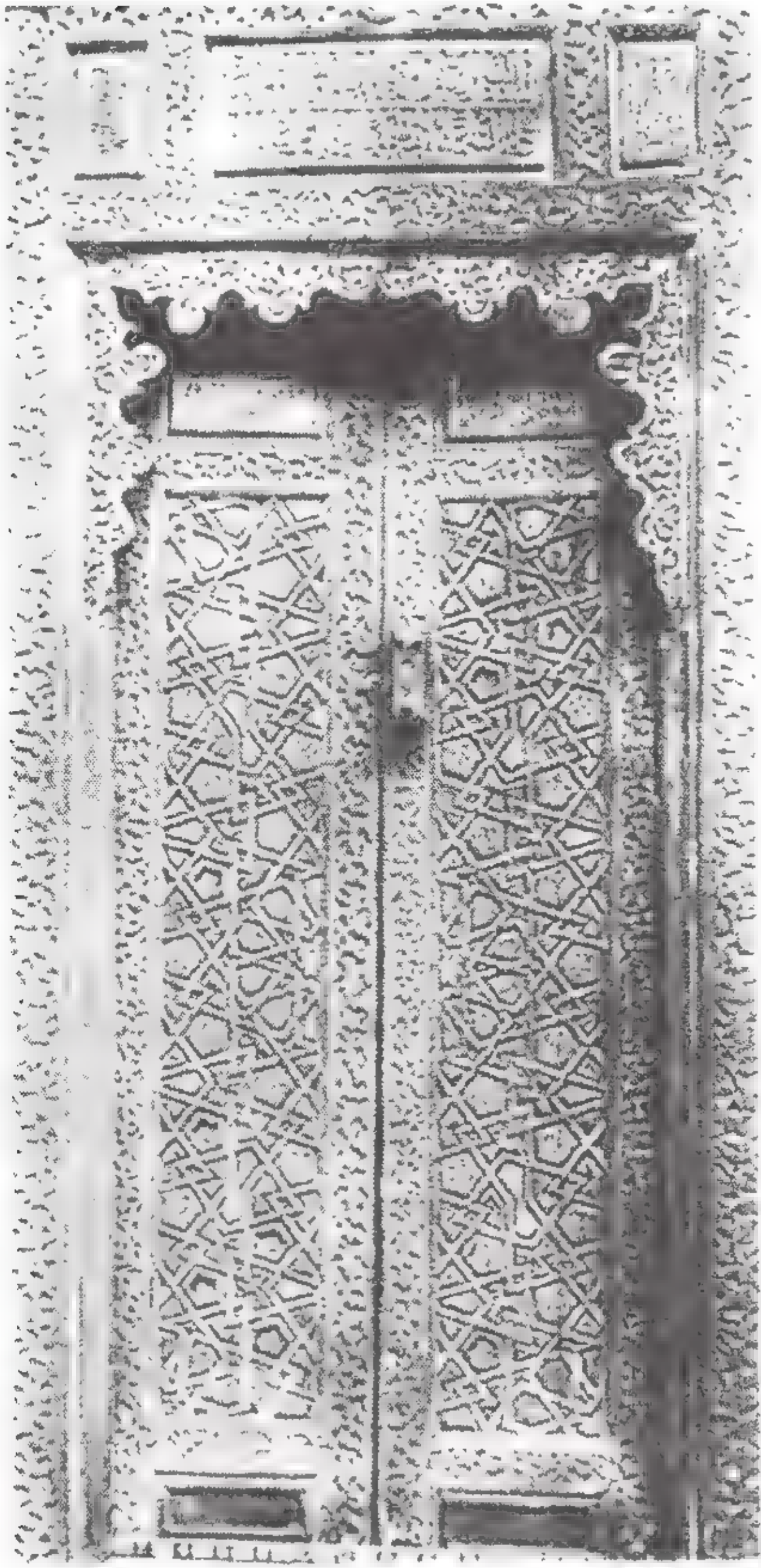
وفي زيارة المرحوم مرقس سمبكة باشا (مؤسس المتحف القبطى) وعضو لجنة حفظ الآثار العربية لهذا المتحف عام ١٩٣٣ رأى هذا المنبر وقرأ أسم قايتباي عليه ، فأحضر صورته الفوتوغرافية وأهداها إلى إدارة حفظ الآثار العربية .

(*) انظر الصور من رقم ٢٠١ — ٢٠٣ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) ابن إياس، ج ١ ص ٢٢١ وفي النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٢٠ (ابن فراجا) . (٢) الضو، اللامع،

ج ٦ ص ٢٠٨ (٣) الضو، اللامع، ج ٣ ص ٢٠ (٤) المخطوط الجديدة، ج ٥ ص ٢٠

ولما كان غالب منابر مساجد السلطان قايتباي موجودة فيها ، فالمرجح أن هذا المنبر هو منبر مسجد سلطان شاه ، وهو من الطرف القيمة فقد دقت حشواته بأويمة دقيقة وطعم بالسق ، كما دقت قوائمه بالأويمة ، وطعمت حشوات الدرايزين أيضا ، ومكتوب على باب الروضة : « عز لمولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي حلد الله ملكه » .



(باب المنبر)

والمسجد يتكون من صحن مكشوف يحيط به أربعة إيوانات محمولة على عمود حجرية مثمنة نقشت أضلاعها بنقوش موزقة وهندسية مختلفة ، وقد أشتمل الإيوان الشرقى على رواقين .

أما الإيوانات الثلاثة فكل منها من رواق واحد ، وقد حليت خواصر العقود بزخارف حجرية موزقة ، ومكتوب في دائرتين بوجه الإيوان الشرقى : « عز لمولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره » .

والمحراب بسيط لا زخرف فيه ، يجاوره منبر من خشب مجمع « معقلى » ، وفي الطرف القبلى الشرقى مقصورة بها قبر المنشئ ، وبالسقف بقايا قديمة .

وأهم ما يسترعى النظر فى هذا المسجد الزخارف المدقوقة فى أضلاع عمدته المثمنة ، وهى ميزة وإن كانت سبقت منشآت السلطان قايتباي فى نماذج قليلة معدودة مثل مسجد ألماس

وخانقاه شيخو ومسجد أم السلطان شعبان ، إلا أنها كثرت فى منشآت السلطان قايتباي فى الحجر والرخام ، رأيتها فى العمدة الباقية من مقعده بالقلعة ، وفى عمودى الساسبيل بالسبيل الذى أنشاه بالصليبة ، وفى عمودى محراب مدرسته بالصحرء ، وفى عمدة الكتاب المالحق بها ، وهى نماذج إن دلت على مقدار جمالها فقد دلت أيضا على التورع عن أخذها من مساجد أخرى أو كناس ، وأعطت نوعا جديدا للعمود إسلامى كامل .

قبة الفداوية

بالعباسية^(١)

كانت المنطقة الممتدة من العباسية الى الحسينية في القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) تحتوى على مقابر وعدة دور .

وفي سنة ٨٨٤ هـ (١٤٧٩ م) أمر الأمير يشبك من مهدى بإزالة هذه القبور والدور ، وغرس مكانها حدائق غناء ، وحفر بئرا عظيمة فوقها أربع سواق ؛ وأنشأ مناظر للترهة وحوضا كبيرا وساباطا وقبة كبيرة أمامها بساتين ومشاتل ، وأنشأ قبلى هذه القبة تربة كبيرة ألحق بها مساكن للصوفية وشيوخهم ، وبني تجاه التربة مدرسة وسبيلا وحوضا لشرب الدواب ، وشق ترعة كبيرة يجرى فيها الماء الى المزارع ، حتى صارت المنطقة من أبهج^(٢) المتزهات .

ومن وصف السخاوى المؤرخ لهذه المنشآت نفهم أنها تمت في حياة الأمير يشبك بينما يخالفه في ذلك ابن إياس ، فقد ذكر في حوادث شهر ذى القعدة سنة ٨٨٤ هـ (يناير سنة ١٤٨٠ م) « أن الأمير يشبك شرع في بناء القبة التى أنشأها في رأس الحسينية ، ونحرب عدة قبور كانت هناك ، ثم أنشأ بهذا المكان غيطانا ومجارى وسواقى ، وقصد أن يجعله من جملة متزهات القاهرة ، ولو عاش لفعل ذلك ، بفناءت القبة من محاسن البناء في ذلك المكان^(٣) » .

ثم عاد فذكر في حوادث سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) أن السلطان قايتباى عاين قبة الأمير يشبك الدوادار ، وأمر الأمير تغرى بردى الأستاذار بأن يكمل عمارتها لأن الأمير يشبك مات^(٣) ولم يتمها . وفي هذه دلالة على أن الأمير يشبك أوفى قبل أن يتم بناء هذه المجموعة .

وإذا طرحنا خلاف السخاوى مع ابن إياس جانبا ، وبحسنا عن هذه المنشآت ، فلا نجد منها الآن سوى قبة عظيمة مربعة ، طول ضلعها ١٩,٩٠ مترا ، وهى تعلو دورا أرضيا مكونا من ثلاث قاعات مستطيلة مغطاة بقبوات .

(*) انظر الصور من رقم ٢٠٤ — ٢٠٥ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الضوء اللامع ، ج ١٠ ص ٢٧٤

(٢) ابن أباس ، ج ٢ ص ١٩٢

(٣) ابن أباس ، ج ٢ ص ٢١٠

ويتوصل إلى هذه القبة من باب في الجدار القبلي ، عتبه على ارتفاع ٢٥,٥ أمتار من مستوى الأرض حولها . وبناء القبة الخارجى بسيط قاعدة حجرية تعلوها قبة مبنية بالطوب لها طراز خاص . أما من الداخل فقد كانت الجدران مغطاة بوزرة رخامية بارتفاع ٣,٥٠ أمتار وفي منطقة الاتصال بين القاعدة المربعة والقسم المستدير من القبة أربع عقود بزواياها ، بداخلها مقرنصات بدلايات مشحونة هي وجدران المربع وعقد القبة وقطبها بزخارف من الجص الملون ، وهي والقبة التي أنشأها بكوبرى القبة من طراز خاص مغاير للقباب التي شاعت بمصر في القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) . فقد تأثرتا بطراز القباب^(١) السورية .



(مقرنص القبة وزخارفها)

وهذه القبة وإن كان منشؤها هو الأمير يشبك من مهدى إلا أنه كتب عليها اسم سيده الملك الأشرف قايتباى حيث يقرأ على جانبي الباب القبلي : « أمر بإنشاء هذه القبة المباركة سيدنا ومولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى أعز الله أنصاره بمحمد وآله وسلم » . وتحت المقرنص قوله تعالى : « فأنظر إلى آثار رحمت الله كيف ينجي الأرض بعد موتها — الآية » وهو

(١) . Les Mosquées du Caire, vol 1, p. 325.

باب ظريف حليت أعتابه بالرخام المائون ، كما حليت أعتاب الشبايبك ، كذلك يقرأ في دائر القبة أعلى المقرنص : « بسم الله الرحمن الرحيم شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة — الآية . إن الدين عند الله الإسلام . قل اللهم مالك الملك — الآية صدق الله العظيم . اللهم وأدم عز مولانا ولى النعم سيد ملوك العرب والعجم ناصر دين الله حافظ بلاد الله قسيم خليفة الله الحاج إلى بيت الله الفائز بزيارة قبر رسول الله الساطان المليك الأشرف أبو النصر قايتباي خلد الله سلطانه وأفاض على البلاد والعباد جوده وإحسانه من فضله الله بالحج والزيارة على ملوك البرية وناداه ربه فخرج في سنة أربع وثمانين وثمانمائة » .

وهذا النص يرجح رأى السخاوى فى أن هذه الأعمال تمت فى حياة الأمير يشبك ، وأسم السلطان قايتباي تكرر فى كتابة أخرى بالقبة وقد ظلت تلك المنشآت عامرة حتى القرن الثانى عشر الهجرى فقد زارها الرحالة عبد الغنى النابلسى سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣ م) وقال : « زرنا جامع الشبكية نسبة الى يشبك من مهدى فصعدنا إليه فإذا هو جامع عظيم فى أحسن ترصيف ، وأقوم وأكل بنيان ، وأجمل إتقان ، وبجانبه مساكن وقصور وبيوت ، وهناك بركة كبيرة يستخرج إليها الماء بالمدار ، وفى جانبها قصر مطل عليها بشايبك ينطلق منها البصر فى فسيح تلك الأقطار^(١) » .

أعمال الإصلاح — أذكرت لجنة حفظ الآثار العربية هذه القبة وهى بحالة سيئة جداً ، فعُنت بإصلاحها وقومت مبانيها وأحدثت باباً لها فى الواجهة الشرقية وذلك فى سنة ١٨٩٩ م : وكان أمام الواجهة الشرقية قطعاً أرض يشغلها مقهى ومركز للدخول^(٢) ، فأزالتهما وعملت على تخليّة ما حولها ، ووضعت لوحة تذكارية تضمنت ترميم : « القبة فى سنة سبع عشرة وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة » .

وبناء على ما تقدم به سكان العباسية يتقدمهم المرحوم ماهر باشا محافظ مصر وسعادة لطيف باشا سليم رئيس شرف المحكمة المختلطة لإعداد القبة للصلاة ، أعدتها إدارة حفظ الآثار لهذا الغرض فى سنة ١٣١٩ هـ ووضعت لوحة تذكارية بذلك .

وفى سنة ١٩٠٧ عُنيت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاح منبر مسجد كاتم السر بدرب الجمايز ، وهو منبر صغير طعمت حشواته بالسق والابنوس وبناء على اقتراح هرتس باشا وضع فى هذه القبة ، وكان اختياراً موفقاً ، لأن صناعته تتفق وعصر القبة .

(١) الحديقة والمجازس ١٦٢ خط .

(٢) الدخولية : حدثت فى زمن الخديو إسماعيل باشا لجباية ضرائب على جميع ما يدخل القاهرة من حبوب وخضروات ونواكه وصناعات وتجارات . وقد بلغ إيرادها سنة ١٨٨٣ : ١٦٨٠٤٧ جنيهاً .

الفداوية — عرفت هذه القبة بالفداوية ، وغلبت هذه التسمية على أسم السلطان قايتباي ، وعلى اسم الأمير يشبك من مهدي .

والفداوية طائفة من الإسماعيلية ، من الشيعة المنتسبين إلى إسماعيل^(١) بن جعفر الصادق القائلين بإمامته ، وكانوا يقيمون بقلاع الدعوة وهي : مصياف والرصافة والخوابي والقُدُوس والكهف والعليقة والمينقة .

قال ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار : وهم يعتقدون أن كل من ملك مصر كان ظهيرا لهم ، ولذلك يرون إتلاف نفوسهم في طاعته . وكان لمشايعتهم هذه لملوك مصر أثر كبير في إرهاب أعدائهم . وكان من تقاليدهم أن من جبن عن أداء رسالته ، أو هرب ، قتله أهله ، ولا يبالي الفداوي أن يؤدى رسالته ولو قتل بعدها . وفي الأزمنة السابقة كانوا يسمون كبيرهم المتحدث عليهم : «مقدم الفداوية»^(٢) أو «شيخ الفداوية» .

وفي القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) عرفوا أيضا بالمجاهدين ، وأطلقوا على كبيرهم «أتابك المجاهدين» ويعرفون في بلادهم بالإسماعيلية وفي بلاد الفرنج بالحشيشية وعند أهل الإقليم بالفداوية . وإلى القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي كان يطلق لقب الفداوية على الأشداء من الرجال .

وفي قوانين دواوين الممالك البحرية كان يدخل في اختصاص رئيس ديوان الإنشاء النظر في أمر الفداوية ؛ وكان لملوك الإسلام بهم عناية كبيرة . وممن عني بهم الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، وعهد إليهم بأعمال هامة قاموا بأدائها بين الفرنج والتتار ، وكذلك عني بهم الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون ، والملك الناصر محمد بن قلاوون وكانت لهم المرتبات والهبات الكثيرة . ورأينا الحسن^(٣) بن عبدالله المؤرخ يتوجه إلى ساطان وقته بيبرس الجاشنكير راجيا «العناية بهم والاحسان إليهم وإجراؤهم على عوائدهم وندبهم في المهمات العائدة بالنفع على الملك والممالك» .

(١ و ٢) ضوء الصبح المسفر ، ج ١ ص ٤٥ — ٤٦ ، صبح الأعشى ج ١ ص ١١٩

(٣) آثار الأول وترتيب الدول ص ١٥٣

مسجد قايتباى بالروضة

الروضة جزيرة واقعة بين الجزيرة والفسطاط^(١) (مصر القديمة) ، لم يبق من أعلامها الهامة سوى مقياس النيل فى طرفها القبلى .

وقد كانت روضة من رياض الدنيا منذ الفتح الإسلامى ، سكنها ملوك مصر وأمرائها ، فقد كانت على عهد والى مصر عبد العزيز بن مروان عامرة بالدور من الجانيين ، وبها فرقة إطفاء مكوّنة من خمسمائة عامل لمكافحة حريق طارئ أو هدم . وكان بها حصن لأحمد بن طولون ، ودار صناعة (ترسانة) لعمل الأسطول المصرى ، كما كان بها بستان المختار وقصره اللذان أنشأهما محمد بن طُغُج الإخشيد . ووضع تصميمهما صالح بن نافع ونفذهما زقازق وابن أبى الرداد .

وفى الدولة الفاطمية أنشئت بها المتزهات ؛ فأنشئ بها المشتمى كما أنشأ بها الأفضل شاهنشاه ابن بدر الجمالى مكانا نزها سماه الروضة ، فعرفت الجزيرة كلها بالروضة . وكانت تعرف قبل ذلك بجزيرة مصر وجزيرة الفسطاط وجزيرة الصناعة .

وفى خلافة الأمر بأحكام الله بنى بها قصرًا سماه الودج ، وأسكن به زوجته الغالية البدوية . وأنشأ بها بدر الجمالى مسجد المقياس . وفى آخر الدولة الأيوبية بنى بها الملك الصالح نجم الدين القلعة الصالحية ، وأنشأ قصرًا له . كما أنشأ الفورى قصرًا على بسطة المقياس .

وفى عصر المغفور له محمد على^(٢) بأشأ ، أنشأ ولده المرحوم إبراهيم باشا بستانًا فى الطرف البحرى للروضة حوى النادر من النباتات والزهور التى أدخلت إلى مصر . وأنشأ بها أمراء دولته القصور والبساتين ، ومنها قصر المرحوم حسن باشا المنسترلى الباقى حتى الآن يجزار المقياس . كما كان للمغفور له إسماعيل باشا قصر وبستان بالقرب من هذا المسجد . وقد كان بها كثير من المساجد ، وأهم ما بقى منها مسجد قايتباى .

والسلطان الملك الأشرف قايتباى من خيرة ملوك مصر الجراكسة الذين عنوا بالعمارة الإسلامية . وله فيها آثار كثيرة بمصر والشام والحجاز ، كلها غنية بشتى الفنون .

(*) انظر الصور من رقم ٢٠٦ — ٢٠٧ بمجموعة الصور التوتوغرافية .

(١) المقرزى ، ج ٢ ص ١٩٧

(٢) المشتمى للمغفور له تيمور باشا مجلة الزهراء ج ٥ م ٥ ، ص ٢٩٤ ، دائق القاهرة ومنزهاتها ص ٥٣

وأول من أنشأ هذا المسجد هو ناظر الجيش محمد بن فضل الله القاضي نخر الدين المعروف بالفخر المتوفى سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م)^(١)، ثم جددّه الصاحب شمس الدين عبدالله المقسى فعرف بجامع المقسى . ثم تحزب وعطلت الشعائر فيه الى أن هدمه ثم أنشاه الملك الأشرف قايتباي ، وألحق به ناعورة على وضع غريب ركب عليها طاحونا تدور بدورانها .

وكان البدء في تجديده سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) . وفي سنة ٨٩١ هـ (١٤٨٦ م) زاد فيه وأنشأ حوله الحدائق والعمائر .

وقد أشار السخاوي الى منشآت قايتباي وذكر هذا المسجد ضمنها فقال : « وبالروضة جامع هائل كان من قديم مع صفه ساقطا مائلا فيهدمه ، وعمل بجانبه ربعا ، وأنشأ خلفه قاعة ، وأنشأ عدة دكاكين وطاحونا بإشراف البدر حسن بن الطولوني المهندس »^(٢) .

أما ابن إياس فقد ذكر الفراغ من هذه الأعمال في سنة ٨٩٦ هـ (١٤٩١ م)^(٣) .

ويظهر أن البدر بن الطولوني كان مفتونا بجمال هذه المنطقة ، فقد كان يحتفل في كل ليلة ١٤ من الشهر بالمسجد ، إذ يجتمع القراء والوعاظ ، وتنصب خيام أمام الجامع ، وتضاء الأنوار ، وتجتمع المراكب في النيل ، حتى عرفت لياليه بالبدرية .

وقد عرف المسجد أيضا باسم السيوطي لأن الإمام جلال الدين السيوطي أقام به أو سكن قريبا منه .

وفي سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) احترق المسجد بسبب انفجار بارود^(٤) ، قضى على جميع نجاته الأثرية .

وهو الآن أقل مساجد قايتباي زخرفا ، ولعل هذا راجع الى ما أصابه . أما تصميمه فهو تصميم مدرسة ، أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف يحيط به أربعة أبواب مكتوب على أحدها « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » . وعلى الآخر : « وصلى الله على سيدنا محمد السراج المنير » وعلى الثالث : « فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها » .

وكانه أريد باختيار الآية الأخيرة الإشارة الى تجديد الجامع بعد أندثاره . ويعلو كلا من هذه الأبواب نفيس منقوش وعقد مسلوب مقرنص .

والإيوان الشرقي أكبرها . وقد نقش حجور الشبابيك الشرقية بزخارف جصية موزقة رأيناها في مدرسته بالصحناء .

(١) كوكب الروضة للسيوطي ص ٩٤ خط ، المقرئ ج ٢ ص ٣١١ (٢) الضوء اللامع ، ج ٦ ص ٢٠٨

(٣) ابن إياس ، ج ٢ ص ٢٧١ (٤) الجبري ، ج ٣ ص ١٩١

والمحراب من الحجر ، وقد حُلّ بجفوت وميات وكتب بتجويفته ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم قد نرى نقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها » ويعلو المحراب سطر بطول الجدار الشرقى مكتوب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، الى قوله تعالى : تجرى من تحتها الأنهار » .

والوجهة الشرقية بها الباب وقد كتب على جانبيه اسم قايتباي وألقابه بما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذه المدرسة المعظمة مولانا المقام الشريف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره سلطان الإسلام والمسلمين محي العدل في العالمين ناصر شريعة سيد المرسلين خلد الله ملكه وثبت قواعده دولته » .

وهو مبني بحجارة صفراء وبيضاء ، وعتبه مزرق ، وله عقد مدائني مخصوص به تلابيس حجرية . وتقوم المنارة على يساره ، وهي مبنية بالحجر ، ومكونة من ثلاث دورات . دورتها الأولى مخضرفة بدون نقش ، والثانية من كرايش (خرزانية) ، والثالثة مقرنصات . وبدن الدورتين مستدير . وقد أحيطت الدورات الثلاث بشقق درابزين مفرغة بأشكال متنوعة .

ويلفت النظر أن منارات السلطان قايتباي في مصر تنوعت أشكالها . وهذا دليل ملموس على نبوغ مهندسيه وعبقريتهم .

وكان لتأدية مولانا الملك فاروق الأول فريضة الجمعة فيه خير أثر في إصلاحه ، وتعميد الطرق المؤدية اليه وتوسيعها . مما جعل الألسنة تلهج بالدعاء بليلته .

وإني أتمثل بأبيات أنشدها الشاعر أيدمر المحيوى في الملك الصالح نجم الدين ألسا عمر قلعة الروضة^(١) .

الصالح الملك الذي أيامه * عقد به جيد الزمان مطوق
أبهى من القمرين أصبح للهدى * نجما به فلك السعادة مشرق

مسجد أبي العلاء

بشارع فؤاد الأول^(*)

نسب هذا المسجد إلى الشيخ الصالح حسين أبي علي المكنى بأبي العلاء، الولي المعتقد صاحب الكرامات والمكاشفات ؛ على ما يصفه به الصوفيون الذين أطنبوا وبالغوا في كراماته .

سكن هذا الشيخ في خلوة بزاويته بالقرب من النيل في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) وكان للناس فيه اعتقاد، فكثرت مريدوه ومعتدوه . وكان من بينهم التاجر الكبير الخواجا نور الدين علي ابن المرحوم محمد بن القنيتش البرآسي ، فطلب منه الشيخ أن يحدد زاويته وخلوته التي كان يتعبد فيها . فصدع بالأمر وأنشأ هذا المسجد ، وألحق به قبة دفن فيها الشيخ أبو العلاء حينما توفي سنة نيف وتسعين وثمانمائة هجرية (١٤٨٦ م)^(١) .

ويرى المرحوم محمد رمزي بك أن هذا المسجد حل محل المسجد الذي أنشأه الفخر ناظر الجليش محمد بن فضل الله سنة ٧٣٠ هـ (١٣٣٠ م) .

وكان إنشاؤه للمسجد حوالي سنة ٨٩٠ هـ (١٤٨٥ م)، وهو عصر ازدهرت فيه العمارة الإسلامية . والغالب على تصميمه وقتئذ أنه كان على طراز مدرسة ذات أربعة إيوانات متعامدة غنية بالنقوش والكتابات، كما تنبئ بقاياها القديمة . وتتحصر في الباب البحري مع قسم من الواجهة البحرية والشرقية والقبلة والمنارة والمنبر .

فالباب العمومي مبني بالججر، وله عقد مدايني بطاقيّة مقرنصة، ومكتوب عليه قوله تعالى : ﴿ وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾ .

وتقوم المنارة على يسار الباب ؛ وهي منارة حجرية رشيقة مكونة من ثلاث دورات لا تقل أهمية عن المنارات المنشأة في عصرها الزاهر . فقد حلّ بدن الدورة الأولى بجفوت وعقود، كما حلّ بدن الدورة الثانية بخطوط متقاطعة على شكل شرفات ، وقامت الدورة الثالثة على عمد رخامية صغيرة .

(*) انظر الصور من رقم ٢٠٨ - ٢١١ مجموعة الصور القرونغرافية .

(١) طبقات الشمراني، ج ٢ ص ١٠١

(٢) تعليقه على ص ٢٠٢ ج ٩ النجوم الزاهرة طبع دار الكتب المصرية .

وقد كتبت بأحزمة القاعدة وأسفل مقرنصات الدورات آيات من سورة «تبارك»، كما كتبت آيات منها أيضا في المربعات فوق قاعدتها .

وقد بدأت الكتابة التاريخية بالوجهة على يسار الباب، وامتدت إلى وجهة القبلة، ومع الأسف تشوه وفقد أكثرها، ويقرأ منها الآن : « أنشأ هذه المدرسة المباركة من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العبد الفقير إلى الله تعالى الح ... على ... محمد ... القنيش ... غفر ... » .

وتقوم القبلة في أوائل الوجهة الشرقية، وهي قبة مبنية بالطوب تغلب عليها البساطة من الخارج، بخلاف قباب عصرها التي امتازت بجمال نقوشها وبلوغها القمة من الرق . وليست هذه البساطة مقصورة على هذه القبلة، بل يشاركها فيها بعض قباب عصرها، مثل قبة پخاس الإسحاق، وقبة فانصوه أبي سعيد وغيرهما، ومكتوب فوق عتبي شباك القبلة آيات من القرآن تظهر الأطراف العلوية للحروف متقاطعة بشكل زخرفي مثل ما نراه منها في مسجد الغوري وفي ثريات وشمعدانات باسم قايتباي .

وأهم ما يسترعى النظر بداخل هذه القبلة الزخارف المدقوقة بتواشيع المحراب والشبابيك ثم كتابة تاريخية فوق المحراب نصها : « أنشأ هذا المكان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى الخواجه نور الدين علي بن المرحوم ...^(١) الدين محمد بن القنيش غفر الله لهم لسيدنا ومولانا الشيخ حسين أبا علي نفعا الله ببركاته والمسلمين في الدنيا والآخرة » .

وبرقة القبلة شبابيك ومضاهايات منقوشة كما نقشت القبلة بنقوش هندسية ملونة .

أما نجارته فقد كانت على جانب عظيم من الأهمية، ولم يبق منها إلا المنبر الذي لا شك في أنه نخر المنابر الإسلامية في دولة المماليك الجراكسة؛ فقد طعمت حشواته بالسق والزرنشان، وامتازت جوانبه وأبوابه بتقاسيم فريدة وخاصة في دائرته الكبرى التي تتوسط ريشتي جانبيه فانها لم توجد في منبر آخر مع ما فيها من شذوذ . ومما زاد في أهميته

على ابن طنين

اسم النجار

اشتماله على اسم صانعه المكتوب على باب المقدم بما نصه : « نجارة العبد الفقير إلى الله تعالى الراعي عفو ربه الكريم علي بن طنين بمقام سيدى حسين أبو علي نفعا الله » .

ولعله ثالث توقيع رأيناه لنجار ممتاز على منبر حتى نهاية دولة المماليك الجراكسة بمصر . ثم رأيت توقيع الكثير منهم في العصر العثماني بالأقاليم .

(١) سقطت كلمة، ولعلها شمس .

هذه هي الأجزاء القديمة الباقية من هذا المسجد، لأنه قد تواترت عليه إصلاحات كثيرة، فقد أجريت به عمارة سنة ١١٥٤ هـ (١٧٤١ م) . وأخرى سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٧ م) .

وقد دفن به غير واحد من العلماء منهم الشيخ أحمد الكعكي المتوفى سنة ٩٥٢ هـ (١٥٤٥ م) والشيخ عبيد والسيد على حكشه المتوفى سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٤ م) والشيخ مصطفى البولاقى المتوفى سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٦ م) .

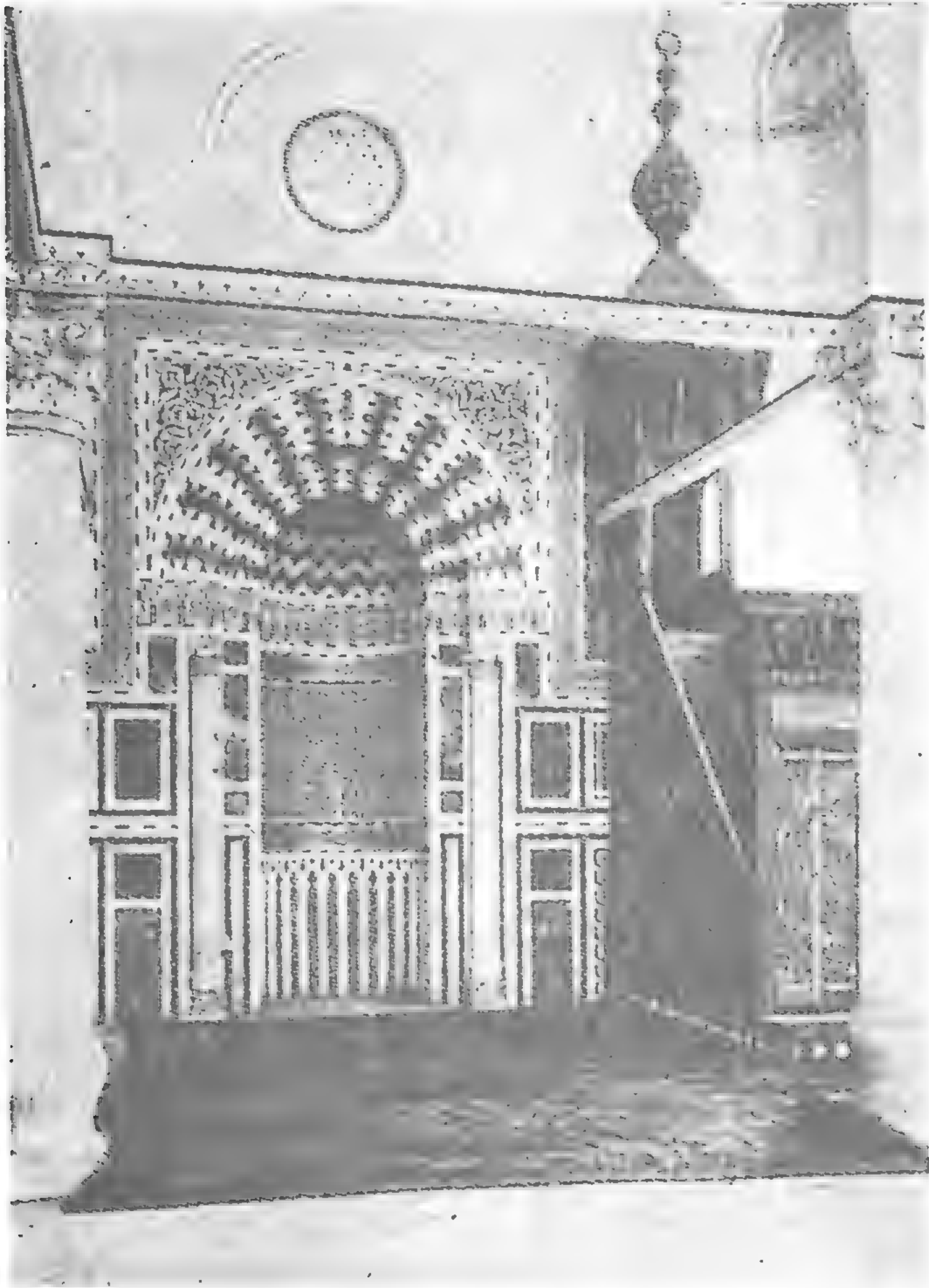
وقد ترتب على هذه الأعمال تغيير في المسجد؛ فقد أدركه المغفور له على باشا مبارك، ووصفه: «بأنه جامع عامر ومقامة فيه الشعائر. له ثلاثة أبواب: أحدها على الشارع وهو الباب الكبير، والثاني تجاه باب المقام غربى الجامع موصل لعطفة ضيقة، والثالث لليضاة. ويشتمل على إيوانين وثمانية أعمدة من الرخام. ومنبره من الخشب النقى المطعم بالعاج، ومحرابه مكسو بالرخام»^(١).

أعقب هذه العمارات تلك العمارة التى قامت بها لجنة حفظ الآثار العربية فى المدة من سنة ١٩١٥ - ١٩٢٠ م، فقد أجرت له إصلاحات شاملة، وأنشأت فى النهاية الغربية للوجهة البحرية سبيلا يعلوه كتاب أقتبست تفاصيله من نماذج عصره، وفكت مباني المنارة وأعادت بناءها؛ وأكملت قتها طبقا لمنارات عصرها .

وقد بقى المسجد موضع الرماية باعتباره حرم حتى بولاق المحبب إلى سكانه، إلى أن سقط سقف إيوانه الشرقى أثناء الاحتفال بمولده فى ١٣ يوليه سنة ١٩٢٢ م فتعطلت الشعائرفيه إلى أن أمر المغفور له الملك «فؤاد الأول» طيب الله ثراه بتجديده وتوسيعه فى سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م). فقامت وزارة الأوقاف بتنفيذ هذه الإرادة السامية، بأن عمات على نزع ملكية الأماكن التى اقتضاها التوسيع، ثم عهدت إلى إدارة حفظ الآثار العربية فى وضع تصميم لتجديده، فوضعت تصميميا لبناء المسجد، راعت فيه المحافظة على الأجزاء القديمة وإدماجها فيه، وعلى أن تكون جميع تفاصيله مقتبسة من منشآت القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) .

والمسجد كما هو الآن تبلغ مساحته ١٢٦٤ مترا، وقد كان قبل ذلك ٨٤٣ مترا. وروعى فيه أيضا أن تكون أبوابه ثلاثة كما كانت، وقد وضع تصميمه مكونا من أربعة إيوانات، سقوفها مرفوعة على عقود من الحجر الأحمر والأبيض، وترتكز على عمد رخامية تحدد بصحن غطى بسقف مذهب، تحيط به شبابيك بمربع الصحن وقد كتب فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم قل لعبادى الذين

آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلاق .
إلى قوله تعالى : وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار . أمر بتجديد هذا المسجد
وتوسيعه حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول أيد الله ملكه وحفظ له ولى عهده . وكان الفراغ
من هذا العمل المبرور والأثر المشكور فى سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة الشريفة
النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية .



المحراب والمنبر

وقد ابتكرت طريقة لعمل السقوف الأثرية بالأشمنت المسلح زيادة فى متانته ، وقسمت على
شكل الأسقف الخشبية القديمة ، ثم نقش وذهب بإتقان لا يترك مجالا للشك فى أنه من الخشب .

وقد تنوعت تلك النقوش ، فبينما نرى الإيوانين الشرق والغربي متماثلين نرى الرواقين القبلي والبحري برسم آخر .

وقد كسيت جدران إيوان المحراب بوزرة رخامية انتهت من أعلاها بدوائر ملونة ثم إفريز رخامي دقيق ، وبه محراب من الرخام الدقيق تنوعت زخارفه وألوانه ، يكتنفه عمودان قواعدهما وتيجانها عربية ، كما يحيط به من أعلاه مجموعة من الشبابيك الجلصية التي قد تنوعت أشكالها .

وفي مؤخر الجامع دكة المبلغ وجميعها من الرخام ، وقد حليت بزخارف عربية مذهبة ، ونقشت الأوتار الرابطة للعقود ، كما وضعت للمسجد إضاءة خاصة .

وقد تناول التجديد وجهاته الثلاث : الشرقية والقبليّة والغربية ؛ إذ بنيت بالحجر الأبيض والأحمر على التعاقب بارتفاع ١٣,٥٠ مترا ، وقد غطيت صفوف شبابيك الوجهات بمقرنصات متنوعة ، كما حليت الأبواب أيضا . فالباب الغربي المؤدى إلى الميضاة اقتصرت زخارفه على الحجر الملون ، وغطى بمقرنص . أما الباب القبلي فقد حليت مزروعاته وجانباه بالرخام الملون وغطى بالمقرنصات . ومكتوب على الطراز العلوي لهذه الوجهة تاريخ الفراغ منها بما نصه « أمر بتجديد هذا المسجد وتوسيعه مولانا صاحب الأيادي البيضاء على المعاهد والمساجد والموفق لخدمة كل راع ومساجد من أحيا شعائر الدين وأعلى كلمته وأقام العدل وأصلح رعيته حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول أيد الله ملكه وحفظ ولي عهده ووفق رجال حكومته إلى خير الأمة وسعادة البلاد ، وكان البدء في هذا العمل المبرور ، والأثر المشكور في سنة أربع وأربعين وثلثمائة وألف ، والفراغ منه في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة وألف من الهجرة الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية » .

ولا شك في أن تجديد هذا المسجد كان طبقا لأساليب العمارة الإسلامية الصحيحة . وقد بلغت نفقات تجديده ١٧,٠٠٠ جنيه .

وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح « فاروق الأول » فافتحه بأداء فريضة الجمعة يوم ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ هـ (٥ يونيو سنة ١٩٣٦ م) .

مسجد قاني باي الزماح

بميدان صلاح الدين^(٥١)

الأمير قاني باي — قاني باي قرا كان مملوكا للملك الأشرف قايتباي فاعتقه وعينه في جملة وظائف، إلى أن رماه أمير عشرة في سنة ٨٩٨ هـ (١٤٩٣ م)، ثم عينه نائبا لصهيون، فأميرا لحلب، ثم عاد إلى مصر وتزوج ابنة الأمير يشبك من مهدي .

وفي دولة الناصر محمد بن قايتباي رقي إلى مقدم ألف، ثم أمير آخور كبير في المحرم سنة ٩٠٣ هـ (سبتمبر سنة ١٤٩٧ م) . واشتهر بالشجاعة والفروسية واللعب بالرمح، فعرف بالزماح .

وقد أنشأ مسجدا في الناصرية ، كما أنشأ هذا المسجد^(١) . توفي إلى رحمة الله يوم الجمعة ٢٦ ربيع الأول سنة ٩٢١ هـ (١٥١٥ م)، ودفن بقبة هذا المسجد .

وهذا المسجد بميدان صلاح الدين ، يقع في الجهة البحرية من مسجد الحمودية ، وهو مبني على شرف عال . وله وجهتان : إحداهما شرقية وبها وجهة الإيوان الشرقي والقبعة . والثانية قبلية وبها وجهة القبعة والمدخل الرئيسي والمنارة فسبيل وكتاب . ويعتبر من المساجد المعلقة ، فهو قائم على عقود مصلبة، تحملها أكتاف حجرية مربعة تكون حجرات واستطراقات أسفل المسجد، لها وجهة أسفل الإيوان الغربي، وللحجرات مزغلة وشباك بالوجهة القبليّة .

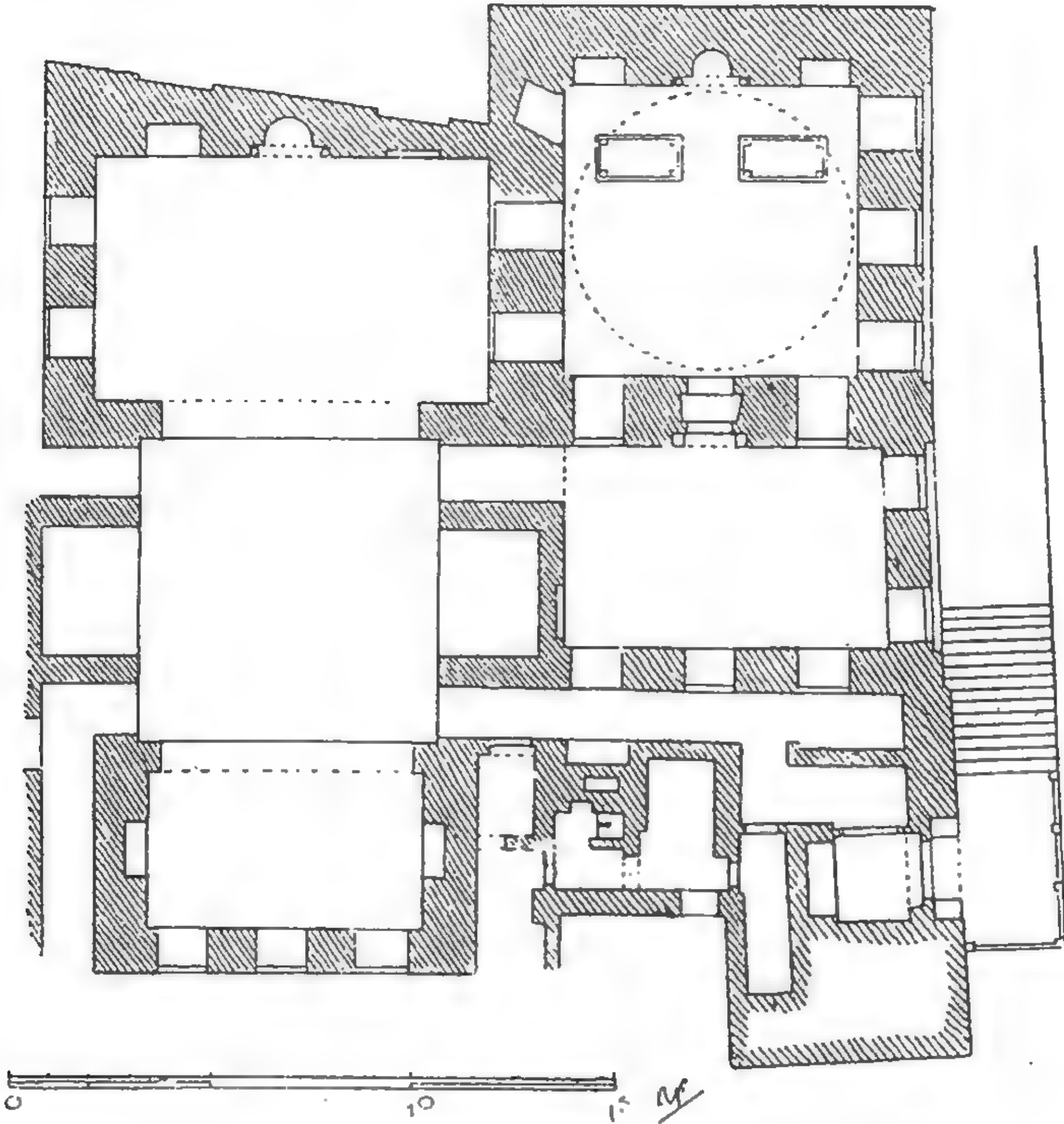
ويتوصل إلى باب المسجد بارتقاء بضع درجات تؤدي إلى باب لبس عتبة المجرى برخام ملون يعاونه مزور رخامي مكتوب على جانبيه : « أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة من فضل الله المقتر الأشرف العالي المولوي السيفي قاني باي أمير آخور كبير أعزّه الله تعالى » .

وقد حلّ الباب بزخارف حجرية، يغطيه عقد له أرجل منحوتة ؛ وهذا الباب يؤدي إلى دركاة مربعة ، سقفها ملون مذهب له إزار مقرنص، ثم طريقة منقطة بمصليتين على يسارها باب المنارة ، ثم ينثنى إلى طريقة أخرى معقودة تنتهي إلى الصحن .
والمسجد منشأ على طراز المدارس المشتمل على أربعة إيوانات تنوعت عقودها .

(*) انظر الصور الفوتوغرافية من رقم ٢١٢ — ٢١٣ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) ابن أبياس، ج ٤ ص ٤٥٠ — ٤٥٣

وهذا المسجد لم تستعمل فيه السقوف الخشبية عدا دركاة المدخل ؛ فهو مغطى بعقود تنوعت أشكالها ، فالإيوانان القبلي والبحري عقودهما مذببة وهما صغيران . وقد حلى وجهاهما وجوانبهما بالنقوش والكتابات .

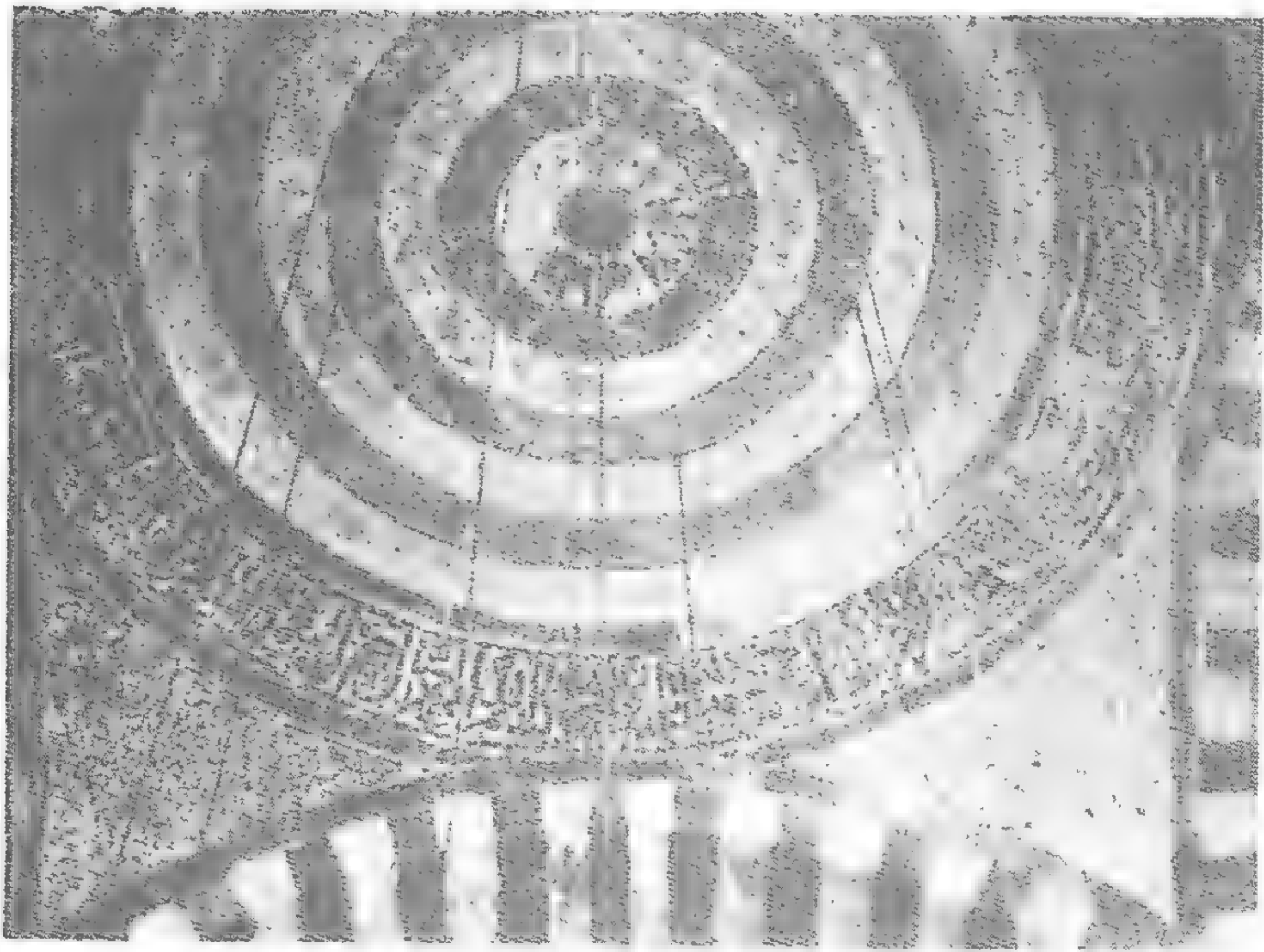


مسقط أفق

والإيوان الغربي معقود بقبو مصلب ، حليت تواشيح وجه عقده بزخارف نباتية ؛ وأهم هذه الإيوانات الإيوان الشرقي ؛ وقد غطي بقبو كرى يكتنفه من الجانبين قبوان دائران ، وقد نقشت أركان هذا القبو بنقوش مذهبة ومكتوب على دائره : « بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » إلى قوله تعالى : المهتدين . صدق الله العظيم . أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المقتر الأشرف الكريم العالي المولوى السيدى السندى الذخرى العضدى الكريمى الكبيرى السيفى قاني باي أميرآخور كبير الملكى الأشرفى أعز الله أنصاره بمحمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . وكانت هذه الكتابة مذهبة ، والمحراب حجرى . وقد حلى عقده وطاقيته بنقوش وجفوت وميمات متقاطعة ، ومكتوب بتجويفه : « بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون صدق الله العظيم » .

و يحيط بهذه الكتابة من أعلى وأسفل زخارف على هيئة شرفات بها أثر تلوين وتذهيب .
ويجاور المحراب منبر صغير طعمت حشوات جوانبه وباب مقدمه بالسّن ، ويكتنفه دولابان
حلى شعاعاها بزخارف نباتية موزقة ، وعلى جانبي هذا الإيوان شبابيك نقشت أعتابها بزخارف
دقت فى الحجر ، ويم الزخرف أحجار هذا المسجد كما كان يعمها التذهيب شأن الكثير من مساجد
ذلك العصر . ومكتوب أعلى الأبواب الأربعة حول الصحن : « أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة
المقر الأشرف الكريم العالى السيفى قانيباى أمير آخور كبير الملوك الأشرفى أعز الله أنصاره » .

وبالباب الشرق القبلى من هذه الأبواب يؤدى إلى حجرة مستطيلة مغطاة بعقود مصلبة لها
أرجل منقوصة ، ولها شبابيك تطل على الوجهة القبلية ، وأخرى تطل على طارقة المدخل ، ويجدارها
الشرق باب القبة وهو مغطى بمقرنصات ومكتوب على جانبيه قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم —
ادخلوها بسلام آمين » . ويعلوه سطر مكتوب فيه : « اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافة
الدائمة فى الدارين » .



قبو الإيوان الشرقى

وهذه القبة من النماذج القيمة التى تتجلى فيها عظمة القباب المملوكية فهى بارزة عن وجهة المسجد
الشرقية ، وبنواصيرها عمدة حجرية منقوشة ، كما نقش سطحها الحجرى بزخارف موزقة جميلة

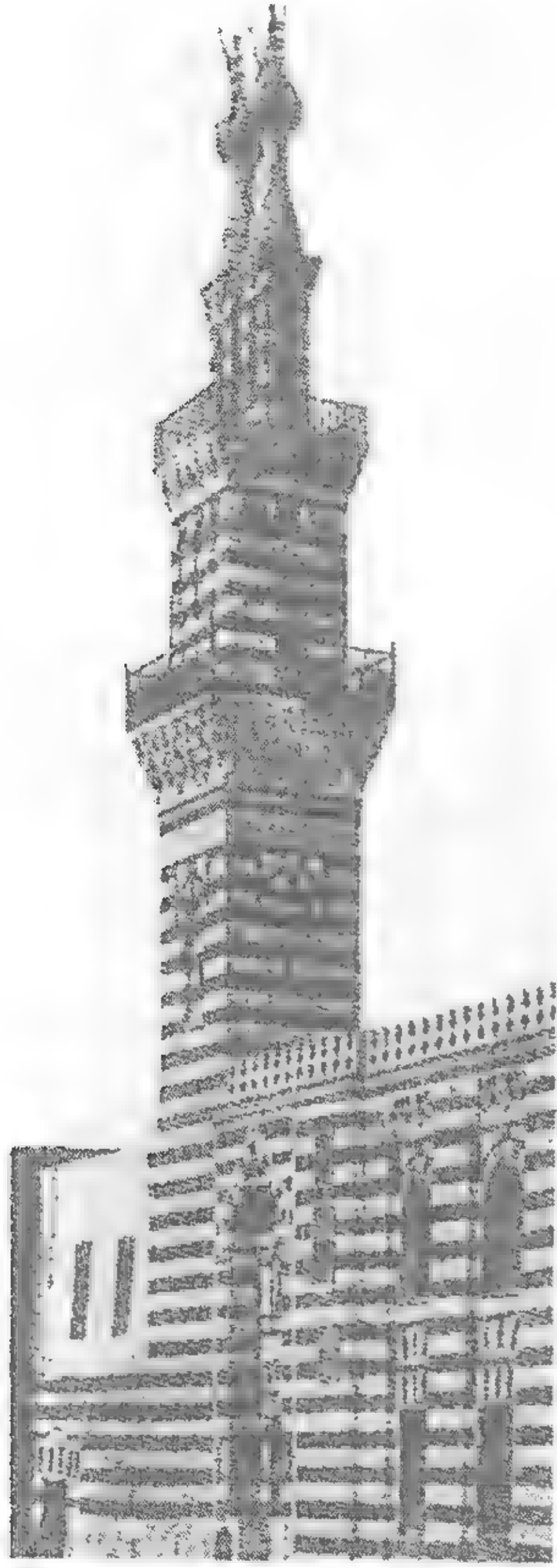
ومكتوب على رقبتهما : « بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحي القيوم ... الآية . أمر بإنشاء هذه القبة المباركة المقتر الأشرف الكريم العالی السيفي قاني باي أميرآخور كبير المملکی الأشرفي » .

وقد أحيطت جدرانها من الداخل بوزرة رخامية آتتهت بإفریز لبست فيه زخارف بالمعجون الملوّن ، كما نقش عقد محرابها وطاقيته بجفوت متقاطعة مثل محراب المسجد . ومكتوب أعلاه : « بسم الله الرحمن الرحيم . قد نرى قلب وجهك في السماء » .

ويحيط بمربعها تحت رجل المقرنص إفریز كبير مكتوب عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم . وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ... الآية . صدق الله العظيم . أمر بإنشاء هذه القبة المباركة المقتر الأشرف الكريم العالی المولوى الأميرى الكبيرى السيدى السندى الذخرى العضدى الممالكى المخدمى السيفي قاني باي أميرآخور كبير المملکی الأشرفي بتاريخ مستهل شعبان المكرم عام ثمان وتسعمائة » .

وعلى جانبيها شبايك : القبلىة منها تشرف على الوجهة ، والجانب البحرى به شباكان يشرفان على الإيوان الشرقى ، وثالث يشرف على الحارة وبه عاج المهندس شطرة بها . وأمام المحراب قبران أحدهما للنشئ .

المنارة — وتقوم المنارة على يسار الباب العمومى ، وهى مبنية بالحجر ومكونة من دورتين مربعتين حليت جلاساتهما بمقرنصات ، ويعلو الدورة الثانية مربعان حليا بالمقرنصات ، يعلو كلا منهما خوذة .



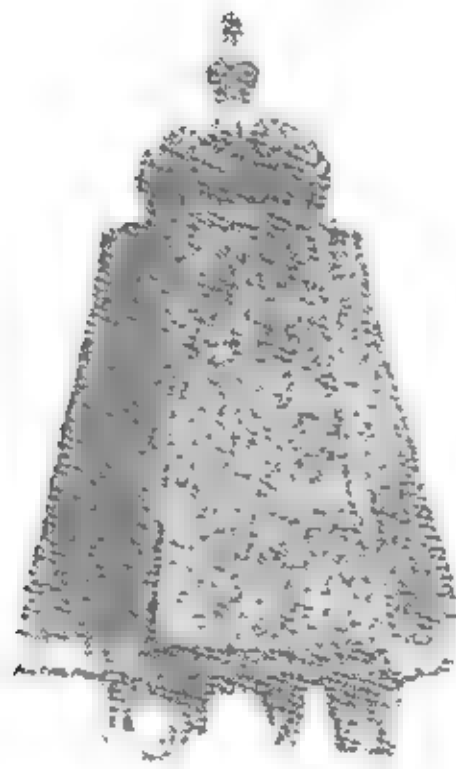
المنارة قبل هدمها

والمنارات ذات الرؤوس المزدوجة شاعت بمصر فى نهاية القرن التاسع وأول العاشر الهجرى ؛ رأيناها فى منارة الغمري بميت غمر ، كما كانت كذلك منارة مسجد جان بلاط بجوار باب النصر التى هدمت سنة ١٢١٤ هـ (١٧٩٩ م) ، فنارتا الغورى بمسجده وبالأزهر . ثم منارة مسجد العمروى بالمنيا . وقد أنشأ الأمير قاني باي منارة مسجده بالناصرية على هذا الطراز أيضا .

و يصف ابن كثير المؤرخ منارة مدرسة السلطان حسن التى سقطت^(١) سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) بأنها كانت مزدوجة الرأس مما يعزز نشأة هذا النوع من المنارات فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) .

بقيت منارة هذا المسجد إلى أن هدمت حوالى سنة ١٨٧٠ م لتحلل طراً عليها ، وفى هذا الوقت طراً تغيير كثير على المسجد ؛ فأنشئت بوجهته دكاكين شوهت جماله ، ومنذ ذلك الوقت عنيت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاح المسجد ؛ فأزالت الدكاكين من أمام الواجهة وأصلحتها فى سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) ، كما أزال سقف الحادث الذى كان يغطى الصحن وأزال البياض الذى كان يحجب الزخارف الملونة والمذهبة ، وأعادت بناء الإيوان الغربى ، وأصلحت قاعدة المنارة وذلك فى سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) . وكذلك قامت بتقوية المباني الحاملة للمسجد بالدور الأرضى .

على أن أهم عمارة أجريت به كانت فى عصر الملك الصالح فاروق الأول ؛ فقد أعيد بناء المنارة والسبيل بجوارها طبقاً لصورة أخذت بالتصوير الشمسى كانت محفوظة بإدارة حفظ الآثار العربية مهداة لها من فرنس باشا ، وأخرى أهداها إليها جناب الأستاذ كريسويل . مع الاقتباس من منارته بالناصرية . كما أصلح الإيوان الغربى وقد تمت هذه الإصلاحات فى سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) ، وكان لها أحسن الأثر فى إحياء هذا المسجد وتجميل الميدان .



مسجد الغورى

بشارع المعز لدين الله^(١) (الغورية)

الملك الأشرف قانصوه الغورى — السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه من بييردى الغورى الجركسى الجنس، ولد فى حدود سنة ٨٥٠هـ (١٤٤٦م) ثم امتلكه الأشرف قايتباى وأعتقه وعينه فى جملة وظائف مابين كاشف للوجه القبلى إلى نائب لطرسوس فملطية . وفى دولة الأشرف جان بلاط عين دوا دارا كبيرا ووزيرا وأستادارا . ثم نودى به ملكا على مصر فى يوم الاثنين مستهل شوال سنة ٩٠٦هـ (أبريل سنة ١٥٠١م) وظل فى ملك مصر إلى أن قتل بمرج دابق شمالى حلب^(٢)، وهو على رأس جيشه فى قتاله مع السلطان سليم فى ٢٥ رجب سنة ٩٢٢هـ (١٥١٦م). وكان ملكا حازما شديدا سياسيا ملك زمام الملك بحكمة وكياسة نخطب وده الملوك وبادلوه الهدايا، ففى السنة التى استقبل فيها سفير البندقية بهداياه وهى سنة ٩١٨هـ و ١٥١٢م استقبل سفراء أربع عشرة دولة من ملوك الشرق والغرب يقدمون اليه الهدايا، وفى عصره ازدهرت الفنون والعلوم وراجت سوق الأدب والموسيقى .

وكان رحمه الله مغرما بالعمارة فازدهرت فى عصره وأينعت، واقتدى به أمراء دولته فى إنشاء العمار . كما عني بإنشاء الحدائق واقتناء الطيور المغردة .

وقد خلف ثروة فنية جالها خيرية؛ بمصر وحلب والأقطار المجازية . واهتم بتحصين مصر فأنشأ قلعة العقبة وأصلح قلعة الجبل وأبراج الإسكندرية . وزاد فيها أبراجا وأسوارا وغير ماخذ الماء الموصل إلى القلعة فأنشأ السواقى على النيل وما يتصل بها من قناطر للياه حتى تلاقت مع المجرأة القديمة . وجدد خان الخليلي فأنشأه من جديد وأصلح قبة الإمام الشافعى ومسجد الإمام الليث وأنشأ منارة للجامع الأزهر . هذا عدا ما أنشأه من قصور ووكالات وخانات وتعمير مساجد، كما عني بأسطول مصر . وليس أدل على غرامه بالعمارة من إنشائه فى منطقة واحدة مجموعة أثرية مكونة من وكالة وحمام ومنزل ومقعد وسبيل وكتاب ومدرسة وقبة ثم هذا المسجد .

وهذه المجموعة جميعها فى نهاية شارع الغورية عند تقاطعه مع شارع الأزهر . وهى باكورة أعماله العمارية؛ لأن الفراغ منها كان سنة ٩٠٩ — ٩١٠هـ (١٥٠٣ — ١٥٠٤م) .

(*) انظر الصور من رقم ٢١٤ — ٢٢٥ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) شذرات الذهب ج ٨ ص ١١٤ ، ابن إياس ج ٣ ص ٤٧ (٢) ابن إياس ج ٤ ص ٢٦٨

تاريخ المسجد ووصفه — بدأ فى إنشاء هذا المسجد الطواشى^(١) مختص ، كبير السقاة فى دولة الظاهر قانصوه أبى سعيد . ولما ولى الملك الأشرف قانصوه الغورى أمر بالقبض عليه وصادر أمواله ، وطالبه بأموال أخرى ، فأعطاه أرض هذا المسجد بما عليها من بناء سدادا لبعض ما طالبه به ، فهدمه الغورى وأمر بتوسيعه وأضاف له بعض الأسواق ، وعنى برخامه وزخرفته إلى أن آتت عمارته فى سنة ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ م) وقد بلغت ثقته نحو مائة ألف دينار .

ومما أخذه بعضهم على الغورى أنه أدخل فى عمارته مهمات معمارية اشتراها بثمن بخس ، وأنه هدم وخرب عدة قاعات ، وأخذ رخامها وأبوابها لعمارة الجامع مما حدا ببعض الظرفاء إلى أن يسميه « بالمسجد الحرام » . فليقل فيه حساده ما صوروه لهم حقدهم ، ولئن جاز أن نصدقهم فى أخذ الرخام فلا نستطيع تصديقهم فى النجارة التى أثبتت تفاصيلها أنها عملت خصيصا للمسجد .

وقد أحتفل بافتتاحه يوم الجمعة^(٢) مستهل شهر ربيع الآخر سنة ٩٠٩ هـ (سبتمبر سنة ١٥٠٣ م) بحضور الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الأربعة ثم خلع السلطان على قاضى القضاة عبد البر ابن الشحنة لأنه حكم بصحة الخطبة فى هذا الجامع وخلع على إينال شاد العمارة وأنعم عليه بإمرة عشرة كما خلع على المهندسين وكافا الصنائع .

ولا شك أن هذا المسجد تحفة هذا العصر ؛ فقد عنى به عناية بالغة كما أفرط فى زخرفته إفراطا أخرجه من وقار المساجد إلى بهرجة القاعات ، مما حدا بالسلطان سليم أن يصفه بقوله : « هذه قاعة تأجر^(٣) » .

وكما حرص مهندس على التماثل والمضاهاة فى أجزائه الداخلية ؛ فقد تعدى هذا التماثل إلى خارجه ، فأنشأ تجاهه مدرسة وقبة وسبيلا وكأبا اتفقت معه طولا وعرضا وزخرفا ؛ وهما لمن يعبر بينهما فرصة المتعة بجوفى يملأ النفس روعة وجلالا .

ولهذا المسجد ثلاث وجهات : إحداها قبلية وهى بسيطة جدا ، والأخرى غربية وأسفلها حوانيت ويتوسطها الباب الغربى ؛ وقد حلى بتقوش فى الحجر وكسيت مصاريفه بالنحاس وكتب على جانبيه : « أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر

(١) ابن إياس ج ٤ ص ٥٣

(٢) ابن إياس ج ٤ ص ٥٨

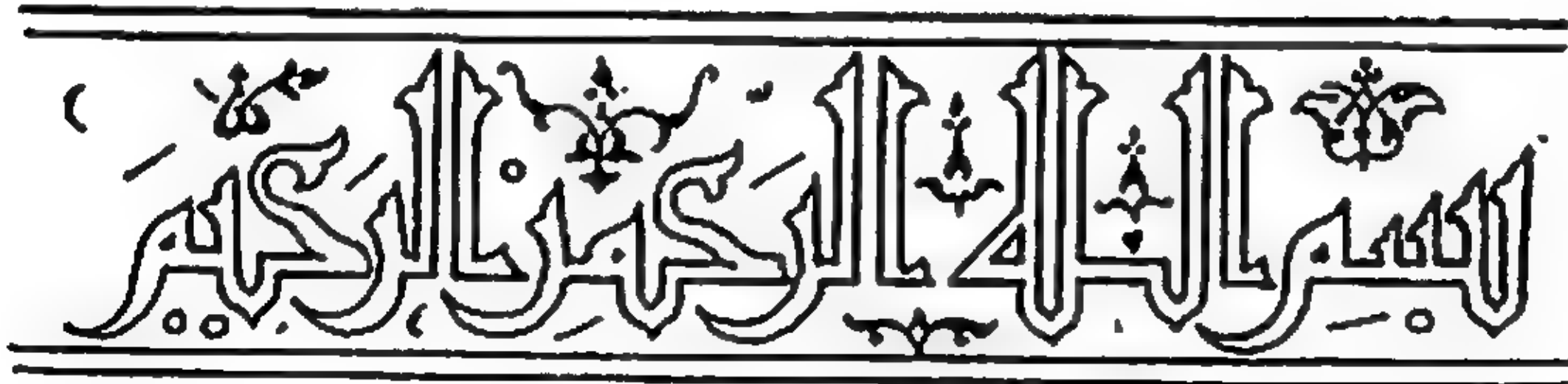
(٣) أخبار الأول ص ١٢١

قانسوه الغورى عن نصره» . وثالثها الوجهة الشرقية — وهى الوجهة العامة — و بطرفها البحرى الباب العمومى وقد كُسى بالرخام ومزّرات رخامية ، يعلوه شبّاك كسى ما حوله بالرخام على هيئة مزّرات يغطيه مقرنص صغير منقوش فوقه سطر مكتوب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا محمد » يغطى كل هذا مقرنص من عتبة حطات ينتهى بطاقة ملبسة بالحجر، وله توشيحتان رخاميتان بكل منهما دائرة مكتوب عليها : « عز مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانسوه الغورى عن نصره » .

وقد زينت جلسات الشبابيك وأعتابها بزخارف دقيقة دقت فى الحجر ، وبهذه الوجهة شبابيك الإيوان الشرقى ، وقد نقشت جلساتها ، كما كسيت أعتابها بمزّرات رخامية ملونة ، ونقشت تواشيع الشبابيك العلوية دقا فى الحجر، وغطيت بمقرنصات ، وتوجت بشرفة موزقة منقوشة الوجه .

ويسترعى النظر فيها عمد النواصى الملبسة أجزاءها بالحجر المازن ، ولها تيجان وقواعد عربية . ومكتوب على أعتاب الشبابيك : « بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا — إلى قوله تعالى — وأعد لهم أجرا كريما » .

ومكتوب على الباب الصغير بوسط الوجهة : « اللهم انصر عبدك مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانسوه الغورى عن نصره » .



(بسملة بطراز الوزرة بمدخل القبة)

ويعلو الوجهة طراز مكتوب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى قوله تعالى عليا حكيا صدق الله العظيم . أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم سيدنا ومولانا ومالك رقابنا الإمام الأعظم والملك المكرم صاحب السيف والقلم والبند والعلم السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قانسوه الغورى سلطان الأرض الحاكم طولها والعرض القائم بالسنة والقرض » .

ويتصل بالنهاية البحرية للوجهة الشرقية بقايا منزل قديم أتمه سنة ١٩٠٧ المرحوم مصطفى افندى الساده على الطراز العربى طبقا مواصفات لجنة حفظ الآثار العربية .

والمسجد مرتفع وتحتة دكاكين وباب يوصل إلى سوق الجمالون على جانبيه حوانيت ، ويتوصل إلى الباب من سلم مزدوج ، وقد ركب عليه مصراعان كسيا بالنحاس الدقيق المزخرف ومكتوب عليهما اسم الغورى ، وتاريخ الفراغ منهما سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م) .

وهذا الباب يؤدى إلى دركاة مربعة فرشت أرضيتها برخام ذى رسوم دقيقة ملونة مقتبسة من أرضية الإيوان الشرقى لمسجد الأشرف برسباى بالأشرفية ، ولها سقف مذهب وبصدرها مسطبة مفروشة ومؤزرة بالرخام الدقيق ، ومكتوب بطرازها بالخط الكوفى المزهى المنزل بالمعجون الأسود فى الرخام الأبيض : « بسم الله الرحمن الرحيم وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق وأجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا صدق الله » .

وعلى يسار هذه الدركة باب يؤدى إلى طرفة بها مزيرة ، غطيت بمقرنصات بسيطة ويظهر أنها وحيدة فى نوعها .

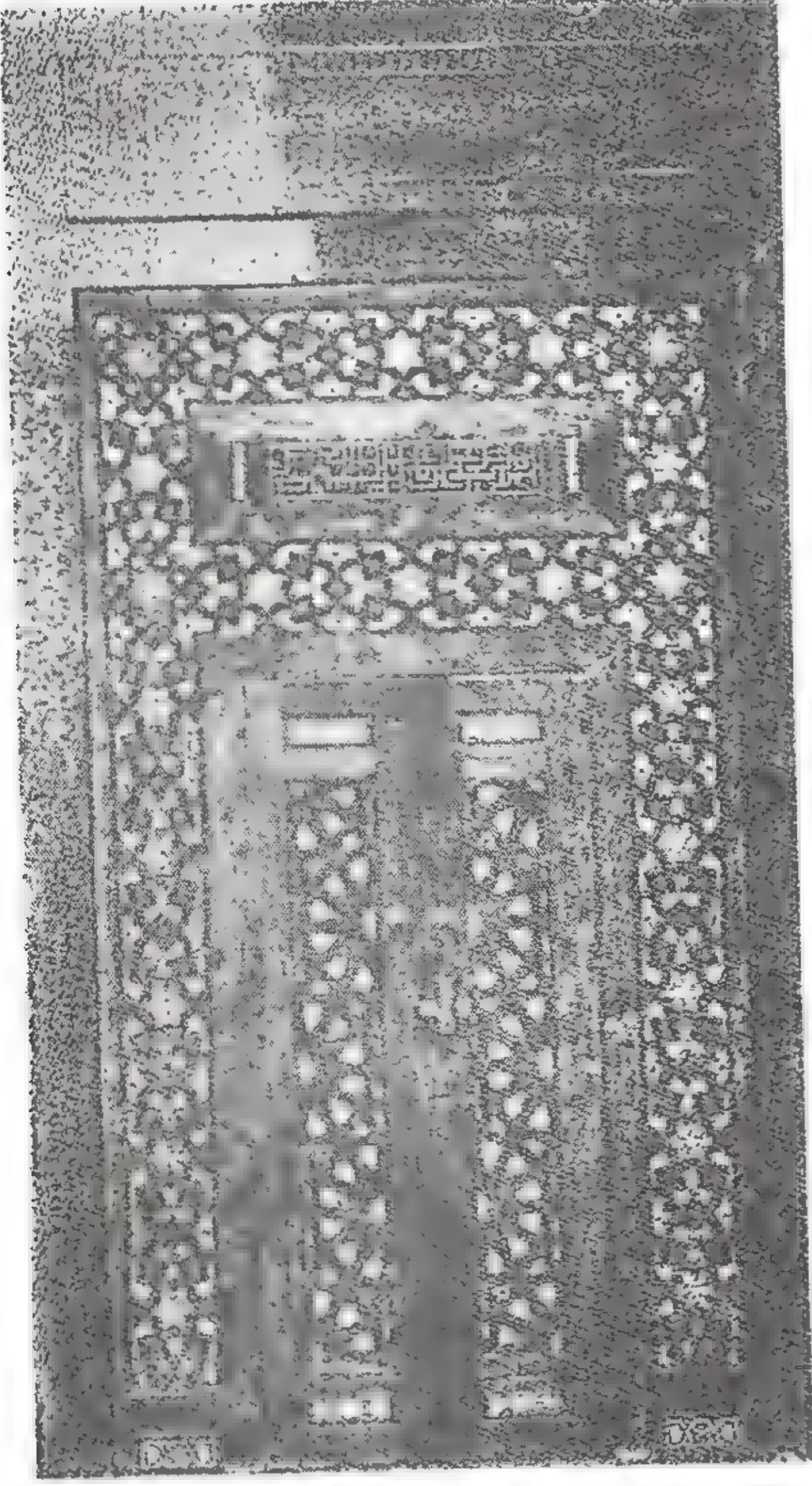
وتصميم المسجد أربعة إيوانات متعامدة تحيط بمجرانها وجدران الصحن وزرة من أشرطة رخامية تنتهى بإفريز مكتوب عليه بالخط الكوفى المزهى المنزل بالمعجون الأسود فى الرخام الأبيض ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم — إلى قوله تعالى — قال أعلم أن الله على كل شىء قدير صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . وكان الفراغ من المدرسة السعيدة فى شهر ربيع الأول عام تسع وتسعمائة » . ومكتوب بوزرة الإيوان الغربى : « بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون — إلى قوله تعالى — وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين . صدق الله العظيم ورسوله » . وبصدر الإيوان الشرقى وزرة رخامية ارتفعت إلى جلسة الشبابيك العلوية وتنتهى بطراز مكتوب عليه بالخط النسخ المملوكى : « بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا — إلى قوله تعالى — فوزا عظيما صدق الله العظيم ورسوله الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . وكان الفراغ من هذه المدرسة المباركة السعيدة فى شهر ربيع الأول عام تسع وتسعمائة من الهجرة النبوية » .

ويتوسطه محراب من الرخام الدقيق ، ويكسو عقود الشبابيك مزقرات رخامية ، ويقوم إلى جانبه منبر قيم دقت حشوات السن فيه بالأريمة . كما توجد به حشوات صغيرة من الزرنيشان ، وقد

طُعمت حشوات الدرايزين أيضا ، وطُعمت حشوات باب المقدم من الوجهين — الوجه دقت حشوات السن بالأويمة . والظهر من سن سادة . كما طعمت خوذته بالسن . وذهبت مقرنصاتها .

وبهذا الإيوان كرسى المصحف وقد طُعم بالسن ، وهذا الإيوان ينقسم الى ثلاثة أقسام ، فرشت

أرضياتها وأرضية الشبابيك بالرخام الدقيق برسوم تنوعت أشكالها ، وبالقسم البحرى منه دولا ب كبير أعد لحفظ المصاحف مكتوب عليه بالخط الكوفى المربع « أنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون » ، طُعم وجهه ومصاريعه بالسن والزرنيشان ؛ وقد ذهب دائره وكتب أعلاه : « بسم الله الرحمن الرحيم وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن » كما توجد به حجرة صغيرة شبابيكها العلوية تطل على الوجهة .



دولا ب بالإيوان الشرق

وكما أسلفت القول فقد أسرف مهندسه فى زخرفته فلم يترك جزءا منه بدون زخرف ؛ فقد نقشت الأعتاب وكتبت بشكل زخرفى كما نقشت أرجل عقود الإيوانات وباطنها ووجهها بزخارف دقا فى الحجر . ومكتوب حول عقد الإيوان الشرقى : « بسم الله الرحمن الرحيم إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار

آيات لأولى الألباب — الى قوله تعالى — وتوفنا مع الأبرار » .

وقد فرشت أرضية الصحن ، كما فرشت أرضية الإيوانات برخام دقيق ملون تنوعت أشكاله ويحيط بدائر منور الصحن من أعلاه مقرنص خشبى مذهب ، كما نقشت وجهات العقود وتواشيحها بزخارف وكتابات . ويحيط بدائر الصحن من أعلاه طراز مكتوب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا — الى قوله تعالى — علما حكيا . بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم — الآية » .

ويكتنف الإيوان البحرى بابان أحدهما يؤدى الى الطريقة المؤدية الى الباب ، والآخر مضاهية باب .

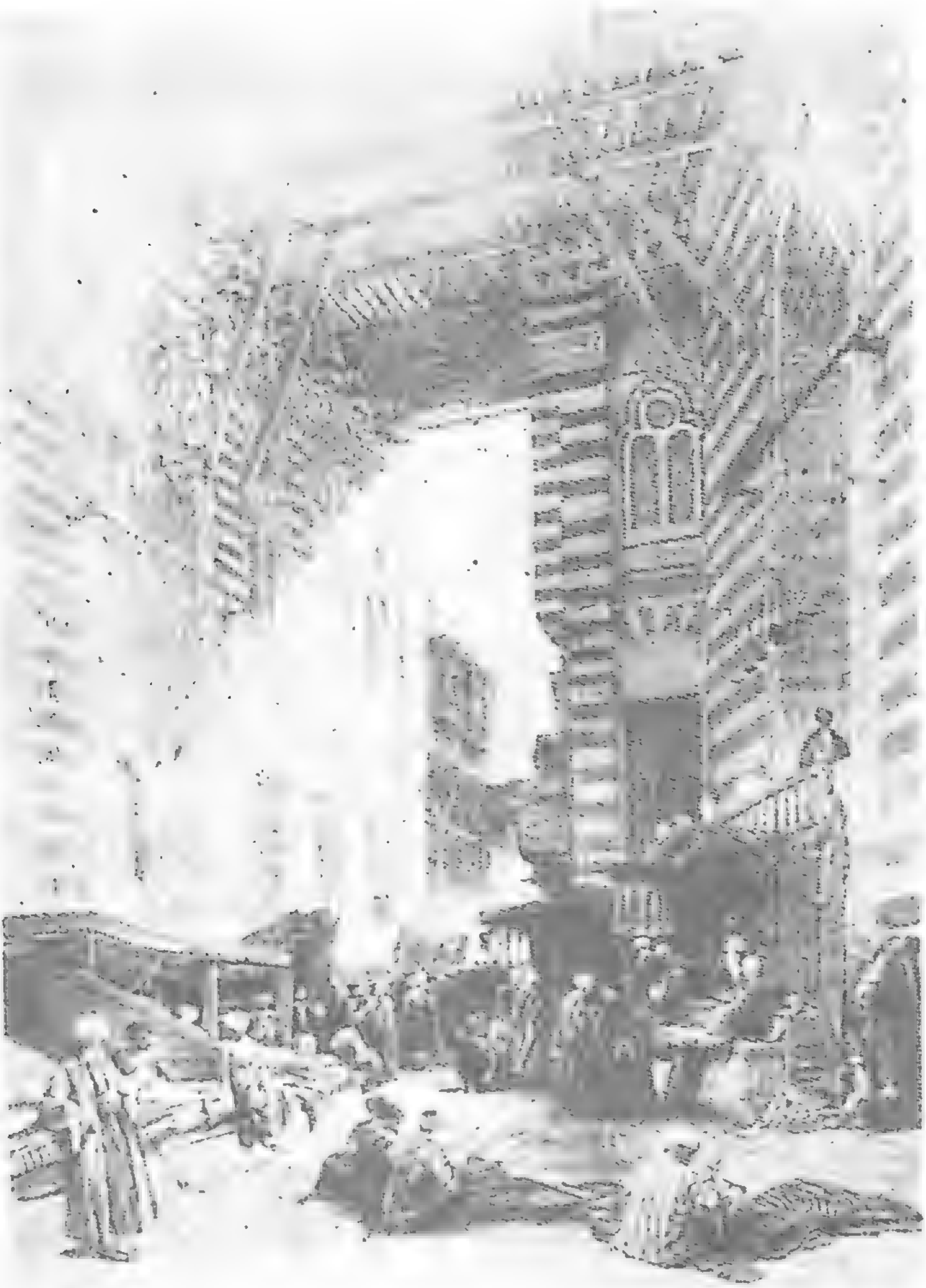
ويكتنف الإيوان القبلى بابان: الشرقى منهما يؤدى إلى سلم يهبط إلى دورة مياه صغيرة منعزلة . ودورات المياه أسفل المساجد من مميزات المساجد فى دولة المماليك الجراكسة . والباب الغربى منهما يؤدى إلى طرقة بها مزيرة على وجهها حجاب من الخشب الخروط كما يؤدى إلى باب المنارة ، وإلى حجرة صغيرة بها تابوت خشبى فوق قبر عرف بقبر الأنصارى ؛ لها شباك يطل على الإيوان الغربى ، وتنتهى بدرجات تهبط إلى الباب الغربى للمسجد ، وبصدرة باب حديدى يهبط إلى استطراق فى الأسفل بطول الجامع يؤدى إلى الباب الذى يتوسط الواجهة الشرقية — والمحول الآن إلى دكان — ومكتوب على الأبواب الأربعة بالصحن : « أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة من فضل الله تعالى وجزيل عطائه سيدنا ومولانا ومالك رقابنا الإمام الأعظم الملك المكرم ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين المقام الشريف السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى عز نصره » . ومكتوب على أعتابها الحجرية سور الإخلاص والمعوذتين وتظهر الأطراف العلوية لحروفها متقاطعة بشكل زخرفى .

ومكتوب حول عقد الإيوان الغربى : « بسم الله الرحمن الرحيم شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم — إلى قوله تعالى — وترزق من تشاء بغير حساب » . وكانت الكتابات والنقوش مذهبة .

وفى مؤخر هذا الإيوان دكة المبلغ محمولة على كابولين خشبيين ولها درابزين مطعم بالسق ومكتوب عليها : « أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة السعيدة من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم سيدنا ومولانا ومالك رقابنا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى عز نصره » . ويتوصل إلى هذه الدكة من السلم الموصل إلى السطح وإلى المنارة .

المنارة — وتقوم المنارة فى الطرف القبلى للواجهة الشرقية، وهى منارة مربعة ضخمة، أقيمت قاعدتها مع أساس الواجهة، واشتملت جلسات دورتيها الأولى والثانية على مقرنصات دقيقة متنوعة . ويعلو الدورتين دورة ثالثة كانت مكسوة بالقاشانى تحمل مربعا آخر فوقه خمسة رؤس خشبية، هذا هو وصف المنارة الحالية التى طرأ عليها تغيير كثير منذ نشأتها، فقد وصف ابن إياس المؤرخ منارته بمناسبة افتتاح المسجد فى يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الآخر سنة ٩٠٩ هـ (سبتمبر سنة ١٥٠٣ م) فقال : إن منارته لها أربعة رؤس . وهو أول من اتخذ ذلك ؛ ثم ذكر فى حوادث شهر جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ

(١٥٠٥ م) أنه حصل خلل وميل بهذه المنارة ، وآلت إلى السقوط بسبب ثقل علوها لكونها
تتضمن على أربعة رؤوس فأمر السلطان بهدمها ، فلما هدمت أعيد بناؤها ، وقد بنى علوها بالطوب
وكسى بالقاشانى الأزرق^(١) وتبعاً لذلك قد أبدل الرؤوس الأربعة التى تسبب منها الخلل برأسين ؛



المسجد والقبّة نجمهما السقيفة — عن دافيد روبرت

ولذلك فإننا نرى قمة المنارة فى الرسم القديم الذى عمله مسيو بريس دافين حول سنة ١٨٥٠ م دورة
رابعة مزدوجة بنحوذتين يحيط بهما درابزين من خشب الخرط ، مثل الدورة الثالثة فى منارته

(١) ابن إياس ج ٤ ص ٨٤

بالجامع الأزهر ، وقد كسى بدن الدورة الثالثة حتى قمة الخوذتين بقاشانى كما يبدو فى الصورة .
ثم طرأ عليها التغير الذى نراه الآن بعد هذا التاريخ .

وكان يغطى ما بين المسجد والقبعة سقيفة خشبية أدركها وصورها كل من مسيو روبرت هـ
فى كتابه مناظر عن القاهرة ، ودافيد روبرت فى كتابه مصر والنوبة^(١) . وقد بقيت هذه السقيفة حتى
هدمت سنة ١٨٨٢ م^(٢) .

وكان هذا النوع من السقايف يعم أسواق القاهرة وأخطاطها . كما اشتملت لوحة بريس دافين
على صورة للقبعة قبل هدمها . وهذه القبعة وإن كانت غير موجودة الآن ، فقد كتب لها منذ إنشائها
عدم الاستقرار ؛ فقد كان الفراغ من أول إنشاء لها فى شهر ربيع الآخر سنة ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ م)^(٣)
وكانت مكسوة بقاشانى أزرق . غير أنها لم تلبث كثيرا حتى ظهر بها خلل جسيم فى شهر شوال
سنة ٩١٧ هـ (يناير سنة ١٥١٢ م) فأمر السلطان الغورى بهدمها وإعادة بنائها وكسوتها بالقاشانى^(٤) .

ولم يمض على بنائها ثانيا إلا عامان حتى ظهر بها خلل فى شهر صفر سنة ٩١٩ هـ (١٥١٣ م)
فأمر بهدمها وأعاد بناءها^(٥) ، وظل يستحث العمال على إنجازها حتى تمت وكسيت بالقاشانى .

ويبدو فى الصورة المنشورة لها أثر كسوة القاشانى فى سطحها . وقد نقل إلى دار الآثار العربية
من هذه القبعة طراز كبير من القاشانى كان مكتوبا عليه آية الكرسي بحروف بيضاء على أرضية زرقاء
ومن المرجح أنه كان يكسور قبعة القبعة .

ثم هدمت القبعة وأبدلت بها قبعة خشبية عملت حوالى سنة ١٨٨١ م ، ثم هُدمت وحل محلها
السقف الحالى . وجدرانها من الداخل حافلة بالنقوش والكتابات وبها وزرة وأرضية رخامية .

وفى سنة ١٩٣٤ م وافق القسم الفنى للجنة حفظ الآثار العربية على إعادة بناء القبعة طبقا لأصلها
القديم . وقد كتب على الوجهة الغربية لهذه القبعة مانصه : « أمر بإنشاء هذه القبعة المباركة مولانا
السلطان العالم العامل العادل المجاهد الم رابط المؤيد المظفر المنصور سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام
والمسلمين محيى العدل فى العالمين قاتل الكفرة والمشركين مولانا السلطان المالك الملك الأشرف
أبو النصر قانصوه الغورى خلد الله تعالى ملكه بمحمد وآله وصحبه أجمعين آمين » .

(١) المجلد الثالث . (٢) دليل دار الآثار العربية ص ٢١٤

(٣) ابن إياس ج ٤ ص ٥٨ (٤) ابن إياس ج ٤ ص ٢٤٩

(٥) ابن إياس ج ٤ ص ٢٩٩

وباب القبة ومصراعاها مثل باب المسجد المقابل لها تماما . وباطرف البحرى لها السبيل وقد كتب فى طراز على وجهتيه : « أمر بإنشاء هذا المعروف المبارك من فضل الله تعالى سيدنا ومولانا السلطان الأعظم ومالك رقاب الأمم سيد ملوك العرب والعجم السلطان العالم العادل الممالك الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى خلد الله تعالى ملكه وأدام أيامه يجاه مجد وآله وصحبه وسلم . وكان الفراغ من ذلك فى شهر رذى الحجة الحرام سنة تسع وتسعمائة من الهجرة النبوية مجد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين » .

ولهذا السبيل سقف جميل مذهب وأرضية رخامية دقيقة جدا، وسلسبيل رخامى نقش على حافتيه صور أسماك . تعلوه لوحة رخامية مكتوب عليها :

انظر جمالى فماتى حين أرسله • يحكى سلاسل بلور على ذهب

ومكتوب فوق الأبواب يجانيه : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك مولانا السلطان قانصوه الغورى عز نصره بتاريخ فى شهر رمضان المعظم سنة تسع وتسعمائة وصلى الله على سيدنا مجد وآله وصحبه أجمعين » .

وبعد الفراغ من القبة ومدرستها سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م) نقل اليها السلطان الغورى الآثار النبوية الشريفة وقد كانت مودعة برباط الآثار ، وذلك بناء على فتوى من العلماء . كما نقل اليها « المصحف العثمانى » ثم نقل اليها الربعة العظيمة المكتوبة بالذهب ، وكانت بالخانقاه البكتيرية^(١) .

وقد عنت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاح المسجد والقبة ولاحقاتهما ، فأجرت بهما إصلاحات من سنة ١٩٠٢ - ١٩٠٧ بلغت قيمتها ٣٣٣٢ جنيا أتبعها بإصلاحات أخرى .

وفى عهد الملك الصالح فاروق الأول أجريت إصلاحات بالمسجد ، وسينفذ إن شاء الله مشروع إعادة بناء القبة تكريما لتلك الشخصية التى تجددت الفنون ، وشادت هذا المسجد الذى يعد بحق من مفاتح العارة الإسلامية .

(١) المصحف المعروف بالعثمانى محفوظ بالمشهد الحسينى ، أما الربعة فهى كاملة ومحفوظة بدار الكتب المصرية ، وهى من الثنائى ، فى أول كل جزء من أجزائها صفحتان منقوشتان بالذهب والألوان ، وهى مكتوبة برسم الملك الناصر محمد بن قلاوون . ريبا امم كاتبها ومذهبها عبدالله بن محمد بن محمود الهذاني بدار الخيرات الرشيدية بهمدان فى شهر سنة ٧١٣ هـ . وعليها وقف مؤرخ سنة ٧٢٦ هـ من أبى سعيد سيف الدين بكنمر بن عبد الله وجعل مستقرها القبة التى بالتربة المروقة بإنشائه بالقرافة الصغرى المجاورة لحوش الملك الظاهر (l'Exposition Persane de 1931 P. 70-72) .

مسجد المحمودية

بميدان صلاح الدين (*)

ميدان صلاح الدين (المنشية) — هذا الميدان الجميل غنى بمجموعات أثرية هامة ، حيث تشرف عليه من شرقيه قلعة صلاح الدين ومسجد محمد علي باشا الكبير، ومن غربيه مسجدا السلطان حسن والرفاعي . ومن بحريه مسجد قانى باى أميرآخور بقبته الجميلة ومنارته الحديدية . ويتوسط الميدان مسجد المحمودية .

المنشئ — أنشأ هذا المسجد محمود باشا والى مصر من قبل الدولة العثمانية فى عصر السلطان سليمان بن السلطان سليم ، وقد قَدِمَ إليها فى أول شهر شوال سنة ٩٧٣ هـ (أبريل سنة ١٥٦٦ م) .^(١) ومما يذكر عنه أنه لما وصل الى ثغر الإسكندرية قَدِمَتْ إليه الهدايا والتحف والخيول . وحين بلغ القاهرة قَدِمَ إليه حاكم الصعيد الأمير محمد بن عمر هدايا كثيرة وتحفا وخمسين ألف دينار، فتسلَّم منه الهدايا ثم غدر به فقتله وأستولى على ثروته . وكان عسوقا ظالما شديدا جائرا فى أحكامه ، وقد صادر كثيرا من أموال الناس ، غير أنه كان مع ذلك مشهورا بالكرم .

وفى يوم الأربعاء آخر جمادى الأولى سنة ٩٧٥ هـ (ديسمبر سنة ١٥٦٧ م) ، وقيل فى غرة جمادى الثانية خرج محمود باشا بموكبه الفخم من القلعة ، وبينما هو يتر على بركة الناصرية بين البساتين اعتدى عليه شخص مجهول وأطلق عليه طلعا ناريا أصابه ، ولم يُجِدْ فيه العلاج ، فأوصى بعنق جميع ممتلكاته ، كما أوصى بجميع ممتلكاته لزوجته . ثم توفى الى رحمة الله تعالى ودفن فى مسجده .

تاريخ الجامع ووصفه — كان الفراغ من بناء هذا المسجد سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٧ م) . وهو من المساجد المعلقة يصعد اليه ببضع درجات ، وله أربع وجهات مبنية بالحجر ، وتضم الوجهة الشرقية القبة ، وهى بارزة عن سمت الوجهة وقائمة بمفردها ، بنيت هى وقاعدتها بنى فيها الرقبة الهرمية بالحجر . أما القبة فمبنية بالطوب وهى بسيطة جدا وغير متناسبة مع القاعدة الحاملة لها .

(*) انظر الصور من رقم ٢٢٦ — ٢٢٧ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الزهرة الزهية فى ذكر ولاية مصر والقاهرة المعزية ص ٤٩ — ٥٢ خط .

(٢) فى التوفيقات الالهامية فى غرة جمادى الآخرة . وفى أخبار الأول ٢٩ جمادى الآخرة .



والقباب في ذلك العصر قد أخذت في الانحطاط ماعدا القليل منها ، وإلا فإن هذه القبة من قبة قاني باي أميرآخور المجاورة لها الحافل سطحها بالنقوش الجميلة مع أن الفرق بينهما ٦٧ سنة فقط . أما الواجهة القبليّة وهي الرئيسية للمسجد فيتوسطها باب عقده موتور ، يعلوه ثلاثة مربعات بداخلها مزرات على هيئة شرفات ، يعلوها عتب آخر مززر وشباك صغير مغطى بمقرنص ، فوقه مقرنصات أخرى ، فطاقية الباب الملبسة بالججرين : الأبيض والأحمر . ويكتنف عقد الباب توشيحتان ملبستان بالججر الأبيض والأحمر . قد كتب في ميمة العقد «الله حسبي» .

وتدل الصور القديمة لهذا المسجد المصوّرة حوالي سنة ١٨٨٠ م ، على أنه كان يقوم إلى يسار هذا الباب سبيل أدركت لجنة حفظ الآثار العربية بقايا أرضيته الرخامية فأودعتها دار الآثار العربية . ولا تزال حتى الآن له بقايا .

وفي الناصية الشرقية القبليّة قاعدة مستديرة ، حُليت بزخارف تنتهي عند ارتفاع الواجهة بمقرنص متصل بالمقرنصات التي تغطي حجور شبايك الواجهة القبليّة ، وتعلو هذه القاعدة منارة بسيطة ذات دورة واحدة تنتهي من أعلاها بمسلة ، وهذا هو طرز المنارات التي دخلت مصر فيما دخلها من الطراز العثماني ، وهي إذا قيست بمنارات مصر الرشيدة الجميلة في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) تجلّى مقدار تأخر العمارة في كثير من التفاصيل المعمارية في هذا العصر .

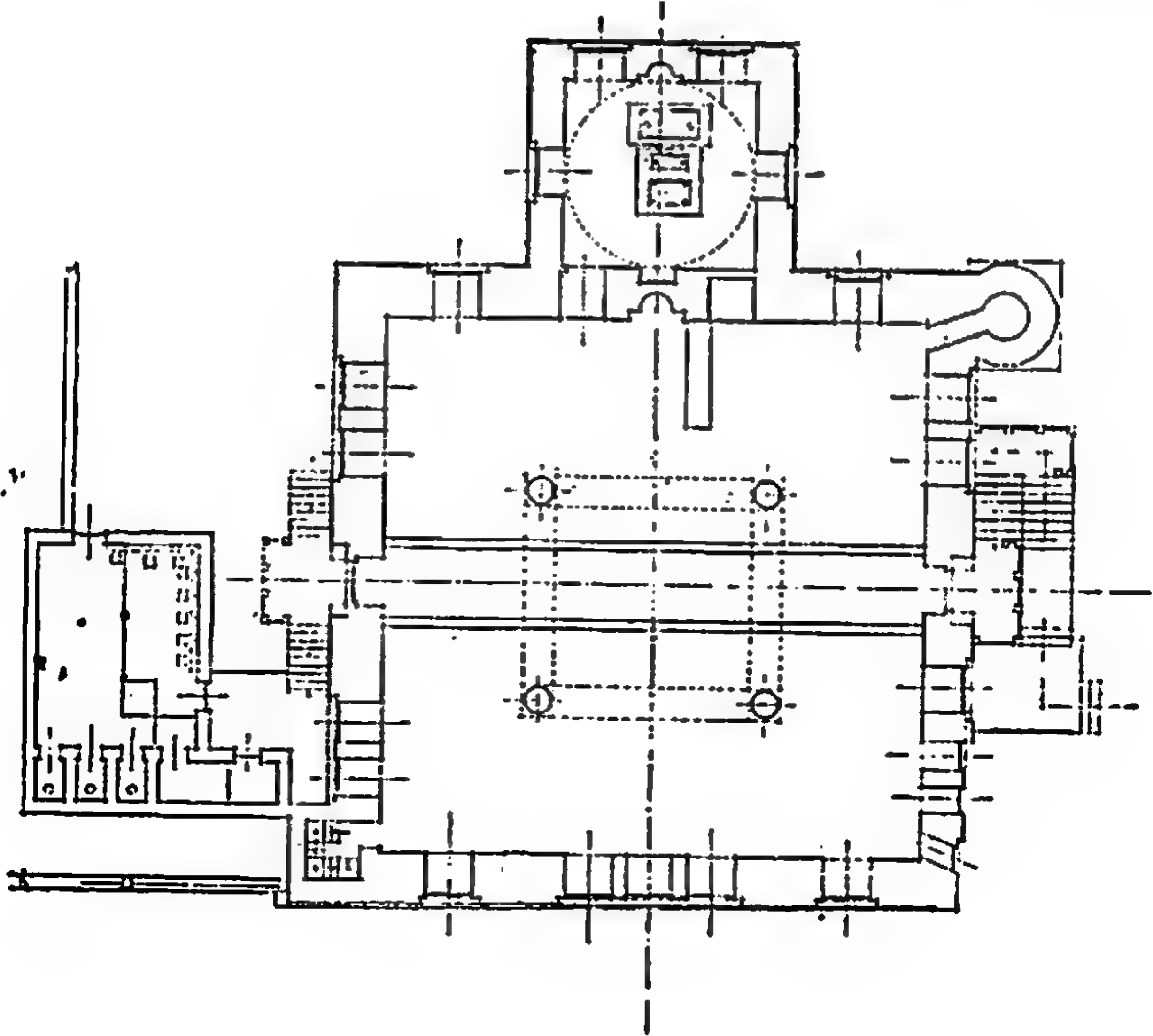
وبناء المنارة فوق قاعدة مستديرة وفي هذا الوضع ، وبناء القبة خلف المحراب بارزة عن الجدار الشرقي ، اقتبسها مهندس هذا الجامع من مسجد السلطان حسن القريب منه .

ويتوسط الواجهة البحرية باب يقابل الباب القبليّ يختلف عقده بمقرنصاته عن الباب الآخر ، يجاوره من غربيّه باب صغير يؤدي إلى استطراق معقود أسفل الإيوان الغربي للجامع . والمسجد من الداخل عبارة عن قاعة كبيرة مربعة طول ضلعها ١٩,٧٥ مترا تتوسطها أربعة عمد كبيرة من الجرانيت الأحمر ، تحمل أربعة عقود كبيرة قام وسطها منوار ارتكزت عليها وعلى كوابيل حجرية عوارض خشبية تحمل السقوف حوله .

ويشطر المسجد طرقة منخفضة عن مستواه قليلا ، وهي تصل البابين القبلي والبحريّ قسّمته إلى إيوانين .

وهذا التصميم شاع أيضا في مساجد مصر في الدولة العثمانية ، فلا هو تصميم مسجد ولا هو تصميم مدرسة .

ويتوسط الجدار الشرقى محراب بسيط من الحجر عار عن الزخرف، فقد عموداه منذ أمد بعيد،
يعلوه شباك جصى مكتوب عليه «لا إله إلا الله محمد رسول الله». يحاوره منبر من الخشب المجمع له
درازين من الخشب الخروط.



مسقط أفقى

وعلى يسار المحراب باب يؤدى إلى القبة الواقعة خلف المحراب مباشرة، وقد فرش مدخلها
برخام أسود وأبيض على شكل دالات مما يدل على استعمال الرخام فى أنحاء المسجد، وقد ضاع أثناء
تخربه، وهذه القبة مرتفعة جدا يحيط بجدرانها من أسفل شبابيك عليها مصبغات نحاسية تعلوها
أخرى جصية جديدة، ويتوسطها ثلاثة قبور: أحدها قبر المنشئ، وهى خالية من النصوص التاريخية.
ويحيط بجدار الجامع من أسفل شبابيك ركت عليها مصبغات نحاسية، تعلوها شبابيك من جص
وزجاج ذات ألوان زاهية. والسقوف من برطوم ومربوعات مدهونة ملونة مذهبة لا تقل أهمية
عن مثيلتها فى دولة المماليك، ولها إزار كبير مكتوب عليه آيات قرآنية بحروف بيضاء تتخللها فروع
زخرفية مذهبة، منها آية الكرسي وقوله تعالى: «إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر»
وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين.

ولسقف المنور إزار مكتوب عليه ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون . قال صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجداً^(١) بنى الله له بيتاً في الجنة أوسع منه . أمر بإنشاء هذا المسجد المعمور من فيض ماله المبرور المقام العالی واسطة عقد الاللى أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام فكان ابتداءؤه وتاريخه بحكم منشئه الأول المبدى ٩٧٥ وأتتهؤه بمعاونة ... له من الرتب على أنه ليضي^(٢) برا للرضا للقة ... لأغلبية وأول ... والا كرام المختص ... حضرة الأمير الباشا محمود راجيا من كرم الله القبول والرضا من فضله العفو مرتضى تقبل الله . »

وتوسط الجدار الغربى دكة المبلغ محولة على كوابيل حجرية ، ويتوصل إليها من السلم الموصل إلى السطح الموجود فى الركن البحرى الغربى حيث يؤدى إلى باب ثم استطراق فى سمك الجدار الغربى يوصل إلى هذه الدكة ، وهى حيلة هندسية اتبعت فى بعض مساجد هذا العصر . ويعلو الدكة مجموعة من الشبابيك الحصية ذات الزجاج الملون .

أعمال الإصلاح — احتفظ هذا المسجد بتفاصيله الخارجية وفقد كثير من تفاصيله الداخلية فأدرسته لجنة حفظ الآثار العربية عام ١٨٨٥ م ولم تجد فيه شيئا من الأبواب والشبابيك والأرضيات . وفى سنة ١٩٠٤ قامت بفحص أسس الجامع وأقامت السلم المؤدى إليه وقومت مبانيه وعملت له أبوابا جديدة ، كما عملت جميع الشبابيك الحصية والشرفات . وأستمرت الأعمال فيه إلى أن تم إصلاحه وافتتح رسميا بإقامة الشعائر الدينية فيه عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) .

عناية الملك الصالح بالمسجد — لما أدى فريضة الجمعة فيه حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول يوم ١٥ المحرم سنة ١٣٥٩ هـ (٢٣ فبراير سنة ١٩٤٠ م) وعابن الحالة السيئة التى عليها سقف منوره أمر حفظه الله بتجديده وإعادة نقوشه ، مع المحافظة على النصوص التاريخية . فنفذت رغبة جلالته السامية .

(١) قال السيوطى فى الجامع الصغير « هذا الحديث رواه الطبرانى عن أبى أمانة باسناد ضعيف وفى صحيح مسلم من بنى

مسجدا لله تعالى يبنى به وجه الله بنى الله له بيتا فى الجنة ، وفى رواية مثله فى الجنة . وفى رواية بنى الله له فى الجنة مثله .

(٢) مجموعة محاضر وتقاير لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٠٦ ص ١١٨

مسجد الشعراوى

بشارع الشعراوى البرانى

الإمام الشعراوى — ينسب هذا المسجد إلى الإمام العامل العابد الزاهد الفقيه المحدث الصوفى عبد الوهاب بن أحمد بن على بن أحمد بن محمد الشعراوى الشافعى، ولد هذا الإمام سنة ٨٩٨ هـ (١٤٩٣ م) بناحية قلقشندة. ثم انتقلت به والدته بعد أربعين يوما من ولادته إلى قرية أبيه المعروفة بساقية أبي شعرة فنشأ بها، حتى إذا كان سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) قدم مصر وتلقى العلم على أكابر علمائها وحبب إليه علم الحديث فعكف على دراسته. ثم سلك طريق التصوف وقطع علاقته بالدنيا. فكان يطوى الأيام المتوالية صائما ويفطر على قليل من الخبز، وظل على هذه الحال حتى قويت روحانيته، فكان يفتح الذكر عقب صلاة العشاء فلا يختمه إلا عند الفجر.

وكانت إقامته بمسجد الغمرى^(٢)؛ ثم أنتقل منه إلى مسجد فاطمة أم خوند القريب من مسجده الحالى حيث تبعه أتباعه وتلاميذه، وقد حج مرارا.

وكان ينهى عن الخط من قدر الفلاسفة وتنقيصهم وينفر من يذمهم ويقول: «هؤلاء عقلاء».

والمؤرخون وإن كتبوا اسمه الشعراوى بالنون، فقد رأيت يكتبه بخطه الشعراوى بالواو على قسم من مختصره لمدونة الإمام مالك بما نصه: «يقول مسطرها عبد الوهاب بن أحمد الشعراوى الشافعى. إني بلغت في الاختصار من أول المدونة إلى هنا أمثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لى بالاطلاع على أقوال الإمام رضى الله عنه بتاريخ رابع ذى الحجة الحرام سنة ٩٥٤ هـ».

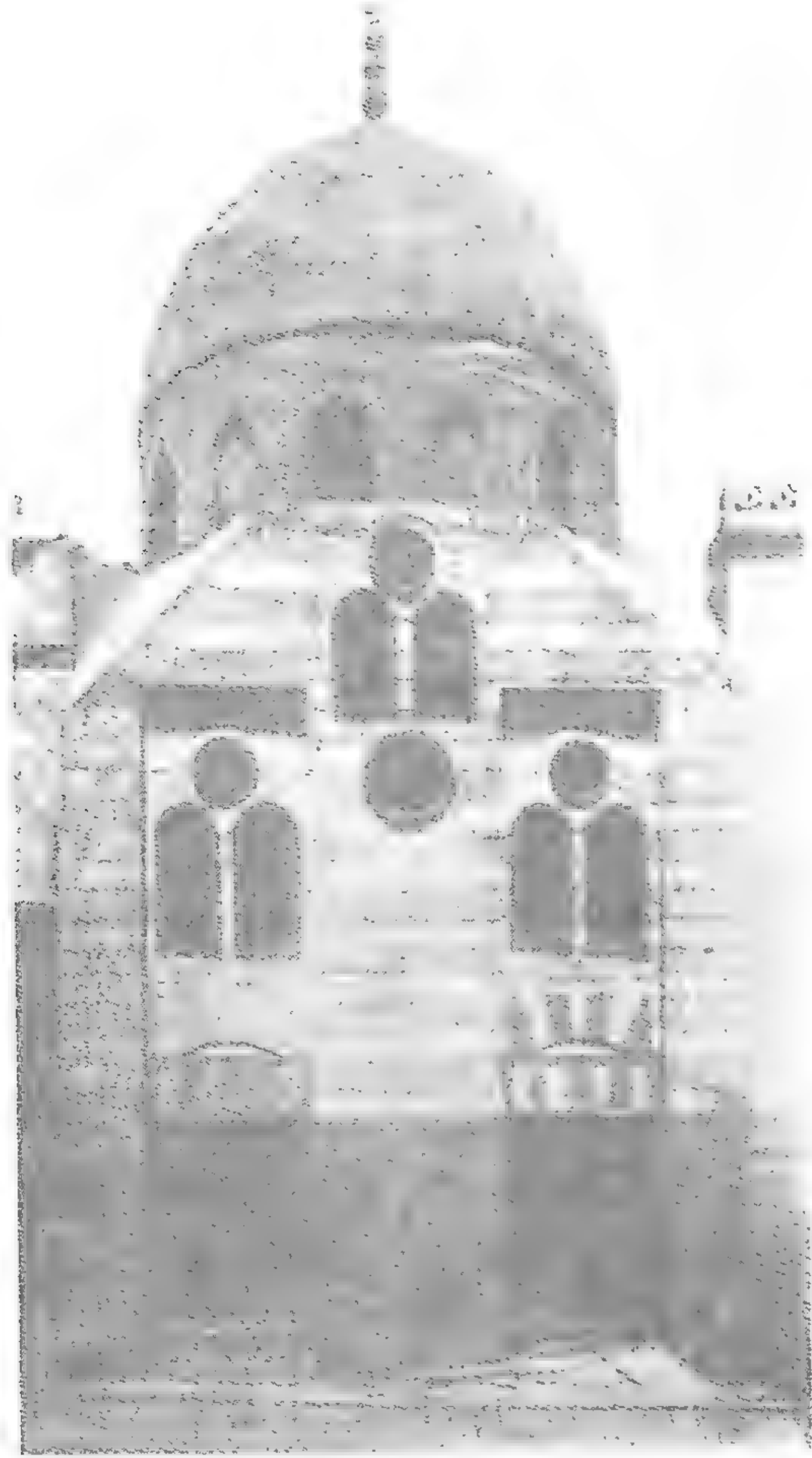
كان رحمه الله متمسكا بأهداب السنة، مغاليا في الورع، مؤثرا ذوى الفاقة على نفسه حتى يلبسه، موزعا أوقاته على العبادة والدرس. ثم عنى بالتأليف فألف كتباً بلغت نحو السبعين، منها: مختصر الفتوحات، وسنن البيهقى الكبرى، ومختصر تذكرة القرطبي، والميزان، والبحر المورود في المواثيق والعهود، وكشف الغمة عن جميع الأمة، والمنهج المبين في أدلة المجتهدين، والبدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير، ومشارك الأنوار القدسية في العهود المحمدية، والجواهر المصنوعة في علوم الكتاب المكنون، وطبقات ثلاث، ولوائح الخذلان على من لم يعمل بالقرآن.

(١) شذرات الذهب ج ٨ ص ٣٧٢ — ٣٧٣، الكواكب السائرة قسم ٣ ص ٨٥٩ — ٨٦٠ وفيه أن وفاته في حدود

السبعين وتسعمائة. (٢) الخطط الجديدة ج ١٤ ص ١٠٩ — ١١٢



وفى مدة إقامته بمدرسة أم خوند أنشأ القاضى عبد القادر الأرزمكى^(٢) مدرسته المعروفة بالقادرية .
وهى التى حل محلها المسجد الحالى ، فانتقل إليها الشيخ الشعراوى فأوى إليه الفقراء وطلبة العلم



(قبة عبد الوهاب الشعراوى)

لستماع دروسه فى الفقه ، وقصده الأمراء والحكام للتبرك ، وظل كذلك إلى أن توفى عصر يوم الاثنين
٢ جمادى الأولى سنة ٩٧٣ هـ (نوفمبر سنة ١٥٦٥ م) ودفن فى تربته هذه التى أغدت له يوم وفاته
يجوار المدرسة . ثم أقيمت عليها هذه القبة .

(١) هذه المدرسة ما زالت بقاياها موجودة بالقرب من مسجد الشعراوى وهى من انشاء فاطمة بنت قانيبى العبرى .
شرعت فى انشائها حوالى سنة ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م) . (٢) الخطط الجديدة ج ١٤ ص ١١٠

ولم يبق من مجموعة البناء القديم سوى القبة المقامة على قبره، وهى قبة مبنية قاعدتها بالجبر وبُنيت هي بالطوب، وحليت جميع جدرانها من الداخل بنقوش وكتابات بالبوية لتوسطها مقصورة خشبية مطعمة بالصدف عملت سنة ١١٦١ هـ (١٧٤٨ م). ولهذه القبة باب حشواته مسدسة ومدقوقة أويمة دقيقة، صناعته سابقة لعصر إنشاء القبة، وبها شبابيك جصية دقيقة يعلوها مقرنص، ثم شبابيك الرقبة فطراز به آيات من القرآن.

والمسجد الحالى أقيم محل المدرسة القادرية، وقد تم تجديده في عهد نظارة السيد محمد عبد الحليم الشعراوى سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م).

وهذا المسجد له ثلاث وجهات : إحداها على شارع الخليج المصرى ، والأخرى على شارع الشعراوى البرانى وبها القبة . وداخله مستطيل ، وبه ثمانية عمد تحمل عقودا يتوسطها منور تعلوه قبة خشبية منقوشة . وقد نقش المحراب بنقوش بالبوية تقليدا للرخام ، كما حلى المنبر بنقوش تقليدا لتطعيم السن .

ويتوسط المسجد قبر العلامة الشيخ على نور الدين الشونى ، وقد ترجمه الشعراوى بقوله : « شيخى ووالدى وقdotى الشيخ نور الدين الشونى ، خدمته^(١) خمسا وثلاثين سنة » وشونى اسم بلدة بنواحي طندتا ، وبها نشأ ثم قدم إلى مصر فأقام بها فى تربة السلطان برقوق بالصحرء ، وأنشأ بالجامع الأزهر مجلسا للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢ م) فلما أنشأ السلطان طومانباى^(٢) العادل تربته نقله إليها ، وعهد إليه بالسبيل الملقى بها . ثم أنتقل إلى المدرسة السيوفية ، فأقام بها إلى أن توفى سنة ٩٤٤ هـ (١٥٣٧ م) ، ودفن بالقبة المجاورة لباب المدرسة القادرية « ومن دفن عند الشعراوى أيضا ابنه العالم الصالح الشيخ عبد الرحمن بن عبد الوهاب الشعراوى المتوفى فى أواخر سنة ١٠١١ هـ (١٦٠٣ م) . كان رحمه الله شيخا للمدرسة بعد وفاة والده ووصفه المحبى بأنه « حسن الخلال من بيت مبارك متصل المدد والخيرات » .

(١) طبقات الشعراوى، ج ٢ ص ١٩٩

(٢) قبة طومانباى : أنشئت سنة ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م) وما زالت موجودة بالعباسية داخل معسكرات الجيش .

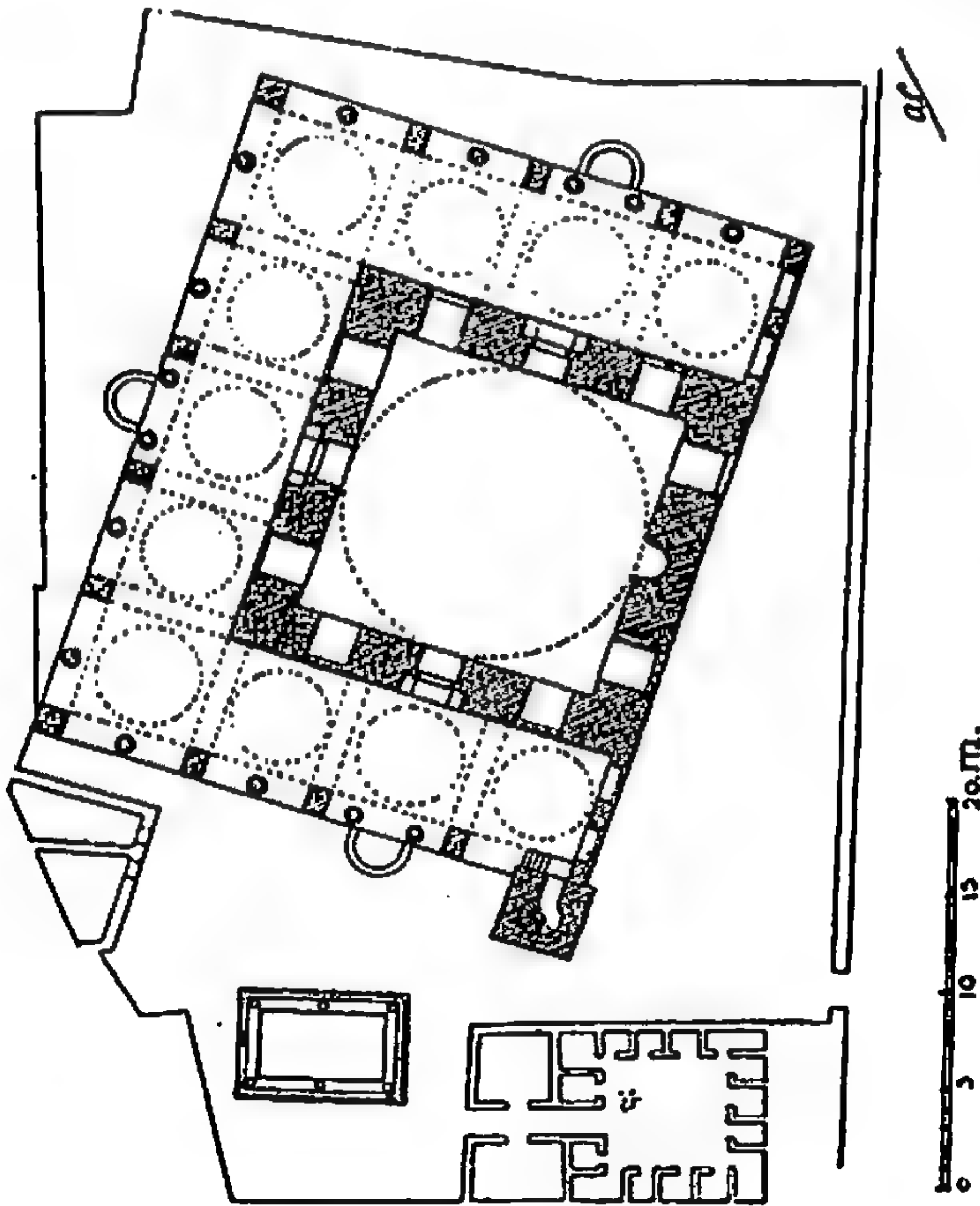
(٣) خلاصة الأثر، ج ٢ ص ٣٦٤ ، شذرات الذهب ج ٨ ص ٣٧٤

مسجد سنان باشا

بشارع جامع السنانية ببولاق^(*)

سنان باشا — هو القائد التركي الكبير، والسياسي المحنك، الذي عاصر أربع سلاطين : سليمان القانوني بن السلطان سليم الأول فاتح مصر، وابنه سليم الثاني، ثم مراد الثالث ابن السلطان سليم الثاني وابنه محمد خان.

عين واليا على مصر مرتين : الأولى في ٢٤ شعبان سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٧ م) إلى ١٣ جمادى الآخرة سنة ٩٧٦ هـ (١٥٦٩ م). ثم قام على رأس حملة إلى اليمن لقمع فتنة الزيديين، فقام بمهمته خير قيام وتم له فتح اليمن.



مخطط أفقي

ثم عاد إلى مصر واليا عليها في أول صفر سنة ٩٧٩ هـ (يونيه سنة ١٥٧١ م) وبقى بها إلى ذي الحجة سنة ٩٨٠ هـ (١٥٧٣ م) حيث غادرها إلى إسطنبول فعين صدرا أعظم. ثم عهد إليه

(*) انظر الصور من رقم ٢٢٨ — ٢٣٠ بمجموعة الصور الفوتوغرافية.

السلطان سليم الثاني بفتح تونس وأستخلاصها من أيدي الأسبان فقام على رأس جيش كبير وقهر الأسبان وأستولى على قلاع تونس في ٢٥ جمادى الأولى سنة ٩٨١ هـ فكانت من أهم الغزوات العثمانية . ثم ولي الصدارة العظمى في عهد السلطان مراد الثالث في شهر ربيع الأول سنة ٩٨٨ هـ (١٥٨٠ م) . ثم ولي نيابة الشام فبنى بها مسجدا لا زال باقيا إلى الآن ، ثم عاد إلى إستانبول وتولى بها الصدارة العظمى . وقد ولي هذه الوظيفة أربع مرات في عصر بلغت فيه السلطنة العثمانية من سعة الملك ما لم تبلغه في أية مرحلة من مراحل تاريخها .

وكان سنان باشا معاصرا لخوجه سنان المهندس الحربى العظيم ، وذكر جلال أسعد في كتابه القسطنطينية أن سنان المهندس الحربى سمي خوجه سنان تميزا له عن سنان آخر من تلاميذه . ومن ثم يغلب على الظن أن منشئ جامع ^(١) بولاق هو سنان التلميذ وكان أيضا مهندسا عسكريا . توفي إلى رحمة الله تعالى سنة ١٠٠٤ هـ (١٥٩٦ م) بغاة وهو في الثمانين من عمره . وترك ثروة كبيرة ما بين نقود وسبائك ذهبية وملابس وأمتعة وتحف وجواهر . فقد كان دخله ٤٠٠ ألف جنيه سنويا .

ومن مآثره إعادة حفر ^(٢) خليج الإسكندرية وإنشائه مسجدا وسوقا وحماما بها لأنه كان مغرما بإنشاء العماير من خيرية ومدنية فقد ترك منشآت خيرية في كل البلاد التي أقام بها من مساجد وحمامات وخانات بلغت عددا كبيرا ، منها بمصر خان وحمام ببولاق ، ثم هذا المسجد ، وهي باقية إلى اليوم . تاريخ المسجد — هذا المسجد ثانى مسجد أنشئ بمصر على الطراز العثمانى البحت ، والأول مسجد سليمان باشا داخل القلعة .

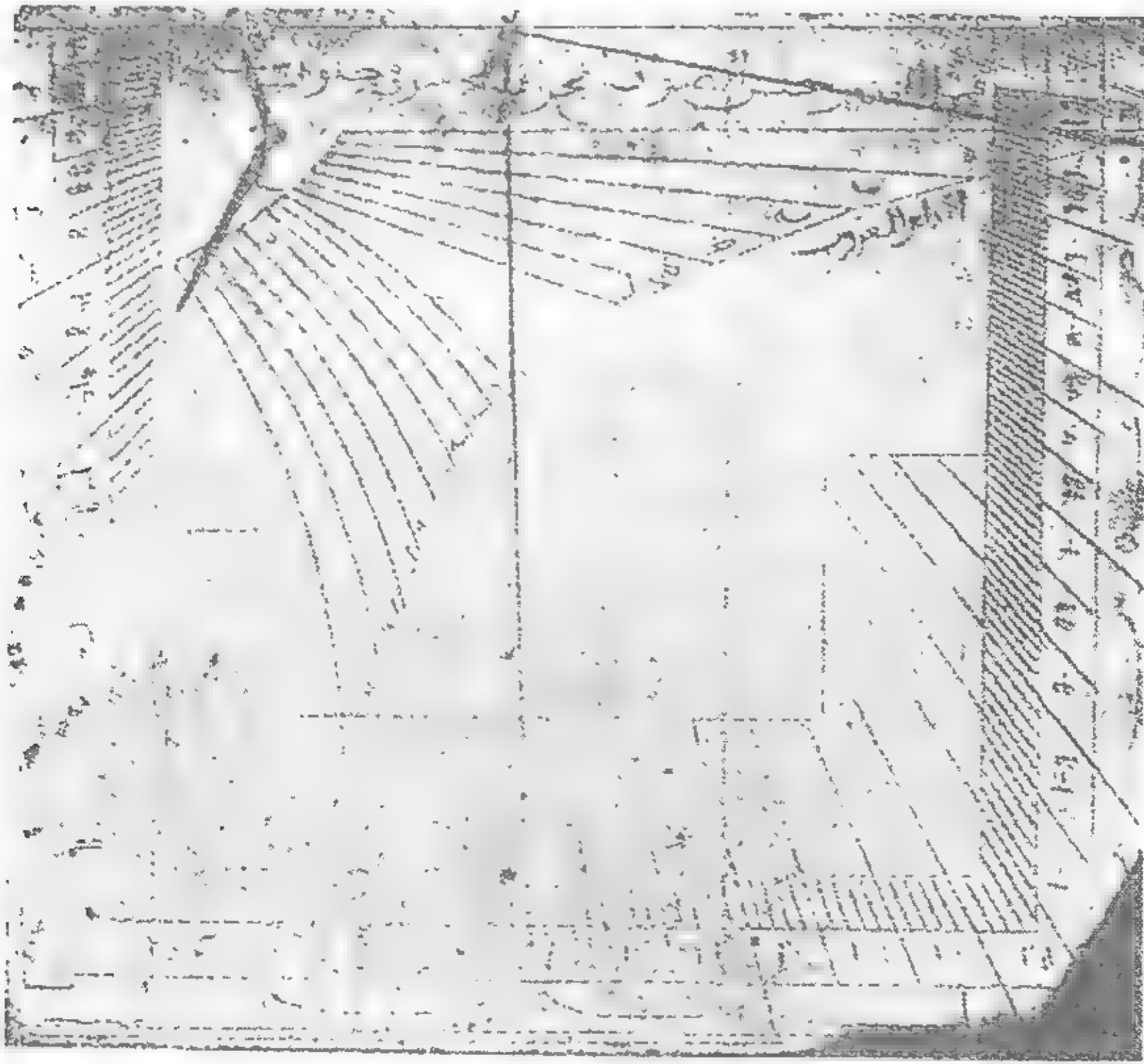
أنشاه سنان باشا سنة ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م) . وهو يتكون من قبة حجرية كبيرة ، لها ثلاث أبواب تؤدى إلى ثلاثة إيوانات في جوانبها الثلاثة الغربية والقبلىة والبحرية ، وعقود الأبواب متورة ، ويعملوها مقرنصات بدلايات تنوعت أشكالها تشغل حجر الباب . وقد كان المسجد محاطا من خارجه بأسوار بها أبواب هدم الشرق منها في سنة ١٩٠٢

(١) M. A. Patricolo, Comptes Rendus du Comité de Conservation des Monuments de l'Art Arabe, 1915-19, p. 176.

(٢) خلاصة الأثر ص ٢١٤ ج ٢ ، والبرق الخمانى فى الفتح العثمانى ص ١٢٢ — ١٢٣ ، تاريخ الدول الإسلامية ص ١٠٥ ، وأخبار الأول ص ١٣٧ ، والأستاذ الجليل عزيز بك خانكى فى إهرام يوم ٨ يونيه سنة ١٩٤٢

(٣) الزهرة الزهية ص ٥٣

ولهذه القبة من الداخل أربع زوايا بكل منها عقد ينتهى بطاقيّة مقرنصّة بها لفظ الجلالة منزل
بالججر الأصفر فى الججر الأبيض وعلو هذا المربع مستدير مقسم إلى ست عشرة ضلعا ، منها ثمانية
بكل منها تسعة شبابيك جصية مستديرة ، وأخرى بكل منها دوائر حجرية مضاهاة للجصية ، وقد
خلق فى كل ضلع من الأضلاع الستة عشر عمود حجرى رشيق ، يحمل مقرنصات بدلايات ،
فوقها ممر يحيط بالقبة ، له درابزين خشبي ثم شبابيك من الحصص قريبة الشبه بشبابيك قبة السيدة
رقية الفاطمية . تعلوها القبة وتفصل هذه الشبابيك من الخارج دعائم حجرية .



مـزولة

والمحراب من الرخام الدقيق ، يجاوره منبر خشبي مجمع معقلى ، له درابزين من الخشب الخرط .
وقد فرشت أرضيات المداخل والشبابيك بمربع القبة برخام دقيق . مما يعزز شيوع الرخام فيه .
وعلو الباب الغربى دكة المبلغ وهى من الخشب ، محمولة على كابولين ، ولها سقف من الخشب
يتوسطه مربع به دلّاية ، وقد نقش السقف والكابولان الحاملان له بالبوية .

ويتوصل إليها وإلى الممر العلوى من سلم فى سمك الجدار الغربى ، له باب فى الشباك البحرى
من الجدار المذكور ، وهذا السلم من النكت الفنية ، اقتبسه مهندس مسجد أبى الذهب .

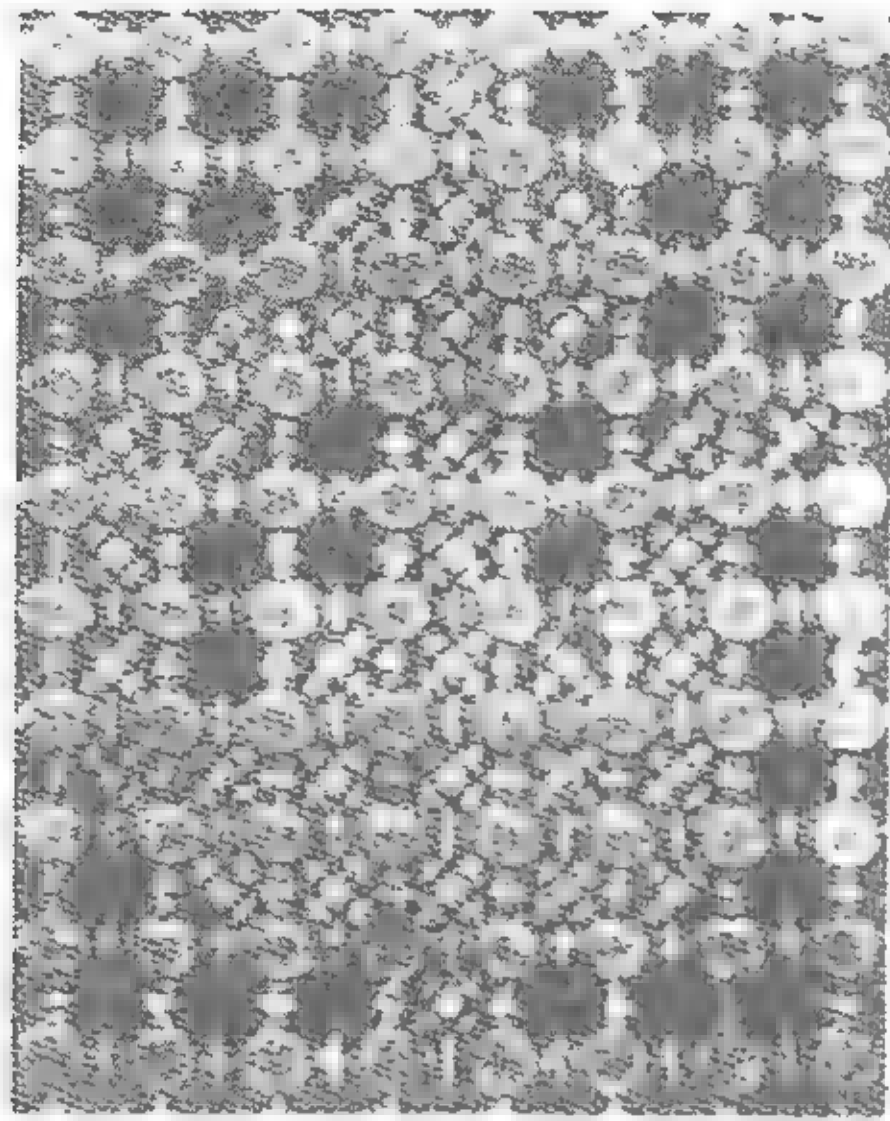
والإيوانات حول القبة من جوانبها الثلاثة البحرية والقبليّة والغربيّة معقودة بقباب نصف كرية ،
محمولة على أكتاف وعلى عمد ، فوقها عقود ما بين كبيرة وصغيرة ، تعلوها دوائر جصية مفرغة بأشكال

زخرفية من الداخل والخارج ومكتوب على بعضها : « الله ربى » . والوجهة الشرقية اشتملت على وجهة القبلة ووجهتى الإيوانين القبلى والبحرى وقد غطيت شبابيكها بمصبغات نحاسية وتنتهى من أعلى بمقرنصات متنوعة .

وصناعة الأبواب والشبابيك بالقبلة من النوع المعروف بالمعقل وبها دوائر حديدية زخرفية وهى مقتبسة من نجارة مسجد سليمان باشا بالقلعة .

والمئذنة فى الطرف القبلى الشرقى ، وهى منارة أسطوانية يقوم سلمها مع قاعدتها المربعة ، وهى ليست كاملة لأن مسئمتها قائمة على نصف بدن دورتها الثانية . ويوجد بالمسجد مزولة من عمل حسن الصواف سنة ١١٨٢ هـ ، مصنوعة من البلاط ومثبتة فى النهاية الغربية القبلىة للإيوان الخارجى .

أعمال الإصلاح — تعتبر أهم عمارة أجريت فى هذا الجامع تلك التى نفذت فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول ؛ فقد شملت إصلاحات هامة فى القبلة وصياتها . وكان لفتح الشارع أمام الوجهة البحرية خير أثر فى إظهار هذا المسجد واجتلاء محاسنه .



مسجد الملك صفية

بشارع محمد علي^(*)

أثر المرأة في الحضارة الإسلامية — بمناسبة نسبة هذا المسجد الى سيدة أتناول البحث في هذه العجالة البسيطة في ناحية من نواحي عظمة المرأة في الإسلام ، نعم ناحية من نواحي عظمتها المتعددة التي تشعربها الأفواه ، والتي ستترنم بها مدى الأجيال ، على أن المتتبع لتاريخ المرأة في الإسلام يرى تاريخا حافلا بجلال الأعمال حيث نراها اشتركت في الفتوح الإسلامية ، وفي المعارك الحربية . ومنهن من ولين الملك ، وكثيرات كن ملكات غير متوجات ، أدرن دقة سياسة الملك بحكمة وروية ، كذلك عين الكثير منهن في بعض الوظائف الكبيرة في قصور الملوك ، ناهيك عن أثرها الكبير في النهضة الأدبية ، هذا فضلا عن نهوضها العلمي الكبير . والمتتبع لحضارتها يجد أمامه مادة غزيرة مشرفة ، ولا عجب أن كانت الأمم الإسلامية ارتقت ذلك الرقي الذي أدهش العالم . ولم تكتف المرأة بمشاركتها الرجل في شؤونه الاجتماعية والسياسية ؛ بل شاركته وتابعته في أعمال البر والإحسان . والمشتغل في تاريخ العارة الإسلامية يسره أن يرى أسم المرأة خفقا على طائفة كثيرة من الآثار العظيمة ، وليس ذلك مقصورا على مصر فحسب ، بل في بغداد والأندلس والحجاز ودمشق وحلب وطرابلس والقدس ، وسائر الأقطار الإسلامية . ومن دواعي الفخر والإعجاب أن يرى الزائر للآثار الإسلامية بمصر قسما كبيرا باقيا من الآثار التي أمرت بإنشائها النساء .

الملكة صفية — هي زوجة السلطان مراد الثالث ووالدة السلطان محمد خان الثالث ابن السلطان مراد خان الثالث . وهي من فينيسيا^(١) من أسرة باقو النبيلة . وكان والدها حاكما على (كرفو) Corfou . وبينما كانت في سفينة مع فريق من السيدات النبيلات في طريقها إلى والدها

(*) أنظر الصور من رقم ٢٢١ — ٢٢٤ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) L'Egypte musulmane et les fondateurs de ses monuments Mrs. R.L. Devon-

shire p. 123 - 124.

سرقها القراصنة ، وكانت سنها وقتئذ أربعة عشر عاما . وكانت على جانب عظيم من الجمال ، وقد بيعت وألحقت بالقصور الملكية باستامبول ، فلم تلبث أن تألق نجمها ، وصارت مقربة من السلطان مراد فتسراها . وفي ٧ ذى القعدة سنة ٩٧٤ هـ (١٥٦٧ م) ولدت السلطان الغازي محمد خان^(١) .

وبعد وفاة السلطان مراد تولى ولدها السلطان محمد خان الملك سنة ١٠٠٣ هـ (١٥٩٥ م) فزادت عظمتها ، ولعبت دورا كبيرا في سياسة الدولة .

وهنا نتساءل عن علاقتها بهذا المسجد ، وهل جاءت إلى مصر ؟ هذا مالا أظنه ، ولكن وقفية الجامع تحدثنا عن سبب نسبته إليها . فقد تضمنت الوقفية أن المنشئ لهذا الجامع هو عثمان أغا ابن عبد الله أغاة دار السعادة مملوك الملكة صفية ، وقف عليه أراضي وعقارات ، ثم آل بطريق شرعي لسيدته .

ولما توفي عهدت الملكة صفية إلى عبد الرزاق أغا ابن عبد الحليم أغاة دار السعادة برفع دعوى مضمونها أن عثمان أغا المذكور هو عبد ومملوك لموكلته ، وأنه ليس مأذونا ببناء الجامع ولا بوقف أربعمائة فدان بزاوية تيم جهة منوف ، ولا باقى العقارات ، وأن هذا الوقف غير صحيح ، ويطلب الحكم به لموكلته لأنه مملوكها . ثم قدم فتوى من شيخ الإسلام بأن الإيقاف المذكور غير صحيح وأن لسيدته الاستيلاء على جميع أملاكه كسائر أمواله .

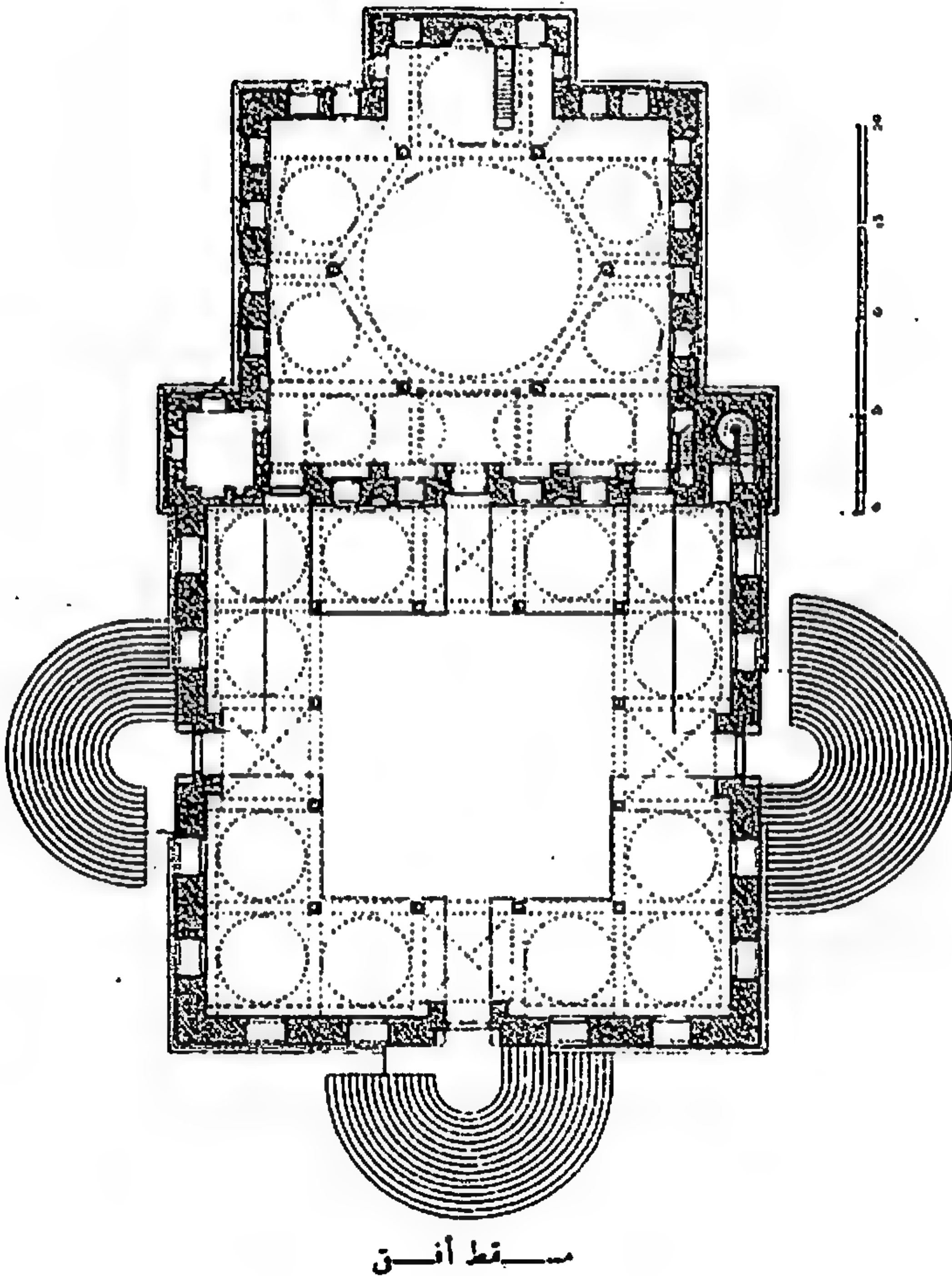
وقد دفع ذلك وكيل الوقف داود أغا بأن المرحوم عثمان أغا معتوق قبل وفاته ، وأنه بنى الجامع ووقف الأعيان وغيرها بإذن الملكة صفية معتقته ، فأنكر وكيلها حصول العتق ، وأنكر إذنها له فى بناء الجامع ووقف تلك الأعيان ؛ فطلبت البينة من داود أغا فعجز عن إقامتها ، وطلب تحليفها اليمين الشرعى ، فأرسل القاضى لها شاهدين عدلين فحلفت اليمين أمامهما على صحة دعواها . ولما عادا وأخبرا القاضى بأنها حلفت اليمين حكم بأن الجامع والممتلكات ملك لها ، وحكم على داود أغا برفع يده عن تلك الأملاك^(٢) .

وهنا تظهر شخصية جديدة وهو إسماعيل أغا الناظر الشرعى على الوقف الجديد الذى خصصته للجامع ، ومن المحتمل أن يكون المسجد لم يكمل ، فعهدت إليه بإتمامه فآتمه ، ثم كتب لوحة تذكارية ثبتها فوق الباب الأوسط للقبه نصها : « أنشأت هذا الجامع المبارك المعمور بذكر الله تعالى صاحبت الخيرات الآدر الشريفة والدة المرحوم مولانا السلطان محمد خان طاب ثراه على يد نحر الخواص

(١) تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام ص ٢٣٨ (٢) المخطوط الجديدة ج ٥ ص ٢٩

المتقربين مولانا إسماعيل أغا الناظر الشرعى على الوقف المذكور . وكان الفراغ من هذا البناء المذكور في السابع والعشرين من شهر محرم الحرام من سنة تسع عشر وألف من الهجرة .

ثم حررت الوقفية الجديدة على المسجد وبها رواتب موظفى المسجد والقراء ، ومعمارى للأصلاح ، وأمين لحفظ المصاحف الشريفة ، ومن هذه المصاحف مصحف بدار الكتب المصرية مجدول ومحل بالذهب مكتوب عليه « أنه وقف المرحومة صفية أم السلطان محمد خان في سنة ^(١) ١٠٣٢ هـ » .



ومكتوب على ربة مجدولة ومحلة بالذهب — رأيت جزءا منها في مكتبة المغفور له أحمد زكى باشا — أنه وقف الملكة صفية بمسجدها بخط المدانغ .

(١) فهرس المصاحف بدار الكتب المصرية ج ١ ص ٢

وصف الجامع — هذا الجامع ثالث جامع بمصر وضع تصميمه على مثال الجوامع العثمانية في مدينة إستانبول ؛ فأولها سليمان باشا بالقلعة ، وثانيها سنان باشا ببولاق ، وهذا هو الثالث ؛ يليه مساجد : محمد بك أبي الذهب أمام الأزهر ، والمغفور له محمد علي باشا بالقلعة ، وجامع الفتح الملكي ؛ وهذا الطراز وحده هو ما يجب أن نطلق عليه بمصر العمارية العثمانية .

ومسجد الملكة صفية مرتفع عن مستوى الشارع بنحو أربعة أمتار ، وبناؤه مستطيل ومنقسم الى قسمين : القسم الشرقى منه يتكون من مربع يتوسطه ستة عمد كبيرة من الجرانيت ، تحمل عقوداً حجرية فوقها قبة كبيرة ، يرى بداثرها فوق العقود مئذنة صغيرة يحيط برقبتها ، أقيم عليه درابزين من الخشب الخرط ، خلفه أربعة وعشرون شباكاً من الجص والزجاج ، ثم غطاء القبة الكبيرة وقد فتحت به مناور صغيرة مستديرة ، واتخذت بالمنطقة الواقعة بين عقود المسدس قباب صغيرة .

ووسط الجدار الشرقى بارز عن هذا المربع ، وبه محراب مكسو بالرخام ، وبتواشيحه قاشاني ودوائر زخرفية يعلوه قبة صغيرة برقبتها شبابيك جصية . ويجاور المحراب منبر من الرخام فرغت الزخارف الهندسية في قاعدته وأجانبه ودرازينه بشكل جميل ونقش ما حولها بنقوش نباتية ؛ فذلك جاء آية في الدقة والجمال .

وبوسط الجدار الغربى دكة المبلغ ، وهى قائمة على عمودين ولها درابزين من الخشب الخرط الدقيق ، وخلفها بطول الجدار مستشرفات معقودة أقيم على وجهها درابزين من الخشب الخرط ، يتوصل إليها وإلى الدكة من باب فى النهاية القبلىة الغربىة لمربع القبة فى سمك الجدار ، يتوصل منه إلى استطراق طويل معقود فى سمك الجدار الغربى على يمين من يسلكه تلك الفتحات ، ولعلها كانت مخصصة لصلاة السيدات ؛ وعلى يساره حنايا صغيرة معقودة لعلها مخصصة للإضاءة .

ويتهى هذا الاستطراق من الجهة البحرىة بسلم يؤدى إلى قبة صغيرة ، كما يتهى طرف هذا المربع من الجهة القبلىة بالمنارة التى يتوصل إليها من باب فى الركن الشرقى القبلى للصحن وهى منارة أسطوانىة تنتهى بمسلة .

وفى الركن الغربى البحرى حجرة سقفها معقود بمصلبة حجرىة ؛ ويجدرانها حنايا صغيرة معقودة لعلها كانت مخصصة لوضع مصابيح الإضاءة .

والقسم الثانى من الجامع غربى القسم الأول تؤدى إليه أبواب ثلاثة فى مؤخر القسم الأول ، أهمها أوسطها حيث حلى عقده بمقرنصات ، وعليه لوح رخامى تضمن اسم المذنشة وتاريخ الانشاء واسم الناظر . وقد كسى عقده الموتور بالرخام الملون على هيئة شرفات ، وعلى جانبيه صفتان .

ويتكون هذا القسم من صحن مكشوف حوله أربعة إيوانات عقدت مقوفها بقباب صغيرة أهلتها حجرية . أما القبوات الثلاثة القائمة أمام الأبواب ، والقبو الواقع أمام باب القبة الأوسط ، فإنها مصلبات على هيئة مخاريط منحنية الأضلاع .

ويتوسط كل جنب من جوانب هذا القسم القبلى والبحرى والغربى باب يوصل كلا منها إلى وجهة من وجهات الجامع المبنية جميعها بالحجر ، وبكل من الوجهتين القبلى والغربية سلم كبير مستدير لا نظيره فى سعة فى أى أثر آخر بمصر . وتسود الوجهات البساطة فهى خالية من الزخرف ومن الكتابات .

أما الوجهة البحرية فسلمها مفقود ، ولعله لم ينشأ منذ البدء إذ لا أثر له فى الجدران والوجهة . وأمام الباب البحرى وعلى بعد ثلاثين مترا تقريبا باب كبير مبنى بالحجر من طرز بناء المسجد ، بجانبه طرفا رباط مما يدل على امتداد البناء قديما حول المسجد ، وهو أحد أبواب السور الخارجى الذى كان يحيط بالميدان الكبير أمام الوجهات .

وهذا الميدان لم يكن إلا حديقة كبيرة ، يعز ذلك ما ورد فى حجة وقف المسجد بما نصه :
« ... ويترتب رجلان عارفان بغرس الأشجار والرياحين وإصلاحها وسقيها برسم خدمة البستان الكائن أمام الجامع ، ويرتب رجلان قويان برسم سقى الأشجار » . كما أن مiazza الجامع وضعت منعزلة عنه ، بل فى الميدان وسط الحدائق .

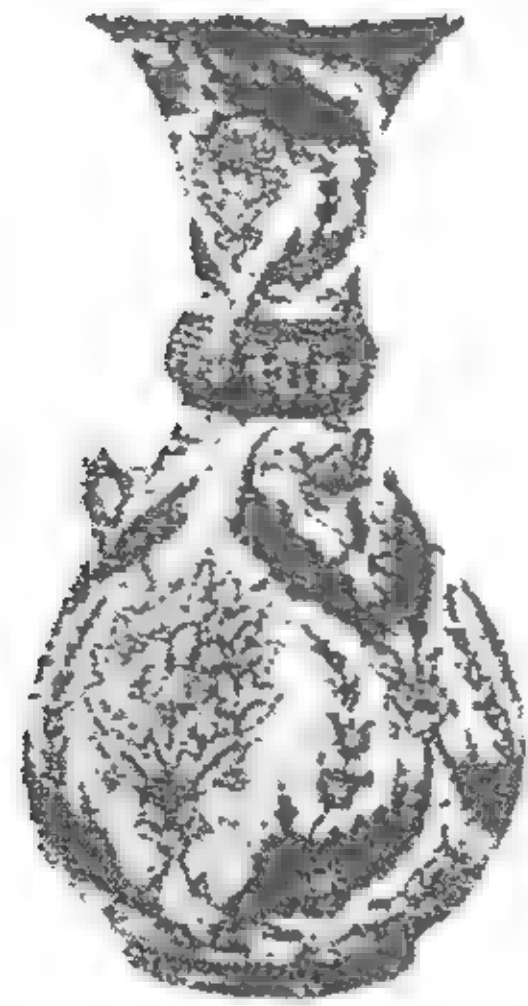
تصميم الجامع — لما كان تصميم هذا الجامع وأمثاله يعد خارجا عن الطراز المعمارى المتبع فى مصر ، فقد بحثت عن الجامع الذى بنى على طرازه فى إستانبول ، فاهتديت إلى مسجد أحمد باشا المعروف بجامع طوب قيو فى حى طوب قيو ، وقد بدئ فى إنشائه حوالى سنة ٩٥٩ هـ (١٥٥٢ م) ومنشئه قرا أحمد باشا المتوفى سنة ٩٦٢ هـ (١٥٥٥ م) ، وواضع تصميمه المهندس الكبير سنان ، فهو من الداخل محمول على ستة عمد أيضا ، والتشابه كامل بين الوجهتين بما فيهما السلم الكبير المستدير .

(١) الخطط الجديدة ج ٥ ص ٤٠

(٢) فضل الزميل المحترم حضرة محمد شريف حافظ أفتدى سكرتير لجنة حفظ الآثار العربية وعرب لى عن التركة القطنة الخاصة بجامع أحمد باشا عن كتاب جوامعنا صفحة ٥٨ تأليف خليل آدم .

والمنبر الرخامى يكاد يكون طبق الأصل ، كما اتضح من الصور الفوتوغرافية المأخوذة عنه .
ومما يذكر أن أكثر منابر مساجد استامبول من الرخام ، وزخارفها وتقاسيمها مثل منبر الملكة صفية ،
بل منبر الملكة صفية مثلها وهو الأصح .

أعمال الإصلاح — لم تكن أعمال لجنة حفظ الآثار العربية مقصورة على إصلاح هذا
المسجد فحسب ، بل تعدتها إلى ما هو أهم بكثير ، فقد كانت وجهاته محتجة خلف منازل حوله ،
ففى عهد المغفور له الملك فؤاد الأول نزع ملكية تلك المنازل وهدمتها ، حتى بدت الواجهات بعد
احتجابها ، وهى سياسة محمودة قد اتبعتها اللجنة فى تخليد الكثير من الأماكن الأثرية بمصر .



مسجد يوسف الحين

بميدان أحمد ماهر^(*) باشا

الأمير يوسف المعروف بتابع السعدى، من كبار أمراء الجراكسة. كان كاشفا البحيرة واليهنساوية وناظرا للسعادة الكبرى. انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة ١٠٥٦ هـ (١٦٤٦ م).

ومما يؤثر عنه مياله إلى أعمال الخير فقد أنشأ في باب الخرق مسجدا ألحق به سبيلا يعلوه كتاب وأنشأ ربعا كبيرا وعقارات أخرى؛ كما أنشأ مدفنا وقبة له^(١) ولأسرته تجاه المسجد على يسار السالك من باب الخرق إلى درب الفواخير، ولما مات دُفن بهذه القبة.

وقد هُدم المدفن والقبة عند فتح شارع محمد على سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) ونقل المنشئ إلى قبر أعد له في الإيوان البحرى بالمسجد؛ كما أنه لم يبق من منشأته في هذه المنطقة سوى المسجد وماحقاته.

تاريخ إنشاء المسجد — يُقرأ في لوح رخامى أعلى المدخل العام بيت من الشعر نصه :

أنشأ الأمير يوسف جامعا للذكر والنجوى * أرخته لله مسجد أسس على التقوى

وبحساب الجمل يكون التاريخ سنة ٩٥٠ هـ. وهذا التاريخ يمكن تطبيقه على طراز الباب وعلى تصميمه الداخلى. وأعتبره المرحوم على^(٢) باشا مبارك من منشآت القرن التاسع الهجرى.

ولكن يقرأ على إزار سقف السبيل الملاحق بوجهته في الطرف القبلى ما نصه : « وكان الفراغ في شهر رجب سنة خمس وثلاثين بعد الألف » وهذا التاريخ ينطبق على تفاصيل السبيل، كما ينطبق على تفاصيل وجهة المسجد ومنارته.

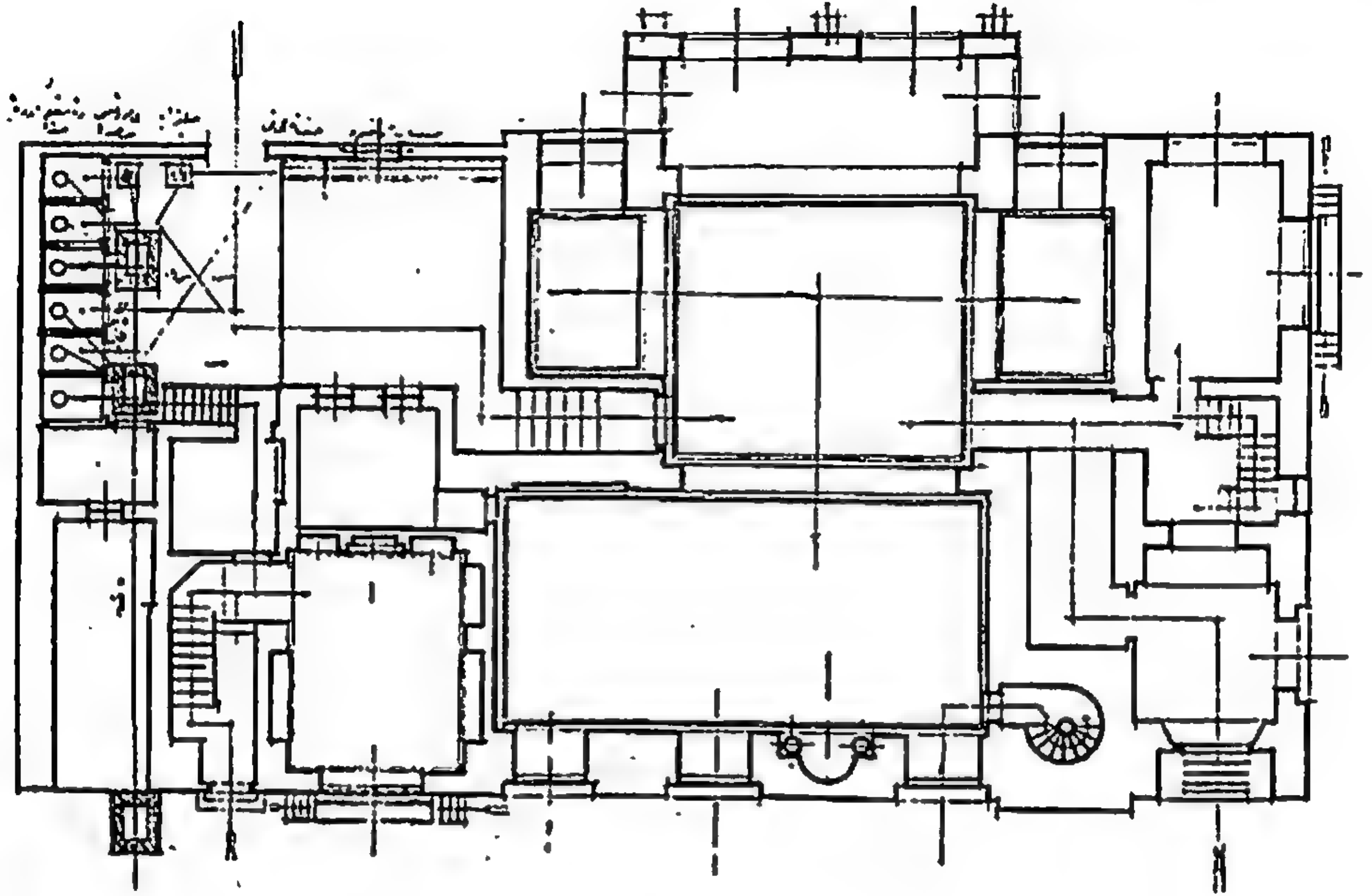
وقد كنت أعتبر السبيل ملحقا بالجامع في هذا التاريخ إذا كانت وجهته منفصلة عن وجهته ولكنهما كتلة واحدة — أو ان نقش السقف وكتابه عملا في السنة المذكورة ؟

هذه الأسباب دفعتنى للبحث عن مستند جديد فلم أجده أصدق من حجة وقفه، وبالاطلاع عليها تبين أنها صادرة من محكمة الباب العالى بمصر المحروسة في ١١ شعبان سنة ١٠٤٤ هـ، وأن الحجة مؤرخة ١٨ جمادى الثانية سنة ١٠٤٥ هـ. « وفيها أن الأمير يوسف عين أعيان أمراء الجراكسة بمصر

(*) أنظر الصور من رقم ٢٣٥ — ٢٣٦ بمجموعة الصور الفوتوغرافية.

(١) حجة الوقف. (٢) الخطط الجديدة، ج ٤ ص ١٠٢

المحروسة، وكاشف البحيرة والبهنساوية، وناظر السحابة الشريفة الكبرى سابقا، أوقف وحبس
وتصدق بجميع الجامع المستجد الإنشاء والعمارة المعروف بإنشائه وعمارته، بالقرب من جامع بطيخة
وهو مسجد تقام فيه الجمعة والجماعة، ويلاصقه الصريح ومكتب الأيتام». ثم وصفه وصفا دقيقا
ينطبق على هذا المسجد.



مخطط أفقي

أمام هذا المستند لا يسعني إلا أن أقول بخط الشعر المتضمن تاريخ الإنشاء خصوصا أنه غير
موزون، وهذا كثير الوقوع، وله نظائر في أماكن أخرى؛ إذ نرى مسجد البرديني قد كتب في إزار
سقفه تاريخ الفراغ منه سنة ١٢٠٥ وصحته ١٠٢٥ هـ لأن منارته آتت سنة ١٠٣٨ هـ (١٦٢٨ م)،
وكلاهما عمارته متأثرة بالعمارة المملوكية.

وعلى ذلك يكون تاريخ الإنشاء سنة ١٠٣٥ هـ (١٦٢٥ م) في حين أن الجمعة مؤرخة سنة ١٠٤٥ هـ.
وتضمنت أسم المنشئ يوسف المكتوب على المدخل أيضا.

وصف المسجد — هذا المسجد مرتفع عن مستوى الشارع ببضع درجات، ووجهاته
الأربع خالية، وهو وإن كان منشأ في العصر العثماني، فقد بنى مدخله وداخله على طراز يخالف

(١) في وقفية للسلطان النوري مؤرخة سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) تخصيص مبلغ لتجهيز محابطين صحة الحج المصري لمحل
الفقراء من الججاج.

وفي حوادث سنة ٩١٩ هـ (١٥١٣ م) من ابن إياس أنه نصبت محابة على سطح مسجد النوري بمناسبة حضوره لمأبنة قبة تجاهاها.

طراز ذلك العصر؛ فقد تأثر بالعمائر الملوكية، فبابه العمومي كسب بالرخام الملون المنقوش والمكتوب، كما أن تصميمه الداخلى تصميم مدرسة؛ فالباب يؤدى الى دركاة مربعة بصدرها مسطبة ثم طريقة مستطيلة لها سقف منقوش وبه دوائر مكتوب عليها بشكل زخرفى «قل كل يعمل على شاكلته» تنتهى الى صحن أحدهت به أربعة إيوانات معقودة وكانت مفروشة بالرخام الدقيق .

وقد حرص المهندس على الانتفاع بالخليج المصرى ومنظره الخلاب ، فتعمد الخروج بالإيوان الغربى المشرف عليه عن باقى الواجهة الغربية ، وأبدل بنصف الجدار العلوى ساترا من الخشب الخروط ، مما ساعد على اجتلاء منظر الخليج وقت الفيضان ، والانتفاع بالتهوية الكافية ، كما انتفع بهذا الإيوان بإقامة دكة المبلغ فيه .

والإيوان الشرقى أهمها وقد غطيت فتحاته العليا بشبابيك جصية ذات زجاج ملون وكتابات ، كما نقش السقف بنقوش مذهبة ، ملونة ومكتوب على إزاره آيات من سورة الفتح ، والمحراب بسيط منقوش بالبوية محاكاة للرخام، يقوم الى جانبه منبر من الخشب المجمع (معقلى) . وفى الركن البحرى الشرقى باب المنارة يؤدى الى سلمها الخزونى فيوصل الى حجرة فوق طريقة المدخل تشرف على الصحن ثم الى دكة فوق الإيوان البحرى والى شباك بالواجهة الغربية . كما يوصل الى السطح والى دورة المنارة ، وهى منارة حجرية أسطوانية . وفى الطرف القبلى للواجهة الشرقية سبيل يعلوه كتاب اشتمل على أرضية رخامية دقيقة . ومكتوب بإزار سقفه تاريخ إنشائه .

وقد انتهزت إدارة حفظ الآثار العربية فرصة توسيع ميدان باب الخلق وتحلية المسجد من جميع نواحيه ، فأصلحت وجهاته ، وأنشأت دورة مياه حديثة ، وألحقت بها حجرات زيتنها بمشربيات . وأنشأت بالواجهة البحرية على ميدان باب الخلق سبيلا يعلوه كتاب ، راعت فى إنشائه طراز الأسبلة التركية ، واقتبست أكثر تفاصيله من سبيل الأمير عبد الرحمن كتنخدا بشارع بين القصرين ؛ فقد آشملت وجهاته على عمد رشيقة ورخام دقيق ومقرنصات متعددة .

وانتهت هذه الأعمال فى عصر جلالة الملك الصالح فاروق الأول أعزه الله . وقد ثبتت بهذه المناسبة لوحة تذكارية أعلى السبيل بالواجهة البحرية نصها : « جددت لجنة حفظ الآثار العربية هذه الواجهة فى عهد الملك الصالح فاروق الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة » .

وقد تفضل جلالة الملك الصالح حفظه الله بافتتاحه بأداء فريضة الجمعة فيه يوم ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٦٠ هـ (١١ يولييه سنة ١٩٤١ م) .

مسجد عقبة بن عامر

هذا المسجد في الطرف القبلي الشرقي لقرافة الإمام الشافعي ، وفي نقطة هامة من القرافة الكبرى تضم رفات أعلام أجلاء ، في مقدمتهم عقبة بن عامر بالتحقيق ، وعمرو بن العاص على ما قاله غير واحد من المؤرخين .

والمنطقة التي تضم هذا الجامع هي قرية صغيرة كانت تحدها إلى عهد قريب من الخارج بوابة كبيرة تؤدى إلى قضاء كبير به قبور كثير من الأعلام ، منهم : الشيخ الصالح الزاهد أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري الذي توفي سنة ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) ، والشيخ عثمان الزيلعي شارح كتاب الكثر في فقه الحنفية المتوفى سنة ٧٤٣ هـ (١٣٤٢ م) . ثم باب آخر يؤدى إلى طريقة تنتهى إلى حوش كبير ، يصدره جامع عقبة وملحقاته .

عقبة بن عامر — هو السيد عقبة بن عامر بن عيسى بن غنم بن عدى بن عمرو بن رفاعه ابن جهينة الجهني الصحابي ، من أعلام الصحابة ومن خدام النبي صلى الله عليه وسلم . كان رحمه الله محدثا عالما بالفرائض والفقه ، كاتباً شاعراً ، وهو آخر من جمع القرآن ؛ وأول من نشر الرايات على السفن ؛ قال أبو سعيد بن يونس رأيت مصحفه بمصر . وفي آخره « كتبه عقبة ابن عامر بيده » .

اشترك رضي الله عنه في الفتوح الإسلامية ، وكان رائد عمر بن الخطاب عند فتح دمشق ، كما شهد فتح صفين مع معاوية ، وشهد فتح مصر مع عمرو بن العاص . ثم عين والياً عليها من قبل معاوية بن أبي سفيان في ذي الحجة سنة ٤٤ هـ (٦٦٥ م) وظل والياً عليها لمدة سنتين وثلاثة أشهر ، إلى أن صرف عنها في شهر ربيع الأول سنة ٤٧ هـ (٦٦٧ م) .

وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر ، ثم أقام بمصر إلى أن توفي سنة ٥٨ هـ (٦٧٨ م) .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين منهم ابن عباس وأبو أمية وغيرهم^(١) . ولأهل مصر فيه اعتقاد عظيم ، ولهم عنه نحو مائة حديث .

(*) انظر الصور من رقم ٢٢٧ — ٢٢٨ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) تاريخ مصر دولاتها ص ٣٦ — ٣٨ وعلق بالحاشية بأن نسب في التهذيب عقبة بن عامر بن عيسى بن عمرو بن رفاعه .

(٢) المقرئ ج ١ ص ٣٠١ (٣) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١١٦ — ١٣٠

وقال الشيخ الموفق ابن عثمان في تاريخه المرشد ناقلا عن حملة من أصحاب الشافعي: إن البقعة التي دُفن فيها عقبة بها أيضا قبر عمرو بن العاص، وقبر أبي بصرة الصحابيين. تحويهم القبة التي هدمها صلاح الدين يوسف بن أيوب .

وكان قبر عقبة موضع رعاية المصريين يقصدونه للزيارة والتبرك، كما كان يقصد إليه زائر مصر ورحالها. وكان ملحقا به متحف حربي صغير يضم سيفه وترسه . ولقد حرص كثير من أجلة العلماء على أن يدفنوا بجواره تبركا به حتى غدت بقعته مقبرة للعظماء .

ثم ظل القبر موضع عناية ملوك مصر وولاتها . وكان أول من عني به ملك مصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فقد هدم القبة التي كانت على قبره ، وأنشأ غيرها قبة عظيمة^(١) وكذلك جده ملك مصر الكامل محمد ابن الملك^(٢) العادل .

وفي سنة ١٠٦٦ هـ (١٦٥٥ م) عني بتجديد المسجد وإنشائه على ما هو عليه الآن وإلى مصر الوزير محمد باشا سلحدار الملقب بأبي النور ، وألحق به زاوية لتعليم الأطفال وسبيلا ، كما أنشأ حوله مساكن للوظفين ، ورصد عليه وعلى غيره من منشآته الخيرية أوقافا كثيرة . ومن طريف ما تضمنته وقفته تعيين أربعة (سيمانية) من رماة البندق برسم الحراسة والمحافظة على المسجد وملحقاته .

وهو مسجد صغير بسيط البناء ، وتشتمل وجهته الغربية على الباب العام ، وتقوم على يساره قاعدة مربعة تنتهي بمقرنص تحمل منارة مرتفعة ذات دورة واحدة ، ويتصل بهذه الوجهة السبيل . ويؤدي الباب إلى دركاة مربعة تحتوي على سلم يؤدي إلى المنارة ، كما تضم قبور مشايخ المسجد : منهم الشيخ إبراهيم المتوفى سنة ١١٨٢ هـ (١٧٦٨ م) وتتصل هذه الدركاة بمسجد مستطيل يشتمل على رواقين يتوسطهما صف من العقود المحمولة على عمد حجرية مئمنة ، وقد حلى سقفه بنقوش ملاونة ، ومكتوب بإزار سقف الرواق الشرقي أبيات من قصيدة البردة . ويحيط بجدران المسجد مجموعة من الشبايك الحصية المحلاة بالزجاج الملون ، ويشرف بناء المسجد من الجهة الشمالية على قبر وجيه الدين عبد الوهاب البهنسي قاضي قضاة مصر في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي^(٣)) وعلى قبر نوح أفندي مصطفى من علماء الحنفية المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ (١٦٥٩ م) . والشيخ أحمد بن الشيخ محمد الإمام راوية سيدنا عقبة المتوفى في ذي القعدة سنة ١١٧٢ هـ

(١) النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٣٠ (٢) جوار الأخبار في دار القرار، خط .

(٣) ابن الفرات، ج ٧ ص ٢٤٧

ومن الأعلام الذين دفنوا في الجهة القبيلة للقبة العلامة عبد الرحمن بن عبد الملك الشافعي فقد عثر على شاهد قبره مطمورا وقامت إدارة حفظ الآثار العربية بتثيته على الوجهة القبيلة للقبة ونصه : « الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه هذا قبر الفقير إلى رحمة ربه المستقيل من جريمته وذنبه عبد الرحمن بن عبد الملك بن عبد المحسن القرشي نسبا الشافعي مذهبا الأشعري معتقدا تغمدته الله برضوانه وأسكنه في دار أمانه . توفي إلى رحمة الله تعالى في ليلة يسفر صباحها عن يوم الخميس رابع شهر رمضان المعظم سنة سبع وخمسين وستمائة رحمه الله وعفا عنه وعن جميع المسلمين » . وإلى جانبه قبر ولده ، وفي غريبهم قبر شهاب الدين بن أبي حجلة وولده .

والقبة وبها قبر عقبة رضي الله عنه في الركن الغربي للمسجد ، عليها مقصورة خشبية وهي منقوشة من الداخل بنقوش تحاكي القاشاني ، ومكتوب على طراز مربعها آية الكرسي ، وبها من الداخل قطعة رخام سوداء لها بريق ، وأمام القبر شاهد من الرخام مكتوب على أحد وجهيه آية الكرسي ، وعلى الوجه الآخر ما نصه : « هذا مقام العارف بالله تعالى الشيخ عقبة بن عامر الجهني الصحابي رضي الله تعالى عنه جدد هذا المكان المبارك الوزير محمد باشا سلحدار دام بقاءه في سنة ستة وستين وألف » ومن الخارج مضلعة ، وبرقيتها كسوة من القاشاني ، ميزتها على قباب عصرها . وهي ثاني قبة عثمانية كسيت رقيتها بالقاشاني إذ الأولى قبة الأمير سليمان أغا سنة ٩٥١ هـ (١٥٤٤ م) وهي أجمل قبة أنشئت في العصر العثماني .

وتكسيه رقاب القباب بالقاشاني ظهرت بمصر في أول القرن الثامن الهجري في قبة سبيل الناصر محمد بن قلاوون لصق المدرسة المنصورية . وفي قباب طشتمر حص أخضر وأم آنوك وأصلم السلحدار وآبن غراب .

ثم تطورت إلى تكسية القبة كلها بالقاشاني في القرنين : الثامن والناسع الهجري (الرابع عشر والخامس عشر الميلادي) مثل قباب الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة والغوري بالغورية وسليمان باشا بالقلعة والشيخ سعود بشارع سوق السلاح والتكية السلجمانية بشارع السروجية .

ومن مآثر الملك حفظه الله أنه كان من أثر أدائه فريضة الجمعة في هذا المسجد إجراء إصلاحات به من أظهرها إصلاح الشبابيك الحصية الملونة ، وتمهيد الطرق المؤدية إليه .

(١) الكواكب السيارة ص ٢٤٢ وفيها استقصاء لمن دفن حوله .

المدرسة الفارقانية

بشارع درب سعادة

هذه المدرسة خلف محكمة الاستئناف . أمر بإنشائها الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني السلحدار وأفتتحها يوم الاثنين ٤ جمادى الأولى سنة ٦٧٦ هـ (١٢٧٧ م) مدرسة للشافعية والحنفية . والأمير آق سنقر كان مملوكا للأمير نجم الدين أمير حاجب . ثم انتقل إلى الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، فترقى عنده في جملة وظائف إلى أن صار من كبار الأمراء وعينه أستاذارا . وناب عنه بمصر مدة غيبته ^(١) .

وكان مقدما على كثير من الأمراء ، شجاعا حازما ، محسنا ، عهد إليه الظاهر بفتح بلاد النوبة ، ففتحها . وفي دولة السعيد بركة بن الظاهر بيبرس ولي نيابة السلطنة بديار مصر وقد توفي في سنة ٦٧٦ هـ (١٢٧٧ م) . وقيل ٦٧٧ هـ (١٢٧٨ م) . وكانت داره بجوار مدرسته بداخل باب سعادة ^(٢) . وفي سنة ١٠٨٠ هـ (١٦٦٩ م) أنشأ المسجد إنشاء جديدا على ما هو عليه الآن الأمير محمد كتحدا مستحفظان ، أحد كبار موظفي مصر العسكريين ، ولذلك لا نرى فيه الآن أثرا للمدرسة القديمة . بل هو مسجد عثماني بحت عرف بمسجد الحبشلي . ويظهر أن هذه التسمية لازمته منذ تجديده ، لأن الجبرتي ترجم ضمن وفيات سنة ١١٧٨ هـ (١٧٦٥ م) الشيخ علي بن أبي الخير بن علي المرحومي الشافعي وقال عنه « خطيب جامع الحبشلي » ^(٣) .

ولهذا المسجد وجهتان : إحداها قبلية وبنهايتها الشرقية المنارة قائمة على جلسة مربعة آنتهت بمقرنصات وغطيت شبايكها بمقرنصات ، وهي منارة أسطوانية تركية الطراز ، والأخرى غربية وبطرفها القبلي السبيل وتعلو شباكها زخارف حجرية وقاشاني ولوحة تذكارية بإنشائه ، وبالطرف البحري الباب العمومي للمسجد وهو باب عقده مدايني به مقرنصات بسيطة وله نفيس من القاشاني . ويحيط بصحنه أربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة ، وهو يشتمل على رواقين : المشرف منهما على الصحن مكوّن من عقدتين كبيرين يحملهما عمود رخامي ، والآخر أمام المحراب ، ويشتمل على ثلاثة عقود محمولة على عمودين حلزونيين .

والمحراب بسيط تعلوه مربع مزخرف به قاشاني ، ويمجاوره منبر خشبي مجمع ، وبالركن القبلي باب المنارة .

(١) المقرئى ، ج ٢ ص ٢٦٩ ، والمثل الصافي . (٢) باب سعادة أحد أبواب القاهرة الفاطمية وكان قريبا من هذه المدرسة . (٣) الجبرتي ، ج ١ ص ٢٦٣

والسقف من برطوم ومربوعات منقوش بالذهب والألوان برسوم دقيقة لا يقل أهمية عن السقوف المملوكية ، ومكتوب على إزاره آيات من سورتي الفتح ويس وتاريخ المسجد بما نصه :
« أنشأ هذا المسجد المبارك من فضل الله تعالى وعونه وجزيل عطاء العميم الأمير الكبيرى الأمير محمد كتحدا مستحفظان كان الله له بتاريخ سنة ثمانين وألف » .



داخل المسجد

والإيوان الغربى مكون من عقد كبير، وبه دكة المبلغ وباب للسبيل المفروش بالرخام الدقيق الملون، وسقفه منقوش مذهب ومكتوب على إزاره قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . الى قوله تعالى : وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا . صدق الله العظيم » .

مسجد ذوالفقار

بشارع اللبودية

يرى المغفور له على باشا مبارك أن ذا الفقار هذا هو الذى ورد اسمه فى ترجمة والى مصر حمزة باشا، فقد جاء فيها : « أنه فى يوم الأحد ١٦ شعبان سنة ١٠٩٧ هـ مات عن الدولة العثمانية فى الديار المصرية أمير الحاج الشريف الأمير ذو الفقار بك رحمه الله تعالى وكان آية وحجة على أهل الفساد من العرب وغيرهم فى سائر الأقاليم . وبعد موته جرت حوادث يطول شرحها . وكان أميراً طاهراً محافظاً على الصلوات الخمس^(١) فى أوقاتها ، معظماً للأعلماء ، شفوفاً على الفقراء ، قاسياً على^(٢) المفسدين . وقبل دفنه ألبس الوزير حمزة باشا ولده الرشيد أمير اللوا إبراهيم بك خلعة الصنجدية » .

وبمراجعة تراجم من سمي بذى الفقار فى هذه الفترة ، وجدت بينهم الأمير ذا الفقار بك تابع الأمير حسن بك الفقارى ؛ تولى الصنجدية وإمارة الحج فى يوم واحد، وسافر أميراً للحج إحدى عشرة مرة . توفى سنة اثنتين ومائة وألف .

وتوفى ابنه الأمير إبراهيم بك الذى تولى الإمارة بعد أبيه، وسافر أميراً على الحج سنة ١١٠٣ هـ (١٦٩٢ م) ولم يزل أميراً للحج إلى أن مات سنة ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م) وتولى إمارة الحج خمس مرات . وكانت داره بدرب الجمايز مقصداً لقضاء الحوائج^(٣) .

وأتفق الحوادث فى الروايتين تعزها الكتابة بسقف الجامع مما يجعلنى أرجح رواية الجبرقى من أن وفاته كانت سنة ١١٠٢ هـ (١٦٩٠ م) .

وهو من المساجد المعلقة البسيطة، ووجهته الغربية العامة مبنية بالحجر الأحمر، حيث تقوم المنارة عند طرفها الجنوبي؛ وهى منارة أسطوانية قصيرة من دورة واحدة، يحاورها الباب العام، وهو محلى بالمقرنصات، وبه ترابيع من القاشانى القيم يتوسطها لوحة رخامية مكتوب عليها ما نصه :

جامع جاء لطيفا وبديع الإنشا * على السمك منيعا ووميع الإحشا

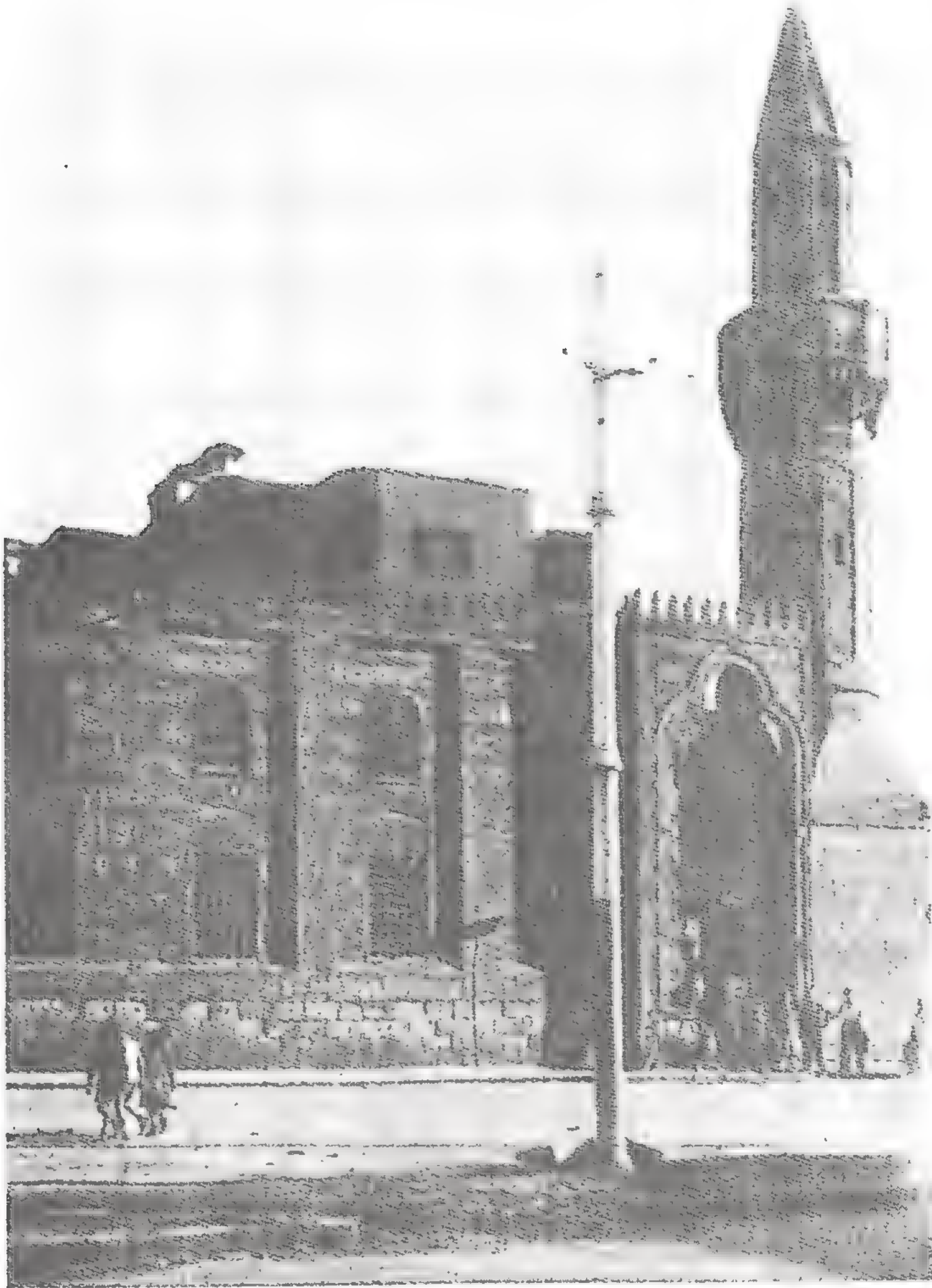
° فى بيوت أذن الله لها أن ترفع * والعبادات بها كل زمان تفضى

(١) المخطط الجديدة، ج ٤ ص ١١٢ (٢) السجق والسجاق العلم ويراد به اللوا .

(٣) الجبرقى، ج ١ ص ٩٠

دام فيه صلوات وأجيدت دعوات * بنهار متجل وبليل يغشى
ذو الفقار فاز بالخير فقل تاريخنا * عمر الجامع بالسعد بديع الإنشا
١٠٩١

وهذا الباب يؤدى إلى سلم من ست درجات فدركاة مربعة على يمينها باب يؤدى إلى باب
المنارة، وإلى المطهرة وعلى يسارها شباك ثم باب المسجد .



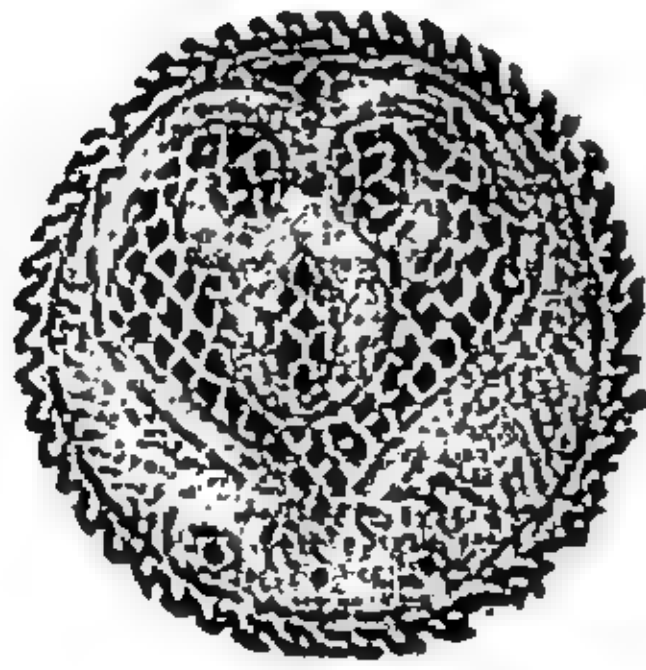
الوجهة الغربية للمسجد

وداخل المسجد مستطيل ، وهو يتألف من رواقين يتوسطهما صف من العمود الرخامية تحمل
خمسة عقود حجرية .

أما محرابه فهو من الحجر وقد حلى بنقوش ومقرنصات، ويتواشيه ألواح من القاشاني الحديث ويعلوه مربع به دائرة من القاشاني القديم، ويجاوره منبر خشبي. وتقع دكة المبلغ في الجدار الغربي، وهي محمولة على كابولين. وكانت أرضية المسجد مفروشة بالرخام الدقيق، كما يدل على ذلك بقايا دقيقة بأرضية الشبايك الغربية.

وتحيط بالجامع من أعلاه نوافذ من الجص والزجاج الملون عملت بمناسبة أداء حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول فريضة الجمعة فيه. وقد نقشت سقفه بنقوش ملونة، وكتب على إزار الرواق الشرق آيات من سورة الفتح، كما كتب تاريخ إنشائه بما نصه: « أنشأ هذا المسجد المبارك من فضل الله تعالى وعونه وجزيل عطائه العميم الجنتاب الكريم العالي والكوكب المنير المتلالي الأمير ذو الفقار بيك أمير اللوا الشريف السلطاني وأمير الحاج. وكان الفراغ في شهر ذي الحجة سنة ١٠٩٠ هـ ».

ومكتوب على إزار الرواق الغربي آيات من سورة يس إلى قوله تعالى: « قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ».



مسجد عثمان كتحدا

بميدان إبراهيم باشا^(*)

أنشأه الأمير عثمان كتحدا القازدغلي والد الأمير الكبير عبد الرحمن كتحدا ، صاحب الخيرات والمنشآت العمارية الكثيرة في أنحاء القاهرة .

كان الأمير عثمان تابعا للأمير حسن جاويش القازدغلي ، ثم تقلب في جملة وظائف إلى أن عين كتحدا (أي ويكلا مفوضا) لسيدته حسن جاويش ، وصار من كبار الموظفين ، وسطع نجمه ، كما ساعدته ظروف خاصة على آقتناء ثروة كبيرة^(١) .

وقد ظل عظيم النفوذ وافر الحرمة مسموع الكلمة إلى أن توفي سنة ١١٤٩ هـ (١٧٣٦ م) .
وله عدا هذا المسجد منشآت خيرية أخرى منها زاوية للعميان كانت مجاورة للجامع الأزهر ، رصد عليها خيرات ، كما رصد خيرات على أروقة الأتراك والجاوة والسليمانية والشوام بالأزهر الشريف . وهو الذي أنشأ المسجد بجوار قبة حسام الدين طرنطاي المنصوري بدرب سعادة ، كما أنشأ رواق الأتراك والسليمانية بالأزهر .^(٢)

موقع المسجد وتاريخه — يقع هذا المسجد عند ميدان إبراهيم باشا على ناصية شارعى قصر النيل وإبراهيم باشا ، وقد تم بناؤه سنة ١١٤٧ هـ (١٧٣٤ م) ، وألحق به سبيلا وكتابا وحماما . ولا يزال الحمام موجودا .

وكانت المنطقة فى حاجة شديدة إلى هذا المسجد . وقد بلغ من أزدحامه بالمصلين يوم افتتاحه أن كثيرا من الكبراء لم يجدوا فيه مكانا فانصرفوا إلى غيره ، وهذا ما نراه به إلى الآن .

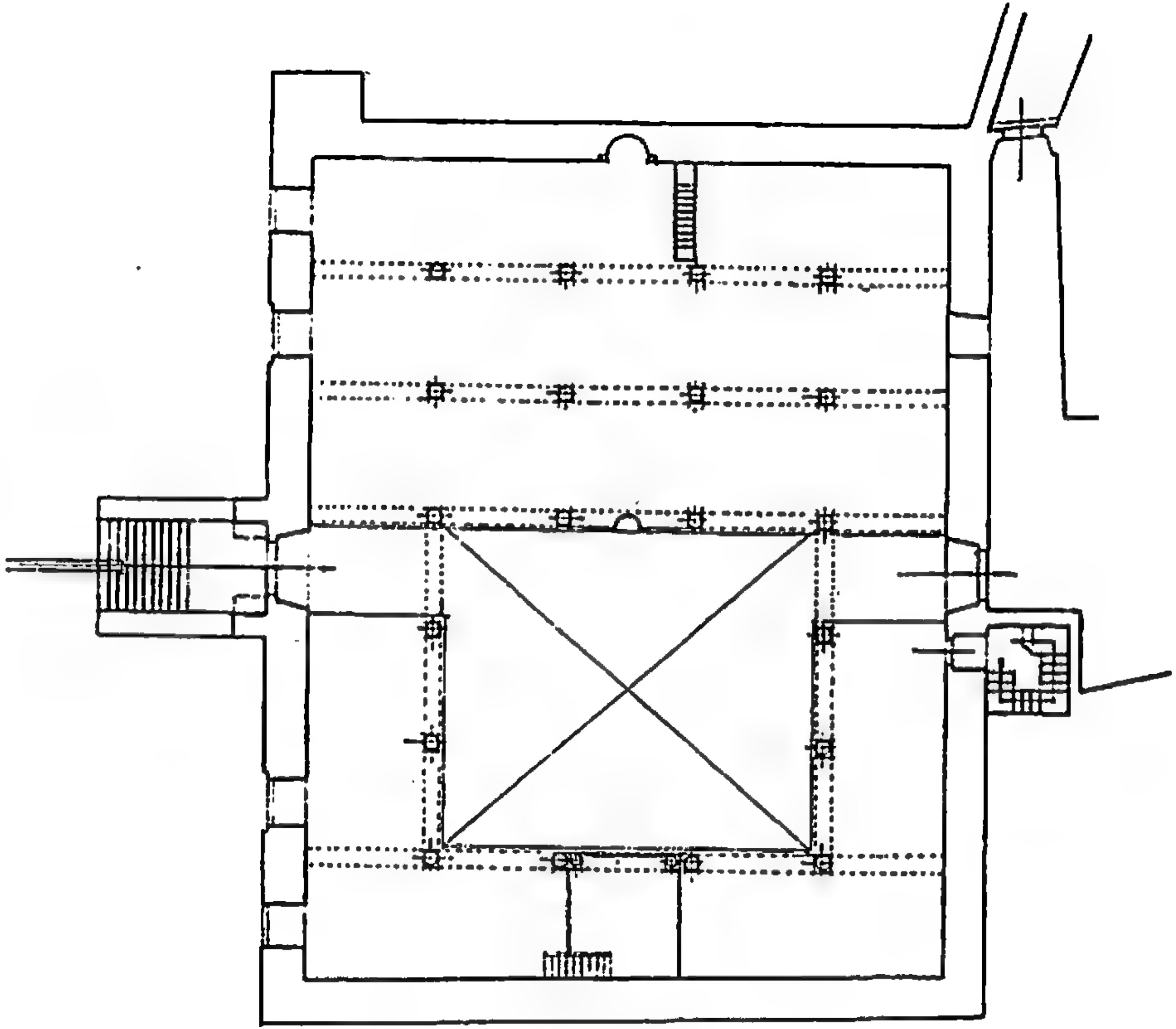
وبعد افتتاحه وزعت الصدقات ، وأنعم على حسن أفندى ابن البواب خطيب المسجد ، وعلى الشيخ عمر الطحلاوى المدرس فيه وغيرهما .

(*) انظر الصور من رقم ٢٣٩ — ٢٤٢ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الجبرقى ، ج ١ ص ١٦٨

(٢) ورد اسمه فى إزار سقف هذا المسجد الأمير عثمان جاويش تابع المرحوم حسن كتحدا قضا على سنة ١١٤٠ هـ .

وقد رصد المنشئ أملاكا كثيرة للصرف منها على هذا المسجد وعمارته وأعمال البر التي بينها في كتاب وقفه المؤرخ سنة ١١٤٩ هـ ، واشترط أن يكون الإمام شافعيًا . ثم رتب درسا للسادة الحنفية ، ورواتب لسبعة من الطلبة يحضرونه ، وآخر للسادة الشافعية يحضره ثلاثة من الطلبة لهم رواتب أيضا ؛ كما قرر رواتب لمدرّس الحديث مع ستة من الطلبة يحضرون درسه .



مسقط أفق

ومن طريف ما أشتملت عليه هذه الوقفية تخصيص راتب لمناد ينادي في السوق عند حلول الصلاة بقوله : « الصلاة يا مفلحون »^(١) .

ويرتفع هذا المسجد عن مستوى الشارع ، وله وجهتان : إحداهما شرقية وهي بسيطة ، والأخرى بحرية يتوسطها باب يصعد إليه بدرجات رخامية ، وهذا الباب مبني بالجحر ، وقد حلّ بترايع من القاشاني الجميل ، ويعلوه شبّاك صغير يكتشفه عمودان ؛ ومن فوقه حلية زخرفية على هيئة شرفة . وينتهي أعلاه بعقد مدايني مخصوص تحتوى توشيحته على زخارف هندسية .

(١) المخطوط الجديدة ج ٥ ص ٩٠ - ٩١

ويكتنف الباب من جانبيه شبابيك من أعلى وأسفل ، اليمنى منها حديثة ، وقد غطيت بمقرنصات متنوعة ؛ وقد ركب عليه مصراعان من الخشب ، حليا بزخارف نحاسية مفرغة على مثال الأبواب الملوكية . وتقوم المنارة على الناصية الشرقية البحرية ، وهي منارة أسطوانية حلل بدنها بخطوط ، وهي بسيطة شأن منارات عصرها .

وداخل المسجد أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف ، فرشت أرضيته بالرخام الأبيض والدقيق الملون ، أهمها الإيوان الشرقي ؛ فقد أشتمل على ثلاثة أروقة بها عمد رخامية ، تحمل عقودا حجرية ، فوقها سقوف مزخرفة لا تزال محتفظة برونقها يسترعى النظر فيها تنوع زخارف الإزار حولها . وفي صدر هذا الإيوان محراب من الرخام الدقيق ؛ يكتنفه عمودان أخضران مجزعان حلل أعلاه وأسفله بزخارف موزقة متزلة في الرخام وعلى يسار المحراب قطعة رخامية منقوش عليها زهرتان مذهبتان تفرعت منهما غصون وأزهار يكتنفهما أعواد سرو ، ويعلو المحراب شبك جصى مستدير مكتوب عليه الله . محمد . أبو بكر (عثمان) ويجاوره منبر من الخشب المجمع بشكل مموج ، له درابزين من الخشب الخروط ؛ وقد أحيطت جدرانه الأربعة من أعلاه بشبابيك جصية لها زجاج ملون ؛ كما فتحت شبابيك في أسفل جداره البحري .

وفي الجدار القبلي بابان : أحدهما الكبير ، وقد حلل مصراعه بأشرطة نحاسية كما كُتبي النفيس أعلاه بترايع من القاشاني . وأزدانت معبرة الآخر الموجود في منتصف الإيوان الشرقي بنقوش ملونة . وكلا الباين يوصل إلى المصل والميضأة .

والحمام ما زال باقيا بالقرب من المسجد ، ولعل السبيل والكتاب كانا يجاورانه ؛ ولكنهما قد زالا . وقد أدرك السبيل المغفور له على باشا مبارك وكتب عنه : « أنه كان بالطريق الموصل إلى المسجد . وكان على بابه لوح رخامي مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذا الصهريج المبارك عبد الله چوريجي من صدقات وخيرات المرحوم الأمير عثمان كتخدا مستحفظان قازدغلي واقف هذا المكان الواقع تاريخه في آثنين وعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وستين ومائة وألف » وقد سقط هذا اللوح عند هدم وجه السبيل وحفظ عند خادم المسجد ^(١) .

تواضع المنشئ — وقد بلغ من تواضع المنشئ أنه لم يكتب اسمه على هذا المسجد ؛ إذ أن كل ما وجد به من النصوص التاريخية لوح مثبت في وجهة الإيوان الشرقي على الصحن قد كتب فيه :

(١) الخطط الجديدة ، ج ٥ ص ٨٩

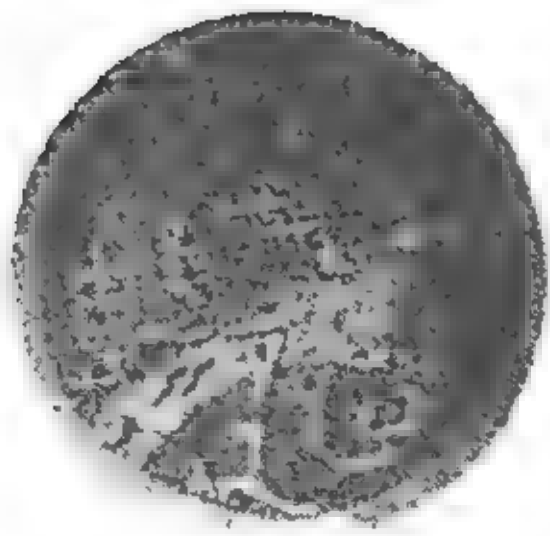
« قء وافق الفراغ من إنشاء هذا المسءء المبارك غرة جماءى الأول من شهر سنة الف ومائة سبعة وأربعين فنسأل الله الكرىم من فضله العمىم أن ىتقبله من واقفه وىءخله اللجنة دار النعمى » .

عناية المغفور له الملك فؤاء بالمسءء — وكانت الوجهة البحرىة للمسءء محجوبة بالدكاكن المشوهة لمنظره ، وظلت كذلك إلى سنة ١٩٣٣ ؛ إء أمر المغفور له الملك فؤاء بإزالة هذه الدكاكن وإصلاح الوجهة فظهرت بعء آءءابها .

عناية الملك الصالح فاروق الأول — أما عناية الملك الصالح فاروق الأول بهذا المسءء فكانت عظىمة الأءر ؛ وذلك أنه كان ىجاور الباب البحرى للمسءء منزل ىحجب نصف الوجهة من الجهة البحرىة الغربىة .

وفى سنة ١٩٣٩ هءمت وزارة الأوقاف هذا المنزل ، وأعءت مشروعا لبناء عمارة كبرى رسا عطاؤها على آءء المقاولىن .

وما إن بلغ مسامع مولانا الملك نبأ هذه العمارة وضحجة الأءرىىن من حضرات أعضاء لجنة حفظ الآثار العربىة ، وخوفهم من تشوىه الجامع ، وأن العمارة الءىءة قء تطاول منارته ، ففضّل حفظه الله فأصدر أمره الكرىم بإلغاء المشروع ؛ ثم أصدر أمره الكرىم إلى لجنة حفظ الآثار العربىة بتكملة بناء هذه الوجهة على مثال قسمها القءىم فنقذت رغبته السامىة وكان لذلك أعظم الأءر فى صون المسءء ، وءجىل هذا المىءان الكبرى .



مسجد عبد الباقي جوريجي

بشارع الميدان بالإسكندرية^(*)

هذا المسجد أنشاه الحاج عبد الباقي جوريجي^(١) بقلعة الركن^(٢) بشفر الإسكندرية ابن المرحوم علي جوريجي بالقلعة المذكورة ابن الشيخ محمد الشربوي الشهير نسبه بزقوق . في سنة ١١٧١ هـ (١٧٥٨ م) . وهو من المساجد المعلقة ، مرتفع عن مستوى الشارع ، وتحتة حوانيت ، وله بابان : أحدهما في النهاية القبيلة الغربية ، والآخر في النهاية الشرقية البحرية . وكلاهما مبني بالطوب المنجور الملون . والداخل من بابه القبلي يصعد درجات تؤدي إلى الإيوان الغربي الخارجي للمسجد ، وبه الباب الموصل إلى الداخل ، وهو باب عقده مدايني ، كسى أسفله بالرخام وأعلاه وحجره بالقاشاني المغربي يتوسطه اسم صانعه بما نصه : (عمل كاتبه الحاج مسعود^(٣) السبع) وبه لوح رخامي مكتوب عليه :

إن المساجد للإله الباقي * فلمن لها أحيا ثوبا باقي
الله يبنى في الجنان لمن بنى * بيتا أتى نصا بغير شقاق
فأبشر من الباقي فإنك عبده * بالفوز في العقبي وقالك الوافي
وآغم ثناء دائما لا ينقضي * في سائر الأوقات والآفاق
إن رمت أن تحظى بكل مسرة * وتفوز بالحسن من الخلاق
اسمع لأمر بالرشاد مؤرخا * جزاء الهدى والخير عبد الباقي

في شهر ربيع آخر سنة ١١٧١ هـ .

وعلى يمين ويسار الباب شباك من خشب الخروط ، يتوسطهما خرط منجور ، مكتوب فيه بالكوفي المربع : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ؛ وحليت مصاريعه بأحزمة وبخاريات حديدية . وأما داخل المسجد فيتكون من ثمانية عمد رخامية ، تحمل عقودا مسقوفة ، يتوسطها منور ، وقد غُشيت جميع الجدران بالقاشاني المغربي ، ويتوسط الكثير من أجزائه زهريات جميلة لها قاعدة

(*) انظر الصور من رقم ٢٤٣ — ٢٤٦ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) جوريجي — في هذا الوضع تدل على وظيفة عسكرية تماثل يوزباشي في هذا العصر .

(٢) حجة الوقف المؤرخة غرة جماد أول سنة ١١٧٢ هـ . (٣) في دار الآثار العربية ألواح من القاشاني

عليها اسم صانعه المغربي (محمد بن عبد الكريم القاسمي) المعروف بالزريع سنة ١١٧١ هـ .

تتفرع منها غصون وأزهار تنتهي بعقد فوقه هلال ، ويوجد في دار الآثار العربية أربع زهريات مطابقة لها في الصناعة والألوان كل منها مكونة من خمسين قطعة كانت في منزل (نفيسة الجاسوسة بالقاهرة) . ولعلها من صناعة الحاج مسعود السبع . وبمؤخره دكة المبلغ وتعرف في الإسكندرية بالصندرة . أما المحراب فقد كُسي بالرخام وبالقاشاني الجميل ، ويتوسطه زهرية كاملة من القاشاني تعد من أبداع الأنواع ، وكتب على دائره بالخط الكوفي المربع : « لا إله إلا الله محمد ، رسول الله » . ويكتنف هذا المحراب عمودان أوليان ، ويقوم على يمينه منبر من الخشب المجمع بأشكال هندسية ، طعمت حشواته بالسق ، ومكتوب على باب مقدمه ما نصه :

يا مسجدا منه ضيا الأشرار راقى * لمؤسس للاجر يوم تلاق لاقى
سبب الخلاص لمن بنى إخلاصه * وله من النيران بالأشواق وافي
ووسيلة عند الظما يوم الجزا * والتفت الساق العلى بالساق ساقى
فعلامة أرخته وأساسه ^(١) * المسجد التقوى لعبد الباقي باقى
سنة ١١٧١

ثم اسم الصانع ، ما نصه : « عمله الحاج السيد عبد المولا الطويبي » وكتابات بالكوفي المربع .



(زهرية قاشاني)

ووجود أسماء الصناع على الآثار الإسلامية في مصر يعد من الأمور النادرة غير أن الإسكندرية وبلدان الوجه البحري قد حفلت بعدد غير قليل منهم ، وأكثره ما كان في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري (السابع عشر والثامن عشر الميلادي) . ويحيط بالمسجد من جوانبه الثلاثة القبالية والغربية والبحرية إيوانات مسقوفة ذات عقود محمولة على عمد ، وقد بنيت هذه العقود وخاصة البحرية منها بالطوب المنجور ذي اللونين الأحمر والأسود . وهذا التخطيط الذي نرى فيه قاعة الصلاة محاطة بإيوانات يشاهد أيضا في مسجد الحاج إبراهيم تربانة بالإسكندرية ، المنشأ سنة ١٠٩٧ هـ (١٦٨٥ م) وغيره من مساجد الإسكندرية ورشيد .

(١) هذا نظم ريك مختل الوزن والمعنى ، ولولا أنه نص تاريخي يعول عليه في تاريخ المسجد لما عنت بالإشارة إليه .

وهو مقتبس من الطراز العثماني الذي أدخل على مساجد مصر ، فهو يرى في مسجد سنان باشا ببولاك ، المنشأ سنة ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م) ومسجد أبي الذهب بشارع الأزهر المنشأ سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) غير أنهما أمتازا بأن المسجد غطى بقبة كبيرة ، وغطيت الإيوانات حوله بقباب صغيرة ، مع تنوع في التفاصيل .

ودورة المياه منعزلة عن المسجد في الجهة الغربية ومنخفضة عنه مغطاة بمصليات معقودة مخوصة ، وقد اقتصر هذا النوع من زخرف المصليات على الإسكندرية ورشيد .

وقد هدمت منارة المسجد ، وكانت قائمة أمام الرواق الغربي فوق مصلبة تنكئ على جدار الرواق ، وعلى عمودين من الرخام ، وهي ميزة انفردت بها مساجد الإسكندرية مثل منارة مسجد تربانة .

وبمناسبة المنارة أذكر طريقة كانت متبعة في منارات مساجد الإسكندرية ولا زالت متبعة حتى الآن في مسجد البوصيري ، وهي نشر علم أخضر في أوقات الصلاة نهارا وإضاءة مصباح ليلا إيذانا بحلول وقت الصلاة ليستدل بذلك من بعد عن المدينة من لم يسمع الاذان ، وهي طريقة جاءت إلى الإسكندرية من بلاد المغرب فقد رأيتها في مدينة الجزائر ، ولعلها ترجع إلى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) فقد أمر بها السلطان أبو عنان في مسجد القرويين بفاس في سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) .

أما إضاءة المنارات فقد استعملت في مصر والشام والجزيرة في شهر رمضان فقط إيذانا بالسحور على أن تطفأ قبل أذان الفجر ، ولشعراء مصر والإسكندرية فيها أشعار طريفة فمن ذلك ما أنشده الأديب أبو الجحاج يوسف بن علي من شعراء أول القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) :

هذا لواء سحور يستضاء به * وعسكر الشهب في الظلماء جرّار
والصائمون جميعا يهتدون به * كأنه علم في رأسه نار
وأنشد الأديب علي بن ظافر من أدباء نهاية القرن السادس وأول السابع الهجري :
وليلة صوم قد سهرت يمينها * على أنها من طولها تعدل الدهرا
حكي الليل فيها سقف ساج مسمر * من الشهب قد أضحت مساميره تبرا

(١) زهرة الآس ص ٢٩ ، الامتضاء ج ٢ ص ١٠٢

(٢) و (٣) بدائع البداية ص ١٤٧ ، ١٤٩

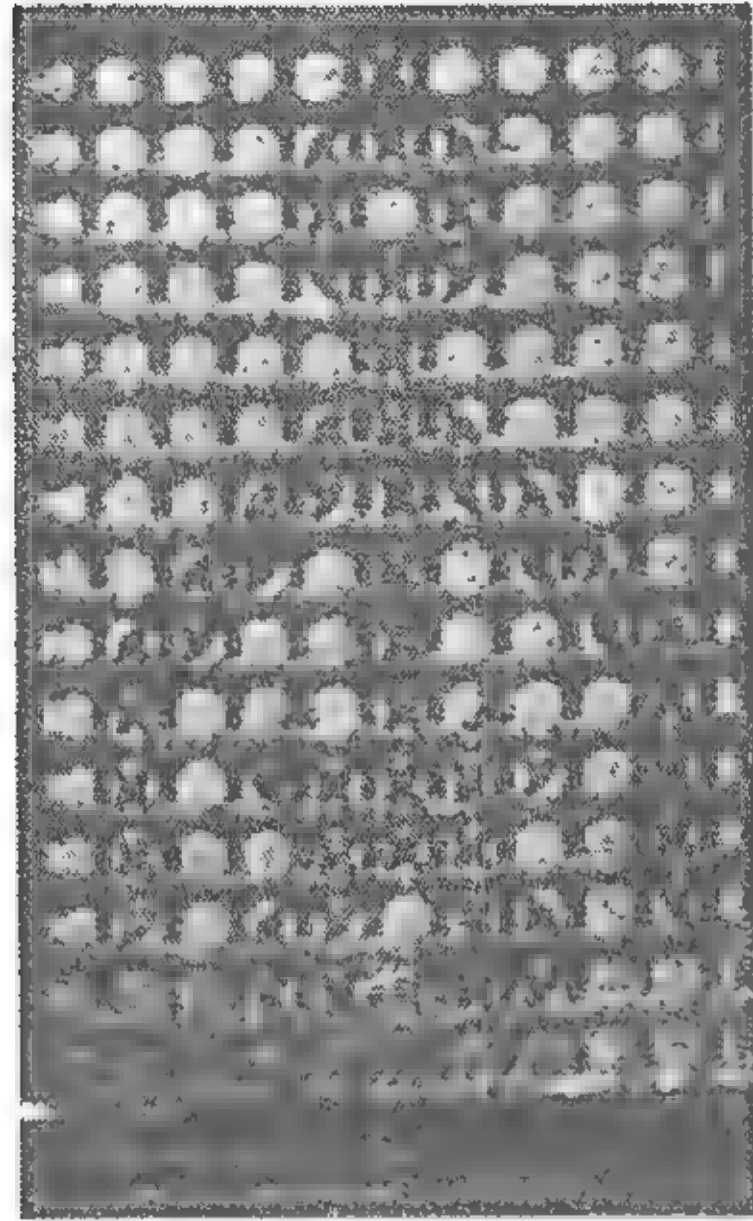
وقام المنار المشرق اللون حاملا * لفانوسه والليل قد أظهر الزهرا
كما قام رومي بكأس مدامة * وحيّا بها زنجية وشحت دترا
وأنشد الأديب القاضي أبو الحسن بن النبيه :

حبذا في الصيام مثذنة الجا * مع والليل مسبل أذياله
خلتها والفانوس إذ رفعتـه * صائدا واقفا لصيد الغزاله

وأنشد الأديب الرشيد أبو عبد الله محمد بن متانو :

أحبب بفانوس غدا صاعدا * وضوءه دان من العين
يقضى بصوم وبفطر معا * فقد حوى وصف الهلالين

ومن منشآت الأمير - رحمه الله - وكالة تلاصق المسجد من الجهة البحرية الشرقية ،
ويشرف عليها الإيوان البحري للمسجد ، ولهذه الوكالة عقود مبنية بالآجر الملوّن باللونين الأحمر
والأسود، وهى من الوكائل الجميلة التى يندرج وجود مثلها بالإسكندرية .



مسجد النبي دانيال

بشارع النبي دانيال بالإسكندرية

دانيال النبي — هو دانيال النبي أحد أنبياء بني إسرائيل، قيل : إن معنى دانيال : « الله قاض » أو « قاضى الله » ، وهو من أسرة عريقة في الحسب . ويُظَن أنه ولد في اورشليم حسب ما حققه المؤرخ الشهير يوسيفوس ، وأنه هو الذى كتب سفر دانيال^(١) .

وفي سنة ٦٠٦ ق م ، وهى السنة الثالثة من ملك يواقيم بن يوشيا أحد ملوك بني إسرائيل في الدولة الثالثة^(٢) — صعد بختنصر ملك بابل إلى بيت المقدس وسبأها ، وجلا أكثر أهلها إلى بابل ، ومعهم دانيال النبي والفتية الثلاثة أولاد يواقيم أعمام دانيال النبي ووضع الجزية على يواقيم ورجع عنه .

اختاره البابليون هو ورفقاؤه ليتعلموا لغة الكلدانيين ، وعلموهم وألقوهم بالقصر الملكى ، وسمى دانيال بلطشاصر ، لحافظ على ديانتهم وتمسك بها ، وأرتقى بمحنته إلى أعظم منصب في مملكة وثنية ، وبسبب تحقيق نبوءته في تفسير أحلام لبختنصر وداريوس عظم شأنه وعلت منزلته ، وعين أول الوزراء الثلاثة في دولة داريوس ، ونال حظوة كبيرة في بلاط بابل ، وبقي بها إلى أن مات ، وظل تابوته في السوس بخوزستان .

مسجد النبي دانيال — بناء هذا المسجد بسيط ، ومن طرازه وطراز منارته القديمة التى كانت قائمة على يسار الباب العمومى ، أعتبرته من أبنية القرن الثانى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) ، كما أن عقود المصلبة المؤدية للقبة ومقرنصات المنور فوق القبر ، وطراز القبة التى كانت تعلوه ترجع إلى هذا العصر .

وهذا المسجد وإن كان المرحوم على باشا مبارك^(٣) كتب عنه أن المغفور له محمد على باشا جده ووسعه سنة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م) ، فإن طراز بنائه لا يتفق وطراز أبنية محمد على باشا ، وعلى الأخص مدفن الأسرة المجاور له ، كما أن الوثائق التاريخية التى تفضل المغفور له الأمير الجليل عمر طوسون

(١) تاريخ الاسرائيلين ص ١٤٩

(٢) تاريخ مختصر الدول ص ٦٩

(٣) الخطط الجديدة ، ج ٧ ص ٧٠

باعطائي نسخة منها أثبتت أن إنشاء مدافن الأسرة المجاورة للمسجد كان سنة ١٢٣٨ هـ ، وأن إصلاح المسجد كان سنة ١٢٦٧ هـ^(١) (ديسمبر سنة ١٨٥٠ م) . وصرف عليه ١٩٠ جنيها .

وعند ماحقق سمو الأمير في بحثه المنشور في الأهرام يوم ١٨ مارس سنة ١٩٣٠ عدم وجود النبي دانيال بالإسكندرية اعتمد في بحثه على ماجاء في تاريخ الرسل والملوك للطبري وعزز هذا الرأي بما كتبه ياقوت الحموي في معجم البلدان وأبي الفدا في تاريخه المختصر في أخبار البشر طبع مصر.



داخل المسجد

ولاني أدم رأي سموه بما كتبه
كثير من المؤرخين المعتمد على رأيهم ،
فقد كتب مؤلف مرصد الاطلاع عن
السوس^(٢) أنها «بلدة بخوزستان وجد فيها
جسد دانيال فدفن في نهرها تحت الماء» .

وعند ما تكلم ابن العبري في تاريخه
عن دولة ملوك بني اسرائيل ذكر أنه^(٣)
«في السنة الثالثة من ملك يواقيم بن
يوشيا صعد بختنصر ملك بابل الى بيت
المقدس وسبها وجلا أكثر أهلها الى
بابل ومعهم دانيال النبي» .

وذكر الواقدي في فتوح الإسلام
لبلاد العجم أن أبا موسى الأشعري بعد

أن فتح السوس وجد خزانة مقفلة ، ففتحها فوجد فيها حجرا طويلا على مثال الخوض ، وفيه رجل
ميت قد كفن بكفان منسوجة بالذهب فكتب إلى عمر بن الخطاب يخبره ويطلب رأيه فأخبره
الإمام على بأنه قبر النبي دانيال^(٤) ، فأمر سيدنا عمر بدفنه ، فطاب أبو موسى من أهل السوس أن
يحبسوا نهرهم إلى موضع آخر ، ودفنه في قاع النهر ، ثم أجرى النهر ثانيا .

(١) وثيقة رقم ٤٢٦ — ٢٣ صفر سنة ١٢٣٨ هـ من المحفوظات الملكية ، والأميرين رقم ٥٣ ، ٥٤ بتاريخ ١٩ ،

٢٩ المحرم سنة ١٢٦٧ هـ ٢٤ نوفمبر ، ٤ ديسمبر سنة ١٨٥٠ م .

(٢) مرصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٦٧ (٣) تاريخ مختصر الدول ص ٦٩

(٤) فتوح الإسلام لبلاط العجم ص ٧٤ — ٧٥ ، مسالك الممالك للاصطخري . ص ٩٢

وفي فتوح البلدان للبلاذري أن فتح السوس كان في أواخر سنة ١٥ وأوائل سنة ١٦ هـ (٦٣٧ م). ولما فتحتها أبو موسى وجدها في قلعها بيتا وعليه ستر، فسأل عنه فقيل له : إنه جثة دانيال النبي ، فكتب إلى عمر بذلك ، فأمره بدفنه ، فدفنه في النهر ^(١) .

وإذ انتهينا من أقوال نقات المؤرخين التي أجمعت على وجود النبي دانيال بمدينة السوس نبحت عن منشأ القول بوجوده بالإسكندرية ، وإلى أي تاريخ ترجع رواية وجوده في كوم الديماس .

لعل أول من ذكر أنه بالديماس ابن عطاء الله السكندري ، وقد أشار إليه تلميحا لا تصريحاً في رواية متناقضة ضمن الفصل الذي عقده عن علم أبي العباس المرسى وزهده إذ يقول : « ولقد أخبرني الشيخ مكين الدين الأسمر ^(٢) قال دخلت مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالإسكندرية بالديماس فوجدت النبي المدفون هناك قائماً يصلي ، عليه عباءة مخططة ، فقال لي : تقدم فصل . فقلت له : تقدم أنت وصل . قال تقدم أنت وصل : فإنكم من أمة نبي لا ينبغي لنا التقدم عليه ... » .

ويفهم من هذه الرواية وتضاربها أنها تتعلق بنبي يسبق العصر الإسلامي .

ولما ثبتت أخبار الرحالة الإسلاميين الوافدين على الإسكندرية لم أجد أحدا منهم تعرض لذكر النبي دانيال ، وخاصة المتقدمين ، فلا الحافظ السلفي ، ولا ابن خزيمة ، ولا ابن جبير ، ولا أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوي مؤلف كتاب ألف باء ، ولا ابن بطوطة ، ولا ابن فضل الله العمري ، إلا خالد بن عيسى البلوي في رحلته تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ^(٣) ، فإنه بعد أن أشاد بذكر الإسكندرية وقت أن زارها سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) ذكر تلميحا وجود بعض الأنبياء إذ قال : وفيها تربة بعض الأنبياء — عليهم السلام — وترب بعض التابعين — رضوان الله عليهم أجمعين — .

وأول من ذكره تصريحاً غرس الدين خليل الظاهري ^(٤) نائب السلطنة بالإسكندرية المتوفى سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) إذ يقول : « وبها من المزارات والأماكن المباركة ما يطول شرحه ، منها مشهد دانيال عليه السلام » .

(١) فتوح البلدان ص ٣٧٨

(٢) لطائف المتن ص ٩٤

(٣) المكين الأسمر عبد الله بن منصور شيخ الإفرأ بالإسكندرية . توفي بها سنة ٦٩٢ هـ (١٢٩٢ م) . وفيه بجوار

مسجد باقوت العرشي . (٤) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق .

(٥) كتاب زبدة كشف الممالك ص ٤١ طبع باريس .

هذا ما يتعلق بالنبي دانيال، ومنه يتبين أن إشاعة وجوده بالإسكندرية ترجع الى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ولم يأخذ بها أجلة العلماء. ويوجد بالموصل^(١) مدرسة عرفت بالنبي دانيال لوجود ضريح بها كان يقال إنه للنبي دانيال .

وقد لازمت هذا المسجد فكرة وجود قبر الإسكندر فيه ، فقد تقي المرحوم محمود باشا الفلكى فى كتابه عن الإسكندرية المطبوع سنة ١٨٧٢ وجود النبي دانيال بالإسكندرية وقال : إنه توفى قبل إنشاء الإسكندرية بأكثر من ثلاث قرون ثم قال : إن القبر الذى يعزى إليه^(٢) يمكن أن يكون قبر الإسكندر ، وتبعه فى ذلك المغفور له الأمير عمر طوسون فى بحثه الذى أشرت إليه ، إذ رجع أن القبر الموجود فى مسجد النبي دانيال هو قبر الإسكندر .

وقد نما هذا النحو مسيو بريشيا فى مجلة الفن الحى^(٣)، ثم فى بحث له فى تاب المتحف الجريكى الرومانى الذى قزر فيه : « أن شكل مقبرة النبي دانيال غريب فى الحقيقة عن الطرز الإسلامية ، ويرجع تصميمها إلى المراديب اليونانية كالتى آكتشفت بالشاطبي، والأنفوشى، والورديان ... » . ثم نشر الدكتور إبراهيم الدسوقي فى جريدة المقطم فى يناير سنة ١٩٤٣ وفى نشرة خاصة لحضرته ملخصا لما كتبه المرحوم ان الفلكى باشا ، وحضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون ، والدكتور بريشيا والأب لويس عضو الجمعية الأثرية بالإسكندرية من أن الإسكندر مدفون فى مسجد النبي دانيال ، وأن ضريح النبي دانيال جدير بالبحث وأستخراج البحث التى به لفحصها علميا .

وبناء على طلب المرحوم الأمير الجليل عمر طوسون وافق المرحوم عبد الهادى الجندى باشا وزير الأوقاف وقتئذ على البحث فى مقبرة النبي دانيال ودراستها ، فتفضل سموه وعهد إلى بهذا العمل فى شهر فبراير سنة ١٩٤٣

وقبل الدخول فى تفاصيل أعمال الحفر نلقى نظرة على أقوال المؤرخين الإسلاميين الذين ذكروا قبر الإسكندر، فنجد أن أقدم مؤرخ إسلامى وصف قبره هو المسعودى^(٤) ، فقد وصفه على ما كان موجودا عليه سنة ٣٣٢ هـ (٩٤٣ م) غير أنه لم يحدد موضعه ، ولم يقل إنه بالديماس ، فإن صحت مشاهدة المسعودى له فلأنى أرجح أنه لم يكن بالديماس فى ذلك الوقت لسببين وجيهين :

(١) مخطوطات الموصل ص ٢٠٤ (٢) Mémoire sur l'Antique Alexandrie p. 51-24.

(٣) ص ٥٧٧ عدد ١٣٤ وفيها صورة للقبة والمئذنة قبل هدمها .

(٤) مروج الذهب طبع بولاق ، ج ١ ص ١٤١

(أولاً) أن الحافظ السلفي ذكر الديماس كقبرة إسلامية في غير موضع من معجمه ، كما سيأتي بيانه ، وذلك في مبدأ القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ولم يذكر شيئاً عن قبر الإسكندر .
(ثانياً) أن العلامة محمد بن خزيمة^(٢) الذي قدم الإسكندرية سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٤ م) وصف أسوارها ومساجدها ومسلاتها ، ووصف الديماس ولم يذكر قبر الإسكندر به ؛ إذ يقول مالمخصه :
« وذكروا أنه كان بقرب كوم ديماس وجامع العسلية بحرى طرف الكوم قصر مغلق قيل إنه كان به رصد يجمع الكثاسة من البلد على كوم الديماس » .
فلو كانت مقبرة الإسكندر موجودة لذكرها كذكره لجامع العسلية ، ولو كانت هناك وأندثرت لذكرها كذكره للقصر .

ومن الغريب بل ما يوجب الشك أن المسعودي يصف القبر سنة ٣٣٢ هـ (٩٤٣ م) ويأتي بعده القضاعى بنحو ١٢٠ سنة فيصف أعلام الإسكندرية ولم يذكر قبر الإسكندر . وبعد القضاعى أبو الحجاج يوسف بن عبد البلوى الذى زار الإسكندرية سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٧ م) ووصف المنار أحسن وصف ، كما وصف مسجد سليمان^(٣) ، فإنه لم يتعرض لقبر الإسكندر .
ومثله ابن جبير الذى زار الإسكندرية سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) وعبد اللطيف البغدادى المتوفى سنة ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ م) فإنهما وصفا عمود السوارى والمنار ، ولم يتعرضا لقبر الإسكندر .
وها هو ياقوت الحموى^(٤) المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م) يقرر صراحة رأيه فى الإسكندرية بقوله :
« وقد دخلت الإسكندرية وطوّقتها فلم أرفيها ما يعجب منه إلا عمودا واحدا يعرف الآن بعمود السوارى تجاه باب من أبوابها يعرف بباب الشجرة ، ثم وصف المنار ورسمه ، وختم وصفه بقوله : فهذا الذى شاهدته وضبطته ، وكل ما يحكى غير هذا فهو كذب لا أصل له » .
وهكذا مؤرخو ورحالة القرنين الثامن والتاسع الهجري (الرابع عشر والخامس عشر الميلادي) مثل ابن بطوطة ، والبلوى صاحب تاج المفرق ، وابن فضل الله العمرى مؤلف كتاب مسالك الأبصار ، والمقرئى ، وابن دقاق ، وخاصة نائب الاسكندرية غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى فإنه وصف الإسكندرية ومعالمها ، ولم يتعرض لقبر الإسكندر .

(١) الحافظ السلفي ، هو الفقيه أبو طاهر أحمد بن محمد بن سلفة ، أصحاني الأصل ، قدم الإسكندرية سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م) وبنى بها إلى أن توفى سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) . (٢) كتاب فضائل الإسكندرية ، مخطوط . (٣) ألف با ، ج ٢ ص ٥٣٦ — ٥٣٧ . (٤) معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٤١ — ٢٤٢ .

وكذلك رحالة القرن السادس عشر الميلادي لم يذكره أحد منهم لا تلميحاً ولا تصريحاً، فلو كان قبر الإسكندر موجوداً وذكره مؤرخ سابق لتقلوا عنه مثل ما تقلوا وصف المنار . وأيضاً فإن كثيراً من زائري الإسكندرية من الأجانب في القرن الخامس عشر لم يذكروا قبر الإسكندر ، بينما وصفوا المنار وعمود السواري ، ومنهم سبرياك دي انكوناه الذي زارها سنة ١٤٣٥ م . فإنه لم يصف سوى منارة فاروس والمسلات وعمود السواري ، وكذلك برناردى بريد نباخ .

وقد ذكر ليون الإفريقي في القرن الخامس عشر أنه رأى أهالي الإسكندرية يعظمون قبر الإسكندر كتعظيمهم للنبي^(٢) . وفي سنة ١٥٤٦ م ذكر مارمول أنه شاهده في وسط المدينة قريباً من كنيسة سان مارك^(٣) . ويقول على باشا مبارك : « وفي القرن الخامس عشر للبلاد كانت أهالي الإسكندرية تفرج السائحين على قبر إسكندر ، لكن من أين لنا أنه القبر الحقيقي^(٤) » .

وأقتصر بعض رحالة القرنين : الخامس عشر والسادس عشر من الأجانب على ذكره يجعلني أرجح أنهم زاروا ضريح الإسكندر الموجود حتى الآن بشارع مشمش البصل قسم اللبان بتضليل من عوام الإسكندرية ، وهذا ليس بمستغرب ، فإنا حتى اليوم نجد من يقول على جوهر القنقباتي المدفون بمدرسته بالأزهر أنه جوهر الصقلي ، وإن عبد الله بن عمرو بن العاص مدفون في جامع عمرو ، وكالأضرحة المزعومة في المساجد مثل سيدي محمد الأقر في الجامع الأحمر الذي أنشاه الأمر بأحكام الله ، وغير هذا كثير ، وكلها أضرحة مفتعلة ومكذوبة للاستجداء عليها .

وإني أكتفى بهذا القدر من الناحية التاريخية، متقللاً إلى الناحية الفنية .

البحث في مقبرة النبي دانيال .— على هدى المغفور له سمو الأمير عمر طوسون وإرشاداته القيمة بدأت أعمال الفحص والتنقيب بمقبرة النبي دانيال، وقد تفضل سموه وأرشدني إلى أن العمود القائم بجوار مسجد عبد الرزاق تجاه مسجد النبي دانيال قائم على منسوب الإسكندرية القديم ، وهو ينخفض عن شارع النبي دانيال بمقدار ستة أمتار .

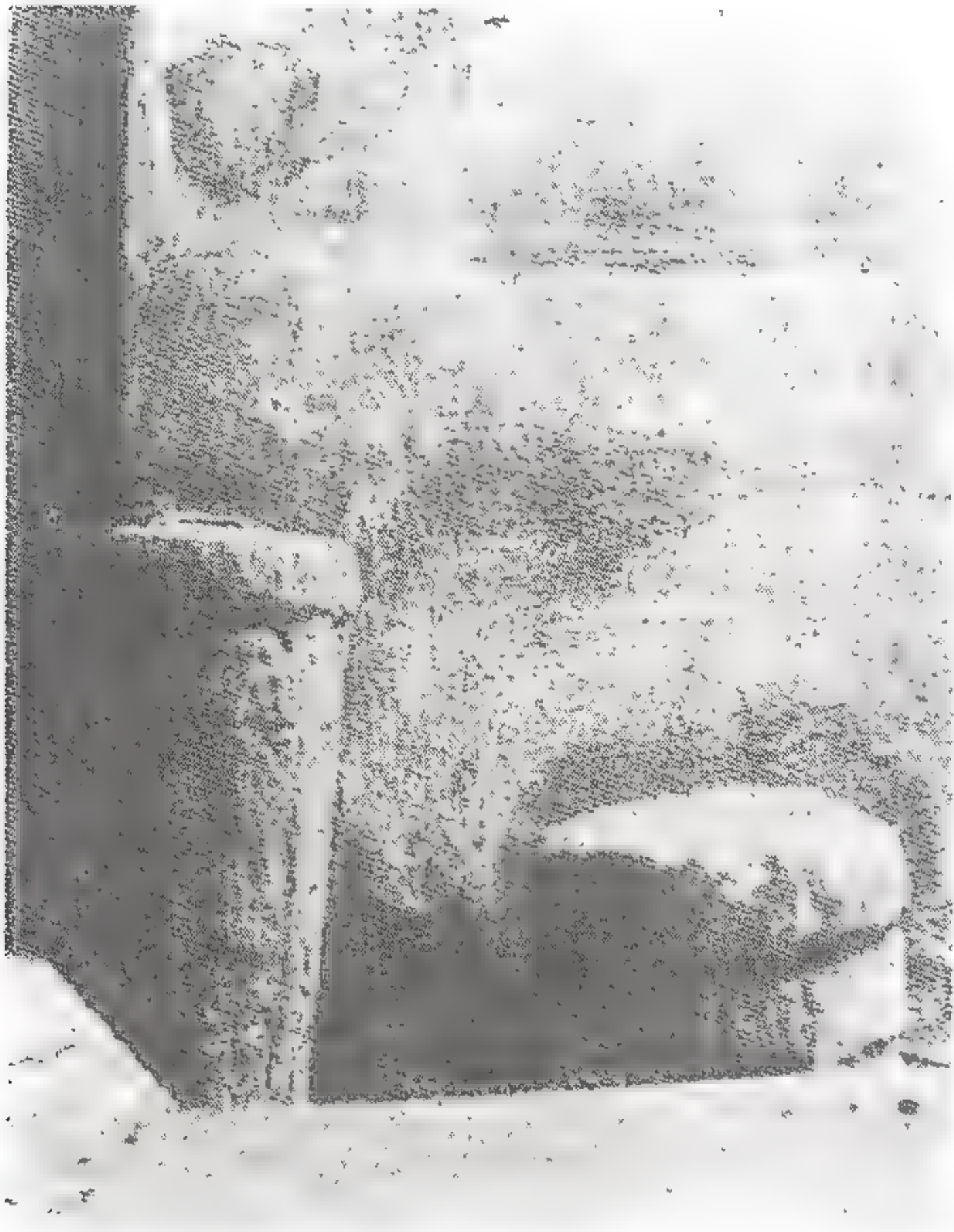
وأول شيء قمت به هو فحص طراز البناء في عقود المترو الموصل لمقبرة النبي دانيال ومقرنصات المنور المثلث أعلى القبر المزعوم ، وعقود الإيوانات حوله والقبعة القديمة التي كانت تعلوه ، وأنهت إلى أن مجموعة هذه المباني لا يزيد عمرها على مائتين وخمسين عاماً تقريباً .

(١) الإسكندرية ص ٤١ . (٢) الخطط الجديدة ج ٧ ص ٤٢ .

(٤) الخطط الجديدة ج ٧ ص ٣١ .

وقد تبين أن الأرضية الخشبية للضريح على عمق ٢,٣٦ مترا من شارع النبي دانيال، وأن الدهليز مكون من أربعة عقود مصلبة، تنتهي إلى مربع يحيط به ثلاثة إيوانات معقودة، بالشرق منها محراب على سمت محراب المسجد، ويعمل المربع مثنى به مقرنصات متأخرة الصنعة، كانت تعلوه قبة لم يبق سوى قاعدتها بالمقرنصات.

أما القبة فقد هدمت منذ زمن غير بعيد، ويتوسط هذا المربع تابوت خشبي، يجاوره في الناصية القبالية الغربية تابوت آخر أصغر منه كتب عليه أنه قبر الحكيم لقمان، كما كتب على ستر التابوت الكبير « قبر النبي دانيال ».



بدأت برفع الستر ثم الصندوق الخشبي الموضوع على قبر النبي دانيال، فوجدت تركيبة حديثة مبنية بالطوب، مسنمة على مثال القبور المحدثّة بالإسكندرية، وعلى غير اتجاه القبور الإسلامية، كما لاحظ حضرة صاحب السمو الأمير، ولا توجد عليها نصوص تاريخية.

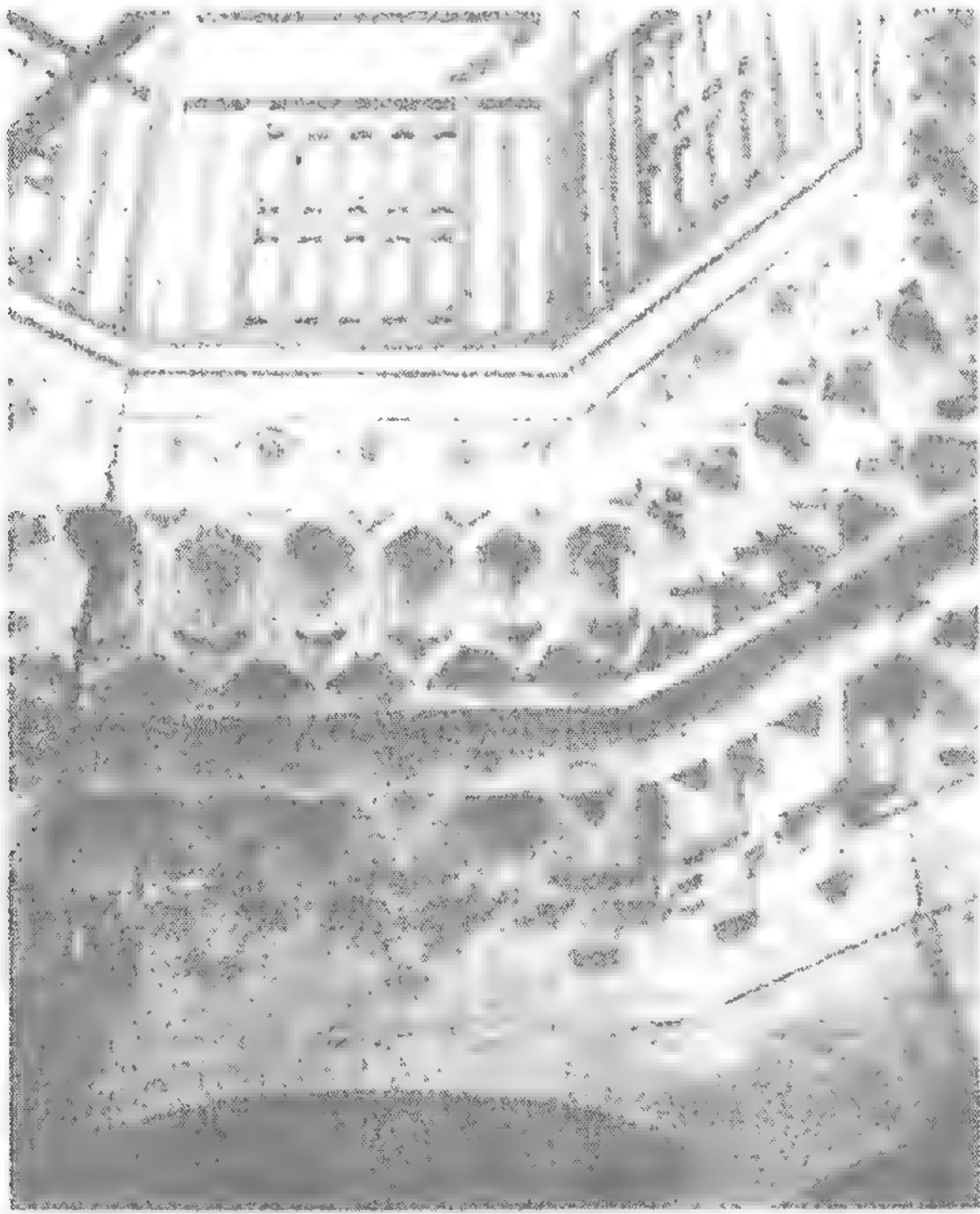
ثم آخبرت تربة الأرض، فسمعت لها رنيناً يؤكد أنها مردومة وليست طبيعية، ثم رفعت الستر والصندوق عن قبر الحكيم لقمان، فلم أجد تركيبة،

عمودان قبل استخراجهما من مقبرة الحكيم لقمان بل وجدت رأسى عمودين مطمورين متجاورين في وضع غير مألوف في القبور كما هو واضح في الصورة الفتوغرافية، وكان ظاهراً من أحدهما ٣٢ سم، ومن الآخر ٥٠ سم. وبالحفر حولهما في حفرة مساحتها ١ × ١ × ٢ متر استخرجت أولهما وطوله ٦٥ سم. ومكتوب عليه بالخط الكوفي آية من القرآن وقد تشوّه، فقرأت تاريخه بما نصه: « الجمعة مستهل ربيع الآخر سنة عشرين وخمسمائة هـ ».

ثم استخرجت العمود الثاني وطوله ١,٣٢ متر وقطره ٢٦ سم، فإذا به شاهد مكتوب عليه بالخط النسخ أحد عشر سطراً نصها:

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله يدشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم » . إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند ملك مقتدر . توفي الشيخ أبو القاسم بن أبو الحسن بن أبو القاسم الباجي في شهر جمادى الآخر من سنة إحدى وستين وخمسائة رحمة الله عليه وعلى جميع المسلمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

ولهذا الشاهد أهمية كبيرة لدى الأثريين ، إذ أنه يعد من بواكير استعمال الخط النسخ في كتابة النصوص التاريخية بمصر . ثم واصلت الحفر الى نحو ١,٦٠ متر تقريبا فوجدت الأرض مردومة



بأنقاض مختلفة وبها بقايا جدار معلق ؛ ثم أستخرجت منها جزءا من شاهد مكتوب عليه بالخط الكوفي ما نصه :

« ... الحساب — ابنة نصر مولى
عبدالله بن محمد تشهد ألا إله إلا الله وحده
لا شريك »

وقاعدة كتابة هذا الشاهد ترجع الى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، ثم واصلت الحفر الى نحو مترين فلم أجد سوى ردم . وفي الواقع فإن هذه الحفرة كانت بمثابة مجس للقبرتين المزعومتين لأنهما متجاورتان .

مقرنصات المنور

ثم اتجهت لفحص الصهريج الملاصق للإيوان الغربي للقبرة فوجدت بأرضيته بئحة توصل الى الطابق الأسفل له ، ووصلنا في الحفر فيه الى عمق ثمانية أمتار ، أى أعمق من مستوى العمود أمام مسجد عبد الرزاق بمترين واستخرجنا من أعمق نقطة فيه بقايا عمودين من الرخام الأخضر الداكن مقاس أحدهما ١٧ سم ، والآخر ٤٠ × ٩ سم .

ثم فتحت بفوتين في الجدار الشرقى للصهريج متجهها لمقبرة النبي دانيال ، فاتضح أن ما خلفهما ردم ، كما استخرجت قطعة صغيرة من الرخام بها حروف كوفية وزخارف فاطمية .

وقد تحقق ما ذهبت اليه من أن هذا الصهريج أجريت فيه أبحاث، فقد نشر مسيو بريشيا نتيجة فحصه له وللجسات التي أجراها خارج الصهريج . غير أني خرجت من فحص هذا الصهريج بنتيجة ثابتة عن تطورات ارتفاع الأرض في هذه المنطقة ، لوجود ثلاث فتحات لهذا الصهريج بعضها فوق بعض : العليا مع مستوى شارع النبي دانيال ، والوسطى مع مستوى الأرض الخشبية للقبرة ، والسفلى — وهي أقدمها — على عمق نحو مترين تقريبا من الوسطى .

وبعد التحقق من أن أرضية المقبرة المزعومة ردم لا قبور فيها، قمنا بحفر في الإيوان الغربي من الصهريج على مقربة من تربة النبي دانيال ، وواصلت الحفر إلى منسوب الإسكندرية ، فأتضح أن الأرضية مردومة ، وبها بقايا جدران علفت أسسها على ارتفاعات مختلفة ، كما وجدت أرضية في جزء منها وعظاما قليلة مبعثرة في الردم .

وعلى عمق مترين استخرجت عمودا من الرخام مطمورا مقاس ٧٠ × ١٤ سم مشوها مكتوبا عليه بالخط النسخ :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، كل من عليها فان ... الآية ... توفي العبد الفقير إلى رحمة الله ... عبد ال ... الجمعة مستهل شهر ... سنة أربعة عشر وسبع مائة » .

وفي هذه الحفرة وعلى عمق ٢,٢٠ متر اتجهت مشرقا إلى أن وصلت تحت القبر المزعوم بعد أن استخرجت كثيرا من الدبش المرصوص بدون مونة ، إلى أن تحققت من عدم وجود قبور، لا قديمة ولا جديدة .

وعلى عمق ٣,١٠ متر ظهرت بقايا أبنية مستديرة لعلها بقايا بئر مطمورة فيها عمود من الرخام على غير استقامته ، وقد دل هذا الحفر بوضوح على أن هذه المنطقة نبشت عند تشييد هذا المسجد ، لأن جدران الصهريج الحالي علفت على عمق بسيط ، ومن المحقق أنه عند حفر الأساس عثر على قبور وشواهد ، فطمرت على ارتفاعات مختلفة ، وهذا يدل دلالة قاطعة على أن هذه البقعة استعملت مقبرة إسلامية منذ ألف سنة على الأقل بدليل :

(١) العثور على شاهد قبر مكتوب بالخط الكوفي في القرن الرابع الهجري .

(٢) العثور على شاهد قبر مؤرخ سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) .

(٣) العثور على شاهد قبر مؤرخ سنة ٥٦١ هـ (١١٦٥ م) .

(٤) الشاهد المودع بالمسجد المؤرخ سنة ٥٩١ هـ (١١٩٥ م) باسم ظافر بن جماعة بن شعيب .
ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد كل نفس ذائقة الموت — الى — فن زحزح
عن النار وأدخل الجنة فقد فاز . توفي سيدى ظافر ابن جماعة بن شعيب فى العشر الآخر من ربيع الآخر
سنة إحدى وتسعين وخمسمائة رحمه الله وإيانا وجميع المسلمين آمين » .

(٥) الشاهد المودع بالمسجد المؤرخ سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ م) باسم أبو الفقى الفاسى . ونصه :
« بسم الله الرحمن الرحيم كل من ... ويبقى وجه ربك ذو الجلال وإ ... الصالح أبو الفقى أبو ب ...
الفاسى توفى فى شهر محرم سنة ثلاث وثلاثين وستمائة قدس الله روحه ونفع به حيا وميتا » .

(٦) العثور على شاهد قبر مؤرخ سنة ٧١٤ هـ (١٣١٤ م) . هذا عدا شواهد أخرى مكتوبة
بالخط الكوفى نقلت الى دار الآثار العربية سنة ١٩٠٢

فان جاز القول بأن بعض هذه الشواهد مثل القطع الصغيرة نقل وطمر للردم فانه لا يجوز مطلقا
أن يقال ذلك على العمد الضخمة الثقيلة .

ويؤيد استعمالها مقبرة إسلامية عدا الشواهد المستندات التاريخية الجديدة التى استخرجتها من
معجم السلفى الذى قدم الإسكندرية سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م) وأقام بها إلى أن توفى سنة ٥٧٦ هـ
(١١٨٠ م) ، فقد ذكر فيه من لقيه من علماء الإسكندرية وغيرها ، وتاريخ وفاتهم ، ومنهم من
دفن فى مقبرة وعلة ^(١) ، ومنهم من دفن فى مقبرة باب البحر ^(٢) ، ومنهم من دفن فى مقبرة الديماس
(هذه المنطقة) ^(٣) ، وهم :

- (١) الفقيه هبة الله بن المحسن المتوفى سنة ٥١٤ هـ (١١٢٠ م) دفن بالديماس .
- (٢) أبو الحسين يحيى بن عبيد بن سماعة الحضرمى المعروف بالعداس وبالجلبانى . توفى
فى آخر صفر سنة ٥٢١ هـ (١١٢٧ م) ودفن بمقبرة الديماس .
- (٣) القاضى أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن حديد قاضى الاسكندرية المتوفى فى جمادى الآخرة
سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٥ م) صلى عليه فى مقبرة الديماس .

(١) مقبرة وعلة : كانت داخل الدور قبل الباب الأخضر ، وهى المنطقة الموجود فيها الآن مسجد الطرطوشى فى حى
باب الكراسته .

(٢) مقبرة خارج باب البحر — المنطقة الموجود فيها مسجد أبو العباس المرسى .

(٣) هذه التراجم مستخرجة من نسخة مأخوذة بالفتوغراف من كتاب معجم السلفى تنقص الأزل والآثر ومحفوظة

فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٢٢ تاريخ فى مجلدين .

(٤) أبو الحسن علي بن يحيى الكّامى الجلالى المعروف بالناهض المتوفى في آخر المحرم سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) دفن بمقبرة بالديماس .

(٥) العلامة ابن العريف المتوفى في المحرم سنة ٥٣٧ هـ (١١٤٢ م) دفن بمقبرة بالديماس .
(٦) ياقوت مولى أبي طالب الهيتى التاجر المتوفى في رجب سنة ٥٣٩ هـ (ديسمبر سنة ١١٤٤ م) دفن بمقبرة بالديماس .

ومن دفن بالديماس أيضا الشيخ المعتقد المجذوب نهار المغربى الإسكندرى المتوفى يوم الاثنين ٢٦ جمادى الأولى سنة ٥٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) فانه دفن بتربة بالديماس^(١) .

والآن وقد أثبت التاريخ والحفريات أن الديماس أو على الأصح هذا الجزء منه أستعمل مقبرة إسلامية منذ ألف سنة ما زالت موجودة ، كما أنشئ به غير مسجد ، وأن الحفريات أثبتت أن الجزء الموجود فيه المقبرة المنسوبة خطأ إلى النبي دانيال نبش وطمرت شواهد وعظامه عند تشييد البناء الحالى .

فاذا صح أن الإسكندر دفن بالسوما^(٢) في نقطة أخرى منها غير مسجد النبي دانيال .

(١) المثل الصافى لابن تفرى بردى ، خط ، النجوم الزاهرة ج ٥ قسم ٢ ص ٣٣٦ طبع كفرنيا .

(٢) السوما — أى الجسد قسم من السرايات الملوكية . قال استرابون : وهو عبارة عن سور يحيط بقبور الملوك وقبر الإسكندر .

وبما قاله بعض المؤرخين . إن موضع سوما هو فى أسفل التل المشيد فوقه حصن كوم الديماس . ويرى المرحوم محمد بك مسعود أن لفظة سوما أو سوماس اليونانية تشبه فى النطق تقريبا لفظة ديماس العربية التى أغلب حروفها مثل أغلب حروف الأخرى ، وكانت لفظة سوماس تطلق على هذا المحل نفسه ، إلى أن دخلت العرب مدينة سكندرية فحرفت هذه الكلمة وصارت ديماس (ص ١١٥ النسخة الدهرية) .

مسجد كريم الدين الخلوٲى

هذا المسجد بشارع البرمونى عند تلاقيه بشارع^(*) الخليج المصرى عند قنطرة سنقر .

الخلوٲى — هو الشيخ محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوٲى . ولد سنة ٨٩٦ هـ (نوفمبر سنة ١٤٩٠ م) ونشأ نشأة صوفية فصارىحضر مجالس الذكر لينشد فيها ، إذ كان حسن الصوت ، وقد أخذ عن الشيخ دمرداش الذى عطف عليه وقربه منه وتلقى عنه علوم الأوقاف والحرف والزايعة والرمل ، فآقنها وتآلق نجمه ، حتى آتته اليه الرياسة فى طريق الخلوٲية ، وكثر تلامذته ، وحسن آعتقاد الناس فيه ، وأقام فى زاوية بالقرب من قنطرة سنقر إلى أن آوفى إلى رحمة الله تعالى فى جمادى الآخرة سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) عن نحو تسعين سنة ، وكثر أسف الناس عليه ، وبعد الصلاة عليه فى الجامع الأزهر دفن^(١) بهذا المسجد .

وقد آتخذت زاويته مقرا للخلوٲية ، ومدفنا لبعض مشايخها ، فقد زارها سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٤ م) الرحالة عبد الفنى النابلسى ، وذكر من دفن بها بقوله :

« ... مررنا على جامع الخلوٲية ، فدخلنا إليه ، وزرنا هناك قبور الخلوٲية الدمرداشية وهم : الشيخ كريم الدين ، والملقب بكوز^(٢) البغا ، والشيخ عبد الجواد ، والشيخ أحمد ، والشيخ محمد ، والشيخ محمد ماميه والد الشيخ عبد الرحمن الخلوٲى ، فقرأنا لهم الفاتحة ، ودعونا الله تعالى » .

ووجود اسم « كوزلبغا » ضمن من ذكر فى هذه الأسماء له أهمية كبيرة ، فقد لفت النظر إلى أن جامع الخلوٲية هو الجامع الذى أنشأ فى هذه المنطقة كوزلبغا فى دولة الظاهر چقمق ، فقد ترجمه السخاوى وقال عنه :

« وخدم عند فيروز الساقى ، ثم توجه للعبادة والتلاوة ، وبني جامعا على الخليج الحاكى بالقرب من شق الثعبان ، وقنطرة سنقر وآتقطع به إلى أن مات فى أيام الظاهر چقمق^(٣) وهذا التحديد ينطبق على الموقع الموجود فيه المسجد الحالى .

(*) انظر الصور من رقم ٢٤٧ — ٢٤٨ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) المخطط الجديدة ، ج ٤ ص ١١٠ (٢) الحقيقة والمجاز ، ص ١٤٩ (٣) الضو. اللامع ، ج ٦

ص ٢٢٧ ، والمقرزى ، ج ٢ ص ٣٣١

وفي سنة ١١٧٣ هـ (١٧٥٩م) جدد المسجد الأمير إيواز بك، ولم يبق من المسجد القديم الذي أنشأه كوزلبغا إلا الجزء الأسفل من المنارة حتى الدورة الأولى .

ومكتوب بحزامها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، يا أيها الذين آمنوا آذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا (الآية) . صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم » .

وباقى المنارة يرجع الى تجديد إيواز بك ، كما أن الباب الخارجى للمسجد والوجهة المتصلة به أحدث عهدا من عمارة إيواز بك ، وقد عني إيواز بك بزخرفة بابه الأوسط بالنقوش والكتابات ، والقاشانى ومكتوب عليه :

بالحسنين آل بيت طاهر * لذ تعط ما ترجوه من مفاجر
فالخلوتى ذو التقى لما بهم * لاذ آرتقى فى كل سر باهر
مسجده قد زاد فى إشراقه * نورا بديعا حسن المآثر
جده من قد أنير قلبه * فقلت منشدا بقول ظاهر
يا سعد إيواز فقد أزخته * أبشر بعفو من معزقادر

(١١٧٣)

وداخل المسجد يتكون من ثلاثة إيوانات تحدد بصحن مكشوف ، أكبرها الإيوان الشرقى المشتمل على ثلاثة أروقة بها ستة عمد رخامية والجانبيين القبلى والبحرى من رواق واحد ، وداخل هذا المسجد تسوده البساطة ، شأن مساجد ذلك العصر ، ويستريح النظر فى هذا الإيوان أشتماله على محرابين : أحدهما يمين المنبر ، ويتألف من قطعة واحدة من حجر البازلت الأسود ، لعلها كانت غطاء لتابوت مصرى . ويعلوه تربيعة حديثه من القاشانى ، منقوش بها بيت ريفى وشجرة وحولها ترايع صغيرة من القاشانى .

أما الإيوان الغربى فقد حل فى قسم منه باب يوصل الى باب المنارة والى قبة كبيرة أقيمت على عقود حليت أركانها بمقرنصات . وتحت هذه القبة وفى الحجر غربيا قبور كريم الدين الخلوتى ، والشيخ عبد الجواد ، والشيخ عبد الرحمن الخلوتى وغيرهم ولا شك أن كوزلبغا مدفون مع هؤلاء على ما رواه النابلسى الزحالة .

مسجد السيدة عائشة

بشارع السيدة عائشة

السيدة الشريفة عائشة بنت جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وهي أخت الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه .

كانت رضي الله عنها من العابدات القانتات المجاهدات ، ويؤثر عنها أنها كانت تقول مخاطبة المولى جل شأنه : وعزتك وجلالك لئن أدخلتني النار لآخذن توحيدى بيدي وأطوف به على أهل النار وأقول لهم : وحدته فعذبني . وقد توفيت الى رحمة الله تعالى سنة خمس وأربعين ومائة^(١) .

هذه ترجمة موجزة لسيدة من آل البيت النبوي الكريم ، شرف جثمانها الطاهر أرض مصر ، ووجدنا منذ ستمائة سنة شبه إجماع على وجودها بمصر ، فترى ابن الزيات وهو خير من ألف في أعلام القرافين الكبرى والصغرى يقول عند ذكره مشاهد باب القرافة : « وأصح ما بالحومة مشهد السيدة عائشة لها نسب متصل بالإمام الحسين بن علي بن أبي طالب^(٢) » .

وتبعه السخاوي في كتابه « تحفة الأحياب » في التصديق على أنها بمصر ، وأنه عين قبرها في تربة قديمة على بابها لوح رخامي مكتوب عليه : « هذا قبر السيدة الشريفة عائشة من أولاد جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه . توفيت سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة^(٣) » .

وتبعهما الإمام الكبير الشيخ عبد الوهاب الشعراني فذكرها ضمن عباد النساء بقوله : « ومنهن السيدة عائشة بنت جعفر الصادق رحمها الله المدفونة بباب القرافة بمصر رضي الله عنها^(٤) » .

وقد نلخص المرحوم علي باشا مبارك مجموعة من آراء المؤرخين ، وسردها بقوله : « قال الشعراني في منته : « أخبرني سيدي علي الخواص رضي الله عنه أن السيدة عائشة رضي الله عنها ابنة جعفر

(١) طبقات الشعراني ، ج ١ ص ٧٦ ، العدل الناقد ص ٩٤ ، شاهد الصفا في المدفونين بمصر من آل المصطفى ،

الإنحاف بحب الأشراف للشبراوي ص ٩٧ (٢) الكواكب البارة في ترتيب الزيارة ، ص ١٨٥

(٣) ورقة ٤٢ تحفة الأحياب للسخاوي نسخة المرحوم أحمد زكي باشا التي أشار إليها في مجله المنشور في الأهرام يوم

٣ أغسطس سنة ١٩٣١ وهي نسخة صحيحة . (٤) طبقات الشعراني ، ج ١ ص ٧٦

الصادق في المسجد الذي له المنارة القصيرة على يسار من يريد الخروج من الرملة إلى باب القرافة «
وهي السيدة عائشة بنت جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين وأخت موسى الكاظم،
قال المناوي كانت من العابدات : ماتت سنة خمس وأربعين ومائة^(١) .

ومن هذا نرى أن مؤرخي مصر ممن عتوا بهذه الناحية أجمعوا تقريبا على أنها شرفت مصر
وتوفيت سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) .

تاريخ المسجد — أنشأ هذا المسجد الأمير الكبير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٦ هـ
(١٧٦٢ م) .

والأمير عبد الرحمن كتخدا هو ابن الأمير عثمان كتخدا تابع حسن جاويش القازدغلي، آلت إليه
ثروة والده وكانت شيئا كثيرا، ثم سافر إلى الج سنة ١١٥٥ هـ (١٧٣٩ م) .

وفي سنة ١١٦١ هـ (١٧٤٨ م) عين كتخدا بمصر وبقى في هذه الوظيفة سنتين سار فيها سيرة حسنة
فأبطل المنكرات . وكان عبا للخير رصد الكثير من ثروته على الفقراء للنفقة عليهم وكسوتهم صيفا
وشتاء ، وكانت له عناية كبيرة بالجامع الأزهر وطلبته ، فقد زاد فيه وأصلحه ووقف عليه خيرات
كثيرة، كما أهد به مدفنا له ، دُفن فيه لما توفي في صفر سنة ١١٩٠ هـ (١٧٧٦ م) .

وكان مغرما بالعمارة خيرا بالهندسة فأنشأ القناطر والدور والمساجد والزوايا والربط والأسبله
والأحواض والرباع والأسواق في أنحاء القاهرة، ما زال اسمه مسطورا على مجموعة كبيرة منها .

وكان يعتمد على خبرته في مواصفة وتنفيذ منشآته المعمارية التي أمتازت بالقوة والجمال وكثرة
الزخارف ودقتها بحيث ميزتها على جميع منشآت عصره . وكانت له عناية خاصة بالمشاهد المنسوبة إلى
أهل البيت وتجديده لها ، فقد جدد المسجد الحسيني ومشاهد السيدة زينب ، والسيدة سكينة ، والسيدة
نقيسة ، والمشهد المعروف بالسيدة عائشة ، وغيرها من المزارات . والمساجد الكبيرة^(٢) ، وقد كان لهذا
المشهد نصيب من عنايته ، ولا تزال أعماله باقية حتى الآن .

ولهذا المسجد وجهة غربية أشتملت على باين تقوم بينهما المنارة ، والباقي منها دورتها الأولى .
وقد كُتب على عتب الباب البحري ما نصه :

(١) المخطوط الجديدة، ج ٥ ص ٤٣ — ٤٤ ، إسعاف الراغبين ص ٨٦

(٢) الجبرق، ج ٢ ص ٦

مسجد أسسه النبي فتراه * كبدور تهدي بها الأبرار
وعباد الرحمن قد أترخوه * تتلألا بحيمه الأنوار

١١٧٦



باب المسجد الموصل للقبّة

ومن هذا الباب يتوصل الى داخل المسجد ، وقد عمر سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) .

أما الباب الثاني فتوجد على يساره المنارة ، ومكتوب عليه :

بمقام عائشة المقاصد أترخت * سل بنت جعفر الوجيه الصادق

١١٧٦

وهذا الباب يؤدى إلى طرقة على يسارها باب له عقد تحيط به كرايش متعرجة يؤدى إلى المسجد وبصدرها باب القبة مكتوب عليه :

لعائشة نور مضى، وبهجة * وقبتها فيها الدعاء يحاب

وهى من القباب البسيطة تسودها البساطة من الداخل والخارج ، فرشت أرضيتها بالرخام الملون، وتوسطها مقصورة خشبية حول القبر الشريف .

ومن المربح وجود حجرة تحت أرضية هذه القبة تضم تابوتا أثريا، كما هو مألوف فى كثير من المشاهد وفى سنة ١٩١٣ قامت لجنة حفظ الآثار العربية بفحص قبة محمد الأنور بإشراف الخليفة ، وكانت من القباب الفاطمية، وقد تبين أنها لبيا جددت سنة ١١٩٥ هـ (١٧٨١ م) احتفظ بقاعدة القبة القديمة وبالقبر بها ، وعملت أرضية جديدة ، وجد الفرق بين الأرضيتين ٣,٠٠ متر وكذلك الحال فى المشهد الحسينى كما سبق شرحه . ولعل الظروف تساعد على التحقق من ذلك .

ورحم الله أحمد زكى باشا فقد سبقنا إلى تحقيق هذا المشهد ، ونادى على رؤوس الأشهاد بقوله : إن المشهد القائم فى جنوبى القاهرة باسم السيدة عائشة النبوية هو حقيقة متشرف بضم جثمانها الطاهر، وفيه مشرق أنوارها ومهبط البركات بسببها .

عناية الملك الصالح فاروق الأول بالمسجد — ولما أدى فيه حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول فريضة الجمعة يوم ٨ المحرم سنة ١٣٥٩ هـ (١٦ فبراير سنة ١٩٤٠ م) أمر بإصلاح المسجد والعناية به ، فنفذت رغبة جلالة السامية .

وقد تناولت أعمال الإصلاح إصلاح الأبواب ودكة المبلغ ، وعمل منبرله ، ونقشت سقفه بزخارف عربية ملونة ، وأحيطت جدران المسجد بوزرة خشبية ملونة تقليدا للرخام ، كما نقش المحراب بالبوية الملونة محاكاة للحايرب الرخامية . وكتب بوسطه قوله تعالى « قد نرى قلب وجهك فى السماء فانولينك قبله ترضاها » :

مسجد البيومي

بشارع البيومي^(٥)

الشيخ علي البيومي — هو الإمام الولي الصالح المعتقد العالم العامل الشيخ علي بن حجازي ابن محمد البيومي الشافعي الخلوتي، ثم الأحمدي، ولد تقريبا سنة ١١٠٨ هـ (١٦٩٦ م) وحفظ القرآن وطلب العلم، وأستمع إلى دروس علماء وقته، وأخذ طريقة الخلوتية عن السيد حسين الدمرداشي العادلي، وسلك بها مدة، ثم أخذ طريق الأحمدية، وكثر تبعه، فصار للناس فيه اعتقاد عظيم، وآتبع كثير من الناس طريقته وأذكاره.

وكان يعتقد حلقات الذكر هو وأتباعه في جامع الظاهر ببيبرس بميدان الظاهر لقربه من داره بالحسنية، ثم أخذ يعقدها في المشهد الحسيني كل ثلاثاء من كل أسبوع، ولم يصرفه سلوك هذا الطريق عن العلم، بل واصل الاشتغال به، وترك مؤلفات منها: شرح الجامع الصغير، وشرح الحكم لأبن عطاء الله السكندري، وشرح الإنسان الكامل للجيلي، وله مؤلف في طريق الخلوتية الدمرداشية ألفه سنة ١١٤٤ هـ (١٧٣١ م)، وشرح الأربعين النووية، ورسالة في الحدود وشرح على الصيغة الأحمدية وعلى الصيغة المطلسة.

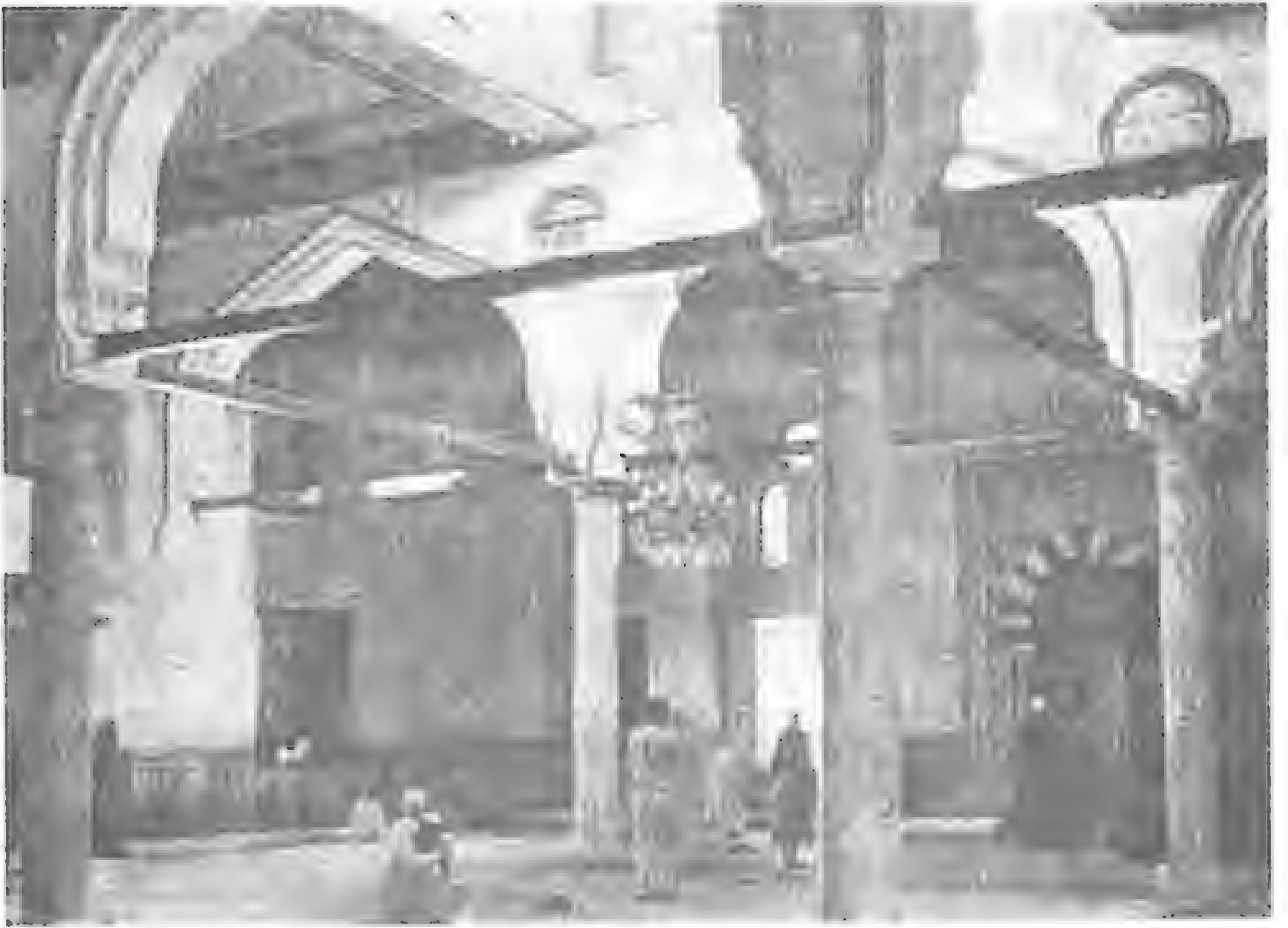
ومما يؤثر عنه أنه كان إذا تكلم في التصوف أفصح في البيان، وأستحوذ على أذهان سامعيه، وكان ملبسه صيفا وشتاء لا يعدو جلبابا أبيض وطاقية بيضاء يعم عليها بشملة حمراء، وإلى الآن نرى أتباع طريقته يتمنون بهذه العمام.

وقد بلغ من حسن اعتقاد الناس فيه أن تاب كثير من العصاة واللصوص على يديه، وآتبعوا طريقته، فكان إذا قدم إلى المشهد الحسيني يشور في الذكر حتى يصير كالوحش، وفي غاية القوة، فإذا جلس بعد الذكر عاد إلى حالته هادئا رزينا.

وكان الشيخ عبد الله الشبراوي شيخ الجامع الأزهر يعتقد فيه، ويرى أنه من كبار العلماء والأولياء، ولذلك عهد إليه بأن يلقي درسا في الجامع الأزهر، فقرأ في المدرسة الطيرسية الأربعين النووية، وحضر عليه أكثر علماء وقته، فبهروهم بعلمه.

وقد أنتقل إلى رحمة الله تعالى في سنة ١١٨٣ هـ (١٧٦٩ م) ، وصلى عليه في الجامع الأزهر ثم دفن بهذا المسجد .

تاريخ إنشاء المسجد — روى الجبرتي المؤرخ^(١) أنه لما كان مصطفى باشا واليا على مصر من قبل الدولة العثمانية أحب الشيخ البيومي واعتقد فيه ، فتنبأ له الشيخ بأنه سيكون صدرا أعظم ، فلما تحققت نبوءته أرسل إلى عثمان أغا في مصر وأمره ببناء مسجد للشيخ البيومي ، يلحق به قبة وسبيل وكتاب ، فنفذ ما أمره به سنة ١١٨٠ هـ (١٧٦٦ م) .



داخل المسجد بعد تجديده

هذه هي رواية الجبرتي ، غير أن الكتابة التاريخية التي بالمسجد لا تتضمن الإشارة إلى شيء من ذلك . إذ كتب على بابيه الشرقي والغربي ما نصه :

«صاحب الخيرات عثمان أغا الوكيل تابع المرحوم الحاج بشير أغا دار السعادة كان سنة ١١٨٠ هـ

(١٧٦٦ م) . .

(١) الجبرتي ج ١ ص ٣٣٨

وعندى أن خلق هذه الكتابة من أسم مصطفى باشا يبعث على الشك في صحة الرواية التي تقدم ذكرها ، ويجعلنى أعتبر عثمان أغا هو المنشئ ، لأن حالات كثيرة مثل هذه كتب فيها اسم الأمر بالإنشاء والمشرّف على التنفيذ، كما هي الحال في تكية السلطان محمود بالحسانية المنشأة في سنة ١١٦٤هـ (١٧٥١ م)، فقد أمر بإنشائها السلطان محمود خان ونفذ أمره بشير أغا دار السعادة فأثبت ذلك في الكتابات التاريخية بها .

وصف المسجد — يقوم هذا المسجد في الحسينية، وله وجهتان : إحداهما الشرقية تشرف على شارع البيومي، وبها الباب، وقد ألحق بها جوض لشرب الدواب، مكون من عقدتين، يتوسطهما عمود رخامى، به من الداخل صنف مقرنصة . والوجهة الثانية القبيلة على شارع السبع والضبع، وبها الباب والمنارة والقبّة، ويعلو هذا الباب لوح تاريخى مكتوب عليه : «صاحب الخيرات عثمان أغا الوكيل تابع المرحوم الحاج بشير أغا دار السعادة كان سنة ١١٨٠ هـ» .

وأمام هذه الوجهة سبيل وكتاب من إنشاء عثمان أغا أيضا، طرأ عليه تغير، وباب السبيل مكتوب عليه أبيات من الشعر تضمنت أسم عثمان أغا وتاريخ سنة ١١٨٠ هـ .

وكان داخل الجناح يتكون من عمد تحمل عقودا فوقها سقف حافل بالنقوش، وقد أقيمت في الجهة الغربية منه دكة المبلغ، وخلفها طرفة بها مقصورة خشبية بداخلها قبر الشيخ محمد نافع أحد مشايخ الطريقة البيومية، ويجاورها باب القبّة وقد كتب عليه قوله تعالى : « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » . ويتوسط هذه القبّة مقصورة نحاسية مصبوبة بزخارف جميلة، أمر بعملها المغفور له عباس باشا الأول سنة ١٢٦٨هـ (١٨٥١ م) بداخلها قبران : أولهما الكبير قبر الولى الصالح الشيخ على البيومي، والثانى قبر العالم العامل شيخ الإسلام السيد حسن القوينى الشافعى شيخ الجامع الأزهر، المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٨ م) ^(١) .

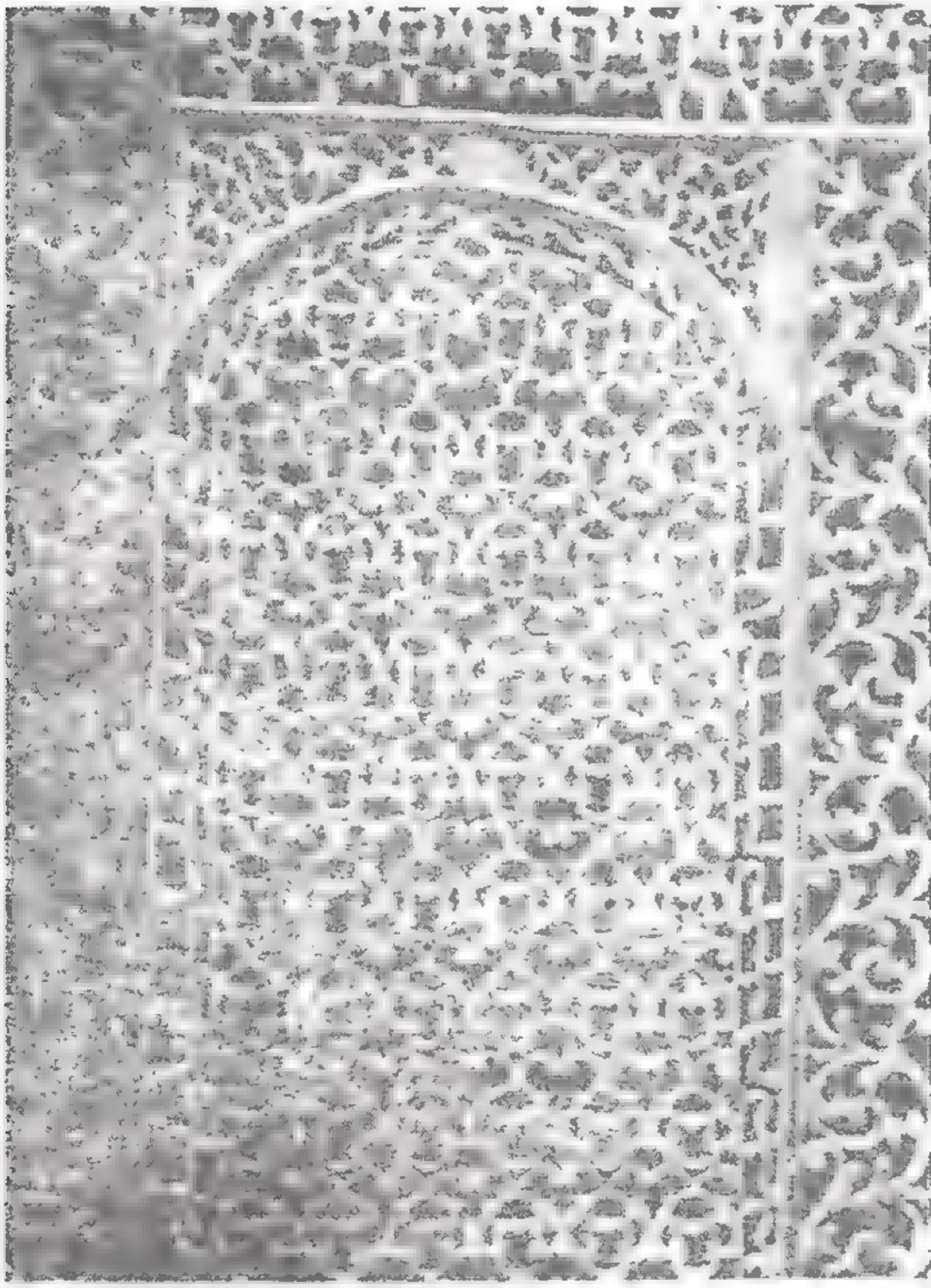
عناية جلالة الملك فاروق بالمسجد — لما طرأ خلل على المسجد، تعطلت فيه الشعائر الدينية، وبقى إلى أن أمر حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول بإزالة هذا الخلل وإصلاحه من الداخل، فقامت وزارة الأوقاف بترميم الوجهات، وهدمت عقوده الداخلية، وأعيد بناؤها، وأقيم سقف بالأسمت المسلح، حفل بشتى النقوش الملونة والمذهبة وعُلمت له ثريا نحاسية، أما القبّة والمنارة والمنبر والأبواب فقد ظلت كما هي .

وقد تفضل حفظه الله بآفتاحه يوم ٢٧ رمضان سنة ١٣٥٨ هـ (٩ نوفمبر سنة ١٩٣٩ م) بأستماع الحديث الدينى فيه . أمد الله في عمره السعيد .

مسجد محمد بك أبي الذهب

(*)
بميدان الأزهر

أبو الذهب — الأمير الكبير محمد بك أبو الذهب ، أحد أمراء مصر وولاتها الذين قاموا بدور خطير في سياستها ، فقد كان مملوكا للأمير علي بك الكبير ، إذ اشتراه سنة ١١٧٥ هـ (١٧٦١ م) وعُني بتعليمه ، ثم عينه خازن دارا له ، وجعله في صحبته حينما سافر إلى الحج حتى إذا عادا سنة ١١٧٨ هـ (١٧٦٤ م) قلده الصنجقية ، وألبسه الخلعة في حفلة أقيمت بالقلعة ، فسر بذلك محمد بك ، وصار



تفاصيل من المقصورة النحاسية

يوزع هبات ذهبية ، وينثر الذهب على الفقراء فعرف بأبي الذهب^(١) . ولما أعلن علي بك الكبير فصل مصر من الدولة العثمانية وتأسيس مملكة مستقلة كان محمد بك من أمرائه الموثوق بهم ومن أركان دولته .

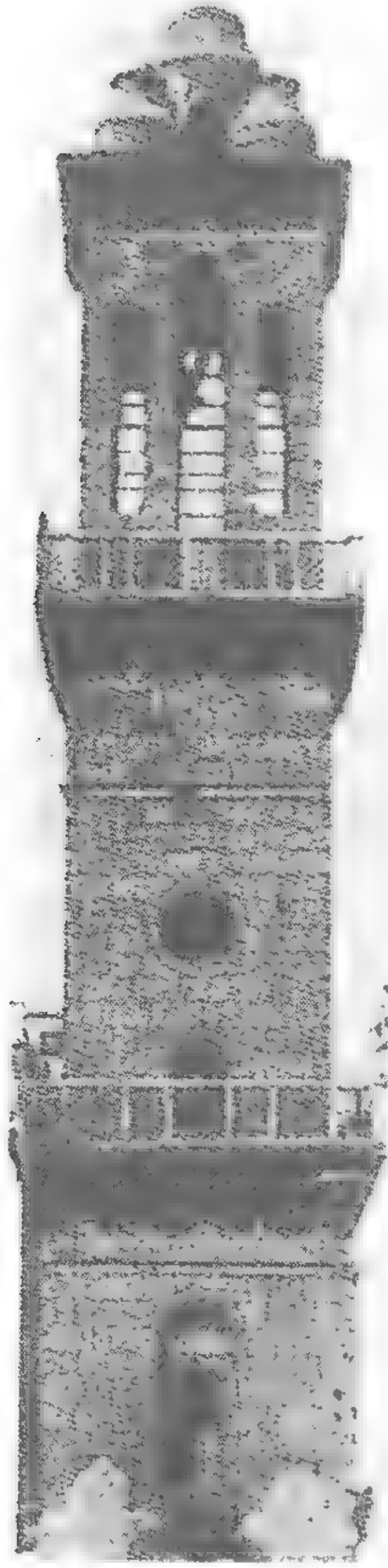
وفي سنة ١١٨٥ هـ (١٧٧١ م) عهد إليه علي بك بقيادة جيش كبير لفتح سوريا باسمه ، فأستولى على كثير من بلاد الشام ، وما إن تم له فتح دمشق حتى تفاوض سرا مع رجال الدولة العثمانية وتعاهد معهم على الغدر بولي نعمته وبسط النفوذ العثماني على مصر من جديد ، ثم عاد بجيشه الذي فتش به سوريا إلى مصر سنة ١١٨٦ هـ

(١٧٧٢ م) وقامت الحرب بينه وبين علي بك وآنهت بقتل علي بك سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) وعادت مصر ولاية عثمانية ، وخلصت إمارتها لمحمد بك أبي الذهب وتولى حكمها ووصلت إليه التقاليد في ٢ ربيع الثاني سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) .

(*) أنظر الصور من رقم ٢٥٠ — ٢٥٢ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الجبرق ، ج ١ ص ١٧٤ ، حقائق الأخبار ، ج ٢ ص ٢٠٦

وفي أوائل سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥ م) غادر مصر على رأس جيش قاصدا الشام لمحاربة الظاهر عمر ، فتوفي في عكا في ٨ ربيع الثاني سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥ م) ثم نقلت جثته إلى مدفن أعدله في هذا المسجد في ٢٤ ربيع الثاني من السنة المذكورة . ويصفه أحد معاصريه بأنه كان شهما حازما محبا للخير يحترم العلماء ويقربهم من مجلسه . ولم يعرف عنه ما يشينه في دينه ، وكان يباشر الأحكام بنفسه . رحمه الله وعفا عنه .



المنارة

ويقوم المسجد بميدان الجامع الأزهر ، وهو رابع مسجد بمصر ، وضع تصميمه على طراز الجوامع العثمانية في مدينة استامبول ، فأودع مسجد سليمان باشا بالقلعة ، وثانيها مسجد سنان باشا ببولاك ، وثالثها مسجد الملكة صفية بالداودية ، غير أن هذا المسجد يتفق مع سنان باشا في تصميمه .

وكان الشروع في إنشائه سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) والفراغ منه سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) وقد أنشئ ليكون مدرسة تعاون الأزهر في رسالته العلمية وأختار للتدريس فيه أجلة العلماء أمثال الشيخ علي الصعیدی ، والشيخ أحمد الدردير ، والشيخ محمد الأمير ، والشيخ الكفراوي وغيرهم ، وخصص وقتا ومكانا بالمسجد للافتاء ، فقرر الشيخ أحمد الدردير مفتيا للمالكية والشيخ عبد الرحمن العريشي مفتيا للحنفية والشيخ حسن الكفراوي مفتيا للشافعية . كما ألحق به مكتبة تضم نحو ٦٥٠ كتابا في شتى الفنون عني بتكوينها وأشتري لها مكتبة العلامة الشيخ أحمد بن محمد ابن شاهين الراشدي الذي كان خطيبا للمسجد . وبلغ من اهتمامه بها وتزويدها بالمؤلفات القيمة شراؤه من السيد مرتضى الزبيدي شرحه للقاموس^(٢) ببلغ مائة ألف درهم فضة ، وكان من بينها كتاب المنتظم في أخبار

الأمم لابن الجوزي ، وروضة الأخيار . في علم التاريخ ، وتحفة الأمراء في تاريخ الوزراء للصايب . وأكثرها كتب نادرة بلغ عددها في القرن الثالث عشر ١٢٩٢ مجلدا . هذا عدا المصاحف المذهبة القيمة . واحتفل بافتتاحه بصلاة الجمعة في شهر شعبان سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) وألحق بالمسجد تكية لمتصوفي الأتراك ، وسبيلا وحوضا لشرب الدواب . وهذه الملحقات تشغل الوجهة القبليّة ، وقد جددت وزارة الأوقاف التكية وخصصتها لإقامة طلبة العلم من الأتراك .

(١) الجبرق، ج ١ ص ٤١٩ (٢) الجبرق ج ١ ص ٤٠٩، ج ٢ ص ١٩٩ (٣) ذيل المقریزی (خط) .

وقد أقيم المسجد على قسم كبير من أرض خان الزراكشة، الذي اشتراه أبو الذهب وترك مدخله الملاصق للوجهة البحرية عند نهايتها الغربية، ثم أنشأ المسجد على باقى مساحته .

وهو مرتفع عن الشارع ، وأسفل وجهتيه الشرقية والبحرية حوانيت ، وكان أمام الباب البحرى سلم مزدوج من الرخام الملوّن ، وأمام الباب الشرقى سلم مستدير، وكلاهما استبدل به غيره، وهما يؤديان إلى طريقة مكشوفة تحيط بالمسجد من جهاته الثلاث .

وقد حُلّت الأبواب بالمقرنصات ، وكُشيت أعتاب الشبابيك وجلساتها بالمزرات الرخامية وغطيت بمصاريع النحاس المصبوب بأشكال زخرفية ، ومكتوب على الباب الشرقى ما نصه :

أنشأت يا مولى الأكابر مسجدا * ولواء نصرك فى البرية يسعد
ولك العناية بالسعادة أرخت * حاز الفضائل والكمال محمد

وعلى الباب البحرى :

أمير اللوا الأكرمين محمد * بمسجده حاز الفضائل والأدب

عليه ضياء للقبول مؤرخ * بسعد دام العزيز أبو الذهب ١١٨٧

والباب الشرقى يؤدى إلى طريقة تنتهى إلى منارة المسجد ، وإلى التكية الملحقة به فى الواجهة القبلىة وهى منارة كبيرة مربعة مبنية بالحجر، وقد آمتازت عن منارات عصرها بأنها مصرية الطراز ، أقرب إلى طراز منارة مسجد الغورى فهى مكونة من ثلاث دورات تعلوها خمسة رؤوس .

وداخل المسجد مربع ضلعه ١٥ مترا يتألف من قبة كبيرة لها ثلاثة أبواب ، يكتنف كلا منها شباك من النحاس المفرغ، كُشيت جلساتها وأعتابها بالرخام. والأبواب تؤدى إلى ثلاثة إيوانات يتألف سقفها من قباب صغيرة محمولة على عقود متكئة على أكتاف وأعمدة من الرخام، حُلّت طباليها الخشبية بمقرنصات .

وقد كسى ما حول أبواب القبة بالرخام الأسود والأبيض، كما غُطيت بمقرنصات مذهبة نقشت توشيحها وطعمت مصاريعها بالسق، ومكتوب على الباب البحرى منها ما نصه :

أمير اللوا أنشأت لله مسجدا * عليه بهاء العزجل الذى وهب
لك الفوز فيه بالثواب مؤرخ * لقد حاز الطاف القبول أبو الذهب

وعلى الباب الغربى :

فريد الآن مسجده تحلى * بما ستر النواظر والمسامع
لواء النصر شيده فأرخ * مكان محمد للخير جامع

وعلى الباب القبلي :

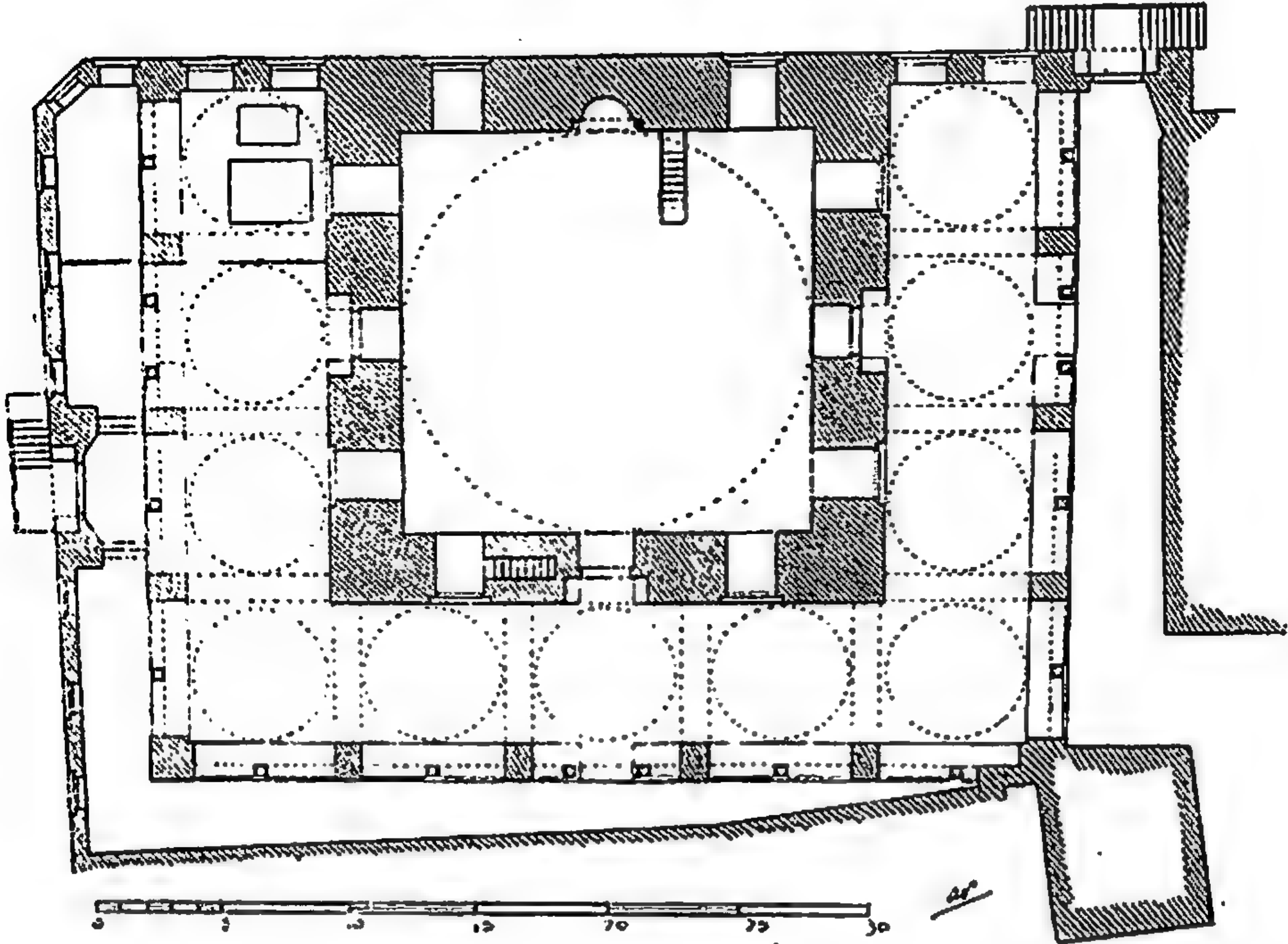
شادت يد العليا نور المسجد • لعزیز مصر نظيره لا يوجد

فيه لواء النصر لاح مؤرخا • بمحمد خير المساجد يسعد

١١٨٧

ولهذه القبة منظر يملأ النفس روعة ، وذلك لضخامتها والشبابيك القندلية بها ، والدعائم المكشوفة لها ، فهي مبنية بالججر حتى مبدأ تكويرها الذي بُني بالطوب .

وبكل من زوايا المربع الداخلية عقد به مقرنصات ولقظ الجلالة ، وفوق زوايا المربع إفريز به آيات من سورة الفتح ، وأسم المنشئ بحروف مذهبة على أرضية زرقاء بما نصه : « حررت برسم أمير اللواء السلطاني محمد بك أبو الذهب » .



مسقط أفق

ويعلو ذلك دوائر زخرفية ، وشبابيك جصية بالتناوب ، يعلوها مقرنص فالشبابيك القندلية ، وكانت القبة حافلة بالنقوش الملونة والمذهبة والكتابات كما تنبئ بقاياها . والمحراب من الرخام الدقيق والصدف ، وهو نادر بين المحاريب العثمانية ، فقد قل التطعيم بالصدف مع الرخام في عصر المماليك الجراكسة ، وأنعدم في العصر العثماني ، اللهم إلا نماذج معدودة ، وقد كتب بتوشيحته :

« ما شاء الله لا قوة إلا بالله » ويجاوره منبر خشبي طُعمت حشواته بالسق والزرنشان . ويعلو الباب الغربي دكة المبلغ ، يتوصل إليها من سلم مسجور في جدار الشباك الغربي البحري يصل الى السطح . وكانت الأرضيات مفروشة بالرخام الأبيض والدقيق الملقون ، ومنه بقايا في أرضية الشبايك وفي الطرقات أمام الأبواب .



تفاصيل من القاشاني

وفي الطرف الشرقي البحري للرواق الخارجي سياج كبير من النحاس المفرغ بأشكال جميلة ، توجد خلفه تربة المنشي . وقد كُست جدرانها بالقاشاني المغربي والتركي ، وهي مجموعة قيمة تجاورها حجرة المكتبة وعليها سياج نحاسي برسوم تغاير السياج الآخر ، وما زالت محتفظة بأرفقها المحلاة بنقوش مذهبة ، ويفصلها عن المدفن سياج نحاسي به باب ، وقد نقش عقودها بالبوية تقليدا للقاشاني ، ومكتوب حول عقدها آية الكرسي .

وهذا القسم كان كله مخصصا للمكتبة ، ولم تكن بالمسجد مقبرة للمنشي إلى أن أخذ منها هذا القسم وأعد لدفنه . ومكتوب على قبره :

هذا مقام عزيز مصر أميرها * عين الأكاير ذى العلا والسودد
أعنى أبا الذهب الذى فى عصره * كانت له الأقطار فى طوع اليد
تجرى على طول المدا صدقاته * بدروس علم أو عمارة مسجد
فسحائب الرحمت يصحبها الرضا * تهوى عليه فى المساء وفى الغد
والحور فى المأوى له قد أرتخت * دار الكرامة مسكن لمحمد

وقد دفن فى هذه المقبرة أيضا أخته زليخا هانم زوجة إبراهيم بك الكبير ومكتوب على شاهد قبرها :
« هذا قبر الست المصونة ستي زليخه زوجة أمير اللواء إبراهيم بك شيخ البلد حالا توفيت الى رحمة الله تعالى يوم الجمعة ٢٨ شهر محرم سنة ١٢١٦ » .

(١) شاهد القبر محفوظ فى دار الآثار العربية . وقد ذكر الجبرق فى حوادث سنة ١٢١٦ أنه فى يوم الجمعة ٤ ربيع الثانى نقلت جثتها وعملوا لها قبرا بجانب أخيها .

ويوجد بالسطح مزولة مكتوب عليها :

« مزولة قائمة على خط المشرق والمغرب منحرفة تسعين درجة وتسمى بالخيط المساطر بعرض مصر المحروسة برسم صاحب الخيرات محمد بيك أبو الذهب دام عزه رسمه الفقير محمود بن حسن النيشي في ١٨ جماد سنة ١١٨٨ » .

وللمسجد مزولة أخرى من عمل محمود بن حسن النيشي في غرة جمادى الأولى سنة ١١٨٨ مودعة بدار الآثار العربية مكتوب عليها : « منحرفة نه شرقى جنوبى بعرض مصر برسم صاحب الخيرات محمد بك أبو الذهب دام بقاءه » .

ويلاحظ أن هذا المسجد كان يغلب عليه الزخرف المذهب ، مما جعل المنشئ يستحق — عن جدارة — تلقيبه بأبي الذهب .



مزولة بسطح المسجد

مسجد حسن باشا طاهر

بركة الفيل

طاهر باشا — هو محمد باشا طاهر ، كان قائدا للجنود الألبانيين أثناء ولاية خسرو باشا على مصر . وطاهر باشا والمغفور له محمد علي باشا هما اللذان أوعزا إلى جنودهما بالتمرد على خسرو باشا ، والتخلص من مظالمه ، مما اضطرت خسرو باشا إلى الهرب هو وعائلته وبقية من جنوده إلى دمياط .

وفي ١٤ المحرم سنة ١٢١٨ هـ (٦ مايو سنة ١٨٠٣ م) عين طاهر باشا قائم مقام لوالى مصر ، إلى أن يصدر أمر تعيينه أو تعيين غيره .

على أن طاهر باشا لم يدم له الأمر ، فقد آشتهر بالظلم والجبروت ، فلم يلبث في منصبه هذا إلا ١٦ يوما ثارت عليه الجند خلالها لطلب مرتباتهم ثم قتلوه في شهر صفر سنة ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م) ودفنوه في قبة عند بركة الفيل^(١) .

وكانت هذه الحركات^(٢) وما تبعها من تدبير المغفور له محمد علي باشا بحكمة وروية هي السبب في مناداة الشعب به واليا على مصر ، فأنتقدها من الفوضى ، وسار بها إلى بر السلامة .

تاريخ إنشاء المسجد — بعد وفاة محمد باشا طاهر عني حسن باشا طاهر وأخوه عابدين بك طاهر ببناء القبة التي دفن فيها وأنشأ بجوارها مسجدا ألحقا به سبيلا وكتابا .

وكان الفراغ من بناء هذه المجموعة في سنة ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩ م) . ويعتد هذا المسجد من المساجد القيمة بالنسبة لمساجد عصره إذا استثنينا مسجد المغفور له محمد علي باشا المنشأ بعده . فالوجهة القبالية تشتمل على القبة والباب الرئيسي والمئذنة والسبيل والكتاب ، والقبة بنيت بالجرى إلى

(*) انظر الصور من رقم — ٢٥٣ — ٢٥٤ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) بركة الفيل ليست بركة بالمعنى المفهوم الآن ، وإنما أطلقت على أرض زراعية يغمرها ماء النيل وقت الفيضان ، وكانت تروى من الخليج المصرى وبعد نزول الماء تزرع أنواعا شتوية . ثم تحولت أراضيها تدريجيا من الزراعة إلى السكن منذ سنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٠ م) فأنشئت حولها قصور العظماء ، ولم يبق من أراضيها بغير بناء حتى سنة ١٢١٥ هـ (١٨٠٠ م) وهى التى رسمت فيها الخطة الفرنسية لخريطة القاهرة إلا قطعة أقيمت عليها سراى الحلبية (رمزى بك) .

(٢) الحركة القومية ، ج ٢ ص ٣٣٩ ، حقائق الأخبار ، ج ٢ ص ٢٢١ ، الجبرى ، ج ٣ ص ٢٤٧ ، الدول

الإسلامية ، ص ١١٥



نهاية الرقبة المنقوشة وأركانها مدرجة، ثم بالطوب وبها تضييع بسيط، ومكتوب على عتب شبابها :
« لا إله إلا الله محمد رسول الله ١٢٢٤ » ؛ يعلوه نفيس من القاشاني ثم نقوش ومقرنصات، ويكتنف
الشباك مربعان حليا يجفوت يتوسط إحداهما مفروكة ودائرة مفرغة .

وباب المسجد عقده مداينى مخصوص يسترعى النظر فيه العمد الصغيرة المفرغة المكتنفة لشبابه
الصغير، والمعروفة عند المماريين « بثلاثة وآية » ومكتوب على عتبه : « أنشأ هذا المسجد المبارك من
فضل الله سبحانه وتعالى أفندينا حسن باشا طاهر والأمير عبيد بك طاهر غفر الله لهم في [سنة
أربع وعشرين ومائتين وألف] » . ويعلوه نفيس من القاشاني ونقوش موزقة .

وعلى يمين الباب سبيل بصنبورين مكتوب عليه « وسقام ربهما شرابا طهورا، الآية، ١٢٢٤ »
يعلوه مربع بداخله ثمن كسيت أضلاعه بالقاشاني، يحاوره سبيل وكتاب، وفي الطرف الشرقى
المنارة، وهى مكونة من دورتين ومبنية بالحجر، ولها مقرنصات متقنة الصناعة متنوعة
الأشكال وشقق درازين الدورة الأولى مفرغة بأشكال زخرفية متنوعة وتنتهى من أعلى بترس
أسفل الخوذة .

وأما هذه المنارة غير مقصور على رشاقتها فحسب بل لأنها خالفت طرز المنارات العثمانية
الأسطوانية ذات المسلة التى شاع إنشاؤها فى هذه الحقبة. وأنشئت على طرز منارات مصر المملوكية.

وقد حليت الوجهة بإفريز منقوش بزخارف موزقة كما نقش وجه حوض السبيل .

وتقوم القبة على يسار الداخل من الباب، وقد حلى وجهها بالنقوش والقاشاني والمقرنصات،
ومكتوب على عتب بابها ما نصه : « هذا مقام الأربعين والنازل بجوارهم أفندينا محمد باشا طاهر،
والأمير يوسف بك رحمهم الله تعالى أجمعين سنة ١٢٢٤ » .

(١) الزيادة عن على باشا مبارك ج ٤ ص ٨٧

(٢) الأربعين نسبة أطلقت على عدة زوايا وأضرحة بمصر على غير أساس . وهذه المناسبة أذكر ما وقع لى من مسميات
الأربعين، فقد كان عدد المالك الخاكية الذين يعهد اليهم بتشيع المحمل أربعين .

وبمناسبة وجود هذه النسبة فى حلب وفى أنحاء الشام، وإطلاقها على أضرحة وكناش، كتب عنها الأستاذ كامل الفزى
بجنا طر يفا فى مجلة المجمع العلمى بدمشق سنة ١٩٣٦ إذ يقول ما ملخصه : اختلف المسلمون والنصارى فى هؤلاء الأربعين
رجلا، فالنصارى يقولون : إنهم الأربعون شهيدا . والمسلمون يقولون : إنهم أربعون رجلا من الأبدال المتدركين بالكون.
على ما ذكره الشيخ عبد العزيز الخواص فى كتابه الإبريز .

ويرى حضرته أنها نسبة خرافة لا أصل لها؛ وهذا ما نفى حضرته عليه .

ويوسف بك مدفون مع طاهر باشا في قبر واحد بداخل هذه القبة ومكتوب عليه :

وزير مصر للاله لقد مضى * لا اعتراض لحكم مولا قاهر

عليه رضا الرحمن قلت مؤرخا * في جنة الفردوس محمد طاهر

١٢١٨

وعلى شاهد آخر : « هذا قبر المرحوم يوسف بك طاهر توفي الى رحمة تعالى يوم الخميس ...

شعبان سنة ١٢٢٣ » .

كما توجد مقبرة أخرى مكتوب عليها : « هذا قبر المرحوم إبراهيم بك ابن أمير اللواء طالب بك

توفي الى رحمة الله تعالى يوم الأحد ٢ شهر جماد آخر سنة ١٢٢٩ » وبها تابوت خشبي باسم الأربعين .

وأمام القبة وعلى يمين الداخل باب المسجد، يصعد إليه ببضع درجات على يمينه باب السبيل،

وقد فرشت أرضيته برخام دقيق ، وبه حوض رخامي مستدير من قطعة واحدة وسقفه محلي برسوم

وزهور ملونة ، ومكتوب على باب المسجد ما نصه : « وكان الفراغ من بنائه ونشوه في شهر ذي الحجة

المبارك من شهور سنة ألف ومايتين أربعة وعشرون من الهجرة الشريفة النبوية سنة ١٢٢٤ » .

ويشتمل من الداخل على ستة عمد من الرخام تحمل سقفا يتوسطه منور ، وحليت جدرانها من

أعلى بشبابيك من الجص والزجاج الملون . وزين عقد محرابه الجري وطاقيته بالزخارف ، كما تعلوه

قبة صغيرة منقوشة بها شبابيك جصية ، وله منبر خشبي بابه مستدير ، وبطرفه البحري الغربي دكة

المبلغ ، محمولة على الجدار وعلى عمود رخامي .

وملحق بالمسجد من الجهة البحرية مصلى سقفا قائم على عمود رخامي ، لها محراب منحرف ،

كما يوجد غربي المدفن حديقة صغيرة .

وقد أنشأ حسن باشا طاهر تجاه الجامع عمارة وقفها للصرف على المسجد باقية بمض دورها

وهدم مدخلها وتحلف منه لوحة تاريخية مثبتة بالقبة ونصها :

« وكان الفراغ من العمارة الكائنة بخط بركة الفيل تجديد أفندينا المرحوم الحاج حسن باشا طاهر ،

حرر ذلك في يوم الجمعة المبارك ٢٩ خلت من شهر رجب الفرد سنة ١٢٣٨ » .

وكذلك نقل إلى دار الآثار العربية لوحة تاريخية كانت تعلو ربع شيخو بشارع الركبة رقم ٥٣

ونصها :

« وكان الفراغ من تجديد هذا المكان المبارك تجديد أفندينا المرحوم الحاج حسن باشا طاهر

يوم الجمعة المبارك في ٢٩ خلت من شهر رجب سنة ١٢٣٨ من هجرة من له العز والشرف » .

مسجد سليمان أغا السلحدار

بشارع أمير الجيوش

هذا المسجد عند مدخل حارة برجوان بشارع أمير الجيوش (المعز لدين الله) .

ومما يذكر عن الأمير سليمان أغا السلحدار أنه ترقى في الوظائف على عهد المغفور له محمد علي باشا إلى أن وصل إلى وظيفة سلحدار ، وكانت له سطوة كبيرة^(١) .

ومما أخذ عليه زيادة على تعسفه أنه استولى على كثير من أقباض المساجد المتخربة بالصحراء وأدخلها في منشآته ، كما تعسف في نزع الملكيات اللازمة لتلك المنشآت ، وكانت وفاته في سنة نيف وستين ومائتين وألف ، وأنشأ كثيرا من العقارات والوكالات والمساجد .

وأكثر آثاره التي شيدها بمصر موجودة ، ومنها وكالة في خان الخليلي ، وأخرى بجوار خانقاه بيبرس الجاشنكير بالجمالية ، والجامع الأحمر بشارع الجامع الأحمر ، ثم مسجده هذا .

وكان البدء في إنشاء هذا المسجد والسبيل الملحق به في سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) والفراغ منها سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) طبقا لما جاء في لوحين تاريخيتين فوق السبيل وباب المسجد ، مكتوبتين باللغة التركية ، تضمنتا اسم المنشئ ووظيفته .

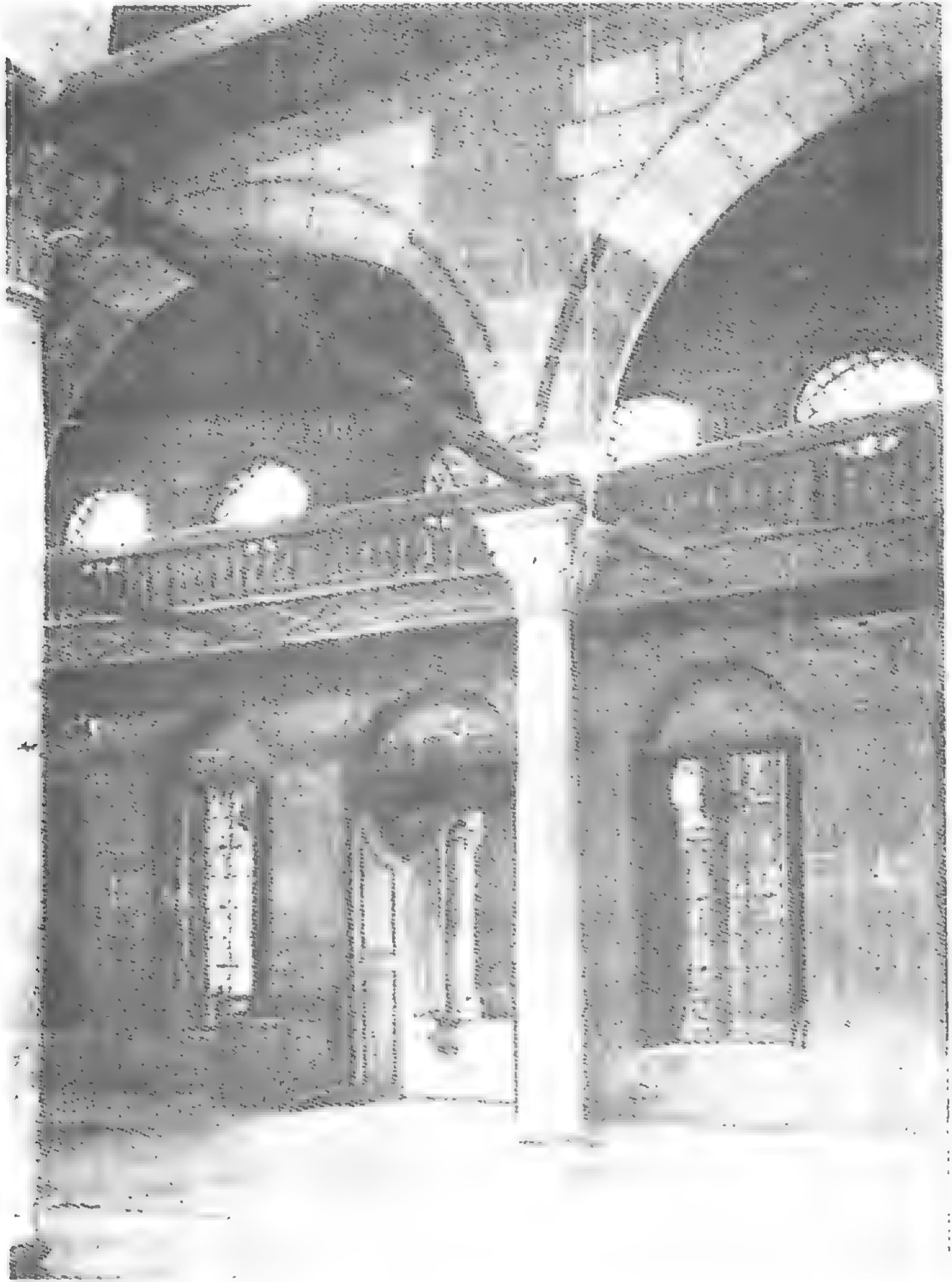
وقد وفق المهندس في تنفيذ رغبة منشئه ، فأتهز فرصة رواج التجارة في هذه المنطقة فأنشأ بها حوانيت ووضع تصميم مسجد معالق فوق مدخل المدرسة والدكاكين . وقد جمعت مشتملات المسجد في وجهة واحدة ينتهي طرفها القبلي ببوابة كبيرة هي مدخل حارة برجوان ، وإلى باب المدرسة والمبضأة . ويجاور هذه البوابة سبيل مستدير مكسو بالرخام المنقوش المذهب ، به أربعة شبابيك نحاسية ، مفرغة بأشكال زخرفية ومكتوب وبسط شماعها : « ما شاء الله كان » . وقد نقش وجه السبيل بزخارف مذهبة ، وكتب عليه قوله تعالى : « إن هذا هو الفوز العظيم » تعلوه لوحات أخرى مكتوبة باللغة التركية بحروف مذهبة على أرضية زرقاء تضمنت مدح المنشئ أيضا وتاريخ سنة ١٢٥٣ ، تجاوره شبابيك المدرسة فالمئذنة الأسطوانية فباب المدرسة ثم حوانيت ، فباب المسجد ، وتنتهي الواجهة من أعلاها برُفرف خشبي منقوش استغنى به عن الشرفة .

وقد كسى سفل جدران السبيل من الداخل بوزرة من الرخام بها نقوش مذهبة .

(١) الجبرتي ، ج ٤ ص ٣١٤ - ٣١٥ ، المخطط الجديدة ، ج ٥ ص ١٥ ، ذيل المقرري .

ويصعد إلى المسجد بعدة درجات تؤدي إلى قسمه الخارجى الغربى ، وقد أحيط بأربعة أروقة لها عمد تحمل قبابا صغيرة نقش قطبها ، وقد غطى الصحن بسقف يتوسطه منور .

وفى الجدار القبلى باب بصدرة منزل شيخ المسجد وبه سلم يؤدي إلى دورة المياه ، ويتوسط الجدار الشرقى باب المسجد ، وقد كسى بالرخام وحليت توشيح بـ زخارف مذهبة ومكتوب عليه بحروف مذهبة قوله تعالى : « ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين » ١٢٥٥ وتعلوه شرفة رخامية صغيرة .



داخل المسجد

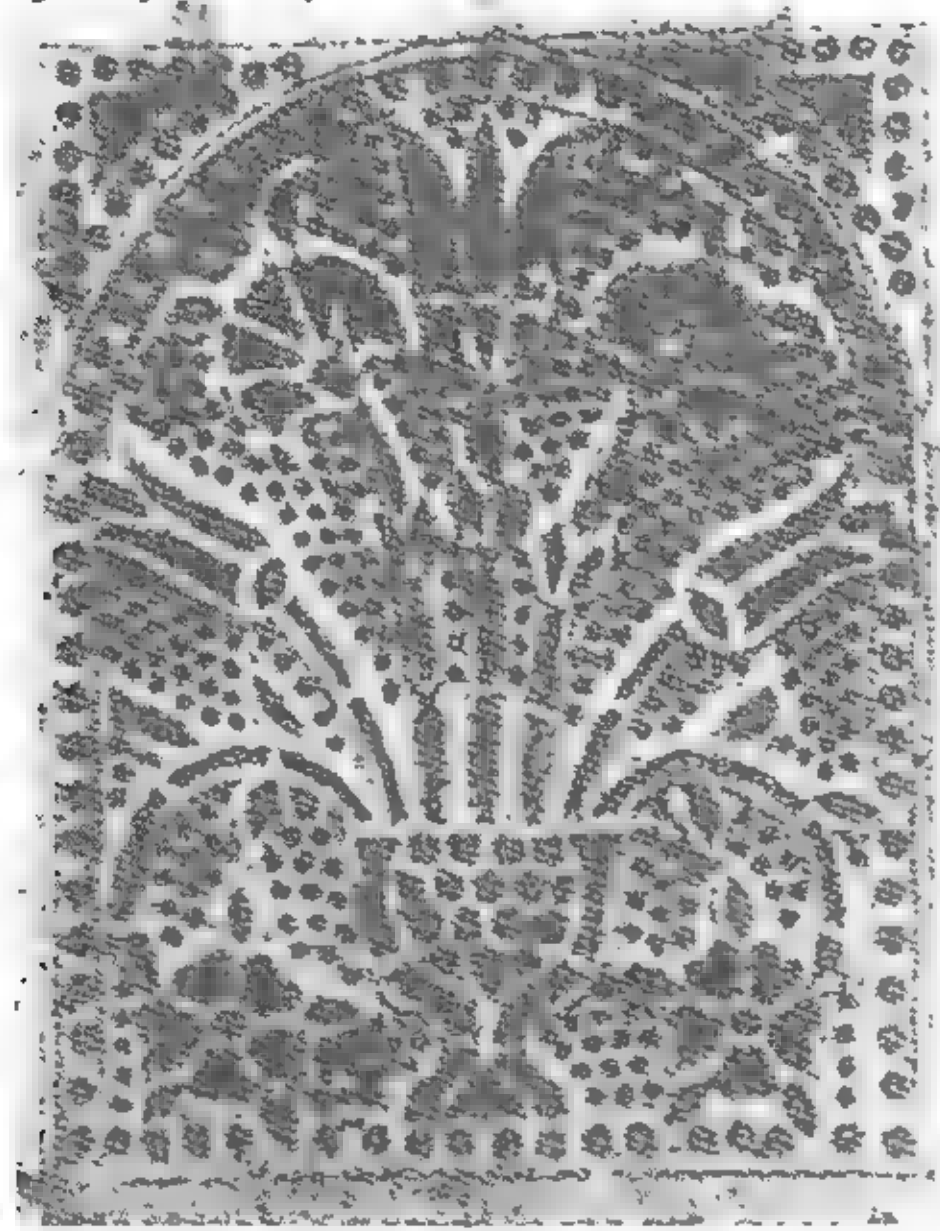
والمسجد يشتمل على ثلاثة أروقة ذات عقود محمولة على أربعة عمد رخامية آتفتت فى المقاس وفى التيجان ، تحمل سقفا بسيطا نقش بالبوية ، وبه محراب من الرخام فريد فى نوعه ، فقد آتخذ

القسم المجوف منه من قطعة واحدة ، وكذلك طاقيته ، ومكتوب بوسطه قوله تعالى : « فلنولينك قبلة ترضاها » وعلى جانبيه أفاريز رخامية بها زخارف بارزة مذهبة ، تعلوه مروحة رخامية مفترغة ذات توريق وتذهيب .

ويجاور المحراب منبر خشبي عاير من الزخرف ، تقوم على باب مقدمه قبة خشبية ، ويقوم على طول الجدار الغربى دكة المبلغ ويتوصل إليها من باب فى الركن البحرى الشرقى للصحن . يؤدى الى سلم فى سمك الجدار ، كما يحيط بجدران المسجد من أعلى شبابيك بيضاوية .

ونظرة إلى الوجهتين الغربية والقبلىة للجامع تعطينا فكرة عن نبوغ مهندس هذا الجامع ، فقد عالج بحكمة قيام بارزات فى الوجهة الغربية على كوابيل غربية محكمة الصناعة كما تلافى ضيق الطريق بإقامة عقود مجوفة كى تحمل بروزا عليها ، كما توزع عن أخذ العمدة وتيجانها من أبنية سابقة ، فأعدها هى وتيجانها من نوع واحد ، وميز فقط بين تيجان عمد المسجد والصحن .

أعمال الإصلاح — كانت أهم عملية إصلاح أجريت به فى عصر الملك الصالح (فاروق الأول) فقد أصلحت عقود الصحن والقباب فوقها كما أجريت إصلاحات بداخل المسجد وفى مطهرته .



مسجد الرفاعي

بميدان صلاح الدين^(١)

موقع المسجد قبل إنشائه — كان يشغل جزءا من أرض هذا المسجد مسجد الذخيرة الذى وصفه المقرئى بأنه كان تجاه شبايك مدرسة السلطان حسن التى تلى بابها الكبير . أنشاه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة ، ووالى القاهرة ومحتسبها حوالى سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) . وكان هناك أيضا زاوية عرفت بالزاوية البيضاء و زاوية الرفاعى أشتملت على قبور المشايخ : على - أبى شباك^(٢) ، ويحيى الأنصارى والسيد مصطفى الغورى ، والشيخ إبراهيم المغربى ، والسيد حسين الشيوخونى إمام جامع شيخو وشيخ سجادة الرفاعية سابقا ، والسيد عبد الله المرازيق والسيد حسين الرفاعى .

وفى كتاب وصف مصر للحملة الفرنسية لوحة تمثل زاوية الرفاعى فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى وما جاورها من أبنية يظهر بها مسجد الحمودية حتى شارع سوق السلاح ، كما عثر على لوحة مأونة عملها سنة ١٨٦٤ م المصوّر الانجليزى فرنك^(٣) ديللون الذى قدم مصر سنة ١٨٥٤ — ٥٥ م . وهى تمثل هذه المنطقة وزاوية الرفاعى وسبيل تركيا وجهته مستديرة يعلوه كتاب وأبنية أخرى .

وفى سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) أمرت المرحومة دولتو خوشيار هانم والدة المرحوم إسماعيل باشا بتجديد زاوية الرفاعى ، فأشترت الأماكن المجاورة لها وهدمت ، وعهدت إلى المرحوم حسين باشا فهمى وكيل ديوان الأوقاف وقتئذ بإعداد مشروع لبناء مسجد كبير يالحق به مدافن لها ولأسرتها وقبتان للشيخين : على - أبى شباك ويحيى الأنصارى ، فصدع بالأمر وأعد مشروعا كبيرا عرض على سموها فوافقت عليه وشرع فى العمل ، وباشر تنفيذه المرحوم خليل أغا ، وأستمر العمل سائرا حتى ارتفع على وجه الأرض نحو مترين ، وفى الوقت نفسه كان العمل سائرا فى القصر العالى فى أعمال النجارة ، كما أمرت بعمل الأبسطة اللازمة لفرش المسجد .

(*) انظر الصور من رقم ٢٥٥ — ٢٥٩ ضمن مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) المقرئى ، ج ٢ ص ٤١١ .

(٢) المخطط الجديدة ج ٤ ص ١١٤ .

(٣) La Mosquee el-Rifai. P. 9

ولضرورة إدخال تعديلات على المشروع وقفت العمارة ، وعُرضت في خلال ذلك تعديلات اقترحها المهندس « جاي » فلم توافق عليها الوالدة ؛ فتجّى عن العمل ثم أبدت ملاحظات أخرى لملافاة أخطاء في الجامع كان يتولى مناقشتها المرحوم حسين باشا المعمار ، بدى في تنفيذها بعد وفاته . واستمر العمل فيه على الرسم الأصلي .

وحوالى سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م) أوقفت العمارة ، ثم توفيت المنشئة سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) وظل العمل موقوفا نحو ربع قرن . وفي سنة ١٩٠٥ عهد المرحوم الخديو عباس حلمي الثاني إلى سعادة أحمد خيرى باشا مدير الأوقاف الخصوصية بإتمام المسجد ، فكلف المرحوم هرتس بك (باشا) باشمهندس الآثار العربية وقتئذ بإعداد مشروع لإصلاح المسجد وتكمنه ؛ فأعد المشروع وعرضه فنال القبول ، وصدر إليه الأمر الكريم في ١٢ يولييه سنة ١٩٠٦ م بالشروع في العمل .

ويقول هرتس باشا : إن تصميم حسين باشا لهذا المسجد من أحسن وأجمل تصميمات المساجد المنشأة في عصره ؛ أغراه على وضع تصميمه بهذه العظمة وجود مسجد السلطان حسن أمامه . ومع وجود أخطاء فيه وحدوث تصدع في عمده وجدرانته فإن هذا لا يقلل من قيمة عمله العظيم ؛ ولذلك فإنه حرص كل الحرص على ألا يغير كثيرا في مشروع حسين باشا المعمار ، لدرجة أنه لو كان حاضرا لرضى بهذه التعديلات . ثم أخذ في تقوية الجدران ، وتغيير التالف من الأبنية والعقود ، مما يحفظ المسجد من الانهيار ويساعد على المقاومة ، وهذه التعديلات استلزمت بعض التحوير في المشروع القديم ، وأستنفذت مجهودا جبارا للحفاظ على الوضع الذي كان يريد حسين باشا أن يكون المسجد عليه .

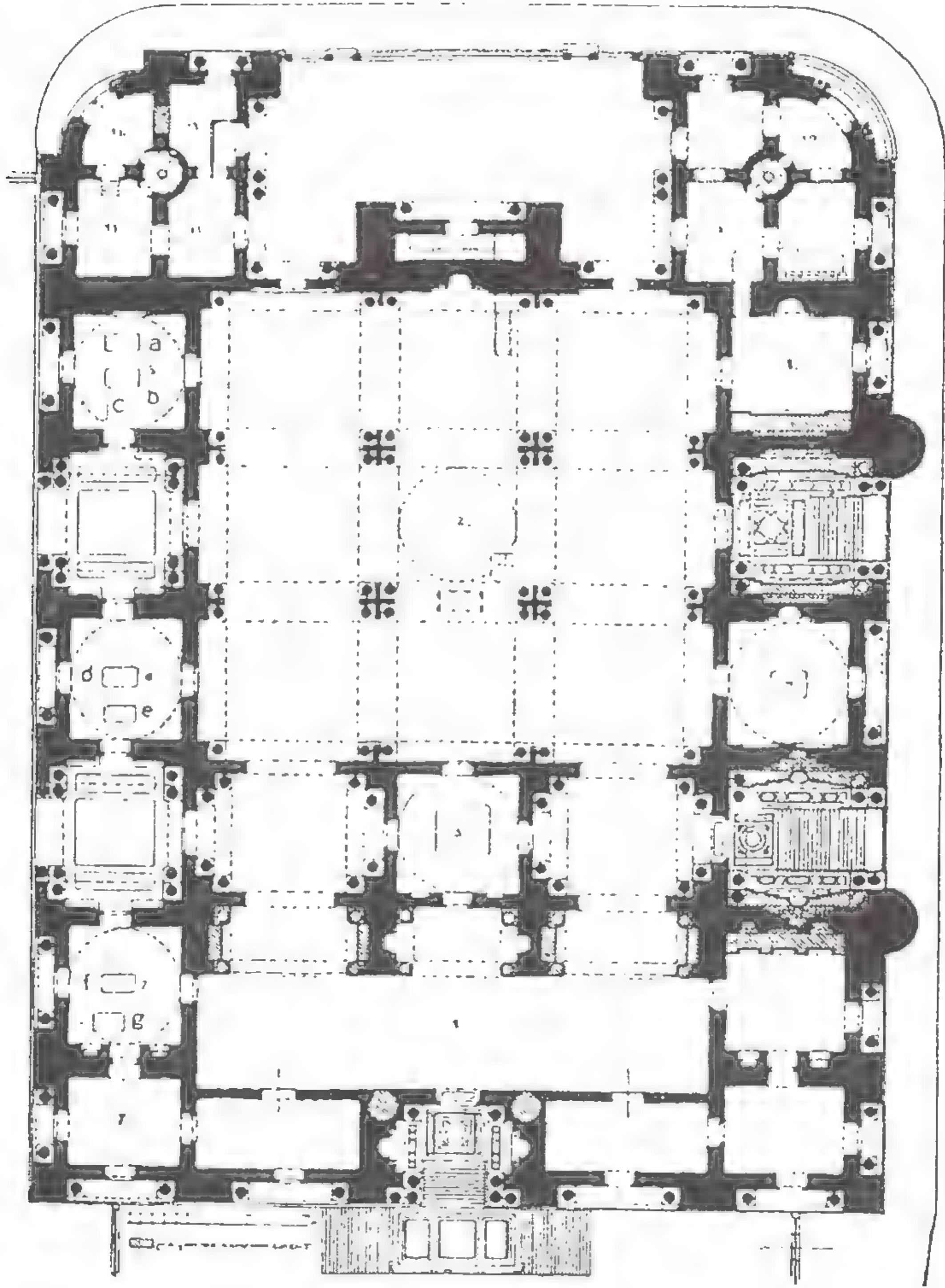
وقد أدخل في عمارة المسجد ما كان مودعا بمخازنه على ذمة عمارته منذ سنة ١٨٨٠ م ، فانتفع بالذهب الذي كان مستوردا من إستامبول ، وبالنجارة التي تم عملها ، وبيع بعض الكتابات التي كان أعدها الخطاط المشهور عبد الله بك زهدى ، وقام بتكملة الناقص وتغيير التالف من الكتابات المرحوم الشيخ مصطفى الحريري الخطاط بالقصر الملكي .

وكانت التكاليف الأصلية المقدرة لهذا الجامع خمسمائة ألف جنيه ، فاستنفد هذا المبلغ في الأعمال التي أنجزت حتى سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م) . أما المصاريف بعد ذلك فقد بلغت ١٣٢,٥٠٠ جنيه ، مضافا إليها بعض مصاريف أخرى ويدخل في هذا المبلغ الأبسطة الجديدة التي عملت في مشاغل حركة بتركا ، والمشكاوات الزجاجية التي عملت على مثال المشكاوات الأثرية بمساجد مصر في القرنين الثامن والتاسع

الهجرى (الرابع عشر والخامس عشر الميلادى) ومنها نحو ٢٤٠ مشكاة مطلية بالميناء عملت فى بوهيميا،
وعليها كتابات قرآنية وتاريخية .

وفى ختام سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) تم العمل ، وأفتتح المسجد لصلاة الجمعة فى غرة المحرم

سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) .



عن هرتس باشا

مسقط أفق

وقد دون تاريخ المسجد والفراغ من عمارته فى نهاية طراز المسجد بالناحية القبلىة الشرقية بما نصه :

« وقد تم بعناية الله تعالى هذا المسجد الشريف مسجد العارف بالله تعالى السيد أحمد الرفاعى
رضى الله عنه حسبما صدر به أمر ولى النعم الجتاب العالى خديو مصر المعظم الحاج عباس حلمى الثانى

أعز الله دولته وأعلى كلمته وذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وألف من هجرة من هو الأنبياء والرسول ختام عليه وعلى آله وصحبه أتم الصلاة والسلام .

الرفاعي — هذا المسجد وإن كان عرف بالرفاعي إلا أن الرفاعي لم يدفن به بل لم يدفن في مصر؛ فقد ترجمه علي بن أنجب المعروف بابن الساعي، والياقي^(١) وأفاضاً في مناقبه وكراماته، ثم ذكر وفاته بما نصه : «ولى الله العارف بالله الزاهد القدوة السيد أحمد بن السيد علي أبي الحسن الرفاعي ولد سنة خمسائة وتفقه على مذهب الشافعي وكان إليه المنتهى في التواضع والقناعة والتقوى . غير أن أتباعه وجد فيهم من يلعب بالنار والحيات وهذا ما عرفه الشيخ ولا الصالحين من أصحابه . كانت وفاته رضي الله عنه بأم عبيدة قرية من أعمال واسط بالعراق سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) » . وهذه التسمية لازمت الزاوية أولاً ثم المسجد نسبة إلى الشيخ المدفون به على أبي شباك من ذرية الرفاعي، ومن أصحاب الشهرة والاعتقاد .

وصف المسجد — حقا إن مسجد السلطان حسن أغرى المهندس الذي وضع تصميم هذا الجامع حسين باشا المعمار فأراد أن يحاريه في العظمة والارتفاع . ولكن مع الأسف لم يوفق في تصميم الوجهات، كما أنه لم يوفق في اختيار الأحجار، وهذا ما لاحظته المرحوم علي باشا مبارك وأنتقده . غير أن هذا لا يمنع من الاعتراف بأنه من خيرة المساجد التي أنشئت في القرن العشرين، وأحفلها زخرفاً، وأتقنها صناعة، خصوصاً وقد تداركه بخبرته العالية هرّس باشا؛ وقد نجح كل النجاح في محاكاته للسلطان حسن في ضخامته وارتفاعه؛ فالمدخل أحيط بأنواع العظمة؛ فقد بنيت شاهقة، تكتنفها العمدة الحجرية والزخامية بتيجانها العربية؛ وحليت أعتابها بمزرات الرخام، وغُطيت مداخلها بقباب وسقوف أحسن اختيارها، ووفق في زخرفها وتلوينها وتذهيبها .

وقد أمتازت مناراته بالرشاقة والجمال، وأقيمت على قواعد مستديرة مثل منارتى مدرسة السلطان حسن . والشبابيك النحاسية بالوجهات وضع لها تصميم خاص برسوم جميلة، بزت به ما سبقها من قديم وحديث .

والمسجد من الداخل تبلغ مساحته ٦٥٠٠ متر؛ منها الجزء المخصص للصلاة ومساحته ١٧٦٧ متراً . وخصت المدافن وملحقاتها ببقية المساحة .

(١) مرآة الجنان ج ٣ ص ٤٠٩، وترجمه الشعراوي وأفاض في ترجمته وقال توفي سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م)،

١٦٩ ج الطبقات الكبرى . (٢) مختصر أخبار الخلفاء ص ١١٢

ويتوسط الوجهة الغربية المدخل الملكي تكتنفه العمدة الحجرية ، وقد نقش قواعدها الرخامية بزخارف متنوعة . وقد حفل بأنواع الرخام والمقرنصات ، وله روعة وجمال . وقد كُتبت أعتابه والحنايا بجانبه بالرخام المختلف الألوان والكتابات الجميلة ، منها قوله تعالى : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر — الآية . » . وقال رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا » . ويغطي هذا المدخل قبة حجرية منقوشة لها مقرنصات بدلايات .

وعلى يمين الداخل من هذا الباب مقبرة المغفور له الملك فؤاد الأول تغمده الله برحمته وهي في الركن الغربي القبلي للمسجد . وقد كُتبت جدرانها بأنواع الرخام الملون ومكتوب بإزارها آية الكرسي « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه — الى آخر سورة البقرة » وعلى قبره تركيبة رخامية حُلِّيت بزخارف مذهبة ، ويجاوره قبر المغفور لها والدته الأميرة فريال المتوفاة سنة ١٣٢٠ هـ . ويلاحظ أن هاتين المقبرتين أتبع في زخرفهما وتصميمهما قواعد العمارة الإسلامية ، كما اتخذت شواهدهما من عمدة قائمة أمامهما مثل الإمام الشافعي والفخر الفارسي والظاهر برقوقي ، فقبرة الأميرة فريال من فأنواع الرخام . وقد كتب عليها : « بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فأدخلني في عبادي وأدخلني جنتي » .

ومكتوب على عمود أمامها : « سبحان من تفرد بالبقاء هذا قبر المغفور لها ربة التقى والكمال الأميرة فريال هانم أفندي والدة مولانا القائم بالعدل بين العباد سلطان مصر المعظم السلطان فؤاد برك الله في عمره وأسعد رعيته بدوام أمره المتقلة لجوار ربها الكريم في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة عشرين وثلثمائة وألف هجرية » .

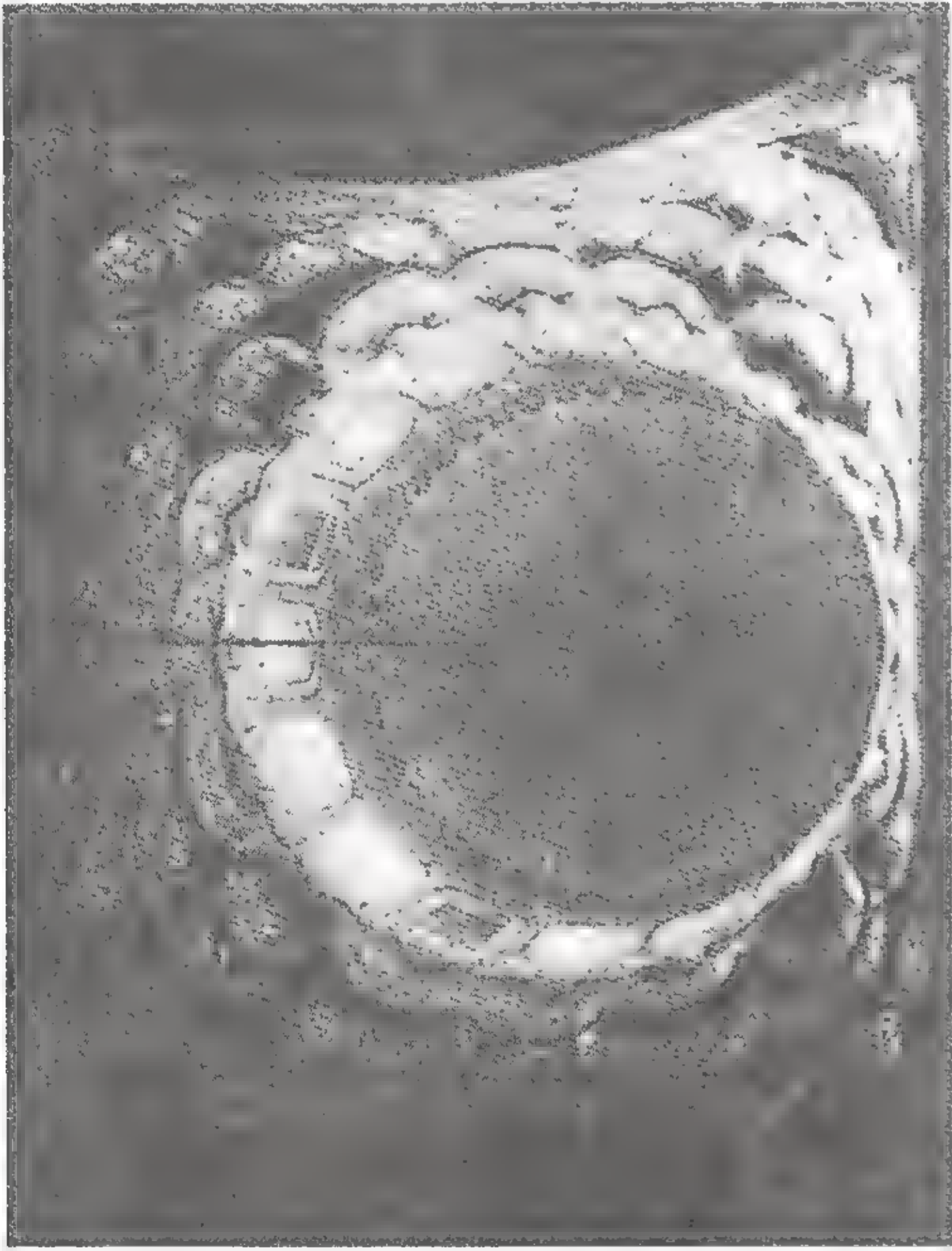
وعلى قبر المغفور له الملك فؤاد تركيبة رخامية لها جلستان إحداها خضراء داكنة والأخرى صفراء فوقها جلسة بها عقود محارية مذهبة على عمدة صغيرة نحاسية مذهبة ، ومكتوب على دائرها قوله تعالى : « يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أتم تحزنون — الى قوله تعالى — وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون . صدق الله العظيم ، بسم الله الرحمن الرحيم إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا — الآية . »

ومكتوب على عمود رخامي أمام القبر : « الملك فؤاد الأول طيب الله ثراه » . انتقل الى الرفيق الأعلى الملك فؤاد الأول بعد الظهر بساعة ونصف الساعة من يوم الثلاثاء ٧ صفر سنة ١٣٥٥ ، وكان مولد جلالة رحمه الله بقصر الجيزة في ٢ ذى الحجة سنة ١٢٨٤ وأرتقى عرش المملكة المصرية في ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٣٥ أسكنه الله جنات النعيم .

وسقف هذا الجناح وكراديه نقشت باللونين : الأزرق والأبيض تقليداً للخانقاه الشيخونية . وحُلِّيت الجدران بنقوش لونت أرضيتها باللون الأزرق . وتتوسطه ثريا نحاسية كبيرة ...

ويقابل الداخل من هذا الباب حجرة طعمت مصاريعها بالسنّ المدقوق أويمة ، وحُلِّيت أعتابها وما حولها بنقوش ملونة ومطعمة بالرخام ؛ بها قبر الشيخ علي أبي شباك . وقد أقيمت فوقها قبة حُلِّيت مقرنصاتها بالذهب والألوان ، وتتوسطها مقصورة خشبية مطعمة بالسنّ والآبنوس ، لها عمد رشيقة وبها خرط دقيق ؛ ولا شك أنها من أرقى أنواع المقاصير .

ويسترعى النظر في هذه القبة أن قطبها مفرغ بأشكال هندسية غُطِّيت بالزجاج الملون ومكتوب برقبتها : « بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً - الآية - وكان تمام هذه القبة سنة ١٣٢٧ » . وقد فتح بأجنابها الأربعة أبواب تؤدي إلى الجامع حُلِّيت أعتابها ومزمراتها بالزخارف الدقيقة وطعمت مصاريعها بالسن والآبنوس .



مقرنصات القبة بوسط المسجد

وبين البابين القبليين حجرة بسيطة يتوسطها تابوت خشبي بها قبر سيدي يحيى الأنصاري ، تعلوها قبة حجرية عارية من الزخرف ، وهي التي تظهر بين المنارتين .

وقد آرتفعت جدران المسجد وسقفه ، وحُلِّيت جميعها بوزرات رخامية مختلفة الألوان . ويحيط بها طراز مذهب مكتوب عليه آيات من القرآن ، كما أشتملت الأسقف على ألوان براقّة تأخذ بالأبصار ؛ أحسن اختيارها ، وتنوّعت أشكالها ؛ وبعضها مفرّغ ومغطى بالزجاج ، ويتوسطه قبة حُلِّيت مقرنصاتها وما حول شبابيكها بالذهب والألوان .

وإن الزائر لهذا المسجد ليؤخذ بما حواه من فنون جميلة ، وصناعات دقيقة ؛ فقد وفّق « هرتس باشا » لأن يختار له من كل أثر أحسنه ، حتى كَوّن منه درة بين المساجد الحديثة ، تنتقل العين فيه من حسن إلى أحسن .

ويتوسط الجدار الشرقى المحراب ، وهو محراب كبير يكتنف كلا من جانبيه عمودان أحدهما أبيض والآخر أخضر داكن . وقد حُلّ باطنه برخام دقيق ، كما حُلّ عقده وتواشيحه بمزرات رخامية ملاونة ، يحوطه مع الوزرة إفريز ويعلوه سطر مكتوب فيه قوله تعالى : « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها » . فوقه مقرنص مذهب .

وعلى جوانب المسجد وفي وسطه أقيمت أكثاف بنواصيها عمد رخامية ، وكسيت الأكتاف بينها بالرخام الدقيق ونقشت وجوه قواعدها بدوائر رخامية تنوعت أشكال زخارفها ونقشت وزُهِبَت تيجانها كما نقشت أرجل وباطن العقود بزخارف متنوعة ، وقد أحضر الرخام اللازم له من بنى سويف وتركيا واليونان وإيطاليا وألمانيا وبلجيكا ، ويقوم على جانب المحراب منبر كبير ، طُعمت حشواته بالسق والآبنوس وخشب الجوز . وقد نُقِشت خوذته ومقرنصات مقدمه بالذهب والألوان . ويحيط بجدران المسجد بخاريات مذهبة منقوشة .

وكرسى المصحف من نوع صناعة المنبر ، وكلاهما قيم نفيم . ودكة المبلغ من الرخام مقامة على عمد رخامية ، وقد حفلت بالنقوش المذهبة ومكتوب عليها قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا ننزع أجر من أحسن عملا - إلى قوله تعالى - نعم الثواب وحسنت مرتفقا » .

كما أختيرت له الثريات النحاسية العربية ، والمشكاوات الزجاجية المشغولة بالمينا . وقصارى القول أنه مهما أظن الوصف له ، وصور محاسنه ، لا يوفيه حقه من الوصف . أما الجانب البحرى من المسجد فقد شرعت فيه ستة أبواب ، منها أربعة توصل إلى المدافن ، وأثنان يوصلان إلى رحبتين بين تلك المدافن .

فالبحر البحرية الشرقية بها أربعة قبور أحدها للرحوم على جمال الدين ابن المغفور له إسماعيل باشا المتوفى سنة ١٣١١هـ (١٨٩٣ م) ، وعليه تركيبة رخامية آية في دقة الصناعة والنقوش العربية والتذهيب . والثانى للمغفور لها السيدة توحيدة هانم ، بنت المغفور له إسماعيل باشا ، المتوفاة سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٨ م) وعليه تركيبة من الخشب المكفت بالفضة ، والمطعم بالسق ، ومكتوب عليها آيات من القرآن بحروف فضية وهى طرفة فى صناعة النجارة . والثالث للمغفور لها السيدة زينب هانم بنت المغفور له إسماعيل باشا المتوفاة سنة ١٢٩٢هـ (١٨٧٥ م) . وهى من الرخام ومحلاة بزخارف موزقة مذهبة . والرابع للرحوم إبراهيم حلمى نجل المغفور له إسماعيل باشا المولود يوم الخميس أول شوال سنة ١٢٧٦ والمتوفى فى ١٢ رمضان سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٦ م) .

وتعلو هذه الحجرة قبة حُلّيت مقرنصاتها بالألوان ومكتوب على رقبته : « بسم الله الرحمن الرحيم
ألم نشرح لك صدرك — السورة — وكان تمام هذه القبة في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وألف هجرية .
وعلى يسار هذه القبة من الجهة الغربية إحدى الرحبتين ، ومنها يتوصل إلى القبة الثانية وبها قبران
أحدهما مدفون فيه المغفور لها السيدة خوشيار هانم والدة المغفور له الخديو إسماعيل ، منشئة المسجد ؛
وقد أوفيت سنة ١٣٠٣ هـ . (١٨٨٥ م) . والثاني قبر المغفور له الخديو إسماعيل باشا خديو مصر ،
المتوفى سنة ١٣١٢ هـ . (١٨٩٥ م) . وقد كسيت جدرانها برخام ملون ، ونقشت القبة ومقرنصاتهما
بالذهب والألوان ومكتوب على رقبته قوله تعالى : « وسيق الذين آتقوا ربهم إلى الجنة زمرا —
الآية » وتاريخ عملها سنة ١٣١٣ هـ برسم الخديو إسماعيل باشا والدة المرحومة خوشيار هانم .
ونقشت وطعمت الأبواب بالسن والأبنوس .

وعلى قبر الخديو إسماعيل تركيبة رخامية لها جلسة مزررة من رخام أسود وأصفر تعلوها
جلسة ثانية من رخام أبيض وأسود تعلوها عمدة صغيرة خضراء تحمل عقودا طعمت نواشيجها
بالرخام الملون ومكتوب عليها آيات من القرآن . ومكتوب عليها بالخط الكوفي : « لا إله إلا الله
الملك الحق المبين محمد رسول الله صادق الوعد الأمين . إسماعيل باشا خديو مصر توفى عام
آثنى عشر وثلثمائة وألف » .

ويلى هذه القبة الرحبة الثانية ، ويتوصل منها إلى القبة الثالثة المشتملة على قبور السيدات زوجات
الخديو إسماعيل . وقد حُلّيت مقرنصاتها بالألوان ، وتشمل قبور المغفور لها السيدة شهرت فزا هانم ،
المتوفاة سنة ١٣١٣ هـ ، ١٨٩٥ م والمغفور لها السيدة جنانيار هانم ، المتوفاة سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٢ م)
والمغفور لها السيدة چشم آفت هانم المتوفاة سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) . ومكتوب على دائرة الرقبة :
« بسم الله الرحمن الرحيم إنا أنزلناه في ليلة القدر — السورة » وكان تمام هذه القبة في شهر رجب
سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وألف هجرية .

ويتصل بهذه القبة حجرة ، بها قبر المغفور له السلطان حسين كامل بن إسماعيل ، المتوفى
سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) ، تعلوها سقف ملون ، وكسيت جدرانها بأنواع فاخرة من الرخام . وعلى
قبره تركيبة رخامية كبيرة مكوّنة من ثلاث حطات تجلّت فيها دقة صناعة الرخام ونقشه وتذهيبه
ومكتوب عليها :

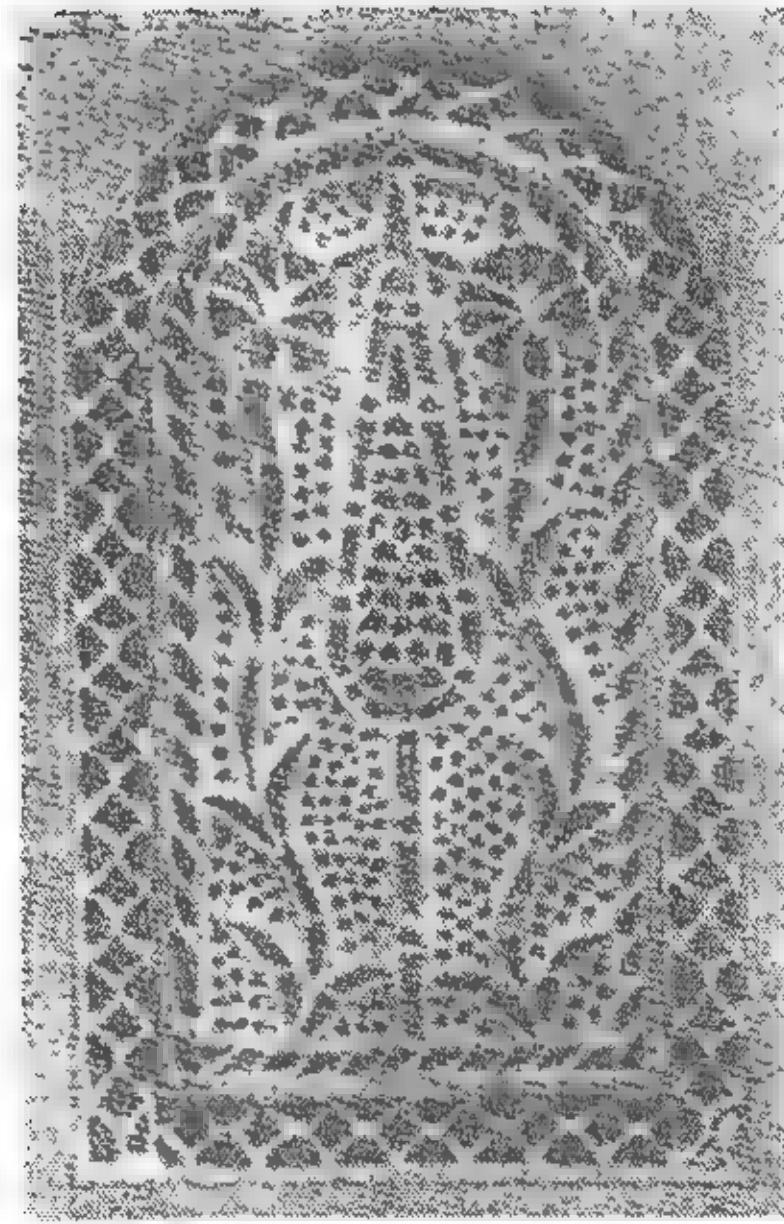
« هذا ضريح حسين كامل بن إسماعيل بن الحاج إبراهيم بن الحاج محمد علي الكبير . ولد في ١٩ شهر
صفر سنة ١٢٧٠ وتوفى إلى رحمة الله تعالى في ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٣٥ » .

ويلاحظ في هذه التراكيب أن صناعة الرخام فيها بلغت شأوا بعيدا في الرقي ، وقد أنفردت بمميزات فنية لا تتوفر في غيرها ، كما فرشت تلك المقابر بالسجاد الفاخر، وعلقت بها الثريات النحاسية والمشكاوات وبها كراسي المصاحف المطعمة بالسنن ، والمكفّنة بالفضة ، وبها المصاحف المذهّبة ، والمباخر والشمعدانات الفضية ، ويتناوب القراء قراءة القرآن بها يوميا . وفي هذه المدافن تحيي ذكرى وفيات المغفور لهم المدفونين فيها وتوزع الصدقات .

عناية حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق بالمسجد :

إن العناية التي يلاحظ بها مولانا الملك هذا المسجد فاقت كل عناية ، فرعايته له متلاحقة ودائمة ، فقد أمر — حفظه الله — بكتابة وتذهيب دكة المبلغ ، وعنّى بمقبرة والده المغفور له الملك فؤاد الأول — رحمه الله — فكسى جدران مدخلها بأنواع الرخام الفاخر وكتب بإزاره آيات من القرآن الكريم ، كما أمر بإصلاح الرخام أعلى المحراب وفي جوانب المسجد ، وفي عهده السعيد أصلحت الوجهات وغير السالف من أحجارها وأحجار المنارتين ، وكلها أعمال كان لها أكبر الأثر في صيانة هذا المسجد العظيم بل زادته بهاء على بهائه .

أمد الله في عمره السعيد وأبقاه ذخرا للإسلام والمسلمين .



مسجد الفتح الملكي

بشارع جامع عابدين

قبل التحدث عن تاريخ هذا المسجد أستطّر الرحمت على جدث المغفور له حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول عاهل مصر وزعيم نهضتها وواضع دعائم عمراتها ، فإليه الفضل في تعمير هذا الجامع وزيادة مساحته .

وكان لتوجيهاته العالية أحسن الأثر في وضع تصميمه واختيار زخارفه حتى جاء تحفة فنية رائعة ، رحمه الله وأحسن إليه بقدر ما أسدى إلى مصر من خير ، وأسكنه فسيح جناته

هذا الجامع بشارع جامع عابدين ، ويلاصق قصر عابدين العاصر من الجهة الشرقية . وقد عرفت هذه المنطقة كما عرف المسجد بعابدين ، وهو أمير اللواء السلطاني عابدين بك ، الذي كان يسكن بجهة سويقة صفية بالقرب من الزير المعلق . ومن مآثره تجديد جامع الفتح الذي كان يجاور داره فعرف به ، ورصد عليه أعيانا مبينة في حجة وقفه المؤرخة ١١ جمادى الأولى سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣١ م) . ولما أنشأ المغفور له الخديو إسماعيل باشا قصر عابدين العاصر ترك الجامع متاخلا في حدود القصر . وقد كان الجامع قبل تجديده الحالي يشغل مسطحا قدره ٦٤٠ مترا ، وهو عبارة عن قاعة ذات أعمدة تحمل عقودا يرتكز عليها سقفه الذي يتوسطه منورا كبير . وكانت وجهته الشرقية بسيطة جدا وتحت قسم منها حوانيت ، وباعلاها مناوور دائرية .

وكان بابه في هذا الشارع بارزا فيه ، يفتح إلى الجهة البحرية . وله عقد مدايني مقرنص . وكان الباب مع امتداد الوجهة إلى الجهة القبليّة يكون زاوية قائمة توجد المنارة على ضلعها الآخر مع بروز قليل في الشارع . أما وجهته البحرية فكانت تشرف بمناورها على حارة سويقة صفية التي صارت جزءا من مدخل السراي الشرقي .

وفي أوائل سنة ١٩١٨ أمر المغفور له الملك فؤاد الأول بتجديده ، فعهدت وزارة الأوقاف إلى لجنة حفظ الآثار العربية بذلك . وبناء على رغبة جلالتة أحتفظ بالمدخل القديم وبالمنارة ، وقد أعد له مشروع عظيم روعي فيه أن يكون على مثال المساجد العثمانية ، وأضيف إلى مساحته ضعفها من أرض السراي حتى بلغت ١٢٤٦ مترا .

(*) انظر الصورة من رقم ٢٦٠ - ٢٦٢ بمجموعة الصور الفوتوغرافية . (١) مذكرة افتتاح المسجد .

والمسجد الحالي مكوّن من المدخل العام بشارع جامع عابدين الذي يرتفع عن مستوى الشارع بدرجات . والباب والمنارة في الطرف الشرقى القبلى للوجهة الشرقية وهما بارزان عنها ، وهو باب مبنى بالحجر كبقية المسجد ، وله عقد مداينى به مقرنصات وبزواياه مقرنصات أيضا وأعتابه وجانبها مدخله من أحجار مززرة ملونة . والداخل من الباب العمومى يمرّ في طرقة تحت مجموعة من القباب الصغيرة المنقوشة زواياها ، وبهذه الطرقة أبواب تؤدى الى المنارة والى السطح والى دورة المياه والى المسجد ، وبصدرها لوحة رخامية مكتوب عليها بالخط الكوفى المربع : « الله مجد وأسماء العشرة المبشرين بالجنة » .

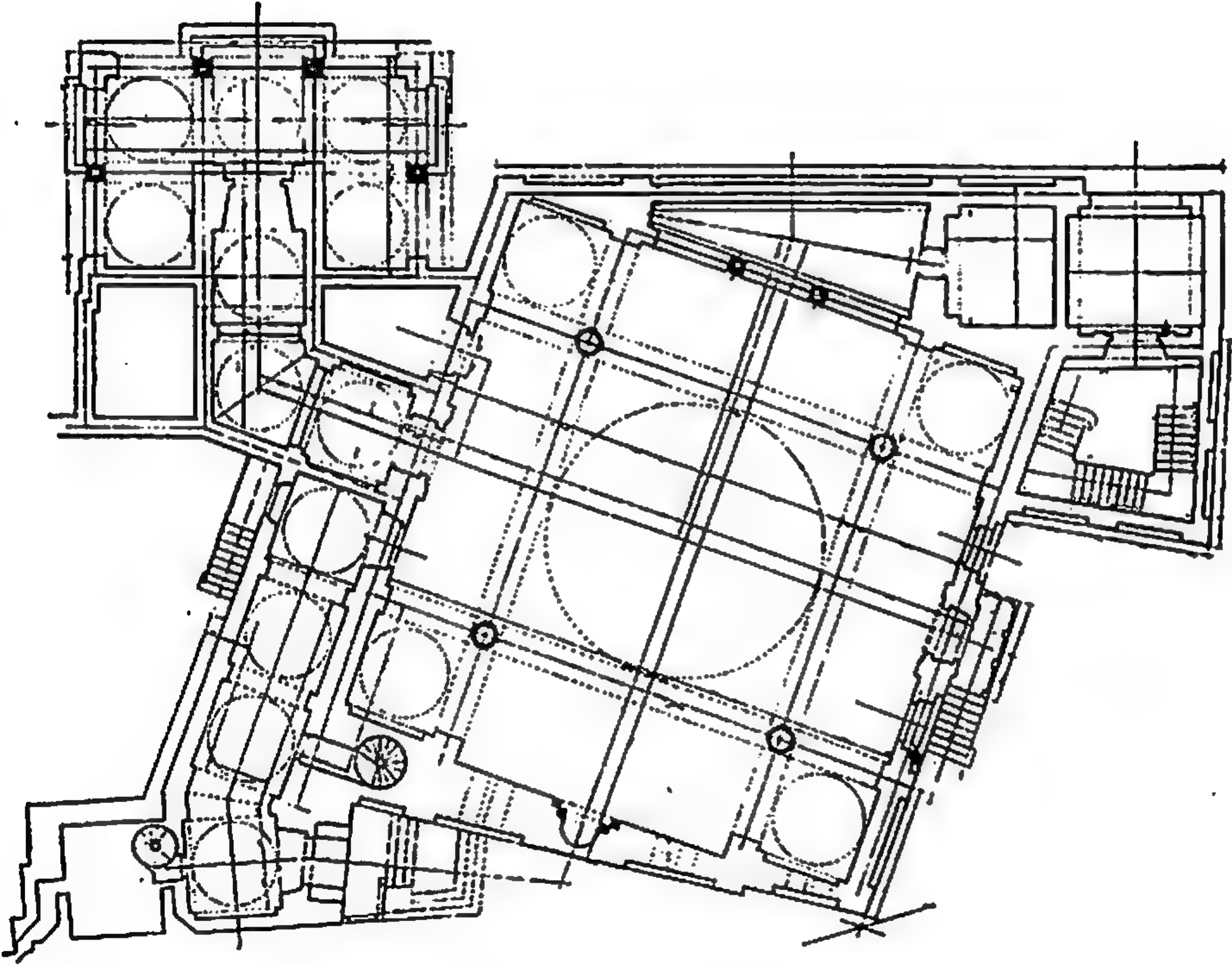
وللمسجد ثلاث وجهات : الغربية تشرف على حديقة قصر عابدين ، ويبلغ ارتفاعها ١٥,٧٠ وبها المدخل الملكى . والبحرية بها باب يؤدى الى فضاء بسيط والشرقية ويبلغ ارتفاعها ١٤,٣٠ وبها القبة والباب والمنارة .

ويبلغ ارتفاع المنارة لنهاية الهلال ٤١,٠٠ مترا ، ولا أكون مغاليا إذا قلت إنها أجمل منارة من نوعها ، فإنها حلّيت بخطوط رأسية ومتقاطعة .

ويشتمل المسجد على قبة كبيرة ارتفاعها ٢٢,٦٠ مترا ، محمولة على عقود حجرية مرتكزة على أربعة عمد ضخام من الجرانيت الأحمر ، وقد مؤهت تيجانها بالنقوش والزخارف الذهبية ، وكتب حول رقبته ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال الى قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب . صدق الله العظيم . أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك حضرة صاحب العظمة مولانا السلطان فؤاد الأول سلطان مصر أدام الله أيامه . وكان الفراغ من بنائه فى سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وألف هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية » .

ويعملو هذا الطراز شبابيك من الجص والزجاج الملون . وقد نقشت القبة بالذهب والألوان ومكتوب على قطبها سورة الأخلاص وحوله مصابيح ، ويحيط بهذه القبة أربعة إيوانات ذات سقوف معقودة حافلة بالزخارف الملونة ، تنتهى أطرافها بقباب صغيرة تشغل أركان الجامع الأربعة . وكانت القبة الكبيرة والقباب الصغيرة من الخارج مكسوة بقاشانى أخضر جميل ، ثم استبدل بكسوة نحاسية ، وكُسيّت الجدران من الداخل الى ارتفاع ٢,٥٠ مترا بوزرة من الرخام تنتهى بإفريز دقيق يحيط بالأبواب أيضا ، اقتبس الى حد كبير من إفريز وزرة مسجد البردينى . كما كُسيّت أعتاب الأبواب بالرخام .

وفي صدر الجدار الشرقى المحراب ، يعلوه مستطيل ؛ كتب عليه بخط جميل قوله تعالى : « قد نرى
تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام » وهذا المحراب
من الطُرف القيمة فقد كُي أسفله بأشرطة رخامية بها جامات زرقاء ، وأشتمل تجويفه على
مستطيلات من الرخام الدقيق الملون وأخرى بها زخارف موزقة مذهبة ثم خورنقات صغيرة محمولة
على عمود زرقاء ، وطاقيته من رخام على شكل دالات تنتهى بلفظ الجلالة . ويجاور المحراب منبر
من الرخام المحلى بنقوش ذهبية ؛ مقتبس من منبر مسجد سليمان باشا بالقلعة .



مسقط افق

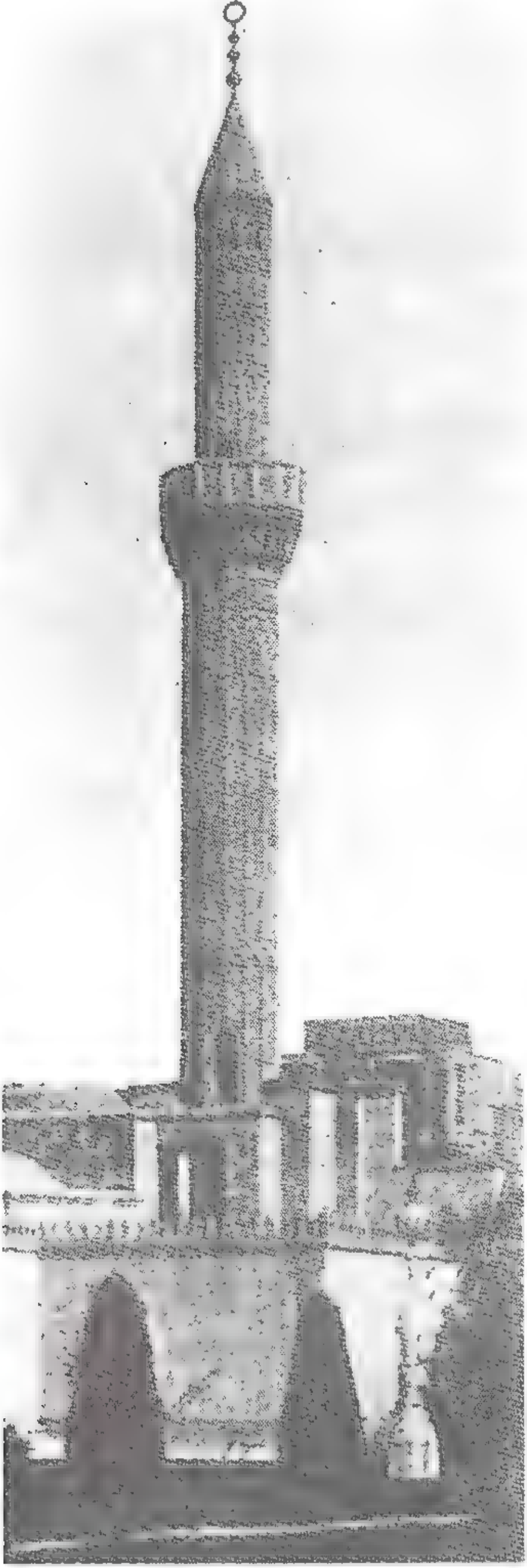
وقد حُلَّت الجدران بخاريات مذهبة مكتوب عليها « الله » « محمد » ثم أسماء الخلفاء الراشدين .
ويحيط بالجامع من أسفله وأعلاه شبائيك جصية تتوَع أشكالها نُقشت وذُهِبت أطرافها
الخارجية . كما نقش ما حولها .

وجميع الأرضيات مفروشة بالرخام الدقيق المكوّن من دوائر ومثلثات ومستطيلات على شكل
دالات ؛ مقتبسة من أنفس النماذج بالآثار الإسلامية بمصر .

وتوجد بالجهة الغربية دكة المبلغ ، وهي محمولة على ثمانية عمد رخامية ، ولها درابزين خشب
نحط . ويعلوها مقصورة أعدت لصلاة السيدات ، غطيت فتحاتها بشبابيك من الخراط الدقيق .
ولعلها المقصورة الوحيدة المخصصة للنساء في المساجد بمصر ، ومدخلها من حديقة القصر العامر .

وفي الجدار القبلي باب خاص يوصل الى المدخل الملكي ؛
كتب على الطراز الذي يعلوه قوله تعالى : « وقل رب أدخلني
مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق وأجعل لي من لدنك
سلطانا نصيرا » .

وهو يؤدي الى ممر معقود بقباب صغيرة محلاة بنقوش .
ويقع المدخل الملكي في حديقة السراي ، وفي الجدار الغربي
للجامع وهو مكون من سقيفة تركز على عقود محمولة على أعمدة
من الحجر والرخام ، وله باب مكسو بالرخام وقد كُتب عليه
ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم بفضل الله تعالى وحسن
توفيقه تم تجديد هذا الجامع المبارك وأذن بالصلاة فيه
في يوم الجمعة السادس من شهر رجب سنة ثمان وثلاثين
وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية وهي السنة الثالثة من عهد
مولانا السلطان فؤاد الأول سلطان مصر المعظم وقد وافق
ذلك مبدأ السنة الثالثة والخمسين من عمره السعيد بارك الله
في عمره وأعزه بنصره » .



المنارة

تسعة مصابيح . ولا شك في أنه من أجمل المساجد المندثرة حديثا ، فقد روعيت فيه أصول العمارة العثمانية .
وبعد الفراغ من العمارة تفضل المغفور له الملك فؤاد الأول بأداء صلاة الجمعة فيه يوم ٦ رجب
سنة ١٣٣٨ هـ (٢٦ مارس سنة ١٩٢٠ م) .

وقد بلغت نفقات إنشائه ، مبلغ ٢٥٠٠٠ جنيه ، صرفت من ريع وقف ساكن الجنان
إسماعيل باشا .

مسجد محمد علي باشا الكبير

بالقلمة^(*)

إلى روح محمد علي باعث النهضة ومحيي مصر، ومؤسس البيت العلوي الكريم .

إلى منقذ مصر من الفوضى، وواضع دعامة استقلالها ونهضتها .

إلى روحه الطاهرة نبعث بأخلص الدعوات، ونسأل الله القدير أن يغمره بفيض الرحمت .

ولد محمد علي سنة ١١٨٢ هـ (١٧٦٨ م) بمدينة قولة من ثغور مقدونية، وقد تركه أبوه إبراهيم أغا رئيس الحرم وهو في حداثة سنه فكفله عمه طوسون أغا ثم توفي عمه فكفله حاكم المدينة (الشوريجي) وكان صديقا لوالده .

ولما بلغ أشده التحق بالجهادية زما، وسرعان ما تجلّت شجاعته ورقى إلى رتبة بلوك باشي (قومندان فرقة) ثم زوجه متصرف قولة بقريبة له، ثم أشتغل بالتجارة^(١) إلى سنة ١٨٠١ م . وقد قزر الباب العالي وقتئذ إرسال حملة تركية لطرد الفرنسيين من مصر بمساعدة إنجلترا، فانتظم محمد علي في سلك القوة البحرية التي أشرتكت في واقعة أبي قير وظهر أسمه في هجوم الجيش التركي على الرحمانية فقد أخذها من الفرنسيين، ولما خرج الفرنسيون من مصر رقى إلى رتبة لواء وعيّن قائدا على أربعة آلاف جندي ألباني. ثم أرسله خسرو باشا الوالي العثماني الجديد إلى الصعيد لمحاربة المماليك، ولكن محمد علي وصل متأخرا ففكر خسرو في الغدر به؛ فتحالف محمد علي مع عثمان البرديسي زعيم المماليك وتمكن من عزل الوالي سنة ١٨٠٣ م . وبمحكمته وحسن سياسته تحجب إلى الشعب واستمال إليه زعماءه . وفي أثناء ذلك كان محمد الأتلي زعيم المماليك الثاني قد سافر إلى إنجلترا، فأكرم الإنجليز وفادته، وقدموا له الهدايا الثمينة . وكان غرضهم الاستيلاء على سواحل مصر الشمالية في مقابل تعضيدهم للمماليك؛ وتوطيد شوكتهم بمصر . وقد عاد محمد الأتلي وتحصن بالصعيد، فعمل محمد علي، على الإيقاع بينه وبين البرديسي . لأن الأتلي كان يمثل الحماية الانجليزية فقضى عليه .

وآزدادت جراءة الألبانيين، وكان محمد علي يعضد^(٢)هم سرا، فأخذوا يطالبون البرديسي بتأخر مرتباتهم؛ ففرض الضرائب الفادحة على سكان القاهرة، فثاروا عليه وأجأوه إلى الهرب .

(*) انظر الصور من رقم ٢٦٣ - ٢٧٥ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) تاريخ مصر الحديث ص ٣١ و ٣٢، الحركة القومية ج ٢ ص ٣١١ و ٣٥٩، الهبة النوفية ص ٣ و ٤

خلا الجوّ لمحمد علي في القاهرة، وبحسن سياسته أشار على العلماء والمشايخ بتولية خورشيد باشا محافظ الإسكندرية واليا على مصر فأجتمع الشيوخ وزعماء الجند وأجمعت آراؤهم على تعيين خورشيد باشا واليا وتعيين محمد علي قائمقاما، وأوفدوا الى الإسكندرية رسولا يدعو خورشيد باشا الى الحضور للقاهرة ليتولى منصب الولاية فقدم اليها في أواخر مارس سنة ١٨٠٤ م .

ولكن والي الجديده لما رأى جند محمد علي الألبانيين خاف على نفوذه؛ فاستقدم جندا من (الدلاة) فأساءوا معاملته الأهالي، وأوسعوهم نهباً وقتلاً، فأزداد المصريون كراهية لوالى، وكان الباب العالي في هذه الفترة بناء على مساعى خورشيد باشا قد عين محمد علي واليا على جدّة لإبعاده عن مصر. ولكن محمد علي أدرك ما في هذا التعيين من الدسيسة فلم يذهب إلى جدّة ثم استغل الظروف، وحرّض الجند على مطالبة والي برواتبهم، وتحالف مع نقباء الصناع والعلماء — وكانوا قد سموا هذه الفوضى — فحاصروا خورشيد باشا في القلعة، ونادوا بمحمد علي باشا واليا على مصر، وألحوا على الباب العالي بتوليته، فصدر فرمان بولايته في ١٧ صفر سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) .

وكان من فضل الله على مصر والمصريين أن عني المغفور له محمد علي باشا بتثبيت حق الوراثة من بعده في ذريته، وكانت من أمهات المسائل التي أثارها محمد علي الكبير بعد أنتصاره على جيوش السلطان محمود في المعارك التي دارت رحاها في عكا وفي حمص وحماة وحلب وبيلان وقونية ونزيب، وأتته بقبول السلطان تثبيت محمد علي وأسرته على عرش مصر، ففي يوم ١٣ فبراير من سنة ١٨٤١ صدر الخط الشريف الهادي من السلطان عبد المجيد الى محمد علي باشا الكبير بتثبيته على عرش مصر مع إقرار حقوق الوراثة في ذريته من بعده، ولولا هذا فرمان الذي ظفرت به مصر بفضل حكمة محمد علي وحسن سياسته وقوة جيوشه لبقيت مصر ولاية عثمانية كسائر الولايات، يتعاقب عليها الولاة الأتراك، وهي مدينة بهذا إلى عبقرية محمد علي صاحب الفضل الكبير في تنظيم ذلك الجهاد وأستثماره وتوجيهه إلى خير مصر وعظمتها؛ ففي عهده الزاهر نشأت الدولة المصرية الحديثة، وفيه تحقق الاستقلال القومي، وشيدت الدعائم الكفيلة بالقيام به، فيه تأسس الجيش المصري، والأسطول المصري، والثقافة المصرية، وفيه وضعت أسس النهضة العلمية والاقتصادية في البلاد، فهو عصر استقلال وحضارة وعمران .

ولا شك أن هذا يعد بحق فاتحة عهد جديد، وهو عهد نهضتها السياسية والمالية والاجتماعية، التي نرى آياتها الآن في جميع المرافق والشؤون .

(١) التذكري الثبوتية لتثبيت محمد علي باشا الكبير وأسرته على عرش مصر ص ١ .

بعث هذا العاهل الكبير في مدة الخمس والأربعين سنة التي حكمها روحاً جديدة في مصر ، ونهض بها في شتى نواحيها ومرافقها ، فعنى بالرى والتعليم والجيش والمالية والتجارة والصناعة والهندسة والموسيقى والطب ، وأنشأ لها المدارس والمصانع ، وأوفد الوفود إلى أوروبا ، كما استقدم إليها خيرة العلماء والفنيين ، فكانت أعماله أنواراً لا تطفأ .

وقد أمد الله في حياته ، فتوالت أياديه البيضاء على مصر ، وانتشرت في البلاد آثاره الصالحة الخالدة ، حتى رأى ثمرات غرسه يانعة زاهرة ، وأتم أحفاده العطاء البناء الذي أسسه جدّهم العظيم ، وقادوا الأمة إلى مدارج الكمال .

وإن الآثار الإسلامية لتردان بجملة منشآت عمرارية تحمل اسمه الكريم في شتى نواحي القطر ، من مساجد وأسبلة ومصانع وحصون^(١) إلى قصور فقناطر فدار محفوظات فدار ضرب . ودرّتها مسجده العظيم الذي يضم جثمانه الطاهر في القلعة ، ويشرف على قاهرة الفاروق من عليائه ، فتقر عينه بما وصلت إليه من نهوض ومدنية في عهد حفيده الفاروق .

بعد أن أتم محمد علي إصلاح القلعة ، وفرغ من بناء قصوره ودواوين المالية والجهادية ، وعموم المدارس ودار الضرب بها ، رأى أن الحاجة ماسة إلى إنشاء مسجد لأداء الفرائض ، وليكون مدفناً له ، فعهد إلى المهندس التركي^(٢) (يوسف بشناق) بوضع تصميم له ، فوقع اختياره على مسجد السلطان أحمد بالآستانة ، فأقتبس منه مسقطه الأفقي بما فيه الصحن والفسقية مع تحويرات طفيفة .

الهيئة الفنية للمسجد — نأسف لعدم العثور على وثيقة رسمية بأسم مهندس المسجدين ، ولكني عثرت على أسم مساعد له اسمه علي حسين (التلميذ المهندس) فقد ألحق بعمارة المسجد سنة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م) بوظيفة منظم أحجار^(٣) .

وكذلك عرفنا من بين رسامي هذا المسجد علي أفندي موسى والسيد أفندي حمد والمعلم إبرام وحكا كان أفندي ، ولعله يوسف هكا كان الذي تولى نظارة مدرسة المهندسخانة وأحد تلاميذ البعثات ، وبعض المهندسين المصريين^(٤) . وأن من قام بعمل رسم الشبابيك النحاسية أسطى رومى^(٥) .

(١) انظر ما كتبه عن العمارة في «عصر محمد علي باشا» في العدد الذي أخرجه مجلة العمارة سنة ١٩٤١ بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس ملكة السعيد وقد أحصيت ووصفت فيه منشآته العمارية وصورتها .

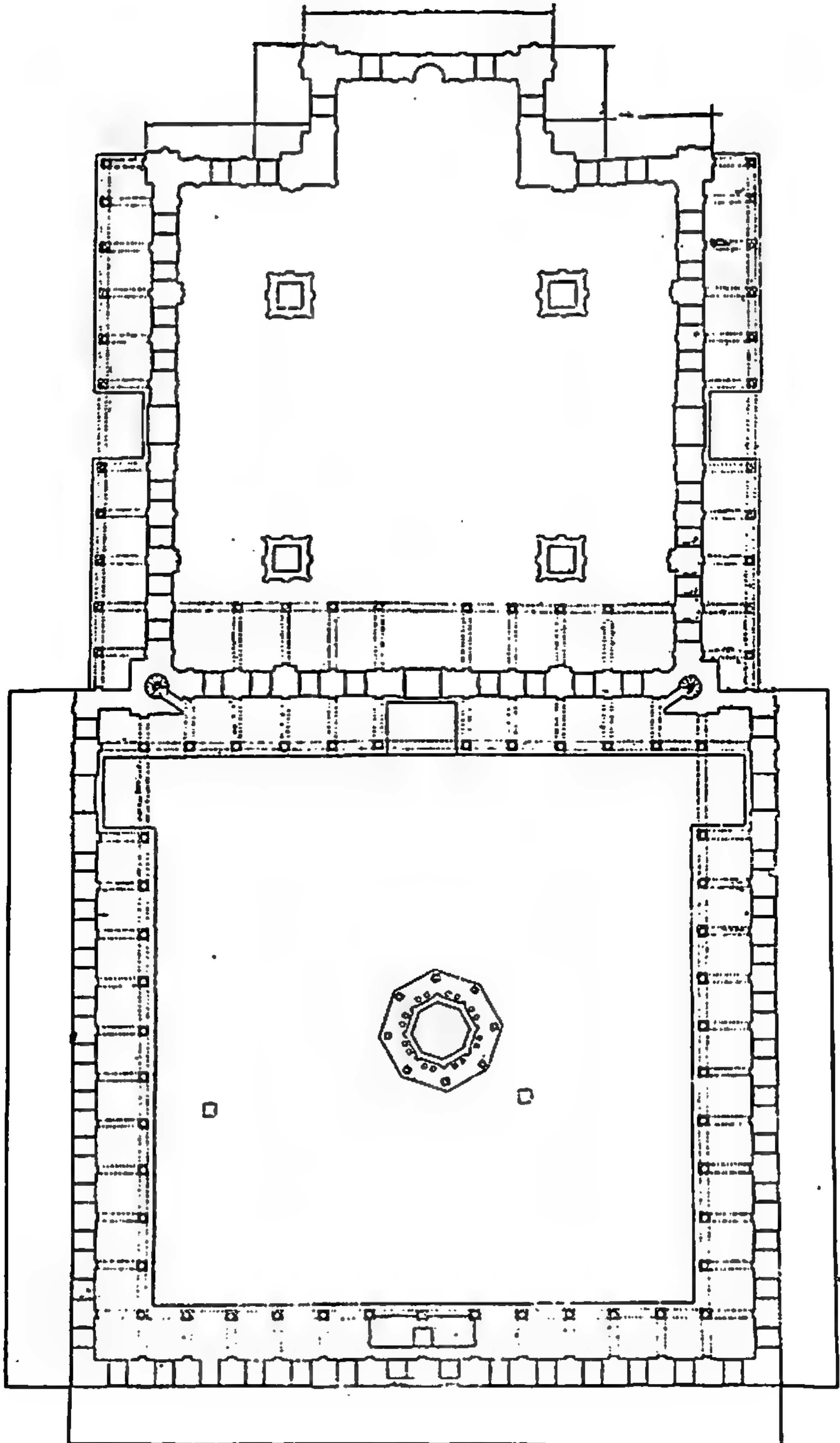
(٢) ذكر جناب مسيو فيث مديردار الآثار العربية في كتاب مساجد القاهرة ، أن اسمه يوسف بشناق ، ص ٢٤٤ ج ١

(٣) سجل ٣ ج ٣ في ٢٦ صفر سنة ١٢٦١ ، الوثيقة العربية رقم ٣٣٥٣ المؤرخة ٧ جمادى الثانية سنة ١٢٦٣ هـ .

(٤) دفتر ١٤ ج ١ وثيقة عربية رقم ٩٠ ، دفتر ٧٤ مئة تركي بتاريخ ١٦ ربيع الآخر سنة ١٢٥٢ هـ ، البعثات العلمية

ص ١٠٦ (٥) دفتر ٤٩ مئة تركي ١٠ جمادى الأولى سنة ١٢٤٨ هـ .

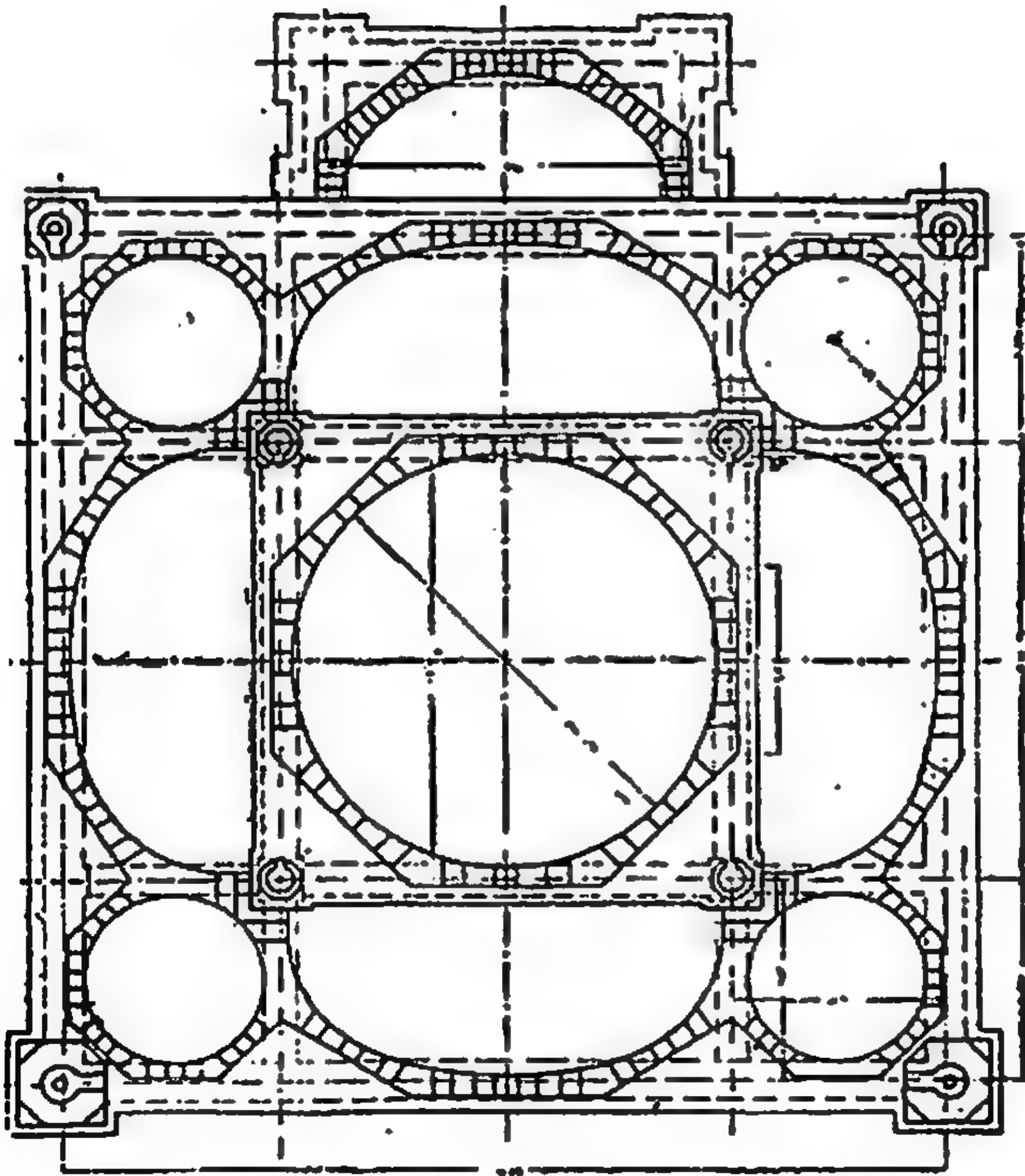
مسجد محمد علي باشا الكبير



مسقط أفق للمسجد

أما النحاتون والمجاريون فقد كانوا مصريين . عرفنا من النحاتين اثنين هما حسين محزم ، وإبراهيم حسن ، وقد كان مقتررا على عمد النحاتين المصريين ، أن يورد كل منهم ثمانية نحّاتين يختارهم بنفسه من مهرة الصنّاع ، وتدفع لهم أجورهم حسب تقديرهم ، كما عرفنا من المجارين اثنين هما الأسطى حسين ، والحاج إبراهيم الأنباوى .

وقد قام بأعمال الرخام عمال مصريون ، بمقاولة الخواجه سيمون ، وتحت مباشرة يوسف ضيا أفندى وشا كرافندى والقبطان هدايت والمعلم يوسف ، كما عهد بأعمال الأهلة النحاسية وطلائها بالذهب الى الخواجه يرون وكرايت النحاسين بالموسكى (وثيقة رقم ٤٥٢ دفتر ١٦ بتاريخ ٢ رجب سنة ١٢٦١ هـ) .



مخطط أفق للقسم الشرق

(١) أما عمال تكسية الرصاص لقباب المسجد ومسلة المنارتين ، فقد أحضر لها عمال من الآستانة . هذه هي الهيئات الفنية التي أستطعنا الحصول عليها .

تاريخ إنشاء المسجد — كان الشروع في إنشائه سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) واستمر العمل سائرا فيه بلا انقطاع حتى توفي محمد علي الى رحمة الله تعالى سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٨ م) فدفن في المقبرة التي أعدها لنفسه بداخل هذا المسجد .

انتقل محمد علي الى رحمة الله تعالى ، وكان بناء المسجد كاملا من أسوار وقباب ومنازل وكتابات تعلو الشبايك الخارجية والداخلية ، بما فيها كسوتها الرخامية على ما هي عليه الآن .

أما كسوة الرخام بالوجهات فلم يتم منها إلا القسم الأسفل حتى الباب القبلي للصحن ، وكان التصميم يشمل كسوة القسم أعلى المربع أيضا ، فلم يعمل منه سوى الأفاريز حول الشبايك النحاسية .

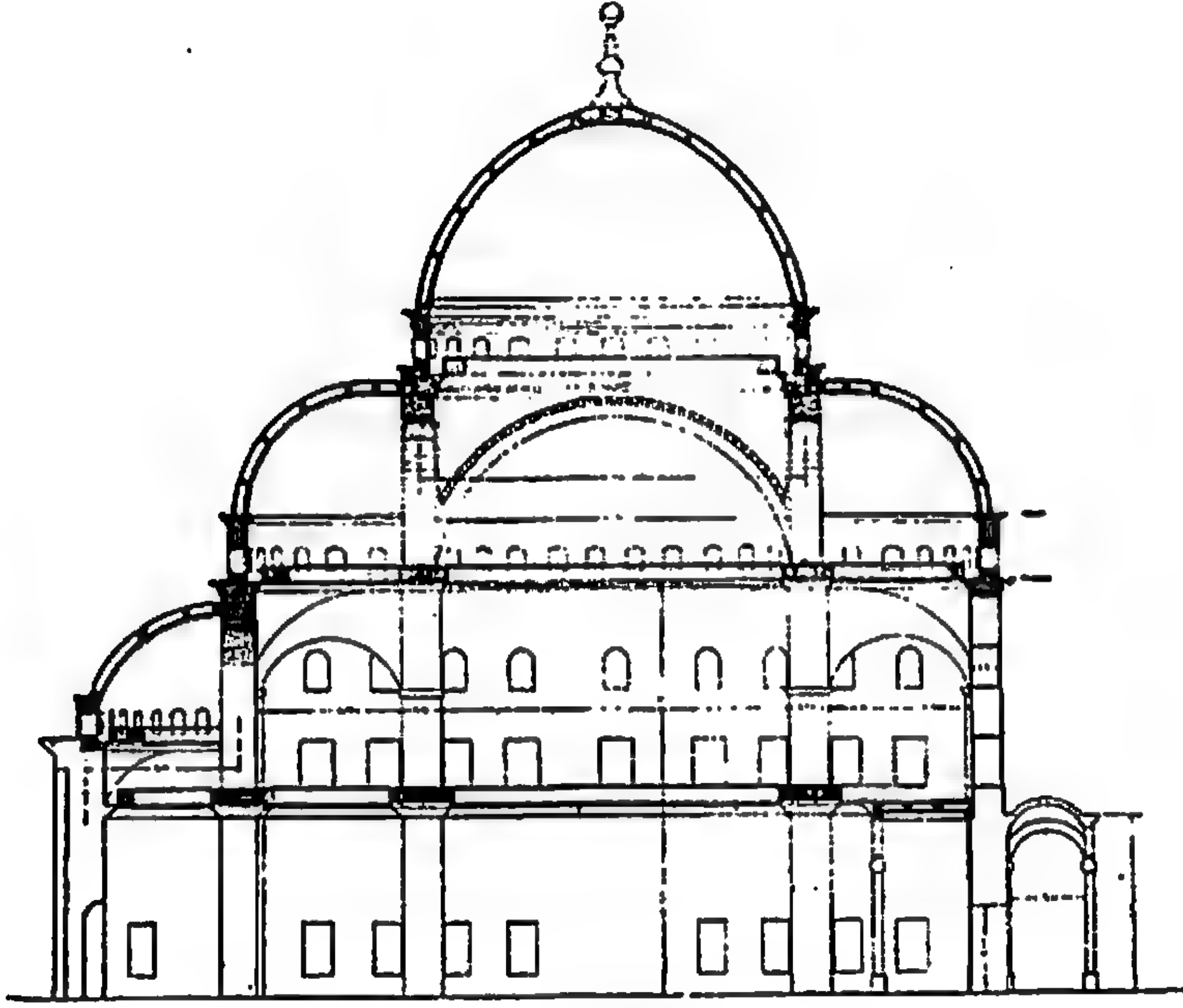
ولما تولى المرحوم عباس باشا الأول في ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) أمر بإتمامه . وقد تناولت أعماله النقش والتذهيب^(١) وبعض أعمال الرخام ، ثم أمر بعمل تركيبة رخامية ومقصورة نحاسية وضع بداخلها شمعدانات فضية ومصاحف مذهبة ، كما أمر بفرشه وإضاءته بالنجف ، ثم أمر بتعيين القراء ورصد الخيرات على هذا المسجد بمقتضى وقفية مؤرخة ٩ رجب سنة ١٢٦٩

ولما تولى المرحوم محمد سعيد باشا سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٤ م) رصد له خيرات كثيرة ، وقدر احتفالات رسمية لخمس ليال من السنة ، هي ليلة المعراج ، وليلة نصف شعبان ، ثم ثلاث ليال في رمضان ، منها ليلتا ١٣ و ١٤ ، الأولى ذكرى وفاة محمد علي بالإسكندرية ، والثانية لذكرى إيداعه مقبره الأخير بمصر ، ثم ليلة القدر ، وما زالت هذه الحفلات تقام حتى الآن . وكذلك أمر بطلاء المقصورة النحاسية وأحدث بعض تغييرات في كتاباتها .

كذلك عني به المغفور له إسماعيل باشا سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) فعمل له أبوابا جديدة بسماعات نحاسية وأهداه مصحفين مذهبين بخط إبراهيم أفندي رشدي وأعد به مقصورة بجوار المنبر كي يصلّي فيها السلطان عبدالعزيز لما حضر إلى مصر وصلّى بالمسجد ، وأحاطه بأسوار وأنشأ له دورة مياه ، ثم عني به المغفور له توفيق باشا سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) ، فأمر بإصلاح رخام الصحن ، وأعاد رصاص القباب ، وأهدى إليه مصاحف مذهبة .

عناية المغفور له الملك فؤاد بالمسجد — وكانت أكبر عناية نالت هذا الجامع ، هي التي وجهها اليه المغفور له الملك فؤاد الأول ، فما إن وصل الى مسامعه نبأ الخلل الجسيم الذي تطرق اليه ، والذي اكتشفه المغفور له محمود باشا أحمد مدير إدارة حفظ الآثار العربية السابق ، حتى أصدر أمره

بتكوين لجنة من كبار المهندسين وطينين وأجانب لفحصه ، ووضع مشروع لإصلاحه ، فكوّنت هذه اللجنة في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣١ ، وكانت نتيجة الفحص ضرورة إزالة قبة الكبيرة ، وما حولها من أنصاف القباب ، وقباب صغيرة . وإعادة بنائها بعد عمل شدة ، وهي هيكل من الصلب المجمع يُكوّن في مجموعه عدة أبراج مستقلة وعقودا تشيد بنسب معينة لتحمل القباب والعقود ، عند الهدم والبناء وقد بلغ وزنها ٦٥٠ طنا ، قدرت تكاليفها بمبلغ ١٦١١٠ جنيه^(١) . ولما تمّ عمل الصلب ، ضرب أول معول في القبة الكبيرة في ١١ فبراير سنة ١٩٣٥ وما حولها من قباب وأنصاف القباب .



قطاع رأسى

ويرى المغفور له محمود باشا أحمد أن الأسباب التي أدت الى هذا الخلل هي ضعف الأجزاء التي تقوم بأخذ وتوزيع الأحمال في المبنى ، ومنها العقود والأكتاف الحاملة لها ، وكان العامل الأول في حصول الخلل هو عدم كفاية تثبيت أطراف الشدادات الحديدية الرابطة لأرجل العقود الأربعة الحاملة للقبة الكبيرة وعدم وجود شدادات للعقود الصغيرة مما ترتب عليه تفتت أحجار أرجل العقود تحت حمل القبة الكبيرة ودفع العقود للجدران الخارجية للمسجد فأما لها ، هذا عدا شروخ أخرى محلبة كانت نتيجة تاكسد « الكانات » الحديدية الرابطة لقطع الأحجار المبنى بها المسجد .

(١) إصلاح مسجد محمد علي . رسالة لصاحب العزة مرجع للباقر بك تلخيص الأستاذ محمود زكي الطويل نشرت بعدد يناير سنة ١٩٣٧ من مجلة الموظف . (٢) مذكرة المرحوم محمود باشا أحمد عن المسجد بمناسبة إتمام إصلاحه .

وقد كشفت عملية الهدم عن كثير مما كان مستترا من عيوب وتكسرات داخل الحوائط ، كما وجدت قطع كبيرة من الخشب مبعثرة هنا وهناك في وسط المبنى ، وهي في حالة عطب شديد ، كما وجدت قضبان حديدية علاها الصدأ ، فأحدث تمزقا في أليافها نتج منه ضغط كبير على أجزاء البناء ، نشأ عنه في النهاية التصدع ، كما ظهر أيضا خلل الدعامات الرئيسية .

وقد استخرجت من أركان القباب التي هدمت زلع كبيرة من الفخار لم يعد استعمالها . وقد لفت نظري ما جاء في بحث عن القباب لمسيو شيدان (Chedanne) ضمن تقريره المرفوع في يونيه سنة ١٨٩٢ ، لا كاديمية الفنون الجميلة بفرنسا عن نظريات الصوت «ويظهر أن نظريات الصوت فُكر فيها منذ القدم ، فقد وجدت بقبة كنيسة القديسة هيلانة بالقرب من روما ، (تورى^(١) پنياتارا) (Torre Pignàttara) قدور من الفخار من داخل البناء ، صوّبت فوهاتنا نحو الداخل ، وذلك إبان القرن الرابع » .

ولا شك أن الزلع التي وجدت في زوايا قباب مسجد محمد علي ولم تُعد إلى أما كنها ، كانت لهذا الغرض ، وقد روعي في تصميم إعادة العقود وغيرها أحجامها وإبعادها المعمارية الأصلية وأستدعى ذلك تسليحا خاصا للعقود ؛ كما أن القباب القديمة وقد كان سمكها نحو ٨٠ سم. مترا احتفظ فيها بهذا البعد ، وذلك بعمل قباب مفرغة بالبعد المطلوب بحيث تحتفظ بشكلها القديم تماما ، وكذلك روعي عند إعادة الزخارف أن تكون طبق الأصل ، فقد احتفظ بنماذج متعددة من الزخارف القديمة ، كما عملت نماذج جديدة مأونة قبل الهدم ، وأُخذت رسوم وصور فوتوغرافية لشتى أنواع الزخارف والخطوط ، مما ساعد على إعادة هذه الزخارف طبقا لأصلها . وكان لحضرات أعضاء القسم الفني للجنة حفظ الآثار العربية نصيب موفور من العناية باصلاح هذا المسجد وتبعية خطوات الإصلاح والمحافظة على نقوشه وكتابه وإعادة عملها طبقا لنماذجها القديمة .

وقد بلغت تكاليف أعمال الهدم والبناء ٦٠٠٠٠ جنيه . ونفقات البياض والزخرفة والتذهيب ٤٠٠٠٠ جنيه بخاء من أجل الأعمال المعمارية التي عملت في مصر .

وصف المسجد — إن موقع هذا المسجد من أجمل المواقع إذ يشرف على القاهرة مطاولا السماء بمناطيه الرشيقين وقبته الكبيرة ، ترمقه العيون من جميع نواحيها ، فكما أن الأهرام رمز مصر القديمة فهذا المسجد رمز مصر الحديثة ، وهما صنوان يقصدهما كل زائر أجنبي يهبط أرض مصر وكثيرا ما يقنع بعض زائري مصر في الفترات القصيرة بهاتين الزيارتين .

(١) هذا البحث مترجم ومثورة خلاصته في ص ٤٦٢ — ٤٦٤ ج ٢ ، كتاب هندسة المباني والإنشاء للاستاذين

والمسجد في مجموعه مستطيل البناء، وينقسم إلى قسمين : القسم الشرقى وهو المعد للصلاة، والغربى وهو الصحن تتوسطه فسقية للوضوء، ولكل من القسمين بابان متقابلان : أحدهما قبلى، والآخر بحرى؛ فالقسم الشرقى مربع الشكل طول ضلعه من الداخل ١٤ مترا، تتوسطه قبة مرتفعة، قطرها ٢١ مترا وارتفاعها ٥٢ مترا عن مستوى أرضية المسجد، محمولة على أربعة عقود كبيرة متكئة أطرافها على أربعة أكتاف مربعة يحوطها أربعة أنصاف قباب، ثم نصف خامس ليغطى بروز المحراب، وذلك خلاف أربعة قباب أخرى صغيرة بأركان المسجد.

وسمك الجدران في الأساس ٢,٢٠ مترا، ثم يتناقص هذا السمك حتى يصل إلى ١,٩٠ مترا في أجزائه العلوية، وقد كُسيّت جدران المسجد من الداخل والخارج بالرخام الألبستر المستورد من محاجر بنى سويف، وكذلك الأكتاف الأربعة الداخلية الحاملة للقبة إلى ارتفاع ١١ مترا.



بسملة بخط سنكلاخ

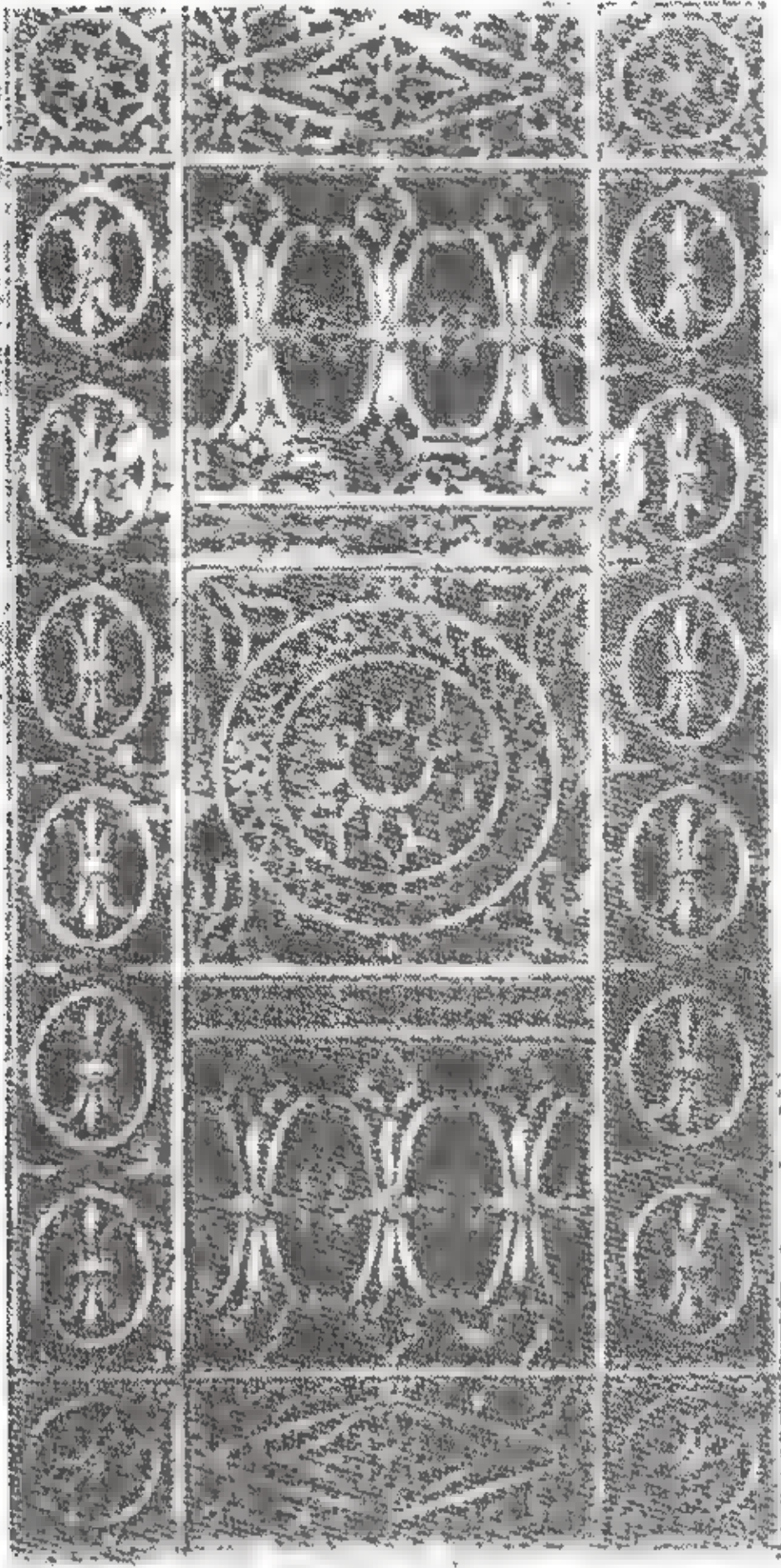
وتشغل الجدار الغربى، دكة المؤذنين وهى بعرض المسجد، مقامة على ثمانية أعمدة من الرخام فوقها عقود وبها سقوف ملونة، ولها سياج من نحاس يتوصل إليها وإلى الممر العلوى المحيط بالمسجد من سلمى المنارتين، وبندائر المسجد من أسفل شبابيك كُتب على أعتابها من الداخل أبيات من قصيدة البردة. والمحراب من الرخام الألبستر، يجاوره المنبر الرخامى الحديد الذى أمر بعمله حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول أعزّه الله، وبالقرب منه المنبر الخشبى القديم بالمسجد، وهو أكبر منبر فى الآثار الإسلامية وقد حُلّ بنقوش مذهبة.

وكُسيّت جميع جدران المسجد أعلى الكسوة الرخامية من الداخل ببياض حُلّ بنقوش ملونة مذهبة، أما القبة الكبيرة وأنصاف القباب فقد حُلّت بزخارف بارزة ملونة مذهبة، تمثل عقودا وزهورا يتوسطها هلال. وكتب فى أضلاع القبة بالتناوب : بسم الله . ما شاء الله . تبارك الله .

ومهندس الجامع، وإن كان اقتبس من مسجد السلطان أحمد بالآستانة التصميم والوجهات وشكل المنارات - إلا أنه لم يقتبس منه زخارفه، ولا زخارف عصره، بل اقتبس زخارف المسجد

من تلك الزخارف التي راجت في تركيا في القرن الثامن عشر الميلادي ، وهي تمثل جدائل مخضرة بزهورها الملونة وبعض الفواكه ، ولذا أشتملت مجموعة زخارف المسجد على أوراق نباتية وزهور ملونة وعناقيد عنب ، تكاد تكون وحداتها مكررة . وقد حليت زوايا القباب والعقود بلفظ الجلالة ، محمد رسول الله ، وأسماء الخلفاء الراشدين ، بخط الخطاط المشهور (أمين أزميري) .

وفي الركن الغربي القبلي قبر المغفور له محمد علي باشا ، وضعت عليه تركيبة رخامية حولها مقصورة نحاسية مذهبة ، جمعت بين الزخارف العربية والتركية والمصرية ، وثبت على جدارها القبلي لوحة رخامية مكتوبة باللغة التركية تضمنت مدح محمد علي باشا وعددت مواهبه وخدماته للقطر المصري ومدة حكمه وتاريخ وفاته ، وعلى طرفي الواجهة الغربية للصحن منارتان رشيقتان ، بارتفاع ٨٤ مترا عن مستوى أرضية الصحن ، بكل منهما ٢٥٦ درجة إلى نهاية الدورة الثانية ، خلاف درج المسلة .



شباك نحاسي

ومن الباب الذي يتوسط الجدار البحري للمسجد يتوصل إلى الصحن ، وهو فناء كبير مساحته ٥٣ × ٥٤ مترا ، تحته صهريج كبير ويحيط به أربعة أروقة ذات عقود محمولة على أعمدة رخامية ، تحمل قبابا صغيرة منقوشة من الداخل ، ومغشاة من الخارج بالواح من الرصاص مثل القبة الكبيرة وبها أهلة نحاسية .

وبدائر الإيوانات المذكورة ٤٦ شباكا تشرف على خارج الجامع من الجهات الثلاث : البحرية والغربية والقبليّة .

أما الجهة الشرقية فتشرف على الجامع ، وبها ثمانية شبابيك . يعلوها إفريز رخامي مكتوب عليه آيات من سورة الفتح بالخط الفارسي الجميل ، بقلم الخطاط المشهور (سنكلخ) سنة ١٢٦٢ هـ . وبهذا الإفريز أعلى المدخل لإسم السلطان عبد المجيد .

وبوسط الصحن قبة للوضوء أنشئت سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٤ م) . مقامة على ثمانية أعمدة من الرخام ، تحمل عقودا تكون منشورا ثمانى الأضلاع ، فوقه رفوف به زخارف بارزة ، وباطن هذه القبة محلى بنقوش تمثل مناظر طبيعية . وبداخل هذه القبة قبة أخرى رخامية ثمانية الأضلاع ، لها هلال رخامي نقش عليها بزخارف بارزة عناقيد عنب ، وبها طراز منقوش ملون مكتوب عليه بالخط الفارسي بقلم "سنكلخ"

قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فأغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأمسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الوضوء سلاح المؤمن » سنة ١٢٦٣ هـ .

ويتوسط الرواق الغربي بالصحن برج من النحاس المخزم والمحلى بالنقوش وبالزجاج الملون ، بداخله الساعة الدقاقة التي أهديت الى المغفور له محمد علي باشا ، من ملك فرنسا لويس فيليب سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٥ م) فقد جاء ضمن الوثائق الرسمية : أمر صادر من محمد علي باشا ، إلى ديوان المبيعات والتجارة ، في ٢٧ رمضان سنة ١٢٦٢ هـ بصرف مبلغ من المال إلى الأسطى الذي أحضر الساعة المهداة من ملك فرنسا إليه .

وقد ظلت هذه الساعة معطلة زمنا كبيرا الى أن غنى بإصلاحها حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك كما أمر بإصلاح برجها ، وثبتت على قاعدته لوحة تذكارية نصها :

« في عهد الفاروق وبأمره الملكى الكريم تم ترميم هذا البرج وأصلحت الساعة المهداة الى محمد علي باشا الكبير من ملك فرنسا لويس فيليب عام ١٨٤٥ م (١٣٦٢ هـ ١٩٤٣)

وأمام الوجهتين : القبلىة والبحرية للقسم الشرقى رواقان ، بهما عمد رخامية تحمل قبابا صغيرة ، وبداثر المسجد والصحن شبابيك نحاسية مفرغة بأشكال زخرفية ، ومكتوب على أعتاب الشبابيك من الخارج قصيدة من نظم الشيخ محمد شهاب الدين ، ابتدأت من يسار الباب البحرى للصحن وأولها :

عروس كنوز قد تحلت بهمسجد * مكللة تيجانها بالزبرجد
أم الجنة المبنى على قصورها * بأهيج ياقوت وأبهى زمرد
ومنها :

وهل أثريا صاح يعرب عن حلى * مؤثره دون البناء المشيد
فدع قصر غمدان وأهرام هرمس * وإيوان كسرى إن أردت لتهدى
ودع إرم ذات العماد ونحوها * وعرشا لبقيس كصرح ممرد
ودع أموى الشام وأنزل بمصرنا * وبادر الى هذا بليما مرشد
فلو عذدت فى الكون بدء بدائع * لكأن به ختم لذلك التعدد

وكم منشآت كالرواسى تخالها * حصونا جرت فى البحر ذات تشيد
وكم مسجد مبناه يشهد أنه * على وفق معنى إنما يعمر أبدى

وزر حرما مهما تشاهد جماله * نظرت بديع الصنع في كل مشهد

وآتت القصيدة على الشباك الأيمن للباب الذي بدأت منه بما نصه :

مبان إذا أمعت فيها مؤرخا * تريك على قندر العزيز محمد ١٢٦١

وقد سائر هذا الشاعر بأعباده شاعر القصر خطوات بناء الجامع وأزخ الكثير من أجزائه بمناسبة الفراغ منها، ومنه علمنا أن سلامة أفندي المهندس عمل مزولة للجامع، وأن الأبواب آتت سنة ١٢٦١ هـ ١٨٤٥ م وأن القبة الكبيرة آتت سنة ١٢٦٢ هـ ١٨٤٦ م .

أما الآيات القرآنية التي كتبت على أعتاب الأبواب الأربعة فقد كتبها الخطاط (أمين أزميرى) سنة ١٢٦٧ هـ ١٨٥١ م .

عناية حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق بالمسجد — في عهده الزاهر تمت أعمال الإصلاح، وتفضل حفظه الله بفتاحه بأداء فريضة الجمعة فيه يوم ٥ المحرم سنة ١٣٥٨ هـ . ووضعت على الباب البحري للمسجد لوحة تذكارية نصها :

بدأت إدارة حفظ الآثار العربية بعارة وتجديد مسجد محمد علي باشا الكبير في عهد المغفور له الملك فؤاد الأول وتم إفتاحه في عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول وذلك بأداء جلالة فريضة الجمعة في خامس شهر المحرم سنة ١٣٥٨ هـ ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٩ م

ولما رأى حفظه الله أن المنبر القديم يبعد كثيرا عن المحراب أمر بعمل منبر رخامي يتفق ورونق المسجد . فنفذت رغبة جلالة السامية ، وتم عمل المنبر من رخام الالبستر المطعم بالرخام الأحمر، وكتب على جانبيه اسم جلالة الملك . وله باب نحاسي مفقوع بزخارف متقنة ومكتوب أعلاه :

« أمر بعمل هذا المنبر المبارك حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك الصالح فاروق الأول في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة » . كما أمر بسد الشبايك الموجودة في بارزة المحراب برخام الالبستر على أن تكون متمشية مع باقي الكسوة الرخامية حولها ، وأمر حفظه الله بتجميل المحراب وكتابه وكتابة التركيبة الرخامية على قبر جذه العظيم ، فكتب على أجنابها ورءوسها تلك الآيات الشريفة :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار — إلى قوله تعالى ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون » . « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة — الآية » . « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا — الآية » . وكتب على شاهد القبر :

(١) نقل البدرى في كتاب محاسن الشام عن اليعقوبى أنه عاين في الجامع الأموى ثلاثة منابر، ص ٥٢ .

« بسم الله الرحمن الرحيم إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون — هنا مثوى والى مصر ومنقذها ورأس أسرتها المالكة ، المغفور له محمد على باشا . ولد نضر الله وجهه بمدينة قوله سنة ١١٨٢ للهجرة النبوية وولى مصر فى ١٧ من صفر سنة ١٢٢٠ ، ولحق بربه فى ١٣ رمضان من سنة ١٢٦٥ رحمه الله وطيب ثراه وبارك فى أسرته الزكية وسلالته العلوية » .

لم تقف عناية الفاروق بالمسجد عند هذا الحد ، فقد أمر حفظه الله بإعداد مشروع لتكسية باقى الواجهات برخام الألبستر . وقد أعد فعلا . ويشمل هذا المشروع أيضا جعل الساحتين أمام وجهتى المسجد القبلىة والبحرية حرما له ، وتجميل ما حوله . وقد بدئ بالساحة الواقعة بين المسجد وكوشك محمد على (المعروف بقصر الجوهرة) وكانت عناية جلالته بهذا القصر عظيمة ، فقد تم إصلاحه وأعيدت إليه نقوشه طبقا لأصلها تنفيذا لرغبته السامية التى شملت جميع قصوره . وبذلك أصبحت هذه المنطقة من أجمل بقاع العالم بحسن موقعها وبما حوت من آثار خالدة .

وهكذا نرى الفاروق العظيم يعنى بإصلاح وتتميم ما شيده جده العظيم .

حفظ الله لمصر ملكها الصالح ملاذ المسلمين وقبلة آمالهم ومعقل رجائهم وأعز بحياته العلوم والفنون .



اعتراف بالفضل

إلى العالم الجليل المتواضع حضرة صاحب السعادة يوسف فيليب جلاد باشا مدير الإدارة الأوروبية بديوان حضرة صاحب الجلالة الملك . أتقدم بأجزل الشكر على ما أولانيه من مساعدات جليلة . فقد كان لمعاونته وحسن توجيهه وإرشاداته القيمة أحسن الأثر في إخراج هذا السفر . جزاه الله خيرا بقدر ما يسدى الى العلم . وبقدر إخلاصه وتفانيه في خدمة الملك المفدى أعزه الله .

وأقدم جزيل شكرى إلى الأستاذ الكبير حضرة صاحب السعادة أنطون الجميل باشا الذى أفسح صدر الأهرام لنشر الكثير من هذه الأبحاث قبل إخراجها في ثوبها الجديد .

وأشكر أصدقائى الأجلاء : حضرة الأستاذ محمود حسن زناقي الذى تفضل بقراءة أصول الكتاب وتصحيحها ، وحضرتى الأستاذين أحمد زكى العدوى ورئيس القسم الأدبى بدار الكتب المصرية ووكيله الشيخ محمد البرهامى منصور على تفضلهما بترقيم الكتاب وتصحيحه ومراجعة فهارسه ، وحضرة محمد أفندى نديم مدير مطبعة دار الكتب المصرية ومعاونيه على ما بذلوه من جهد وعناية في طبع هذا الكتاب .

إلى حضراتهم جميعا وإلى كل من تفضل بمعاونتى أزجى أجمل الشكر وجميل العرفان ما

حسن عبد الوهاب

القاهرة في { رجب سنة ١٣٦٥
يونيه سنة ١٩٤٦

المراجع العربية

- آثار الأول في ترتيب الدول — للمحسن بن عبد الله — (طبع بولاق سنة ١٢٩٥) .
- آثار البلاد وأخبار العباد — لأبي يحيى زكريا القزويني — (طبع أوروبا سنة ١٨٤٨) .
- الآثار النبوية — لأحمد تيمور باشا — (مجلة الهداية سنة ١٣٤٨) .
- اتعاظ الخنفا بأخبار الخلفاء — لأحمد بن علي بن عبد القادر المقریزی — (طبع دار الأيتام السورية بالقدس سنة ١٩٠٩) .
- أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول — لمحمد بن عبد المعطي الإسماعيلي — (طبع العثمانية سنة ١٣١٥) .
- الأخبار الطوال — لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري — (طبع السعادة سنة ١٣٣٠) .
- أخبار مصر — لمحمد بن علي بن يوسف المعروف بابن ميسر — (طبع المعهد العلمي الفرنسي سنة ١٩١٩) .
- الأزهر — لمحب الدين الخطيب — (طبع السلفية سنة ١٣٤٥) .
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى — لأحمد بن خالد الناصري — (طبع مصر سنة ١٣١٢) .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة — لعز الدين أبي الحسن المعروف بابن الأثير — (طبع الوهية سنة ١٢٨٠) .
- إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين — للشيخ محمد الصبان — (طبع الوهية سنة ١٢٩٠) .
- الأعلام النفيسة — لأبي علي أحمد بن عمر بن رسته — (طبع ليدن سنة ١٨٩١) .
- أعمال مجلس إدارة الأزهر — (طبع مصر سنة ١٣٣٣) .
- ألف باء — لأبي الججاج يوسف البلوي — (طبع الوهية سنة ١٢٨٧) .
- الألفاظ الفارسية — لأدنى شير الكلداني — (طبع المطبعة الكاثوليكية، بيروت سنة ١٩٠٨) .
- الانتصار لواسطة عقد الأمصار — لأبراهيم بن محمد الشهير بابن دقاق — (طبع بولاق سنة ١٣٠٩) .
- بأى شرع نحكم — لمحمد سليمان — (طبع بولاق سنة ١٩٣٦) .
- البداية والنهاية — لأبي الفدا إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير — (طبع مصر) .
- بدائع البدائنه — لعلي بن ظافر الأزدي — (طبع بولاق سنة ١٢٧٨ هـ) .

بدائع الزهور في وقائع الدهور — لمحمد بن أحمد بن إياس المصري — (طبع بولاق سنة ١٣١٣ واستامبول سنة ١٩٣١) .

البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع — لمحمد بن علي الشوكاني — (طبع السعادة سنة ١٣٤٨) .
البرق اليماني في الفتح العثماني — لقطب الدين محمد بن أحمد — (خط) .
البعثات العلمية في عهد محمد علي — للإمير عمر طوسون — (طبع بمطبعة صلاح الدين بالاسكندرية سنة ١٩٣٤) .

بغية الملتحمس في تاريخ رجال الأندلس — لأحمد بن يحيى الضبي — (طبع مدريد سنة ١٨٨٤) .
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة — لجلال الدين السيوطي — (طبع السعادة، ١٣٣٦) .
بيت السادات الوفاية — للسيد محمد توفيق البكري — (طبع المؤيد سنة ١٣٢٣) .
تاج المفرق في تحلية علماء المشرق — لخالد بن عيسى بن أحمد البلوي — (خط) .
تاريخ ابن الفرات — لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات — (طبع المطبعة الأمريكية، بيروت سنة ١٩٣٩) .

تاريخ أبي الفداء المختصر في أخبار البشر — للملك المؤيد عماد الدين اسماعيل أبي الفداء — (طبع الحسينية سنة ١٣٢٥) .

تاريخ الإسرائيليين — لشاهين مكاربوس — (طبع المقتطف سنة ١٣٠٤) .
تاريخ بغداد (أو مدينة السلام) — للمافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي — (طبع السعادة سنة ١٩٣١) .

تاريخ البيمارستانات في الإسلام — للدكتور أحمد عيسى — (طبع الهاشمية بدمشق سنة ١٩٣٩) .
تاريخ جامع السلطان حسن — لهرتس باشا — (طبع بولاق سنة ١٩٠٢) .
التاريخ الحسيني — للسيد محمود البيلوي — (طبع التقدم العلمية سنة ١٣٢٤) .
تاريخ دولة المماليك — للسيروليم موير — تعريب الأستاذين محمود عابدين وسليم حسن — (طبع المعارف سنة ١٣٤٢) .

تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية — لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم المراكشي — مطبعة الدولة ، تونس سنة ١٢٨٩) .

تاريخ الدول الإسلامية بالجدول المرضية — للسيد أحمد زيني دحلان — (طبع البهية سنة ١٣٠٦) .
تاريخ الرسل والملوك — لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري — (طبع الحسينية سنة ١٣٢٦) .
تاريخ سلاطين المماليك — للفضل بن أبي الفضائل — (طبع أوروبا) .

- تاريخ سلاطين المنالك - لابراهيم بن مغطاي - (طبع باريس ١٩١٩) .
- تاريخ العصر الحديث - للدكتور محمد صبرى - (طبع دار الكتب سنة ١٩٢٦) .
- تاريخ الكامل - لأبى الحسن المعروف بابن الأثير (طبع بولاق سنة ١٢٩٠) .
- تاريخ مختصر الدول - لأبى الفرج بن هارون المعروف بابن العبري - (طبع الكاتوليكية بيروت سنة ١٨٩٠) .
- تاريخ مدينة دمشق - للامام الحافظ ابن عساكر - (خط) .
- تاريخ مساجد بغداد وآثارها - للسيد محمود شكرى الألوسى - (طبع دار السلام ببغداد سنة ١٣٤٦) .
- تاريخ ووصف الجامع الطولونى - لمحمود عكوش - (طبع دار الكتب سنة ١٩٢٧) .
- تاريخ يعقوبى - لأحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب - (طبع النجف سنة ١٣٥٨) .
- التبر المسبوك فى ذيل السلوك - لمحمد بن عبد الرحمن السخاوى - (طبع بولاق سنة ١٨٩٦) .
- تحفة الأحباب وبغية الطلاب - للسخاوى - (خط) .
- تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام - لعبد الباسط فاخورى - (طبع بيروت سنة ١٣٢٠) .
- التنبيه والأشراف - لأبى الحسن على المسعودى - (طبع ليدن سنة ١٨٩٣) .
- تهذيب الأسماء واللغات - للامام محيى الدين أبى زكريا يحيى النوى - (طبع جوتجن سنة ١٨٤٢ - ٤٧) .
- جامع عمرو بن العاص - لمحمود أحمد باشا - (طبع بولاق سنة ١٩٣٨) .
- جوار الأخيار فى دار القرار - لابن أبى حجلة التلمسانى - (خط) .
- جوامعنا - لخليل أدهم - (طبع استامبول سنة ١٩٣٣) .
- جواهر البحور - لإبراهيم بن وصيف شاه - (خط) .
- الجواهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين - لصارم الدين ابراهيم المعروف بابن دقاق - (خط) .
- حجة وقف الأشرف برسباى - (خط) .
- حجة وقف السلطان قايتباى - (خط) .
- حجة وقف زين الدين يحيى - (خط) .
- حجة وقف السلطان الغورى - (خط) .
- حجة وقف المؤيد شيخ - (خط) .
- حجة وقف عبد الباقي چوريجى - (خط) .
- حجة وقف يوسف الحين - (خط) .

- حدائق القاهرة ومتنزهاتها — تأليف ج . دلشيفالري — (مطبعة المدرسة الإلهامية سنة ١٩٢٤).
- الحركة القومية — لعبد الرحمن الرافعي بك — (طبع النهضة سنة ١٩٣٠).
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة — لجلال الدين السيوطي — (طبع الوطن سنة ١٢٩٩).
- حقائق الأخبار في دول البحار — لاسماعيل سرهنك — (طبع بولاق سنة ١٣١٤).
- الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والمجاز — لعبد الغنى النابلسي — (خط).
- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور — لأبي المحاسن يوسف بن تفرى بردى — (طبع كاليفورنيا سنة ١٩٣٠).
- الخطة التوفيقية الجديدة — لعلى مبارك باشا — (طبع بولاق سنة ١٣٠٥).
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر — لمحمد المحجى — (طبع الوهية سنة ١٢٨٤).
- الدر المنتخب في تاريخ حلب — لمحمد بن الشحنة الحلبي — (طبع الكاثوليكية بيروت سنة ١٩٠٩).
- دزة الأسرار وتحفة الأبرار — لمحمد بن أبى القاسم الحميرى المعروف بابن الصباغ — (طبع الاسكندرية).
- درر النيجان وغرر تواريخ الزمان — لأبى بكر عبدالله بن أيبك — (خط).
- درر الفرائد المنظمة في أخبار الج وطريق مكة المعظمة — لعبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصارى الحنبلى — (خط).
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة — لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى — (طبع الهند سنة ١٣٤٩).
- دليل دار الآثار العربية — لمكس هرتس باشا — ترجمة على بهجت بك — (طبع بولاق سنة ١٣٢٧).
- ديوان أيدمر المحيوى — لأيدمر المحيوى — (طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٣١).
- ديوان السيد محمد شهاب الدين — (طبع مطبعة السيد محمد جاهين سنة ١٢٧٧).
- ديوان الشبراوى — للشيخ عبدالله الشبراوى — (طبع الكاستلية سنة ١٢٩٣).
- ديوان ابن نباتة المصرى — لجمال الدين أبو بكر محمد — (طبع مصر، سنة ١٢٨٨).
- الذكري المئوية لتثبيت محمد على باشا الكبير وأسرته على عرش مصر — لجميل خانكى — (طبع العصرية).
- ذيل المقرئى — لعبد الحميد نافع — (خط).
- رحلة ابن بطوطة — لأبى عبدالله محمد المعروف بابن بطوطة — (طبع وادى النيل، سنة ١٢٨٧).
- رحلة ابن جبير — لأبى الحسن محمد بن جبير — (طبع مصر).
- الرحلة الحجازية — لمحمد لبيب البتانوفى — (طبع مصر سنة ١٣٢٩).
- رسائل تاريخية — لشمس الدين محمد بن على بن أحمد بن طولون — (طبع السعادة سنة ١٣٤٨).
- الروضتين في أخبار الدولتين — لشهاب الدين أبى محمد المقدسى — (طبع وادى النيل سنة ١٢٨٨).

- الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة — لمحمد بن أبي السرور البكرى — (خط).
- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك — اغرس الدين خليل بن شاهين — (طبع باريس سنة ١٨٩٤).
- زهر الآس في بناء مدينة فاس — لأبي الحسن الجزائى — (طبع باستيد بالجزائر سنة ١٩٢٢).
- سفر نامه — لناصر خسرو علوى — ترجمة الأستاذ يحيى الخشاب — (طبع لجنة التأليف بمصر سنة ١٩٤٥).
- سكران الساطان — لأحمد بن يحيى التلمسانى — (طبع مصر سنة ١٣١٧).
- السلوك لمعرفة دول الملوك — لتقى الدين أحمد بن على المقرئى — بتحقيق الأستاذ محمد مصطفى زيادة — (طبع مصر).
- سيرة أحمد بن طولون — لأبى محمد عبدالله البلوى — (طبع الترقى بدمشق سنة ١٣٥٨).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب — لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد — (طبع مصر سنة ١٣٥١).
- صبح الأعشى — لأبى العباس أحمد القلقشندى — (طبع بولاق سنة ١٩١٤).
- صفوة الزمان فيمن تولى على مصر من أمير وساطان — لمصطفى الصفوى الشافعى القلعاوى — (خط).
- ضوء الصبح المسفر — لأبى العباس أحمد القلقشندى — (طبع الواعظ سنة ١٩٠٦).
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع — لشمس الدين محمد السخاوى — (طبع مصر سنة ١٣٥٤).
- الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد — لكمال الدين الأدفوى — (طبع الجمالية مصر سنة ١٩١٤).
- طبقات الشافعية — لتاج الدين عبد الوهاب السبكى — (طبع الحسينية سنة ١٣٢٤).
- طبقات القراء — لابن الجزرى — (طبع مصر سنة ١٩٣٢).
- الطبقات الكبرى — للإمام عبد الوهاب الشعرانى — (طبع بولاق سنة ١٢٧٦).
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار — لعبد الرحمن بن حسن الجبرتى — (طبع بولاق سنة ١٢٩٧).
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان — لبدر الدين العيني — (خط).
- العقد الفريد — لشهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه — (طبع بولاق سنة ١٢٩٣).
- العمارة في سوريا الوسطى — للماركى دى فوكويه وتمريب الأستاذ محمود فؤاد مرابط — (طبع الاعتماد سنة ١٩٤٤).
- عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف — لأبى عبدالله محمد بن سلامه المعروف بالقضاعى — (خط).
- العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، — (طبع ليدن سنة ١٨٥٣).
- فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان — لأبى عبدالله محمد الواقدى — (طبع المحروسة مصر سنة ١٨٩١).
- فتوح البلدان — لأبى العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى — (طبع ليدن سنة ١٨٦٦).

فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر — محمد بن محمد المعروف بابن بهادر المؤمني — (خط) .
الفخري في الآداب السلطانية — محمد بن علي بن طباطبا المعروف بالطقطقي — (طبع الموسوعات
سنة ١٣١٧) .

الفضائل الباهرة — لابن ظهيرة — (خط) .
فضائل الإسكندرية، — (خط) .
فضائل مصر وأخبارها — للحسن بن زولاق — (خط) .
الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة — لنجم الدين الغزي — (خط) .
الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة — لشمس الدين محمد بن الزيات — (طبع بولاق سنة ١٩٠٧) .
كنوز الذهب في تاريخ حلب — لموفق الدين أبي ذر الشهير بسبط ابن العجمي — (خط) .
فوات الوفيات — لمحمد بن شاكر الكتبي — (طبع بولاق سنة ١٢٩٩) .
الفوائد البهية في تراجم الخنفية — لمحمد عبد الحى اللكنوى — (مطبعة السعادة ١٣٢٤) .
قطف الأزهار من الخطوط والآثار — لمحمد بن أبي السرور البكري — (خط) .
الكشكول — لمحمد بن حسين بن عبد الصمد المقب بهاء الدين العاملي — (طبع بولاق سنة ١٢٨٨) .
كوكب الروضة — لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي — (خط) .
لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرمي وشيخه أبي الحسن الشاذلي — لأبن عطاء الله
السكندري — (طبع تونس سنة ١٣٠٤) .
مجلة المجمع العلمي العربي — (طبع دمشق سنة ١٩٣٦) .
محاضر وتقاير لجنة حفظ الآثار العربية .

مختصر أخبار الخلفاء — لعلي بن أنجب الساعي = (طبع بولاق سنة ١٣٠٩) .
مخطوطات الموصل وفيه بحث عن مدارسها — لداود الحلبي الموصل — (طبع بغداد سنة ١٩٢٧) .
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان — لشمس الدين أبي المظفر سبط ابن الجوزي — (طبع شيكاغو
سنة ١٩٠٧) .

مرآة الزمان وعبرة اليقظان — لأبي محمد عبدالله الياقبي — (طبع الهند سنة ١٣٣٩) .
مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع — لشرف الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي — (طبع لبدن
سنة ١٨٧٩) .

مروج الذهب ومعادن الجوهر — لأبي الحسن علي بن الحسين المسمودي — (طبع بولاق
سنة ١٢٨٣) .

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار -- لابن فضل الله العمري - (طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٤) .

- مسالك الممالك - لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الاصطخري - (طبع ليدن سنة ١٩٢٧) .
- مشاهد الصفا في المدونين بمصر من آل المصطفى - للعلامة الصفوي - (خط) .
- المشتى - لأحمد تيمور باشا - (الزهراء ج ٥ مجلد ٥ ذو القعدة سنة ١٣٤٨) .
- مصابيح السنة - للإمام البغوي (الحسين بن مسعود) - (طبع بولاق سنة ١٢٩٤) .
- المعارف - لابن قتيبة الدينوري - (طبع الرحمانية سنة ١٩٣٥) .
- معجم البلدان - لأبي عبد الله ياقوت الحموي - (طبع السعادة سنة ١٩٠٧) .
- معجم السلفي - للحافظ أبي طاهر أحمد السلفي - (خط) .
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب - لجمال الدين بن واصل - (خط) .
- المغرب في حل المغرب - لابن سعيد - (طبع ليدن سنة ١٨٩٨) .
- منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماء - لتاج الدين شاهنشاه - (طبع الآداب والمؤيد ، سنة ١٣١٧) .

- المتظم في أخبار الأمم - لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن المعروف بابن الجوزي - (خط) .
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي - لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي - (خط) .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - لثقي الدين أحمد بن علي المقرئ - (طبع بولاق سنة ١٢٧٠) .

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي - (طبع دار الكتب المصرية ، سنة ١٩٤٢) .
- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المشهورة بالرحلة الورثيانية - للمسن بن محمد الورثياني - (طبع الجزائر سنة ١٩٠٨) .

- نزهة الأنام في محاسن الشام - لأبي البقا محمد بن البدر - (طبع السلفية ١٣٤١) .
- النزهة الزهية في ذكر ولاية مصر والقاهرة المعزية - للسيد محمد بن أبي السرور البكري - (خط) .
- نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس - للعباس بن علي الموسوي - (طبع الوهية سنة ١٢٩٣) .
- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان - لعلي بن داود الخطيب الجوهري - (خط) .
- نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة - لأحمد تيمور باشا - (طبع السلفية ،) .

- تفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب - لأبي العباس أحمد المقرئ - (طبع مصر سنة ١٣٠٤) .
- نهاية الأرب في فنون الأدب - لشهاب الدين أحمد النويري - (خط) .
- هندسة المباني والإنشاءات - لحسين محمد صالح وأحمد حسني عمر - (طبع الاعتماد سنة ١٩٢٨) .
- الولاية والقضاة - لأبي محمد بن يوسف الكندي - (طبع بيروت سنة ١٩٠٨) .
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى - لنور الدين علي السهمودي - (طبع الآداب والمؤيد ، سنة ١٣٢٦) .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - للقاضي أحمد الشهير بابن خلكان - (طبع بولاق سنة ١٢٧٥) .

Bibliographie

- Comité de Conservation des Monuments de l'Art Arabe. (Comptes Rendus).
Coste, Pascal. — Architecture Arabe ou Monuments du Kaire. Paris. 1839.
Creswell, K.A.C.— Early Muslim Architecture. (2 vols.) Oxford, 1932, 1940.
Devonshire, Mrs R. L.—L'Egypte Musulmane et les fondateurs de ses monuments.
Paris 1926.
- Ethem. Halil—Camilerimiz. Istanbul 1933.
Falaki, Mahmud Bey.—Mémoire sur l'Antique Alexandrie. Copenhague 1872.
Hautecoeur, L., & Wiet, G.—Les mosquées du Caire. Paris 1932.
Hay, Robert. — Illustrations of Cairo. London 1840.
Herz, Max. — La mosquée du sultan Hassan au Caire. Caire 1899.
——— La mosquée el-Rifâi au Caire. Milan 1906.
Prisse d'Avennes.—L'Art Arabe dans les monuments du Kaire (3 vols) Paris 1873.
Répertoire chronologique d'épigraphie arabe. (Inst. Fr. Arch. Orien.) Caire
1931-1944.
- Roberts, David.— Egypt & Nubia. London 1896.
- Van Berchem, Max. — Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum.
(Mémoires Mission Archéologique Française du Caire. Tome XIX, fasc. I-IV).
1903.
- Wiet, Gaston. — Lampes et bouteilles en verre émaillé. (Catalogue Général du
Musée Arabe) Caire 1929.
- Objets en cuivre. (Catalogue Général du Musée Arabe) Caire 1932.
- L'Exposition Persane de 1931. Le Caire 1933.
- et Hautecoeur, L. — Les mosquées du Caire. Paris 1932.
-



فهرس الموضوعات

صفحة

- ١٩ ... ظهور الخط الكوفي المربع بمصر ...
 خروج عمال مصر وصناعاتها وعلمائها وفنانيها
 ٢٠ ... إلى استانبول ...
 ٢٢ ... ظهور زخارف الروكوكو بمصر ...
 ٢٩ ... القضاء والمالية بجامعة عمرو بن العاص ...
 ٣٠ ... جامعة عمرو بن العاص ...
 ٣٠ ... إحصاء للطلبة في جامعة عمرو والأزهر ...
 ٣٠ ... دروس للنساء في جامع عمرو ...
 منشأ صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان
 ٣١ ... جامع عمرو ...
 ٣٧ ... بحث في الفسيفساء ونماذجها في مصر ...
 ٣٧ ... المنبر القديم للجامع الطولوني ...
 ٣٩ ... تمديد المحاريب في المساجد ...
 ٤٣ ... مهندس المقياس أحمد بن محمد الحاسب ...
 ٤٤ ... أسماء نجارين بالجامع الطولوني ...
 ٤٤ ... نشوء فكرة صرف العمال قبل الغروب ...
 عمل رسومات هندسية للمنشآت العمارة
 ٤٤ ... ومنها تصميم الجامع الطولوني ...
 ٤٥ ... تدريس الطب في الجامع الطولوني ...
 ٥١ ... نشأة العقود الفارسية بمصر ...
 ٥١ ... اكتشاف المحراب القديم للأزهر سنة ١٩٣٣ ...
 ٥٢ ... أول درس ألقى بالجامع الأزهر ...
 ٥٤ ... رسوم للظاهر برقوق بشأن مجاورى الأزهر

صفحة

- عناية جلالة الملك فاروق بالآثار الإسلامية
 وتفضله بنشر هذا الكتاب على ثقته
 الخاصة ...
 ٧ ...
 ٨ ... عناية البيت العلوي بالآثار الإسلامية ...
 التعريف بالمسجد والجامع ، وأول مسجد
 بني في الإسلام ...
 ١١ ...
 ١٢ ... تعدد المساجد الجامعة في مصر ...
 ١٢ ... نشأة المدارس بمصر ...
 النهضة العلمية في الإسكندرية ، ومناصرتها
 للسنة قبل مصر ...
 ١٣ ...
 ١٣ ... إنشاء جامعة صلاح الدين بالإسكندرية ...
 ١٣ ... أول مدرسة بالإسكندرية وأول مدرسة بمصر ...
 ١٣ ... أول مدرسة للسادة الخنفة بالقاهرة ...
 ١٤ ... تصميم المسجد وتصميم المدرسة ...
 حدائق نهارويه بن أحمد بن طولون
 واشتمالها على حدائق للحيوانات ...
 ١٥ ...
 بيت الذهب بقصر نهارويه ونقش صور
 جواريه ومغنياته على جدرانه ...
 ١٦ ...
 ١٨ ... ظهور الخط النسخي على العمار الإسلامية ...
 ديوان الأشغال في عصر الناصر محمد بن قلاوون
 نموذج وحيد لزخارف جصية مأونة ومغطاة
 بزجاج رقيق ...
 ١٩ ...
 أقدم نموذج للتاريخ بالأرقام الهندية على
 الآثار الإسلامية بمصر (في قبة حسن
 صدقة) (المدرسة السعدية) ...
 ١٩ ...

صفحة	صفحة
عبيد بن معالى نجار ممتاز صنع تابوت الامام الشافعى واسمه منقوش عليه وهو من أسرة عريقة فى هذه الصناعة ١٠٨٠٩١	وجود زيادة للجامع الأزهر أمام الوجهة الغربية ... ٥٤
المخلفات النبوية ... ٩٢	منارات ذات سلم مزدوج لا يرى الصاعد النازل ... ٥٦
بحث فى المصحف العثمانى ... ٩٣	ابن السيوفى، مهندس فى عصر الناصر محمد بن قلاوون (تقد جامع الماردانى والمدرسة الآقباوية) ... ١٥١٠٥٧
سلسلة الترابيع الحجرية المنقوشة ... ٩٩	نشأة مكتبة الأزهر ... ٦١
المشهد الحسينى بجامع الصالح طلائع ... ١٠٤	فتح الصندوق الذى كان معلقا بجوار المحراب القديم والقضاء على الخرافات المحيطة به ... ٦٢
استعمال العمد الرخامية كميد لربط المباني فى الآثار الإسلامية بمصر وسلسلة الآثار المشتملة عليها ... ٩٩	أحمد بن أباره الموصلى صانع نحاس ممتاز (اسمه منقوش على صندوق ربعة مكفت بالفضة) ... ٦٢
عمر (اسم صانع زرفشان) منقوش اسمه على المقصورة القديمة للشافعى سنة ١١٨٥هـ (١٧٧١ م) ... ١٠٩	عيد ألقى للجامعة الأزهرية صفر سنة ٣٦٥ (صفر سنة ١٣٦٥) ... ٦٣
أقدم قبة خشبية وسلسلة القباب المتخذة من الخشب ... ١٦٩٦١١٠	فرش الأزهر بالسجاد على نفقة الملك الصالح فاروق الأول ... ٦٣
بحث فى العشارى فوق قبة الشافعى ... ١١٣	اكتشاف قبة بدر الجمالى ... ٦٥
مناقشة المدة المحددة لبناء قبة ومدرسة وبيمارستان قلاوون ... ١١٥	استعمال الحجر فى المنشآت الفاطمية ... ٧٠
نشأة المتاحف فى العصر الإسلامى ... ١١٩	العثور على حشوات خشبية بها صور حيوانات بمنبر جامع الأقمر، وبهذه المناسبة أذكر أن تابوت أم الملك الكامل بقبة الإمام الشافعى اتخذت قوائم الخلفية من أخشاب فاطمية بها صور حيوانات متقنة جدا ... ٧٣
خاتناه سائر لاختناها سنجر الجاولى ... ١٢٥	اكتشاف تابوت المشهد الحسينى واستخراجه من محله ... ٨٨
قبة ومنارة أبى الغضنفر أيوبية لا فاطمية ١٢٧	
أبواب منارات ذات مسطبتين ... ١٢٧	
بحث فى طرز المنارات وتطورها بمصر ... ١٢٧	
استعمال الخط الكوفى فى قباب دولة المماليك البحرية ... ١٢٧	
سلسلة المحاريب ذات الطوابق (نرده دقيقة) ١٢٨	
القباب الحجرية ... ١٢٨	
عبيدا لرحمن الطولونى من علماء الميقات وله منزلة فى خاتناه الجاولى ... ١٢٩	

صفحة	صفحة
اكتشاف شباك نحاسى مكفت بالذهب	جسر من قلوب إلى دمياط ... ١٣١
والفضة باسم الملك المظفر ... ١٥٦	أول تكسية بالقاشانى فى المنارات بمصر... ١٣٣
الرخام الأسود ذو البريق كالمرآة المصقولة	معنى خائفاه والفرق بينها وبين الرباط ... ١٣٥
وسلسلة نماذجه ... ١٥٨	الأبواب ذات المقرنصات المتدلية ... ١٣٧
تفاصيل معمارية مصرية فى العمارة الإسلامية ١٥٨	سلسلة الشبايك الخشبية فى وجهات
الدكك الحجرية فى المساجد وسلسلتها ... ١٥٩	المساجد ... ١٣٧... ١٩٤٤
أقدم قبة فوق محراب مدرسة ... ١٦٢	الزخارف فى حافة العقود وباطنها ... ١٣٧
صور حيوانات وطيور فى أبواب وسلسيلات ١٦٣	الدكك الرخامية فى المساجد وسلسلتها ... ١٣٨
القباب السمرقندية بمصر ... ١٦٣	الشريف (صانع ممتاز فى صناعة الأبسطة) ١٣٩
المنارات ذات الشرفة الواحدة (بلكون) ١٦٤	فتح شارع محمد على سنة ١٢٩٠ ١٨٧٣ م ١٤٠
القباب الخارجة عن سمت الوجاهات خلف	سلسلة المساجد ذات المنارتين ويضاف إليها
المحاريب وسلسلتها ... ١٧٣	مسجد المعينى بدمياط وزغلول برشيد ١٤١
محمد بن بيليك المحسنى (مهندس مدرسة	بناء تبريزى (بنى منارتى قوصون) ... ١٤١
السلطان حسن) ... ١٧٩	بدر بن أبى يعلا صانع ثريا الأمير قوصون
منشأ تمييز الأشراف بعائم خضراء بمصر ١٨٢	فى ١٤ يوما ... ١٤٢
التعبير عن الشقيقة بكرامة ... ١٨٦	صلاة الملك الصالح فاروق الأول إماما فى صلاة
سلسلة الإيوانات التى تكتنفها قبتان ... ١٨٧	الجمعة بمسجد قوصون ... ١٤٢
القصر الكبير الشرقى وما حل محله من أبنية ١٩٢	مكتبة مصطفى باشا فاضل وشراء المغفور له
القصر الصغير الغربى » » » » ١٩٢	الملك فؤاد الأول لها وإهدائها إلى
سبب تسمية الأحجار الكبيرة (عجالى) ... ١٩٣	دار الكتب ... ١٤٥
شهاب الدين أحمد بن الطولونى (مهندس	فواصل زخرفية بين الشرفات وسلسلتها ... ١٥٠
المدرسة الظاهرية) ... ١٩٣... ١٩٧٦	شبايك من القاشانى بمسجد الماردانى
الحصر العبدانى ... ١٩٣	لا نظير لها بمصر ... ١٥١
منارة المدرسة الظاهرية أقدم منارة باقية	أكبر مجموعة من القاشانى بمسجد إبراهيم أغا ١٥٤
لئس بدنها بالرخام ... ١٩٤	سلسلة القباب المملوكية ذات المقرنص من
نماذج الشبايك النحاسية المصبوبة ... ١٩٥	طافة واحدة ... ١٥٥
الأرضيات الرخامية على شكل محاريب	(الجامع الأزرق) ... ١٥٥
ومنشؤها ونماذجها ... ١٩٦	المنابر الرخامية (وسلسلتها) ... ١٥٥

صفحة	صفحة
أحمد بن عيسى الديماطي (نجار ممتاز) صنع منبر	اكتشاف بقايا مشكاوات باسم الظاهر برقوق ١٩٧
الحرم المكي ومنبر الغمري والمزهرية ٢٢٨	اكتشاف سرقة تاريخية في عتب باب بمسجد
تسع شعرات للنبي صلى الله عليه وسلم في	الإمام الليث ١٩٩
محراب مسجد الأشرف بالخانكة ... ٢٣٢	نقل باب خشبي من مسجد الشافعي وعليه
ديوان المفرد ٢٣٤	أسمه إلى مسجد الإمام الليث ، وقد
باب الخوخة (بجوار مسجد القاضي يحيى	سبقة المؤيد شيخ في نقل باب مدرسة
بشارع الأزهر) ٢٣٤	السلطان حسن إلى مسجده وتبعهما
محمد بن حسن الطولوني المهندس ... ٢٤٠	ابن مزهر في نقله باب المدرسة
منشأ المحاريب الحجرية (بحث في نشأة	المنكوتمرية إلى مدرسته بشارع البغال ٢٠١
المحاريب وتطورها) ٢٤٨	إنشاء المؤيد منارة بالجامع الأزهر ... ٢٠٧
مقابر الماليك لا مقابر الخلفاء ... ٢٥٠	(خواجه) معناه وانتشاره وأسماء الآثار
منشآت قايتباي بالقرافة الشرقية ... ٢٥٠	التي نقش عليها أسمه ٢٠٧
محمد الشينبي مؤذن مسجد قايتباي (خطاط	تدريس الطب في الجامع المؤيدي ... ٢٠٩
ونقاش) ٢٥٢	نقد ومناقشة المدد القصيرة التي حددت
بحث في الأقدام المنسوبة للنبي صلى الله	لإنشاء المساجد في النصوص
عليه وسلم ٢٥٧	التاريخية ٢٠٩
الأبواب الجزارة (نشأتها في دولة الماليك	بحث في أن الكتابة الكوفية على تربة المؤيد
الجراكسة) ٢٦٣	شيخ منقولة إليه من أثر إخشيدى
عبد القادر النقاش (صانع ممتاز) أسمه مكتوب	أوفاطمى ٢١١
في مسجدى بقماس وأبي بكر مزهر ٢٦٤	المؤيد شيخ أول من استن نزول الخطيب
القباب المنقوشة ٢٦٥	درجة في خطبة الجمعة عند دعائه
معاقبة سارق الآثار بالنفى ... ٢٦٧	للسلطان ، كي لا يذكر في الموضع الذي
العمد المثمنة والمنقوشة وهي تعطى نوحا	ذكر فيه اسم الله ٢١٢
من العمود الإسلامى ٢٦٨	محمد بن القزاز (معماري منارتى مسجد المؤيد) ٢١٣
منشأ المنطقة من الحسينية إلى العباسية ٢٦٩	ثلاث منارات لمسجد المؤيد عند إنشائه ٢١٣
منشأ الدخولية في عصر الخديو إسماعيل ٢٧١	لماذا عرف مسجد عبد الفنى الفخرى
الفداوية (نشأتها) — ومعناها — ... ٢٧٢	(مسجد البنات) ٢١٧
تاريخ جزيرة الروضة ٢٧٣	الكوفي المربع في أبواب المساجد ... ٢١٨
	تطور الزخارف في القباب ٢٢٦

صفحة	صفحة
٣١٧ بحث في نكسية القباب بالقاشاني	٢٧٣ فرقة إطفاء مكوّنة من خمسمائة عامل
٣١٨ فتح النوبة في عصر الظاهر بيبرس	٢٧٣ صالح بن نافع مهندس قصر المختار
٣٢٤ في الأسواق «الصلاة يامفلحون»	٢٧٣ زقازق وآبن أبي الرداد منفذا قصر المختار
٣٢٦ صدور أمر جلالة الملك فاروق الأول بمنع	٢٧٤ حسن الطولوني مهندس السلطان قايتباي
٣٢٧ بناء العمارة لصق وجهة مسجد عثمان	٢٧٤ انفجار بارود في مسجد قايتباي بالروضة
٣٢٧ كتحدا وتكملة بناء الوجهة محل العمارة	٢٧٧ نوع من زخرف الخط رءوس ألفاته متشابكة
٣٢٧ الحاج مسعود السبع (صانع قاشاني مغربي	٢٧٧ على بن طنين (نجار ممتاز) اسمه مكتوب على
٣٢٧ ممتاز)	٢٧٧ منبر مسجد أبي العلا
٣٢٧ محمد بن عبد الكريم القاسبي المعروف بالزريع	٢٨٤ منشأ المنارات ذات الرأس المزدوج
٣٢٧ (صانع قاشاني ممتاز)	٢٨٤ استقبال الغوري لسفراء الدول ومنهم سفير
٣٢٨ الحاج السيد عبد المولا الطويني (نجار ممتاز)	٢٨٦ البندقية
٣٢٩ بحث في منشأ رفع العلم نهرا فوق المنارات	٢٨٦ إينال شاد عمارة مدرسة وقبة الغوري
٣٢٩ وإضاءتها ليلا بالاسكندرية	٢٨٧ ومكافاته بترقيته أمير عشرة
٣٣٠ شعراء مصر والإسكندرية يصفون فانوس	٢٩٤ المصحف العثماني
٣٣٠ السحور بالمنارات	٢٩٤ وصف ربة سيف الدين بكتمر وبها أسم
٣٣٤ حفريات في مقبرة النبي دانيال	٢٩٤ كاتبها ومذهبها محمد بن محمود الحمداني
٣٣٥ البلوي مؤلف كتاب ألف باء - أحسن	٣٠٥ منزلة من عمل حسن الصواف سنة ١١٨٢
٣٣٥ من وصف منار الإسكندرية -	٣٠٦ أثر المرأة في الحضارة والعمارة الإسلامية
٣٣٨ شاهد مكتوب بالخط النسخ سنة ٥٦١	٣١٠ المهندس الكبير سنان
٣٤٠ المحافظ السلفي بالإسكندرية وإقامته بها	٣١٠ جامع بطيخة بالقرب من جامع الحين بباب
٣٤٠ من سنة ٥١١ إلى سنة ٥٧٦ هجرية	٣١٣ الخرق
٣٤٥ اهتمام عبد الرحمن كتحدا بالعمارة وخبرته	٣١٣ مسجد البردي أنشئ سنة ٥١٠ هـ ومكتوب
٣٤٥ بالهندسة	٣١٣ على إزار السقف سنة ١٢٠٥
٣٥٢ تخصيص علماء للفتوى في مسجد أبي الذهب	٣١٣ تفسير السحابة الشريفة
٣٥٢ مكتبة أبي الذهب، وأذكر أن الخديو	٣١٦ قبر عمرو بن العاص
٣٥٢ إسماعيل باشا أعاد الى دار الكتب	٣١٦ متحف حربي ملحق بقبر عقبة بن عامر
٣٥٢ المصرية مصحف أبي الذهب من	٣١٦ تعيين أربعة سيمانية (يجيدون الرماية بالبندق)
٣٥٢ متحف اللوفر سنة ١٨٦٧	٣١٦ لحراسة مسجد عقبة وملحقاته

فهرس الموضوعات

صفحة	صفحة
٣٧٨ ... الهيئة الفنية لعمارة مسجد محمد علي باشا ...	٣٥٦ مزولة من عمل محمود بن حسن النيشي الملكي
التفكير في نظريات الصوت منذ القدم	٣٥٨ بحث في تسمية الأربعين
وتطبيقها في مسجد محمد علي باشا عند	٣٧٧ تثبيت حق الوراثة في ذرية محمد علي باشا
إنشائه	يوسف بوشناق (مهندس مسجد محمد
٣٨٣	علي باشا الكبير)
منكلاخ وأمين أزميري خطاطا مسجد	٣٧٨ علي حسن مساعد مهندس مسجد محمد
محمد علي باشا الكبير ٣٨٤، ٣٨٧	علي باشا الكبير ٣٧٨

فهرس اللوحات بالجزء الأول

صفحة	صفحة
المسقط الأفقى للجامع الصالح طلائع ... ١٠٠	تطور تخطيط جامع عمرو بن العاص وزياداته ٢٤
الكتابة الكوفية حول العقود ، ودوائر	تخطيط جامع عمرو بن العاص كما وصفه
خواصرها بجامع الصالح طلائع ... ١٠٢	ابن دقاق ... ٢٧
قطاع طولى للجامع الصالح طلائع ... ١٠٣	المسقط الأفقى للجامع الطولونى ... ٣٣
أحد الشبايك فوق العقود بجامع الصالح	الدعائم بالرواق الشرقى للجامع الطولونى ... ٣٥
طلائع ... ١٠٥	المحراب والمنبر بالجامع الطولونى ... ٣٦
توقيع نجار تابوت الإمام الشافعى	اللوحة التاريخية لإنشاء الجامع الطولونى ... ٤٠
(عيد النجار) ... ١٠٨	قطاع رأسى للجامع الطولونى ... ٤١
سقف شباك قبة الشافعى ... ١١١	منارة الجامع الطولونى ... ٤٣
المركب فوق قبة الشافعى ... ١١٢	المسقط الأفقى للجامع الأزهر ... ٤٨
قطاع طولى للقبة المنصورية ... ١١٧	الزخارف الملوكية أعلى المحراب القديم
تفاصيل من وزرة القبة المنصورية ... ١١٨	بالجامع الأزهر ... ٥٣
تفاصيل من وزرة القبة المنصورية ... ١١٩	قطاع رأسى للجامع الأزهر ... ٥٦
مسقط أفقى للقبة والمدرسة المنصورية ... ١٢١	العشرة المبشرون بالجنة بالخط الكوفى المربع
تفاصيل من باب المدرسة المنصورية ... ١٢٣	بمحراب عبد الرحمن كنتخدا بالأزهر ٦٣
المسقط الأفقى للخانقاه الجاولية ... ١٢٤	لوحة تاريخية بإنشاء الجامع العتيق بإسنا ٦٥
قطاع رأسى للقبة بالخانقاه الجاولية ... ١٢٦	لوحة تاريخية بإنشاء مسجد العطارين ... ٦٧
شبايك حجرية بخانقاه الجاولى ... ١٢٩	المسقط الأفقى للجامع الأحمر ... ٧١
بخارية من الحص ... ١٣٠	قطاع رأسى للجامع الأحمر ... ٧٣
تفاصيل من وزرة قبة بيبس الجاشنكير ١٣٢	تفاصيل من زخرفة المنارة الأيوبية بالمشهد
تفاصيل من وزرة قبة بيبس الجاشنكير ١٣٣	الحسينى ... ٨٥
أرضية رخامية لقبة بيبس الجاشنكير ... ١٣٤	بسملة كوفية من تابوت المشهد الحسينى ٨٨
رنك فوصون على وكالته بشارع باب النصر ١٤٢	المصراع الأوسط من تابوت المشهد الحسينى ٨٩
مبخرة نحاسية من القرن الثامن الهجرى ... ١٤٦	سقف الرواق الخارجى للجامع الصالح طلائع ٩٨

صفحة	صفحة
بسملة كوفية منقولة إلى قبر المؤيد شيخ ٢١١	المسقط الأفقي لمسجد المارداني ... ١٤٨
أرضية رخامية بشباك قبة المؤيد ... ٢١٣	تفاصيل من القاشاني بجامع آق سنقر ... ١٥٥
المسقط الأفقي لمسجد جاني بك ... ٢١٩	مشكاة من زجاج بالمينا باسم شيخو الناصري ١٥٧
قبة جاني بك الأشرفي بالقرافة الشرقية ... ٢٢٠	دائرة رخامية من وزرة مدرسة صرغتمش ١٦٤
شباك حص وزجاج بمدرسة الأشرف برسباي ٢٢٤	المسقط الأفقي لمدرسة السلطان حسن ... ١٧٠
شباك حص وزجاج بخانقاه الأشرف برسباي ٢٢٦	الباب العام لمدرسة السلطان حسن ... ١٧١
شباك حص وزجاج بخانقاه الأشرف برسباي ٢٢٧	محراب ومنبر مدرسة السلطان حسن ... ١٧٢
القبة شرق مصلى الأشرف برسباي بالقرافة	قطاع طولي لمدرسة السلطان حسن ... ١٧٥
الشرقية ... ٢٢٨	زخارف حجرية وبها الدعامة الصغرى
المدخل والمئذنة بالوجهة الشرقية لمسجد	بمدخل مدرسة السلطان حسن ... ١٧٦
الأشرف برسباي بالخانكاه ... ٢٣٠	اسم مهندس مدرسة السلطان حسن ... ١٧٨
المسقط الأفقي لمسجد الأشرف برسباي	مشكاة وكرتها من زجاج بالمينا ... ١٨١
بالخانكاه ... ٢٣٢	عتب منقوش بصحن مدرسة أم السلطان
حلية زخرفية من وزرة قبة برسباي بالصحراء ٢٣٣	شعبان ... ١٨٥
رسم الوجهة القبليّة لمسجد زين الدين يحيى	مقرنص قبة أم السلطان شعبان ... ١٨٦
بالأزهر ... ٢٣٥	كرسي مطعم بالسن والآبنوس باسم مدرسة
المسقط الأفقي لمسجد زين الدين يحيى ببولاق ٢٣٩	أم السلطان شعبان ... ١٨٧
حلية زخرفية رخامية ... ٢٤٢	رذك الأمير ألباي اليوسفي ... ١٨٩
قبة عمر بن الفارض ... ٢٤٤	المسقط الأفقي لمدرسة ألباي اليوسفي ... ١٩٠
شمعدان من البرونز عليه توقيع ابن المكي ٢٤٦	ثريا نحاسية ... ١٩١
ثريا من النحاس ... ٢٤٩	شباك من نحاس مصبوب بالمدرسة
مسقط أفقي مدرسة قايتباي ... ٢٥٢	الظاهرية (برقوق) ... ١٩٤
تفاصيل من منبر مدرسة قايتباي ... ٢٥٤	المسقط الأفقي للمدرسة الظاهرية ... ١٩٥
ثريا نحاسية باسم السلطان قايتباي ... ٢٥٥	المسقط الأفقي للمدرسة الباسطية ... ٢٠٣
قبة السلطان قايتباي بالقرافة الشرقية ... ٢٥٦	ثريا من البرونز باسم القاضي عبد الباسط ٢٠٥
بسملة كوفية بوزرة قبة يشبك من مهدى ٢٥٩	حلية زخرفية من الرخام ... ٢٠٦
كوفي مربع بوزرة قبة يشبك من مهدى ٢٦٠	باب مغشى بالنحاس منقول من مدرسة
	السلطان حسن إلى جامع المؤيد ... ٢٠٩
	مصلبة مدخل مسجد المؤيد شيخ ... ٢١٠

فهرس اللوحات

صفحة	صفحة
عنب باب السبيل بمدرسة پقامس الإسحاقى ٢٦٢	مسقط أفقى مسجد عثمان كتحدا ... ٣٢٤
مسقط أفقى مدرسة پقامس الإسحاقى ... ٢٦٣	حلية زخرفية (حلق قلة) ... ٣٢٦
توقيع النقاش عبد القادر بحراب مدرسة	قاشانى مغربى بمسجد عبد الباقي جوريجى ٣٢٨
پقامس الاسحاقى ... ٣٦٤	شباك من خشب خرط بوسطه قنديل ... ٣٣٠
رنك پقامس الإسحاقى .. ٢٦٦	داخل مسجد النبى دانيال ... ٢٣٢
باب منبر سلطان شاه ... ٢٦٨	عمد مكتشفة بمقبرة الحكيم لقمان ... ٣٣٧
مقرنص ونقوش قبة الفداوية ... ٢٧٠	مقرنصات المنور بقبة النبى دانيال ... ٣٣٨
توقيع نجار منبر أبى العلا (على ابن طنين) ٢٧٧	باب مسجد السيدة عائشة ... ٣٤٦
محراب ومنبر مسجد أبى العلا ... ٢٧٩	داخل مسجد البيرومى بعد تجديده ... ٣٤٩
مسقط أفقى مسجد قانى بانى الرماح ... ٢٨٢	تفاصيل من المقصورة النحاسية بمكتبة
قبو الإيوان الشرقى بمسجد قانى باى الرماح ٢٨٣	مسجد أبى الذهب ... ٣٥١
منارة مسجد قانى باى الرماح قبل هدمها ٢٨٤	منارة مسجد أبى الذهب ... ٣٥٢
ثريا نحاسية ... ٢٨٥	مسقط أفقى مسجد أبى الذهب ... ٣٥٤
بسملة كوفية بمدخل قبة الغورى ... ٢٨٨	تفاصيل من قاشانى مدفن أبى الذهب ... ٣٥٥
دولاب مطعم بالسمن بمسجد الغورى ... ٢٩٠	مزولة بمسجد أبى الذهب ... ٣٥٦
سقيفة سوق الغورية وتجمع قبة ومدرسة	داخل مسجد سليمان أغا السلحدار ... ٣٦١
الغورى سنة ١٨٤٠م ... ٢٩٢	شباك من الحص به زهرية ... ٣٦٢
مسقط أفقى مسجد المحمودية ... ٢٩٧	مسقط أفقى مسجد الرفاعى ... ٣٦٥
قبة عبد الوهاب الشعراوى ... ٣٠٠	مقرنص قبة مسجد الرفاعى ... ٣٦٨
مسقط أفقى مسجد سنان باشا ... ٣٠٢	شباك من حص وزجاج ... ٣٧١
مزولة بمسجد سنان باشا ... ٣٠٤	مسقط أفقى مسجد الفتح الملكى ... ٣٧٤
شباك من خشب خرط به أبريق ... ٣٠٥	منارة مسجد الفتح الملكى ... ٣٧٥
مسقط أفقى مسجد الملكة صفية ... ٣٠٨	المسقط الأفقى لمسجد محمد على باشا ... ٣٧٩
إناء من خرف صناعة رودس فى القرن	مسقط أفقى للقسم الشرقى من مسجد
الحادى عشر الهجرى ... ٣١١	محمد على باشا ... ٣٨٠
مسقط أفقى مسجد يوسف الحين ... ٣١٣	قطاع رأسى لمسجد محمد على باشا ... ٣٨٢
داخل المدرسة الفارقانية ... ٣١٩	بسملة بنحط سنكلاخ ... ٣٨٤
وجهة مسجد ذى الفقار ... ٣٢١	شباك من النحاس ... ٣٨٥
حلية زخرفية (حلق قلة) ... ٣٢٢	لوح من القاشانى مكتوب عليه
	بسم الله الرحمن الرحيم وبه تقى ... ٣٨٨

فهرس الأعلام

ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري ٩٧٠٣١
ابن إلياس (محمد بن أحمد) ٢٦٩٠١٨٢٠١١١٠٩٢٠٨١
ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) ٠٩١٠٨٥
٣٣٥٠٣٣٣
ابن بهادر (محمد بن محمد بن محمد المؤمن) ١٤٩
ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) ٠٩٧
٣٤١٠٢٣٨٠١٨٢٠١٦٦٠١٣٨٠٩٨
ابن جبير (محمد بن أحمد بن جبير) ٠١٠٧٠٩٥٠٨٤
٣٣٥٠٣٣٣٠١٥٨
ابن الحاجب النحوي (عثمان أبو عمرو - روي بن أبي بكر بن بونس
المصري) ٦٤
ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد) ١٤١٠١١
ابن نزيمة (محمد) ٣٣٥٠٣٣٣
ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد) ٢٤٣٠٩٧
ابن دقاق (إبراهيم بن محمد بن أحمد بن أبي بكر) ٠٤٣٠٢٨٠٢٣
٣٣٥٠١٠٥
ابن الزمن (محمد بن عمر بن محمد بن عمر الزمن) ٢٥٧٠١١١
ابن الزيات (أبو عبد الله محمد بن الإمام ناصر الدين محمد)
٣٤٤٠٢٣
ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر) ٢٩
ابن زياد (عبد الله) ٧٨
ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك) ١٤٤
ابن السيوفي ١٥١٠٥٧
ابن الشحنة (محب الدين أبو الفضل محمد بن الشحنة الحلبي) ٩٥
ابن الصائغ (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الحنفي) ١٦٣
ابن طاهر (عبد الله بن طاهر) ٢٩٠٢٨
ابن عباس ٣١٥
ابن عبد الظاهر (محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر) ٠٨١
١٠٤
ابن العبري (غريغور يوس بن أبي الفرج) ٣٣٢

أقبا عبد الواحد ٥٨٠٥٧
آق سنقر الساق (علاء الدين) ١١٤
آق سنقر الفارغاني ٣١٨
آق سنقر الناصري ١٥٤٠١٥٣
آقوش نائب الكرك ١٢٢
آقوش نيملة ١٣٩
الأمير بأحكام الله الفاطمي ٢٧٣٠٩٢٠٨١٠٦٩٠٥٠
إبراهيم أغا من حفظان ١٥٥٠١٥٤٠١٥٣
إبراهيم الأنباري ٣٨٠
إبراهيم باشا ١٧٢٠١٧٠
إبراهيم باشا بن محمد علي باشا ١٤٥
إبراهيم الجوري شيخ الأزهر ٦٠
إبراهيم بن طالب بك ٣٥٩
إبراهيم بك أمير اللاويين ذى الفقار ٣٢٠
إبراهيم حلمي نجل المنفور له اسماعيل باشا ٣٦٩
إبراهيم الرزناجي ١٥٩
إبراهيم رشدي أفندي الخطاط ٣٨١
إبراهيم بن صرغتمش ١٦٣
إبراهيم المتبول ٢٤٤
إبراهيم بن محمد عبد الواحد بن رثيق ٦٨
إبراهيم المغربي ٣٦٣
إبراهيم بن مغطاي ١٤٣٠١٢٥
إبراهيم بن وصف شاه ٨١
ابن أبي جملة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى ٣١٧٠٢٤٣
ابن أبي الدنيا ٨٠
ابن أبي ذئب (أبو الحارث محمد بن عبد الرحيم بن المنيرة) ١٩٨
ابن أبي الرداد ٢٧٣
ابن أبي شامة (شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل) ٩٧

أبو طاهر (أحمد بن محمد السلفي) ٣٣٥ ، ٣٣٣
 أبو العباس المرمي (أحمد بن عمر بن محمد الأنصاري) ٦٨ ، ٣٣٣
 أبو عبد الله الحسين = الحسين بن علي
 أبو عبد الله الحكم الفقيه المالكي ١٠٦
 أبو عبد الله (محمد بن أحمد البشاري) ٢٥
 أبو عبد الله (محمد بن مانق) ٣٣٠
 أبو عبد الله (محمد بن غنار بن فائق) ٦٩
 أبو الفتح (موسى بن المؤيد شيخ) ٢١١
 أبو عنان (السلطان) ٣٢٩
 أبو الفتح موسى بن ملهم (ضياء الدين) ١١٣
 أبو الفخر (صالح أمين مكتبة الأزهر) ٦١
 أبو القداء (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل) ٣٢٢
 أبو الفرج (يعقوب بن كاس) ٥٢
 أبو الفضائل (مفضل بن أبي الفضائل) ١١٥
 أبو الفقرى القاسي ٣٤٠
 أبو الفلاح (عبد الحى بن العماد الحنبلي) ١٦٥
 أبو القاسم (ابن أبي الحسن بن أبي القاسم الباجي) ٣٣٨
 أبو القاسم (ابن يحيى بن الزر زور) ٨٧ ، ٨٤
 أبو المؤيد الخوارزمي ٨٠
 أبو محمد = الحسن بن علي
 أبو محمد الصعدي (عبد الكريم بن عبد الباري بن عبد الرحمن) ٦٨
 أبو مسلم الخراساني ٨٠ ، ٧٩
 أبو موسى الأشعري ٣٣٢ ، ١١
 أحمد بن أبارة الموصلى ٦٢
 أحمد باشا راشد ٦٢
 أحمد باشا والى مصر ٢١٤
 أحمد تيمور باشا ٢٥٧ ، ١٩٧ ، ٩٢
 أحمد جاويز أرناؤد ١٥٩
 أحمد الحريري ١٤٠
 أحمد بن حنبل ١٠٦
 أحمد خليل البكي ٢٠٥
 أحمد خيرى باشا ٣٦٤

ابن العريف ٣٤١
 ابن عساكر (الحافظ أبو القاسم علي بن أبي محمد) ٢٤٣ ، ١٠٩
 ابن عطاء الله السكندري (أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري) ٣٣٣
 ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم) ١٢١ ، ١١٥
 ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد) ٢٧٢ ، ٧٩
 ٣٣٥ ، ٣٣٣
 ابن كثير (أبو القدا اسماعيل بن عمر) ٢٨٥ ، ٨٠ ، ٣٩
 ابن المأمون ٨١
 ابن المتوج (ناج الدين محمد بن عبد الوهاب) ٢٨
 ابن مزهر رئيس ديوان الانشاء ٢٥٩
 ابن ميسر (محمد بن علي بن يوسف بن جلب) ٨١
 ابن نباتة الشاعر (جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن نباتة
 المصرى) ١٨٠
 ابن تقولا الكاتب ٢١٥
 أبو إسحاق السبيعي ٩٤
 أبو أمانة ٣١٥
 أبو بكر راتب باشا ٦٠
 أبو بكر بن يونس ١٩٩
 أبو الحجاج (يوسف بن علي الشاعر) ٣٢٩
 أبو الحجاج (يوسف بن محمد البلوي) ٣٣٥ ، ٣٣٣
 أبو حريية (أحمد) ٢٦١
 أبو الحسن أحمد ملك المغرب ٥٢
 أبو الحسن علي بن السلال (المادل) ١٣
 أبو الحسن علي بن يحيى الناهض ٣٤١
 أبو الحسن بن النيه ٣٣٠
 أبو الحسين علي بن أحمد بن النضر ٦٥
 أبو الحسين (يحيى المعروف بالعداس وبالجلباني) ٣٤٠
 أبو الحكم بن أبي الأبيض المبي ٩٥
 أبو الخير محمد بن سليمان المادح ١٩٩
 أبو زيد المصري كبير التجار ١٩٩
 أبو سعيد الخدرى ١١
 أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن حديد ٣٤٠

الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي ٢٧٣، ١٣١، ٨١، ٦٩
أقبردى ١٧٥
أقطره قريب الأشرف برسباى ٢٢٥
أجلى البوسنى ١٨٨
الطنبغا الماردانى ١٥١، ١٥٠، ١٤٧
الطون بغا ١٩٢
الماس الحاجب ١٩٤، ١٣٦
أم حسين بك ٢١٧
أم الخير الحجازية ٣٠
أم سلة ٧٦
أم الملك الكامل ١١٠
الإمام الثانى (محمد بن ادریس) ١٠٦، ٩١، ٣٠
٢٠١، ١٩٨، ١٠٩، ١٠٨
أمير حاج بن محمد بن عبد الفتى ٢١٦
أمين ازميرى ٣٨٧، ٣٧٥
أمين بك مرعى قنديل ٨١
أنس والد برقوق ١٩٣
إيرس ١٦٨
أيدمر الحيرى ٢٧٥
إيتال (الأشرف) ٢٤٥، ١٧٥
إيوازبك ٣٤٣

(ب)

باكك ٣٢
برودى لا قاليه ١٧٣
بريكولو ١٥٩، ١٠٣، ٤٣
بختنصر ملك بابل ٣٣٢، ٣٣١
بدر الجمالى ٨١، ٧٩، ٧٢، ٦٧، ٦٤، ٤٤
٢٧٣، ٩٧
برسباى (الأشرف) ٢٢١، ٢١٨، ٢٠٢، ٥٥
٢٤٥، ٢٣١، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢٢٤، ٢٢٣
برقوق (الظاهر) ١٩٧، ١٩٦، ١٩٢، ١٧٤، ٥٤
٣٦٧، ٢٢١، ٢٠٨، ٢٠٧

أحمد الدردير ٣٥٢
أحمد رشدى بك ١٤٥
أحمد الرفاعى ٣٦٦، ٣٦٥
أحمد زكى باشا ٣٤٧، ٣٤٤
أحمد بن السلطان حسن (الشهاب) ١٧٣
أحمد بن طولون ٢٧٣، ٣٩، ٣٢، ١٥، ١٢
أحمد بن الطولون المهندس ١٩٧، ١٩٣
أحمد بن على بن ابراهيم القسافى الأسوانى ١٨٠
أحمد كندا الخربوطلى ٧٥
أحمد كندا عزى فان قوبجى ١٦٣
أحمد الكمكى ٢٧٨
أحمد كور باشا ٥٩
أحمد بن المؤيد شيخ (المظفر) ٢١١
أحمد بن محمد (السلطان أحمد الأول) ٢٥٧
أحمد بن محمد بن شاهين الراشدى ٣٥٢
أحمد بن المقر بركاس الشهابى ١٥٩
أدمون بوقى ١٠١
أرثرونيه ١٦٨
أرضون نائب حلب ١٢٦
أزبك الأتابكى ٢٥٩
أزبك التلاصكى ٢٥٦
أزبك من ططخ ١٢١
أسامة بن زيد ٧٦
الإصحاق (محمد عبد المعطى بن أبى الفتح) ٢٢٩، ٢٢٢
اسماعيل أغا ٣٠٨، ٣٠٧
اسماعيل باشا (الحديدى) ٢١٤، ٨٦، ٦٠، ٢٢
٢٨٠، ٣٧٥، ٣٧٢، ٣٦٣، ٢٦٧
اسماعيل باشا صبرى العمرى ٢٤٥
اسماعيل بك إيواظ ٥٩
اسماعيل بن جعفر الصادق ٢٧٢
اسماعيل ابن الناصر محمد بن فلاون (الملك الصالح) ١١٩
١٥٢، ١٤٨

(ت)

تاج الدين عبد الوهاب السكندري ٢٣٨
تاج الدين محمد بن حيتا (الصاحب) ٩١
تاني بك ٢٢٥
تقرا الحجازية ١٨٦
تفريد أم العزيز بالله ٤٢ ، ١٢
تفري بردي القادري ٢٦٩ ، ٢٦٧
تقي الدين بن سراجل ٣٩
تمرا الابراهيمي ٢٤٥
توحيدة هانم بنت الخديو إسماعيل باشا ٣٦٩
تيفنو ١٦٧

(ج)

جاي المهندس ٣٦٤
جان بلاط ٢٨٦ ، ١٧٦ ، ١٧٥
جانم ابن عم قايتباي ٢٥٦
جاني بك الأشرفي ٢١٩ ، ٢١٨
جاني بك ابن عم قايتباي ٢٥٦
جاول (الأمير) ١٢٤
الجبرقي (عبد الرحمن) ١١٨ ، ١٤١ ، ٢١٨ ، ٣٤٩
٣٥٥ ، ٣٥٢
جرس الخليلي ١٩٤ ، ١٩٣
جشم آفت هانم ٣٧٠
جعفر بن محمد ٨٠
جقمق (الظاهر محمد أبو سعيد) ١٧٥ ، ١٩٦ ، ١٩٩
٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠
٢٥٨ ، ٢٤٢
جقمق نائب الشام ٢٦١
جلال أسعد ٣٠٣
جلال الدين الباني الحنفي ١٨٨
جلال الدين التيزيقي ١٦١
جلال الدين القزويني قاضي القضاة ١٣٩
الجليس بن الحباب ٩٧

برفوق الناصري الظاهري نائب الشام ٢٤٥

بركة (الأمير) ١٩٢

بركة (خوند) ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٨٨

بركة بن الظاهر بيرس (السعيد) ٣١٨

برناردى بريدنباخ ٣٣٦

برهان الدين السنجاري ١١٦

بريدة رضى الله عنه ٧٦

بريس دافين ١٠٥ ، ١٤٢ ، ١٧٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣

بريشا ٣٣٤ ، ٣٣٩

بسكال كوست ٢١٤

بشاك ١٢٧ ، ١٤٣

بشير أفادار السادة ٣٤٩

بشير الجمدار ١٦٨ ، ١٦٩

بكتير الجوكندار ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢

البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر) ٣٣٣

بلباي (الظاهر) ٢٦١

بلطاسر ٣٣١

بنو إبراهيم ٩١

بنو أشواق ٦٤

بنو الخطيب ٦٤

بنو السديد ٦٤

بنو النضر ٦٤

بهاء الدين العامل (محمد بن حسين بن عبد الصمد) ١١٣

بهادر مقدم الماليك (الطواشي) ٥٤

البوصيري (شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد) ١١٢

بيرس البندقاري ٢٦ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٢٧٢ ، ٣١٨

بيرس الجاشنكير ١٣١ ، ١٣٣ ، ٢٧٢

بيفاروس ١٦٥

بيدرا ١٣١

بيرون النحاس ٣٨٠

بيك الخازندار ٥٤

حسين الدمرداشي ٢٤٨
 حسين الرقاعي ٣٦٣
 حسين الشبخوني ٣٦٣
 الحسين بن علي ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٩
 حسين بن علي المكني بابي الملا ٢٧٦
 حسين محرم النحات ٣٨٠
 حفيظة زوجة عثمان آغا ٩٦
 حكاكان أفندي ٣٧٨
 حمزة باشا والي مصر ٣٣٠
 الحموي الواعظ ٢٢١

(خ)

خالد بن عبد الله القسري ٩٤
 خالد بن عيسى البلوي ٨٥ ، ٣٣٣
 خديجة هانم كريمة أحمد طلعت باشا ٩٢
 خسرو باشا ٣٥٧ ، ٣٧٦
 خشمقدم (الظاهر) ٢٦١
 خليل آغا ٣٦٣
 خليل أفندي ابراهيم ٦٦
 خليل الظاهري (غرس الدين) ٧٩ ، ١٦٦ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥
 خليل بن قلاوون (الأشرف) ١١٥ ، ١٣١ ، ٢٧٢
 خمارويه بن أحمد بن طولون ١٥ ، ٢٥
 خواجه عمر ١٥٦
 خويي بن داود ٢٢٧
 خورشيد باشا ٣٧٧
 خوشيار هانم ٣٦٣ ، ٣٧٠

(د)

داريوس ٣٣١
 دافيد روبرت ٢٩٣ ، ٢٩٢
 دانيال (النبي) ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤
 دمرداش (الشيخ) ٣٤٢
 دولات باي ٢٥٦

جمال الدولة بن عمار ٦٤
 جمال الدين الاستادار ١٨٣
 جمال الدين بن مقدار المالكي فاضل القضاة ٢١٥
 الجمالي يوسف ناظر الخاوص ٢٤٢
 جمجمة بن عثمان ٢٥٩
 جملة فاضيلة هانم ٢٤٦
 جملة هانم كريمة إسماعيل باشا ٦٠
 جنائير هانم ٣٧٠
 جوهر القائد الصقل ١٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٢٣٦
 جوهر الفتشاني ٥٨ ، ٢٣٦
 جومار ١٦٨
 جيمس ويلد ٣٧

(ح)

حاجي (المنصور) ١٨٦
 حاجي بن الناصر محمد (المظفر) ١٥٢ ، ١٦٠
 الحافظ لدين الله الفاطمي ١٣ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٧٤
 الحاكم بأمر الله الفاطمي ١٢ ، ٢٥ ، ٥٠ ، ٥٢
 حسن آغا خزيندار ١٧٢
 حسن أفندي ابن البواب ٣٢٣
 حسن باشا طاهر ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨
 حسن باشا والي مصر ٥٩
 حسن بك الفقاري ٣٢٠
 حسن جاويش القازدغلي ٣٢٣ ، ٣٤٥
 حسن القوييني شيخ الأزهر ٣٥٠
 الحسن بن عبد الله ٢٧٢
 الحسن بن علي ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٩٩
 حسن كنتخدا عزبان الجلفي ٨٥
 حسن بن الناصر محمد (السلطان) ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ٢١٠ ، ٣٧٠
 حسين باشا المعار ٣٦٣ ، ٣٦٤
 حسين بك ابن محمد علي ٢١٧
 حسين الجبار ٣٨٠



(ذ)

ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة ٣٦٣
ذوالفقار ٣٢٢ ، ٣٢٠

(ر)

رضوان بن الولشى ١٣

(ز)

زاده أحمد بن أبي يزيد ١٦١
زبيدة زوج هارون الرشيد ٥٧
زقوت ٣٢٧
زليخا هانم زوجة ابراهيم بك الكبير ٣٥٥
زهرا بنت فايق ٦٢
زهرة بنت حسين (خوند) ١٨٦
زيد بن على المعروف بزين العابدين ٩٤
زينب هانم بنت اسماعيل باشا ٣٦٩
زينب هانم كريمة محمد على باشا ٦٠
زين الدين بن الواغظ ٩٨

(س)

سبرياك دى انكوانه ٣٣٦
سبط ابن الجوزى (أبو محمد بن يوسف) ٩٨ ، ٨١
ست الملك ١٢٢
السغاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) ٢١٥ ، ١١١ ، ٢٣٠ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥

سعد بن أبي وقاص ١١
سأدر نائب السلطنة ١٢٨ ، ١٢٥ ، ٥٤ ، ٢٦
سلطان شاه بن قرا ٢٦٧
السلنى (أبو طاهر أحمد بن محمد الحافظ) ٣٣٥ ، ٣٣٣
سلمان بن معالى ١٠٨

سليم أغا ١٧٦
سليم الأول (السلطان) ٢٠ ، ١٦٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٢
سليم الثانى ٣٠٢ ، ٣٠٣
سليمان أغا السعدار ٣٦٠

سليمان باشا أبانظ ٦٢

سليمان بن عبد الملك ٧٩

سليمان القانونى ٣٠٢

ستان باشا ٣٠٢

ستان (خوجه) ٣٠٣

سنجر الجاول (علم الدين) ١٢٨ ، ١٢٥ ، ١٢٤

سنجر الدوادارى (علم الدين) ٣٨

سنجر الشجاعى (علم الدين) ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٨٠

سنقر الطويل (شمس الدين) ٢٣١

السيد أفندى حد ٣٧٨

سيف الدين المقدم ١٩٩

سبون (الخواجه) ٣٨٠

(ش)

شاكر أفندى المهندس ٣٨٠

شجر الدر ١١٩

شرف الدين المدينى ٤٥

شعبان بن حسين ١٨٢ ، ١٨٨ ، ٢٦٧

شعبان (السلطان الكامل) ١٥٢ ، ١٨٠

الشعبى ٩٤

شعيب بن الإمام الليث ٢٠١

شمسة (الملكة) ١٠٩

شهرت هانم قزا ٣٧٠

شيخو العبرى الناصرى ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٠

شيدان (مسير) ٣٨٣

شيرين (خوند)

(ص)

الصامى إبراهيم بن المؤيد شيخ ٢٠٩ ، ٢١١

الصالح طلائع بن رزيك ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٣٧

صالح بن على بن عبد الله ١٢

الصالح بن الملك العادل نور الدين ٧٩

عبد الرحمن الخلوقي ٣٤٢
عبد الرحمن السبوطي جلال الدين ٢٧٤ ، ١٥٩
عبد الرحمن بن عبد الوهاب الشعراوي ٣٠١
عبد الرحمن العريشي ٣٥٢
عبد الرحمن كنعدا ١٠٧ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٦٣ ، ٥٩
٣٤٥ ، ١١٨
عبد الرحيم (تاج الدين) بن قاضي القضاة جلال الدين القزويني ١٤٣
عبد الرزاق أغا بن عبد الحليم ٣٠٧
عبد العزيز آل سعود (الملك) ٦٣
عبد العزيز (السلطان) ٣٨١
عبد العزيز بن مروان ٢٤
عبد الفتي النابلسي ٣٤٢ ، ٢٧٢ ، ٢١٧ ، ١٦٧ ، ١١٣
عبد القادر الأرمكي ٣٠٠
عبد القادر النقاش ٢٦٤
عبد الله أبر محمد ١٠٤
عبد الله بن أحمد بن حنبل ١٠٦
عبد الله بك الزهدي ٣٦٤
عبد الله جوريجي ٣٢٥
عبد الله الزاكر ١٢٩
عبد الله الشبراوي ٣٤٨ ، ٨٦
عبد الله بن طاهر ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٥
عبد الله بن علي بن عباس ٨٠
عبد الله بن عمرو بن العاص ٣٣٦
عبد الله المرازقي ٣٦٣
عبد الله يلينا السالمي ٧٢
عبد الله المقسي (شمس الدين) ٢٧٤
عبد القليل البندادي ٣٥٥
عبد الحميد (السلطان) ٣٧٧
عبد الهادي باشا الجندى ٢٣٤
عبد الواحد النازي ٩٦ ، ٨٧
عبد الوهاب السبي ١٢٥
عبد الوهاب الشعراوي ٣٤٤ ، ٢٩٩
عبد (الشيخ) ٢٧٨
عبد بن محمد بن عبد الهادي البازدار ٤٥
عبد النجار المعروف بابن معالي ١٠٨

صالح بن الناصر محمد (الملك الصالح) ١٦٠ ، ١٥٦
١٨٠ ، ١٦٥
صدر الدين بن درباس ٥٣
مرغتش ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٦٠
صفية ٣٠٨ ، ٣٠٦
صلاح الدين يوسف ٦٧ ، ٥٢ ، ٢٦ ، ١٧ ، ١٤
٣١٦ ، ١٤٧ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ٩١ ، ٨٣
(ط)
الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) ٩٥
طرطاي (حسام الدين) ٣٢٣
طشتمر العلاني ١٩٢
طوسون عم محمد علي باشا ٣٧٦
طوغان الدوادار ١٥٣
طومانباي (العادل) ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٥٩
طبرس الخازنداري ٥٧ ، ٥٦
(ظ)
ظافر بن جماعة ٣٤٠
الظافر بنصر الله أبو المنصور اسماعيل ٧٤
الظاهر عمر ٣٥٢
(ع)
عابدين بك ٢٧٢
عابدين بك طاهر ٣٥٨ ، ٣٥٧
عادل أبو بكر بن أيوب (الملك) ١١٠
العاضد لدين الله الفاطمي ٩٧ ، ١٣
عائشة بنت جعفر الصادق ٣٤٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٤
عباس باشا الأول ٣٨١ ، ٣٥٠ ، ٨٦ ، ٦٠
عباس باشا حلي الثاني ٢٣٧ ، ٨٧ ، ٦٨ ، ٦٢ ، ٦١
٣٦٥ ، ٣٦٤
عبد الباسط بن خليل ٢٢١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢
عبد البر بن الشحنة (قاضي القضاة) ٢٨٧
عبد الرحمن باشا حاكم مصر ٤١٥
عبد الرحمن التفهني ١٦١



على حكته ٢٧٨
على الخواص ٣٤٤
على بن داود الجوهري ٢١٣
على شاه وزير السلطان أبو سعيد ١٤١
على الصعدي ٣٥٢
على بن طين ٢٧٧
على بن ظافر ٣٢٩
على بن محمد ٦٦
على بن النعمان ٥٢
على نور الدين الشوقي ٣١
على وفا ٢٤٤
عماد الدين اسماعيل بن محمد بن فلارون = اسماعيل بن الناصر محمد
عمر بن أبي سلة ٧٦
عمر بن أبي المال أسعد بن عمار ٧٨ ، ٨٠
عمر باشا ٢١٤
عمر بن الخطاب ١١ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٢
عمر الطحلاوي ٣٢٣
عمر طوسون (الأمير) ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦
عمر بن عبد العزيز ٨٠
عمر بن الفارض ٢٤٣
عمر بن سعيد ٧٨
عمر بن العاص ١١ ، ٢٣ ، ٣١٥
العيني (بدر الدين أبو محمد محمود) ٩٧
(غ)
الغالية البدرية ٢٧٢

(ف)

فاروق الأول (الملك) ٥ ، ٧ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٣١
٣٥ ، ٤٦ ، ٦٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٦
١٤٢ ، ١٦٤ ، ١٩١ ، ٢٠٦ ، ٢٢٠
٢٢٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠
٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٣١٤ ، ٣٢٢ ، ٣٤٧
٣٥٠ ، ٣٦٢ ، ٣٧١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨

عثمان (الخواجه) تاجر الرقيق ١٩٢
عثمان أغا ٣٠٧
عثمان أغا ٣٤٩ ، ٣٥٠
عثمان أغا أغات مستحفظان ٩٦
عثمان البرديسي ٣٧٦
عثمان شلي شيخ المقادين ٧٥
عثمان بن عفان ٢٣ ، ٩١ ، ٩٢
عثمان كنهذا القازدغلي ٥٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٤٥
عز الدين أيدمر الحل ٥٣
عزير بك خانكي ٣٠٣
العزير بالله ١٢ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٥٢
العزير عثمان بن صلاح الدين ١٠٩
عقبة بن عامر ٣١٥ ، ٣١٧
علاء الدين أبو علي عثمان النابلسي ١١٣
علاء الدين السراي ١٩٢ ، ١٩٣
علاء الدين الطيرمي بن الساي ١٨٨
علي أبو الأنوار ٨٦
علي أبو شيك ٣٦٣ ، ٣٦٦
علي بن أبي الخير المرحوم ٣١٨
علي بن أبي طالب ٧٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٩
علي بن أحمد بن علي الكوي ٧٤
علي أفندي موسى ٣٧٨
علي بن أنجب بن الساعي ٣٦٦
علي (الأمير) ١٨٥
علي باشا مبارك ٨٦ ، ١١٣ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٤٥
٢٧٨ ، ٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٦
علي بن بركات بن حسن ٢٢٧
علي بك قازدغلي ٢٤٥
علي بك الكبير ١١١ ، ٣٥١
علي جمال الدين بن اسماعيل باشا ٣٦٩
علي جوريجي ٣٢٧
علي بن حجازي البيومي ٣٤٨
علي بن الحسين ٧٨ ، ٨٠ ، ٩٤

فاطمة أم خوند ١٩٦

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ٧٦

فاطمة زوجة الأشرف برساي ٢٢٤

فاطمة شقرا ٢٤٧

فان برشم ١٤١ ١٤٢ ٢٢٠

الفاتر بنصر الله ١٠٤ ٩٧

فؤاد الأول (ملك مصر) ٢٧ ٤٦ ٦٢ ٨٧ ١٩١

٢٢٣ ٢٤٠ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٣١١

٣٢٦ ٣٦٧ ٣٧٢ ٣٧٥ ٣٨١ ٣٨٧

فؤاد مرابط ٩٦

فخر الدين عبد الفتى بن عبد الرزاق ٢١٥

الفخر الفارسي ٣٦٧

فخر الملك سعد الدولة سارنكن ٦٥ ٦٦

فرج بن برق ١٩٢ ١٩٩ ٢٠١ ٢١٥ ٢٢١

فرج السطوحى ٢٣٥

فرنس باشا ٢٨٥

فرنك ديلاون ٣٦٣

فريال (الأميرة) ٣٦٧

الفضل بن صالح بن على ١٢

فروز الساقى ٣٤٢

فيت (الأستاذ جاستون) ١٦٧ ١٧٧ ٣٧٨

(ق)

القاسم عبد الحاكم بن وهيب ٣٨

قنصوره أبو سعيد ٢٨٧

قنصوره الفورى (السلطان) ٥٦ ٩٢ ٩٣ ١١١

٢٠٠ ٢٠١ ٢٥٩ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨

٢٨٩ ٢٩١ ٢٩٤

قافى بنى قرا ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤

قيباى (السلطان) ٣٨ ٩٣ ١٠٧ ١٠٨

١١١ ١٥٩ ٢٠١ ٢٣٤ ٢٥٠ ٢٥٤

٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩

٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٨٦

قيصة أم المعتز ٣٢

قوة بن شريك ٢٤

القضاى (أبو عبد الله محمد بن سلامة) ٢٣٥

قطلوبك بن قراستقر ١٨٠

قلاورن (المنصور) ١٨ ٢٦ ١١٤ ١١٩ ١٢١

١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٣١

القاقشندى (أبو العباس أحمد) ٨١ ١٠٤

قارى = السلطان حسن

قوام الدين أمير كاتب الاتقانى ١٦٠ ١٦١

قوصون ١٢٩ ١٧٣

(ك)

كامل النزى ٣٥٨

الكامل محمد بن الماويل ١٠٩ ١١١ ٢٤٣ ٣١٦

كنبنا (الملك العادل) ٣٨

بلك (علاء الدين) ١٢٩ ١٤٧ ١٥٣

كرايت النحاس ٣٨٠

كريسويل (الأستاذ) ٢٨ ٣٦ ٤٢ ٢٨٥

كريم الدين الخلق ٣٤٢ ٣٤٣

كريم الدين الكبير ٤٥

الكفراوى (الشيخ حسن) ٣٥٢

كلوت بك ٤٥

كمال الدين السنودى ٣٠

كهرداش المنصورى ١١٦

الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف) ٩٥

كوديت بك ٢٨ ١١٣

كوزلبنا ٣٤٢ ٣٤٣

(ل)

لاجين المنصورى (السلطان) ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٤٢ ٤٥

لطيف باشا سليم ٢٧١

لويس (الأب) ٣٣٤

لويس فيليب (ملك فرنسا) ٣٨٦

الليث بن سعد ١٩٨ ١٩٩





المستنصر بالله ٢٥٠ ٣٨٠ ٦٤٠ ٩٧
مسعود السبع ٣٢٧
المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين) ٨٠ ٣٣٤
٣٣٥
مسلة بن مخلد ٢٤
مصطفى أغا فردزلى ٢٠٠
مصطفى باشا ٣٤٩ ٣٥٠
مصطفى باشا فاضل ١٤٥ ٢٦٠
مصطفى البولاقى ٢٧٨
مصطفى جود بجى مرزا ٢٠٠
مصطفى الحريرى ٣٦٤
مصطفى بن الخواجا رستم ٥٥ ٥٦
مصطفى القورى ٣٦٣
معاوية بن أبي سفيان ٢٤ ٧٧ ٣١٥
المعز بالله ٣٢
المعتمد على الله ٣٣
المعز لدين الله ١٦ ٤٧
معين الدين بن شيوخ الشيوخ ٨٥
المفضل بن أبي الفضائل ١١٥
مقبل الشامى ١٦٦
المقريزى (تق الدين أحمد بن علي) ٤٣ ٤٩ ٥٧
٧١ ٨١ ١٠٤ ١١٥ ١٢٢ ١٢٥
١٤٤ ١٦٠ ١٦٥ ١٦٦ ١٩٩ ٢٠٧
٢٠٨ ٢١٥ ٢٢٠ ٢٤٧ ٣٣٥
المكين الأسمر ٦٨ ٣٣٣
منجك نائب الشام ١٩٢
منجك اليوسفى ١٦٥
المنصور أبو بكر بن الناصر محمد بن قلاوون ١٤٧
المنصور على بن الأشرف شعبان ١٩٣
مهرن (مسبو) ٢١٤
موسى جود بجى مرزا ٢٠٠ ٢٠١
موسى بن عيسى ٢٤ ٢٥
مذهب الدين المعروف بابن أبي حليقة ١١٦

محمد بن قلاوون (الناصر) ١٨ ٥٦ ١١٦ ١١٧
١١٩ ١٢٢ ١٢٥ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٦
١٣٩ ١٤٠ ١٤٣ ١٤٧ ١٥٢ ١٦٦
١٧٩ ٢٢٩ ٢٥٦
محمد كنفدا مستحفظان ٣١٨ ٣١٩
محمد ماميه ٣٤٠
محمد بن محمد القليوبى ٢٢٧
محمد مسعود بك ٣٤١
محمد بن موسى كاتب السر ٢٠٢
محمد نافع ٣٥٠
محمد بن هارون الصدفى ٢٠١
محمد بن رداة السنارى ٦٠
محمد خان (السلطان) ٣٥٠
محمد (السلطان) ٣٧٧
محمد باشا أحد ٢٨ ٢٩ ٣٦ ١٠١ ١٠٢ ١٢٠
٣٨٠ ٣٨١
محمد باشا الفلكى ٣٣٤
محمد باشا والى مصر ٢٩٥
محمد البيلابى (السيد) ٨٧
محمد بن حسن النيشى ٣٥٦
محمد شاه اليزدى (الخواجا) ٢٠٧
محمد عكوش بك ٢٩
مختار باشا الغازى ٦٢
مختص (الطوائى) ٢٨٧
مراد بك ٢٦ ٣١
مراد الثالث بن سليم الثانى ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٦ ٢٠٧
مرتضى الزبيدى (السيد) ٣٥٢
مرحبا بنت إبراهيم ١٩٩
مرقس سمكة باشا ٢٦٧
مرران بن محمد ١٢
المستعل بالله ٧١
المستعين بالله ٣٢

المهذب بن الزبير ٩٧

الموفق بن عثمان ٣١٦

مؤنة القطية ١١٤

(ن)

ناصر خسرو ٧٠ ، ٢٦

ناصر الدين أبو العباس المنبر ٦٨

نجم الدين (الصالح) ١٤٤ ، ١١٩

نجم الدين الخبوشاني ١٠٨ ، ١٠٧

نجم الدين محمد بن حسين الأسمردي ٥٤

النشور (عبد الوهاب) ١٤٩

نهار المغرب ٣٤١

نوح أفندي مصطفى ٣١٦

نور الدين علي بن القتيش ٢٧٧ ، ٢٧٦

نور الدين علي المناوي ٢٣٨

نيزي بك ٢٦٠ ، ١٤٤

(هـ)

هارون الرشيد ٥٧ ، ٢٤

هبة الله بن المحسن ٣٤٠

هدايت (القبطان) ٣٨٠

هرتس باشا ٣٦ ، ٣٧ ، ١٢٠ ، ١٥٣ ، ١٦٧

١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ٢٧١

هشام بن عبد الملك ٩٤ ، ٩٥

هشام بن محمد ٩٥

(و)

الواندي (محمد بن عمر بن واند) ٩٥ ، ٣٣٢

والدة مصطفى باشا فاضل (الفت هانم) ١٤٤

وجيه الدين عبد الوهاب اليهنسي ٣١٦

الورثيلاني (الحسين بن محمد) ١٦٦ ، ١٧٦

الوليد بن عبد الملك ١٨ ، ٢٤

الوليد بن عتبة ٧٧

(ي)

اليافعي (محمد عبد الله بن أسعد) ٣٦٦

ياقوت الحموي (الامام شهاب الدين أبي عبد الله) ٣٢٢ ، ٣٣٥

ياقوت دولي أبي طالب الهيتي ٣٤١

يحيى الأنصاري ٣٦٣

يحيى (زين الدين) ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١

يزيد بن معاوية ٧٧ ، ٧٨

يشبك بن عبد الله ٢٢٥ ، ٢٢٧

يشبك من مهدي ٧٤ ، ١٠٢ ، ١٩٩ ، ٢١١ ، ٢٥٨

٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٨١

يعقوب (المستمسك بالله) ٢٨٧

اليقوي (أحمد بن أبي يعقوب بن راضح) ٩٥

يلينا الخاكي ١٦٥ ، ١٦٦

يلينا الكبير ١٩٢

يلغا اليحياري ١٦٦

يوسف بك طاهر ٣٥٨ ، ٣٥٩

يوسف بوشنا ٣٧٨

يوسف ضيا أفندي المهندس ٣٨٠

يوسف بن عمر ٩٤ ، ٩٥

يوسف المعروف بتابع السعدي ٣١٢

يوسف هكاكان ٣٧٨

يوسيفوس ٣٣١

يونس بن عبد الأعلى ١٠٦

يويافيم ٣٣١ ، ٣٣٢

فهرس الأماكن

(١)

باب سعادة ٣٢٣ ، ٣١٨
باب الشجرة بالاسكندرية ٣٣٥
باب السلسلة ١٧٥
باب العزب ١٥
باب الفتوح ٧٢ ، ٦٥ ، ١٢
باب القرا ديس بدمشق ٧٩
باب القراة ٣٤٤ ، ١٥
باب القلة بقلة الجبل ١٣٦
باب الوزير ١٤٧
باب النصر ٧٢ ، ٦٥ ، ٣١
بابل ٣٣١
البحر الأبيض بالسودان ٢٦٧
برج الظفر ٩٩
برقة ٣٣
بركة من قرى بخارى ١٣٩
بركة الحب ٢٢٩
بركة الحبش ١٨٠ ، ١١٠
بركة الفيل ٣٥٧ ، ١٤٤
بركة الناصرية ٢٩٥
بستان إبراهيم باشا بالروضة ٢٧٣
بستان نهارويده ١٥
بستان المختار وقصره ٢٧٣
البصرة ١١
بغداد ٣٠٦ ، ١٠٦ ، ٣٢
البقيع ٧٨
بلجيكا ٣٦٩
بني سويف ٣٦٩
بوهيبيا ٣٦٥
بيت الذهب ١٦
بيلان ٣٧٧

الآسنة ١٤٥ ، ٢٠

آمد ٢٢٩

إدارة حفظ الآثار العربية ٢٢٢ ، ١٦٤ ، ١٥٩
٢٢٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠
٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٥٧ ، ٢٦٦ ، ٣١٤ ، ٣٨٧

ادفينا ٧٢

استامبول ٣٠٧ ، ٣٠٢ ، ٢٠

الإسكندرية ١٥٦ ، ١٤٣ ، ١٢٩ ، ٣٢ ، ٢٣ ، ١٣
١٩٣ ، ٢٦١ ، ٢٩٥ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩
٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٧٧ ، ٣٨١

إسنا ٦٤

أسوان ٢٥٨ ، ٣٢

أسيوط ٢٢

ألمانيا ٣٦٩

الأندلس ٣٠٦ ، ٣٧

الأقروشي ٣٣٤

الأهرام ٣٨٣

إيطاليا ٣٦٩ ، ٢٢

إيوان عبد الله المنوفي ١٨٧

(ب)

الباب الأخضر ٨٤

باب البحر ٢٦١

باب الخرق ٣١٤ ، ٣١٢ ، ٢٦٧

باب الخوخة ٢٣٤

باب دمشق ٩٥

باب رشيد ٢٦١

باب زويلة ٢١٣ ، ٢٠٧ ، ١٤٧ ، ١٠٥ ، ١٠٣ ، ٦٥

باب سدره ٢٦١



الجامع الأنغر ٧٤
الجامع الأقسر ٦٩ ، ١٠٠ ، ١٣٧ ، ٣٣٦
الجامع الأموي ٣٧ ، ٣٩ ، ٢٠٧
جامع بشناك ١٤٣
الجامع الجبوشي ٦٨
جامع الحاكم ٣١ ، ٣٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٧١ ،
١٠٠ ، ١٣١ ، ١٨٧ ، ٢٠٠ ، ٢١١
جامع الخلوتية ٣٤٣
جامع راشدة ١٢ ، ٧١ ، ١٤٨
جامع الزيتونة ٥١
جامع زين العابدين ١٥ ، ٩٤
جامع سمر من رأى ٣٤
جامع سنجر الجاول بغزة ١٢٥
جامع سنجر الجاول بالخليل ١٢٥
جامع سوسة ٣٤ ، ٥١
جامع شينخو ١٥٦
جامع الصالح طلائع ٩٧ ، ١٠٥ ، ١٤٧ ، ٢٥٨
جامع الصواري خارج باب سدة ٢٦١
جامع ابن طولون ١٢ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٦٥ ، ١١٣ ،
١٣٨ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦١
جامع الظاهر بيبرس البندقداري ٩٩ ، ١١٠ ، ٢٠٠ ،
٣٤٨ ، ٢٢٥
الجامع الظاهري بالمنشاة ٣٧
الجامع العتيق بإسنا ٦٤
جامع العزيز (الحاكم) ١٢
جامع العسكر ١٢
جامع الصلبة بالإسكندرية ٣٣٥
جامع المطارين بالإسكندرية ٦٥ ، ٦٨
جامع عمرو ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٤٧ ،
٩٢ ، ٣٣٦
الجامع العمري = الجامع العتيق بإسنا
جامع الفاكهاني ، الفاكهين ٧٤ ، ٢٥٨
جامع الفتح الملكي ٢٠٩ ، ٣٧٢

بيارستان ابن طولون ١٥ ، ٣٤
البيارستان المؤبدى ٢٠٧
بيارستان الجاول ١٢٥
البيارستان المنصوري ٩٨ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٨٨
بيارستان نور الدين الشهيد بدمشق ١١٤

(ت)

تاج الجوامع = جامع عمرو
تاج المدارس = المدرسة الصلاحية
تبريز ١٤١
تحت الربيع ٢٤٧
تربة إسماعيل بن نعلب ٩٩
تربة أولاد ابن عبد الحكم ١٠٦
تربة برسباي بالصحراء ٢٢١
تربة برفوق بالصحراء ٣٠١
تربة بيمرس الجاشنكير بالقراة الصغرى ١٣٢
تربة الجاول ١٤٣
تربة الفارس أقطاي ١٣٢
تربة القاضي عبد الباسط بالقراة ٢٠٢
تربة قحاس خارج باب رشيد ٢٦١
تربة يونس الدوادار ١٩٣
تركيا ٣٦٩
تكية السلطان محمود ٢٠ ، ٣٥٠
تكية سليمان باشا ٢٠ ، ٣١٧
تكية الهنود ١٢٧ ، ١٨٢
تنيس ٦٩
تونس ٥١ ، ٣٠٣

(ج)

جامع آق سفر ١٥٢
جامع أزيك بالأزبكية ٨٦
الجامع الأزهر ١٢ ، ٣١ ، ٤٨ ، ٦٩ ، ١٠٠ ،
١١٥ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٨٧ ، ٢٤٣ ،
٢٨٦ ، ٣٤٩

(خ)

خان الخليل ٢٨٦ ، ٣٦٠
 خان الزراكية ٣٥٣
 خان بنحاس ٢٦١
 الخاقاه ٢٢٩
 خانقاه أم أنوك ١٨٧
 خانقاه برساي (الأشرف) ٢٢١ ، ٢٢٥
 خانقاه برقوق ٢٢٥
 خانقاه بشتاك ١٤٣
 خانقاه بكنمر ٩٢ ، ٢٩٤
 الخاقاه البندقدارية ١٢٧
 خانقاه بپرس الجاشنكير ١١٦ ، ١٣١ ، ١٦٢ ، ١٩٦
 الخاقاه الجاولية ١٢٤
 خانقاه خوند سمر ١٦٣ ، ١٨٧
 الخاقاه الشيخونية ١٥٦ ، ١٥٧ ، ٢٦٨
 خانقاه فرج بن برقوق ٧٢ ، ١١٣ ، ١٥٩ ، ١٨٤
 ١٨٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦
 خانقاه قوصون بالقرافة ١٣٩
 خانقاه الناصر محمد بن قلاوون برباقوس ٢٢٩ ، ٢٣٠
 نراسان ٨٠ ، ١٠٦
 الخزانة الزكية ٧٥ ، ٣٠٨
 خزانة السلاح بدمشق ٧٩
 خزانة شمائل ٢٠٨
 خزائن السلاح بالاسكندرية ١٩٣
 خط باب الوزير ١٤٧
 خط التباة ١٤٧
 خط الدرب الأحمر ١٤٧
 خط جامع المارداني ١٤٧
 خط سوق الغنم ١٤٧
 خليج الإسكندرية ٢٢١ ، ٣٠٣
 الخليج المصري ١٠٠ ، ٣١٤

جامع القاهرة = جامع الأزهر

جامع القرافة المعروف بجامع الأولياء ١٢

جامع قرطبة ٣٧

جامع قوصون ١٢٧ ، ١٣٩

الجامع الكبير بسوسة ٥١

الجامع المؤيدى = مسجد المؤيد شيخ

جامع المقس ١٢ ، ٥٠

جامع المقسى ٢٧٤

جامع المقياس ٦٥ ، ٢٧٣

جامع ول العهد أمير المؤمنين ٧١

جبل جوشن ٧٩

جبل المقطم ٢٤٣

جبل ينكر ٤٤

جزيرة الروضة ٢٧٣

جزيرة الصناعة ٢٧٣

جزيرة القسطنطين ٢٧٣

(ح)

حارة برجوان ٢٢٨ ، ٣٦٠

حارة الروم الجوانية ١٣١

الحجاز ٩٣ ، ٣٠٦

الحرم المدني ١٩٣ ، ٢٥٦

الحرم المكي ١٩٣ ، ٢٥٦

الحسنية ٢٦٩

حصن أحمد بن طولون ٣٤ ، ٢٧٣

حصن جزيرة الروضة ٣٤

حلب ١٤٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٣٠٦ ، ٣٧٧

حام بشتاك ١٤٣

حام المؤيد ٢٠٧

حماة ١٢٤ ، ٣٧٧

حصن ١١٤ ، ٣٧٧

(د)

دار الآثار العربية ١٧٠٠ ١٨٨٠ ٢٥٠ ٢٥٠ ١٠٠
١٠٨ ١٢٢ ١٤٠ ١٤٢ ١٥١ ١٥٥
١٥٧ ١٦٢ ١٧٣ ١٨٧ ٢٠٦ ٢١٦
٢٠٨ ٢٢٨ ٢٤٠ ٢٥٥ ٢٥٩ ٢٧٨

دار آفوش نميلة ١٣٩

دار إبراهيم بك ذى الفقار ٢٢٠

دار الامارة ١٥ ٢٩

دار الامارة بمرور ٧٩

دار التفاح ٢٤٧

دار جمال الدين قتال السباع ١٣٩

دار الحكمة ١٢

دار الخلافة ينفاد ١٣٢ ١٣٣

دار السلطان حسن بقلعة الكيش ١٦٥

دار سنجر الجاول ١٢٠

دار الصناعة بالروضة ٢٧٣

دار الضرب ٦٩ ٣٧٨

الدار الطولونية بالعسكر ١٦

دار العلم ٥٠

دار عمرو بن العاص ٢٣

الدار القبطية ١١٤

دار الكتب المصرية ١٤٥ ٢٥٥

دار الوزارة الكبرى ١٣١ ١٣٢

دار يلينا الجبارى ١٦٦

درب الفواخير ٣١٢

درب ملوخية ٩٢

دمشق ٢٧ ٢٤ ٧٨ ٨٠ ١٥٦ ٢٠٢
٢١٥ ٢٠٦ ٢٥٦

ديباط ١٣١

ديوان الأرفاف ٩٢

ديوان الأرفاف الخصومية الملكية ٢٤٦

(ر)

رباط الآثار ٩١ ٩٢

رباط أبي طالب ٢٣٤

رباط أحمد بن سليمان ١٩

رباط الخماس ٢٦١

ربيع شينور ٢٥٩

رشيد ٧٢ ١١٣ ٢٦٣ ٢٢٩

الرصاة ٢٧٢

الرها ٢٥٨

رواق الأتراك بالأزهر ٥٩ ٢٢٣

رواق الجلاء ٢٢٣

رواق السليمانية ٥٩ ٢٢٣

(ز)

زاوية أبي السعود أبي المثار ١٣٢

زاوية الإمام الشافعى ٣٠

زاوية البرزخ ١٩٣

الزارية البيضاء ٣٦٣

الزارية العاصية ٣٠

زاوية المبيان ٥٩

زاوية فرج بن برفوق ٩٧ ٢٢٢

الزارية الكلاية ٣٠

الزارية المجدية ٣٠

(س)

ساقية أبي شعرة ٢٩٩

سبيل أم حسين بك ٢١٧

سبيل السلطان مصطفى ٢٠

سبيل شينور ١٥٦

سبيل عبد الرحمن كنفذا ٣١٤

سبيل الناصر محمد ١٣٧ ٢١٧

سبيل والده فاضل باشا ١٤٦

سرمين رأى ٣٢ ٤٣

سكة الخرقش ٢٠٢

سماسم سرياقوس ٢٢٩

سمود ١٢٧

سنبجار ١٩٢

- شارع الخليفة ٣٥٠
- » الدرب الأحمر ١٤٧ ، ١٤٣ ، ٩٧ ، ٣١٨
- » السبع والضبع ٣٥٠
- » السكة الجديدة ٨٦
- » سوق السلاح ١٨٨ ، ٣٦٣
- » السيدة عائشة ٣٤٤
- » الشعراوى البرانى ٢٩٩
- » شيخون ١٥٦ ، ١٥
- » البعابة ٢٦٩
- » فؤاد الأول ٢٧٦
- » قصر النيل ٣٢٣
- » القبودية ٣٢٠
- » محمد على ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٣٠٦ ، ٣١٢
- » مراسينا ١٥ ، ١٢٤
- ✦✦✦
- » مسجد البسات ٢١٥
- » المنزلدين الله (الأشرفية) ٢٢١
- » المنزلدين الله (بين القصرين) ١٩٢
- » المنزلدين الله (السكرية) ٢٠٧
- » المنزلدين الله (المقادين) ٧٤
- » المنزلدين الله (الثورية) ٢٨٦
- » المنزلدين الله (التعاسين) ٦٩ ، ٧٤ ، ١١٤
- » المغربلين ٢١٨
- » الميدان بالاسكندرية ٣٢٧
- » النبي دانيال بالاسكندرية ٣٣١
- الشاملي ٣٣٤
- الشام ١١ ، ٣٣ ، ٨٠ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٠٦ ، ١٢٤ ، ٢٠٧ ، ٢٥٥ ، ٣٥٢
- شق الثعبان ٣٤٢
- (ص)
- صحراء قايتباى ٢٢٥ ، ٢٥٠
- صفين ٢١٥
- صفلية ٢٢
- صهيون ٢٨١

- سوردمهور ١٩٣
- سورالقاهرة ٦٥
- سوريا ٣٥١
- السوس بخوزستان ٢٢٣ ، ٢٢٢
- سوق البسطين ١٤٧
- سوق الخليل ١٦٦
- سوق المطارين بالاسكندرية ٦٧
- سوق النبرين ٢٢٤
- سوق الغزل ٣٠
- السوما ٣٤١

(ش)

- شارع أحمد باشا ماهر ٢٤٧
- » الأزهر ٢٣٤ ، ٢٨٦
- » الامام الشافعى ٦
- » الامام الليث ١٩٨
- » أمير الجيوش ٣٦٠
- » باب الوزير ١٥٢ ، ١٨٢
- » بركة انجيل ٣٥٧
- » البرموى ٢٤٢
- » بين القصرين ١١٤ ، ١٤٣ ، ١٩٢
- » البيوى ٣٤٨ ، ٣٥٠
- » النبابة ١٤٧
- » الجامع الأحمر ٣٦٠
- » جامع الثانية ٣
- » جامع عابدين ٣٧٢
- » جامع المطارين ٦٧
- » الجمالية ٣١٠ ، ٣٦٠
- » الحبابية ٢٤١
- » الحلبة ١٣٦
- » الخضيرى ١٥٠ ، ١٦٠
- » الخليج المصرى ٢٤٢

(ض)

ضريح ابيكندر ٢٢٦
» سبى محمد الأقر ٢٢٦
» عبد الله بن عمرو ٢٢٦ ، ٢٠

(ط)

الطائف ٢٥٦ ، ٢١
طرابلس ٢٢١ ، ٢٠٧ ، ١٥٦
طرسوس ٢٨٦
الطف ٧٨

(ع)

العباسية ٢٦٩ ، ١٢٢
العراق ١٠٦ ، ١٢
عرب اليسار ١٥
عقلان ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٦٤
العسكر ١٢
مكا ٣٧٧ ، ٣٥٢ ، ٦٤
العليقة ٢٧٢
عمود السوارى ٢٢٦ ، ٢٣٥
عين زبيدة ٥٧

(غ)

غزة ١٥٢ ، ١٣١ ، ١٢٥ ، ١٢٤ ، ١٠٦

(ف)

فاس ٢٢٩
الفرات ٩٥٠
القسطاط ٢٧٣ ، ٤٤٨ ، ٤٤٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ١٤
فندق خان الزكاة ١٩٣
فنيسيا ٣٠٦

(ق)

قاعة الماس ٢٥٨ ، ١٣٨
قاعة ست الملك ١١٤
القاهرة ٨٣ ، ٨١ ، ٧٦

قبر أبى الفيض ذى النون المصرى ٢١٥
قبر الاسكندر ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٢٤
قبر الإمام الشافعى ١٠٧ ، ١٣
قبر أولاد ابن عبد الحكم ١١١
قبر الحسين بن على بالمدينة ٧٩
قبر الحكيم لقمان ٢٢٧

قبر الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الامام رابطة عقبة بن عامر ٢١٦
قبر شهاب الدين ابن أبى حجلة وولده ٢١٧
قبر عبد الرحمن بن عبد الملك الشافعى وابنه ٢١٧
قبر عثمان الزبلى ٢١٥

قبر عمرو بن العاص ٣١٦ ، ٢٣

قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ٨٠
قبر وبيد الدين عبد الوهاب البهنسى قاضى القضاة ٣١٦
قبة الأشرف خليل ١١٨
قبة أصل السعدار ٣١٧
قبة أم آنوك ٣١٧

قبة الامام الشافعى ٢٨٦ ، ٢٤٢ ، ١٥٨ ، ١٠٦
قبة بدر الجالى ٦٥ ، ٥١
قبة تنكربنا ١٥٥

قبة جامع الظاهر ببيروت البندقارى ١١٠
قبة جاني بك الأشرفى ٢١٨

قبة حسام الدين طرظاى ٢٢٢

قبة الخلفاء العباسيين ٢١١
قبة زين الدين يوسف ١٢٧

قبة السلطان حسن ١١٠

قبة سليمان أغا ٣١٧

قبة شجر الدر ٣٧

قبة الشيخ سمود ٣١٧

قبة الشيخ عبد الله المنوفى ٢٥٠

قبة الشيخ يونس ٦٥

قبة الصالح نجم الدين ١٩٥ ، ٣٧

قبة الصخرة ١١٨ ، ٣٧

قبة طشتر حص أخضر ٣١٧

قبة طومانباى ٣٠١

فهرس الأماكن

القصر الفاطمي الصغير ١٢٢ ، ١١٤ ، ٩٨	قبة ابن غراب ٣١٧
القصر الفاطمي الكبير ٤٧	قبة النوري ٣١٧ ، ٩٢
قصر القبة العامر ٢٥٨	قبة القدارية ٢٦٩ ، ٢٥٩
قصر قوصون ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ١٣٩ ، ١٣٧	قبة فانصره أبي سعيد ٢٧٧
القصر الملكي ٣٦٤	قبة قاينباي ٢٥٧
قصر الهودج ٢٧٣ ، ٦٩	قبة الخراسان السماقي ٢٧٧
قصر يلينا الجباري ١٦٦	قبة قلاورون (المنصورية) ١٢٨ ، ١١٥ ، ٧٢
القطائع ١٤٧ ، ٤٨ ، ٣٤ ، ١٥	قبة محمد الأنور ٢٤٧
قطيا ٢١٥	قبة محمد بن قلاورون (الناصر) ٣١٧ ، ١٦٩
قلعة الجبل (صلاح الدين) ١٣٦ ، ١٣١ ، ١١٥	قبة يشبك من مهدى ٢٥٨
١٤٧ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ، ٢٢٩ ، ٢٨٦ ، ٢٩٥	قبة يونس الدرادار ١٦٣
٣٧٨	قباب تكية السليمانية ٣١٧
قلعة الصالح نجم الدين بالروضة ٢٧٥ ، ٢٧٣ ، ١١٥ ، ٩٩	قبرص ٢٢٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢١
قلعة العقبة ٢٨٦	القدس ٣٠٦ ، ٢٥٦ ، ١١٨ ، ٣٧
قلعة قاينباي بالاسكندرية ورشيد ٢٨٦ ، ٢٦١ ، ٢٥١ ، ٩٩	القدموس ٢٧٢
قاعة الكبش ١٣٠ ، ١٢٥	قراة الامام الشافعي ٣١٥
قلقشدة ٢٩٩ ، ١٩٨	القراة الشرقية ٢٢٥
قليوب ١٣١	القراة الصغرى ١٩٩ ، ١٩٨ ، ١٠٦ ، ٣٣
قناطر ابن طولون ١٥	قرطبة ٩٣
قناطر أبي منجا ١٦٠	القسطنطينية ٢٥٦
قنطرة الخرق ٢٤٧	قصر بشناك ١٤٣ ، ١٣٧ ، ٧٠
قناطر المياه ٢٨٦	قصر تنكر نائب الشام ٢٠٢
قنطرة سنقر ٣٤٢	قصر الجوهرة ٣٨٨
قها ٢٠٨	قصر حسن باشا المنسترل ٢٧٣
قوله ٣٨٨ ، ٣٧٦	قصر الزمرد ٨٣
قونية ٣٧٧ ، ٣٧٦	قصر الحمراء ٢١٩ ، ١٢٣
قيسارية أم السلطان ١٨٣	قصر الصالح نجم الدين ٢٧٣
قيسارية سنقر الأشقر ٢٠٨	قصر ابن طولون ١٥
(ك)	قصر عابدين ٣٧٢ ، ٩٢
كر بلا ٧٩ ، ٧٨	القصر العالي ٣٦٣
كفر ٣٠٦	قصر عباس الأول ٢٠٢ (وفي الحجج القديمة) قصر عبد الحليم باشا
الكرك ١٣١	ابن محمد علي باشا
كنيسة سان مارك ٣٣٦	قصر النوري بالروضة ٢٧٣
كنيسة القديسة هيلانة ٢٨٣	

الكهف ٢٧٢

الكوفة ١١٠ ٧٨ ٩٤ ٩٥

كوم الديماس ٢٤١ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥

(ل)

لجنة حفظ الآثار العربية ٣٩ ٤٥ ٧٣ ٧٤

٨٨ ١٠٣ ١٠٨ ١١٨ ١٢٠ ١٣٠

١٣٤ ١٣٥ ١٥١ ١٨١ ١٩١

١٩٥ ١٩٧ ٢١٦ ٢١٧ ٢٢٠ ٢٢٤

٢٧١ ٢٧٨ ٢٩٨ ٢٩٣ ٢٩٨ ٣١١

٣٤٧ ٣٧٢

(م)

ماردين ١٩٢

المتحف البريطاني ٢٦٧

متحف سوان بلوندره ٣٧

المتحف القبطي ٢٦٧

المدية ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٩٤ ٩٥ ١٩٨

المحلة الكبرى ٦٥ ١٢٧

✦✦

المدرسة الاقبائية ٣٧ ٥٧ ١٥١

مدرسة آق سنقر القارقاني ٣١٨

مدرسة ابن الزمن بشاطي بولاق ٢٥٧

مدرسة أبي بكر مزهر « الزهرية » ٢٢٨ ٢٦٣ ٢٦٤

مدرسة أبي الحسن بمكاسة ٥٧

مدرسة الأشرف برسباي ١٩٦ ٢٢١

مدرسة الأشرف شعبان بالصوة ١٨٣

مدرسة الجاي اليوسفي ١٦٢ ١٨٨

مدرسة أم السلطان شعبان ١٥٥ ١٨٢

مدرسة أيبك الصالحى بإسنا ٦٤

مدرسة اينال اليوسفي الأتابكي ١٣٧ ١٨٤

المدرسة الباسطية ٢٠٢

المدرسة الجوهريه ٥٨ ١٩٦

مدرسة السلطان حسن ١٦٥ ١٨٨ ١٩٤ ٢٠٨

٢٢٢ ٣٦٦

مدرسة سودون بن عبد الرحمن ٢٣٠

المدرسة السبوفية ١٣ ٣٠١

مدرسة صرغتمش ١٦٠

مدرسة صلاح الدين بالاسكندرية ١٣

المدرسة الصلاحية ١٣ ٩٩ ١٠٧ ١٠٨

المدرسة الطيريه ٢٧ ٥٦ ١٩٥ ٢٤٨

مدرسة الظاهر برقوق ١٨٤ ١٩٢ ٢٢٤

مدرسة عبد القادر الأزمكي ٣٠٠ ٣٠١

مدرسة الغوري بالغورية ٢٢٣ ٢٨٩

المدرسة الفارقانية ٣١٨

المدرسة الفخرية القديمة ٢٤٢

المدرسة الفخرية (مسجد البنات) ٢١٥

المدرسة القاصدية ٥٨ ١٥٨

مدرسة القاضى الفاضل ٩٢

مدرسة قايتباي بالقراة ٢٤٩ ٢٥٠

مدرسة نجماس بالنام ٢٦١

مدرسة قلاوون ٣٧ ٤٢ ١١٤ ١٣٧ ١٣٨

١٦٢

المدرسة القمحية ١٣

المدرسة الكاملة ١٤٣

مدرسة المشهد ١٣ ٨٣

مدرسة المهندسخانة ٣٧٨

المدرسة الناصرية ١٣

مدرسة النبي دانيال بالموصل ٣٣٤

مدفن أسرة محمد علي باشا ١١٢ ٣٣١

مدفن قلاوون ٣٦

مرر ٧٩

✦✦

مسجد آل ملك ١٤٩

مسجد أبي السعود ١٦

مسجد أبي العلا ٢٧٦

مسجد أحمد باشا المعروف بطوب قبر ٣١٠

مسجد أربك اليوسفي ٥٦

مسجد أسنفا البوبكري ١٨٩



مسجد زين الدين يحيى ببولاق ٢٣٨	مسجد أصل السلحدار ١٩٤
مسجد زين الدين يحيى بالحباينة ٢٤١	المسجد الأقصى ٣٧
المسجد الزينى ٩٢	مسجد التى برىق ١٣٣
مسجد الست حدق ٣٧	مسجد الطبغا الماردانى ١٤٧
مسجد السلطان أحمد ٢٢٢ ، ٢٨٤ ، ٢٧٨	مسجد المس ١٣٦ ، ٢٦٨
مسجد السلطان حسن ٢٥٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٦٦	مسجد الامام البث ١١٢ ، ١٩٨ ، ٢٨٦
مسجد سلطان شاه ٢٦٧	مسجد أم السلطان شعبان ٢٦٨
مسجد سايان باشا بالقلمة ٢٠ ، ٢٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩	المسجد الأموى ٧٩
٣١٧ ، ٣٣٥ ، ٣٦٠ ، ٣٧٤	مسجد أمير حسين ١٧٣
مسجد سنان باشا ٢٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٩ ، ٢٢٩	مسجد اينال الانابكى ١٣٧
مسجد سنان باشا بالشام ٣٠٣	مسجد البردى ٣١٣ ، ٣٧٢
مسجد الشعراوى ٢٩٩	مسجد برساى (الأشرف) ٢٢٩
مسجد طلائع بن رزك ١٤٧ ، ٢٥٨	مسجد برفوق (الظاهر) ١٣٧
مسجد وترية طلائع بن رزك بالقراة الكبرى ٩٧	مسجد بشناك ١٢٧ ، ١٣٧ ، ١٨٩
مسجد السيدة عائشة ٣٤٤	مسجد البنات ٢١٥
مسجد عبد الباقي حوريجى ٣٢٧	مسجد البوصيرى ٣٢٩
مسجد عبد الرزاق ٣٣٦	مسجد بيدر البدرى ١٣٧
مسجد عثمان كتنخدا ٣٢٣	مسجد البيوى ٢٤٨
مسجد العطارين ٦٧	مسجد التقوى = مسجد قباء ١
مسجد عقبة بن عامر بمصر ٣١٥	مسجد التنور ٣٤
مسجد عقبة بن نافع بالقيروان ٥١	مسجد جاني بك ٢١٨
مسجد عمر بن الفارض ٢٤٣	مسجد الجارلى ١١٦
مسجد القمري بالحلة الكبرى ٦٥	مسجد الجمالى يوسف ٢١٨
مسجد القمري بمصر ٢٢٧	مسجد الحاج ابراهيم ترابة ٣٢٨
مسجد القوزى ٢٧٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٤	مسجد الحاكم بأمر الله ١٤١
مسجد فاطمة أم خوند ٢٩٩ ، ٣٠٠	مسجد الحبشلى ٣١٨
مسجد فاطمة شقرا ٢٤٧	مسجد حسن باشا طاهر ٣٥٧
مسجد الفاكهاني ٧٤ ، ٢٥٨	مسجد الخطيرى ١٥٥
مسجد فيروز الساقى ٢١٨	مسجد الذخيرة ٣٦٣
مسجد القاضي عبد الباسط بدمشق ٢٠٢	مسجد ذى الفقار ٣٢٠
مسجد القاضي عبد الباسط بنزة ٢٠٢	مسجد رشيد الدين البهاني ٢٤٧
مسجد قاني باى أمير اخور ٢٨١ ، ٢٩٥	مسجد الرفاعى ٢٩٥ ، ٣٦٣
مسجد قاني باى أمير اخور الرماح بالناصرية ٢٨١ ، ٢٨٤	مسجد زين الدين يحيى بالأزهر ٢٣٤
مسجد قاني باى المحمدى ١٦٢	
مسجد قايتباى بالروضة ٢٧٣	
مسجد قايتباى بقلمة الكيش ٢٤٠	



مسجد قبا ١١
 مسجد يحماس خارج باب رشيد ٢٦١
 مسجد القرويين بفاس ٣٢٩
 مسجد قوصون ٥٦
 مسجد كاتم السر ٢٧١
 مسجد كافور الزمام ٢١٨
 مسجد كريم الدين الخلوي ٣٤٢
 مسجد كوزلبغا = كريم الدين الخلوي .
 مسجد المؤيد شيخ ١٨٧ ، ١٧١ ، ١٦٩ ، ٩٧ ، ١٩٤ ، ٢٠٧
 مسجد المارداني ١٢٨ ، ١٠٢
 مسجد محرس الخصى ٩٥
 مسجد محمد بك أبي الذهب ٣٥١ ، ٣٢٩ ، ٣٠٩ ، ٢٠
 مسجد محمد علي باشا ٣٧٦ ، ٣٥٧ ، ٣٠٩ ، ٢٩٥
 مسجد المحمودية ٢٩٥ ، ١٧٣
 مسجد المدينة ١١
 مسجد المطهر = المدرسة السيوفية .
 مسجد المقياس ٢٠٧
 مسجد الملكة صفية ٣٠٩ ، ٣٠٦ ، ٢٠
 مسجد المهندار ١٨٨
 مسجد الناصر محمد بن قلاوون ١٤١
 مسجد النبي دانيال ٣٣٤ ، ٣٢
 مسجد يوسف الحين ٣١٢
 + +
 مشهد آل طباطبا ٣٥ ، ١٦
 مشهد الجيوشي ٦٥ ، ٥١
 مشهد الحسين بحلب ٧٩
 مشهد الحسين بمسقلان ٨٢ ، ٨١ ، ٧٩
 المشهد الحسيني بدمشق ٧٩
 المشهد الحسيني بالقاهرة ١٠٥ ، ٩٢ ، ٨٣ ، ٧٩ ، ٧٦ ، ٣٤٨ ، ٣٤٧
 المشهد الحسيني بمر ٧٩
 المشهد الخليل ٨٢
 مشهد دانيال ٣٣٣

مشهد الرأس بمسقلان ٨١ ، ٦٥
 مشهد زيد بن علي بن زين العابدين ٩٤
 مشهد السيدة سكينة ٣٤٥
 مشهد السيدة طائفة ٣٤٥
 مشهد السيدة نقيصة ٣٤٥ ، ٦٥
 مشهد المحسن بن الحسين ٩٥
 المشفى ٢٧٣
 مصر ١١ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٧ ، ٦٤ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٥ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٣٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٣١٥
 مصلى ومبيل المؤيد بالقلمة ٢٠٧
 مصنع محمد علي باشا باسنا ٦٤
 مصيف ٢٧٢
 مطوبس ٧٢
 مقبرة باب البحر ٣٤٠
 مقبرة الديماس ٣٤٠
 مقبرة النبي دانيال ٣٤١ ، ٣٣٧ ، ٣٢٦
 مقبرة وطة ٣٤٠
 مقياس النيل ٢٧٣ ، ٩٢ ، ٤٣ ، ٣٤ ، ١٥
 مكتبة أحمد زكي باشا ٣٠٨
 مكتبة الجامع الأزهر ٦١
 مكتبة الجامع الأنقر ٧٥
 مكتبة جامع شيخو ١٥٩
 مكتبة القلعة ٢٠٨
 مكتبة مدرسة السلطان حسن ١٧٤
 مكتبة مدرسة قايتباي ٢٥٥
 مكتبة مدرسة السلطان شعبان ١٨٣
 مكتبة مسجد محمد بك أبي الذهب ٣٥٢
 مكتبة مسجد المؤيد شيخ ٢٠٨
 مكتبة مصطفى فاضل باشا ١٤٥
 مكة ٢٤٣ ، ٧٨ ، ٧٧ ، ٣١
 مكانة الزيتون ٥٧
 مطبية ٢٨٦
 منارات النوري ٢٨٤

ميدان باب زويلة ٩٧	منارة الحاكم ١٢٧ ، ٩٩
ميدان زين العابدين ٩٤	منارة مسجد الناصر محمد بالقلة ١٢٣ ، ١٤١ ، ١٦٤
ميدان السيدة زينب ١٢٤	منارة الاسكندرية ٣٢٥ ، ٣٤ ، ١٥
ميدان صلاح الدين ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ٢٨١	منارة الامام الليث ٢٥٩
٣٦٣ ، ٢٩٥	منارة بيرس الجاشنكير ١٢٧
ميدان الظاهر ٣٤٨	منارة تنكربغا ١٢٧
ميدان عمرو بن العاص ٢٣	منارة الجامع الطولوني ١٢٧
ميدان العبد ٢٥٠	منارة خاتقاه قوصون ١٤١
ميدان القبق ٢٥٠	منارة زاوية المنسود ١٢٧
(ن)	منارة الصالح نجم الدين ١٢٧
نزيب ٣٧٧	منارة القمري بميت غمر ٢٨٤
النوبة ٣١٨ ، ١١٤	منارة قوصون ١٢٧
(هـ)	منارة مدرسة السلطان حسن ١٦٨ ، ٢٨٥
هركة ٣٦٤	منارة مسجد ترانة ٣٢٩
الهند ٢٥٦	منارة مسجد جان بلاط ٢٨٤
(و)	منارة مسجد الرماح بالنصرية ٢٨٤
واسط ٢٢	منارة مسجد العمري بالمنيا ٢٨٤
وجه قبل ٢٨٦	منارة مسجد قلاوون ١٥٨
الوردبان ٣٢٤	منارة مسجد منجك اليوسفي ١٢٧ ، ١٥٨
ورشة الجوخ يولاق ١٢٢	منارة يشبك من مهدى بالامام الليث ٢٤٠
وزارة الأوقاف ٧٥ ، ١٢٣ ، ٢٠٦ ، ٢٤٧ ، ٣٧٢	منزل مصطفى أفندي السادة ٢٨٨
وكالة بحوريجي بالاسكندرية ٣٣٠	منزل تقيسة الجاسوسة ٣٢٨
وكالة ذى الفقار ١٣١	منفوليا ٣٢
وكالة السلحدار بالجالة ٣٦٠	المنيفة ٢٧٢
وكالة السلحدار بخان الخليل ٣٦٠	منية بنى خديب ٩٧
وكالة قوصون ١٢٩	منية حلقا ١٦٠
(ى)	الموصل ١٩٢
اليمن ١٠٦ ، ٣٠٢	ميدان إبراهيم باشا ٣٢٣
يبيع ٩١	ميدان أحمد باشا ماهر (باب الخلق) ٣١٢ ، ٣٢٢
اليونان ٣٦٩	ميدان أحمد بن طولون ١٥ ، ٣٢
	ميدان الأزهر ٤٧ ، ٣٥١



شركة الأمل للطباعة والنشر

(مورافيتلى سابقاً)

ت: 23904096 - 23952496